نظرات شرعية

في فكر منحرف

سليمان بن صالح الخراشي

الجزء الأول

روافد للطباعة والنشر والتوزيع
لبنان – بيروت - خلوي / ٠٠٩٦١٣٢٦٥١٢٦
الطبعة الأولى ١٤٢٩ – ٢٠٠٨
البريد الالكتروني : rawafed@libnan.cc-STConline

نظرات شرعية
في فكر منحرف

سليمان بن صالح الخراشي

الجزء الأول

روافد للطباعة والنشر والتوزيع

لبنان ـ بيروت ـ خلوي / ٠٠٩٦١٣٢٦٥١٢٦

الطبعة الأولي ١٤٢٩ ـ ٢٠٠٨

البريد الالكتروني : rawafed@libnan.cc-STConline

المقدمة

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، أما بعد:
فهذه هي المجموعة الأولى لملخصات ومختصرات لانحرافات مشاهير الكتاب والمفكرين والأدباء ممن كان لهم تأثير كبير في صرف أمتنا عن الاستقامة على دين الله ـ ﷻ ـ، كنت أجمعها لنفسي عند قراءتي لنتاجهم، لكي تكون مرجعاً لي لمعرفة فكر تلك الشخصيات عندما يأتي ذكرها، إلا أن بعض المحبين ألح عليَّ في نشرها، ليعم نفعها بين شباب الأمة الذين يتساءل بعضهم بين الحين والآخر عن حقيقة فكر الشخصيات الآنفة.

فليعلم بهذا أن هذه المجموعة التي ستعقبها ـ إن شاء الله ـ مجموعات أخرى، هي موجز لانحرافات مشاهير الشخصيات المؤثرة في تاريخ أمتنا ـ لا سيما المعاصر ـ، مع تعليقات شرعية يقتضيها المقام، أما من أراد الزيادة والطول في التعقب فليست هذه المجموعات بغيته.

وهذه المجموعة المعروضة أمامك ـ أخي القارئ ـ هي بمثابة العرضة الأولى القابلة للزيادة والتعديل، فلا تبخل عليَّ بما عندك، وأفدني بملاحظاتك على عنواني: بريد (٥٢٢) الرياض، الرمز (١١٣٢١).

والله أعلم، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم

كتبه

سليمان الخراشي

alkarashi@hotmail.com

نظرة شرعية
في فكر
أحمد لطفي السيد



نظرة شرعية في فكر (أحمد لطفي السيد)

ترجمته[(١)]: هو أحمد لطفي بن السيد أبي علي، ولـد سـنة ١٨٧٠م، كان رئيسًا لمجمع اللغة العربية في القاهرة. وينعت بأستاذ الجيـل! ولـد في قرية "بـرقين" بمركـز "الـسنبلاوين" بمـصر، وتخـرج بمدرسـة الحقـوق في القاهرة (١٨٨٩) وعمل في المحاماة. وشارك في تأليف حزب "الأمة" سنة ١٩٠٨ فكان أمينـه، وحـرر صـحيفته "الجريـدة" يوميـة إلى سـنة ١٩١٤ وكان من أعـضاء "الوفـد المـصري" وتحـول إلى "الأحـرار الدسـتوريين" وعين مديرًا لدار الكتب المصرية فمديرًا للجامعة عدة مرات، ثـم وزيـرًا للمعـارف، والداخليـة والخارجيـة (١٩٤٦) فعـضواً بمجلـس الـشيوخ (١٩٤٩) وكان تعيينه رئيساً لمجمع اللغة العربية سنة ١٩٤٥ واستمر فيـه إلى أن توفي بالقاهرة. تأثر بملازمة جمال الدين الأفغاني مدة في اسـتنبول، وبقـراءة كتـب أرسـطو، ونقـل منهـا إلى العربيـة: "علـم الطبيعـة ـ ط" و"السياسة ـ ط " و" الكون والفساد ـ ط" و" الأخلاق ـ ط".

وجمع إسماعيل مظهر مقالاته في "صفحات مطوية من تاريخ الحركة الاسـتقلالية ـ ط" و"المنتخبـات ـ ط" جـزآن و"تـأملات في الفلـسفة والأدب والسياسة والاجتماع- ط"

* يعد لطفي الـسيد أحـد التلاميـذ النجبـاء ! للمدرسـة العـصرانية الحديثة، التي أنشأها جمال الدين الأفغـاني وتلميـذه محمـد عبـده، وهـي المدرسة الـتي تقـوم علـى تقـديس العقـل مقابـل النقـل، ومحاولـة مـزج المـسلمين بغيرهـم، والـسير وراء الحـضارة الغربيـة ونقلـها إلى المجتمـع

(١) انظر للتوسع: (أحمد لطفي السيد: أستاذ الجيل !) للدكتور حسين فوزي النجار. والترجمة مـن أعلام الزركلي.

المسلم، دون تفريق ـ للأسف ـ بين منافعها وأضرارها، ولهذا فقد انطبع لطفي السيد بسمات هذه المدرسة في تفكيره، بل زاد عليها شوطاً بعيداً في الانحراف.

يقول الدكتور حسين النجار عن لطفي السيد بأنه " تتلمذ على الشيخ محمد عبده في مدرسة الحقوق، واتصل به وعرفه بعد ذلك في سويسرا " [أحمد لطفي السيد: أستاذ الجيل ١٩٣].

ويقول ألبرت حوراني: "التقى لطفي السيد بمحمد عبده وأصبح صديقه وتلميذه، كذلك تعرف إلى الأفغاني في أثناء زيارة قام بها إلى استنبول، فأعجب به كثيرًا " [الفكر العربي في عصر النهضة ٢١٠].

أما الأستاذ أنور الجندي فله رأي أخر في هذا؛ حيث يرى بأن لطفي السيد قد تنكر لمبادئ مدرسة محمد عبده ـ التي لا زال الجندي يثني للأسف عليها! ـ وأنه انحرف عنها إلى تأييد المستعمر الإنجليزي والسير في ركابه. يقول الجندي: "قد بدأ ظاهر الأمر أن سعد زغلول ولطفي السيد هما من تلاميذ جمال الدين ومحمد عبده، ولكن الأمور ما لبثت أن كشفت عن تحول واضح في خطتهما نحو منهج التغريب الذي قاده كرومر والذي وضع للصحافة والثقافة والتعليم منهجاً جديداً مفرغاً من الإسلام وهو المنهج الذي صنع ذلك الجيل الذي دخل الجامعة وكليه الآداب في أول افتتاح الجامعة المصرية ١٩٢٥ (وقد قام بالدور الأكبر فيه الدكتور طه حسين) ومدرسة السياسة (هيكل وعلي عبد الرازق ومحمود عزمي) وغيرهم.

ولا ريب أن كتابات لطفي السيد ومخططات سعد زغلول تكشف عن تجاوز كبير للنبع الذي صدرا منه . وعن مفاهيم جمال الدين ومحمد

عبده ومهما كانت كتابات كرومر عن محمد عبده وحزبه فإنه ما كان يقر هذا التحول الذي وصل إليه الرجلان الذين أسلمهما كرومر مقادة الصحافة (لطفي السيد) والتربية (سعد زغلول) ومفاهيمهما هي مفاهيم كرومر وخطتهما هي خطته" [عقبات في طريق النهضة: ص ٧٦-٧٧].

قلت:والحق خلاف ما ذكره الجندي!الذي أحسن الظن كثيرًا بمحمد عبده وشيخه، وتغافل أنهما ـ لا سيما الأخير ـ قد راهن عليهما المستعمر كثيرًا، ومكن لمدرستهما، ورحب بها، لتكون خليفة له بعد رحيله عن مصر؛ نظرًا لأنها تحقق له أهدافه.

نعم قد يكون لطفي السيد وسعد زغلول قد زادا في الانحراف عن الإسلام أكثر من شيخيهما، إلا أن هذا أمر متوقع لكل من تأثر بهذه المدرسة التي كانت تعاليمها أول ممهد لمثل هذا الانحراف، وهكذا البدع والانحرافات تبدأ صغيرة ثم لا تلبث أن تكبر وتتسع وتزداد، لأن القاعدة التي انطلقت منها تسمح بذلك.

انحرافاته:

١- أعظم انحراف له، بل هو من الكفريات ـ والعياذ بالله ـ أنه ـ كما يقول ألبرت حوراني-:" لم يكن مقتنعاً كأساتذته! بأن المجتمع الإسلامي أفضل من المجتمع اللاإسلامي" !! [الفكر العربي في عصر النهضة، ص٢١١] وتوضيح هذا كما يقول حوراني: أن " الدين ـ سواء كان الإسلام أو غيره ـ لا يعنيه إلا كأحد العوامل المكونة للمجتمع ".

كان يرى أن ليس باستطاعة بلد له تقاليد -كمصر- أن يقيم حياة

الفرد وبناء الفضائل الاجتماعية إلا على أساس الإيمان الديني، وأن الإسلام ـ كدين لمصر ـ لا يمكن إلا أن يكون هذا الأساس. لكنه رأى أن أديانًا أخرى قد تصلح لبلدان أخرى، وبتعبير آخر، كان لطفي السيد مقتنعاً بأن المجتمع الديني خير من المجتمع اللاديني (على الأقل في مرحلة معينة من التطور)، لكنه لم يكن مقتنعاً كأساتذته بأن المجتمع الإسلامي أفضل من المجتمع اللاإسلامي. وفي هذا يقول: "لست ممن يتشبثون بوجوب تعليم دين بعينه أو قاعدة أخلاقية معينة. ولكني أقول بأن التعليم العام يجب أن يكون له مبدأ من المبادئ يتمشى عليه المتعلم من صغره إلى كبره. وهذا المبدأ هو مبدأ الخير والشر وما يتفرع عنه من الفروع الأخلاقية. لا شك في أن نظريات الخير والشر كثيرة التباين. ولكن الواجب على كل أمة أن تعلم بنيها نظريتها هي في هذا الشأن. فعندنا (في مصر) إن مبدأ الخير والشر راجع إلى أصل الاعتقاد بأصول الدين، فعليه يجب أن يكون الدين من هذه الوجهة الأخلاقية هو قاعدة التعليم العام" [المرجع السابق:ص٢١١-٢١٢ نقلاً عن صفحات مطوية، لطفي السيد، (١/ ١١٨)] .

قلت: فلطفي السيد إذاً لا يفرق بين الإسلام وغيره من الأديان أو النِحل! فجميعها ـ في نظره سواء ـ ما دامت تجعل معتنقها يحب الخير ويفعله، ويكره الشر ويبتعد عنه! فنعوذ بالله من خلط الكفر بالإسلام.

٢- دعوته إلى (العلمانية) وعزل الإسلام عن أن يكون مرجعاً لسلوك الفرد والمجتمع إلى كونه مجرد علاقة بين العبد وربه يحتفظ بها في ضميره!!.

يقول مجيد خدوري في كتابه (عرب معاصرون):"إن تأكيد لطفي

السيد على العلمانية وإحالة الدين إلى ضمير الفرد أثار النقاد الذين نددوا به واتهموه بالإلحاد" [ص ٣٢٩].

٣- إلحاده !! ـ إن صح النقل عنه ـ فقد قال مجيد خدوري في كتابه (عرب معاصرون):" أخبرني عبد الرحمن الرافعي المحامي المؤرخ مرة أن لطفي السيد كان شيخ الملحدين . ولكن عبد الرزاق السنهوري الذي سمع هذه الملاحظة قال: إن شيخ الملحدين هو شبلي شميّل وليس لطفي السيد، على الرغم من أن لطفي نفسه من الملحدين!! وقال الرافعي إن لطفي كمدير للجامعة المصرية دافع عن ملحدين آخرين ؛ كطه حسين ومنصور فهمي وحسين هيكل " [ص٣٢٩].

٤- "وقال لي السنهوري ـ وهو صديق حميم للطفي السيد ـ إن لطفي أثار شكوكاً جدية في المعتقدات الدينية التقليدية" وأنه "أعرب عن شكوك خطيرة فيها، وقد ظل مشككاً حتى آخر حياته" !! [ص٣٣٠].

٥- طعنه في الشريعة الإسلامية بأنها غير صالحة لهذا العصر!! يقول مجيد خدوري في كتابه (عرب معاصرون): " قال لي ـ أي لطفي السيد ـ مرة في سياق الحديث: إن الشريعة الإسلامية وهي في حالة ركود منذ زمن بعيد لم تعد تتفق والأوضاع الجديدة للحياة"!! [ص٣٣٠].

٦- دعوته إلى الوطنية الضيقة التي رفعت شعار "مصر للمصريين" ! فأعادت النعرة الجاهلية من جديد، حيث استبدل لطفي السيد رباط الأخوة الإسلامية بهذا الرباط الجاهلي(١).

---

(١) ينظر أيضًا: " جذور العلمانية " للدكتور سيد أحمد فرج (ص ٨١ ــ ٨٣).

يقول ألبرت حوراني في كتابه (الفكر العربي في عصر النهضة): " كان لطفي كغيره من المفكرين المصريين لا يحدد الأمة على أساس اللغة أو الدين، بل على أساس الأرض، وهو لم يفكر بأمة إسلامية أو عربية، بل بأمة مصرية: أمة القاطنين أرض مصر" [ص٢١٦].

وأن "لمصر في نظره ماضيان: الماضي الفرعوني والماضي العربي، ومن المهم أن يدرس المصريون الماضي الفرعوني، لا للاعتزاز به فحسب! ، بل لأنه يلقنهم قوانين النمو الارتقاء" [ص ٢١٦-٢١٧].

وقد ذهب لطفي السيد في غلوه الجاهلي إلى القول بأن " القومية الإسلامية ليست قومية حقيقية، وأن الفكرة القائلة بأن أرض الإسلام هي وطن كل مسلم إنما هي فكرة استعمارية تنتفع بها كل أمة استعمارية حريصة على توسيع رقعة أراضيها ونشر نفوذها " !! [ص ٢١٨].

ويقول ـ أيضًا ـ: " أما الأمة الإسلامية فكادت تقع خارج نطاق تفكيره " [ص ٢٢٤].

ويقول مجيد خدوري في كتابه (عرب معاصرون) : " كانت فكرته ـ أي لطفي ـ في الأمة ـ كما استقاها من الفكرة الأوروبي ! إقليمية، لا إسلامية " [ص٣٢٨].

ويقول ـ أيضًا ـ: " نادى بهوية مصرية وطنية تستند إلى تاريخها المتواصل، الذي لم يكن الحكم الإسلامي فيه إلا مجرد فصل واحد " [ص٣٢٨].

٧- "الدعوة إلى العامية: وقد سار في هذا التيار مؤيدًا الخطوات التي كان قد قطعها المستشرقون والمنصرون قبله، وكان أبرز ما دعا إليه:

أ. إبطال الشكل وتغييره بالحروف اللينة.

ب. تسكين أواخر الكلمات.

ج. إحياء الكلمات العامية المتداولة، وإدخالها في صلب اللغة الفصحى" [انظر: رجال اختلف فيه الرأي، لأنور الجندي، ص ٤، بتصرف].

قلت: وانظر للتدليل على ما سبق من كلام لطفي السيد، كتاب (قمم أدبية) للدكتورة نعمات أحمد فؤاد.

٨- دعوته إلى مذهب (المنفعة) دون ضوابط شرعية لهذه المنفعة، وقد استقى هذا المذهب كما يقول الدكتور حسين النجار من الفيلسوف الإنجليزي (جون ستيوارت مل) .

قال الدكتور: " فمذهب المنفعة هو القاعدة في تفكيره السياسي والاجتماعي، فالمنفعة هي الحافز الأصيل للعلاقة بين الدول بعضها ببعض، وبين الحكومة والأفراد، أو بين الأفراد فيما بينهم" [أحمد لطفي السيد، للنجار، ص٢٠٢-٢٠٣].

قلت: وتطبيقًا لهذا المذهب الغربي فقد عارض لطفي السيد "مساعدة المصريين لجيرانهم في طرابلس الغرب أثناء الغزو الإيطالي الاستعماري عام ١٩١١، وكتب في هذا المعنى تحت عنوان (سياسة المنافع لا سياسة العواطف)! مقالات متعددة دعا فيها المصريين إلى التزام الحياد المطلق في هذه الحرب الإيطالية التركية وإلى الضن بأموالهم أن تبعثر في سبيل أمر لا يفيد بلادهم" [رجال اختلف فيهم الرأي، للجندي، ص٥] .

٩- دعوته للديمقراطية: ولم يعد يخفى على عاقل مخالفة هذا المذهب للإسلام، وأنه مذهب يحوي الكثير من الكفريات، بداية بتحكيم ما لم ينزل الله، وانتهاء بنقض مبدأ الولاء والبراء الشرعي... الخ.

يقول الدكتور حسين النجار: " أما لطفي السيد وأضرابه من المثقفين فقد استهوتهم الديمقراطية كمذهب" [احمد لطفي السيد،ص ٨٢].

ويقول عنه بأنه: " بهرته الحياة السياسية للدولة القومية في الغرب، فكانت وحياً لفلسفته السياسية التي أخذ يبشر بها المصريين" [المرجع السابق، ص١٩٩].

١٠- دعوته لمذهب (الحرية) بالمفهوم الغربي، دون أي ضوابط شرعية لهذه الحرية!

يقول الدكتور النجار: "الفكرة في عقيدة لطفي السيد هي الحرية، الحرية في كل صورها ومعانيها" [احمد لطفي السيد، ص ٣٣١].

ويقول ـ أيضًا ـ : " أما مذهب الحرية الذي نادى به جون ستيوارت مل أساسًا للنظام الاجتماعي فقد اتخذه لطفي السيد أساسًا لما أسماه "مذهب الحريين" للدولة" [المرجع السابق، ص ٢٠٣].

ويقول مجيد خدوري : "ازداد حب لطفي السيد للحرية بدراسته للفكر الأوروبي" [عرب معاصرون، ص ٣٢٦].

ويقول ألبرت حوراني: " كان مفهوم لطفي السيد للحرية ـ كما يعترف هو نفسه باعتزاز ـ مفهوم ليبراليي القرن التاسع عشر " [الفكر العربي في عصر النهضة، ص ٢١٣].

١١- أنه كان مهادنًا للاستعمار الإنجليزي لمصر، بل كان صنيعة لهم؛ ليحقق هو وأضرابه أهدافهم بعد الرحيل عن مصر.

يقول الأستاذ أنور الجندي: " لقد كان الاستعمار حريصًا على صنع طبقة خاصة من المثقفين، عمل كرومر على إعدادها، ووعدها بأن تتسلم قيادة الأمة بعد خروج الإنجليز، ووفى لها، وكان أبرزها: لطفي

السيد" [عقبات في طريق النهضة، ص ٥٩].

ويقول ـ أيضاً ـ: "إن حزب الأمة الذي أنشأه لطفي السيد كان بإجماع الآراء صناعة بريطانية أراد بها اللورد كرومر أن يواجه الحركة الوطنية بجموع من الإقطاعيين والثراة والأعيان (الذين وصفهم بأنهم أصحاب المصالح الحقيقية) وقد كان هدف حزب الأمة والجريدة بقيادة الفيلسوف الأكبر لطفي السيد تقنين الاستعمار والعمل على شرعية الاحتلال والدعوة إلى المهادنة مع الغاصب، وتقبل كل ما يسمح به دون مطالبته بشيء" [رجال اختلف فيهم الرأي ، ص ٧].

ويقول مجيد خدوري :" وكان اللورد كرومر قبل مغادرته مصر بقليل، قد أعجب باعتدال هذه الكتلة ـ أي مدرسة محمد عبده ـ وراح يشجعها على تأسيس حزب الأمة، بغية مجابهة نفوذ أتباع مصطفى كامل من الوطنيين" [عرب معاصرون، ص٣١٥].

ويقول عنه ـ أيضاً ـ:" كثيراً ما لام الوطنيين لمعارضة بريطانيا" !! [المرجع السابق، ص ٣٣١].

ويقول فتحي رضوان: " إنك لتقرأ كل ما كتب لطفي السيد في الجريدة في موضوع علاقة مصر ببريطانيا، وفي موضوع علاقة مصر بتركيا، فإذا به في الموضوع الأول لطيفاً، كأنه مر النسيم، يخاف أن يخدش خد الاستعمار، أما في الموضوع الثاني فهو متحمس غضوب فما سر هذا، وما تفسيره؟ " [عصر ورجال، ص ٤٤٣].

قلت: ولأجل هذا نفهم تمجيده ومدحه للورد كرومر الحاكم البريطاني الذي أذل المصريين لمدة ربع قرن!! حيث قال يوم خروجه من مصر:" أمامنا الآن رجل عظيم، من أعظم عظماء الرجال، ويندر أن نجد

في تاريخ عصرنا ندًا لـه يـضارعه في عظـائم الأعمـال" !! نـشر هـذا في "الجريدة" في نفس اليوم الذي ألقى فيه كرومـر خطـاب الـوداع، فـسب المصريين جميعًا وقال لهم: إن الاحتلال البريطاني باقٍ إلى الأبد !! [انظر: رجال اختلف فيهم الراي، لأنور الجندي، ص ٥-٦].

١٢- دعوته ومؤازرته لحركة تحرير المرأة التي قادها صاحبه قاسم أمـين ـ عليه من الله ما يستحقه ـ

يقول الدكتور حسين النجار: "حظيت دعوة قاسم أمين لتحرير المرأة من تأييد لطفي السيد بما لم تحظ به من كاتب أو صحفي آخر" [احمد لطفي السيد، ص ٢٤٣].

وقال ـ أيضاً ـ:" ويقيم لطفي السيد من دار "الجريدة" منتدى للمـرأة تقصده محاضرة ومستمعة" [المرجع السابق، ص٢٤٨]

قلت: ولذا فقد كتب في جريدته مقالات بعنوان: "قاسم أمين القدوة الحسنة" !! يقول فيها مخاطبًا الشباب المصري: "ليعتنق كـل عامـل مـنهم أنماط قاسم في حُسن تفكيره" [المنتخبات (١/ ١١)]

وأثنى كثيرًا على دعوته الفاجرة، [انظر:المنتخبات، (١/ ٢٦٨ وما بعدها)]

وتطبيقًا من لطفي السيد لهذه الحركة التحريرية للمـرأة المـسلمة قـام (عندما كان مديرًا للجماعة المصرية) هو وأصـحابه بخطـة مـاكرة أقـروا فيهـا دخـول (البنـات) لأول مـرة في الجامعـة المـصرية واخـتلاطهم في الدراسة بالبنين! فكانوا أول مـن فعـل ودعـا إلى هـذه الـضلالة الـتي لا زالت تعيشها الجامعة المصرية إلى اليوم، فعليـه وزرهـا ووزر مـن عمـل بها. قال الزركلي في ترجمته: "هو أول من سهَّل للفتيات دخـول الجامعـة في بدء إنشائها".

وانظر تفاصيل هذه الخطة الخبيثة في كتاب: "أحمد لطفي السيد" للدكتور حسين النجار، ص ٣١٧ وما بعدها.

١٣- دعوته إلى دراسة الفكر اليوناني، والاقتباس منه، وتشجيع تلاميذه على ذلك.

يقول الأستاذ مجيد خدوري: "رأى لطفي السيد من الضروري إعادة تعريف أبناء بلده بأرسطو الذي كان لطفي نفسه يدين إليه بكثير من آرائه في السلطة والحرية؛ مما جعله يشجع تلاميذه على دراسة الفكر اليوناني. لقد نشر خلال عشرين سنة ترجمات لكتاب "علم الأخلاق" في سنة ١٩٢٤ وكتاب "الكون والفساد" في سنة ١٩٣٢ وكتاب "علم الطبيعة" في سنة ١٩٣٥ وكتاب "السياسة" في سنة ١٩٤٠.

وهكذا فإن دراسة الفكر اليوناني لم يكن لها أثرها في تفكيره العلماني فحسب، بل في تفكير تلاميذه" [عرب معاصرون، ص ٣٣٥-٣٣٦].

قلت: ولكن بقي أن تعلم ما قاله الأستاذ أنور الجندي في هذه الترجمات التي قام بها لطفي السيد.

قال الأستاذ أنور: " تبين أن مترجمات لطفي السيد عن أرسطو (التي ترجمت من الفرنسية) (السياسة. الكون والفساد. الأخلاق) وهي منسوبة إليه، تبين أنه ليس مترجمها وأن مترجمها الحقيقي هو قسم الترجمة في دار الكتب المصرية!! وذلك بشهادة عديد من معاصري هذه الفترة" [رجال اختلف فيهم الرأي، ص٦].



نظرة شرعية
في فكر
جبران خليل جبران

نظرة شرعية في فكر (جبران خليل جبران)

ترجمته[1]: هو جبران بن خليل جبران بن ميخائيل بن سعد، نزح جده من دمشق إلى بعلبك ومنها إلى بشعلا ومنها نزح يوسف مع أخويه موسى وميخائيل إلى بشري.

حياته: ولد في قرية لبنانية قرب نبع قاديشا هي بشري، عام ١٨٨٣م، عائلته فقيرة وبيئته متأخرة. هاجر مع أمه وأخيه الأكبر بطرس وأختيه ماريانا وسلطانة عام ١٨٩٥م إلى بوسطن في الولايات المتحدة الشمالية. ونزل حي الصينيين الفقير. وهو في سن الثانية عشرة ولما يكمل دروسه الابتدائية. فأرسله أخوه بطرس رب العائلة الصغيرة إلى المدرسة ليتعلم اللغة الإنجليزية ثم أعاده بعد ذلك إلى لبنان ليدرس العربية. فدرسها في مدرسة الحكمة مدة أربع سنوات. ثم عاد إلى بوسطن ليرى أن داء السل قد فشا في بيت العائلة وحصد أخته الصغيرة سلطانة في غيبته وبعد عام واحد انتزع من ذراعيه أمه ثم أخاه بطرس. وبقيت له أخته ماريانا تشتغل بالإبرة لكي توفر له القوت. وفي العشرين شرع جبران في الإنشاء والرسم. وتعرف على " ماري هاسكل " في معرض من معارض رسومه فغيرت مجرى حياته بعطفها عليه وعنايتها بمستقبله. وفي عام ١٩٠٨م سافر إلى باريس على نفقة ماري هاسكل للتخصص في فن الرسم وتتلمذ على أشهر رسام معاصر هو " رودان " ثم عاد إلى بوسطن. وفي عام ١٩١٢م انتقل إلى نيويورك واستقر فيها. وأثرت الحرب العالمية الأولى على نفسه تأثيرًا كبيرًا إذ اجتمع عنده الفقر والمصيبة وقلة رواج كتبه التي ألفها باللغة العربية حتى ذلك الحين.

---

(١) الجامع في تاريخ الأدب العربي، حنا الفاخوري، ص ٢١٨ ـــ ٢٤٢.

ولكنه منذ عام ١٩٢٠م وبعد أن تأسست الرابطة القلمية انصرف إلى التأليف باللغة الإنجليزية فأصدر ثمانية كتب في ثمانية أعوام درّت عليه أرباحًا طائلة .

مات جبران عام ١٩٣١ بأحد مشافي نيويورك ثم نقل جثمانه إلى لبنان في العام ذاته حيث دفن في بلدته " بشري " .

آثاره: باللغة العربية:

١- كتاب " الموسيقى " صدر عام ١٩٠٥م، وهو كتيب عبارة عن تأملات في الموسيقى وطاقاتها التعبيرية!

٢- كتاب " عرائس المروج " صدر عام ١٩٠٦م، يحتوي على ثلاث قصص: " رماد الأجيال والنار الخالدة " و " مرتا البانيّة " و " يوحنا المجنون ".

٣- كتاب " الأرواح المتمردة " صدر عام ١٩٠٨م، يحتوي على أربع قصص: " السيدة وردة الهاني " و" صراخ القبور" و"مضجع العروس" و"خليل الكافر".

أما الأولى: فقصة فتاة أُكرهت على الاقتران برجل غنيّ متقدّم في السن فما لبثت أن كرهت الزوج يوم التقت بالفتى الذي أثار كوامن نفسها. والقصة شكوى وتظلُّم، وثورة على السلطة التي تُكره على الزواج إكراهاً، لأن الزواج زواج أرواح قبل أن يكون زواج أجساد.

وأما الثانية: فقصة ثلاثة أشخاص ـ رجلين وامرأة ـ حكم عليهم الأمير بالقتل ظُلمًا وطغيانًا، وفيها ثورة على الشريعة والإقطاعية!.

وأما الثالثة: فقصة فتاة غشّها رجل غنيّ ففصلها عن حبيبها حتى يقترن بها، وفي ليلة الزفاف عرفت الحقيقة وقد طعنت حبيبها ونفسها

بخنجر كانت تخبئه في ثيابها. وفي القصة ثورة على التقاليد وعلى الدين!!.

وأما الرابعة: فقصة رجل اختصم مع الرهبان، وهي ثورة على ظلم الحكّام وعلى الرهبان، ودعوة إلى الحرية الشاملة!

٤- " الأجنحة المتكسّرة: " كتاب صدر سنة ١٩١٢م، واحتوى على قصة جبران في حبّه الأول وكيف حالت التقاليد وسلطه رجال الدين النصراني! دون اقتران الحبيبين، فاقترنت الفتاة بابن أخي المطران عن غير حبّ وكان في ذلك شقاؤها.

٥- كتاب: " دمعة وابتسامة " صدر سنة ١٩١٤م وفيه مقالات في المحبة التي تشدّ الأكوان بعضها إلى بعض، وفي ألوهية الإنسان!! وغير ذلك من الموضوعات.

٦- المواكب: قصيدة طويلة ظهرت سنة ١٩١٩م، وفيها نظرات فلسفية في أهم شؤون الحياة البشرية كالخير والشر والدين والحق والعدل وما إلى ذلك. قال ميخائيل نعيمة: "انجرف جبران بتيار نيتشه وما برحت معتقداته السابقة تشده إلى الوراء. فكانت "المواكب" نتيجة لتلك الحالة القلقة التي أحسها جبران ما بين قوتين تتجاذبانه: قوة الإيمان بحكمة الحياة وعدلها وجمالها في كل ما تأتيه، وقوة النقمة التي أثارها فيه نيتشه من جديد على ضعف الناس وخنوعهم وتواكلهم وكل ما في حياتهم الباطنية والخارجية من قذارة وبشاعة. وانتصر نيتشه في النهاية! ولكن إلى حين".

٧- كتاب" العواصف": صدر سنة ١٩٢٠م وفيه مقالات عنيفة على المقدسات، كمقالات "حفّار القبور" و"العبودية" و"يا بني أمي"، و"نحن

وأنتم"، و"الأضراس المسوّسة".

ب- المؤلفات الإنجليزية:

٨- كتاب: "المجنون" صدر سنة ١٩١٨م، واحتوى على أمثال وتأملات في موضوعات شتى.

٩- كتاب: "السابق" : صدر سنة ١٩٢٠م، واتخذ فيه جبران أسلوب الأمثال أيضًا، وجعله تمهيدًا لكتاب "النبي".

١٠- كتاب: "النبي": صدر سنة ١٩٢٣م، وهو كتاب جبران وهدف حياته احتوى على ضلالات وكفريات كما سيأتي ـ حيث جعل جبران من نفسه نبياً، وسمى نفسه في الكتاب "المصطفى" !! وهو يقع في ٢٨ فصلا في المحبة، والزواج، والأبناء، والعطاء، والغذاء، والعمل، والفرح والترح، والمساكن، والثياب، والبيع والشراء، وما إلى ذلك. وهكذا تناول جبران في كتابه علاقة البشر بعضهم ببعض، وكان يهدف في كتابه "حديقة النبي" الذي ظهر سنة ١٩٣٣م، أن يعالج علاقة الإنسان بالطبيعة، كما كان ينوي أن يضع كتاباً في "موت النبي" ويعالج فيه علاقة الإنسان بالله!

والظاهر أن جبران كان يفكر في هذا الكتاب منذ حداثته، وأنه بدأه باللغة العربية ثم عدل عنها إلى الإنجليزية، وأنه ظل خمس سنوات يكتبه ويعيد كتابته إلى أن استقام له معنى ومبنى. وقد ترجم الكتاب إلى نحو عِشرين لغة.

١١- كتاب:"رمل وزبد" صدر سنة ١٩٢٦م وفيه مجموعة من الآراء منثورة في غير نظام.

١٢- كتاب: "يسوع ابن الإنسان" صدر سنة ١٩٢٨م، ويسوع جبران

يختلف تمامًا عن يسوع الإنجيل.

١٣- كتاب "آلهة الأرض" ، صدر عام ١٩٣١م، وهو آخر كتاب له صدر في حياته.

١٤- كتاب " التائه"، صدر بعد وفاته عام ١٩٣٢م، ويحتوي على خمسين قصة من قصص التائه.

• من تمعن جيدًا في حياة وآثار جبران خليل جبران علم بلا شك أن الرجل قد أعطي أكبر من حجمه الحقيقي، سواء في مجال الفكر أو الأدب ! فأعماله الكاملة يحتويها مجلد واحد !! وهي في معظمها قصص قصيرة وخلجات نفس حائرة مضطربة تنزع إلى التشاؤم والشكوى، ولكن لعل مبالغة البعض في هذا الرجل تنبع من أمرين:

١- رئاسته للرابطة القلمية في المهجر، وهذا لا يدل على إبداع، إنما يخضع لاعتبارات كثيرة ـ لا تخفى على أحد ـ.

٢- ثورته العارمة الهادمة ضد المقدسات والتقاليد !! فهي التي تميز المبدعين عن غيرهم في نظر القوم ! ولو ترووا لعلموا أن ليس كل ثائر يكون مبدعًا ـ ولو على حسب نظرتهم.

• ذكر كثير من مترجمي سيرته أنه بعد حرمان الكنيسة له وهو في العشرين من عمره على إثر قصيدته التي هاجم بها الأديان، اندفع في طريق إحياء أمجاد (فينيقية) وحضارة ! الكلدانيين .

• ثم وجدناه في حياته بعد نبذه للشرائع (كلها) قد تأثر بالزرادشتية المجوسية، وأفكار الفيلسوف نيتشه في تمجيده للإنسان وتصويره بصورة (السوبرمان) مدعياً جبران بأنه هو

هذا (السوبرمان) ! وذلك في كتابه "النبي" حيث صور نفسه نبيًا ـ كما سبق ـ ! وهكذا يفعل الكِبْر والغرور بصاحبه ـ والعياذ بالله ـ.

يقول الأستاذ أنور الجندي: " لقد حاول جبران كما حاولت مدرسة المهجريين إحياء الفينيقية الوثنية، ومهاجمة قيم العروبة والإسلام، فأعادت وأحيت كل ما رددته فلسفات زرادشت والمجوسية ووثنية اليونان والرومان، هربًا وراء فرويد ونيتشه وغيرهما، وكان هذا كله مصاغًا في إطار التوراة وأسلوبها " (إعادة النظر في كتابات العصريين في ضوء الإسلام ،ص ١٦٨).

ويقول الدكتور نذير العظمة: "جبران يحتفل بالعقائد الوثنية" (مجلة الموقف العربي، العددان ١٥١-١٥٢، ص٤٢).

انحرافاته:

١- أعظم انحراف له هو "نصرانيته" ! وليس بعد الكفر ذنب.

٢- ثورته العنيفة ضد الأديان (ومن ضمنها الإسلام!) والتقاليد، ومحاولته هدم ما جاءت به، أو التقليل من شأنه. وهو في هذا لا ينبع من تصرف فردي، إنما يتابع أهداف مدرسة المهجر التي أنشأها مع مجموعة من النصارى؛ كميخائيل نعيمة وإيليا أبو ماضي وغيرهما.

يقول الأستاذ أنور الجندي: "الواقع أن الأدب المهجري قد اعتمد على مصدر أساسي، هو الحملة العنيفة على الدين واللغة، ومقومات المجتمع العربي الإسلامي، والثورة على كل القيم والعقائد والإفراط في الإباحية ومهاجمة القيم الأخلاقية في الحب والزواج من إدخال أسلوب جديد مستغرب يصادم الحس الإسلامي ويعارض مفاهيم البلاغة،

ويعلي من صيغة التوراة والمجاز الغربي".

قال: "ويمكن القول بأن المدرسة المهجرية الشمالية التي كونها جبران، ورأس ناديها كانت ثمرة من ثمار الإرساليات التبشيرية التي وردت لبنان وسيطرت على وحدة التعليم والثقافة فيه". (إعادة النظر في كتابات العصريين في ضوء الإسلام، ص ١٦٦)

قلت: ولو كانت ثورة جبران على الخرافات والأغلال النصرانية لكنّا له من المؤيدين، لكنه كان يثور على الأديان جميعًا وينشر الإلحاد والإباحية والفوضوية، وهذا مكمن الخطر على قرائه من المسلمين الذين قد يتأثر بعضهم بانحرافاته، ويتابعه في ثورته الإلحادية تلك التي يقول عنها جبران نفسه في رسالة له لإميل زيدان :"إن فكري لم يثمر غير الحصرم" ! (المرجع السابق، ص١٦٧) .

وقد صدق فيما قال! فهل يثمر الإلحاد والفوضى غير الحيرة والشك والاضطراب؟! .

ومما يشهد لثورة الرجل على الأديان (جميعًا) وعلى التقاليد والمقدسات كتبه (الأجنحة المتكسرة) و(عرائس المروج) و(الأرواح المتمردة) و(المواكب) و(العواصف) .

يقول حنا الفاخوري :" وهكذا ترى جبران في كتبه "الأجنحة المتكسرة" و"الأرواح المتمردة" و"المواكب" و"العواصف" يحمل معول الهدم في ثورة انفعالية شديدة" (الجامع في تاريخ الأدب العربي ـ الأدب الحديث ـ ص٢٣٦) .

ويقول جبران عن نفسه في رسالته لصديقه (نخله): "إن القوم في سوريا يدعونني كافراً، والأدباء في مصر ينتقدونني قائلين: هذا عدو

الشرائع القديمة، والروابط القديمة، والتقاليد القديمة، وهؤلاء الكتاب يا نخلة يقولون الحقيقة! لأني بعد استفسار نفسي وجدتها تكره الشرائع" (إعادة النظر...، ص ١٦٧).

فمن أقواله التي تعبر لك عن شيء من تمرده:

أ- قوله: "كيف نستطيع أن نعبد الله، وهو الذي يثير البراكين ويتموج مع البحار، ويسير مع العاصفة" !! (عقيدة جبران، لجان دايه، ص٢٨٩).

ب- قوله: "لكم فكرتكم ولي فكرتي، لكم من فكرتكم قواميسها الاجتماعية والدينية ومطالبها الفنية والسياسية، ولي من فكرتي أوليات قليلة بسيطة.

تقول فكرتكم: "امرأة حسناء قبيحة، فاضلة عاهرة، حاذقة بليدة"، أما فكرتي فتقول: "كل امرأة والدة كل رجل، كلُّ امرأة أخت كل رجل، كل امرأة ابنة كل رجل".

وتقول فكرتكم: "لصٌ، مجرم، قاتل، خبيث، عقوق". أما فكرتي فتقول: "إنما اللص صنيعة المحتكر، والمجرم خليقة الظالم، والقاتل حليف القتيل، والخبيث ثمرة العربيد، والعقوق نتيجة الصارم".

وتقول فكرتكم: "شرائع، محاكم، قضاة، عقوبات". إذا كان ثمَّ من شريعة وضعية فكلنا يخالفها أو كلنا يخضع لها. وإن كان من ناموس أساسي فكلنا واحد أمام ذلك الناموس، فمن يتأفف من الساقطين كان منهم، ومن يلمُّ أذياله كيلا تلامس المنطرحين على الأوحال كان مغموراً بالأوحال. أما الذي يفاخر بترفعه عن العثور والزلل فإنما يفاخر بترفع الإنسانية جمعاء، والذي يتبجح بعصمته إنما يتبجح بعصمة الحياة

نفسها".

وتقول فكرتكم: "الماهر، المتفنن، الأستاذ، النابغة، العبقري، الفيلسوف، الإمام" أما فكرتي فتقول: "الودود، المحب، الحليف، الصادق، المستقيم، المضحي، المستشهد".

وتقول فكرتكم: "الموسوية، البرهمية، البوذية، المسيحية، الإسلام". أما فكرتي فتقول: "ليس هناك سوى دين واحد مجرّد مطلق تعدّدت مظاهره وظل مجرّداً، وتشعَّبت سبله ولكن مثلما تتفرّع الأصابع من الكف الواحدة".

وتقول فكرتكم: "الكافر، المشرك، الدهري، الخارجي، الزنديق" أما فكرتي فتقول: "الحائر، التائه، الضعيف، الضرير، اليتيم بعقله وروحه".

وتقول فكرتكم: "الغني، الفقير، الواهب، المستعطي". أما فكرتي فتقول: "كلنا فقيرٌ ولا غنيٌ سوى الحياة، كلنا مستعطٍ ولا واهبٌ إلا الحياة". (المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران، نصوص خارج المجموعة، ص٨٨ وما بعدها).

ج- قوله في (العواصف) : "أنا متطرف حتى الجنون، أميل إلى الهدم ميلي إلى البناء، وفي قلبي كرهٌ لما يقدسه الناس، وحب لما يأبونه، ولو كان بإمكاني استئصال عوائد البشر وعقائدهم وتقاليدهم لما ترددت دقيقة" ! (ص ٣٩٤، ضمن الأعمال الكاملة له).

٣- ومن انحرافاته : تصويره نفسه بصورة (النبي) كبرًا وعلوًا في الأرض حيث وضع كتابًا بهذا العنوان ـ كما سبق ـ مدعيًا فيه أن هناك نبياً مختارًا اسمه (المصطفى) كان يُعلم أبناء مدينة "أورفليس" بعد أن مكث عندهم ١٢ سنة منتظرًا عودة سفينته التي ستقله إلى جزيرته التي

أتى منها .

فكانوا يسألونه وهو يجيب.

يقول حنا الفاخوري: "المصطفى هو جبران نفسه، والجزيرة هي وطنه لبنان " (الجامع في تاريخ الأدب العربي ـ الأدب الحديث، ص٢٣٢).

٤- ومن انحرافاته: دعوته إلى وحدة الأديان، فهو بعد نبذه لجميع الشرائع مدعياً بأنها تفرق البشر، دعا إلى فكرته الباطلة هذه ـ كما سبق ـ يقول حنا الفاخوري مبينًا أن جبران وصحبه المهجريين اعتنقوا ما يُسمى (التيوصوفية) التي ظهرت في القرن الخامس عشر، قال:"والتيوصوفية ترفض من أجل ذلك التقاليد والأنظمة التي تتوارثها الأجيال، ولا تجد فرقاً بين الأديان، فهي جميعها في نظرها واحدة" (المرجع السابق، ص ٢٣٨).

٥- ومن انحرافاته: إيمانه بوحدة الوجود! الفكرة الصوفية الشهيرة! (انظر: المرجع السابق، ص ٢٣٩).

٦- ومن انحرافاته: إيمانه بتناسخ الأرواح! (انظر بحث الدكتور نذير العظمة: جبران خليل جبران وعقيدة التقمص، مجلة الموقف الأدبي، العددان ١٥١-١٥٢، ص ٣٩ وما بعدها).

يقول الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي عن جبران :"كان يؤمن بتناسخ الأرواح" وذلك تعليقًا على قول جبران: " قريبًا تروني ؛ لأن امرأة أخرى ستلدني" ! (قصة الأدب المهجري، ص ٨٩).

والله أعلم

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

نظرة شرعية
في أدب
أبي القاسم الشابي

نظرة شرعية في أدب (أبي القاسم الشابي)

ترجمته[1]: هو أبو القاسم بن محمد بن أبي القاسم الشابي. وُلد في الشابيّة إحدى ضواحي توزر سنة ١٩٠٩ بتونس.

لم يمكث الشابي في مسقط رأسه إلا قليلاً، فقد اضطر أن ينتقل مع أبيه القاضي من مكان إلى مكان، وأن يضرب في الديار التونسية من بيئة إلى بيئة، وفي سنة ١٩٢٠ التحق بجامع الزيتونة، فأتقن القرآن والعربية وتمرّس بالأدب، وكان له ميل شديد إلى المطالعة، فحصّل بها وبنشاطه ثقافة واسعة جمع فيها ما بين التراث العربي القديم ومعطيات الفكر الحديث والأدب الحديث، وغذّى مواهبه بأدب النهضة في مصر ولبنان والعراق وسورية والمهجر، كما نمى طاقاته الأدبية والشعرية بمطالعة ما تُرجم إلى العربية من آداب الغرب، ولا سيّما أدب الرومنطيقية الفرنسية. وقد ظهر نبوغه الشعري وهو في الخامسة عشرة من عمره.

على أثر تخرّجه من جامع الزيتونة التحق بكلية الحقوق التونسية، وكان تخرجه منها سنة ١٩٣٠. في هذه الأثناء توفّي والده وترك له عبء الحياة ثقيلاً، فحاول أن ينهض بالعبء ومسؤولية العيلة، ولكنه أصيب بداء تضخّم القلب وهو في الثانية والعشرين من عمره فنهاه الأطباء عن الإرهاق الفكري فلم ينتهِ، وواصل عمله وفي نفسه ثورة على الحياة، وفي قلبه تجهم قتّال.

وفي صيف ١٩٣٤ جمع ديوانه "أغاني الحياة" ونوى أن يطبعه في مصر، ولكن الداء اشتدّ به وألزمه الفراش، فنُقل إلى المستشفى الإيطالي بالعاصمة حيث فارق الحياة في التاسع من شهر تشرين الأول سنة

---

(١) الجامع في تاريخ الأدب العربي، حنا الفاخوري، ص ٥٥٤ — ٥٧٠.

١٩٣٤. ونقل جثمانه إلى مسقط رأسه ودُفن في الشابيّة".

(الموجز في الأدب العربي وتاريخه (٤/ ٦٩٩-٧٠٠) لحنا فاخوري) و(الجامع في تاريخ الأدب العربي) (ص٥٥٤ وما بعدها) لحنا فاخوري.

* يعد أبو القاسم الشابي - بحق - شاعر الاكتئاب والتشاؤم في العصر الحديث، فمعظم شعره يدور حول كرهه للحياة أو التحدث عن مآسيها، وكثرة الاعتراض على أقدار الله، إضافةً إلى تشاؤمه الواضح لكل مطلع على آثاره.

يقول الباحث أبو القاسم محمد كرو، وهو الخبير بالشابي -: "الشيء الذي يلاحظ في شعر أبي القاسم عامةً هو رفضه للحياة البشرية على أنها مظلمة مزيفة، يصيب الإنسان فيها الشقاء والألم" .(آثار الشابي ، ص ١٠).

ولعل المرض الذي أصابه كان سببًا في هذه الظاهرة المقارنة لشعره. يقول الدكتور عمر فروخ: "كان للمرض الذي عاناه الشابي أثر بالغ في اتجاهه في الحياة وفي الشعر، وسنجد شعره مملوء بالتشاؤم وبالنقمة على الناس وعلى أحوالهم".

ويقول: "لا خلاف في أن الشابي كان متشائمًا كئيب النفس، فقد قال هو عن نفسه:" إنني في كثير من الأحيان .. تطغى على نفسي كآبه الملل المبهم، فأصرف عن الكتب والناس، ويوصد قلبي عن جمال الوجود".

ويقول الدكتور عمر فروخ: "فالشابي متشائم ناقم على الناس، كاره للحياة". (الشابي شاعر الحب والحياة ، ص : ١١٦-١١٧ ، ١١٩ ، ١٢٤).

وقد قيل - أيضًا - بأن موت والده وتحمله أعباء الحياة مبكرًا كان السبب الرئيس لهذا التشاؤم والاكتئاب والحزن.

ومهما قيل من أسباب فقد كان الواجب على الشاعر وهو مسلم أن يرضى بأقدار الله وأن يلتجئ إليه سبحانه في كشف ما يصيبه من ملمات وأن يسارع في التزام عبودية الله ـ سبحانه ـ واتباع أوامره وترك نواهيه لكي يعثر على السعادة والاطمئنان النفسي اللذين طالما بحث عنهما كما يتبين ذلك من أشعاره.

ولكن الشاعر اختار الطريق الآخر الذي لا يجدي شيئًا ولا يغير من أحوال الكون أو يرد أقدار الله، وهو طريق التشاؤم والنظرة السوداوية للحياة.

وإليك شيئًا من أشعاره التي تبين مدى إغراقه في الحزن والضجر من الحياة:

يقول في قصيدة (الكآبة المجهولة): (ديوانه، ص ٩٠-٩١) "

أنا كئيب

أنا غريب

كآبتي خالفت نظائرها

غريبة في عالم الحزن

كآبتي فكرة

مغردة مجهولة من مسامع الزمن"

ويقول (١١٥):

"إن الحياة كئيبة مغمورة بدموعها"

ويقول (١٢٢):

"سئمت الحياة وما في الحياة"

ويقول (١٥٦):

"الاكتئاب الكافر"

أما اعتراضه على (القدر) فيكفيك منه قصيدته الرنانة (٤٠٦):

إذا الشعب يومًا أراد الحياة

فلابد أن يستجيب القدر

ويقول(٣٤٠):

ولكن هو القدر المستبد

يلذ له نوحنا ، كالنشيد!

ويقول(٤٧٨):

وقهقه القدر الجبار سخرية

بالكائنات تضاحك أيها القدر!

ويقول في أحد خطاباته (كرو ، ١٥٦):

(هاهي الأقدار العاتية تعبث بنا نحن البشر الضعاف، وترمينا بما لا نستطيع احتماله.... الخ) .

انحرافاته:

١- تشككه في وجود الله !!

سبق أن علمنا أن الشابي قد أصابه المرض مبكرًا، وتحمل أعباء الحياة بعد موت والده، ولكونه لم يلتجئ إلى الله ـ ﷻ ـ في محنته، إنما تبرم وتسخط الأقدار، وغاص قلبه في الاكتئاب والتشاؤم، كل هذا أداه إلى أن يشطح شطحة لا تصدر عن مسلم، وهي تشككه في وجود الله ـ سبحانه وتعالى ـ !! .

يقول الدكتور عمر فروخ (١٣٩):" لما أفاق الشابي من النوبة الشديدة التي انتابته، عام ١٩٣٠، نظم قصيدته "إلى الله" (ديوانه ٩٨-

١٠١ = ٢٣٩-٢٤٥) فشطح فيها شطحة هي الإلحاد قال:

خبّروني هل للورى من إلهٍ
راحم - مثل زعمهم - أواه!
إنني لم أجده في هاته الدنيا
فهل خلف أفقها من إله؟

ويدرك الشابي الزلق الخطر الذي وضع قدمه عليه، قبل أن يرتد نفَسه عن البيت الثاني فيقول بعده مباشرة:

ما الذي قد أتيت، ياقلبي الباكي،
وماذا قد قلتِه، ياشفاهي؟
يا إلهي، قد أنطق الهم قلبي
بالذي كان، فاغتفر، ياإلهي!"

٢- امتهانه لاسم (الله) !

يقول في إحدى قصائده (٧٨) :

إن هذي الحياة قيثارة الله
وأهل الحياة مثل اللحون

ويقول مخاطبًا الله - تعالى -! في قصيدة بعنوان (إلى الله) يعترض على الله في أقداره:

يا إله الوجود ! هذي جراح
في فؤادي تشكو إليك الدواهي
أنت أنزلتني إلى ظلمة الأرض
وقد كنتُ في صباحٍ زاه

أنـــت أوقفـــتني علـــى لجـــة الحـــزن

وجرعتـــــــــني مــــرارة " آه "

.... إلى آخر اعتراضاته.

٣- إيمانه بوحدة الوجود:

يقول الدكتور عمر فروخ (١٢٤-١٢٥): "يمكن أن تلمح شيئًا من آراء محيي الدين بن عربي عند الشابي.

لابن عربي مقطوعة يرى فيها أن جميع مظاهر هذا الوجود تدل على هذا التجلي أو على ذلك التجلي من الألوهية.

يقول ابن عربي:

كلمـــا أذكـــره مـــن طلـــل

أو ربـــوع أو مغـــان، كلمـــا..

وكـــذا الـــسحب إذا قلـــت: بكـــت

وكـــذا الزهـــر إذا مـــا ابتـــسما،

أو بـــروقٍ أو رعـــود أو صبـــا

أو ريـــاح أو جنـــوب أو شـــما

أو نـــساءٍ كاعبـــاتٍ نهـــد

طـالعـــات أو شمـــوس أو دمـــى

صـــفة قدســـية علـــوية

أعلمـــت أن لمثلـــي قـــدمـــا

فاصـــرف الخـــاطر عـــن ظاهرهـــا

واطلـــب البـــاطن حتـــى تعلمـــا

ويغلب على الظن أن الشابي قد رأي هذه المقطوعة لمحيي الدين ابن عربي قبل أن يقول مقطوعته التالية:

كل ما هب وما دب وما
قام أو حام على هذا الوجود:
من طيور وزهور وشذا
وينابيع وأغصان تميد،
وبحار وكهوف وذرى
وديار وبراكين وبيد،
وضياء وظلال ودجى
وفصول وغيوم ورعود ،
وثلوج وضباب عابر
وأعاصير وأمطار تجود،
وتعاليم ودين ورؤى
وأحاسيس وصمت ونشيد،
كلها تحيا بقلبي حرة
غضة السحر كأطفال الخلود "

٤- ثورته على الدين !:

يقول الدكتور عمر فروخ (١٣٦-١٣٧): "إذا نحن تأملنا بيئة الشابي العامة في تونس ثم بيئته الخاصة ـ فهو ابن قاض شرعي وخريج الجامعة الزيتونية ـ عجبنا لإمحاء الأثر الإسلامي في ديوانه. ثم نزيد تعجباً إذا رأينا الأثر الوثني شديد البروز في شعره. إن أول ما نلاحظه أن الألفاظ

الدينية قد خسرت في شعر الشابي قدسيتها ودلالاتها المألوفة، فالله والنبي والصلاة والجحيم أصبحت عند الشابي كلمات عامة كسائر الألفاظ القاموسية الدائرة في الاستعمال اليومي.

من ذلك كله قوله: لتعس الورى شاء الإله وجودهم، صانكن الإله من ظلمة الروح، وتشدو كما شاء وحي الإله، فالنور ظل الإله". ومثل ذلك قوله (ديوانه ٢٥=١٣٧، ١٧٠=٤١٣):

أيها الليل : يا أبا البوس والهول
ويا هيكل الزمان الرهيب
فيك تجثو عرائس الأمل العذب
تصلي بصوتها المحبوب
ورن نشيد الحياة المقدس
في هيكل حالم قد سحر

وأكثر ما يقف الشابي ألفاظ الدين ورهبة العبادة والمعبود على المرأة في سياق وثني (ديوانه ١٦٠ = ٣٩٧):

في فؤادي الرحيب معبد للجمال
شيدته الحياة بالرؤى والخيال
فتلوت الصلاة في خشوع الظلال
وحرقت البخور وأضأت الشموع

وأشد إيغالا في التحلل من الوحدانية الإسلامية ما نجده في قصيدته " صلوات في هيكل الحب ". ديوانه ١٢٢ـ ١٢٣ـ٣٠٣ ـ ٣١٤)، قال

يخاطب محبوبته ويقيمها مقام الألوهية في القدس والعبادة والقدرة والإرادة، وفي الشفاعة والزلفى!!:

أنـــت أنـــشودة الأناشـــيد غنـــاك
إلـــه الغنـــاء رب الـقـــصيد
أنـــت قدســـي ومعبـــدي وصـــباحي
وربيعـــي ونـــشوتي وخلـــودي
يـــا ابنـــة النـــور ، إنـــني أنـــا وحـــدي
مـــن رأى فيـــك روعـــة المعبـــود
فـــدعيني أعـــيش في ظلـــك العـــذب
وفي قـــرب حـــسنك المـــشهود
وارحمـــيني فقـــد تهـــدمت في كـــون
مـــن اليـــأس والظـــلام مـــشيد
وحـــــرام عليـــــك أن تـــــسحقي
آمـال نفـسٍ تـصبو لعـيش رغـيد
فالإلـــه العظـــيم لا يـــرجم العبـــد
إذا كـــان في جـــلال الـــسجود"

٥- سخريته من (أئمة) المسلمين:

يقول الشاعر في إحدى قصائده :

ملـــئ الـــدهر بالخـــداع، فكـــم قـــد
ضـلل النـاس مـن إمـامٍ وقـس !

(الشابي شعب وشاعر، للدكتورة نعمات فؤاد ، ٧٩)

فهو يقارن بين (قساوسة) النصارى و(أئمة) المسلمين في أنهم جميعاً قد ضللوا الناس!! فإذا كان هذا صحيحًا في (قساوسة) النصارى الذين وصفهم الله بالضلال في كتابه العزيز، فهل يصح هذا ويصدق في (أئمة) المسلمين؟!! الذين قال الله عنهم ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾[1] فهم أئمة يهدون الخلق إلى الصراط المستقيم الذي إن ساروا عليه أنجاهم في الدنيا والآخرة، فكيف يجعلهم الشابي من الضالين؟! ويقارن بينهم وبين النصارى؟!

ألا إنه الحقد الأعمى على أهل الإسلام الصادقين

وبعدُ، فهذا هو أبو القاسم الشابي شاعر الحزن والاكتئاب والتشاؤم وشاعر الاعتراض على أقدار الله ـ سبحانه ـ، وهذه شيء من انحرافاته التي وقعت في شعره، من طالعها وطالع ديوان الشاعر علم كذب ما فاه به أخو الشاعر (محمد الشابي) عندما قال في خاتمة ديوان أخيه (ص ٥٥٤): " كان رحمه الله صادق التقى، قوي العقيدة، لا يخشى في الحق لومة لائم، له غيرة على شئون المسلمين والإسلام " !!!

قلت: بل كان الشابي عكس هذا تمامًا! فهو متشكك العقيدة، ضعيف التقوى، كثير الاعتراض على ما قدره الله.

ومثل هذا المدح الكاذب ما ذكرته الدكتورة نعمات فؤاد في كتابها السابق عن الشابي، عندما دافعت عنه دفاعًا حارًا ، وردت ما وجهه له الدكتور عمر فروخ من اتهامات موثقة، مؤولة ما صدر عنه من انحرافات بالتأويلات الباردة.

والله أعلم، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

---

(١) السجدة (٢٤).

نظرة شرعية
في فكر
محمد سعيد العشماوي



نظرة شرعية في فكر (محمد سعيد العشماوي)

ترجمته:

- هو المستشار محمد سعيد العشماوي، رئيس محكمة الجنايات ومحكمة أمن الدولة العليا بمصر.
- تخرج من كلية الحقوق عام ١٩٥٥، ثم عمل بالقضاء الوضعي بمحاكم القاهرة والإسكندرية .
- عمل بالتدريس محاضرًا في أصول الدين والشريعة والقانون في عدة جامعات؛ منها: الجامعة الأمريكية بالقاهرة، وجامعة توبنجن بألمانيا الغربية، وأوبسالا بالسويد، ومعهد الدراسات الشرقية بلينجراد بروسيا، والسوربون بفرنسا.
- يقول عن نفسه بأنه نشأ نشأة صوفية! حيث كان يرتاد مسجد السيدة زينب والسيدة نفيسة ومسجد الحسين! .
- بدأ التأليف بعد تخرجه من الحقوق بأربع سنوات بكتابات إنسانية عامة، مثل: (رسالة الوجود) عام ١٩٥٩م، و(تاريخ الوجودية في الفكر البشري) عام ١٩٦١م، و(ضمير العصر) عام ١٩٦٨م، و(حصاد العقل) عام ١٩٧٣م.
- بدأت كتاباته الإسلامية بكتابه (أصول الشريعة) عام ١٩٨٠م، ثم كتاب (الربا والفائدة في الإسلام) ، ثم توالت كتبه الأخرى: (الإسلام السياسي) (جوهر الإسلام) (الخلافة الإسلامية) (الشريعة الإسلامية والقانون المصرية) (شئون إسلامية) (معالم الإسلام) .
- يعد العشماوي من دعاة فصل الدين عن الدولة، وتحوي كتبه - كما سيأتي - التشنيع على نظام الحكم الإسلامي، والتهجم على دعاة

تطبيق الشريعة. ولا غرابة أن يصدر هـذا ممـن يحكـم بطـاغوت القـانون الوضعي منذ تخرجه ـ والعياذ بالله ـ .

• يزعم العشماوي أنه من المجتهدين!! يقول: " وأعتقـد أنـه يوجـد الآن تياران إسلاميان وليس واحدًا، التيـار الأول: عقلـي تنـويري، بـدأ بمحمد عبده، ويسير فيه بعض المجتهدين من أمثالي....." !! (حـوار حـول قضايا إسلامية، إقبال بركة، ص ١٩٩).

انحرافاته:

١- من أعظم انحرافاته: زعمه نجاة اليهود والنصارى في الآخـرة وإن لم يؤمنوا بالإسلام !! وعدم تكفيره لهم![١] .

يقول العشماوي: "وكل من آمن بالله إيمانًا صحيحًا واستقام في خلقه فهو عند الله (وبلفظ القرآن) مسلم لا خوفٌ عليه ولا حزن ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[٢].

غير أن بعض الفقهاء يرون أن هذه الآية منسوخة (ملغاة) بالآية ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾[٣] ويرتبون على ذلك ـ وعلى الظن بأن الإسلام مقصور على شريعة محمد عليه الصلاة والسلام ـ إن أي إيمان بالله لا يؤجر وأي عمل صالح لا يثاب إلا إذا

---

(١) وهو ما يدندن حوله كثير من العصرانيين في زماننا، اللهم سلم سلم!.

(٢) البقرة (٦٢).

(٣) آل عمران (٨٥).

كان فاعله من المؤمنين بدعوة النبي الكريم وبرسالته. والواقع أن من يرى هذا الرأي إنما يراه وقد غاب عنه المعنى الحقيقي للإسلام، وخفيت عليه خطة الله في البشر، واضطرب في ذهنه معنى النسخ في القرآن. فالإسلام هو الدين الذي أوحى به الله إلى الأنبياء جميعاً والرسل كلهم فدعوا إليه. وكما قالت الآية الكريمة فإن من آمن بالله وعمل صالحاً من المؤمنين أو اليهود أو النصارى فأجره عند الله، لا خوف عليه ولا حزن. وكل من كان صحيح العقيدة قويم الخلق فهو عند الله - وفي معنى القرآن - مسلم. والمقصود من آية ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَـٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ من يبتغ غير دين الإسلام الذي دعا إليه كل الأنبياء والرسل والذي اعتنقه أتباعهم. والقرآن يفرق بين المشركين والكفار الذين لا يؤمنون بالله ولا بالرسل ولا يعملون صالحًا وبين أهل الكتاب من اليهود والنصارى، ومن هؤلاء من يؤمن بالله ويعمل الصالحات، وهو المقصود بالآية الكريمة التي تبشر بأن لا خوف عليه ولا حزن...الخ هرائه "!! (جوهر الإسلام، ص ١١٠) (وانظر أيضًا: ص ١١٢،١١١، ١٢٤ من الكتاب السابق، وجريدة أخبار اليوم المصرية، ٩ ديسمبر ١٩٧٩: نقلاً عن : العصريون معتزلة اليوم، ليوسف كمال).

٢- ومن انحرافاته: زعمه، أن الحكم بالقوانين الوضعية التي يحكم بها في بلاده لا يُعد كفرًا، إنما هذه القوانين "متوافقة مع الشريعة الإسلامية" !!

يقول العشماوي: "والقول بأن القوانين المصرية كفر بواح، ومن يطبقها أو يخضع لها كافر، قول فيه تجاوز شديد، وتدنٍ أشد، فضلا عن أنه دعوة سافرة للخروج على الأمة والمجتمع... فالقوانين المصرية - كما

سلف ــ وكما لابد أن يدرك كل دارس واعٍ متوافقة مع الشريعة الإسلامية" !! (الإسلام السياسي، ص٥١).

ويقول:" إن القانون المدني المصري مطابق كله! للتشريع وللفقه الإسلامي" (حوار حول قضايا إسلامية، إقبال بركة، ص ١٨٨).

٣- ومن انحرافاته: إسقاطه حد شرب الخمر في كتابه (الإسلام السياسي) ! يقول العشماوي: " لا توجد أية عقوبة على شربها أو بيعها، لا في القرآن الكريم ولا في السنة النبوية " ثم يقول هذا الفاجر مستدركًا على الحكم الشرعي: " إن العقوبات تزيد من عدد الجرائم، ولا تجتث الجريمة أصلا " !! (الإسلام السياسي، ص٥١) ، (وانظر: حوار حول قضايا إسلامية، إقبال بركة، ص١٩١).

٤- ومن انحرافاته: زعمه " أن تطبيق الشريعة يهدف إلى تفتيت وحدة الشعب وإلى إظهار الإسلام بصورة سيئة " ثم يزعم " أن الشريعة تعني الطريق والسبيل، ولا يلزم الأخذ بنصوصها؛ لأن مبنى الشريعة يقوم على الخلق والروحانيات! وللناس أن يطبقوا ما يشاءون " ! (الشريعة والقانون المصري، مجلة أكتوبر، العدد ٧٠٦، نقلا عن : المجلة العربية مقال: العشماوي بين حرية الفكر وحرية الكفر، للأستاذ أحمد أبو عامر، شعبان ١٤١٢هـ).

٥- ومن انحرافاته: ادعاؤه أن (الأحوال الشخصية) ــ وهي البقية الباقية من الأحكام الشرعية! ـ تهضم حقوق المرأة، وأن الزواج عقد مدني لا ديني!، وأنه لابد من تقييد الزواج بواحدة، (المرجع السابق) ، (وانظر: حوار حول قضايا إسلامية، إقبال بركة، ص١٩٠-١٩١).

٦- ومن انحرافاته: إسقاطه لحد الردة! (المرجع السابق) .

٧- ومن انحرافاته: تخصيصه كتابه (الإسلام السياسي) للدعوة إلى

فصل الدين عن الدولة، مدعياً " أن الرسول - ﷺ - حينما ساس أمور الإسلام في عهده إنما كان ذلك بالوحي" بخلاف ما سيأتي بعده من الحكومات التي ينبغي أن لا تكون دينية!! (المرجع السابق).

ومن دعاواه في هذا الكتاب: أن تاريخ الإسلام تاريخ دموي قمعي! وأن الفقه الإسلامي يخلو من أي نظرية سياسية أو نظام سياسي، وأن الغالب على اعتناق الناس الآن (إسلام البداوة) ! لا (إسلام الحضارة)!، إضافة إلى تهجمه المتكرر على دعاة تطبيق الشريعة الإسلامية (انظر: العقلانية هداية أم غواية، لعبد السلام البسيوني، ص١٢٥) .

ولقد قام مجموعة من العلماء والكتاب الغيورين بنقد هذا الكتاب وتبيين زيفه؛ من أبرزهم: الدكتور صلاح الصاوي في كتابه (تحكيم الشريعة ودعاوى العلمانيين) ، فليراجع.

٨- ومن انحرافاته: تخصيصه كتابه (الخلافة الإسلامية) للنيل من الخلافة الإسلامية، وتصويرها للقارئ بأبشع صورة، هادفاً من ذلك إلى أن يتخلى المسلمون عن الدعوة إلى تطبيق الشريعة الإسلامية ما دامت هذه صورة الخلافة التي ينشدونها ! .

فهو في هذا الكتاب:

أ- يستنكر على من يدعي نقاوة الخلافة الإسلامية (المقدمة) .

ب- يهون من شأن الخلافة، وأننا يمكن أن تسير أمورنا دون حاجة إليها (ص ٢٥-٢٧) (ص٣٠).

ج- يزعم "أن النبي - ﷺ - لم يحكم الناس كملك أو أمير أو رئيس أو سلطان وإنما حكمهم كنبي من الله" (ص ٩٠) أي أن الحكومة ينبغي أن لا تكون دينية؛ لأن ذلك خاص بالنبي - ﷺ -!، ويؤكد هذا في

(ص ١٠٢) بقوله: "فالخلافة الإسلامية من واقع نشأتها.. ظهرت كرياسة دنيوية وإمارة واقعية لا تؤسس على نص ديني ولا تقوم على حكم شرعي"!!.

د- طعنه في أبي بكر - ﷺ - بأنه اغتصب حقوق النبي - ﷺ - عندما طلب من المرتدين أداء الزكاة (التي يسميها العشماوي الإتاوة أو الجزية !!ص ١٠٦)، وأن طلب الزكاة من المسلمين - في زعم العشماوي - خاص بالنبي - ﷺ - مقابل صلاته عليهم !! (ص ١٦-١٠٧).

وقد لمز وتهجم العشماوي لأجل هذا على أبي بكر - رضي الله عنه - متهماً إياه بالديكتاتورية والتسلط ... الخ (ص ١٠٧) بل قال هذا السفيه: "وقد سوَّغ تصرف الخليفة الأول أبي بكر الصديق لكل خليفة وأي حاكم أن يستقل بتفسيره الخاص لآيات القرآن، ثم يفرضه بالقوة والعنف على المؤمنين، ويجعل من رأيه الشخصي حكماً دينياً، ومن فهمه الفردي أمراً شرعياً" ! (ص ١٠٨). ثم قال - قبحه الله -: " لقد قنن الخليفة الأول بحروب الصدقة إشهار سيوف المسلمين على المسلمين" ! (ص ١٠٨).

هـ - ولم يقتصر العشماوي على الطعن في أبي بكر - رضي الله عنه - بل تعداه إلى الطعن في عثمان وعلي - رضي الله عنهما -، حيث قال: " ولم يقتصر الفساد على عهد عثمان وعلى الأمويين وحدهم، بل حدث كذلك في عهد علي بن أبي طالب" ! (ص ١١٣). وقال: "وفي عهد عثمان بن عفان حدث فساد كثير" (ص ١١٩) .

و - زعمه أن الصحابة - رضي الله عنهم - كان هدفهم الملك والرياسة (ص ١٢١).

ز - ذمه لمعاوية - رضي الله عنه - (ص ١٤٤).

هذه أبرز الانحرافات التي وردت في كتاب (الخلافة الإسلامية) للعشماوي، وقد رد عليه الشيخ الشعراوي في كتاب بعنوان (الأنوار الكاشفة لما في كتاب العشماوي من الخطأ والتضليل والمجازفة) فليراجع.

٩- ومن انحرافاته : زعمه " أن أحكام الشريعة في المعاملات مؤقتة، لا استمرار لها ولا خلود" ! يقول العشماوي: "إن المؤبد في أحكام القرآن ما تعلق منها بالعبادات، أما أحكام المعاملات فهي وقتيه" (حوار حول قضايا إسلامية إقبال بركة، ص١٩٠). (وقد رد عليه رأيه هذا الدكتور محمد عمارة في مجلة المنهل، صفر، ١٤١٧هـ) فليراجع.

١٠- ومن انحرافاته: إباحته للربا في كتابه (الربا والفائدة في الإسلام)، يقول العشماوي : "الفائدة ليست ربًا" ! (حوار حول قضايا إسلامية، إقبال بركة، ص ١٨٨) (وانظر كتابه الآخر: على منصة القضاء، ص ١٧٨ وما بعدها).

قلت: وقد رد عليه رأيه هذا الدكتور علي السالوس في كتابه (أجرؤكم على الفتيا أجرؤكم على النار) فليراجع.

قال الأستاذ أحمد أبو عامر في خاتمة نقده لآراء العشماوي: "من خلال إطلاعي على معظم ما كتبه المذكور تبين أن سمات فكرة ما يلي:

١- لنشأته الصوفية دور في ترسيخ التوجه العلماني الذي تنامى بدراساته وتخصصه القانوني.

٢- ثقافته الغربية وإطلاعه على تراثها ولا سيما دور الكنيسة وتسلطها جعله يرى الإسلام كالنصرانية وهذا وهم وخطل .

٣- تبنى الفكر العلماني والترويج له حتى صار من أبرز رموزه ممن يحاولون هدم الإسلام من الداخل.

٤- يتظاهر بالفقه في العلوم الشرعية ويدعي أنه عالم مجتهد وهو في

ذلك مدّع والدليل مصادمة آرائه للشرع وأدلته.

٥- يهاجم مخالفيه في الفكر بأسلوب هابط ولا يتورع عن الطعن في الصحابة والعلماء واتهامهم بالجهل والغباء والخداع.

٦- عدم موضوعيته وبعده عن المنهج العلمي في دراسته إذ جلُ آرائه بعيدة عن الصواب ومخالفة للصحيح وابتداع لا يعضده دليل معتبر.

٧- يستغل معرفته وتجاربه في القضاء والمحاكم وما يقابله من صور اجتماعية للمسلمين ويزعم أنها تمثل الإسلام، ويدعو بكل صفاقة إلى عدم تطبيق الشريعة الإسلامية ويتهم الدعاة لها بالإرهاب وأنهم دعاة فتنة.

٨- يتبنى الطروحات الاستشراقية ضد الإسلام وشريعته ويلبسها ثوباً محلياً. ومن أخطر مزاعمه المنقولة عن غيره أن الشريعة الإسلامية متأثرة بالقانون الروماني، وهذا كذب صراح وادعاء باطل ناقشه العلماء المسلمون بل بعض المستشرقين وبينوا بطلانه، ويمكن الرجوع إلى كتاب (هل للقانون الروماني تأثير على الفقه الإسلامي؟) مجموعة دراسات نشرتها (المكتبة العلمية في بيروت)، بل إن الأبحاث العملية أشارت إلى تأثر الفقه الغربي بالإسلام، ويمكن الرجوع إلى بيان ذلك فيما كتبه د/ محمد يوسف موسى في كتابه (التشريع الإسلامي وأثره في الفقه الغربي) .

وفي الختام أرجو أن يثوب الرجل لرشده وأن يتقي الله في آرائه؛ لأنه باتجاهه العلماني المتطرف هذا إنما ينكر كمال الإسلام وينكر عالميته وينكر بقاءه إلى قيام الساعة كما أخبر بذلك الصادق المصدوق ـ

ﷺ ـ وما ذاك إلا الردة بعينها فهل يهتدي ويتراجع ويعود للصواب أم تأخذه العزة بالإثم؟ ونذكره بأن الرجوع إلى الحق خير من التمادي في الباطل" (المجلة العربية، شعبان، ١٤١٢هـ).

تنبيه: للدكتور عمر عبد الله كامل كتاب في الرد على العشماوي بعنوان: "قراءة نقدية في فكر محمد سعيد عشماوي والرد على افتراءاته"، وفي كتاب جلال كشك " قراءة في فكر التبعية " فصل للرد على العشماوي ـ أيضًا.



نظرة شرعية
في فكر الروائي
عبد الرحمن منيف

نظرة شرعية في فكر الروائي (عبد الرحمن منيف)

ترجمته:[1]

• ولد في عمان (الأردن) عام ١٩٣٣.

• والده من نجد (السعودية) والأم عراقية .

• أنهى دراسته الثانوية في عَمّان .. وبعدها التحق بكلية الحقوق في بغداد عام ١٩٥٢.

• في العراق، وخلال فترة الدراسة، خاض غمار النشاط السياسي خلال مرحلة هامة من تاريخ العراق.. وبعد توقيع "حلف بغداد" طُرد منيف من العراق مع عدد كبير من الطلاب العرب، عام ١٩٥٥.

• واصل دراسته في جامعة القاهرة.

• عام ١٩٥٨ سافر إلى يوغسلافيا حيث تابع الدراسة في جامعة بلغراد.

• أنهى دراسته عام ١٩٦١، وحاز دكتوراه في العلوم الاقتصادية، وفي اختصاص: اقتصاديات النفط/ الأسعار والأسواق.

• مارس النشاط السياسي الحزبي زمناً، ثم أنهى علاقته السياسية التنظيمية عام ١٩٦٢، بعد "مؤتمر حمص".

• عمل في مجال النفط: في الشركة السورية للنفط (دمشق) شركة توزيع المحروقات، مكتب توزيع النفط الخام.

---

(١) ترجمته مستفادة من كتاب "الكتاب والمنفى" (ص٤٠٠-٤٠٢)، ومن كتاب "أعلام الأدب العربي المعاصر" لكامبل (١٢٧٣/٢-١٢٧٥) . وانظر للمزيد عنه : (قراءة في أعمال الدكتور عبد الرحمن منيف الروائية) لمؤمنه بشير العوف، ص٤١٩، ومجلة الجديد. العدد ١٢.

- عام ١٩٧٣ غادر سوريا إلى لبنان حيث عمل في مجلة "البلاغ" وكان قد بدأ الكتابة الروائية برواية (الأشجار واغتيال مرزوق) .
- عام ١٩٧٥ سافر إلى العراق، وتولى تحرير مجلة "النفط والتنمية".. وظل هناك حتى العام ١٩٨١.
- عام ١٩٨١ غادر العراق إلى فرنسا، حيث تفرغ نهائياً لكتابة الرواية.
- عام ١٩٨٦ عاد إلى دمشق.
- متزوج وله ثلاثة أبناء وابنة.
- توفي في ٢٤/ ١/ ٢٠٠٤م.

مؤلفاته:

الروايات حسب تاريخ صدورها أول مرة:

١- الأشجار واغتيال مرزوق (بيروت) ١٩٧٣.
٢- قصة حب مجوسية (بيروت) ١٩٧٤.
٣- شرق المتوسط (بيروت) ١٩٧٥.
٤- حين تركنا الجسر (بيروت) ١٩٧٦.
٥- النهايات (بيروت) ١٩٧٧.
٦- سباق المسافات الطويلة (بيروت) ١٩٧٩.
٧- عالم بلا خرائط بالاشتراك مع : جبرا إبراهيم جبرا (بيروت) ١٩٨٢.
٨- مدن الملح – خماسية:
- التيه (بيروت) ١٩٨٤.
- الأخدود (بيروت) ١٩٨٥.

- تقاسيم الليل والنهار (بيروت) ١٩٨٩
- المنبت (بيروت) ١٩٨٩
- بادية الظلمات (بيروت) ١٩٨٩

٩- الآن.. هنا أو: شرق المتوسط مرة أخرى (بيروت)١٩٩١.

مؤلفات في الاقتصاد والسياسة:

١- البترول العربي: مشاركة أو التأميم (بيروت) ١٩٧٥.
٢- تأميم البترول العربي (بغداد) ١٩٧٦.
٣- الديمقراطية أولاً .. الديمقراطية دائماً (بيروت) ١٩٩٢.
٤- بين الثقافة والسياسة ، بيروت ١٩٩٨.

في فن الرواية:

١. الكتاب والمنفى:

هموم وآفاق الرواية العربية (سلسلة الكتاب الجديد- بيروت) ١٩٩٢.

شارك في هيئة تحرير "قضايا وشهادات" (كتاب ثقافي دوري يصدر فصلياً) .

● أبرز أعماله هي خماسيته الطويلة (مدن الملح) ، وهي تتمحور حول تغير البلاد العربية باكتشاف النفط فيها، يقول منيف: "وهذا التغيير لا يزال مستمراً، ولم يقتصر على بلدان النفط وحدها، ولكنه امتد إلى البلدان الأخرى العربية غير النفطية" (الكتاب والمنفى، ص ١٤٩).

ويقول أيضاً: "مدن الملح تعالج مشكلة العلاقة بيننا وبين الآخر؛ بيننا كعرب وبين الغرب منذ بداية هذا القرن، فالاستعمار الغربي كان يحاول على الدوام الحصول على المواد الأولية، كما كان يحاول الهيمنة

على الأسواق واستغلال الشعوب بشكل أو آخر..

.... عندما اكتشف النفط فقد أصبحت المنطقة هدفاً وأصبحت أرضاً مهمة " (المرجع السابق، ص٣٣٥).

قلت: وانظر وصفاً لهذه الخماسية وفكرتها في: (مدار الصحراء، دراسة في أدب عبد الرحمن منيف، لشاكر النابلسي، ص٥٩، ٣٠٨) .

و(قراءة في أعمال الدكتور عبد الرحمن منيف، لمؤمنة بشير العوف، ص ٣٩٠) .

- يعد عبد الرحمن منيف أحد أبرز الروائيين الماركسيين في عالمنا العربي، ولا زال يؤمن بهذه الفكرة البائدة !! وهو لا يخفي هذا، بل يجاهر به، فهو يقول مثلاً:

"أعتبر نفسي واحداً من الذين بدؤا التفتح على الماركسية في وقت مبكر نسبياً" (الكاتب والمنفى، ص ٢٥٩) .

ويقول:

"إن الفكر الاشتراكي ما يزال هو فكر المستقبل" (المرجع السابق، ص٣٤٩) .

ويقول :

"إنني واحد من الكثيرين أعتبر الاشتراكية أسلوباً للحياة أكثر ملاءمة، خاصة لبلداننا" ! (المرجع السابق، ص ٣٩٤).

وانظر أيضاً: (مدار الصحراء) لشاكر النابلسي، ص ٣٧١ وما بعدها، و(القومية والهوية والثورة العربية) مقال لمنيف في مجلة المستقبل العربي، عدد ٩٥، ص٨٥.

- يقول منيف عن سقوط الاتحاد السوفيتي محضن الماركسيين في

العالم العربي، والموجه الأول لهم:

"لا شك أن سقوط التجربة السوفيتية خسارة كبيرة للاتحاد السوفيتي وللمنظومة الاشتراكية أولاً، وخسارة للعالم الثالث الذي فقد حليفاً مهماً ثانياً، وخسارة للعالم بأسره" ! (بين الثقافية والسياسة ، ص٩٧) .

ولكن برغم هذا السقوط المدوي للماركسية نظراً لتعارضها مع الفطرة، فإن عبد الرحمن منيف الذي تشبع بهذا الفكر لا يريد أن يصدق هذا!! بل يصر على أن الماركسية سيكون لها جولات وصولات في المستقبل ! فأعجب لهذا المفتون الواله الذي لم يصدق إلى الآن موت معشوقته!! .

يقول منيف :

"إن ما سقط أو فشل في التجربة الأولى لتطبيق الاشتراكية هو شكل محدد من أشكال التطبيق، ولم تسقط الفكرة أو احتمالات تطبيقات مختلفة لها" ! (المرجع السابق، ص١٠٣) .

ويقول عن المشروع الماركسي والقومي في البلاد العربية، الذي فشل بشهادة العقلاء ! فشلاً ذريعاً : "أياً كان وصف أو تقييم المرحلة السابقة ـ وهذا ما يجب أن يكون عنواناً أساسياً لحوار مفتوح وجاد بين جميع القوى والعناصر، ويفترض أن يتسم الحوار بالشجاعة والصراحة والمسؤولية، لتحديد أخطاء ونواقص المرحلة الماضية ـ فإن من جملة الظواهر والنتائج البارزة الآن:

أولاً: عجز المشروعين القومي والماركسي، بالصيغ والحيثيات والشعارات والأولويات، كما قدّما، منذ الاستقلال وحتى الآن. أي أن هذين المشروعين، نتيجة سوء التقديم والتطبيق، أو بسببهما، لم يعودا

قادرين، بصيغتهما القديمة، على مواجهة تحديات المرحلة، وليسا مؤهلين، ضمن منطقهما وأسلوبهما السابقين، لكي يكونا أفقاً للمستقبل. لا يعني ذلك، بالضرورة، أن الأفكار القومية والماركسية عاجزة، ولا بد من البحث عن أفكار أخرى، ولكنه يعني بالتأكيد أن تلك الأفكار بالطريقة التي قدمت بها من حيث الصيغ والأشكال، أو من حيث الفهم، ومن ثم الترجمة في الواقع العملي، وأيضاً العلاقة بين القوى والمراحل والمفاهيم، كانت قاصرة وعاجزة، ويكمن السبب في ذلك، كما نعتقد، في الفهم الرومانسي أو الصنمي والحرفي الذي أعطي لتلك المفاهيم، ولانعدام آلية تحقيقها، ولعجز القوى التي تبنتها عن تحقيق نتائج ملموسة، ولذلك ظلت هذه الأفكار أقرب إلى الشعارات العامة، أو اكتسبت دلالات ليست من طبيعتها، وظلت أسيرة نماذج طوباوية أو غير مقنعة.

يضاف إلى ذلك أن القوى التي تبنت تلك الشعارات والأفكار كانت عاجزة عن تحليل الواقع بموضوعية واستنباط المهمات والصيغ الملائمة لحركة هذا الواقع والتغيرات التي تفعل فيه. أكثر من ذلك، أن بعض القوى، حين وصلت إلى السلطة، أعطت بسلوكها وعلاقاتها مثلاً سلبياً، الأمر الذي انعكس على الفكر الذي تحمله أو تبشر به.

المأزق، إذن الذي وصل إليه المشروعان، القومي والماركسي، كل بطريقته، وبنسب متباينة، وأيضاً نتيجة أسباب تختلف من واحد لآخر، يجب ألا يقود إلى الاستنتاج أن المشروعين عاجزان بطبيعتهما، أو غير مؤهلين لدور في المستقبل. إن استنتاجاً من هذا النوع، بالإضافة إلى خطئه، هو ما يريد الخصم أن يوصلنا إليه، لقناعته أن الصيغ الأخرى

أكثر عجزاً عن مواجهة المشاكل العملية أولاً. (بين الثقافة والسياسة، ص٤٢-٤٣) .

قلت: صدق الله إذ يقول (تلك أمانيهم) وصدق من قال: "إن المنى رأس أموال المفاليس" !

فهذا الماركسي العجوز لم يقتنع إلى الآن ـ رغم الحقائق ـ بفشل المشروعين اللذين آمن بهما منذ مراهقته، وهما الماركسية والقومية، وتمنى لو أن بيده بعثهما من جديد، ولكن هيهات ، فقد أفاقت الأمة وعرفت أن هذين الطريقين لم يؤدياها إلا إلى البوار .

فهل يفيق العجوز من سكرته قبل أن يفجأ الموت وهو على هذه الحال؟!

- يعتقد منيف أنه لم يبق أي شيء مقدّس لديه، والعياذ بالله!؛ لأنه كغيره من الماركسيين الماديين لا ينظرون إلى الإسلام كوحي إلهي، على البشر تقديس نصوصه والالتزام بها .

- يقول منيف:

"أما موقفي من المقدّس الذي تسألني عنه، فأكاد أقول دون خشية كبيرة: لم يبق شيء مقدس! "! إلى أن يقول: "نحن الذين أعطينا للمقدس قدسيته" (الكاتب والمنفى، ص ٣٨٢،٣٨٣).

- كثيراً ما يتهجم عبد الرحمن منيف على الإسلام وأهله، واصفاً إياه بالأصولية، متنقصاً ثقافته وتعاليمه، كشأن غلاة الماركسيين العرب الذين تشبعوا بالفكر الشيوعي الماركسي المخاصم للدين، وإن قبله جعله أمراً (روحياً) بين العبد وربه. فهم قد جمعوا بين الماركسية والعلمانية، كما سيأتي في أقوال الماركسي عبد الرحمن منيف: فإليك

شيئاً منها:

يقول منيف ساخراً من الكتب الإسلامية خالطاً بينها وبين كتب السحر والتنجيم والخرافات!

"ويجدر لفت النظر هنا إلى نوعية المواد التعليمية المقررة في المدارس، والتي من شأنها الحد من استعمال العقل، وتغليب النظرة الغيبية، ومراكمة المواد الحفظية، وعدم إفساح المجال أمام الأسئلة المختلفة، الأمر الذي يلغي المحاكمات العقلية والمقارنة، (فالخطان المستقيمان لا يلتقيان إلا بمشيئة الله) والأرض لا يمكن أن تكون كروية، كما يؤكد رجال الدين. وضمن الدروس التي تُعطى للأطفال، وهم دون سن العاشرة: كيفية غسل الموتى! .

إن موادًا تعليمية من هذا النوع، إضافة إلى المناخ المسيطر، يعطيان فكرة عن نوع الثقافة السائدة، وعما يمكن أن يواجهه أي فكر تنويري أو مختلف.." إلى أن يقول: "هذا في الوقت الذي يتقلص دعم الأنظمة الحاكمة للكتاب الجاد والمسرح والسينما الهادفين. إذ يضيق أو يمنع استيراد الكتب الجدية والعقلانية. ويفسح المجال واسعاً أمام الكتب الغيبية والاستهلاكية. ونظرة سريعة لمعرفة نوعية الكتب الأكثر انتشاراً تثير حالة مأساوية، فكتب السحر والتنجيم وقراءة الطالع، ثم الكتب الغيبية والدينية، هي الأكثر رواجاً لأنها تلاقي الدعم بأكثر من أسلوب ومن أكثر من جهة" . (بين الثقافة والسياسة ، ص ١١٧، ١٢٣) .

• ويقول منتقصًا ومسفهًا ومثبطًا من يدعو الدول العربية إلى تحكيم الشريعة والعودة إلى الإسلام:

"أما الخيار الثاني الذي يطرح فهو الخيار الديني أي الرابطة الدينية،

بالتحديد الأخوة الإسلامية التي تتجاوز الحدود القومية.

إن الرابطة الدينية حتى على فرض إمكانية قيامها، لا يمكن أن تتجاوز الرابطة القومية أو أن تكفيها؛ لأن الرابطة القومية هي الأساس في قيام المجتمعات، بخاصة في العصور الحديثة. إن الرابطة الدينية، إضافة إلى استحالة تحققها في الواقع الراهن إلا كرابطة معنوية، لا تتعدى التقارب والتعاطف. وهي تنطلق من معطيات متفاوتة ومن واقع مختلف، كما أنها غير قادرة، وغير مؤهلة للإجابة عن مشكلات العصر الحديث اعتماداً على تجارب ماضية وجزئية".

إلى أن يقول: "فالدين رابطة معنوية واعتقاد مبني على الاختيار الخاص، وهو أمر شخصي تماماً" ! (الديمقراطية أولاً، ص ١٣٤-١٣٧) .

قلت: يقول هذا بناءً على نظرته (العلمانية)، التي تجعل الإسلام منزويًا في الشعائر التعبدية فقط، أما شئون الحياة فلا دخل له بها، إنما الذي يفصل فيها وينظمها هو الفكر الماركسي!!

- ويدعي منيف أن من أسباب تأخرنا:

"تراجع العقلانية في الثقافة والعودة إلى الغيبية" (الديمقراطية اولاً،ص١٦) ونسي هذا الماركسي (المادي) أن الغيب نصف الدين !وأنه من شروط إيمان المؤمن، قال سبحانه في وصف المؤمنين بأنهم ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ﴾ ، فلا يتم إيمان عبد حتى يؤمن بما ورد من أمور الغيب الكثيرة الواردة في الكتاب والسنة، وعلى رأسها اليوم الآخر.

وأما بدون هذا الإيمان فإن العبد يكون كافراً، قد شابه إخوانه المشركين الدهريين الذين لا يؤمنون إلا بالماديات زعموا.

- ويزعم منيف كثيراً أن الحركات والتوجهات الإسلامية ما كان لها أن تنتشر لو كان الفكر الماركسي قائماً !! وإنما انتشرت بعد سقوط هذا الفكر الذي أخلى لها الساحة! فهو يحيل انتشار الالتزام بشرع الرحمن وعودة الكثيرين إلى الهداية إلى هذا السبب، لا أن الإسلام يحمل قوته في ذاته ؛ لأنه الدين الحق المستمر إلى قيام الساعة.

يقول منيف:

"إن الدول الغربية، في مراحل متعددة، ولا تزال إلى الآن، تتبنى وتدعم أنظمة واتجاهات أصولية في المنطقة العربية. فأنظمة الخليج العربي، وأنظمة أخرى أيضاً، تحظى برعاية وحماية الدول الغربية، خاصة الولايات المتحدة، رغم ما تتصف به هذه الأنظمة من أصولية ورجعية، ورغم دعم هذه الأنظمة لمجموعة من الحركات الأصولية في أمكنة متعددة من العالم .

إن الأصولية بشكل عام، والأصولية الإسلامية تحديداً، رغم أنها موجودة منذ وقت مبكر، إلا أنها الآن أقوى من أي وقت مضى. ومن جملة ما يفسر ذلك: ضعف أو غياب التيارات الأخرى، والمصاعب والعراقيل التي وضعت في وجهها، وكان الغرب، خلال مراحل متعددة، يقود حرباً بشكل مباشر، أو من خلال دعم الحكومات الرجعية والديكتاتورية، لمحاربة التيارات الديمقراطية والتقدمية، مما أفسح المجال أمام التيارات الأصولية لأن تقوى وتسيطر، ومثل السادات في مصر مثال ساطع.

ولقد تعززت هذه الحالة بسقوط الاتحاد السوفييتي، وما رافق هذا السقوط من حملة إعلامية غربية تقول باستحالة وجود فرص أو إمكانية

للتيار الديمقراطي التقدمي كي يكون حلاً بديلاً للنظم الرجعية القائمة، مما يفسح المجال لأن يعتبر التيار الأصولي نفسه بديلاً وحيداً.

في مواجهة وضع مثل هذا وجدت الأصولية مناخاً ملائماً لأن تعمل وتؤثر وتزداد قوة، خاصة وأن سياسة الدول الغربية طوال عقود متواصلة، اتسمت بضيق الأفق والأنانية، وأيضاً مناوءة الطموحات المشروعة لشعوب المنطقة، ولعل موقفها المتحيز والظالم تجاه القضايا الأساسية، كالنفط والقضية الفلسطينية والتحرر الاقتصادي، أفسح المجال واسعاً أمام الحركات الأصولية لأن تطرح نفسها كأفق واحتمال للتحرر السياسي والاقتصادي، بغض النظر عن إمكانية ذلك لاحقاً.

إن جزءًا كبيرًا من الحرب الدائرة الآن في أنحاء متعددة من العالم حرب شعارات لكسب مواقع، ولو مؤقتاً، من أجل اصطفاف جديد. وهذه الحرب تمارسها، تقريباً كل الأطراف، بغض النظر عن وجود استراتيجية بعيدة الأمد أم لا. إذ المهم قهر الخصم الآن، أو تجريده من أهم الأدوات والوسائل التي يملكها أو يلجأ إليها، دون حساب للنتائج التي يمكن أن تترتب عليها في فترات لاحقة.

ومن جملة ما يعزز موقف التيار الأصولي في الوقت الحاضر، ويكسبه شعبية واسعة، السياسة والشعارات التي يرفعها في مواجهة الغرب، خاصة الولايات المتحدة، لأن هذه الأخيرة لم تكف عن اللجوء إلى القوة والقهر والاستغلال في التعامل مع شعوب المنطقة، كما لا يخفى تبنيها لسياسةٍ تجرح كبرياء وطموحات شعوبها، هذا عدا عن التمييز في الموقف والمعاملة بين العرب وإسرائيل. والذاكرة العربية، والإسلامية، مثقلة بكم الوقائع التي تُظهر التحيز والقسوة والعنف

الغربي، خاصة الأميركي، تجاه القضايا التي تهم شعوب هذه المنطقة.

هذه إشارات ضرورية من أجل فهم الظاهرة الأصولية ووضعها في سياقها. أما إذا عزلت عن هذا السياق، وعن فهم الدوافع الكامنة وراء نهوضها وقوتها وعنفها، فسوف يؤدي ذلك إلى المزيد من الأخطاء".

(بين الثقافة والسياسة، ص ١٣٧-١٣٩) .

ويقول :

"إن الحركة الدينية قوية وموجودة كحركة سياسية بقدر عجز وغياب القوى الوطنية التقدمية" (الديمقراطية أولاً، ص٤٤).

قلت: نسي هذا الماركسي أن أصحابه الشيوعيين قد أفسح لهم المجال في أماكن عديدة من العالم الإسلامي تحت نظر الغرب وسمعه، ورعايته، ولكنهم فشلوا في قيادة الأمة ، بل أورثوها النكبات ، مما لم يعد يخفى على عاقل يحترم نفسه .فهلا تنحوا قليلا ، وأفسحوا المجال لأهل الإسلام ؟! (طلع الصباح فأطفئ القنديلا!) .

• كما سبق فإن عبد الرحمن منيف من غلاة الماركسيين الذين يعادون الدين فإن قبلوه بسبب ضغط الواقع فإنهم يحصرونه في الشعائر التعبدية فقط، وقد صرح منيف بهذا وأفصح عن علمانيته بقوله:

"إن الدين، أي دين، يفترض أن يبقى في إطار الاعتقاد الشخصي، أما إذا تحول إلى عمل سياسي فيصبح عندئذٍ ذريعة لسلب حرية الإنسان، ولإرغامه على الامتثال، كما يصبح وسيلة لقهر الآخر" . (بين الثقافة والسياسة ، ١٤٨).

• ويقول عن أسباب اختيار الماركسيين وغيرهم من أهل الضلال للعلمانية :

"العلمانية في البلاد العربية كانت بالدرجة الأولى في مواجهة الدولة القومية المتسترة بالدين " (الديمقراطية أولاً، ص ٩٥) .

- يتأفف منيف كثيراً ما يسميه (رقابة المجتمع) ! ويتمنى لو أنه يستطيع البوح بما في نفسه دون خوف منها.

فهو باختصار يريد أن يكفر ويفوه بالمنكرات دون أن يحاسبه أحد، وهذا ما لا يُقره الإسلام لأبنائه؛ لأنه يربأ بهم عن الكفر .

يقول منيف: "أما كيف أتعامل مع رقابة المجتمع والدولة فإن الإشكالية الأساسية التي تثير حيرتي هي رقابة المجتمع. الدولة تدافع عن نفسها، تحصّن نفسها، ولذلك تلجأ إلى القسوة والتمويه والمخادعة، وربما هذا "حق" من حقوق الدفاع عن النفس، ضمن منطق الدولة وأسلوبها. ولكن ماذا بخصوص رقابة المجتمع المقموع، المضطهد، والذي يمارس أيضاً كل المحرمات سراً، ويتمتع بها إلى أقصى حد في الحياة اليومية، من خلال الشتائم والنميمة والصور العارية والفضائح، وفي نفس الوقت، يمنع أن يُكتب ذلك.

إن المجتمع العربي من أغرب المجتمعات قاطبة، لأنه يمارس كل شيء سرياً، ويخشى أن تقال كلمة، ولو غير مباشرة، عن هذه الحياة السرية.

الله كم تحت قشرة العفة والطهارة والتقوى المدّعاة من الفضائح والوساخات والزنى بالمحرمات ! مجتمع يمارس العادة السرية. يعمل كل شيء، وبشجاعة سرية فائقة، لكنه يخشى أي شيء، ولو كان بريئاً وسمحاً، أن يظهر إلى الخارج! ليس ذلك فقط. إنه يلاحق ويعاقب من يقول جزءاً من الحقيقة!" (الكاتب والمنفى، ص ٣٨٠) .

قلت: كون أحد من الناس يمارس الأخطاء والمحرمات وسواء علناً أم

سراً، هل يبيح هذا لنا أن نُقر هذه المحرمات والأخطاء ولا ننكرها؟! لا يقول هذا مسلم يعرف دينه.

ومن ارتكب المحرمات والأخطاء فحسابه على الله، وهو ليس حجة على شرع الله.

• ويرى منيف أن الإسلام يعوق بين الأديب وحريته! ويقصد بالحرية ما لا يقره الإسلام من التفوه بالكفريات والضلالات، فهو يريد ـ كما سيأتي ـ إسلاماً لا دخل له بالمجتمع كله، بل ينحصر في المسجد وبين المرء وربه، كما في النصرانية الآن.

يقول منيف: "الهم الرابع: المحرمات: ما أود أن أشير إليه هنا، ومجرد إشارة، هو موضوع المحرمات في السياسة والدين والجنس، وهذه عوائق أو تحديات أمام نمو الرواية وتطورها" (الكاتب والمنفى، ص٥١).

• دائماً ما يحمل منيف ـ كغيره من الماركسيين ـ على الدول النفطية وعلى رأسها السعودية ! بأنها قد استغلت النفط لنشر التخلف والرجعية!! ويعني بهما الإسلام السلفي، وهذه شنشنة معهودة من غلاة الماركسيين في فترة مضت، فما بال منيف لا زال يرددها إلى اليوم ؟!

يقول منيف :

"إن ثروة النفط ظهرت سلبياتها أكثر من إيجابياتها في أحيان كثيرة، بما في ذلك تشجيع المد السلفي" (الديمقراطية اولاً، ص ٢٢٠).

ويقول: "إن حجم التخريب الذي ولدته الفورة النفطية، في مجالات شتى، بما فيها الثقافة، والتي طالت عددًا من "المثقفين" في الغرب أيضًا، ترك تأثيرات سلبية مدمرة على الأفكار والقيم والعلاقات والمقاييس، وقد أبرزت أزمة الخليج بعضًا من ذلك، حيث حُشدت أعداد من الكتبة

المستأجرين، واستخرجت الفتاوى لإدانة أية أصوات تعارض التدخل الأميركي أو الحرب الهمجية التي شُنّت على شعب العراق، وزيفت الوقائع أو أُخفيت، وساد جو قاسٍ من الإرهاب والتعبئة، بحيث لم يظهر إلا صوت واحد: الصوت الرسمي.

ومما زاد في خلق هذا المناخ حالة الضياع التي سادت بعد الزلزال الذي وقع في المعسكر الاشتراكي، إذ سقط الكثير من الأفكار والمقاييس، وطغت موجة سلفية جديدة في المنطقة، كما عمت حالة من القلق وعدم اليقين" . (الديمقراطية أولاً، ص ٢٨٠-٢٨١) .

• من أطرف ما مر بي أثناء دراستي لفكر (الماركسي) عبدالرحمن منيف أنني وجدت له تصريحاً جديداً بأنه يؤمن بالليبرالية !! وهي نقيض الماركسية! لتعلم بعدها أن القوم أصحاب أهواء، مستعدون للتنقل بينها ولو كانت متعارضة ما دامت مخالفة للإسلام ولا تؤدي إليه ! ، يقول منيف:

" لا أخفي: في المرحلة الحالية أميل إلى الليبرالية " !! (الكاتب والمنفى، ص٣٠٨).

قلت: صدق من قال:

يوماً يمانٍ إذا لاقيتَ ذا يمنٍ
وإن لقيتَ معِّدياً فعدناني !

فأنتم لما هوى صنمكم القديم الماركسية، هرعتم إلى تمجيد صنمٍ آخر هو الليبرالية، ومن لم يرض بعبودية الرحمن رضي بعبودية النفس والشيطان.

فــروا مـــن الـــرّق الـــذي خُلقــوا لـــه
وبُلــــوا بـــــرق الـــــنفس والـــــشيطان.

• كلمات منيف عن المرأة قليلة جداً حتى في رواياته ، وهذا مما يستغرب على روائي ماركسي!؛ لأن أدباء الماركسية اشتهروا في الأدب بجنوحهم إلى نشر الرذيلة والدفاع عنها، وعذر أصحابها من المومسات ونحوهن، وتحميل الظروف الاقتصادية جميع خطاياهن... الخ، وهذا تجده على سبيل المثال في روايات: نجيب محفوظ ويوسف إدريس وغيرهما من رؤوس الأدباء الماركسيين العرب .

فالله أعلم عن سبب قلة هذا الأمر عند منيف ، هل هو بسبب أسرته أم بيئته؟!

لكنه إذا تعرض في مقابلاته لسؤال حول المرأة فإنه لا يعدو نظرة المتحررين نحوها! يقول منيف :

" لا شك أن المرأة في الواقع، وفي مجتمعنا تحديداً ، خاصة في المرحلة الراهنة تعاني الكثير لكونها امرأة.

ففي مجتمع متخلف ويخضع إلى القمع المتدرج ، من الطبيعي أن يكون استعباد المرأة أو وضعها في مرتبة أدنى أمراً طبيعياً. هذه حالة وصفية، خاصة وأن هذا المجتمع يمتلك إرثاً من ناحية الدين والتقاليد يعزز مثل تلك النظرة، ويعطيها من المبررات الكثير" (بين الثقافة والسياسة ، ص ١٥٢-١٥٣).

فهذا الماركسي يرى أن الشرع قد جاء بانتقاص واستبعاد المرأة ! وهذا كفر لا شك فيه، والعياذ بالله، وهو ليس بغريب على من يدين بدين الماركسية.

مما يضاف:

- **أن عبد الرحمن منيف أحد الموقعين على بيان الدفاع عن المرتد سلمان رشدي صاحب " آيات شيطانية "!**

(انظر: ذهنية التحريم؛ للملحد صادق العظم).

- **انتقد الأستاذ محمد جلال كشك ـ رحمه الله ـ سلطان العويس لإعطائه جائزته لعبد الرحمن منيف؛ لأنه لا يستحقها.** (انظر: الحوار أو خراب الديار، لكشك، ص ٥١).

وصلى الله وسلم على نبينا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين .



نظرة شرعية
في فكر
عبد الله العروي



نظرة شرعية في فكر (عبد الله العروي)

ترجمته:[(١)]

-ولد بالمغرب في أزمور عام ١٩٣٣م، حصل على شهادة الدراسات العليا عام ١٩٥٧م، ثم عُين مستشارًا ثقافيًا في سفارة المغرب بالقاهرة عام ١٩٦٠م.

-حصل على شهادة الدراسات العليا في الأدب العربي عام ١٩٦١م، ثم انتقل مستشارًا ثقافيًا في سفارة المغرب بباريس.

-مثَّل المغرب في منظمة اليونسكو.

-وفي عام ١٩٦٣م أصبح أستاذًا في معهد الدراسات الإسلامية بباريس.

-وفي عام ١٩٦٤م أستاذًا محاضرًا بكلية الآداب، جامعة محمد الخامس ـ الرباط.

-من مؤلفاته: الآيدلوجيا العربية المعاصرة، العرب والفكر التاريخي، مجمل تاريخ المغرب، ثقافتنا في ضوء التاريخ، مفهوم الدولة، مفهوم الحرية، مفهوم الآيدلوجيا، مفهوم التاريخ، مفهوم العقل، وعدد من الروايات.

قال الدكتور مفرح القوسي عن العروي: "كاتب مفكر مغربي معاصر، ومن أشهر الماركسيين العرب، مختص بالدراسات التاريخية".

وقال عن كتابه (العرب والفكر التاريخي): "الذي تبنى فيه

(١) انظر: غلاف كتاب " محاورة فكر عبد الله العروي " لبسام الكردي، و" الفكر الفلسفي في المغرب "لكمال عبد اللطيف، وحوارًا معه في العدد (٢٢ ـــ ٢٣) من مجلة " الوحدة " التي يصدرها المجلس القومي للثقافة العربية، ومجلة " الجديد "، العدد ١٥.

الماركسية، واجتهد في الدعوة إلى الأخذ بها، بوصفها نظاماً فكرياً متكاملاً، يزود معتنقيه بمنطق العالم الحديث! ـ على حد تعبيره ـ ويتناسب مع كل فئات المجتمع المسلم"!! (انظر: رسالة المنهج السلفي والموقف المعاصر منه في البلاد العربية ـ دراسة وتقويماً، لم تطبع بعد، ص١٦١)[1].

وقال عنه أيضاً: "عبد الله العروي: الذي تبنى الماركسية واجتهد في الدعوة إلى الأخذ بها، بوصفها نظاماً فكرياً، يزود معتنقيه بمنطق العالم الحديث ـ على حد تعبيره ـ ويلائم متطلبات الأمة العربية الإسلامية، واجتهد في بيان أفكار ماركس ونظرياته، والرد على الاعتراضات التي وجهت إليها، ودعا إلى تفسير أحداث التاريخ الإسلامي تفسيراً ماركسياً، ووقف من السلفية موقفاً معادياً. فنراه ـ على سبيل المثال ـ يقول ممجداً الماركسية ومؤكداً ضرورتها، وشاناً الهجوم على المنهج السلفي؛ متهماً إياه بالعقم والسلبية: "الماركسية ـ بالنسبة للعرب ـ مدرسة للفكر التاريخي، وهذا الأخير هو مقياس المعاصرة، بدونه تغرق كل فكرة في بحر الحاضر الدائم، أي ترجع إلى أرضية الفكر السلفي. إن السلفية والانتقائية ـ وهما المميزين لذهنيتنا الحاضرة ـ تسبحان في الحاضر الدائم، وهذا هو سبب عدم انتفاع المجتمع العربي بمثقفيه منذ عقود. إن المثقف عندنا لا يتحرر فعلاً، فلا يعين مجتمعه على التحرر، لأنه ينفصل دائماً عن المحيط الذي يعيش فيه، وينتقل إلى عالم ماض يجعل منه الحقيقة المطلقة . ورغم تبجحه بالعمل السياسي، فإنه لا يؤثر إطلاقاً في الأوضاع ويترك التأثير لدعاة الاستمرار. إن السلاح الوحيد ضد اللاتأثير هو كسب الفكر التاريخي الذي لا يُتعلم من دراسة التاريخ

---

(١) ثم طبعت فيما بعد. وأنا أحيل في هذه المجموعة إلى أصل الرسالة.

كما يتبادر إلى الذهن، بل يتطلب الاقتناع بنظرية في التاريخ، وهذه لا توجد اليوم بكيفية شاملة ومقنعة إلا في الماركسية... إن الأمة العربية محتاجة في ظروفها الحالية إلى تلك الماركسية بالذات، لتُكَوّن نخبة مثقفة قادرة على تحديثها ثقافياً وسياسياً واقتصاديًا، ثم بعد تشييد القاعدة الاقتصادية يتقوى الفكر العصري ويغذي نفسه بنفسه"[(١)] .

• ونراه يتهم الفكر السلفي بأنه فكر لا تاريخي عاجز عن إدراك الواقع وفهم التكنولوجية المعاصرة والأنظمة الاقتصادية والاتجاهات الفكرية والتيارات الاجتماعية، وبأنه يؤدي إلى تعميق واستمرار التأخر التاريخي وإلغاء الحرية الذاتية، حيث يقول تحت عنوان (الوضع الثقافي) ما نصه: "إن المثقفين يفكرون حسب منطقين: القسم الأكبر منهم حسب الفكر التقليدي السلفي، والقسم الباقي حسب الفكر الانتقائي، وإن الاتجاهين الاثنين يوصلان إلى حذف ونفي العمق التاريخي، لكن إذا لم يكن التاريخ في ذهن المثقف، هل يعني هذا أنه محذوف من الواقع؟ طبعًا لا ، التاريخ كماض وكحاضر يُكوّن واقع العرب اليومي، وواقع خصوم وأعداء العرب. كل ما يؤدي إليه الفكر اللاتاريخي هو العجز عن إدراك الواقع كما هو، إذ يمحو منه بُعدًا من أبعاده المكونة له. وإذا ترجمنا هذه الجملة إلى الواقع السياسي نقول: نتيجة الفكر اللاتاريخي هي التبعية وعلى كل المستويات، فمن طبيعة الانتقائية أن تفتح الأبواب لكل المؤثرات الخارجية. والفكر التقليدي لا يقل عنها خضوعاً وتسامحاً، رغم ما يعتقد وما يدّعي، كيف يقف في وجه التكنولوجية المعاصرة والأنظمة الاقتصادية والاتجاهات الفكرية والتيارات

---

(١) العرب والفكر التاريخي ص ٦٨.

الاجتماعية وهو غير قادر على فهمها، فضلاً عن إبداع تيارات وأنظمة مضادة بديلة لها. والتبعية الظاهرة والخفية لا تعني فقط عدم الاستقلال والاستغلال، أي: إنها لا تخدش فقط الكرامة القومية والمصالح المادية، بل تعني كذلك تعميق واستمرار التأخر التاريخي. هذه نتيجة استخلصناها واستخلصها معنا المؤرخون الغربيون من تطور الاستعمار الحديث ومن تجارب الدول المتخلفة... ورغم هذا الواقع المر ما زال أغلب المثقفين عندنا يميلون إلى السلفية أو الانتقائية، والغريب أن هذين الاتجاهين يخدعان المثقف ويغريانه بنوع من الحرية الذاتية، يظن أنه يملك حرية الاختيار، وأنه قادر على أن ينتخب من إنتاج الغير أحسنه، وهذه حرية شبيهة بحرية الرواقيين الذين كانوا يظنون أنهم إن حرروا القلب والذهن من تأثير الإنسان والكون جاز لهم أن يهملوا الأغلال التي تشد الأيدي وتقيد الأرجل"[1]، ويصف طريق الخلاص من الفكر السلفي فيقول: "إن الطريق الوحيد للتخلص من الاتجاهين معاً هو الخضوع للفكر التاريخي بكل مقوماته... إن أحسن مدخل وأحسن مدرسة للفكر التاريخي يجدهما العرب اليوم في الماركسية في تأويلها التاريخاني. إن الكثير من المثقفين العرب يشعرون أنهم سيفقدون حريتهم إذا خضعوا لهذا الفكر؛ سيكونون مسيرين ويعلمون مسبقًا إلى أي هدف يسيرون؛ إنهم سيبقون دائماً في طور التلمذة؛ إذ لم يتعد عملهم تدارك التأخر، وأنهم سينسلخون عن شخصيتهم إذا اعترفوا أن التاريخ فيهم. والعجيب أن تأتي مثل هذه الانتقادات من السلفي الذي يعتقد بالقدر، وينحل في شخصيات السلف الصالح"[2].

---

(١) المرجع السابق ص ٢٠٥ – ٢٠٦.

(٢) المرجع السابق ص ٢٠٦ – ٢٠٧.

ويرفض العروي قيام المؤرخ المسلم في تفسيره للتاريخ بربط وقوع الحوادث بمشيئة الله وإرادته، ويصفه بأنه عمل فج وممل، فنراه يقول تحت عنوان (ماهية الأنماط التعليلية): "لا نتكلم هنا عن الفكرة التي نجدها في كثير من الكتب التاريخية الإسلامية وخاصة المتأخرة منها : أي تفسير كل حادثة بالإرادة الربانية، لأن التاريخ يصبح حينئذ قسمًا من علم الكلام. الحقيقة هي أن لا فرق بين استعارة الإرادة الإلهية من علم الكلام واستعمالها في التاريخ وبين استعارة القانون الطبيعي من علوم الفيزياء أو الاجتماع أو الاقتصاد وتوظيفه لنفس الغرض، إلا أن الاستعمال الأول فج ومملّ إذا كان كل حادث يقع بمشيئة الله. ما الفائدة من سرد الحوادث في ظروفها الخاصة؟ . أما الاستعمال الثاني فإنه أكثر تنوعًا ودقة"[1].

ويرى أنه لا يمكن للمسلمين أن يحققوا التقدم المنشود إلا بتخليهم عن معتقداتهم الدينية، ويستشهد بتركيا الكمالية التي يرى أنها أكثر استعدادًا للحياة الحديثة من غالبية المجتمعات الإسلامية، وذلك لنبذها موروثاتها العقدية الإسلامية، فنراه يقول: "إن معظم البلاد العربية اليوم تتقدم قليلاً أو كثيرًا على طريق التنمية والتصنيع، وهو تقدم لا يواكبه تغيير ملموس في اللغة والثقافة والأنظمة العائلية والعشائرية، وأحيانًا حتى في النظام السياسي. تجري الأمور وكأنه من البديهي أن يفصل التغيير الاقتصادي عن الظروف الاجتماعية والسياسية، ثم تؤثر هذه الحالة حتى في الميدان السياسي، فينادي الكثيرون بضرورة تحقيق العدل والمساواة بدون اعتبار للأوضاع الثقافية، والسؤال هو: هل يصح تصور

---

(١) ثقافتنا في ضوء التاريخ ص ٢٩-٣٠، ط الثالثة ١٩٩٢م، المركز الثقافي العربي — بيروت.

مجتمع عصري بدون أيديولوجيا عصرية؟ هل يمكن تصور تنظيم سياسي ثوري بدون ثقافة حديثة؟ .

والاعتراض التقليدي هو: واليابان؟ وإسرائيل؟ ألم نشاهد في كلتا الحالتين تقدماً اقتصادياً وتقنياً مع المحافظة على التقاليد العتيقة، وهناك اعتراض آخر وهو: ماذا نفعهما التغيير الثقافي حيث لم تواكبه ثورة اقتصادية واجتماعية؟ .

هذه الاعتراضات تبدو وجيهة لكنها غير مبنية على بحوث ودراسات مستفيضة إذا وجب الحكم من خلال ارتسامات عابرة، إني أعتقد أن المجتمع التركي رغم كل الظواهر أكثر استعدادًا للحياة الحديثة من غالبية المجتمعات العربية، وإن الأيديولوجيات التقليدية في اليابان وإسرائيل لا تلعب دورًا حاسماً في الحياة الثقافية"[١].

ويدَّعي "أن الفكر العربي أيام ابن خلدون كان أكثر علمانية مما كان عليه في القرون اللاحقة، ومما هو عليه اليوم في كثير من الأوساط"[٢].

ويضع العروي (الفكر السلفي) على رأس قائمة المشكلات والعقبات التي تعيق تطور المجتمعات العربية الإسلامية، والتي تستلزم من هذه المجتمعات وضع برنامج شامل لاجتثاثها والتخلص منها لكي يتحقق التقدم والرقي المنشودين[٣]،

ويَعُدُّ المنهج السلفي منافيًا للموضوعية واستلابًا حقيقيًا يضاهي الاستلاب الحاصل بالتغريب أو التفرنج، حيث يقول تحت عنوان (الاغتراب والاعتراب) ما نصه: "إن الاغتراب بمعنى التغريب أو

---

(١) العرب والفكر التاريخي ص ٢٣.

(٢) المرجع السابق هامش ص ٥٤.

(٣) راجع: المرجع السابق في الصفحات : ٢٢٠ - ٢٢٦.

التفرنج استلاب، لكن الاعتراب استلاب أكبر، والتركيز على الخطر الأول ما هو إلا تغطية لوضع ثقافي واجتماعي معين. إن السياسة الرسمية في الأغلبية الساحقة من البلاد العربية تحارب الاغتراب بوسيلتين:

- تقديس اللغة في أشكالها العتيقة.
- وإحياء التراث.

وفي هاتين النقطتين تتلخص السياسة الثقافية عندنا.

ومن الأمور الواضحة وضوح النهار أن تقديس اللغة، أي: تحجيرها في مستوى معين وأخذ الثقافة العتيقة كسمة تمييزية للقومية العربية، هما تشجيع الاستمرار في الفكر الوسطوي[١] ونفي موضوعية التاريخ. إن السلفي يظن أنه حر في أفكاره، لكنه في الواقع لا يفكر إلا باللغة العتيقة وفي نطاق التراث، بل إن اللغة والتراث هما اللذان يفكران من خلال فكره. هذا واقع لا يعيه ولا يمكن أن يعترف به السلفي مُحَقق، ولم يعد في استطاعة أي شخص له أدنى اطلاع على العلوم اللسنية الحديثة أن ينكره .. على الملاحظ المنصف أن يعترف أن الاستلاب الحقيقي هو الضياع في تلك المطلقات التي ذكرناها: في اللغة، في التراث، في التاريخ القديم. يفنى فيها المثقف العربي بكل طواعية واعتزاز، ويعتبر الذوبان فيها منتهى حرية الاختيار والتعبير الصادق عن هويته القارة الدائمة.

---

(١) أي الفكر الإسلامي السلفي، وسماه بالوسطوي لأنه ـــ كغيره من الماركسيين العرب ـــ يعتمد في تأريخه للفكر العربي الإسلامي التقسيم الزمني الشائع لدى المؤرخين الأوروبيين، الذي يبدأ بالتاريخ القديم ثم الوسيط وينتهي بالحديث أو المعاصر. وهذا التقسيم مرتبط بتصورات أوروبية حول العصور الوسطى باعتبارها عصور الظلام والتخلف، أما بالنسبة لنا فهي عصور القوة والازدهار، حيث كانت بداية ظهور الإسلام وانتشاره والإبداع في التأليف فيه.

هـذه هـي الأوزار والـسلاسل ولـن نتحـرر منهـا إلا بكـسب وعـي تاريخي"[١].

ويصف الفكـر الـسلفي بأنـه فكـر رجعـي لمحافظتـه علـى الثوابـت الإسلامية، ورفضه الانسياق خلف الأفكار الوافـدة مـن الغـرب، فنـراه يقول ـ مؤكدًا حقه في مواجهة هذا الفكر- :" كان من المنطقي أن أفتـتح المواجهة مع الفكـر المحـافظ الرجعـي الـسائد، خاصـة وأن التقـدميين[٢] كانوا وما يزالون يخافون من النظريـة والأيـديولوجيا رضـوخاً للـضغط، وتأثراً بالذهنية التقليدية المحافظة التي تدعو إلى عدم أخـذ أيـة فكـرة مـن الخارج... وهذا الفكر يطلع علينا مـن حـين إلى حـين بترديـد اسـطوانة واحدة لا تتجدد أبدًا ضد الأفكار المستوردة، والغزو الفكري والروحـي والاكتفاء بالأيديولوجيات التقليديـة (الـتراث العربـي الإسـلامي) الـتي تُكَوّن نظامًا عقائديًا كافيًا وشافيًا قادرًا على تزويدنا بكل مـا نحتـاج إليـه من حلول لكل مشكلات العـصر، مدنيـة، عائليـة، سياسـية، اقتـصادية، ثقافية، فنية، فلسفية، الخ"[٣].

ويقول ـ مدعيًا انقطاع ارتباط المسلمين بتراثهم ـ: "يـرفض الـسلفي كل الأفكار المستوردة، لاقتناعه بأن الوفـاء للـتراث شـرط لازم وكـاف للحفاظ على الشخصية...،

ومن يدعو إلى رفض الأفكار المستوردة اليـوم بعـد مـرور أكثـر مـن قرن على (النهضة) وعجز جميع المـصلحين عـن الـسباحة في غـير محـيط الأفكار والنظريات الغربية، يفـوه بكـلام فـارغ إذن، كـلام لا معنـى لـه

---

(١) المرجع السابق ص ٢٠٧ – ٢٠٨.

(٢) ويعني بهم الماركسيين.

(٣) المرجع السابق ص ٥٨ – ٥٩.

إطلاقا، لا يعود عليه بشيء ملموس، ومستحيل منطقيًا وتاريخيًا واختياريًا، لأن رباطنا بالتراث الإسلامي في واقع الأمر قد انقطع نهائيًا وفي جميع الميادين. وإن الاستمرار الثقافي الذي يخدعنا لأننا ما زلنا نقرأ المؤلفين القدامى ونؤلف فيهم إنما هو سراب، وسبب التخلف الفكري عندنا هو الغرور بذلك السراب وعدم رؤية الانفصام الواقعي، فيبقى حتماً الذهن العربي مفصولاً عن واقعه؛ متخلفًا عنه بسبب اعتبارنا الوفاء للأصل حقيقة واقعية، مع أنه أصبح حنينًا رومانسيًا منذ أزمان متباعدة، ومن المحقق أن الفكر السلفي سينفي وجود الانفصام المذكور على أساس تجربته الوجدانية، لكن باستشهاده بالوجدان يعترف ضمنيًا بصحة ما نقول، لأن التجربة الوجدانية لا تعمم نظريًا وتحليليًا، وإنما تتطلب اعتقاد الكشف"[1]. وعاد ليؤكد "أن الرجوع إلى نظريات الماضي والحفاظ على أصالة فارغة وهم يعوق التطور، وأن الماركسية هي ذلك النظام المنشود الذي يزودنا بمنطق العالم الحديث"[1].

• يقول العروي: "الأفضل لنا نحن العرب في وضعنا الثقافي الحالي أن نأخذ من ماركس معلماً ومرشداً نحو العلم والثقافة..." !! (محاورة فكر عبد الله العروي، ص١٩).

ويقول هذا الماركسي: "المطلوب إذن هو أن نعيد ماركس نفسه، ماركس الهيجلي الشاب، لنبدأ أولاً بالنقد الأيدلوجي، لنصفي حسابنا مع الفكر السلفي مثلما صفى ماركس حساباته مع الأيدلوجية الألمانية" !! (المرجع السابق، ص١٠٦).

---

(١) المرجع السابق ص ٦٠ – ٦١.

(٢) المرجع السابق ص ٦٣.

فالرجل بينه وبين المسلمين (السلفيين) تصفية حسابات !! .

ويواصل قائلاً: "لابد إذن من أن نعود القهقرى لنسلك الطريق نفسه الذي سلكته الماركسية" ! (المرجع السابق).

• يقول الأستاذ بسام الكردي: "الحقيقة أن المشروع الأيدلوجي الذي يقترحه الأستاذ العروي موجه كله ضد الفكر السلفي:

فاستيعاب الفكر الليبرالي من أجل اجتثاث الفكر السلفي، والماركسية تميع عبر تاريخانية مثالية وبراجماتية مبتذلة من أجل محاربة الفكر السلفي، وأخيرًا فإن المهمة الأساسية والمستعجلة معاً للنخبة المثقفة هي تحديد موقف قارّ من الفكر السلفي... إلى أن يقول الأستاذ بسام ـ: هل صحيح أن الفكر السلفي خطير إلى هذه الدرجة ؟ هل صحيح أنه وحده العائق الوحيد أمام التقدم والتحديث؟ وهل موقف العروي من الفكر السلفي خاصة ومن التراث عامة موقف علمي؟" (محاورة فكر عبد الله العروي، ص١٢٢).

• ومن أساليب هجوم هذا الماركسي على الإسلام أنه كثيرًا ما يردد بأن الإسلام لا يناسب العصر !! .

مثال ذلك قوله: "إن من يقول إن تطبيق الأيدلوجيا الإسلامية كما تفصل اليوم يؤدي إلى نظام ديمقراطي يعكس مضامين الكلمات، لكل واحد الحق أن يسمي النظام الذي يتمناه بأي اسم أراد، إلا أن ذلك النظام لا يمكن أن يكون، عصريًا" ! (محاورة فكر عبد الله العروي ، بسام الكردي ، ص ٣١ وانظر ص٦٥).

نظرة شرعية

في أدب

إيليا أبو ماضي



نظرة شرعية في أدب (إيليا أبو ماضي)

ترجمته[١]:

ولد إيليا أبو ماضي في قرية المحيدثة من قضاء المتن بلبنان، وكانت مدرسة القرية أول بيت علم دخله ونال من علمه ما استطاع نيله؛ وفي سنة ١٩٠٢ حدثته نفسه بالمهاجرة إلى أمريكا، فترك قريته وتوجه أولاً إلى الإسكندرية حيث كان له عم يتعاطى بيع السجاير! قال أبو ماضي في ذلك: "وفي الإسكندرية تعاطيتُ بيع السجاير في النهار في متجر عمي، وفي الليل كنتُ أدرس النحو والصرف تارة على نفسي، وتارة في بعض الكتاتيب". وهكذا راح يحصّل من العلم ما استطاع التحصيل، إلى أن كانت سنة ١٩١١ فأصدر ديوانه الأول بعنوان "تذكار الماضي" .

إلا أن الحياة في مصر لم تقدّم له كل ما كان يصبو إليه، وفي سنة ١٩١٢ يمم الولايات المتحدة التي جذبت الألوف من أبناء وطنه، واستقر في مدينة سنسناتي إلى جانب أخيه مراد يعمل في التجارة ويملأ أوقات فراغه بالدرس والمطالعة ونظم الشعر.

وفي سنة ١٩١٦ انتقل إلى نيويورك وإلى حياة الصحافة والأدب، فعُهد إليه في تحرير "المجلة العربية" .

وفي سنة ١٩١٨ عُهد إليه في تحرير مجلة "مرآة الغرب" لصاحبها نجيب دياب.

وفي سنة ١٩٢٩ أنشأ مجلة "السمير" وقد حوّلها سنة ١٩٣٦ إلى جريدة يومية.

---

(١) عن(الجامع في تاريخ الأدب العربي)لحنا الفاخوري (الأدب الحديث، ص ٥٩٠ ــ ٥٩١).

وكان في سنة ١٩٢٠ قد اشترك في تأسيس "الرابطة القلمية".

توفي عام ١٩٥٧م.

لمحة عنه :

• تميز إيليا أبو ماضي من بين شعراء عصره بأنه شاعر التفاؤل والأمل، يقول زهير ميرزا عنه: "التفاؤل نزعة إنسانية عميقة الجذور في نفس الشاعر" (إيليا أبو ماضي شاعر المهجر، ص:ب ،ص)، وألف عنه د. عبد المجيد الحر كتابًا سماه (إيليا أبو ماضي باعث الأمل ومفجر ينابيع التفاؤل)، وقال عنه خليل بوهومي :"لقد علمنا إيليا أبو ماضي كيف يكون الشباب المتجدد الطامح بالأمل، الطامح إلى نيل السؤدد والعلى" (إيليا أبو ماضي شاعر السؤال والجمال، ص٤-٥).

وقال أيضًا (ص٧٨) :"شاعر الابتسامة والأمل والتفاؤل".

وقال عنه طالب زكي طالب بأنه "ينظر إلى الحياة نظرة إيجابية، لا ترى إلا الجانب الجميل فيها" (إيليا أبو ماضي بين التجديد والتقليد، ص ١٥١).

قلت: والقصائد التفاؤلية لإيليا أبو ماضي كثيرة، حبذا لو استثمرها المسلم واستفاد من معانيها الجميلة، وسخرها لمعانٍ إسلامية سامية .

فمن ذلك قصيدته الشهيرة:

فلسفة الحياة:

أيهــذا الــشاكي ومــا بــك داء

كيــف تغــدو إذا غــدوت علــيلا؟

إن شــر الجنــاة في الأرض نفــسٌ

تتــوقى، قبــل الرحيــل، الــرحيلا

وتــرى الــشوك في الــورود،وتعمى
أن تـــرى فوقهـــا النـــدى إكلـــيلا
هـــو عـــبءٌ علـــى الحيـــاة ثقيـــل
من يظن الحيـــاة عبئاً ثقيـــــــلاً
والـــــذي نفـــــسه بغيرجمـــــالٍ
لا يـــرى في الوجـــود شـــيئاً جمـــيلاً
لـيس أشـقى ممـن يـرى العـيش مـرًا
ويظـــن اللـــذات فيـــه فـــضولا
أحكـــم النـــاس في الحيـــاة أنـــاسٌ
عللوهـــــا فأحـــــسنوا التعلـــــيلا
فتمتـــع بالـــصبح مـــا دمـــت فيـــه
لا تخـــف أن يـــزول حتـــى يـــزولا
وإذا مـــا أظـــل رأســـك هـــم
قـــصِّر البحـــث فيـــه كـــيلا يطـــولا
أدركـــتْ كنههـــا طيـــور الروابـــي
فمـــن العـــار أن تظـــل جهـــولا
مـــا تراهـــا والحقـــل ملـــك ســـواها
تـخـــذت فيـــه مـــسرحاً ومقيـــلاً
تتغنـــى، والـــصقر قـــد ملـــك الجـــو
عليهـــا، والـــصائدون الـــسبيلا

تتغنـــى، وقـــد رأت بعـــضها يـــؤ
خـــذ حيـــاً والـــبعض يقـــضي قتـــيلا
تتغنـــى، وعمرهـــا بعـــض عـــام
أفتبكـــي وقـــد تعيـــش طويـــلاً؟
فهـــي فـــوق الغـــصون في الفجـــر تتلـــو
ســـور الوجـــد والهـــوى تـــرتيلا
وهـــي طـــوراً علـــى الثـــرى واقعـــات
تلقـــط الحـــب أو تجـــر الـــذيولا
كلمـــا أمـــسك الغـــصون ســـكونٌ
صـــفقت للغـــصون حتـــى تميـــلا
فـــإذا ذهـــب الأصـــيل الروابـــي
وقفـــت فوقهـــا تنـــاجي الأصـــيلا
فاطلـــب اللـــهو مثلمـــا تطلـــب الأطيـــار
عنـــد الهجـــير ظـــلا ظلـــيلا
وتعلـــم حـــب الطبيعـــة منهـــا
واتـــرك القـــال للـــورى والقـــيلا
فالـــذي يتقـــي العـــواذل يلقـــى
كـــل حـــين في كـــل شـــخصٍ عـــذولا
أنـــت لـــلأرض أولاً وأخـــيرًا
كنـــت ملكًـــا أو كنـــت عبـــدًا ذلـــيلاً

لا خلـــودَ تحـــت الـــسماء لحـــي
فلمـــــاذا تـــــراود المـــــستحيلا؟
كـــل نجـــم إلى الأفـــول ولكـــن
آفـــة الـــنجم أن يخـــاف الأفـــولا
غايـــة الـــورد في الريـــاض ذبـــول
كـــن حكيمًـــا واســـبق إليـــه الـــذبولا
وإذا مـــا وجـــدت في الأرض ظـــلاً
فتفيـــــأ بـــــه إلى أن يحـــــولا
وتوقـــع، إذا الـــسماء اكفهـــرت
مطـــراً في الـــسهول يحيـــي الـــسهولا
قـــل لقـــوم يـــستنزفون المـــآقي
هـــل شـــفيتم مـــع البكـــاء غلـــيلا؟
مـــا أتينـــا إلى الحيـــاة لنـــشقى
فـــأريحوا، أهـــل العقـــول، العقـــولا
كـــل مـــن يجمـــع الهمـــوم عليـــه
أخذتـــه الهمـــوم أخـــذاً وبـــيلاً
كـــن هـــزاراً في عـــشه يتغنـــى
ومـــع الكبـــل لا يبـــالي الكبـــولا
لا غرابـــاً يطـــارد الـــدود في الأرض
ويومـــاً في الليـــل يبكـــي الطلـــولا

كن غديراً يسير في الأرض رقراقاً
فيسقي من جانبيه الحقولا
تستحم النجوم فيه ويلقى
كل شخص وكل شيء مثيلا
لا وعاء يقيد الماء حتى
تستحيل المياه فيه وحولا
كن مع الفجر نسمة توسع الأزهار
شمساً وتارة تقبيلا
لا سموماً من السوافي اللواتي
تملأ الأرض في الظلام عويلا
ومع الليل كوكباً يؤنس الغابات
والنهر والربى والسهولا
لا دجى يكره العوالم والناس
فيلقي على الجميع سدولا
أيهذا الشاكي وما بك داء
كن جميلاً تر الوجود جميلاً

وقصيدته الأخرى:

قال: "السماء كئيبة!" وتجهما
قلت:ابتسم يكفي التجهم في السما
قال: الصّبا ولى ! فقلت له: ابتسم
لن يرجع الأسف الصبا المتصرّما

قـــال: الليـــالي جـــرعتني علقمـــا
قلـــت: ابتـــسم ولـــئن جرعـــت العلقمـــا
فلعـــــل غـــــيرك إن رآك مرنّمـــــا
طـــرح الكآبـــة جانبـــاً وترنمـــا

.... الخ القصيدة الجميلة : تجدها في ديوانه (الخمائل)

انحرافات أبو ماضي :

١- أول انحراف للشاعر أبو ماضي هو نصرانيته !؛ لأنه ليس بعد الكفر ذنب كما هو معلوم .

٢- ورغم أن الكثيرين يعتقدون أن أبا ماضي لا يأبه بالأديان كلها، بل يدين بمذهب اللا أدرية ـ كما سيأتي ـ ومذهب اللذة الدنيوية، إلا أننا نجد تعصبه لنصرانيته لا يخفى في بعض قصائده!

فمن ذلك: قوله بعد احتلال الفرنسيين لسوريا مادحاً قائدهم[1]:

"ألا نـــبي"، لـــو طبعنـــا الـــشمس يومـــاً
وقلـــــدناكها ســـــيفاً صـــــفيحاً
ورصـــــعناه بالـــــشهب الـــــدراري
لمـــــا زدنـــــاك فخـــــرًا أو مـــــديحاً
لأنـــــك أشـــــجع الأبطـــــال طـــــراً
وأعظـــــم قـــــادة الـــــدنيا فتوحـــــا
إذا مـــــا مـــــر ذكـــــرك بـــــين قـــــوم
رأيـــــت أشـــــدهم عيـــــاً فـــــصيحا
فكـــــم داويـــــت ســـــوريا مريـــــضاً
وكـــــم أســـــقمت تركيـــــا صـــــحيحا

(١) كما في (إيليا أبو ماضي شاعر المهجر الأكبر، لزهير ميرزا، ص ٣٤١-٣٤٢).

وكم قد صنت في بيروت عرضا
وكم أمنت في الشهباء روحا
غضبت على "الهلال" فخر ذعراً
ولحت له فحاذر أن يلوحا
عصفت بهم فأمسى كل حصن
لخيل النصر ميداناً فسيحا
مشت بك همة فوق الثريا
فزلزلت المعاقل والصروحا
من الوادي إلى صحراء سينا
إلى أن زرت ذياك الضريحا
إلى بحر الجليل إلى دمشق
تطارد دونك التركي القبيحا
فكان الجند كلهم يسوعا
وكانت كل سوريا "أريحا"
فإن يكن المسيح فدى البرايا
فإنك أنت أنقذت المسيحا!

قلت: فانظر إلى مدى حقد الشاعر على الإسلام وأهله !

ومن ذلك قوله عندما احتلوا القدس!:

لله ما أحلى البشير وقوله
سقط الهلال إلى الحضيض ومالا!

ويرمز بالهلال إلى الإسلام !

٣- ومن انحرافاته: اعتناقه لمذهب (اللا أدرية) الشكاك الذين لا يدرون للحياة معنى ولا هدف، ولأجل هذا قال قصيدته الشهيرة

(الطلاسم) ، جاء فيها:

جئـــت لا أعلـــم مـــن أيـــن ولكـــني أتيـــت
ولقـــد أبـــصرت قـــدامي طريقًـــا فمـــشيت
وســـأبقى ماشـــيًا إن شـــئت هـــذا أم أبيـــت
كيف جئت؟كيف أبصرت طريقـي لـست أدري!

أجديـــد أم قـــديم أنـــا في هـــذا الوجـــود
هـــل أنـــا حـــر طليـــق أم أســـير في القيـــود
هـــل أنـــا قائـــد نفـــسي في حيـــاتي أم مقـــود
أتمنـــــى أنـــــني أدري ولكـــــن لـــــست أدري!

إلى أن يقول ملمحاً إلى أنه لم يجد سعادته وبغيته في الدين (ويعـني بـه الدين النصراني المحرّف! فلا تثريب عليه!):

قـد دخلـت الـدير عـن الفجـر كـالفجر الطـروب
وتركـت الـدير عنـد الليـل كالليـل الغـضوب
كـان في نفـسي كـرب، صـارفي نفـسي كـروب
أمـــن الـــدير أم الليـــل اكتئـــابي؟ لـــست أدري!

قـــد دخلـــت الـــدير أســـتنطق فيـــه الناســـكينا
فـــإذا القـــوم مـــن الحـــيرة مثلـــي باهتونـــا
غلـــب اليـــأس علـــيهم، فهـــم مستـــسلمونا
وإذا بالبـــاب مكتـــوب عليـــه... لـــست أدري!

٤- ومن ذلك: تصريحه بأنه لا يؤمن بالبعث بعد الموت، وسخريته

من ذلك! بقوله في الجداول (ص٣٤):

فقلت: أينهض من في القبور
وفوقهم التراب والجندل؟

أجاب الصدى ضاحكاً ساخراً
إلى كم تحار وكم تسأل؟

فمن حسب العيش دنيا وأخرى
فذا رجل عقله أحول!

وقوله[1]:

غلط القائلون إنا خالدون
كلنا بعد الردى هيٌّ بن بيّ

٥- ومن انحرافاته إنكاره لجهنم ! كما في قوله في الخمائل (ص٥٢):

عبدوا الإله لمغنمٍ يرجونه وعبدت ربك لست تطلب مغنما
كم روَّعوا بجهنمٍ أرواحنا فتألمت من قبل أن تتألما
زعموا الإله أعدها لعذابنا حاشا؛ وربك رحمة، أن يظلما
ليست جهنم غير فكرة تاجر الله لم يخلق لنا إلا السما !

٦- ومن انحرافاته أنه شابه إخوانه من أدباء المهجر في اعتناقه لمبدأ التناسخ!، يقول أبو ماضي:

لا تجزعي فالموت ليس يضيرنا فلنا أياب بعده ونشور
فسترجعين خميلة معطارة أنا في ذراها بلبل مسحور
أو جدولا مترقرقا مترنما أنا فيه موج ضاحك وخرير

---

(١) إيليا أبو ماضي شاعر السؤال والجمال، لخليل بوهومي، ص ٨٥.

أو تـــرجعين فراشـــة خطـــارة أنا في جناحيها الضحى الموشـور
أو نـسمة أنـا همـسها وحفيفهـا أبداً تطـوف في الربـى وتـدور[١]

٧- ومن انحرافاته: أخذه بمبدأ اللذة ، كما في قوله[٢] :

قـــم بـــادر اللـــذات قبـــل فواتهـــا
مـــا كـــل يـــوم مثــــــل هـــذا موســـمُ

أخيراً: فقد صرح أبو ماضي في مقابلته مع الأديب محمد قـرة علـي عندما زار لبنان عام ١٩٤٧م بأنه " لم يؤمن يومًا واحدًا " [٣] !!

والله أعلم ، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

---

(١) الجداول (ص ١٨١).

(٢) انظر: (إيليا أبو ماضي بين التجديد والتقليد) لطالب زكي طالب، ص ١٥٤.

(٣) إيليا أبو ماضي شاعر السؤال والجمال ، ص ١٠٩ – ١١٢.



نظرة شرعية

في أدب

يوسف إدريس



نظرة شرعية في أدب (يوسف إدريس)

ترجمته[1]:

هو: يوسف إدريس علي، كاتب قصص، مسرحي، وروائي.

ولادته: ١٩٢٧ في البيروم (قرب دمياط)، مصر.

وفاته: ١/٨/١٩٩١، عن ٦٤ سنة .

ثقافته: حائز على بكالوريوس في الطب، ١٩٤٧-١٩٥١؛ تخصص في الطب النفساني.

حياته في سطور: طبيب بالقصر العيني، القاهرة، ١٩٥١-١٩٦٠؛ حاول ممارسة الطب النفساني سنة ١٩٥٦، مفتش صحة، صحفي محرر بالجمهورية، ١٩٦٠، كاتب بجريدة الأهرام، ١٩٧٣ حتى عام ١٩٨٢. حصل على كل من وسام الجزائر (١٩٦١) ووسام الجمهورية (١٩٦٣ و ١٩٦٧) ووسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى (١٩٨٠). سافر عدة مرات إلى جل العالم العربي وزار (بين ١٩٥٣ و ١٩٨٠) كلاً من فرنسا، إنجلترا، أمريكا واليابان وتايلندا وسنغافورة وبلاد جنوب شرق آسيا. عضو كل من نادي القصة وجمعية الأدباء واتحاد الكتاب ونادي القلم الدولي. متزوج وله ثلاثة أولاد.

السيرة:

ولد يوسف إدريس في ١٩ مايو ١٩٢٧ وكان والده متخصصاً في استصلاح الأراضي ولذا كان متأثرًا بكثرة تنقل والده وعاش بعيدًا عن المدينة وقد أرسل ابنه الكبير (يوسف) ليعيش مع جدته في القرية.

---

(١) نقلاً عن (أعلام الأدب العربي المعاصر) لروبرت كامبل (٢/٢٣٣-٢٣٧).

ولما كانت الكيمياء والعلوم تجتذب يوسف فقد أراد أن يكون طبيباً. وفي سنوات دراسته بكلية الطب اشترك في مظاهرات كثيرة ضد المستعمرين البريطانيين ونظام الملك فاروق. وفي ١٩٥١ صار السكرتير التنفيذي للجنة الدفاع عند الطلبة، ثم سكرتيراً للجنة الطلبة. وبهذه الصفة نشر مجلات ثورية وسجن وأبعد عن الدراسة عدة أشهر. وكان أثناء دراسته للطب قد حاول كتابة قصته القصيرة الأولى، التي لاقت شهرة كبيرة بين زملائه.

ومنذ سنوات الدراسة الجامعية وهو يحاول نشر كتاباته. وبدأت قصصه القصيرة تظهر في المصري وروز اليوسف. وفي ١٩٥٤ ظهرت مجموعته أرخص الليالي. وفي ١٩٥٦ حاول ممارسة الطب النفسي ولكنه لم يلبث أن تخلى عن هذا الموضوع وواصل مهنة الطب حتى ١٩٦٠ إلى أن انسحب منها وعين محرراً بجريدة الجمهورية وقام بأسفار في العالم العربي فيما بين ١٩٥٦-١٩٦٠.

وفي ١٩٥٧ تزوج يوسف إدريس.

وفي ١٩٦١ انضم إلى المناضلين الجزائريين في الجبال وحارب معارك استقلالهم ستة أشهر وأصيب بجرح وأهداه الجزائريون وساماً إعراباً عن تقديرهم لجهوده في سبيلهم وعاد إلى مصر، وقد صار صحفياً معترفاً به حيث نشر روايات قصصية، وقصصاً قصيرة، ومسرحيات.

وفي ١٩٦٣ حصل على وسام الجمهورية واعترف به ككاتب من أهم كتّاب عصره. إلا أن النجاح والتقدير أو الاعتراف لم يخلّصه من انشغاله بالقضايا السياسية، وظل مثابراً على التعبير عن رأيه بصراحة، ونشر في ١٩٦٩ المخططين منتقداً فيها نظام عبد الناصر ومنعت

المسرحية، وإن ظلت قصصه القصيرة ومسرحياته غير السياسية تنشر في القاهرة وفي بيروت. وفي ١٩٧٢، اختفى من الساحة العامة، على أثر تعليقات له علنية ضد الوضع السياسي في عصر السادات ولم يعد للظهور إلا بعد حرب أكتوبر ١٩٧٣ عندما أصبح من كبار كتّاب جريدة الأهرام.

مؤلفاته:

(أ) قصص:

١- أرخص الليالي، القاهرة، سلسلة "الكتاب الذهبي"، روزاليوسف، ودار النشر القومي، ١٩٥٤.

٢- جمهورية فرحات، قصص ورواية قصة حب، القاهرة، سلسلة "الكتاب الذهبي" روز اليوسف، ١٩٥٦. مع مقدمة لطه حسين. صدرت جمهورية فرحات بعد ذلك مستقلة، ثم مع ملك القطن، القاهرة، دار النشر القومية، ١٩٥٧. وفي هذه المجموعة رواية: قصة حب التي نُشرت بعدها مستقلة في كتاب صادر عن دار الكاتب المصري بالقاهرة.

٣- البطل، القاهرة، دار الفكر، ١٩٥٧.

٤- حادثة شرف، بيروت، دار الآداب، والقاهرة، عالم الكتب، ١٩٥٨.

٥- أليس كذلك؟، القاهرة، مركز كتب الشرق الأوسط، ١٩٥٨. وصدرت بعدها تحت عنوان: قاع المدينة، عن الدار نفسها.

٦- آخر الدنيا، القاهرة، سلسلة "الكتاب الذهبي" روز اليوسف، ١٩٦١.

٧- العسكري الأسود، القاهرة، دار المعارف، ١٩٦٢؛ وبيروت، دار

الوطن العربي، ١٩٧٥ مع رجال وثيران والسيدة فيينا.

٨- قاع المدينة، القاهرة، مركز كتب الشرق الأوسط، ١٩٦٤.

٩- لغة الآي آي، القاهرة، سلسلة "الكتاب الذهبي" ، روز اليوسف، ١٩٦٥.

١٠- النداهة، القاهرة، سلسلة "رواية الهلال"، دار الهلال، ١٩٦٩؛ ط٢ تحت عنوان مسحوق الهمس، بيروت، دار الطليعة، ١٩٧٠.

١١- بيت من لحم، القاهرة، عالم الكتب، ١٩٧١.

١٢- المؤلفات الكاملة، ج ١: القصص القصيرة، القاهرة، عالم الكتب، ١٩٧١.

١٣- ليلة صيف، بيروت، دار العودة، د.ت. والكتاب بمجمله مأخوذ من مجموعة: أليس كذلك؟

١٤- أنا سلطان قانون الوجود، القاهرة، مكتبة غريب، ١٩٨٠.

١٥- أقتلها، القاهرة، مكتبة مصر، ١٩٨٢.

١٦- العتب على النظر، القاهرة، مركز الأهرام، ١٩٨٧.

(ب) روايات:

١- الحرام، القاهرة، سلسلة "الكتاب الفضي"، دار الهلال، ١٩٥٩.

٢- العيب، القاهرة، سلسلة "الكتاب الذهبي"، دار الهلال، ١٩٦٢.

٣- رجال وثيران، القاهرة، المؤسسة المصرية العامة، ١٩٦٤.

٤- البيضاء، بيروت، دار الطليعة، ١٩٧٠.

٥- السيدة فيينا، بيروت، دار العودة ١٩٧٧. (انظر رقم ٥ أعلاه) .

٦- نيويورك ٨٠، القاهرة، مكتبة مصر، ١٩٨٠.

(ج) مسرحيات:

١- ملك القطن (و) جمهورية فرحات، القاهرة، المؤسسة القومية. ١٩٥٧ مسرحيتان.

٢- اللحظة الحرجة، القاهرة، سلسلة "الكتاب الفضي"، روز اليوسف، ١٩٥٨.

٣- الفرافير، القاهرة، دار التحرير، ١٩٦٤. مع مقدمة عن المسرح المصري.

٤- المهزلة الأرضية، القاهرة سلسلة "مجلة المسرح" ١٩٦٦.

٥- المخططين، القاهرة، مجلة المسرح، ١٩٦٩. مسرحية باللهجة القاهرية.

٦- الجنس الثالث، القاهرة، عالم الكتب، ١٩٧١.

٧- نحو مسرح عربي، بيروت، دار الوطن العربي، ١٩٧٤. ويضم الكتاب النصوص الكاملة لمسرحياته: جمهورية فرحات، ملك القطن، اللحظة الحرجة، الفرافير، المهزلة الأرضية، المخططين والجنس الثالث.

٨- البهلوان، القاهرة، مكتبة مصر، ١٩٨٣.

(د) مقالات:

١- بصراحة غير مطلقة، القاهرة، سلسلة "كتاب الهلال" ، ١٩٦٨.

٢- مفكرة يوسف إدريس، القاهرة، مكتبة غريب، ١٩٧١.

٣- اكتشاف قارة، القاهرة، سلسلة "كتاب الهلال"، ١٩٧٢.

٤- الإرادة، القاهرة، مكتبة غريب، ١٩٧٧.

٥- عن عمد اسمع تسمع، القاهرة، مكتبة غريب، ١٩٨٠.

٦- شاهد عصره، القاهرة، مكتبة مصر، ١٩٨٢.

٧- "جبرتي" الستينات، القاهرة، مكتبة مصر، ١٩٨٣.

٨- البحث عن السادات، طرابلس (ليبيا)، المنشأة العامة. ١٩٨٤.
٩- أهمية أن نتثقف .. يا ناس، القاهرة، دار المستقبل العربي، ١٩٨٥.
١٠- فقر الفكر وفكر الفقر، القاهرة، دار المستقبل العربي، ١٩٨٥.
١١- خلو البال، القاهرة، دار المعارف، ١٩٨٦.
١٢- انطباعيات مستفزة، القاهرة، مركز الأهرام للترجمة والنشر، ١٩٨٦.
١٣- الأب الغائب، القاهرة، مكتبة مصر، ١٩٨٧.
١٤- عزف منفرد، القاهرة، دار الشروق، ١٩٨٧.
١٥- الإسلام بلا ضفاف، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٩.
١٦- مدينة الملائكة، القاهرة، الهيئة المصرية...، ١٩٨٩.
١٧- الإيدز العربي، القاهرة، دار المستقبل العربي، ١٩٨٩.
١٨- على فوهة بركان، محمود فوزي، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، ١٩٩١. حوار.
١٩- ذكريات يوسف إدريس، القاهرة، المركز المصري العربي للنشر والصحافة والتوزيع، ١٩٩١.

لمحة عنه:

يعد يوسف إدريس أحد كتاب القصة من أصحاب التوجه (الشيوعي) (الاشتراكي)، من الذين يرون الحل الأمثل للبلاد الإسلامية أن تقوم بتطبيق (الشيوعية الاشتراكية)، ولهذا فقد سخر فنه لنشر هذا الكفر الخبيث، من خلال تركيزه في رواياته وقصصه على الجانب

الاقتصادي، وأنه هو الأساس لما عداه، وشحن تلكم القصص والروايات بالجنس والترويج له، والتعاطف مع البغايا والمومسات والتماس الأعذار لهن، وفق فلسفته الاشتراكية.

يقول الدكتور عبد الحميد القط: "إن يوسف إدريس كان شيوعياً منذ التحق بالجامعة، وذاك قبل سنة ١٩٥٢" (يوسف إدريس والفن القصصي، ص ١٢٩).

أما الدكتور أحمد هيكل فيصفه بأنه "اشتراكي يعالج هموم الطبقات الكادحة" (المرجع السابق، ص١٣١).

ويقول صاحب كتاب "الإبداع القصصي عند يوسف إدريس" بأن إدريس "يؤمن بأن الهدف النهائي هو خلق المجتمع الاشتراكي" (ص ٧٨).

ويقول الدكتور شاكر النابلسي عنه: "كان شيوعياً" (مباهج الحرية في الرواية العربية، ص٢٣٧).

وبين أن انفصاله عن الشيوعيين بعد عام ١٩٥٨ لا يعني تخليه عن الاشتراكية، بل "ظل يؤمن بالاشتراكية" (المرجع السابق، ص٢٣٨).

وتقول الدكتور نادية فرج "نشأ يوسف إدريس في الفترة السابقة على ثورة عبد الناصر، ومثل معاصريه ثار إدريس ضد مظالم الإدارة الاستعمارية والأرستقراطية الفاسدة، وعلى رأسها الملك فاروق. وكما ذكرنا آنفاً، اشترك يوسف إدريس وهو طالب في المظاهرات، سنة ١٩٥١، وكان يومئذ سكرتير لجنة الطلبة. فأسهم بنصيب ملحوظ في ثورة الطلبة، ونشر بالمجلات مقالات تعبر عن آرائه. ولما نجحت ثورة عبد الناصر ابتهج بنجاحها ورحب بقيامها، ولكنه ـ كان شأنه شأن جميع الثوريين والمثقفين (بما فيهم عبد الناصر نفسه) ـ كان ينشد العثور

على أيديولوجية جديدة تلائم احتياجات وطنه وتصلح المظالم التي يقاسي منها الشعب.

وبدت الاشتراكية الجواب الشافي من كل هذه الآلام والشرور التي سادت الفترة السابقة على الثورة. وفي مسرحية يوسف إدريس الأولى" ملك القطن" صور كفاح الفلاحين ضد مالك الأرض. ورسم العذاب الذي عاناه الفلاحون باحترام عميق، بحيث لا يسع المتفرج إلا المشاركة في هذا الألم الإنساني. وفي هذه المسرحية تبدو الاشتراكية الحل لما ابتلي به الفلاحون.

وفي سنة ١٩٥٦ نجد دعوة أخرى إلى تحطيم الرأسمالية وانتصار الاشتراكية في مسرحية يوسف إدريس "جمهورية فرحات". وفيها يروي البطل "فرحات" حلمه بجمهورية كاملة يتشارك الجميع. تحت ظلالها في الصحة والصحة والثروة والتعليم، فهو حلم بيوتو بيار ومانسية.

وفي ذلك الحين بدأ معروفاً في مصر أن يوسف إدريس يبحث عن نظام جديد، وحلم باشتراكية يتسنى في إطارها الحصول بسرعة على المساواة والديمقراطية والحرية والازدهار واحترام الذات والكرامة. وذهب إلى حد الانخراط في الحزب الشيوعي، ظناً منه أن هذه أسرع وسيلة لتحقيق حلمه"(يوسف إدريس والمسرح المصري الحديث، ص ١٣٩-١٤٠).

قلت: ولأجل هذا فقد اصطبغت روايات وقصص يوسف إدريس بالصبغة الاشتراكية (في معظمها) ؛ من حيث ادعاء الوقوف مع الطبقة الكادحة والمظلومين، والإغراق في قصص الجنس ومحاولة ترويجه، والتعاطف مع البغايا والمومسات والواقعين في الحرام بأنواعه.

• مما لاحظه المتابعون على يوسف إدريس (تلونه) و(تقلبه خلف

المصلحة). ومما يشهد لهذا :

أنه "في الخمسينيات والستينيات كان أحد رموز اليسار ثم وجدناه في عهد السادات الذي عادى اليسار وقصص جوانحه وجدناه يغير اتجاهه فكان أقرب ما يكون للتأييد.. لكنه بعد موت السادات ألف كتابه المصادر: (البحث عن السادات) ولا أدري لماذا لم ينشره في عهد (الرئيس) حتى ولو خارج مصر إن كان يؤمن بما قاله في كتابه!، وبعد عودة الأحزاب وجدناه يعود إلى ركاب (حزب الوفد) مؤيداً! (المجلة العربية، العدد ١٤٩).

ومن ذلك: أنه حينما يزور السعودية يكيل المديح لها كيلاً، لكننا نفاجأ أحياناً بتهجمات منه عليها، بلا مبرر، كما في كتابه (فقر الفكر وفكر الفقر) وكتاب (عزف منفرد) وكتاب (جبرتي الستينات، ص١٢٤ وما بعدها).

وقد اعترف هو بهذا التلون؛ وإن كان قد ادعى أنه يدور مع الحق !!، فهو لما سئل عن ما يلاحظ عليه من تقلب بين اليسارية والرأسمالية قال :"أنا أدافع عن الحق، ولو أن الرأسمالية معها حق فأنا بالتالي معها، ولو أن الاشتراكيين معهم حق فأنا معهم" ! (مجلة أكتوبر، العدد ٦٥٨، نقلاً عن المجلة العربية، العدد ١٤٩).

انحرافاته:

١- أعظم انحرافاته: أنه اتخذ من (الفكر الشيوعي الاشتراكي) أيدلوجية له في أعماله، ومعلومٌ الحكم الشرعي لهذه النحلة الخبيثة المعادية للإسلام وأهله، والداعية إلى أنواع كثيرة من المحرمات، على رأسها الكفر بالله، والاستهزاء بشرعه .

٢- من انحرافاته: إغراقه الفاحش في الجنس وتصويره في قصصه ورواياته في صورة نظيفة أو مدافع عنها، مع التماس العذر للبغايا والمومسات والساقطات في قصصه.

يقول الدكتور عبد الحميد القط بأن إدريس :"يتخذ الجنس أداة لهدم كل قداسة تحيط بالقيم الاجتماعية السائدة التي يراها تتنافى مع روح العصر"!(يوسف إدريس والفن القصصي، ص ١٥٤ ـ ١٥٥).

ويقول :" نرى الكاتب كثيراً ما تصطبغ أعماله ـ وبخاصة القصصية ـ صبغة جنسية صارخة، حيث يتخذ من عنصر الجنس محوراً أساسياً تدور حوله القصة" (المرجع السابق، ص١٥٥) .

ويوسف إدريس يصور ـ كما سبق ـ سقوط البغايا والفاجرات بأنه سقوط حتمي نتيجة للظروف الاقتصادية ! مدافعاً عنه أشد الدفاع، ومتعاطفاً مع أصحابه.

يقول الدكتور القط: "إننا يجب أن نتوقف قليلاً عند موضوع "السقوط" عنده، لأنه موضوع متكرر، نراه في "قاع المدينة" ١٩٥٨ وفي "الحرام" ١٩٥٩، وفي "حادثة شرف" ١٩٥٩ وفي "السيدة فينا" مجموعة "العسكري الأسود" ١٩٦٢ وفي رواية "العيب،١٩٦٢ وفي "الستارة" و"الغريب" مجموعة آخر الدنيا، و"في هذه المرة" في مجموعة "لغة الآي آي" وفي "النداهة"، و" العملية الكبرى"، و"دستور . يا سيدة" مجموعة النداهة ١٩٦٩، وفي "بيت من لحم" ، و"أكان لابد ياليلى أن تضيئي النور" ويلاحظ أن السقوط عنده يمثل حتمية طبيعية في بعض الأحيان مما يقربه من زولا ويبعده عن اتجاه الواقعيين إلى حد ما. وتتضح هذه الحتمية في قصة "النداهة" حيث تشعره المرأة أنها ستسقط لا محالة. فهي

رغم تجنبها للأفندي تشعر بأن لحظة السقوط آتية لا ريب فيها. مما لا يتيح لها فرصة الحركة الحرة. ومما يجعلها تستسلم للأفندي، وإن كان ذلك الاستسلام يتم رغماً عنها. ولا تسقط المرأة عنده بإرادتها، إلا نادراً، بينما يغلب على السقوط أنه نوع من الاغتصاب. يظهر ذلك في قاع المدينة حيث تسقط "شهرت" مكرهة بعد أن حاول المستشار إغواءها: مراراً. ولكنها تحترف الدعارة بعد ذلك، من تلقاء نفسها تحت وطأة الظروف الاقتصادية السيئة التي تمر بها.

وتسقط "عزيزة" في رواية "الحرام" مصادفة، ورغم إرادتها، بين أحضان محمد بن قمرين الذي تقاومه مقاومة عنيفة، عندما أراد العدوان عليها أول مرة، ولكنها تستسلم له في المرة الثانية. وتقاوم فاطمة في "حادثة شرف" غريب، ولكن المجتمع الفضولي المتطفل المحيط بها يهدر كرامتها، ويدفعها إلى السقوط. وتكون "سناء" في "العيب" شخصية متماسكة ومثالية. ولكن الظروف المحيطة بها تدفعها إلى السقوط دفعاً، أو بعبارة أدق تدفعها إلى الارتشاء دفعاً، فما تعيشه من أزمة اقتصادية، وعلاقة غير طبيعية في العمل مع زملائها، وزميلاتها، يدفعها في النهاية إلى الارتشاء ثم السقوط. لأنها تريد أن تتشبه بهم في فسادهم وسقوطهم وانحرافهم وتتضح الحتمية الطبيعية في سقوطها، وكأن المؤلف يقرر أن مثل تلك الظروف تؤدي حتماً إلى السقوط.

وفي "بيت من لحم" نلاحظ أن سقوط الفتاة "الوسطى" يعد سلوكاً طبيعياً في مثل ظروفها الاقتصادية والاجتماعية" (المرجع السابق، ص ١٥٢-١٥٣).

قلت: ومن ذلك أنه في رواية (الحرام) يهدف ـ كما يقول الدكتور

القط - إلى أن "البشر جميعاً يرتكبون الحرام، فإن ظل سراً خفياً فلا جناح عليهم من ارتكابه، أما إذا ظهر فلا بد من تجريم مرتكبيه" (المرجع السابق، ص٦).

ويقول أيضاً:" تتناول رواية (العيب) أثر العامل الاقتصادي على سلوك الأفراد بخاصة المرأة، فالبطلة "سناء" تتحول من إنسان نظيف له مبادئه وقيمه التي يعتز بها، إلى مجرد ساقطة. وقد كان موقفها من الرشوة يعتبر مؤشراً على مدى قبولها لمداعبات "الجندي" المبتذلة، والتي تمثل الجنس بكل وضوح، فعندما ترفض الرشوة، ترفض في الوقت نفسه محاولاته لإقامة علاقة عاطفية معها، وعندما تتورط في الارتشاء تعرض نفسها على الجندي عرضاً رخيصاً". (المرجع السابق، ص٦).

أما رواية (قصة حب) فيصور فيها إدريس المرأة المتحررة من الشرع، بأجمل صورة وأبهاها، في شخصية (فوزية) المتحررة.

وكذلك فعل في روايته (البيضاء) عندما صور (سانتي) اليونانية الأصل مثالاً بهياً للمرأة العصرية المتحررة التي ينبغي على النساء محاكاتها في تصرفاتها العصرية مع صاحبها الطبيب (يحي)، حيث كانت وهي المتزوجة! "تذهب معه إلى شقته وتتحدث معه، وتشرب معه القهوة والسجائر، وتسمع منه ما يكتب لها من خطابات عاطفية، أو تقرأ هي ما كان يكتب لها من خطابات عاطفية، وتستمع معه إلى مقطوعات (موزارت) و(رحمانوف) وتناقشه في أمور كثيرة عامة، وهي واثقة من نفسها، دون خوف أو وجل، كأي صديق آخر" !! (مباهج الحرية في الرواية العربية، د. شاكر النابلسي، ص٢٤٩).

ومع هذا كله - كما يزعم إدريس - حمت نفسها من السقوط مع

صاحبها!!.

فهي دعوة إلى تهييج النساء على الاختلاط المحرم والتبذل مع الأجانب، بدعوى أن شخصية المرأة القوية وإرادتها هي التي تحميها من السقوط ومن أرادت عكس هذا، فلن تنفعها الاحتياطات التي يعملها المتشددون!!

وهو في روايته هذه ـ كما يقول شاكر النابلسي ـ: "يربط بين ضرورة الحرية الجنسية وبين الحرية العامة، كشرط من شروط الحرية الإنسانية العامة، ومنها حرية الوطن والمواطن في مختلف مجالات الحياة" (المرجع السابق، ص ٢٥٢).

٣- ومن انحرافاته: رده للأحاديث الصحيحة بعقله القاصر، فمن ذلك أنه رد حديث: "إذا وقع الذباب في إناء أحدكم" الذي رواه البخاري، وقال عنه: "هذا حديث غير علمي" !! (يوسف إدريس على فوهة بركان، محمود فوزي، ص٤٤).

٤- ومن انحرافاته: قوله "إنه لا يرى تطبيق الشريعة الإسلامية" ! ثم يقول معللاً "لكون من سيطبقها بشر، حتى ولو كانوا فقهاء فهم عرضة لأخطاء البشر وأهوائهم" !! (المجلة العربية، العدد ١٤٩).

٥- ومن انحرافاته: قوله : في كتاب "جبرتي الستينات": "أظننا جميعاً نعرف الأسطورة التي تقول إن سيدنا سليمان مات وهو واقف مرتكز على عصاه، ومع هذا بقيت الجن والإنس والحيوانات تعمل خوفاً منه واعتقاداً منها أنه لا يزال حياً" !! (ص ٩٦).

وما يسميه أسطورة هو ما ذكره الله في كتابه العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه! قال تعالى عن سليمان ـ عليه السلام ـ ﴿

فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴾.

٦- ومن انحرافاته: زيارته لما يسميه "العتبات المقدسة في النجف وكربلاء والكوفة"!! (المرجع السابق، ص ١٤٥). يفعل هذا مداهنة للرافضة، وتعاطفاً معهم. وسيأتي تعاطفه ومداهنته للنصارى!، مما يشهد بخفه دين الرجل، وأنه لا يعرف ولاءً ولا براءً، إنما يسير خلف أهوائه وعقله.

٧- ومن انحرافاته: ترحمه على النصراني (الكافر) سلامة موسى!! (كما في المرجع السابق، ص ٦٨).

٨- ومن انحرافاته: استجابته للنصراني "الأب!! ميخائيل زيادة" عندما كان يعالج في أمريكا، لما دعاه "للذهاب إلى الكنيسة المصرية يوم الأحد....لكي يدعو لي الرب أن يأخذ بيدي"!! (مفكرة د.يوسف إدريس: الإرادة، ص٢٨). ثم اعترف بأنه صلى صلاتهم ! ولكنه قرأ فيها "﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ " !! ـ نعوذ بالله من حاله ـ.

٩- ومن انحرافاته: تشنيعه وذمه للجماعات الإسلامية، (كما في كتابه السابق، ص ١٦١-١٦٢).

١٠- ومن انحرافاته: حزنه الشديد على وفاة الشيوعي الصيني الشهير (ماوتسي تونج)، وقوله عنه :"إن ماوتسي تونج كان أستاذي، أعظم أساتذتي على الإطلاق" !! (المرجع السابق، ص ١٩٥).

بل إنه من جنونه بهذا الشيوعي نشر مقالاً في جريدة الأهرام بتاريخ ١٧/ ٩/ ١٩٧٦م بعنوان "المسلم ... ماوتسي تونج" !! وقد ردت عليه

مجلة المجتمع الكويتية ـ جزاهم الله خيراً ـ (انظر: المجتمع، عدد ٣٢٠) .

١١- ومن انحرافاته: قوله :"التراث سخيف، وليس فيه شيء للقراءة" "يجب أن نحرق كتب التراث؛ لأنها كلها تحريفات وزخارف لغوية" !! (مقابلة مع مجلة البلاغ البيروتية، نقلاً عن مجلة المجتمع، العدد ١٨٣، وقد ردت عليه مشكورة).

١٢ـ ومن انحرافاته : قوله في المقابلة السابقة: "إن الكاتب هو نبي العصر الحديث، وكل الأنبياء كانوا كتاباً" !!

ملحق في رد البهنساوي عليه:

قال المستشار سالم البهنساوي في كتابه (تهافت العلمانية في الصحافة العربية) (ص ٢٣١-٢٣٣): " نشرت جريدة الأهرام مقالاً للدكتور "يوسف إدريس" بعنوان "جولة في عقول القراء" وذلك بتاريخ ٥/ ١/ ١٩٨٥.

وهذا المقال ذكر فيه لب الخلاف حول تطبيق الشريعة الإسلامية فقال: (لب الموضوع أن أحداً لا ينادي أبداً بعدم تطبيق الشريعة الإلهية الإسلامية، إنه يكون مجنوناً لو فعل ذلك، فالشرائع السماوية كلها وعلى رأسها الإسلام؛ فوق أنها أمر الله ـ ﷻ ـ إلا أنها لم تأت إلا لتقيم العدل السياسي بمبدأ الشورى، والعدل الاقتصادي بمبدأ الزكاة، والعدل الاجتماعي بالمساواة التامة بين البشر. من هو المجنون الذي يعترض على شريعة الله؟).

ثم قال (إنما المشكلة أن الشريعة حقاً وصدقاً شريعة الله ولكن من يطبق تلك الشريعة؟ أليسوا هم البشر) وانتهى إلى أن نقد أقوال هؤلاء لا تعني الاعتراض على شريعة الله؛ لأن هؤلاء بشر يخطئون ويصيبون

ليست لهم عصمة.

ولقد ضرب مثلاً لذلك بالخلاف في تطبيق مبدأ الشورى أو الديمقراطية، فقال الدكتور يوسف إدريس:

أ- يرى الأستاذ "خالد محمد خالد" حتمية تطبيق الديمقراطية حتى تكون الأمة هي مصدر السلطات.

ب- وقال: يجيء شيخنا الكبير الأستاذ "عمر التلمساني" ليعطي تفسيراً مختلفاً باعتبار أن فكرة الديمقراطية نفسها فكرة غير إسلامية.

ج- ثم قال: إن الأستاذ "عمر عبد الرحمن" يرى شيئاً ثالثاً مختلفاً تماماً فيقول إن الأمة ليست مصدر السلطات.

وانتهى الدكتور يوسف من ضربه لهذه الأمثال ولما يعرض في البرامج الدينية في التلفزيون والإذاعة، انتهى إلى أنه اكتشف أن غسيلاً يجري للمخ العربي والمصري حول المفاهيم الشرعية، ونادى بعلاج هذه الظاهرة ونقدها لأن البشر الذين يطبقون الشريعة لا يتنزل عليهم الوحي من السماء حتى يكون رأيهم هو حكم الله الذي لا اعتراض عليه.

الخلاف الرفيع وتحديد المفاهيم[1] :

لهذا وإذا قمنا نساهم في هذا الحوار فيجب أن نحدد سبب الخلاف،

---

(١) نشر هذا المقال في جريدة اللواء الأردنية بتاريخ ١٩٨٧/٥/٢٦ بعد أن ظل لدى الدكتور يوسف إدريس أكثر من عام وبعد أن رفضت بعض الصحف الكويتية نشره، ولكن الدكتور يوسف إدريس في مقاله المنشور بالأهرام يوم ١٩٨٨/٢/٨ ذكر أنه كان يعترض على الآراء المؤدية إلى نبذ العلم والتكنولوجيا، وأن ما شاهده من أعمال شباب الجماعات الإسلامية يجعله يقول: اللهم إن كان التيار الإسلامي هكذا، فأنا أول المنضمين إليه، فإذا شئتم حزباً يبشر بهذا ويعمل به، يخاطب العقل فينا وينهرنا عن الغوغائية فحذوني معكم".

وأن نقبل جميعاً الحوار العلمي ورحم الله الإمام الشافعي إذ يقول: رأينا صواب يحتمل الخطأ ورأى غيرنا خطأ يحتمل الصواب.

إن الخلاف القائم بين العلماء المعاصرين حول موقف الإسلام من النظام الديمقراطي، ليس نابعاً في حقيقته من عدم وضوح الحكم الإسلامي في هذه المسألة، بل نبع الخلاف من اختلاف هؤلاء في أمر الديمقراطية نفسها، ولهذا يُقرر فقهاء الأصول في الفقه الإسلامي قاعدة هامة هي أن الحكم على الشيء فرع من تصوره.

لهذا فمن تصور الديمقراطية من جانب واحد هو أنها تخول أغلبية النواب الحق في إصدار التشريع الذي يرونه، حتى لو أباح الزنا والشذوذ كما هو كائن في بعض العواصم الأوروبية من تصور ذلك قال: إن الديمقراطية تتعارض مع الإسلام حيث أن أحكام الحلال والحرام وردت قطعية في القرآن والسنة ولا يحل التغيير والتبديل فيها حيث قال الله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾[1].

أما من تصور الديمقراطية من جانبها الآخر، وهو أنها تخول الشعب عن طريق نوابه حق تعيين الحاكم ومحاسبته وعزله وحق إصدار القوانين فيما لا يتعارض مع الدستور الإسلامي، فقال إن الديمقراطية نظام إسلامي واستند في ذلك إلى قول الله تعالى ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾[2] وإلى قول النبي - ﷺ -" لا يحل لثلاثة نفر يكونون بأرض فلاة إلا أمروا

---

(١) سورة الأحزاب الآية (٣٦) .

(٢) سورة الشورى الآية (٣٨) .

عليهم أحدهم" (١)

وهذا الخلاف لا وجود له في ظل الدستور الذي ينص على أن الشريعة الإسلامية هي المصدر الرئيسي للتشريع؛ لأن من قواعد النظام الديمقراطي، قاعدة دستورية القوانين، ومن مقتضاها عدم جواز إصدار قانون يخالف الدستور، وعدم جواز إصدار لائحة أو قرار يخالف القانون ولا يخفى على أولي الفقه والرأي أن كل أمة وكل شعب يضع لنفسه مقومات أساسية، ليتضمنها دستور هذه الأمة الذي يلتزم به النواب والحكام والقضاة، فلا يجوز إصدار ما يخالفه، ولهذا فالدول التي اختارت الماركسية مذهباً اجتماعياً يحظر دستورها إصدار قانون يخالف هذا المذهب. والدول التي اختارت المذهب الرأسمالي، يتضمن دستورها نصاً يحظر إصدار قوانين تخالف هذا المذهب أي تغير المجتمع ليصبح شيوعياً.

وعلى هذا الأساس فاختيار الديمقراطية في المجتمع الإسلامي يكون مسبوقاً بدستور ينص على أن الشريعة الإسلامية هي المصدر الرئيسي للتشريع، ويحدد حقوق الأمة وحقوق الحاكم وواجباته بما لا يخرج عن القواعد المجمع عليها بين فقهاء المسلمين، ومن بينها أن المال في الإسلام وظيفة اجتماعية فليس لأصحابه الحق المخول لنظرائهم في النظم الرأسمالية ولهذا فرض الإسلام الزكاة وحرم الاحتكار، وحمى حقوق الفقراء والمستضعفين في المال العام، وهذا ما عبّر عنه النبي - ﷺ - بقوله "لا حمى إلا لله ولرسوله"، كما جعل الإسلام في المال حقوقاً أخرى غير الزكاة حسبما فصله الفقهاء المسلمون.

---

(١) سنن أبي داود الحديث ٢٦٠٨، ٢٦٠٩.

ومن هذه القواعد أن تطبيق الإسلام لا يبدأ بالحدود وإنما يسبقه توفير المأكل والملبس والمسكن للمواطنين، وتوفير سبل تكوين الأسرة، ولهذا لم يقم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ـ ﷺ ـ بإقامة الحد على اثنين من العمال سرقا من مال مخدومهما لأنه لم يوفر لهما سبل العيش مما اضطرهما للسرقة.

وأمير المؤمنين لم يوقف حد السرقة كما يفهم البعض خطأ، بل طبق الشروط والموانع الشرعية بالتالي إعمالاً لهذه الموانع لم يطبق الحد على هؤلاء" انتهى.

نظرة شرعية
في فكر
نوال السعداوي



نظرة شرعية في فكر (نوال السعداوي)

ترجمتها:[(١)]

- هي نوال السيد السعداوي: أبرز داعيات تحرير المرأة في عالمنا اليوم .
- ولدت عام ١٩٣١م بالقاهرة.
- تعلمت في مدرسة منوف الابتدائية ١٩٣٩-١٩٤٣م فمدرسة حلوان الثانوية ١٩٤٣-١٩٤٨م.
- دخلت كلية الطب في قصر العيني بالقاهرة ١٩٤٩-١٩٥٤م.
- ثم في جامعة كولومبيا، نيويورك، ١٩٦٥-١٩٦٦م.
- أبرز مناصبها:
- طبيبة في مستشفيات القاهرة والريف المصري ١٩٥٦-١٩٦٧م.
- مديرة عامة للصحة العامة في وزارة الصحة بالقاهرة ١٩٦٧-١٩٧٢م.
- خبيرة في الأمم المتحدة في أفريقيا والمنطقة العربية ١٩٧٨-١٩٨٠م.
- عضو كل من نقابة الأطباء المصرية، واتحاد الأدباء في مصر، والجمعية الأدبية المصرية، وجمعية الثقافة الصحية بمصر، والاتحاد الدولي للدفاع عن حقوق المرأة، والاتحاد الدولي للثقافة الصحية، واتحاد خريجات الجامعة في مصر، والاتحاد الدولي لخريجات الجامعة.
- متزوجة ولها: ابن وابنة.

---

(١) ينظر: موسوعة أعلام العرب المبدعين! في القرن العشرين، (١ / ٥٣٧ ــ ٥٤١).

- مقيمة في المنفى حالياً . ومتفرغة للكتابة.

مؤلفاها:

أ- قصص:

١- تعلمت الحب، القاهرة ، مكتبة النهضة، ١٩٦١.

٢- حنان قليل ، القاهرة، روز اليوسف، ١٩٦١.

٣- لحظة صدق، القاهرة، روز اليوسف، ١٩٦٢.

٤- الخيط والجدار، وقصص أخرى، القاهرة، دار الشعب، ١٩٧٢. مع مقدمة لعلي الراعي.

٥- كانت هي أضعف، بيروت، دار الآداب، ١٩٧٩؛ ط٢، القاهرة، مكتبة مدبولي، ١٩٨٣.

٦- موت معالي الوزير سابقاً، بيروت، دار الآداب، ١٩٨٠، القاهرة مكتبة مدبولي؛ ط١٩٨٣،٢.

ب- روايات:

١- مذكرات طبيبة، القاهرة دار المعارف، ١٩٦٥.

٢- الغائب، القاهرة، المؤسسة المصرية للكتاب، ١٩٦٧؛ ط٢، بيروت، دار الآداب، ١٩٨٠.

٣- الباحثة عن الحب، القاهرة، المؤسسة المصرية للكتاب، ١٩٧٠. ونُشر أيضاً بعنوان امرأتان في امرأة، بيروت، دار الآداب، ١٩٧٧.

٤- موت الرجل الوحيد على الأرض، بيروت، دار الآداب، ١٩٧٦.

٥- امرأة عند نقطة الصفر، بيروت، دار الآداب، ١٩٧٧.

٦- أغنية الأطفال الدائرية، بيروت، دار الآداب، ١٩٧٨.

٧- الخيط وعين الحياة: روايتان قصيرتان، القاهرة، مكتبة مدبولي، ١٩٨٣.

٨- سقوط الإمام، القاهرة، دار المستقبل العربي. ١٩٧٨.

٩- مذكرات طفلة اسمها سُعاد، القاهرة، منشورات تضامن المرأة العربية، ١٩٩٠.

١٠ـ الحب في زمن النفط: القاهرة، مكتبة مدبولي، ١٩٩٢.

ج- دراسات، مسرحيات، مذكرات:

١- المرأة والجنس، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٧١.

٢- الأنثى هي الأصل، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٧٤.

٣- المرأة والصراع النفسي، بيروت ١٩٧٧. القاهرة مكتبة مدبولي، ١٩٨٣.

٤- الوجه العاري للمرأة العربية، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٧٧.

٥- قضية المرأة المصرية السياسية والجنسية، القاهرة، دار الثقافة الجديدة، ١٩٧٧.

٦- الرجل والجنس، القاهرة، مكتبة مدبولي، ١٩٧٧.

٧- الإنسان: اثني عشر امرأة في زنزانة واحدة، القاهرة، مكتبة مدبولي، ١٩٨٣. مسرحية.

٨- مذكراتي في سجن النساء، القاهرة، دار المستقبل العربي، ١٩٨٤.

٩- دراسات عن المرأة والرجل في المجتمع العربي، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٦.

١٠- ايزيس، مسرحية من فصلين، القاهرة، دار المستقبل العربي، ١٩٨٦.

١١- رحلاتي حول العالم، القاهرة، دار الهلال، ١٩٨٦.

١٢- عن المرأة، القاهرة، دار المستقبل العربي، ١٩٨٨.

١٣- عن تضامن المرأة العربية، القاهرة، منشورات تضامن المرأة العربية، ١٩٨٩.

١٤- معركة جديدة في قضية المرأة، القاهر' سينا للنشر، ١٩٩٢.

عن المؤلفة:

١- الحوادث، ١٨/ ١٠/ ١٩٨٥، ص ٨٥-٨٦ مقابلة.

٢- الأدب من الداخل، لجورج طرابيشي، دار الطليعة، ١٩٧٨. دراسات في أدب نوال السعداوي.

٣- أنثى ضد الأنوثة، لطرابيشي أيضاً، بيروت، دار الطليعة، ١٩٨٥(؟) دراسة نقدية في أعمال نوال السعداوي.

ملخص فكرها: تدور جميع كتبها وقصصها ومقالاتها على فكرة (تحرير) المرأة من حدود الشريعة، والدعوة إلى مساواتها (في جميع الأمور) بالرجل، بل إنها تغلو في ذلك غلواً عظيماً يستنكره عليها متحررو الرجال قبل غيرهم!.

وتلجأ في سبيل الوصول إلى فكرتها هذه إلى الكذب والتهويل والدعاوى العريضة . وخطواتها في ذلك كالتالي:

- تمجيد الفراعنة والإدعاء بأنهم قد سبقوا الأديان السماوية !!

ولذلك فقد وصلت المرأة عندهم إلى أن تكون (إلهةً) (الوجه العاري. ص١٦-٢٢) وأن الدين نشأ من عندهم ! (الوجه العاري. ص٢٨).

- ثم جاءت الأديان السماوية ـ بزعمها ـ واستفادت مما قبلها! إلا أنها حطت من شأن المرأة وأعلت من سلطة الذكور (ص ٢٧).

وساعد على ذلك كما تقول السعداوي: (أن المرأة البدائية انشغلت بولادة الأطفال في تلك الفترات التي تطلبت زيادة كبيرة في النسل.. الخ) الهراء (الوجه العاري ص ٣٣).

- لهذا فإنه يكثر في كلامها تمجيد الفراعنة، والطعن في الأديان السماوية وعلى رأسها الإسلام ـ كما سيأتي ـ مدعية بأن الأديان قد خفضت من مكانة المرأة ـ والعياذ بالله ـ.

كفريات نوال السعداوي:

وهي ـ قبحها الله ـ من أشد المنحرفين والمنحرفات تصريحاً بكفرها وزندقتها . فتجدها تطعن وتسخر من الله ـ ﷻ ـ بصراحة عجيبة، وتنتقد أحكام الإسلام المتعلقة بالمرأة وترفضها بوضوح. وإليك شيئاً من كفرياتها وبذاءاتها .

١- تقول في مقال لها (طويل) في مجلة (إبداع!) (عدد شعبان ١٤١٩هـ) تحت عنوان (رواية السيرة الذاتية)[1]:

(١) وأنا قد اخترت ـ عمداً ـ هذا المقال؛ لأنه يحتوي على كفريات كثيرة صريحة وقعت من الدكتورة لا يمكن لمسلم يفقه دينه أن يفوه بها. فأعتذر مسبقاً عن إزعاج أسماعكم وأبصاركم بهذه البذاءات والكفريات؛ فإن ناقل الكفر ليس بكافر؛ ولكي يفيق بعض من قد ينخدع بزخارفها من المسلمات اللواتي لا يعلمن كفرياتها عندما يرين ذلك، فيعلمن أيَّ مهوىً سحيق تهوي بمن فيه الدكتورة.

"منذ علمتني أمي الحروف عرفت تكوين كلمة ذات معنى هي اسمي، بدأت أكتبها كل يوم، أربعة حروف متشابكة "نوال"، أحببت شكل الاسم ومعناه النوال أو العطاء، ارتبط بي أصبح جزءاً مني، عرفت اسم أمي "زينب" كتبته إلى جوار اسمي فوق كراستي الصغيرة، أحببت شكل الاسمين معاً ومعناهما كما أحببت نفسي وأمي. أكبر حب في حياتي منذ ولدت كان لنفسي ولأمي، بعد ذلك يأتي الآخرون، منهم أبي، شطب على اسم أمي، ووضع اسمه إلى جوار اسمي، ثم وضع اسم أبيه "السعداوي"، رجل مات قبل أن أولد.

ودار في عقلي السؤال: لماذا يشطب أبي اسم أمي؟ ولدتني أرضعتني علمتني الكتابة ترعاني كل يوم؟! يضع مكانه اسم رجل غريب لم أره في حياتي مات قبل أن أولد؟ كرهت اسم الرجل "السعداوي" يلغي اسم أمي من الوجود، سألت أبي عن السبب فقال لي إنها إرادة الله.

كلمة "الله" سمعتها لأول مرة في حياتي من أبي، عرفت أنه يسكن السماء، هو المسئول عن شطب اسم أمي، لم يكن لي أن أحب من يشطب أمي واسمها زينب، أحبها باسمها، جسمها، شكلها، أصابعها الحانية الدافئة تداعب وجهي كشعاع الشمس، صوتها يناديني في الصبح، كل يوم جديد تعلمني كلمات جديدة.

كان لي أخ أكبر مني بعام واحد، كان بليداً في المدرسة وفي البيت، لا يفعل شيئاً إلا اللعب والصراخ والنوم والأكل، لا يرتب سريره ولا يغسل صحنه، أنا أصغر منه مع ذلك أرتب له سريره وأغسل صحنه، أتفوق عليه في واجبات المدرسة وأعمال البيت.

أبي كان يحبه أكثر مني، يدلله ويشتري له طيارة بزنبلك، وبسكليته.

في العيد يعطيه ضعف ما آخذ من قروش أو ملاليم، حين أسأل أبي: لماذا؟ يقول: الله قال في كتابه الكريم "البنت نصف الولد"(١).

أصبح الله هو المسئول عن التفرقة بيني وبين أخي دون وجه حق، كما أصبح المسئول عن شطب اسم أمي دون وجه حق أيضاً.

قال أبي: إن الله هو الحق، لم أفهم هذه العبارة فكتبت رسالة إلى الله أسأله، كانت أول رسالة أكتبها في حياتي، بدأت كالآتي: يا ربي إذا كنت أنت الحق فلماذا تفرق بيني وبين أخي ولماذا تفرق بين أبي وأمي؟

قالت أمي: إن الله لا يقرأ ولا يكتب، كنت أظن أنه كتب القرآن، أبي يسميه كتاب الله، لم أرسل إلى الله رسالة أخرى، أصبحت أوجه الرسائل إلى أبي، كنت أدرك الصلة بينه وبين الله.

كانت رسائلي إلى أبي لا تصل إليه أحرقها قبل أن أرسلها، كما حرقت رسالتي الأولى إلى الله. بدأت أدرك أن الله يملك ناراً حمراء تحرق جلود الناس، تتجدد الجلود بعد الحرق لتحرق مرة أخرى، يستمر الحرق إلى مالا نهاية، عرفت أن مصيري النار لأني أسأل الله، المفروض أن الله لا يسأل عن شيء، فهو يفعل ما يشاء دون أن يحق لمخلوق أن يوجه إليه سؤالاً.

قال أبي: إن الله هو الخالق الكامل، جميع أعماله كاملة، خلق أجسادنا على أحسن تقويم، وجاءت الداية بالموس في ليلة مظلمة وأنا في السادسة من العمر، قطعت عضواً من جسدي قالت إنه أمر الله، لم أستطع أن أسأل الله كيف يأمر بقطع عضو خلقه في أجسادنا، سألت

---

(١) تشير الفاجرة إلى قوله تعالى (للذكر مثل حظ الأنثيين)، وهو اعتراض على حكم الله الذي لم تفقه حكمته بأسلوب ساخر.

أبي فقال: إن عملية الختان سنة عن رسول الله وليست فرضاً لأنها لم ترد في كتاب الله، ولم أعرف ما الفرق بين السنة والفرض، ورقدت في الفراش أنزف بعد انصراف الداية صاحبة الموس، نزفت أكثر من أسبوعين، الألم كالنار التي تحرق بعد الموت، شفيت بعد ثلاثة أسابيع، نسيت الحادث ربع قرن من الزمان، حتى تخرجت في كلية الطب واشتغلت طبيبة في الريف، بدأت أرى الدايات بأمواسهن الملوثة تقطع في أجساد البنات الأطفال، ينزف الجرح حتى الموت أو ينز الدم والصديد، يترك في جسد كل طفلة عاهة مستديمة.

لم نتعلم في كلية الطب شيئاً عن الختان. لم تكن أعضاء المرأة الجنسية ضمن المقرر، فقط الأعضاء التناسلية والمجاري البولية، أما تلك الأعضاء التي تتعلق باللذة الجنسية أو الرذيلة فهي غير موجودة في كتب الطب الإنجليزية أو العربية.

في طفولتي المبكرة لم أعرف ما هي الرذيلة، قال أبي إن الشيطان مسئول عنها واسمه إبليس، أصبحت أراه في الحلم على شكل رجل يهمس في أذني باللذة المحرمة، التي تحولت إلى ألم يرتبط على نحو ما بالعضو المبتور بالموس في جسدي.

كنت أرى الله أيضاً في أحلامي على شكل رجل يحذرني من إبليس، لم أعرف كيف أفرق بين الله وإبليس، كلاهما أراه في الحلم على شكل الرجل.

في التاسعة من عمري وقع لي حادث آخر مؤلم، نزيف دموي أصابني من حيث لا أدري، أشد خطراً من حادث الختان، لأنه يتكرر لمدة أربعة أيام كل شهر. لا ينقطع عني إلا بعد أن يبلغ عمري نصف

قرن، ورد ذكره في كتاب الله إنه "أذى" بمعنى النجاسة، على الرجال أن يهجروا النساء في هذه الأيام حتى يطهرن .

كنت أنكمش في الركن بعيداً عن الناس أخفي الألم في ذاكرتي، لم يكن لي أن أسأل سؤالاً دون أن أمس المقدس، الله في سمائه العلياء، أما إبليس فقد قرأت قصته في المدرسة. أمره الله بالسجود لآدم فرفض، قصة لا علاقة لها بالختان أو الحيض أو آلامي الجسدية والنفسية. أدركت وأنا في العاشرة من العمر أن إبليس برئ على نحو ما)!

وتقول: (في الثالثة عشر من عمري كنت تلميذة بالمدرسة الثانوية في حلوان. طلب منا أحمد أفندي مدرس اللغة العربية أن نكتب شيئاً من الذاكرة في كراسة الإنشاء، كانت ذاكرتي الطفولية قد اندثرت تحت اسم المحرم، الجنس أو الدين، نسيتهما مع أحداث طفولتي بما فيها الحب الأول وأنا في العاشرة من العمر، ومفهوم الشرف يتعلق بغشاء خلقه الله في أجساد البنات فقط، لم يخلقه في أجساد الأولاد لأن الذكور ليس لهم شرف يتعلق بشيء في أجسادهم.

كتبت لأحمد أفندي في كراسة الإنشاء سيرة ذاتية لطفلة اسمها سعاد. غيرت اسمي واسم أبي وجدي السعداوي حتى لا يدرك أحمد أفندي أنني أكتب عن نفسي، تفاديت المحرمات الكبيرة التي تتعلق بالرءوس الكبيرة مثل أبي والله وجدي وعمي الشيخ محمد وخالي يحيي وزكريا وغيرهم من الذكور.

إلا أن ذاكرتي اللاإرادية كانت تتسرب من بين السطور، في المساحات الخالية بين السطر والسطر، كنت أكتب على سطر وأترك سطراً خالياً يتسع لأي شيء، وقد سألت سعاد أباها سؤالاً لم أسأله

لأبي، وهو كيف ينفذ الله من خلال الجدران ويراها في دورة المياه؟ كانت سعاد تخجل من رفع ملابسها، تتصور أن الله رجل يطل عليها من السقف، قال لها أبوها إن الله ليس ذكراً أو أنثى وهو روح بلا جسد، كان أبوها يخاطب الروح بصيغة المؤنث فيقول الروح لا يعلمها أحد، وبدأت سعاد تخاطب الله بصيغة المؤنث باعتباره روحاً، غضب أبوها، أمرها أن تشطب على صيغة المؤنث، مع ذلك كان يؤكد لها أن الله روح فقط يختلف عن الإنسان الذي يملك الروح والجسد، تصورت سعاد أن الإنسان يملك أكثر مما يملكه الله، لأن عنده الجسد أيضاً بالإضافة إلى الروح) .

وتقول: (بدأت في تلك الفترة من شتاء ١٠٥٩ أكتب سيرتي الذاتية تحت عنوان "مذكرات فتاة غير عادية". كنت أشتغل طبيبة جراحة في مستشفى الصدر بالجيزة، وعيادتي الطبية في ميدان الجيزة، أتحمل في البيت مسئولية لا يتحملها الرجال، في المستشفى والعيادة أعالج الرجال والنساء، أنقذ أرواحهم وأجسادهم من الموت، إلا أن القانون والشرع يراني نصف رجل، لا أستطيع أن أدلي بشهادة المحكمة كإنسانة كاملة، ليس لي حق الولاية على أخواتي القاصرات، لا يمكن لي السفر دون إذن مكتوب من زوجي، يملك حقوقاً لا أملكها منها الطلاق، تعدد الزوجات، ما يسمى "قوامة الرجل" على المرأة رغم أنني أتحمل مسئولية الإنفاق.

رفضت كل هذا كان معي المنطق والعدل والحق. إلا أن الشرع والدين لم يكن معي، هنا اصطدمت بالمقدس.

بدأت أبحث كيف نشأ هذا المقدس في التاريخ. وصلت إلى الحضارة

المصرية القديمة، كانت الإلهة الأنثى رمز المعرفة والعدل والصحة، الإلهة "سخمت" نقيبة الأطباء في مصر منذ سبعة آلاف عام، "معات" هي رئيسة القضاء وإلهة العدل، لا يمكن للمرأة أن تكون قاضية اليوم.

في طفولتي سمعت أبي يقول: الجنة تحت أقدام الأمهات، أحد النصوص المقدسة بعد موت أمي رأيتها في الحلم تعاني الوحدة والحزن في حياتها الجديدة بالجنة. كان أبي مخلصاً لها طوال حياته، في الجنة تخلى عن هذا الإخلاص تركها وحيدة وانشغل بالعذروات والحوريات، يشف بياضهن من تحت الساق، له منهن اثنين وسبعين حورية، تعود الواحدة منهن عذراء تمزق الغشاء، ليتمزق من جديد كالجلود المحروقة في النار تتجدد.

كان أبي رقيق الطبع فهل يتحول بعد الموت إلى آلة ذكورية شديدة القسوة والغباء لا عمل لها إلا تمزيق أغشية العذروات؟ أمي حكت لي آلامها ليلة الزفاف، هذا الألم تعرفه كل امرأة فكيف تتكرر هذه المأساة كل ليلة؟

ألا تكون النار أفضل للنساء من الجنة؟ وكيف تتحول أمي إلى عذراء بعد أن ولدت تسعة من العيال؟).

ومن أقوالها الكفرية ـ أخزاها الله ـ:

(لتذهب وزارة الصحة إلى الجحيم، لا أريد أن أبقى فيها ولا أريد السفر، كل ما أريد هو أن أحاجج الرب كما حاججه سيدنا أيوب، عندي من الصبر ما كان عنده ويزيد...) (أوراقي حياتي ٢/ ١٦٠).

(في الليل تحوطني أختي بذراعيها، تنشج بصوت مكتوم، وتحكي قصة أمها. زارها الله في الحلم وحملت منه مثل مريم العذراء..) (سقوط

الإمام،٢٣).

(لم يكن لجسد أمي عورة إلا الثدي الواحد، كالإله ذو الثدي الواحد..). (السابق،١٦٦)

(أصحو من النوم والدنيا ظلام. جسمي مبلل بالعرق وله رائحة الله). (السابق، ٢٣).

(أغمضت عيني لأنام، رائحة الله في أنفي). (السابق، ٢٣-٢٤).

وفي حوار لها مع صاحبها النصراني ! قال لها: (أتؤمنين بالله يا دكتورة نوال؟).

قالت: (منذ الطفولة يدور السؤال في رأسي، أخاف أن أقول: لا أؤمن، وإذا قلت: أؤمن، أخشى ألا أكون صادقة) (أوراقي حياتي ٢/ ١٥٤).

طعونها في الإسلام وشرائعه:

تقول: (كان المجتمع العربي كغيره من المجتمعات الإنسانية يتحول تدريجياً من النظام الأموي إلى النظام الأبوي بازدياد سلطة الرجل واحتكاره للأنشطة الاقتصادية، وبانحسار دور المرأة خارج البيت أو في أعمال الإنتاج، وبمساندة الدين الإسلامي للنظام الأبوي). (الوجه العاري، ٦٥).

(وقد ظهر الإسلام أيضاً في مجتمع أبوي قائم على الملكية الفردية، ونظام الطبقات والأسياد والعبيد؛ فأصبحت السلطة في الإسلام للرجل). (السابق،٥١).

(استمدت الأديان السماوية مبادئها الخاصة بالمرأة من الأنظمة الأبوية الطبقية القائمة على الأسياد والعبيد والجواري). (السابق، ٤٧).

(إن قانون الزواج والطلاق والنسب والإرث والولاية لا زال يعطي

الرجل السيادة على المرأة) . . (السابق، ٢١١).

(إن قانون الزواج والطلاق في مجتمعنا العربي ليس إلا أحد بقايا قوانين الإقطاع الأبوية التي تجعل الزوجة كقطعة الأرض يمتلكها الرجل ملكية تامة، يفعل بها ما يشاء...) (السابق، ٢٣٥).

(من أهم المشاكل التي لا تزال تعترض المرأة العربية بالنسبة للعمل هو قوانين الزواج المتخلفة، التي لا تزال تعطي الزوج حق منع زوجته من العمل أو السفر أو الخروج من البيت حينما يريد). (السابق، ١٩٤).

(يتضح لنا من هذا القانون أن الزوج أيضاً يستطيع ألا يعترف بشرعية طفله لمجرد استخدامه لكلمات اللعان، رغم صحة عقد الزواج وصحة مدة الحمل، ورغم أن زوجته تقسم بأنه هو الأب) (السابق، ٢٩٧).

(إن الثقافة الإسلامية أو العربية ليست هي الثقافة الوحيدة التي حولت المرأة إلى سلعة أو عبدة) (السابق، ٧).

(هكذا ظلت المرأة العربية المسلمة جزءً من ممتلكات الرجل، ولا زالت معظم البلاد العربية بما فيها مصر تحكم على نسائها بهذه القوانين الجائرة في الزواج حتى اليوم) (السابق، ٥٧).

(الإسلام أعطى المرأة حقوقاً جديدة، وسلبها من حقوق قديمة) (السابق،٨).

(تتضمن الأديان الكبرى في العالم مبادئ متشابهة من حيث تبعية المرأة للرجل، وتمتع الإله بصفات ذكورية، وتثبيت القيم الطبقية، وسلطة الذكر في البيت والمجتمع) (السابق، ٧).

طعونها في الرسول ﷺ:

تقول المجرمة: (لولا كتاب التوراة ما عاش النبي موسى أو اليهودية. لولا كتاب الإنجيل ما عاش المسيح أو المسيحية. لولا كتاب القرآن ما عاش النبي محمد أو الإسلام.

ألهذا السبب كانت الكتابة محرمة على النساء والعبيد؟!) (اوراقي حياتي ٢/ ٧).

(إن النبي نفسه محمد رسول الله لم يستطع أن يعدل بين زوجاته، إذ كان يقضي منه أن يقسم ليله بالتساوي بين زوجاته، بحيث لا تجور واحدة على ليلة الأخرى، إلا أن محمداً كان بشراً، ولم يكن في وسعه دائماً أن يحقق هذا التقسيم العادل، فقد كان يفضل زوجته عائشة) (الوجه العاري ٢١٩).

(لم يكن محمد يُرغم الزوجة أن تعيش مع زوجها إذا رغبت الانفصال عنه. وقد أعطى محمد زوجاته حرية البقاء معه أو الانفصال عنه بعد أن حالت ظروف حياته في فترة من الفترات أن يوفي حاجتهن الجنسية) (السابق ٦٩).

قدحها في النبي (لوط) عليه السلام:

حيث تتابع أحبابها اليهود في اتهامه بالزنا !! والعياذ بالله:

تقول ـ قاتلها الله ـ:

(برغم القيود على المرأة فقد كان الرجل متعدد الزوجات يمارس الجنس مع زوجاته وإمائه، بل وبناته أحياناً ، فقد اضطجعت ابنتا "لوط" مع أبيهما نفسه، وحملتا منه)!!(السابق ٤٨).

طعنها في الصحابي الجليل عمر بن الخطاب ـ ﷺ ـ تقول:

(من هنا يتضح كيف ترك عمر بن الخطاب وأمثاله من رجال العرب من ذوي النزعة الأبوية المتسلطة بصماتهم على كثير من الأحكام التي تُفرض على النساء العربيات اليوم باسم الإسلام) (السابق ٦٨).

(لا شك أن أغلبية الرجال العرب قد نهجوا منهج عمر بن الخطاب في التسلط على المرأة) (السابق ٦٧).

ادعاؤها التناقض في شريعة الله !

تقول: (ولأن أحاديث وآيات القرآن لم تصدر كلها في يوم وليلة وإنما صدرت في ظروف ومناسبات متعددة ومختلفة، ومن أجل أن تتناسب مع المجتمع العربي في زمن معين، كل ذلك جعل هذه الأحاديث والآيات تشتمل أحياناً على أوامر متناقضة، وبالذات فما يختص بالمرأة). (السابق ٢١٦).

سخريتها من الشريعة:

تقول: (كل أربعاء كانت الندوة تنعقد في عيادتي بميدان الجيزة، يحضرها عدد من الأدباء والشعراء، كانت هناك نهضة أدبية في نهاية الخمسينات وبداية الستينات مع النهضة السياسية، كنا في ربيع العمر نتغنى بمبادئ الاشتراكية) (اوراقي حياتي ٢/ ١٧٤).

وتقول لصديقها: (لم نكن نؤمن بالمؤسسة الزوجية، نسخر معاً من قانون الزواج، العقد المكتوب يشبه عقود تأجير الدكاكين، كنا نعيش في مدينة القاهرة بدون ختم الدولة النسر لا يلتقي الرجل والمرأة إلا وثالثهما الشيطان) (السابق ٢/ ٩-١٠).

آدم وحواء أسطورة عند الدكتورة !!

تقول: (لا تختلف أسطورة آدم وحواء كثيراً عن أسطورة أزيس وزيوس، اللهم إلا أن أسطورة آدم وحواء جاءت في الكتب السماوية المقدسة، فاكتسبت بذلك قدسية تبعد الكثيرين عن مناقشتها مناقشة عقلية موضوعية) (الوجه العاري ١٨).

إيمانها بنظرية دارون !

تقول: (إن تاريخ الإنسان الأول الذي تطور عبر ملايين السنين من فصيلة معينة من القرود يحتوي على حقائق هامة..... الخ) (السابق ٢٥).

دعوتها إلى تعدد الأزواج !!

تقول: (إن فرض زوج واحد على المرأة لم يكن يُشبع حاجاتها الجنسية، بالإضافة إلى أن هذا الزوج لم يكن لها وحدها، وإنما كانت تشترك معها فيه رغبة نساء أخريات، فقد أصبح نصيب المرأة من الجنس ضئيلاً جداً، لا يزيد عن جزء من نصيب ٤٤ رجل، وهو أمر كان يتعارض بطبيعة الحال مع إشباع رغبة المرأة البدائية القوية.

وقد قاومت المرأة بالضرورة هذا القيد لتمارس حياتها الطبيعية، قاوم الرجل بالطبع مقاومة المرأة بقوانين أشد صرامة منها القتل للخيانة الزوجية ...الخ) (السابق ٤٤).

تهييجها النساء المسلمات على التمرد !

تقول: (لكن الحرية لها ثمن، تدفعه المرأة المتحررة من صحتها وراحتها، ونظرة المجتمع المعادية لها. لكن المرأة أيضاً تدفع ثمن العبودية والخضوع من صحتها وشخصيتها ومستقبلها، والأفضل للمرأة أن تدفع الثمن وتكون حرة، على أن تدفع الثمن وتظل عبدة) (السابق ٢٥٠).

الفراعنة هم أول من اكتشف التوحيد !!

تقول: (الفراعنة المصريون هم أول من اكتشف الدين، هم سادة التوحيد والروحانية...) (اوراقي حياتي ٢/ ١٢).

وهذا ـ كما هو معلوم ـ مناقض لقوله تعالى: ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً ﴾ (١) أي على التوحيد الخالص لله، كما هو حال أبويهم آدم وحواء، إلى أن حدث الشرك قال ابن عباس ـ ﷺ ـ في تفسير الآية السابقة:

(كانوا من آدم إلى نوح على التوحيد) .

وكلام الدكتورة الكاذبة مناقض لحال الفراعنة الذين كانوا مشهورين بعبادة فرعون! كما في قصة موسى ـ عليه السلام ـ، ومشهورين بالشرك كما في قصة يوسف ـ عليه السلام ـ ودعوته لهم إلى التوحيد.

ولكنه الكذب والتعصب من الدكتورة لأسلافها الفراعنة ! حشرها الله معهم !

الدكتورة تدعو إلى الاشتراكية:

تقول: (التاريخ يدلنا على أن الثورات الاشتراكية وحروب التحرير تُسرع بعملية تحرير المرأة في الشرق) . (الوجه العاري ٨).

وتقول: (إن تحرير المرأة لن يتم إلا في ظل مجتمع اشتراكي) (السابق ١٨١).

وانظر: (ص ١٥٨، ٢٠٩، ٢٠٦، ٢٥٣) من كتابها (الوجه العاري).

---

(١) سورة البقرة الآية (٢١٣).

الخلاصة: أن الدكتورة:

١- من (غلاة) الداعيات إلى تحرير المرأة المسلمة من الشريعة.

٢- أنها تسخر من الإسلام وشرائعه ولا تأخذ بها.

٣- أنها تُصدر الكلمات القبيحة في حق الله - ﷻ - وحق أنبيائه - عليهم السلام -.

٤- أنها من الداعيات إلى الاشتراكية المعارضة للدين.

٥- أنها تؤمن بنظرية دارون الباطلة.

٦- أنها مهووسة جنسياً!! بدعوتها إلى تعدد الأزواج، أو الاستخفاف بالزواج ومساواته بالزنا !

٧- أنها تكذب وتغالط في سبيل دعوتها.

فالواجب على من ولاه الله أمر المسلمين أن تأخذه الحمية والغيرة له ولدينه ولرسوله ﷺ، بأن يقف من هذه المرأة موقفًا حازمًا.

وليتق الله أصحاب القنوات الفضائية من الترويج لفكرها المنحل المنحرف؛ لئلا يحملوا وزر من يضل من نساء المسلمين بسببها كما قال - ﷻ -: ﴿ لِيَحْمِلُوٓا۟ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴾[1] وليتذكروا قوله تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ ﴾[2] أسأل الله أن يهدينا صراطه المستقيم، وأن يُفرح قلوبنا بتنفيذ حكم الله في المرتدين والمرتدات، وأن يُسلط عليهم ولاة أمور المسلمين .

---

(١) سورة النحل الآية ٢٥.

(٢) سورة هود الآية ١١٣.

نظرة شرعية

في فكر

فرج فوده



نظرة شرعية في فكر (فرج فوده)

ترجمته[١]:

- هو: فرج بن علي فوده
- من مواليد الزرقاء ـ دمياط، في ٢٠ أغسطس ١٩٤٥م.
- حصل على بكالوريوس الزراعة عام ١٩٦٧، ثم الماجستير عام ١٩٧٥م.
- حصل على دكتوراه الفلسفة في الاقتصاد الزراعي من جامعة عين شمس عام ١٩٨١م.
- عمل مدرساً بزراعة بغداد، ثم خبيراً اقتصادياً في بعض بيوت الخبرة العالمية.
- ثم أصبح يملك ويدير (مجموعة فودة الاستثمارية)
- انضم إلى حزب الوفد ثم انفصل عنه ـ كما يأتي ـ فأصدر كتاباً بعنوان (الوفد والمستقبل) شنع فيه على الحزب ودعا قارئه إلى عدم الانضمام إليه!.
- (اغتيل إثر مناقشة علنية بين طرفين: أحدهما إسلامي، والآخر علماني. وكان هو من الطرف العلماني.

وكانت البداية في صراعه مع الشيخ صلاح أبو إسماعيل، عندما كانا في حزب الوفد عام ١٩٨٤، حيث أصر فرج فوده على علمانية ـ أي لا دينية ـ الوفد، بينما أصر الشيخ صلاح أبو إسماعيل على إسلامية الوفد. ولحسابات كثيرة أعلن رئيس حزب الوفد إسلامية

---

(١) انظر: تتمة الأعلام للزركلي، للأستاذ محمد خير يوسف (٢/١٠-١١).

الحزب. فخرج فوده من الحزب، وأسس مع أحد المارقين عن الإسلام حزباً جديداً أسماه"حزب المستقبل"، ووضع غالبية مؤسسيه من الأقباط، بالإضافة إلى الدكتور أحمد صبحي منصور، الأزهري الذي فصلته جامعة الأزهر لاتهامه بالاعتقاد بعدم ختم النبوة، وإنكار السنة النبوية الشريفة.

وقد رشح نفسه في انتخابات مجلس الشعب عام ١٩٨٧ بصفته مستقلاً، وفي دائرة شبرا التي يوجد فيها نسبة كبيرة من الأقباط، وبها أكثر من ١٥٠ ألف صوت، لم يحصل منهم إلا على ٢٠٠ صوت فقط!

وكان يدعو إلى التعايش مع إسرائيل، وبدأ هو بنفسه في التعامل بالاستيراد والتصدير ـ حيث كان يملك شركة تعمل في هذا المجال ـ وكان يعترف بأن السفير الصهيوني في القاهرة صديقه.

وكان ضيفاً ثابتاً في التلفزيون والإذاعة التونسية. وفي أخريات مقالاته بمجلة أكتوبر المصرية وصف المجاهد التونسي علي العريض بالشذوذ الجنسي، كما تهجم على الشيخ الداعية عبد الفتاح مورو، ودعاة آخرين .

ووضع نفسه أمام الرأي العام أنه ضد إقامة الدولة الإسلامية، وضد تطبيق الشريعة الإسلامية.. وكان ذلك واضحاً في مناظرته الأخيرة التي عقدها والدكتور محمد أحمد خلف الله في معرض الكتاب (يناير ١٩٩٢) في مواجهة الشيخ محمد الغزالي والمستشار مأمون الهضيبي والدكتور محمد عمارة، وهي المناظرة التي أثارت حنق الكثيرين وعامة الشعب، وأصحاب الاتجاه الإسلامي على وجه الخصوص. (انظر مجلة المجتمع، عدد ١٠٠٥).

واستمعت المحكمة على مدى ٣٤ جلسة إلى أقوال ٣٠ شاهد إثبات.. بينهم اثنان اعتبرا صاحبي أخطر شهادة، هما الدكتور محمود مزروعة، والشيخ محمد الغزالي.

والأول رئيس لقسم العقائد والأديان بكلية أصول الدين في جامعة الأزهر، ووكيل وعميد سابق لها، وأستاذ في جامعة بنغازي، وجامعة الملك سعود، والجامعة الإسلامية بإسلام آباد، وجامعة قطر.. وحاور مستشرقين في الهند والصين وإيطاليا. وأعلن أمام المحكمة أن "فرج فوده" مرتد، ويجب على آحاد الأمة تنفيذ حد الردة في القاتل إذا لم يقم ولي الأمر بتنفيذ ذلك.. واعتبر بذلك في نظر كثير من المفكرين والأدباء محرضاً على القتل.

وقال الشاهد: إن فرج فودة كان يحارب الإسلام في جبهتين.. وزعم أن التمسك بنصوص القرآن الواضحة قد يؤدي إلى الفساد إلا بالخروج على هذه النصوص وتعطيلها.. أعلن هذا في كتابه "الحقيقة الغائبة" . وأعلن رفضه لتطبيق الشريعة الإسلامية، ووضع نفسه وجندها داعية ومدافعاً ضد الحكم بما أنزل الله.. وكان يقول: لن أترك الشريعة تطبق ما دام فيَّ عرق ينبض! وكان يقول: على جثتي! ومثل هذا مرتد بإجماع المسلمين، ولا يحتاج الأمر إلى هيئة تحكمُ بارتداده. (لقاء مع الدكتور مزروعة في جريدة العالم الإسلامي ع ١٣٧٠ تاريخ ١٥/ ٣/ ١٤١٥هـ)

- وشهادة الشيخ محمد الغزالي في قضية الاغتيال هذه أثارت ردود فعل عنيفة، داخل مصر وخارجها.

واعتبرها العلمانيون المصريون بمثابة ١٠٠ قنبلة! في حين أكد المتهمون باغتياله أن شهادة الشيخ تكفيهم ولو وصل الأمر لإعدامهم بعد ذلك! (تنظر هذه الشهادة في جريدة العالم الإسلامي ع ١٣٢١ (٢١-

٢٧/ ٢/ ١٤١٤هـ). وانظر الرد في مجلة المصور ع ٣٥٨٦ (١٢/ ١/ ١٤١٤هـ)، وتنظر كذلك: الرسالة الإسلامية ع ١٣١ ص ٦٥).

وبعد إدلاء هاتين الشهادتين ثارت زوبعة حول حد الردة في الإسلام، حيث أنكر العلمانيون والشيوعيون أن تكون عقوبة المرتد هي القتل، وأعد الدكتور عبد العظيم المطعني ـ الأستاذ بجامعة الأزهر ـ دراسة للرد عليهم بعنوان: "عقوبة الارتداد عن الدين بين الأدلة الشرعية وشبهات المنكرين" نشرتها مكتبة وهبة بالقاهرة.

والكتاب الأكثر إثارة في القضية كان بعنوان "أحكام الردة والمرتدين من خلال شهادتي الغزالي ومزروعة" لمؤلفة الدكتور مزروعة نفسه.

ومما كُتب فيه أيضاً، كتاب "محاكمة سلمان رشدي المصري: علاء حامد: مسافة في عقل رجل أم طعنة في قلب أمة؟ مع نص شهادة فرج فودة في المحكمة للدفاع عن علاء حامد" حيث اعتبر فرج فودة زعيم العلمانيين في مصر (ص١٢٥)، ونقل قوله في المحكمة: "غير المسلمين مثل النصارى واليهود ينكرون بداهة الدين الإسلامي فهل إنكارهم يعد جريمة؟" (ص٢٦).

وقد وضع اسمه بين المدافعين عن علاء حامد مع أحمد صبحي منصور، وأحمد عبد المعطي حجازي، ومحمد فايق ـ أمين عام المنظمة المصرية لحقوق الإنسان ـ، وإسماعيل صبري عبد الله، ومحمد عودة، ونبيل الهلالي، وعبد الوارث الدسوقي، ويوسف القعيد، ونوال السعداوي. ورواية علاء حامد فيها "إلحاد وتطاول على الذات الإلهية، وسخرية من الأنبياء والرسل، واستهزاء بالجنة والنار، وتكذيب صريح للكتب المنزّلة وهجوم عليها" (ص٦١).

وقد صودر الكتاب، وأعدمت النسخ، وصدر الحكم عليه بالسجن ثماني سنوات، ورفض رئيس مصر إلغاء الحكم وقال: "لا أستطيع إلغاء حكم قضائي لشخص أهان الدين" وقال: "إن الحفاظ على العقيدة شيء مقدس" (ص٧١).

- كان اغتيال فرج فودة في شهر ذي الحجة، الموافق لشهر حزيران (يونيو)، أثناء خروجه من مكتبه بمدينة نصر.

مؤلفاته:

١- الملعوب: قصة شركات توظيف الأموال. القاهرة: دار مصر الجديدة.

٢- قبل السقوط. ١٤٠٥هـ وقد رد عليه في كتاب بعنوان: " تهافت قبل السقوط وسقوط صاحبه" تأليف عبد المجيد حامد صبح. ـ المنصورة، مصر: دار الوفاء، ١٤٠٥هـ، ورد عليه أيضاً بكتاب "بين النهوض والسقوط: رد على كتاب فرج فودة " منير شفيق. ـ ط٢ـ تونس: دار البراق، ١٤١١هـ.

٣- الحقيقة الغائبة، ـ ط٣ ـ القاهرة: دار الفكر للدراسات والنشر.

٤- حتى لا يكون كلامنا في الهوا.

٥- الطائفية إلى أين؟ (بالاشتراك مع آخرين).

٦- النذير.

٧- الإرهاب). (انتهى النقل من تتمة الأعلام للزركلي، للأستاذ محمد خير يوسف (٢/ ١٠-١١) بتصرف يسير

انحرافاته:

١- يعد كتابه (قبل السقوط) ـ الذي أثار الضجة عليه ـ شاهداً

لانحرافه بل ردته ـ والعياذ بالله ـ، حيث دعا في هذا الكتاب إلى عدم تطبيق الشريعة الإسلامية، لأن ذلك لا يأتي بخير لمصر! ويطالب بفصل الدين عن الدولة.

ومن أقواله في هذا :"إن فصل الدين عن السياسة وأمور الحكم إنما يحقق صالح الدين وصالح السياسة معاً" (قبل السقوط،ص٢٣) (وانظر أيضاً: كتابه (الحقيقة الغائبة) ص ١٤٢،١٣٣)

ويقول:"إن تطبيق الشريعة الإسلامية لابد أن يقود إلى دولة دينية، والدولة الدينية لابد أن تقود إلى حكم بالحق الإلهي" (قبل السقوط، ص٥٢).

ويتهجم في كتابه (الحقيقة الغائبة) على فترة حكم الخلفاء الراشدين زاعماً أنها فترة حروب واغتيالات وعدم أمن!! مفضلاً العلمانية عليها ! (ص١٤٠-١٤١).

قلت: وقد فند ما جاء من شبهات في هذا الكتاب حول تطبيق شرع الله، الأستاذ عبد المجيد صبح في كتابه (تهافت قبل السقوط وسقوط صاحبه)، فليراجع.

٢- نتيجة لانحرافه السابق فإن فودة يدعو إلى موالاة ومحبة المصري للمصري دون نظر إلى دينه!

يقول :"خليق بمثلي أن يشعر بالحزن والأسى وهو يقرأ للدكتور أحمد عمر هاشم تلك العبارة العنصرية (الإسلام لا يمنع من التعامل مع غير المسلمين، ولكن يمنع المودة القلبية والموالاة ؛ لأن المودة القلبية لا تكون إلا بين المسلم وأخيه المسلم، لا يا سيادة الدكتور: المودة القلبية تكون بين المصري والمصري، مسلماً كان أو قبطياً لا فرق، والقول بغير

هذا تمزيق للصفوف" (قبل السقوط، ص٨٣).

٣- يخصص كتاباً كاملاً (نكون أولا نكون) للنيل من كل ما هو إسلامي، لا سيما في بلاده مصر. بلهجة ساخرة.

٤- قال الأستاذ أنور الجندي عن (حزب المستقبل) الذي أسسه فرج فودة في مصر: "أصدرت ندوة العلماء بالأزهر بياناً تضمن رأيها في تأسيس حزب المستقبل قالت: اعترضت لجنة العلماء في بيانها على تأسيس حزب المستقبل في أول سابقة من نوعها بعد قيام الأحزاب الستة في مصر والتي تتولى لجنة الأحزاب السياسة دون غيرها البت في قيامه من عدمه طبقاً للقانون.

حذر بيان لجنة العلماء من قيام حزب المستقبل الذي يؤسسه فرج فودة، وقال البيان: إن الحزب يمثل خطراً على أمن الأمة واستقرارها ووصف أعضاء الحزب بأنهم أعداء لكل ما هو إسلامي، وأن هدفهم المعلن هو عدم تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية بدعوى تفوق القانون الوضعي، إن أعضاء الحزب دأبوا على الهجوم على التاريخ الإسلامي والتطاول على بعض أصحاب النبي سيدنا محمد - ﷺ - وعلى الرموز الإسلامية وعلماء الأمة، كما دأبوا على الهجوم على التيار الإسلامي واستعداء النظام وتحريضه على ضرب الأمة.

وقال بيان ندوة العلماء : إن الدولة الثيوقراطية أو الدولة الدينية لا يعرفها الإسلام ولا يطالب بها، والعلمانية والإسلام نقيضان لا يجتمعان، ومحاورة الدولة الدينية والدولة المدنية فيه مغالطة فلا هي الدولة الدينية في الإسلام ولا هي الدولة العلمانية في الفكر الغربي.

وأشار بعض الباحثين إلى أن حزب المستقبل يعمل في هدفه المعلن:

أولاً: على منع تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية بدعوى تفوق القانون الوضعي .

ثانياً: الدأب على الهجوم على التاريخ الإسلامي والتطاول على بعض أصحاب النبي ـ ﷺ ـ وعلى الرموز الإسلامية وعلماء الأمة.

ثالثاً: الهجوم على التيار الإسلامي واستعداء النظام وتحريضه على ضرب الأمة.

والمعروف أن فرج فودة يستقي معلوماته عن التاريخ الإسلامي من " ألف ليلة " و "الأغاني" .

وكان فرج فودة قد أصدر كتاباً ضم إليه مجموعة أفكاره التي تتلخص في المناداة بتنحية الدين عن قيادة الحياة وتضمن مجموعة من الأفكار المسمومة أهمها:

١- إنكار كثير مما علم من الدين بالضرورة، الأمر الذي يخرجه من جماعة المجتهدين إلى جماعات أخرى.

٢- رفضه المطلق لتطبيق الشريعة الإسلامية بما يدعو إليه جهاراً من محاصرة كافة مظاهر الدين في مختلف أجهزة الدولة.

٣- تشويه أعلام الإسلام وتزييف تاريخه وتحريض الأمة بمختلف فعالياتها السياسية والفكرية على التنكر للإسلام (معتدلين ومتشددين).

٤- ما قدم من أفكار نشرها في كتبه وبعض الصحف وعرضها من خلال وسائل الإعلام خرج بها على مقياس الاعتدال وخالف العرب وخالف القانون الذي حدد لمصر هويتها الإسلامية وضرورة المحافظة على القيم والأخلاق.

٥- وأد الفكر المعارض له وتحريض الدولة على القضاء على

أصحابه.

٦- الدعوة إلى منع علماء الأمة من أداء واجبهم نحو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٧- تشويه تاريخ الخلفاء الراشدين كبار الصحابة - ﷺ - واتهامهم بتهم لا يصح أن يتهم بها عامة الناس والتطاول على (ابن عباس) رضي الله عنهما واتهامه بالاستيلاء على أموال المسلمين بالباطل، واتهامه للعشرة المبشرين بالجنة - ﷺ - ونقدهم نقداً لاذعاً.

فعل ذلك ليصل إلى إغلاق ملف الشريعة فيما يتصل بالدولة وسياسة الحكم.

٨- وكان أخطر أعماله التركيز على موضوع الشريعة الإسلامية وتشويه صورة الإسلام ورموزه حتى إنه وصل إلى تأويل بعض آيات القرآن الكريم وإنكار الكثير من أحاديث النبي - ﷺ - الصحيحة والتأكيد على قصر العمل بكثير من أحكام الشريعة على عصر النبي - ﷺ - بمقولة باطلة أن الأوامر التي كانت تصدر من خلال القرآن كانت أوامر شخصية لا يطالب بها إلا من نزلت في شأنهم أو قيلت في حقهم.

٩- يعتمد في كتاباته على آراء وضعية روتها بعض كتب التاريخ وأثبت المتخصصون أنها من المدسوسات على تاريخنا الإسلامي وألفت فيها كتب تدلل على تلفيقها وكذبها إلى حد أنه كان يستخلص من هذه الآراء الضعيفة والمردودة ما يدفعه إلى الهجوم على كبار الصحابة كأبي بكر وعثمان وعلي وابن عباس وغيرهم من كبار الصحابة - ﷺ - جميعاً الذين اتهمهم في ذمتهم وشرفهم وأراد أن يمحو الحب والتقدير لأقرب الناس إلى رسول الله - ﷺ - وبخاصة العشرة المبشرين بالجنة - ﷺ - جميعاً

الذين كان يتهكم عليهم تهكماً شديداً.

وقد وصل فرج فودة في تشويه صورة الإسلام ورموزه إلى حد تأويل بعض آيات القرآن الكريم وإنكار الكثير من أحاديث النبي - ﷺ - الصحيحة والتأكيد على قصر العمل بكثير من أحكام الشريعة على عصر النبي - ﷺ -.

١٠- كان يتهجم على الإسلام بصورة غاية في الابتذال والوقاحة ونحن نعلم أن أي مسلم يرد آية واحدة من القرآن فإن ذلك يخرجه من ملة الإسلام.

هذا إلى سفاهات تتعدى على مقدسات ٥٠ مليون مصري ويصف عقيدتهم بالرجعية والظلامية والإرهاب ولا شك أن السخرية والتهكم والكلمات اللاذعة لا تكون أبداً في أسلوب كاتب يحترم نفسه.

ولم يكتف بمعارضة تطبيق الشريعة في مصر وإنما يعارض تطبيقها في أي بلد إسلامي.

١١- يعلن فرج فودة تعاطفه مع المرتدين الذين حاربهم أبو بكر - رضي الله عنه - ويخطئ أبا بكر - رضي الله عنه - في قتاله لمانعي الزكاة.

١٢- كان يجالد بآرائه في مقاومة تطبيق الشريعة وجعل هذا الاتجاه بضاعته بوضوح كامل مع الإخوة المسيحيين[١] ومع الصهيونية والماسونية وأنه ذهب للجمعية المصرية القبطية في كندا وأمريكا وأعطى ندوات في الكنائس هناك.

وكان يرى أن إسرائيل لابد أن تصبح جزءاً من نسيج المنطقة

---

(١) عفا الله عن الأستاذ أنور الجندي، فالنصارى ليسوا بإخوة للمسلمين، قال تعالى (**إنما المؤمنون إخوة**)، وقال - ﷺ - : (المسلم أخو المسلم).

وعنصراً من عناصر تكاملها". (انتهى من: كتاب العصر تحت ضوء الإسلام، ص ٢٧٣-٢٧٥).

قال الدكتور مفرح القوسي في رسالته (المنهج السلفي والموقف المعاصر منه في البلاد العربية).

"الدكتور فرج فودة: أحد أقطاب العلمانية المعاصرين ، اشتهر بحماسه الشديد لفصل الدين عن الدولة، وبمعاداته للاتجاهات الإسلامية المعاصرة عامة وللاتجاه السلفي خاصة، وبرفضه للشريعة الإسلامية ومنع تطبيقها في البلاد الإسلامية ولا سيما في بلده مصر. ويمكن تحديد أهم ملامح المنظومة الفكرية والسياسية التي يتبناها في النقاط التالية:

أولاً: فصل الدين عن الدولة وجعل الإسلام ديناً روحياً فقط، حيث يقول: "إن الإسلام كما شاء له الله دين وعقيدة وليس حكماً وسيفاً"[١]، "وأن هناك فرقاً كبيراً بين الإسلام الدين والإسلام الدولة، وأن انتقاد الثاني لا يعني الكفر بالأول أو الخروج عليه"[٢] ، ويقول :"أنت هنا تملك أن تفصل بين الإسلام الدين والإسلام الدولة حفاظاً على الأول حين تستنكر أن يكون الثاني نموذجاً للاتباع، أو حين يعجزك أن تجد صلة واضحة بين هذا وذاك، فالأول رسالة، والثاني دنياً... دع عنك إذن حديث الساسة عن الدين والدولة وسلم معهم بالدين، أما الدولة فأمر فيه نظر، وحديث له خبيء ، وقصد وراءه طمع، وقول ظاهره الرحمة وباطنه العذاب"[٣].

---

(١) الحقيقة الغائبة (ص ١٣٩)، ط عام ١٩٩٢م، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة.

(٢) قبل السقوط ص ١٤. وانظر : حوار حول العلمانية ص ١٧.

(٣) قبل السقوط ص ١٤ ــ ١٥.

وادعى تأكيداً لهذا الفصل أن "الخلافة الإسلامية" التي استمرت في عهود الخلفاء الراشدين والأمويين والعباسيين ليست خلافة إسلامية بل خلافة عربية قرشية، وأنها لم تحمل من الإسلام إلا الاسم فقط، وأن الدولة الإسلامية كانت على مدى التاريخ الإسلامي كله عبئاً على الإسلام وانتقاصاً منه وليست إضافة إليه[1]، وأن وقائع التاريخ الإسلامي تنهض دليلاً دامغاً على ضرورة الفصل بين الدين والسياسة، وعلى خطورة الجمع بينهما، وعلى سذاجة المنادين بعودة الحكم الإسلامي[2]. وادعى أيضاً أن هذا "الفصل هو السبيل الوحيد للحفاظ على الوحدة الوطنية"[3]، وأن فيه تحقيقاً لصالح الدين وصالح السياسة معاً، كما أن قصر رسالة المسجد على تعميق مفاهيم الدين وغرس القيم الدينية فيه تحقيق لقصد الذاهبين للصلاة، بل واحترام لحريتهم الفكرية[4].

ثانياً: رفض تطبيق الشريعة الإسلامية رفضاً باتاً وبأي صورة من الصور، فهو يُعلن ذلك في كتبه ولقاءاته الفكرية بلا مواربة[5]، ويصم المنادين بتطبيقها بالتطرف والجمود والتخلف؛ مدعياً ما يلي:

١ - أن تطبيق الشريعة يؤدي إلى قيام دولة دينية، وهذه تقود إلى الحكم بالحق الإلهي الذي لا يتم إلا من خلال رجال الدين؛ وتنقسم الدولة بسببه إلى حزبين هما: حزب الله ـ ويدخل فيه كل من وافقهم ـ

---

(١) انظر كلاً من: الحقيقة الغائبة ص ١٣٣، وإقبال بركة ــ قضايا إسلامية ص ١٧٨.

(٢) راجع في هذا على سبيل المثال: حوارات حول الشريعة ــ لأحمد جودت ص ١٤.

(٣) انظر: قبل السقوط ص ١٨، ٣٥.

(٤) المرجع السابق.

(٥) راجع في هذا على سبيل المثال: حوارات حول الشريعة ــ لأحمد جودت ص ١٤.

وحزب الشيطان ـ ويدخل فيه كل من خالفهم[١] ـ. وكثيراً ما يردد فودة هذه الدعوى ويُلح عليها، ومن ذلك على سبيل المثال قوله: "إن تطبيق الشريعة الإسلامية لابد أن يقود إلى دولة دينية، والدولة الدينية لابد أن تقود إلى حكم بالحق الإلهي لا يعرفه الإسلام، أو قل عرفه في عهد الرسول. والحكم بالحق الإلهي لا يمكن أن يقام إلا من خلال رجال دين إما بصورة مباشرة أو غير مباشرة"[٢].

٢- أن تطبيق الشريعة ينافي الحضارة والتطور ويهدد أمن الوطن ووحدته بإثارة الفتنة الطائفية، حيث يقول: "إنما أنا مواطن مصري يندب مصير مصره حين تنساق بحسن النوايا في اتجاه حاشا لله أن أسميه مستقبلاً، فما أبعد المستقبل عن دولة دينية لا أحسب أن العمر يتسع لها، أو أن الوطن يمكن أن يسعها دون أن تتهدد وحدته، وينهدم ما تعلق به من أهداب الحضارة أو درجاتها"[٣]، ويقول: إن تطبيق الشريعة يؤدي إلى قيام دولة دينية، "والدولة الدينية التي يحكمها رجال الدين بصورة مباشرة أو غير مباشرة... سوف تكون مدخلاً مباشراً للفتنة الطائفية، بل ربما تمزيق الوطن الواحد"[٤].

٣- أن المناداة بتطبيق الشريعة إنما هو رد فعل لمؤثرات خارجية، وأن هدف الداعين إلى تطبيقها هو الاستيلاء على الحكم بطريق مباشر ـ بتولي مناصبه ـ أو بطريق غير مباشر ـ بفرض الوصاية عليه[٥] ـ.

---

(١) راجع: قبل السقوط ص ٥١-٥٨.

(٢) المرجع السابق ص ٤٢-٤٣. وراجع ص ٥١-٥٨-، ٦٨ من المرجع نفسه. وحوارات حول الشريعة ــ لأحمد جودت ص ١٤-١٥، ٨٠، ٩٦.

(٣) قبل السقوط ص ٤١ – ٤٢.

(٤) المرجع السابق ص ٦٨، وراجع الصفحات : ٤١ ــ ٥٠ من المرجع نفسه.

(٥) راجع: المرجع السابق ص ٤٢ – ٤٨، ٥٩ ــ٦٣.

٤- تفوق القوانين الوضعية على الشريعة الإسلامية، حيث يقول: "إن القانون الحالي يعاقب على جرائم يعسر على الشريعة أن تعاقب عليها، ويعكس احتياج المجتمع المعاصر بأقدر مما تفعل الشريعة"[١].

ويقول في حوار أجري معه: "إن حجم الانحلال الموجود في المجتمع المصري أقل بكثير اليوم على مدى التاريخ الإسلامي كله، ورأيي أن القانون الوضعي يحقق صالح المجتمع في قضايا الزنا مثلاً أكثر مما ستحققه الشريعة لو طبقت"[٢].

٥- "أن قواعد الدين ثابتة، وظروف الحياة متغيرة، وفي المقابلة بين الثابت والمتغير لابد وأن يحدث جزء من المخالفة ، وذلك بأن يتغير الثابت أو يثبت المتغير، ولأن تثبيت واقع الحياة المتغير، مستحيل، فقد كان الأمر ينتهي دائماً بتغيير الثوابت الدينية"[٣].

ثالثاً: تشويه وتحطيم الصورة المثلى الراسخة في أذهان المسلمين لعصر الخلفاء الراشدين بخاصة والسلف بعامة ولحكوماتهم الإسلامية التي جمعوا فيها بين الدين والدولة، ليثبت في النهاية استحالة إقامة حكم إسلامي في الوقت الحاضر يجمع بين الدين والدولة، وعقم الدعوة إلى التأسي بالصحابة رضي الله عليهم واتباع منهجهم في ممارسة الإسلام وتطبيق شريعته في مناحي الحياة، فقد صوَّر هذا العصر بأنه عصر الاعتراض حيناً والانقسام أحياناً، والاقتتال غالباً، وما كان فيه من استقرار فمرده لانشغالهم بالفتح الخارجي[٤]، وبأنه عصر استبداد وظلم

---

(١) الحقيقة الغائبة ص ١٢١.

(٢) قضايا إسلامية معاصرة ص ١٨٥.

(٣) الحقيقة الغائبة ص ٧٠.

(٤) راجع: قبل السقوط ص ٩ – ١٤.

يُضطهد فيه الصحابة والعلماء، وتُستباح فيه الأموال وتُزهق فيه الأرواح بغير حق، فقد أطار السيف من رؤوس المسلمين أضعاف ما أطار من رؤوس أهل الشرك[١].

ويتخذ فودة هذه الصورة الشوهاء لعصر الخلفاء الراشدين ذريعة لرفض الحكم الإسلامي، والأخذ بمبدأ الفصل بين الدين والسياسة، فيقول: "لعلك متسائل معي الآن، ولك الحق في كل تساؤلاتك: إذا كان هذا هو ما يحدث بين رجال الصدر الأول للإسلام والمبشرين بالجنة، فكيف يكون المصير على يد من هم أدنى منهم مرتبة وأقل منهم إيماناً وأضعف منهم عقيدة؟ "[٢].

هذا فيما يخص عهد الخلفاء الراشدين ـ ﷺ ـ، أما العهود الإسلامية بعد عهدهم فيدعي فودة أن معظمها عهود فساد وطغيان وخروج على العقيدة، ولا صلة لها بالإسلام إلا بالاسم فقط، فنراه يقول مخاطباً علي بن أبي طالب رضي الله عنه: "لا تحزن يا أبا الحسن ولا تغضب فزمانك لا شك أعظم من زمن من يليك، وحسبك أن عهدك كان فيصلاً أو معبراً إلى زمان جديد، لا ترتبط فيه الخلافة بالإسلام إلا بالاسم، ولا نتلمس فيها هذه الصلة بين الإسلام والخلافة إلا كالبرق الخاطف، يومض عامين في عهد عمر بن عبد العزيز، وأحد عشر شهراً في عهد المهتدي، وخلا ذلك دنيا وسلطان، وملك وطغيان، وأفانين من الخروج على العقيدة لن تخطر لك على بال، وربما لم تخطر للقارئ على بال، لأن

---

(١) راجع: المرجع السابق ص ١٤-١٥، ١٩-٢١، ٩٣. وللاطلاع على نص كلامه بهذا الخصوص راجع كتابه (الحقيقة الغائبة) في الصفحات : ٢٢-٣١، ١٣٩-١٤١.

(٢) قبل السقوط ص ٢١.

ما نقلوه[١] إليه كان ابتساراً للحقيقة، وإهداراً للحقائق، وانتقاصاً من الحق"[٢].

رابعاً: التجني على الصحابة ـ رضوان الله تعالى عليهم ـ والتطاول عليهم بالتخطئة والسب الشتم والوقيعة في أعراضهم والقدح في أمانتهم وحسن إسلامهم، وذلك حطاً من قيمتهم وإقلالاً من شأنهم، وبالتالي منع الاقتداء بهم وابتاع منهجهم، وسنكتفي بإيراد نماذج من ذلك فيما يلي:

أ- يذكر عن أبي بكر الصديق ـ ﷺ ـ أنه بقتاله مانعي الزكاة قد شرع القتال بين أهل القبلة، وأن موقفه هذا يُعد البداية الحقيقية لقتال المسلمين للمسلمين، ويُعلن تعاطفه مع المرتدين، ويستشهد بمعارضة عمر لأبي بكر في البداية، ويضرب الذكر صفحاً عن إجماع الصحابة على هذا القتال؛ بل عن تأييد عمر نفسه لهذا القتال[٣].

ويعد أسلوب عهد أبي بكر بالخلافة لعمر رضي الله عنهما أسلوباً بعيداً عن الديمقراطية[٤].

ب- يزعم أن عمر بن الخطاب ـ ﷺ ـ اجتهد مع وجود النص، وأن اجتهاده لم يكن قاصراً على التفسير، بل امتد إلى المخالفة والتعطيل، فأفتى بمخالفة نص قرآني مع علمه به، فألغى سهم المؤلفة قلوبهم الذي هو أحد مصارف الزكاة المنصوص عليها في سورة التوبة[٥]، وعطل حداً

---

(١) يعني المؤرخين كتّاب السير.

(٢) الحقيقة الغائبة ص ٥٧ – ٥٨.

(٣) راجع: المرجع السابق ص ٤٢ – ٤٤.

(٤) انظر: قبل السقوط ص ٩٧.

(٥) وذلك في قوله تعالى: (إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل) التوبة ٦٠.

من الحدود الثابتة وهو حد السرقة، وعطل التعزير بالجلد في شرب الخمر في الحروب، وخالف السنة في تقسيم الغنائم فلم يوزع الأرض الخصبة على الفاتحين، وقتل الجماعة بالواحد مخالفاً المساواة في القصاص[١].

ج- يرى أن عثمان بن عفان - رضي الله عنه - لم يعدل في حكمه، وأنه أقام نظام حكمه على ثلاث قواعد خاطئة هي:

- خلافة مؤبدة.
- لا مراجعة للحاكم ولا حساب أو عقاب إن أخطأ .
- لا يجوز للرعية أن تنزع البيعة منه أو تعزله، ومجرد مبايعتها له مرة واحدة تعتبر مبايعة أبدية لا يجوز لأصحابها سحبها وإن رجعوا عنها أو طالبوا المبايع بالاعتزال. ولأن أحداً لا يُقر ولا يتصور أن تكون هذه هي مبادئ الحكم في الإسلام قتله المسلمون"[٢].

د- يتهم عبد الله بن عباس - رضي الله عنه - بخيانة الأمانة، والتمرد والعصيان لخليفة المسلمين وولي أمرهم، والاستيلاء على أموال المسلمين وأكلها بالباطل والإصرار على ذلك. ويصفه بأنه: يأكل حراماً ويشرب حراماً[٣].

هـ- يتهم المغيرة بن شعبة - رضي الله عنه - بالزنا في عهد عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -، ويدّعي أن عمر لم يقم الحد عليه رغم تيقنه من إقدامه عليه[٤].

و- يتهم خمسة من كبار الصحابة ومن العشرة المبشرين بالجنة، وهم:

---

(١) راجع: الحقيقة الغائبة ص ٤٥ – ٥١.

(٢) المرجع السابق ص ٢٩.

(٣) راجع: المرجع السابق ص ٥٨ – ٦٢.

(٤) راجع المرجع السابق ص ١١٧ – ١١٩.

عثمان بن عفان، والزبير بن العوام، وسعد بن أبي وقاص، وطلحة بن عبيد الله، وعبد الرحمن بن عوف ـ ﷺ ـ، يتهمهم بالتكالب على الدنيا والإقبال عليها وجمع الأموال الطائلة بعد هجرتهم إلى المدينة، وأنهم انصرفوا بذلك عن دينهم، وهجروا حياة الزهد والعبادة التي كانوا عليها قبل الهجرة"[٤] انتهى النقل من رسالة الدكتور مفرح القوسي ـ وفقه الله ـ.

والله أعلم، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

---

(١) راجع: المرجع السابق ص ٥٣ - ٥٦.

نظرة شرعية
في فكر
الدكتور فؤاد زكريا

نظرة شرعية في فكر (الدكتور فؤاد زكريا)

ترجمته:[(١)]

هو الدكتور فؤاد حسن زكريا، من مواليد ١٩٢٧م ببورسعيد في مصر.درس الفلسفة في جامعة القاهرة، ونال شهادتها عام ١٩٤٩م ثم الماجستير ١٩٥٢م ثم الدكتوراة ١٩٥٦م من جامعة عين شمس. ثم أصبح مدرسا لها، ثم رئيسا لقسم الفلسفة في جامعة عين شمس ما بين ١٩٥٧ ـ ١٩٧٤م. ثم انتقل إلى جامعة الكويت أستاذا ورئيسا لقسم الفلسفة في كلية الآداب.

مؤلفاته:

١- خطاب إلى العقل العربي.

٢- الحقيقة والوهم في الحركة الإسلامية.

٣- التفكير العلمي. (وقد رد عليه الدكتور عبد المجيد المحتسب في كتابه: ٣ كتب في ميزان الإسلام).

٤- العرب والنموذج الأمريكي.

٥- آفاق الفلسفة.

٦- نظرية المعرفة والموقف الطبيعي.

- يقول الأستاذ محمد أبو راس: "يعتبر الدكتور فؤاد زكريا أحد أقطاب الفكر العلماني وأحد التغريبيين في العصر الحديث الذين ركزوا جهودهم لضرب الحصون الفكرية للإسلام بشتى الأساليب وفي كل المناسبات" (مجلة منار الإسلام، السنة ١٧، العدد٢)

---

(١) موسوعة أعلام العرب المبدعين: (٤٨٩/١ ــ ٤٩٣) وكتابه «حكمة الغرب».

انحرافاته:

١- أعظم انحراف له، وعليها تدور معظم أطروحاته، دعوته إلى (العلمانية) ـ الكفرية ـ التي تفصل الإسلام عن أمور الحياة، والتزامه ما يترتب على هذه الدعوة من اعتراض على تطبيق الشريعة الإسلامية، وسخريته بالمسلمين الداعين إلى ذلك، وتثبيطه لهم.

فمن أقواله في هذا: مقاله في جريدة الأهرام بتاريخ (٧/ ٨/ ١٤١٤هـ) بعنوان (الثقافتان) يشتكي فيه من عدم تقبل المسلمين للعلمانية التي يبشر بها، والتي يزعم بأنها (محايدة) ! . يقول الدكتور: " كيف تم بالتدريج، تحويل صفة العلمانية التي تطلق على الدعوة إلى الفصل بين الدين والسياسة من صفة محايدة لا تدل على أكثر من الوضع القائم بالفعل في معظم البلاد الإسلامية ـ وضمنها مصر ـ طوال القرن الأخير على الأقل، إلى صفة قبيحة مخيفة، لا ينقص صاحبها سوى قرنين صغيرين على جانبي رأسه كي ما يصبح شيطاناً رجيماً ".

وقد رد على مقاله هذا : الدكتور إبراهيم عوضين ـ جزاه الله خيراً ـ في مجلة (الأزهر)، (عدد ذي الحجة، ١٤١٤هـ).

وقد رد على دعوته إلى العلمانية كثير من الباحثين؛ من أشهرهم القرضاوي في كتابه (وجهاً لوجه... الإسلام والعلمانية ـ رد علمي على د.فؤاد زكريا وجماعة العلمانيين) وكذا رد عليه غيره.

وسأدع المجال الآن لبعض الباحثين ليقولوا قولتهم في دعوة هذا (الخبيث):

ـ يقول الأستاذ محمد أبو راس: "فالفكرة المترسبة لدى جماعة العلمانيين تقضي بأن الحضارة الغربية هيكل متكامل من العلم والثقافة

يفرضه الواقع المعاصر ومن ثم يلزم شعوب العالم الثالث تمثله والخضوع لسلطانه والسير في ركابه، بل من الضروري التجرد من كل إرث حضاري سابق. والجدير بالذكر أن هؤلاء العلمانيين ـ ومن ضمنهم فؤاد زكريا بالطبع ـ حين تأخذهم الحماسة في الدفاع عن الحضارة الغربية يكاد يغيب عنهم أن هذه الحضارة رغم ما تحمله من مقومات يكفلها لها تقدمها العلمي والتقني لا تملك الصلاحية الكافية لقيادة البشرية لكونها تفتقر إلى عناصر الامتداد والتوافق والشمول.

ولعل الخطأ الذي يقع فيه هؤلاء، أنهم يحاولون أن يجعلوا من أنفسهم قائداً ودليلاً للإسلاميين يرسم لهم المناهج ويضع لهم الخطط في سبيل تحقيق الأهداف التي يرمون إليها." (مجلة منار الإسلام،السنة ١٧، العدد ٢)

ويقول الأستاذ أبو راس ـ أيضاً ـ : "والملاحظ أن العلمانيين يحاولون دائماً أن يوجدوا تعارضاً وصراعاً مختلفاً بين الإسلام والعلم، وبذلك يزعجهم وضع نظرية علمية ما في ميزان النصوص الدينية. وفي هذا الإطار نجد ما يتناول به الدكتور فؤاد زكريا مقالاً كان قد نشره الدكتور محمد عمارة بعنوان "الداروينية في ميزان الإسلام"، حيث يقول معبراً عن غيظه وحنقه: "إن عنوان المقال ذاته يثير إشكالاً: الداروينية في ميزان الإسلام، أي أن نظرية علمية نشأت أصلاً في ميدان البيولوجيا تتعرض للاختبار والنقد بمقياس دين سماوي.

ولا شك أن هذا العنوان وحده يوحي بوجود منافسة بين الاثنين ..." ويستمر في مناقشته المتعصبة ليصل في النهاية إلى خلاصة كان من المنتظر أن يشير إليها في أية لحظة مفادها: أن محاكمة الداروينية ـ أو أية نظرية أخرى ـ بميزان الإسلام ليست سوى صورة طبق الأصل لما حدث

في أوربا في عصر نهضتها من الصراع بين "الدين" والعلم، حينما حاكمت الكنيسة نظرية "كبرنيكوس" بميزان الحقائق الأنجيلية !!!!

ولا يخفى على أحد أن هذا الأسلوب من المقارنة لا يهدف سوى لتبرير الدعوة العلمانية في البلاد الإسلامية. حيث يقول بجرأته المعهودة: "....ولكن ألسنا نرى الآن أن وضع الداروينية في مواجهة الإسلام، وقياسها بميزان لا يختلف عن قياس الكبرنيكية بميزان المسيحية، وما ترتب عليه من اضطهاد وتعسف؟ أليس المبدأ واحداً في الحالتين، وهو مواجهة نظرية علمية بدين سماوي؟ فكيف نصدق إذن أن العلمانية لم يكن لها ما يبررها إلا في ظروف أوربا وحدها، إذا كان الإسلاميون المعاصرون يكررون الأساليب نفسها التي قامت العلمانية من أجل تجنبها وتصحيحها".

وفي خضم هذه المداورة العجيبة والدفاع المكشوف نجد أن كاتب المقال يتغاضى عن الفارق الشاسع بين الإسلام والمسيحية من جهة، وبين الداروينية والكوبرنكية من جهة أخرى، فالإسلام دين دعا إلى العلم والبحث وشجع عليه منذ بداية عهده، فلا يعرف ذلك الصراع الذي كدسته المسيحية المحرفة على مدى تاريخها الدامي، وهذا بشهادة أبناء الغرب أنفسهم، حيث يقول "موريس بوكاي" ــ صاحب كتاب (القرآن والإنجيل والعلم) ـ :"إن الإسلام قد اعتبر دائماً أن الدين والعلم توأمان متلازمان"... لذلك فلا دليل لمن يستغل ما يعرفه من تاريخ أوربا في عهودها المظلمة ليقوم بعملية إسقاطه بشكل عشوائي على الواقع الإسلامي دون مراعاة للفروق والاختلافات الواضحة في هذا المجال، إذ لا قياس مع وجود فارق ـ كما يقول المنطق الذي يدعي

فؤاد زكريا انتسابه إلى أهله ـ، ومتى انتفى القياس كانت النتيجة باطلة، ومن ثم تتداعى الادعاءات العلمانية، هذه النحلة الغريبة التي يحاول أصحابها أن يجعلوها بدلاً للدين لأنها بزعمهم تعمل على تفادي الأخطاء التي يقع فيه حينما يقف في وجه النظريات العلمية!!.." (المرجع السابق).

ويقول الدكتور مفرح القوسي في رسالته: (المنهج السلفي والموقف المعاصر منه في البلاد العربية، دراسة وتقويماً) (ص ٦٥٧-٦٦٦): "الدكتور فؤاد زكريا: أحد رموز الاتجاه العلماني المتطرف، صاحب المقال المعروف (العلمانية هي الحل) رداً على دعوة (الإسلام هو الحل)، وصاحب النظرية القائلة: إن الغزو الثقافي الغربي خرافة لا وجود لها[١]، وأحد أبرز المعادين للمنهج السلفي ومنتقديه، فقد سخر من الاتجاهات الإسلامية المعاصرة الملتزمة بهذا المنهج، وادعى أنها بالتزامها به تُركز على التمسك بشكل الإسلام دون مضمونه، فهي ـ كما يقول ـ: " تركز كفاحها على الجوانب الشكلية من العقيدة، أعني: تلك الجوانب التي تتعلق باستكمال الشروط الشعائرية للدين والاستجابة لبعض الأوامر والنواهي التي لا تمس في الأغلب الحياة العامة في المجتمع، فكلنا نرى من حولنا أولئك الشبان أو الشابات الذين يركزون كفاحهم الديني على ميدان الملابس وأداء الفروض ومنع كافة أشكال الاختلاط بين الجنسين، وهم يحاربون في هذا الميدان بلا هوادة، ويعتقدون أنهم أرضوا ضمائرهم وأرضوا ربهم لو نجحوا ـ مثلاً ـ في قطع اجتماع من أجل

---

(١) انظر: جمال سلطان ــ دفاع عن ثقافتنا ص ١٦، ط الأولى ١٤١٢هـ، دار الوطن للنشر ــ الرياض.

إقامة صلاة المغرب، أو في فصل الطلاب عن الطالبات في قاعة المحاضرات، أو في الدعوة إلى ملابس تُخفي كافة معالم جسم المرأة باستثناء العينين في قيظ الصيف، أو في إثارة ضجة إعلامية هائلة تدافع عن تربية اللحى لدى الرجال" [١]. كما ادعى أنها في ظل أيديولوجيتها السلفية تفتقر إلى برنامج اجتماعي محدد المعالم يقدم خطة نهضوية قابلة للتطبيق في المجتمع الحديث، وتغفل معالجة المشكلات الحقيقية التي ـ كما يقول ـ يتعرض لها الإنسان المسحوق في معظم أرجاء العالم الإسلامي، كمشكلة العدالة الاجتماعية أو نوع التحالفات الدولية التي تخدم قضايا المسلمين أو أسلوب الحكم في البلاد الإسلامية، وكل ما لديها إنما هو: عبارات إنشائية ومبادئ هلامية شديدة العمومية والغموض، واستشهاد بحكم ومبادئ تفصلنا عنها مئات السنين [٢].

- ويرى أن دعوة هذه الاتجاهات الإسلامية إلى التمسك بالمنهج السلفي والأخذ به ما هي إلا دعوة سلبية رجعية شديدة التخلف؛ تريد العودة بالمسلمين إلى الوراء وتثبيت الأوضاع المتخلفة التي تعاني منها البلاد الإسلامية، وأنه لا يجوز عد هذه الاتجاهات ضمن (اليقظة الإسلامية) أو (الصحوة الإسلامية) التي قامت مؤخراً في البلاد الإسلامية، لأن هذه الاتجاهات في دعوتها تلك ما هي إلا نوم لا يقظة، وموات لا بعث، ونكسة وغيبوبة تنسب إلى نفسها القدرة على البعث زوراً وبهتاناً، ولا هدف لها إلا إرجاع الزمان إلى الوراء والوصول

---

(١) الصحوة الإسلامية في ميزان العقل ص ١٥، ط الأولى ١٩٨٩م، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع القاهرة.

(٢) انظر: المرجع السابق ص ١٦، ١٨، ٢٥.

بالمسلمين باسم (الصحوة) إلى حالة من التخدير؛ لن يصحوا منها إلا بعد فوات الأوان[١].

- ويدعي أن الاتجاه السلفي المعاصر إنما يمثل العودة إلى ما كان عليه العرب في عصر سالف حسب طريقتهم الخاصة في فهم ذلك العصر، وأنه يفتقر إلى القدرة على مسايرة العصر، ولم ينجح في تقديم التراث الإسلامي بصورة فيها حيوية أو تجديد أو قدرة على التحدث بلغة العصر ومخاطبة العقول بلغة قريبة إلى فهمها وحسها وذوقها، وأنه في طريقة عرضه للتراث الإسلامي إنما ينتقي منه ما يناسب أفكاره الجامدة - على حد تعبير زكريا - ويحجب كل ما يتعارض معها ويقدمه بوصفه الممثل للتراث[٢].

- كما يزعم أن الاتجاه السلفي ينظر إلى التاريخ نظرة ارتدادية، وأن الاعتقاد السلفي في قضايا الدين والإيمان والقدر والرسالة والوحي هو الذي أدى بالعقل العربي الإسلامي إلى تجنب الاقتراب من منطقة المستقبل وتركيز كل جهوده فيما هو وقتي مباشر، وترك الميدان المستقبلي للظروف دون محاولة للتدخل المسبق فيه. ومما قاله بهذا الشأن قوله: "حين نتأمل جيداً موقع العقيدة الإسلامية والوحي القرآني في التاريخ العام للبشر كما تحدده وجهة النظر الدينية؛ يتكشف لنا أحد الأسباب الهامة التي تحول دون سيادة الاتجاه المستقبلي في الفكر الإسلامي، ذلك لأن الإسلام هو آخر الرسالات التي بعثت للبشر، ورسول الإسلام هو خاتم الأنبياء، والوحي الذي كان يهبط على البشرية منذ أقدم عهود

---

(١) انظر: المرجع السابق ص ١٤ - ١٥.

(٢) انظر: خطاب إلى العقل العربي ٤٦ - ٤٧، ط عام ١٩٩٠م، مكتبة مصر - القاهرة.

الأنبياء قد اكتمل بنزول القرآن، وبمجيء الإسلام تكون البشرية قد بلغت سن الرشد واستُكمل كل ما كان ينقص الرسالات السابقة. وهكذا ينطوي الإسلام على عقيدة أساسية هي أنه دين البشرية التالية كلها، وتعاليمه هي أعلى قمة للتشريع والأخلاق والحكمة يمكن أن يهتدي بها الإنسان. في وضع كهذا كيف يمكن أن يوصف التاريخ التالي للبشرية، أعني: تاريخها الذي أعقب وصولها إلى تلك القمة؟ لن يكون هذا التاريخ في واقع الأمر سوى شروح على متن هو الوحي في صورته المكتملة ... وفي إطار وجهة نظر كهذه كيف يمكن أن يكون للمستقبل دور جوهري في فكر الإنسان المسلم؟ إن مسار التاريخ بعد الإسلام إما أن يكون تدهوراً، وإما أن يكون ـ على أحسن الفروض ـ محاولة دائمة للعودة إلى الإشعاع الأول، وفي كلتا الحالتين لا ينطوي المستقبل على جديد، ولا يمثل تطور البشرية خطاً صاعداً إلى أعلى. وربما تصور المؤمن المتمسك بحرفية عقيدته أن الأمل في مستقبل أفضل من أي شيء عُرف في الماضي ينطوي على نوع من التجديف، إذ يتضمن الاعتقاد بأن التاريخ سيبلغ يوماً ما نقطة تعلو على المستوى الذي بلغه عند نزول الوحي، وهو أمر ممتنع بالنسبة إلى عقيدة اكتمل بها رشد الإنسان، أعني : عقيدة يستحيل ـ بحكم تعريفها ذاته ـ أن يتم تجاوزها في أية لحظة لاحقة من تاريخ البشر"[1]. وقوله: " لقد كان من الطبيعي أن تؤدي النظرية التي ترى في الوحي أعلى قمة بلغتها الحكمة والشريعة في أي عصر ـ تؤدي إلى فلسفة للتاريخ ترى في مسار البشرية بعد عصر الوحي الأول تدهوراً، وتُعلق أقصى الآمال على التشبه بهذا العصر الأول، أما

(١) الصحوة الإسلامية في ميزان العقل ص ٨٥ – ٨٦.

تجاوزه فمحال. تلك هي الصورة التي اتخذتها فكرة "العصر الذهبي المجيد" في العالم الإسلامي، مع ملاحظة أن هذا العصر الذهبي ليس عصر أمجاد بشرية، بل هو ذلك الذي تحققت فيه أرقى صورة من اتصال الألوهية بالإنسانية، في وحي يمثل كلمة الله الحرفية والمباشرة. وعندما يكون المستقبل بالضرورة أدنى مستوى من الماضي، وعندما يكون قصارى الأمل هو أن نكرر في المستقبل لحظة معينة من لحظات الماضي، فعندئذ يفقد المستقبل قيمته بوصفه غاية يتجه إليها نشاط الإنسان، ومن ثم لا تعود هناك حاجة إلى جعله موضوعاً أساسياً للتفكير... ولو قفزنا عبر الزمان قفزة كبرى لنصل إلى الوضع السائد في العصر الحاضر لوجدنا أن عدداً غير قليل من الجماعات الدينية المعاصرة في العالم العربي تلخص فلسفتها الإصلاحية في عبارة واحدة هي: (لقد كان المسلمون الأوائل منتصرين في جميع الميادين، وهزموا أعظم دول العالم في زمانهم عندما كانوا يتبعون تعاليم دينهم، ثم تدهورت أمورهم لما انصرفوا عن الدين، وإذن فلنعد إلى حظيرة الدين كيما نصبح مرة أخرى أعظم أمم العالم)، قد تختلف التعبيرات من جماعة إلى أخرى، ولكني أعتقد أن هذه العبارة تُلخّص الدعوة الفكرية لعدد من أهل الجماعات الإسلامية الحالية. وإذا لم يكن من مهمتنا أن ندخل في جدل يكشف عما في هذه (الوصفة) من سذاجة وقصور ـ يتمثل قبل كل شيء في تجاهل الفوارق النوعية الهائلة بين عصر الدعوة الإسلامية والعصر الحاضر وإسقاط كل التغيرات التي طرأت على العالم كله في الفترة الواقعة بين الحقبتين ـ فإننا نستطيع أن نكتشف بسهولة في هذه المعادلة المبسطة التي تقتنع بها أعداد هائلة من العرب المعاصرين نفس السمة

التي كنا نشير إليها منذ قليل، وهي أن أقصى حلم يتمناه هذا الفكر للمستقبل هو أن يتخذ شكل الماضي البعيد، وأن الإحياء والتجديد هو الأمل الأكبر، أما التجاوز فمستحيل"[1].

ـ ويعدُّ فؤاد زكريا الاقتداء بالسلف الصالح والالتزام بمنهجهم اغتراباً زمانياً وقفزاً فوق الزمن، ويرى أنه لا يصح الربط بين الأصالة وذلك الاقتداء والالتزام، لانقطاع الخيط الذي يصلنا بزمن السلف الصالح، ولأن منهجهم لم يطبق ـ في نظره ـ إلا فترة زمنية محددة هي فترة صدر الإسلام. فنراه يقول ـ بعد أن تحدث عن دعوة البعض إلى محاكاة النموذجين الغربيين الرأسمالي والاشتراكي ـ :"... غير أن هناك نوعاً آخر من المحاكاة يوصف بأنه لا يتضمن أي خروج عن الأصالة، بل يقال إنه هو نفسه التعبير الحقيقي عن الأصالة، وأعني به: محاكاة أسلافنا والعودة إلى نموذج الحياة الذي كان سائداً إبان انتشار دعوتهم وازدهار دولتهم، وقد يتخذ هذا النموذج شكلاً إسلامياً، فيقال: إن صيغة التقدم الوحيدة المتاحة لنا هي أن نعود إلى إسلام السلف الصالح، مادام هؤلاء قد تمكنوا بفضل إيمانهم من تثبيت دعائم دولة كبرى؛ وقهر أعظم إمبراطوريات التاريخ القديم... هذا النوع من محاكاة الأجداد، أو ـ حسب العبارة التقليدية ـ الاقتداء بالسلف الصالح يُعد في نظر الكثيرين الحل الأمثل لمشكلة الأصالة، فنحن في هذه الحالة نعود إلى جذورنا ونرتد إلى أصولنا، ومن ثم فإننا في واقع الأمر لا نحاكي أحداً، لأن المحاكاة إنما تكون بين طرفين متغايرين، وهو مالا ينطبق على العودة إلى الذات في منابعها الأصلية. ولكن هل تكمن الأصالة في مثل هذه العودة

---

(١) المرجع السابق ص ٨٧ – ٨٩.

إلى الماضي بحق؟... إن أنصار الاقتداء بالسلف الصالح يركزون دعوتهم على فترة معينة من التاريخ، هي على وجه التحديد فترة صدر الإسلام، والنموذج الذي يدعون إلى الاقتداء به هو نموذج الإسلام الأول؛ إسلام الدعوة والكفاح والانتصار وبناء الحياة الجديدة، أي: عصر النبي والخلفاء الراشدين، وربما توسع بعضهم فامتد إلى نهاية القرن الأول والثاني من الهجرة، ولكن المهم في الأمر أن بؤرة الاهتمام ومركز الإشعاع هو أقدم عصور الإسلام. ويعترف أنصار هذه الدعوة أنفسهم بأن الفترة التي تلت ذلك، أعني: الفترة التي تفصلنا عن عصر الانتصار الأول كانت في معظم الأحيان فترة تدهور وتراجع وخروج عن الخط القويم؛ وعن النموذج الرائع الذي ضربه لنا المسلمون الأوائل، وبعبارة أخرى: فإن معظم فترات التاريخ الإسلامي كانت - باعتراف أنصار هذا الرأي - انقطاعاً عن المسار الذي بدأ بداية مجيدة؛ وخروجاً أو انحرافاً عن الاتجاه القويم، أي أننا حين يراد منا أن نعود اليوم إلى هذا النموذج لابد أن نقفز قفزة هائلة فوق الجزء الأكبر من التاريخ العربي الإسلامي ونعود إلى أول فتراته، ونُسقط من حسابنا جزءاً كبيراً من الزمن الذي يفصل بيننا وبين هذا العصر الأول. هذا الانقطاع وهذه القفزة فوق فترة زمنية طويلة تُسقط شرطاً أساسياً من شروط الأصالة وهو "الاستمرار"، فصحيح أن العصر الذي يُراد منا أن نقتدي به ينتمي إلى جذور تاريخنا البعيد، ولكنه لم يظل ممتداً على نحو متصل حتى وقتنا الراهن، فنحن في حالة النموذج الإسلامي نعترف صراحة بالانقطاع؛ حتى نقول إننا تنكبنا طريق السلف الصالح منذ القرون الأولى، أي: أن معظم فترات تاريخنا كانت خروجاً على النمط

الأول، ونحن نعلم أن الأصالة في نسب إنسان أو فرس إنما تعني أن يكون هذا النسب مستمراً أو متصلاً من فترة معينة في الماضي حتى الوقت الحاضر، ولو حدث أي انقطاع في النسب خلال هذا المسار لما عاد هذا أو ذاك أصيلاً. وهكذا نجد لزاماً علينا أن نعيد النظر في موقف أولئك الذي يحددون الأصالة بأنها العودة إلى جذورنا الضاربة في أعماق الماضي، فحدوث انقطاع أساسي بين الحاضر وهذا الماضي البعيد يؤدي إلى الإحساس بنوع من "الاغتراب" بين الإنسان وجذوره البعيدة، وكما أننا في محاكاة النماذج الأجنبية المعاصرة نشعر باغتراب "مكاني" لأن هذا النماذج دخيلة علينا تنتمي إلى بقاع تفصلنا عنها مسافات مادية ومعنوية كبيرة، فكذلك نشعر باغتراب "زماني" حين يُطلب إلينا أن نقفز فوق الزمن قفزة هائلة ونتجاهل معظم فترات تاريخنا، ونقتدي بنموذج قديم في ظروف أصبحت مختلفة عنه كل الاختلاف، وفي عالم لا تربطه بعالم الأسلاف أية صلة، في الوقت الذي نعترف فيه صراحة بأن الخيط الذي كان مفروضاً أن نظل ممسكين به من ذلك العصر الذهبي القديم قد انقطع منذ أمد بعيد"[1].

ـ ويصور فؤاد زكريا موقف أصحاب المنهج السلفي ـ الماثل الآن في الصحوة الإسلامية ـ من العلم المعاصر بصفة خاصة كما يلي:

أ- أنهم يرون تضاداً وعداءً بين العلم الحديث ومتطلبات الإيمان كما يتصورونها هم[2]، وأنهم لم يستطيعوا أن يقيموا التعايش بين العلم والإيمان، ولذا فهم يلجأون إلى جعل العلم ينبثق عن الدين، أو إعطائه

---

(١) المرجع السابق ص ٩٩ ـــ ١٠٠.

(٢) انظر: خطاب إلى العقل العربي في الصفحات : ٥٨،٥٩، ٦٤، ٦٥،٦٩.

مكانة بمقاييس دينية[١].

ب- أنهم ينكرون السببية ويطعنون في مبدأ الحتمية[٢]، لأن القول بها يعني ـ في نظرهم ـ الحد من القدرة الإلهية.

ج- أنهم يُدينون العلم الحديث، لأنه ـ في نظرهم ـ مادي وغير يقيني ويتعارض مع روحانية الإسلام[٣].

د- أنهم "يلجأون إلى استغلال أية ضعف في العلم سواء في منهجه أم في بنائه أم في نتائجه من أجل تأكيد ضرورة الاقتصار على الإيمان الديني الذي هو المصدر الوحيد لليقين أمام حقائق علمية مهتزة وغير مؤكدة"[٤].

هـ ـ أنهم يقعون ـ دون وعي ـ في موقف شديد التناقض، حيث يرفضون العلم الغربي الحديث، ثم لا يجدون أية غضاضة من استخدام أحدث منتجات هذا العلم في حياتهم اليومية[٥].

ـ أما علاقة "السلفية" بالتاريخ وارتباطها بالواقع البشري، ففؤاد زكريا من "الذين يصفون (السلفية) باللاتاريخية من حيث مذهبيتها التي تتعالى على الواقع البشري تفاعلاً معه وانفعالاً به، بحكم كمالها وشمولها، أو من حيث وقوفها عند نمط تاريخي واحد تريد أن تفرضه على مسيرة التاريخ المغايرة لذلك النمط، مما يعني إنكار حركة الزمن وتغير الأحوال"[٦]، حيث نراه يصف الداعين إلى تطبيق الشريعة وإقامة

---

(١) انظر: المرجع السابق ص ٧٠.

(٢) انظر: المرجع السابق في الصفحات: ٥٩، ٦٠، ٦٤، ٦٥.

(٣) انظر: المرجع السابق ص ٦١، ٦٥، ٦٨.

(٤) المرجع السابق ص ٦٨.

(٥) انظر: المرجع السابق ص ٧٠.

(٦) د. عبد الرحمن الزنيدي ــ السلفية وقضايا العصر ص١٠٩.

حقوق الإنسان في العصر الحديث استمداداً من الشريعة التي وجدت قبل أربعة عشر قرناً بأنهم يقدمون " تصوراً يؤدي بالفعل إلى إلغاء التاريخ...، بل إن دعوة أن النصوص المقدسة المتعلقة بحقوق الإنسان صالحة لكل زمان ومكان هي في ذاتها فكرة تعبر عن اتخاذ موقف لا تاريخي منذ البداية" (١). ويصف النظرة السلفية إلى التراث بأنها نظرة لا تاريخية، حيث يقول: "إن السمة التي تنفرد بها العلاقة بين الماضي والحاضر في الثقافة العربية هي أن الماضي ماثل دائماً أمام الحاضر، لا بوصفه مندمجاً في هذا الحاضر ومتداخلاً فيه، بل بوصفه قوة مستقلة عنه منافسة له، تدافع عن حقوقها إزاءه، وتحاول أن تحل محله إن استطاعت. ولو شئتُ أن أُلخص هذه السمة في كلمة واحدة لقلت: إن نظرتنا إلى الماضي لا تاريخية... فالماضي في ثقافتنا العربية يقطع صلته بعصره بالتدريج ويفقد طابعه النسبي، ويخرج عن الإطار الزمني الذي كان مرتبطاً به ليصبح قوة دائمة الحضور، ولابد أن يتصادم ما هو دائم الحضور مع الحاضر، إن العلاقة بينهما بإيجاز علاقة قوتين متعارضتين، مع أن الماضي والحاضر ليسا سوى قوة واحدة يتغير طابعها خلال الامتداد الزمني بالتدريج، وفي اعتقادي أن هذه النظرة "اللاتاريخية" إلى الماضي هي المسئولة عن قدر كبير من التخلف الفكري الذي يعاني منه العالم العربي، وعن ذلك التخبط والاضطراب الثقافي الذي يظهر أوضح ما يكون في الطرق التي تُعالج بها مشكلة موقفنا من التراث ودوره في حياتنا الحاضرة، أو مشكلة الأصالة والمعاصرة كما يشيع تسميتها" (٢).

---

(١) الصحوة الإسلامية في ميزان العقل ص ١١٢ ـــ ١١٣ بتصرف يسير.

(٢) المرجع السابق ص ٢٧ – ٢٨. وانظر : ص ٤٢ من المرجع نفسه.

ـ ويفترض فؤاد زكريا مأزقاً يقع فيه السلفيون نتيجة لإيمانهم المطلق بـ(صلاحية الشريعة لكل زمان ومكان) وإمكانية تطبيقها بحذافيرها على الحياة البشرية المعاصرة، ذلك أن الشريعة ثابتة، بينما الحياة البشرية متغيرة متطورة، فإذا أُريد تطبيق الشريعة على الحياة فإما أن تتغير الشريعة تبعاً لتغير مجال تطبيقها فينتقض الحكم بثباتها وتكون متطورة مسايرة للزمن في تحولاته ـ وهذا ما يرفضه السلفيون ـ وإما أن تجمد الحياة عند صورة واحدة وتُرفض صورها المستجدة التي حدثت بعد اكتمال التشريع. حيث يقول ما نصه: "إن فكرة (الصلاحية لكل زمان ومكان) تبدو متعارضة مع التغير الذي لا يستطيع أن ينكره أحد في أحوال البشر، مما يجعل إطلاق هذا الوصف على الأمور المتعلقة بالظواهر الإنسانية أمراً شديد الصعوبة من الوجهة العقلية" [1]، ويقول كذلك عن السلفيين: "هناك فئة من المفكرين الدينيين لا تدرك هذه المشكلة على حقيقتها وتتجاهلها إلى حد الإصرار على صيغة (الصلاحية لكل زمان ومكان) بلا قيد ولا شرط. والمأزق الذي تواجهه هذه الفئة هو أنها إذا تمسكت بحرفية النصوص دون تصرف ــ هذا إذا افترضنا أن هناك إنساناً قادراً على التمسك بحرفية النصوص ـ كان عليها أن تتجاهل أوضاع الواقع وظروف العصر، أما إذا أرادت أن تعمل حساباً لهذه الأوضاع ـ وهو أمر لا مفر منه في حياتنا المعاصرة ـ فلا بد لها من أن تقصر دور النصوص على المبادئ والتوجيهات العامة. ويُمكن التعبير عن هذا الإشكال من خلال مقارنته بصيغة أخرى تُتداول بدورها دون تحليل متعمق، وهي (الإسلام دين ودنيا)، ذلك

---

(١) المرجع السابق ص ١٧٢.

لأن مفهوم (الدنيا) في هذه الصيغة يشمل السياسة وتنظيم المجتمع والمعاملات الخ، وكلها أمور يسري عليها التغير والتطور الذي يتسارع مُعدّله يوماً بعد يوم، فإذا شئنا أن نعمل حساباً لهذه (الدنيا) السريعة التغير التي تزداد المسافة تباعداً بينها وبين (الدنيا) التي نزل فيها الوحي؛ وجدنا تعارضاً لا مفر منه بين هذه الصيغة والصيغة السابقة (الصلاحية لكل زمان ومكان)، بحيث يبدو لنا أننا لو أخذنا بالأولى اضطررنا إلى التنازل عن الكثير مما في الثانية، والعكس بالعكس. أما حين يجمع الفكر الديني المعاصر بين الصيغتين معاً دون أية محاولة لفهم العلاقة العكسية بينهما، أو لبيان الطريقة التي يمكن بها الجمع بينهما دون تناقض في ظروف عصر دائم التغير، فإنه يتجاهل بذلك مشكلات كثيرة لا يملك العقل الحديث ترف الهروب منها"[(١)].

- وينافح فؤاد زكريا كثيراً عن "العلمانية" محاولاً الرد على جميع الانتقادات الموجهة إليها، ومدعياً أنها ضرورة حضارية اجتماعية وسياسية ومبدأ أصيل تحتاج إليه جميع المجتمعات الإسلامية في مرحلتها التاريخية الراهنة[(١)]، وأنها "مهما تعمقت في التراث تظل تضعه في إطاره التاريخي وتربطه بظروف الزمان والمكان التي حددت معالمه، ولا تقع أبداً في خطأ الاستعاضة عن الحاضر مهما كان هزيلاً بالماضي مهما كان مجيداً، ولذا كان موقفها من التراث جامعاً بين الحفاظ عليه وتجاوزه، بل إنها ترى أن التراث لا يُصان ولا يُحفظ إلا من خلال عملية النقد

---

(١) المرجع السابق ص ١٧٣. وراجع كذلك: الحقيقة والوهم في الحركة الإسلامية المعاصرة ص ١٢-١٤.

(١) راجع: الصحوة الإسلامية في ميزان العقل في الصفحات: ٦٣ - ٨٠.

والتجاوز"[١]. انتهى كلام الدكتور القوسي ـ وفقه الله ـ.

ويقول الدكتور نعمان السامرائي: (قرأت أخيراً كتاب (الصحوة الإسلامية في ميزان العقل) للدكتور فؤاد زكريا، الصادر عن دار الفكر المعاصر، وقد توقعت دراسة علمية، ولكني أصبت بخيبة أمل، فهو كالدكتور "أركون" يشن الغارة على الصحوة وأهلها، ويدافع عن اللبرالية وثمارها".

وسأحاول ذكر آراء الدكتور زكريا حرفياً، تاركاً للقارئ أن يقارن بينه وبين الذين ساهموا في الحديث عن "الصحوة" إبتداءً بالمرحوم حامد ربيع، وجاك شيراك، وفيليب روندو، وجيمس بيل، وغيرهم، وليصل إلى ما شاء من حكم على الأفكار وأصحابها من خلال النصوص.

موقف الدكتور زكريا من النص الإسلامي:

اختار الدكتور عدم مناقشة رأي الإسلام، وتوجه إلى مناقشة آراء المسلمين فيما يكتبون، وعلل هذا التوجه، بأنه غير مؤهل لذلك[٢].

وهو يرجو "أن لا يحاكم إلى النص" ثم يختم مقدمته بأن كتابه موجه إلى عقول الناس لا إلى عواطفهم[٣].

وفي الفصل الأول يقول:[٤] (في الوقت الذي لا يكف فيه الدعاة الإسلاميون عن الزهو بأمجاد الإسلام والعروبة، نرى الدول الإسلامية ـ على الصعيد الدولي ـ في ذيل المجتمع العالمي. إنها وحدها التي تعيش بلا أمل). اهـ.

---

(١) المرجع السابق ص ٧٤.

(٢) الصحوة في المقدمة ص ٤ ـ ٥.

(٣) الصحوة في المقدمة ص ٤ ـ ٥.

(٤) الصحوة ص ٩.

والسؤال: أين الإشكالية التي عنون بها للبحث؟؟.

لقد طبقنا الإسلام يوماً فتقدمنا، وهجرناه أو ابتعدنا عنه فتأخرنا، ونحن نريد أن نعود إليه على أمل أن نتقدم، فأين الإشكال؟

لقد اتسعت صدورنا لتطبيق جميع النظم، فلنطبق الإسلام ـ ولو مرة واحدة ـ فإن نهضنا... وإلا أضفنا تجربة إلى عشرات التجارب التي مضت دون جدوى ولا فائدة، أم أن "السادة" يضعون "فيتو" على الإسلام وحده ؟؟!!.

الدكتور زكريا وتعميماته:

يقول علماؤنا: ما من عامٍ إلا وخُصص. وما زلنا نلوم طلبتنا على التعميم. وأفاجأ بالدكتور يقول:[١] (الكل في بلاد العالم الثالث ينهضون، وإن لم ينهضوا يقاومون، وتنتفض قلوبهم بروح الثورة والسخط على الأوضاع، ويتملكهم الأمل في مستقبل يتغير فيه مجتمعهم وإنسانهم إلى الأفضل، إلا العالم الإسلامي. فكل شيء فيه هامد خامد، وكل شيء فيه مبعثر منقسم، وكل روح فيه منطفئة مكدودة، وأما الأمل فقصاراه أن يدوم الحال ولا يطرأ "مكروه" يقلب الأوضاع ويعكر الهادئ ويغير المستقر). اهـ.

والسؤال : هذه الأحكام العامة عقلية أم عاطفية؟؟.

لا صحوة ولا يحزنون:

يشارك الدكتور زكريا "أركون" بأنه لا صحوة، ولا أمل، ولا حركة، ولا يحزنون[٢]. بل تخلف في تخلف. فهو يقول:[٣] (...ولكن الواقع أن

---

(١) الصحوة ص ٩.

(٢) تعبير شائع، للدلالة على عدم وجود ما يستحق الاهتمام.

(٣) الصحوة ص ١١.

كل ما يقال عن هذه الصحوة خارج البلاد الإسلامية وداخلها، يؤكد فكرة "التخلف" ولا ينفيها، والمسألة في رأيي هي: أن في العالم الإسلامي المعاصر موارد نفطية هائلة، ذات أهمية بالغة لاستمرار الحياة في العالم الصناعي الغربي المتقدم، وهو يمثل موقعاً استراتيجياً عظيم الأهمية في الصراع بين المعسكرين الرأسمالي والشيوعي[1]، وهذا العالم كان يتم التعامل معه حتى الآن بأساليب يسيره، لا تتضمن تعقيدات كثيرة، ولكنها تحقق تدفقاً منتظماً للموارد النفطية، وتضمن وضعاً مريحاً للمعسكر الغربي بالذات في الصراع الاستراتيجي العالمي، ويكفي كأسلوب مضمون للتعامل مع هذا العالم، أن تُزرع فيه إسرائيل لكي تهدد أي نظام يسعى إلى تحقيق التقدم في بلاده، وأن يُنشر الخوف من الشيوعية لكي يرغم النظم الطبقية والعشائرية على الاستسلام الدائم لرغبات الغرب... ولكن ظهور اتجاهات جديدة غير الاتجاهات التقليدية، يمكن أن يحدث خلخلة في الخطة بأكملها، ويدفع إلى السطح بعوامل غير منظورة وغير متوقعة، تقتضي تعديلات، قد تكون طفيفة أو أساسية في خطة التعامل، ولهذا السبب أعتقد أن كل ما يقال عن اهتمام العالم "باليقظة الإسلامية" إنما هو محاولة لاستيعاب أي اتجاه فكري أو سياسي جديدة في إطار أساليب التعامل التي أثبتت فعاليتها طوال العقود الثلاثة الماضية، ولامتصاص أي تغيير تفكر المجتمعات الإسلامية في إدخاله على حياتها... هذا هو التفسير الحقيقي - في رأيي - لذلك الاهتمام المحموم الذي يبديه العالم "باليقظة الإسلامية" فهو ليس اهتماماً مقصوداً لذاته، ولا يعبر عن موقف اتجاه الإسلام ذاته، وإنما هو محاولة لإعادة وضع "النبيذ الجديد في الزجاجات القديمة"...) اهـ.

---

(١) لقد سقط الصراع في يوم وليلة.

وأنا أسأل الدكتور زكريا أن يفسر لي لماذا غزا السوفيت أفغانستان وليس فيها نفط ولا دبس، وهي في يد عملائهم ؟؟!!.

ولماذا جمع "كارتر" حوله فريق عمل، لدراسة أمر الصحوة والمتطرفين؟ ولمذا يدعو شخص مثل "بريجنسكي" لاستعمال القوة ضد الصحوة ورموزها؟.

ولماذا يهتم يهودي مثل "كيسنجر" بهذه الصحوة ويقدم النصائح بالدس على رموزها وتفريق صفوفهم؟؟.

ولماذا يُزعج الغرب فوز بضعة نواب إسلاميين في بلد فقير؟؟.

وأخيراً كيف يفسر لي الدكتور زكريا تصريح رئيس جمهورية فرنسا إنه سيتدخل في الجزائر إذا فاز الأصوليون في الانتخاب؟؟.

ثم كيف يفسر لنا الدكتور ذلك التضامن الكامل بين الشرق الشيوعي والغرب الرأسمالي، على إقامة إسرائيل والاعتراف بها لحظة ولادتها، ثم مدها بالرجال والمال، وحراستها "بالفيتو" وغيره؟؟.

وأخيراً ماذا سيقول الدكتور بعد "وفاة" الشيوعية واستجداء الروس المعونات من أعداء الأمس؟ .

نحن والله يسعدنا أكبر سعادة أن يكف الغرب عن حربنا، وأن يتركنا نختار الطريق كما تفعل شعوب الأرض أو الكثير منها.

إن الغرب هو الذي يشن الحرب ضدنا، ويحاول إذلالنا بكل ما يستطيع من حيلة، سواء في ذلك أن نصادقه، أو نعاديه، نخالفه ونحارب إلى جانبه، أو نقف على الحياد. فإذا كان الدكتور لا يعي ذلك أو لا يهتم به فتلك قضية أخرى.

لقد كره الغرب اليهود واضطهدهم، بل قتلهم أحياناً، ثم صالحهم،

بل تحول نحوهم إلى عاشق، يعجبه حتى سفك اليهود لدماء جيرانهم، وراح يمدهم بالمال والتأييد والعتاد والرجال، وبكل ما يريدون، فلماذا بقي الإسلام والمسلمون وحدهم الأعداء الألدّاء ؟؟ ليتوسط الدكتور زكريا بيننا وبينهم عساه يقنعهم بفتح صفحة جديدة، كتلك التي فتحوها مع اليهود!!

الدكتور زكريا واللبرالية:

الدكتور زكريا عاشق للبرالية، يتحدث عنها كأي عاشق مُتيَّم، بل هي كحُمَّى شاعرنا التي وصفها بقوله:

عرضتُ لها المطارف والحشايا

فعافتها ونامت في عظامي!

ولا اعتراض لدي على عشق الدكتور، ولكني أعترض على قوله:[1] (ذلك أن اللبرالية بمفهومها المعروف في الغرب، والذي طبق في بعض البلاد الإسلامية خلال فترات معينة من تاريخها، أصبحت في الوقت الراهن معرضة لحملات كاسحة من التشويه وسوء الفهم، ونجحت أجهزة الإعلام في البلاد التي تسيطر عليها نظم عسكرية أو عشائرية " أعني في مجموعة من أهم البلاد الإسلامية وأقواها تأثيراً " في تلطيخ سمعتها وإدانتها لأسباب لم تكن اللبرالية ذاتها في واقع الأمر، مسؤولة عنها في معظم الأحوال، وهكذا تتهم التجربة الحزبية المحدودة النطاق، القصيرة الأجل، التي مرت بها بعض البلاد الإسلامية بأنها كانت فاسدة، فاشلة، وتأخذ الأجيال الجديدة الشابة هذا الاتهام على أنه قضية مسلّم بصحتها...) اهـ.

---

(١) الصحوة ص ١٤.

لقد صارت بلاد المسلمين حقل تجارب لجميع النظم، ونحن حين نتكلم عن هذه النظم فكلامنا عن تجاربنا أولاً، ويشاركنا في ذلك بعض من تقدم ذكرهم: جاك شيراك، وفيليب روندو، وجيمس بيل، وغيرهم كثير.

وهذا فرنسوا شاتليه يذهب لأبعد من ذلك، فيقرر أن بعض المثقفين في البلدان ذات الثقافة الفرنسية، يسعون لتبني أفكار ومفاهيم قد تخلى عنها الفرنسيون أنفسهم وتخلصوا منها[١] !!!

الدكتور زكريا يمنعنا من الحديث عن أمجاد الإسلام، مع أنه طُبق في بلادنا، وفي الوقت نفسه لا يستهجن الحديث عن التجارب الفاشلة في بلادنا، لأنها لم تكن كذلك في موطنها. فهل هذا الموقف مقبول وعلمي؟؟!.

وأختم هذا الحديث بشهادة للدكتور علي الشامي، فقد يكون مقبولاً لدى الدكتور زكريا، إذ هو ليس من المعروفين "بالتخلف" ولا المعدودين على الصحوة الإسلامية! فهو يقول: [٢](انتقل الغرب، عبر الحضارة من الحالة الصليبية إلى الحالة الاستعمارية،... ولم تكن الحضارة بشكل عام تطوراً في سياق تبديل العلاقة، بقدر ما كانت جهداً متواصلاً للحفاظ عليها، وفق تراتيبه، أراد جهابذة الغرب أن يجعلوها أزلية، وهي: "غلبة الغرب ودونية الإسلام" .

وفي الحقيقة إن الذي تغير ليس إطلاقاً مبدأ السيطرة، وإنما تحديداً، تقنيتها، فلم يكن الانتقال من الصليبية إلى الاستعمار تجاوزاً لرغبة

---

(١) مجلة الفكر العربي العدد ٤١ ص ٣٧٢ لعام ١٩٨٦.

(٢) المرجع السابق ص ٤٨.

السيطرة على الشرق الإسلامي، كما لم تكن منتجات الحضارة الحديثة سوى عامل مساعد على تكرار المحاولة، لقد تغير الغرب ولم تتغير نظرته إلى الإسلام. أما الاختلاف في الزمن والفكر والبنية، فإنه لم يُدخل على الإطلاق تعديلاً في المنهج والأيديولوجية، رغم التنويعات الظاهرة في الشكل). اهـ.

هذه شهادة أرجو أن تكون مقبولة لدى الدكتور وتلاميذه. وللمرة الألف أرجو أن يراجع الغرب ضميره ـ إن كان قد بقي لديه ضمير ـ فيعلن انتهاء الحرب ضد الإسلام والمسلمين، ومن التشجيع على سفك دمائهم ونهب خيراتهم، والمساهمة في إذلالهم وإفقارهم، وإعانة عدوهم عليهم، وأن يتوقف من مطاردتهم في الهيئات والمحافل الدولية، ومن التآمر عليهم في الليل والنهار، والسر والعلن، وأن يتوقف عن الهمس في آذان حكامهم. والأخير مطلب مُلحٌ عاجل...!) انتهى كلام الأستاذ السامرائي من كتابه (الصحوة الإسلامية في عيون مختلفة ص ٦٣ – ٦٩).

ويقول المستشار سالم البهنساوي: (بتاريخ ١٨/ ٧/ ٨٦ نشرت الأهرام أقوالاً للدكتور فؤاد زكريا، تتعلق بالإسلام والعلمانية ورد فيها أنه لا يوجد تعارض بين الإسلام والعلمانية، فهي كتعبير تعرضت لسوء فهم شديد يسيء إلى سمعتها بإظهارها على أنها نقيض للإسلام، واستدل بأن مصر في الأربعينات كانت تسير في طريق علماني، وليس معنى ذلك أنه لم يكن زعماء مصر يؤدون فرائض الإسلام، وأن أوروبا اتجهت إلى العلمانية كرد فعل على التفكير الذي يتمسك بأقوال أرسطو ورجال الكنيسة، بينما كانت أوروبا تسعى للتوسع والسيطرة والتصنيع

والعلوم وكان العائق هو التمسك بأفكار أرسطو والكنيسة، فلا يقال إن هذا التفكير الأوربي ليس عندنا فلا داعي إذاً للعلمانية.

لما كان ذلك وكانت هذه القضية تتردد بين الحين والآخر في كثير من المجتمعات العربية فتناولتها أقلام بهذا المفهوم الذي طرحه الدكتور "فؤاد زكريا" في ندوة نقابة الأطباء في مصر، من ذلك ما نشر في صحيفة الوطن بالكويت بتاريخ ١٩/ ١١/ ٨٢، ١٨/ ٣/ ٨٣، ٢٣/ ٥/ ٨٤ وكذلك ما نشر بصحيفة الوفد بتاريخ ١٢/ ٦/ ٨٦ للدكتور وحيد رأفت، كل هذا كان يخلط بين الحكومة الإلهية في باريس وبين الإسلام، ثم استحدث الدكتور فؤاد زكريا تعريفاً للعلمانية لم ينسبه لأي مصدر من المصادر، وينطوي على إضفاء صفة العلم عليها، ومن ثم وجب أن نرد ما اختلف فيه إلى مصادره الأصلية وذلك على النحو التالي وبإيجاز شديد:

١- العلمانية هي ترجمة كلمة SECULARISM ومعناها كما جاء في المورد ص ـ ٨٢٧ هو عدم المبالاة بالدين وبالاعتبارات الدينية، أي فيما يتعلق بالقواعد والنظم الاجتماعية فقد جاء في قاموس "وستر" ص ١٤٤٤ أن العلمانية هي قواعد غير مرتبطة بالقواعد ذات العلاقة بالكنيسة أو الأنظمة الدينية.

وعلى هذا الأساس فالعلمانية تعني رفض القوانين التي يكون مصدرها الوحي الإلهي، فهي تحل الفواحش والربا ولحم الخنزير وسائر المحرمات الواردة بالقرآن الكريم، وفي الكتب السماوية الأخرى كالإنجيل والتوراة؛ لمجرد أن مصدرها الدين طبقاً لما استقر عليه النظام العلماني بقاعدة فصل الدين عن الدولة.

٢- ليس صحيحاً أن العلمانية تعني التفكير العلمي أو تقتصر على التقدم الصناعي والمعماري، فالعالم قد أثبت أن أكل لحم الخنزير يضر بالإنسان ويكفي أنه يولد الدودة الشريطية التي يصل طولها بأمعاء الإنسان إلى ثمانية عشر متراً، كما أثبت العلم أضرار الفواحش وتمثل ذلك في أمراض الزهري والسيلان ثم أخيراً مرض الإيدز، ومع هذا فالتشريعات العلمانية في أوروبا تبيح هذه الأمور والعلم يوجب خطرها.

أما أن الفكر الديني يناهض العلوم والتصنيع ولهذا لجأت أوروبا إلى المذهب العلماني فإن ذلك قاصر على أوروبا وحدها ولا ينبغي أن نتبع أوربا في مشاكلها وأمراضها أو في علاج المشاكل والأمراض التي ليست في مجتمعاتنا، فالإسلام يطلق الحرية الكاملة في البحث العلمي وفي كل شيء يتعلق بالصناعة وغيرها مما يخضع للتجارب البشرية، فالنبي ﷺ قد قال: " أنتم أعلم بشئون دنياكم" . والأحاديث والآيات القرآنية في هذا لا نكاد نحصيها.

٣- إن ما عرف في أوروبا باسم الحكم الثيوقراطي أو الحكومة الإلهية، أمر لم يوجد في المجتمعات العربية ولن يوجد فيها، فإذا كان لرجال الدين في أوروبا في القرون الوسطى ما عرف باسم الحق الإلهي، الذي يخول لهم التصرف في الناس وفي التشريعات وفي أمور الحلال والحرام ثم يقولون إن هذا من الله، وبالتالي كانوا يملكون صكوك الغفران والحرمان، كما قاموا بسجن أو حرق من بحث في العلوم الطبية أو غيرها من العلوم التجريبية فإن كل ذلك لا وجود له في الإسلام فهو لا يخول أحداً من الناس في هذه الخصائص أو غيرها، كما أنه لا يفوض

أشخاصاً بأعيانهم لتولي السلطة في الأرض أو لممارسة السلطة الدينية على الناس بل إن القرآن الكريم قد نزل لإبطال هذه المغالطات المنسوبة إلى الدين وإلى الله تبارك وتعالى، فقد أعلن ذلك إلى الناس جميعاً، قال الله:﴿ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ إن تأدية بعض الزعماء للصوم والصلاة في النظم العلمانية ليس معناه أن هذه النظم لا تتعارض مع الدين، لأن التعارض بين الدين والعلمانية يكون فيما يتعلق بالتشريعات الاجتماعية والاقتصادية والقانونية؛ لأن العلمانية لا تعني إنكار وجود الله والديانات كما هو الحال في الشيوعية، وقد سجل القرآن موقف أهل مدين في هذا الشأن من نبيهم شعيب في قوله ﷻ: ﴿ قَالُواْ يَـٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَـٰٓؤُاْ ۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴾ انتهى كلام البهنساوي من كتابه (تهافت العلمانية في الصحافة العربية، ص٢٢٩، ٢٣٠).

وقال الأستاذ محمد إبراهيم مبروك في كتابه (علمانيون أم ملحدون؟) (ص١١٢-١١٩)، (في كتاب الدكتور فؤاد زكريا (أستاذ الفلسفة الطبيعية) (نظرية المعرفة والموقف الطبيعي للإنسان) يعدد مصادر المعرفة المختلفة (وطبعاً لا يذكر من بينها الوحي) ثم ينكرها جميعاً باستثناء الإدراك الحسي الذي يعتبره المصدر الوحيد للحقائق. ويرفض الدكتور فؤاد المنهج العقلي الذي يتخذ البرهان العقلي على وجود الأشياء رفضاً شديداً حيث يقول: "إن المعيار الحاسم لوجود الأشياء هو إدراكها (يقصد إدراكها بإحدى الحواس الخمس) لا البرهنة

عليها".

وينقل قول لوك مؤكداً لموقفه: "إن معرفتنا بوجود الأشياء لا ينبغي أن ترد إلى الذهن لأن الوسيلة الوحيدة لهذه المعرفة هي الإحساس ولا يمكن عن طريق الأفكار الذهنية وحدها إثبات وجود موضوع لفكرة ما".

ومن هذا المنطلق فإنه ينتقد آراء ديكارت وباركلي في الإيمان بوجود أشياء ميتافيزيقية (غيبية) على البرهان العقلي.

ويقول عن الآثار العملية الضارة لهذه الطريقة في التفكير: "عندما كان الناس يؤمنون بأن محاصيلهم هبة من إله الزرع أو الخصب كانوا يركزون جهودهم في الصلاة لذلك الإله ويتركون زرعهم تحت رحمته أما عندما أصبحوا يؤمنون بأن جودة محاصيلهم تتوقف على ما يبذلونه فيها من جهد فإن نشاطهم تحول من الصلاة لإله الزرع إلى رعاية الأرض وتعهد النبات وهكذا يؤدي تغيير طريقة التفكير النظري في الأشياء إلى تغيير في طريقة التعامل مع هذه الأشياء".

وهذا الموقف الحاسم والمعروف عن الدكتور فؤاد زكريا (والذي نقدر له ثقافته العلمية الواسعة وقدرته الموضوعية الكبيرة وكذلك موقفه السياسي في رده على كتاب الأستاذ حسنين هيكل خريف الغضب) حيث أكد في كتابه (كم عمر الغضب) أن الأخطاء التي وقع فيها الرئيس السادات يجب أيضاً أن يتحملها بالتبعية الرئيس عبد الناصر الذي عينه في منصب النائب وهو يعلم من هو.

ونقدر له في كتابه (التفكير والمنهج العلمي) موقفه الموضوعي من الحضارة الإغريقية والتي اعتبرها ذات إنجازات علمية متواضعة وكذلك

موقفه الموضوعي من الحضارة الإسلامية التي أشاد بإنجازاتها العلمية وقدرتها على تفجير الطاقات الفكرية النابغة وكذلك تفريقه بين الإسلام فإننا أمام دين يختلف كل الاختلاف عن الدين الذي كان يواجه رواد النهضة فالإسلام دين يدعو إلى العلم وإعمال العقل في التفكير بشكل قاطع وإن كان يؤخذ عليه في هذا الكتاب أنه أسقط هجومه على التفسيرات الغيبية بوجه عام.

إلا أن الموقف الفكري الحاسم والمعروف عن الدكتور فؤاد زكريا والذي أشرنا إليه في الحديث عن نظريته في المعرفة بدأ يأخذ شكلاً آخر في كتبه التي يتحدث فيها عن الصحوة الإسلامية وموقفه منها. فبدت آراؤه تأخذ طابعاً بعيداً عن الموضوعية وتتجه نحو التأويل والتعميم والمراوغة .

ويرى الدكتور فؤاد زكريا في كتابه: "الحقيقة والوهم في الحركات الإسلامية" أنه ما زالت تسيطر على الإسلاميين الفكرة الساذجة بمعاداة الغرب للإسلام بوجه خاص (ولا أعرف كيف يمكنه تأويل الأقوال الصريحة الدالة على ذلك لقادتهم السياسيين والمفكرين والتي أشرنا إليها في الباب السابق؟!).

ويرى أنه بالنسبة للمعتدلين الذي يؤمنون بالتطبيق التدريجي للشريعة الإسلامية (والتي يكاد يختزلها في الحدود!) ويشترطون لتطبيقها توفير حد أدنى من الكفاية الاجتماعية قد فاتهم أن يسألوا أنفسهم وكيف يمكننا أن نصل إلى تلك المرحلة إلا بتحقيق الإصلاح الاقتصادي والاستقلال السياسي والحياة الديمقراطية وعلى ذلك فعلينا أن تشغلنا هذه الأمور أولاً ـ وذلك بالترتيب السليم للأولويات ـ ثم تأتي بعد

ذلك مسألة تطبيق الشريعة.

فهل فات الدكتور فؤاد وقد يكون السبب في ذلك هو بعده عن الحركة الإسلامية أو رؤيته لها بمنظوره الخاص أنه ليس هناك بين الإسلاميين (سواء المعتدلين أو غير المعتدلين) من يطالب بتطبيق الشريعة الإسلامية بمعناها المحدود بل إن المطالبة بتطبيق الشريعة عندهم تمثل رمزاً لقيام الدولة الإسلامية المنشودة بل إن تطبيق الشريعة يكاد يكون مرادفاً عندهم لقيام الدولة الإسلامية: وهذا أمر مبدئي لدى الحركة الإسلامية لا يمكن التشكيك فيه لأنه من البديهيات الإسلامية التي يعوقها أن الإسلام دين شمولي لا يقبل التجزيء وأن تجزيء الإسلام لا يعني شيئاً سوى تشويهه.

وليس باستطاعتي أن أقتنع أن الدكتور فؤاد زكريا ـ بكل ثقله الفكري ـ من الممكن أن يجهل ذلك مهما كان موقفه من الحركة الإسلامية.

أما ما يطرحه الدكتور فؤاد عن ترتيب الأولويات فإنه يدور حول الحلقة دون أن يحاول اقتحامها لأن المسألة تتعلق بالمنهج المطبق في كل المراحل وليست المسألة مجرد تطبيق الإسلام في مرحلة ما، لكن الدكتور فؤاد أراد بطرحه لفكرة تطبيق الشريعة والرد عليها بترتيب الأولويات التي تستوجب الخروج من الأزمة التي نعانيها أولاً سياسياً واقتصادياً واجتماعياً ملتمسين النجاة داخل دائرة الحلول العلمانية، وطبعاً أقول أراد بذلك أن يؤجل نقاش فكرة تطبيق الإسلام لأجل غير مسمى ومحاولة تسويغ فرض التفكير في المشاكل المطروحة بالأساليب العلمانية في التفكير التي يريد أن يخلص إليها .

ولا أكاد أقتنع (مرة أخرى) أن الدكتور فؤاد لا يعي حكاية المنهج هذه، فأيا كانت المرحلة المطلوبة أولاً وأياً كانت المشكلة المطروحة فإن السؤال البديهي هو هل نلتمس الحل لها من داخل الإسلام أم من غيره؟ هل تعترفون بأن هناك حلاً إسلامياً لمشكلتنا الاقتصادية أم لا؟ وهل تعترفون بأن هناك حلاً إسلامياً لمشكلتنا السياسية أم لا ...؟ إلخ. أي أن المسألة المطروحة هي هل أنتم ترون الحلول من داخل الإسلام أم لا ؟ وأكررها في أكثر من مناسبة المسألة هي إسلام أم لا إسلام.

وإذا كان جيب بموقفه الاستعماري يسخر من المفكرين الإسلاميين في أوائل القرن الماضي متسائلاً لأي جمع من الناس يوجهون حواراتهم[1]؟ فإننا من دورنا نسأل الدكتور فؤاد بقدرته الموضوعية الكبيرة - ودون سخرية - لأي جمع من الناس توجه كلامك الذي يعني - ولو بشكل تمويهي - أنك تقبل تطبيق الشريعة بضماناتها الاجتماعية ولكن توفير هذه الضمانات يستوجب حلول مشاكلنا السياسية والاقتصادية والاجتماعية داخل نطاق الحلول العلمانية أو في قول أقرب إلى أسلوبكم بالطرق الموضوعية المجردة التي لا شأن للإسلام بها.

ويقول إن الشريعة الإسلامية شديدة العمومية ولابد من تدخل بشري كبير لكي تصير واقعاً يمكن تطبيقه في ذلك العالم البالغ التعقيد.

ضع هذا القول نصب عينيك جيداً وضع أمامه قول إن النص الإلهي يفسر ويطبق بواسطة حكام بشر وأن التجارب المريرة التي خاضها عالمنا الإسلامي قد أثبتت أن أمثال هؤلاء الحكام الأكثر دموية والأشد استخفافاً بمصائر البشر. إنه يخلص من هذين القولين إلى أن

---

(١) تجديد الفكر الإسلامي.

الشريعة الإسلامية ليست قانوناً إلهياً له حق التفضيل على القوانين الموضوعية!

وفي هذا الكلام عدة تجاوزات لا أعتقد أبداً أنها تفوت الدكتور فؤاد زكريا، فكون الشريعة الإسلامية بكليات شديدة العمومية أمر لا يعيبها وإنما هو ما يمنحها المرونة اللازمة التي تكسبها صلاحية الملاءمة مع تطور الأزمان والظروف والأحوال وهو ما يقتضيه كونها الشريعة الخالدة خلود الزمان ولكن هذا لا يجعلنا نتغاضى كما فعل الدكتور زكريا عن أن هناك الكثير من الأحكام التفصيلية أيضاً التي جاء بها الإسلام في كل شئون الحياة

ولتناقض الادعاءات العلمانية والتي لا تعني في حقيقتها أي شيء له معنى موضوعي بل وليست إلا محاولات تمويهية لإخفاء الأفكار المعادية للدين وراءها فإن الجانب الأكبر من العلمانيين يستغلون هذه الأحكام في اتهام الإسلام بالتعقيد الشديد.

ولكن الدكتور فؤاد لم يفعل ذلك لأنه أراد أن يخلص نتيجة أخرى معادية للإسلام ومترتبة على هذا القول هي أن من يقوم بتفسير هذه الأحكام العمومية حكام بشر أثبتت التجارب المريرة مدى ظلمهم وفسادهم، وأظهر إدعاء باطل في هذا الكلام هو أن ما يفسر هذه الأحكام هم الحكام فمن المعلوم بالضرورة أن الذي يقوم بذلك هم العلماء وليس الحكام ولا يعيب بعض هؤلاء العلماء ـ من أمثال عمر وعلي ـ أن يكونوا حكاماً وكيف من الممكن أن تؤدي عملية التفسير إلى سحب الصفة الإلهية من هذه الأحكام وكأن هؤلاء المفسرين يعملون في الهواء الطلق دون الالتزام بأية قواعد أو مناهج، فعمومية الأحكام التي

تكسبها الصلاحية والمرونة لمواجهة ما يقتضيه التطور الاجتماعي ومتغيرات السلوك الإنساني من أحكام لا يفقدها مقوماتها الخاصة بها لأن هذه العملية التوليدية المستمرة من الأحكام الإسلامية تخضع في تطورها لإطارات خاصة وأهداف محددة تعكس تصورات العقيدة الإسلامية للعالم والغايات الإسلامية من حركة تطور المجتمع ويخضع هؤلاء المفسرون لقواعد أصولية ثابتة في عملية التفسير واستخلاص الأحكام الجديدة وعلى قدر التزامهم بهذه القواعد على قدر ما ينسحب على آرائهم من شرعية إسلامية.

وحكاية عمومية أحكام الشريعة هذه واتخاذها ذريعة لتفريغ الإسلام من محتوياته تتردد كثيراً في كتابات الدكتور زكريا حتى تكاد تشك أن لديه إعوازاً شديداً في مواده الفكرية التي يستخدمها في محاولاته في إزاحة الإسلام وتثبيت دعائم الأنماط العلمانية في التفكير (والماركسية منها بالذات) على الساحة الفكرية مكانه وذلك في رده على كتاب الدكتور مصطفى محمود الماركسية والإسلام يقول(١) : "إذا كانت الأحكام الدينية تقتصر على العموميات وتترك التفاصيل والجزئيات لاجتهاد العقل البشري وفقاً لظروف الإنسان المتغيرة فمن أي مصدر نستمد هذه التفاصيل؟ لابد أن يكون ذلك من مصدر دنيوي ولابد أن يملأ الناس ذلك الإطار العام الذي تحدده الأحكام الدينية، بمضمون أو بمحتوى مستمد من واقع حياتهم المتغيرة ومستلهم من فكر إنساني واجتهاد بشري". ونعود لكي نسأل مرة أخرى: هل عملية الاجتهاد في التفاصيل هذه تحدث هناك في الهواء الطلق دون أي تأثير

---

(١) الصحوة الإسلامية في ميزان العقل.

من القواعد العمومية؟ ثم يأخذ على الدكتور مصطفى محمود هجومه على الماركسية ويتهمه بأن ذلك يعني أنه يريد أن يملأ الفراغات التي تركتها الأحكام العمومية بالرأسمالية.

والحقيقة أن كلام الدكتور فؤاد هو الذي يريد أن يوحي للقارئ الساذج (لأني لا أعرف مَن مِن الممكن أن يقتنع بهذا لكي يوجه إليه الدكتور فؤاد كلامه) أن الأوفق أن تمتلئ هذه الفراغات بالماركسية بل إنه يصرح بهذه الفكرة في كتاب آخر حديث له فيذهب إلى أن عمومية الأحكام الدينية تترك للاجتهاد وللتفسير وبذلك لا يجد المفكر مفراً لسد هذا الفراغ إلا إلى الرجوع إلى الأيديولوجيات المعاصرة، بحيث يؤدي العداء للاشتراكية على نحو آلي إلى خدمة الرأسمالية ويرى أن الأوفق إلى الإسلام أن يرجع في ذلك إلى الاشتراكية وذلك لأن "جوهر القيم الاشتراكية، ومضمونها الفعلي متفق مع الجوهر الحقيقي للإسلام اتفاقاً أساسياً".

وهكذا يتضح الآن السبب الخطير الذي يقف وراء إصرار الدكتور زكريا على ترديد حكاية عمومية الأحكام هذه في الكثير من كتاباته: إنه يريد أن يتخذها ذريعة لوضع الماركسية مكان الإسلام (على أساس أنها الأيديولوجية ذات الحلول المعاصرة) ولا يحتفظ من الإسلام إلا بغلاف للزينة فقط يعمل على تسويغ موقفه. ومازلت أردد يتخذ ذلك ذريعة عند من ؟! لمن يوجه الدكتور فؤاد كلامه ؟! إنه يريد أن ينتقل بمسألة عمومية الأحكام من حالة التميز بالمرونة والمعاصرة إلى حالة وصمها بالحياد والجدب والعجز بل واللا وجود تماماً، فهل بلغ الإسلام هذا الحد من الفراغ الذي يجعله في حاجة إلى ملئه تماماً إما بالماركسية أو

الرأسمالية؟! إن مسألة مثل المسألة الاقتصادية والتي كثيراً ما يشار إليها في هذا الموضوع نرى أن الإسلام له مواقفه الخاصة الأصولية في مختلف فروعها تلك المواقف التي تميزه من ناحية الأيديولوجية الاقتصادية كمذهب مستقل يقف في موضوعية كاملة في مواجهة الماركسية والرأسمالية معاً. أليس للإسلام موقفه الخاص من الملكية الخاصة وملكية الدولة والربا والاحتكار واستزراع الأرض ومختلف العقود التجارية والاقتصادية واتجاه الإنتاج والضرائب وتحقيق الكفاية الاجتماعية وغير ذلك من المسائل . لكن الدكتور زكريا يدعي بهذه الأقوال أن الإسلام (خيال مآته) يشير إلى العدل ولكنه لا ينطق بشيء .

فهل يجهل الدكتور زكريا هذه المواقف الخاصة للإسلام؟! من السذاجة أن نعتقد ذلك. ولكن ماذا يفيد الدكتور زكريا إذن تجاهله لهذه الأمور؟! ومع هذا فإن أسوأ المنزلقات التي وقع فيها الدكتور فؤاد تحت ضغط أهدافه العلمانية هي محاولة تأويله لقول كارل ماركس "الدين أفيون الشعوب" فهو يندد بالذين يفهمون المعنى الظاهر لهذا القول ويستغلونه في ترويج مفهوم العداء بين الماركسية والدين فيذهب إلى أن ماركس لم يقصد بذلك "إبعاد الناس عن الدين مثلما يبتعدون عن مخدر ضار كالأفيون ولكنه كان يقصد "أن الدين مهم ما دامت المظالم الاجتماعية قائمة، وبرغم اعترافه أن آراء ماركس في الدين لن ترضي رجال الدين إلا أنه لم يذهب في موقفه إلى الدعوة إلى محاربة الأديان. وكل هذا الكلام يثير لديك الشفقة على محاولات الدكتور زكريا في التمرير وما يستتبعه ذلك من سقطات ما كان لكاتب مثله على علم كبير وقدرة موضوعية عالية أن يقع فيها؛ لأن كارل ماركس نفسه أتبع

عبارته: "الدين أفيون الشعوب" مباشرة (تفصل بين العبارتين نقطة فقط) عبارته التالية: "إذن فنقد الدين هو الخطوة الأولى ضع ألف خط تحت كلمة الأولى"

إذن فماذا من الممكن بعد هذه العبارة أن تفيد محاولات الدكتور زكريا في تأويل عبارة ماركس الأولى!؟ وأعود لأكرر إلى من يتوجه الدكتور زكريا بهذا الكلام ؟!

هل للعلمانيين؟ لا أعتقد فهم يفهمون جيداً (خصوصاً الماركسيين منهم) مواقفك الفكرية في غير حاجة لمثل هذا الكلام.

هل للإسلاميين؟ لا أعتقد لأنهم يفهمون ما يفهمه العلمانيون

هل من الممكن أن يكون كل هذا المجهود موجهاً إلى السذج؟ نحن ننأى بمفكر يملك القدرات العلمية التي يملكها الدكتور زكريا عن أن يفعل ذلك) انتهى.

٣-ومن انحرافات هذا الخبيث (الكفرية) ــ والعياذ بالله ــ: إنكاره للجن!! "زاعماً بأنه لا يؤمن إلا بما هو علمي"! (انظر مجلة المجتمع الكويتية، العدد ٣٢٣) [1].

والله أعلم، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

---

(١) يُنظر أيضًا ـ للرد على ماركسيته ـ : «خيانة المثقفين» للدكتور عبدالحكيم بدران، (ص٧٣ـ٧٥).

نظرة شرعية
في فكر
أمينة السعيد



نظرة شرعية في فكر (أمينة السعيد)

ترجمتها[1]:

قال الدكتور محمد فؤاد البرازي في كتابه (مؤامرات على الحجاب): (في أسرة ميسورة الحال من "المنصورة"، ولدت "أمينة السعيد" بـ"أسيوط" عام (١٩١٤)م[2]، حيث كان والدها "أحمد السعيد" يعمل طبيباً في هذه البلدة، إلى أن عاد إلى "القاهرة" ليُلحق أبناءه بالمدارس الأجنبية، لأنه كان مُحباً للحضارة الأوربية.

وقد التحقت "أمينة" في طفولتها بـ"مدرسة الحلمية للبنات"، فكانت في غاية التمرد والشقاوة، حتى إنها رسبت في جميع مواد السنة الدراسية الأولى، لأنه وقتها كان للهو واللعب.

وتروي "مجلة حواء" على لسان "أمينة السعيد" أحد مواقفها في طفولتها الشقية، فتقول :"أغضبني مرة أحد المدرسين في الفصل، فشعرتُ بالظلم الفادح الذي وقع عليّ، فكان تركيزي طوال وقت الحصة في كيفية الانتقام منه، وردّ هذا الظلم. وعندما انتهى وقت الحصة، وغادر المدرس الفصل متوجهاً لحجرته، لاحقتُهُ وضربتُه بقبضة يدي الصغيرة في ظهره.. ثم أطلقتُ قدميّ للريح خوفاً منه"[1].

وبعد إتمامها للمرحلة الثانوية، كانت ضمن أول دفعة من الفتيات ينتسبن إلى "كلية الآداب" التي كان عميدها المستغرب: "طه حسين"،

---

(١) ينظر للزيادة: " ذيل الأعلام " للأستاذ أحمد العلاونة، ص ٤٧ ــ ٤٨. وفيه: " وكانت أول مصرية ارتدت ملابس الرياضة ــ الشورت "!.

(٢) وفي كتاب "مصريات رائدات ومبدعات !" (ص ٦٥) أنها ولدت عام ١٩١٠م.

(٣) انظر: مجلة "حواء" ، العدد (٢٠٣٠)، تاريخ ١٩ آب – أغسطس ١٩٩٥م.

فاختارت "قسم اللغة الإنجليزية"، واستمرت فيه حتى تخرجها.

وبعد تخرجها من الجامعة أصبحت من هُواة "الأدب الإنجليزي"، حتى إنها - في إحدى مراحل حياتها - ألفت كتاباً عن الشاعر الإنجليزي "بيرون"، وتزوجت في عام (١٩٣٧)م من الدكتور "عبد الله زين العابدين"، الذي شجعها على العمل في الصحافة، ووقف إلى جانبها في جميع الأزمات والمحن التي نزلت بها من جراء ذلك.

وحين كان الصحفي "مصطفى أمين" نائباً لرئيس تحرير مجلة "آخر ساعة"، عرض عليها أن تعمل معه في المجلة، فقبلت بذلك على أن تخفي اسمها حتى لا يعرف أبوها وأمها أنها تعمل في الصحافة، وهو عمل غير مستساغ في المجتمع آنذاك. لكنهما علما بذلك فيما بعد.

ثم انتقلت إلى مؤسسة صحفية متخصصة بنشر السموم ضد الإسلام ودعاته، تدعى: "دار الهلال" ، التي أسسها الصليبي الهالك: "جورجي زيدان" ١٢٨٧- ١٣٣٢هـ - ١٨٦١- ١٩١٤م، الذي وقف حياته على تشويه التاريخ الإسلامي، وخلفائه الميامين، بأكاذيب صاغ بها قصصه المتعددة، التي كتبها بدافع من الحقد الدفين على الإسلام والمسلمين. ومن "دار الهلال" بدأت "أمينة" تكتب عن شؤون المرأة في مجلة "المصور"، ومجلة "الاثنين" من وجهة نظر المستغربين، فلفتت نظر "أميل زيدان" أحد صاحبي "الهلال"، فاختارها "رئيسة تحرير" لإصدار مجلةٍ نسائيةٍ شهرية باسم: "حواء" . وصدر العدد الأول منها في أول كانون الثاني يناير عام (١٩٥٤)م.

ومن خلال هذه المجلة انطلقت "أمينة السعيد" تكتب عن المرأة، وتطالب بما تعتبره حقوقاً لها.

وفي عام (١٩٦٢)م اختيرت عضواً في مجلس إدارة "دار الهلال"، فكانت بذلك أول امرأة مصرية تُعيّنُ في مجلس إدارة مؤسسة صحفية.

ثم عينها "أنور السادات" رئيسة لمجلس الإدارة، واستمرت في هذا المنصب إلى أن أقالها "السادات" نفسه منه، ومن رئاسة تحرير مجلة "المصور" (مؤامرات على الحجاب، للدكتور محمد فؤاد البرازي، ص ١٢٢ـ ١٢٤).

وانظر ترجمتها ـ أيضاً ـ في "مصريات رائدات ومبدعات! "المجموعة من الكاتبات (ص ٦٥ وما بعدها).

ـ هلكت بعد إصابتها بمرض السرطان ـ والعياذ بالله ـ عام ١٩٩٥م.

ـ تعد أمينة السعيد من أبرز داعيات تحرير المرأة في العالم العربي، فقد كانت تراس تحرير مجلة (حواء) المصرية، ومن خلالها كانت تدعو إلى هذه الفكرة الخبيثة.

ـ يقول الشيخ محمد المقدم عنها : "تلميذة وفية لطه حسن، تراس تحرير مجلة حواء، ومن خلالها تحرض نساءنا على النشوز، وفتياتنا على التهتك والانحلال، وقد تواتر لدى الجميع أنها تهاجم الحجاب الإسلامي بكل جرأة، وهي ـ وإن كانت تلقفت الراية من "الزعيمات" السابقات ـ إلا أنها تفوقت على كل اللاتي سبقنها في باب التجرد من الآداب والأخلاق الأساسية، إذ إنها لا تألو جهداً في الصد عن سبيل الله، والاستهزاء من شرعه ـ ﷻ ـ، حتى وصل بها الأمر إلى أن قالت: (كيف نخضع لفقهاء أربعة ولدوا في عصر الظلام ولدينا الميثاق؟)، وقالت: (إنني لا أطمئن على حقوق المرأة إلا إذا تساوت مع الرجل في الميراث) (عودة الحجاب ١/ ٦٥).

ويقول الدكتور محمد فؤاد البرازي: (كانت "أمينة السعيد" تلميذة للمستغرب المأفون، وعميد الأدب المزعوم: "طه حسين"، فتأثرت به أشد التأثر، وترك فيها من بصمات التغريب، ونوازع التقليد، والافتتان بحضارة الغرب، ما سترى أثره في مقالاتها التي كانت تنشرها.

ولا شك أن نشأتها في أحضان أبٍ غير ملتزم، حريصٍ على تعليم أبنائه في المدارس الأجنبية، وتشجيعه إياها على لعب "التنس" بملعب "جامعة القاهرة" مع المدرب، إضافة إلى تشكيل عقلها على يد أستاذها "طه حسين" ، وترددها على "هدى شعراوي" وتأثرها بها، ثم استعدادها الخاص لذلك، كل ذلك قد صاغها صياغة "متحررة" ، جعلتها متمردة على أحكام الإسلام، وقيمه العليا) (مؤامرات على الحجاب ، ص١٢٥).

وقد ذكرت هي نفسها بأنها تلميذة لداعية التحرير الأولى (هدى شعراوي)، تقول أمينة السعيد: "قبل اشتغالي بالصحافة ودخولي الجامعة وتخرجي منها، كنت أقوم بتمثيل بعض المسرحيات في الحفلات الخيرية التي كانت تقيمها الزعيمة ! هدى شعراوي لصالح الأعمال الخيرية التابعة لجمعيتها" (انظر: مقابلتها مع مجلة الجديد، العدد ٣٨).

وتقول تلميذتها ايفلين رياض: "اختارتها الزعيمة ! هدى شعراوي من بين مجموعة من الشابات الصغيرات! لتعدها للقيادة في مجال الخدمة الاجتماعية[1] عندما وجدت لديها الحماس والقدرة على العمل والكفاح" (مصريات رائدات ومبدعات! ص ٦٦).

---

(١) بل مجال تحرير المرأة ! ولكنها عادتهم في إلباس الفساد لباس الصلاح .

انحرافاتها:

١- من أعظمها: دعوتها إلى "تدمير" المرأة المسلمة، وتهييجها لكي لا تلتزم بشريعة ربها. حيث يصدق عليها قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَـٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ﴾[١].

٢- ومن انحرافاتها: أنها "اتخذت من مجلة "حواء" منبراً للتطاول على الأحكام الإسلامية الخاصة بقانون "الأحوال الشخصية" و"حجاب المرأة المسلمة"؛ بل راحت كما قال الأستاذ "محمود محمد الجوهري": "تحرضُ نساءنا على النشوز، وفتياتنا على الانحلال. وهي التي جعلت الفسق والبغاء الرسمي في شارع الهرم نوعاً من كرم الضيافة عندنا (!!!) في ردّها على "القذافي"، عندما ندد بمخازي "شارع الهرم" في أحد مواقفه العنترية، من خلال ندوة عقدت بالقاهرة، طالب فيها بنظافة "شارع الهرم"، وإغلاق محال الدعارة السياحية، وعُلبِ الليل""[٢].

وكتبت ذات يوم في مجلة "المصور" : "إنني لا أطمئن على حقوق المرأة إلا إذا تساوت مع الرجل في الميراث"

فهل تعتبر هذه في عداد المسلمين، وهي تعارض قول الله رب العالمين: ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَـٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ﴾[٣]؟ !!

وقالت أيضاً: "كيف نخضع لفقهاء أربعة ولدوا في عصر الظلام،

---

(١) سورة النور (١٩).

(٢) انظر: (الأخوات المسلمات وبناء الأسرة القرآنية ، ص ٩٨).

(٣) سورة النساء (١١).

ولدينا الميثاق" ؟ !!! أي الذي أصدره "جمال عبد الناصر" ! وفيه من المخالفات لدين الله ـ ﷻ ـ ما فيه..." (انظر: مؤامرات على الحجاب، ص ١٢٦).

٣- ومن انحرافاتها: أنها "بعد أن امتدت يد ثورة ٢٣ تموز ـ يوليو ١٩٥٢م إلى قانون "الأحوال الشخصية" بالتعديل، رضوخاً لرغبات دعاة "تحرير المرأة" !!! راحت تطالب بتعديلات أخرى؛ وكانت تريد بذلك إصدار تشريعٍ يمنعُ " تعدد الزوجات" ، و"مساواة المرأة بالرجل في الميراث"، إلى غير ذلك من هذه المخالفات الصريحة لشريعة الله ـ ﷻ ـ :" (المرجع السابق، ص ١٢٦ـ ١٢٧).

٤- ومن انحرافاتها: استهزاؤها بالحجاب الشرعي وقولها: "ما نراه اليوم شائعاً بين الفتيات والسيدات مما يسمونه "الزي الإسلامي" فالإسلام منه براء، لأنه تقليد حرفي لزي الراهبات المسيحيات" (مؤامرات على الحجاب، ص١٢٧).

وتقول أيضاً: "هل من الإسلام أن ترتدي البنات في الجامعة ملابس تغطيهن تماماً، وتجعلهن كالعفاريت (!!!) وهل لابد من تكفين البنات بالملابس وهن على قيد الحياة، حتى لا يُرى منها شيء وهي تسير في الشارع" !! (مجلة حواء، ١٨، نوفمبر ١٩٧٢).

وقالت: "إن هذه الثياب الممجوجة قشرة سطحية لا تكفي وحدها لفتح أبواب الجنة، أو اكتساب رضا الله. فتيات يخرجن إلى الشارع والجامعات بملابس قبيحة المنظر، يزعمن أنها "زي إسلامي"، لم أجد ما يعطيني مبرراً منطقياً معقولاً لالتجاء فتيات على قدر مذكور من التعليم إلى لف أجسادهن من الرأس إلى القدمين، بزي هو والكفن سواء" (مجلة

المصور،٢٢ يناير١٩٨٢).(وانظر: عودة الحجاب، للشيخ محمد المقدم، (١/ ٦٥-٦٧).

٥- ومن انحرافاتها العجيبة: أن فتاة مسلمة ! أرسلت لها بأنها تحب شاباً غير مسلم، وتريد أن تتزوجه !! ولكن دينها يمنعها من ذلك.

فأجابتها أمينة السعيد بأن " تتزوجه زواجاً مدنياً " !!! (انظر: مجلة لواء الإسلام، عدد ٨، ربيع الثاني ١٣٨٤هـ).

٦- ومن انحرافاتها: قولها "إن أمر الرجل لزوجته بارتداء الحجاب مرفوض؛ لأنه يدخل تحت قوله تعالى: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ﴾"!! (انظر: المجلة العربية، العدد ١٢٩). وهذه فتيا جريئة يعلم كل مسلم مخالفتها لدين الإسلام، ستبؤ بإثمها هذه العجوز الهالكة.

- يقول الدكتور السيد رزق الطويل عن أمينة السعيد:" كانت في وقت من الأوقات تتصدى للإفتاء في إحدى المجلات الأسبوعية حول قضايا البشر الاجتماعية والغرامية والنفسية، وكانت ترتكز في فتاواها على اجتهادات قائمة على قدر كبير من التجربة والتصور الشخصي والمزاجي، وعلى قدر قليل من العلم، وبمعزل تام عن هدي الدين الحق وهداه " (مجلة منبر الإسلام، ٢ صفر ١٤١١هـ).

٧- ومن انحرافاتها: دعوتها للاختلاط المحرم، وادعاؤها بأن "حرية الاختلاط هي أقوى سياج لحماية الأخلاق"!! (مقابلتها مع مجلة الجديد، العدد ٣٨).

وصدق الله: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحۡنُ مُصۡلِحُونَ ﴾ فهي ترى المنكر معروفاً ، والمعروف منكراً.

ختاماً: يقول الدكتور محمد فؤاد البرازي في كتابه (مؤامرات على

الحجاب) (ص ١٢٩) متحدثاً عن أمينة السعيد:

"استبدّت بها آلام نفسية نتيجة فشلها بدعوتها المتحررة بعد عودة النساء إلى الله، والتزام الكثيرات بالحجاب؛ بل بالنقاب، فعبّرت عن ذلك قبل موتها بأربعة أيام، حين قالت بحسرة وألم لصحفية من مجلة "المصور" (العدد ٣٦٩٧) وهي تجري معها مقابلة: " أمينة السعيد كانت ملكة الصحافة النسائية. لقد أفنيتُ عمري كله من أجلها. أما الآن فقد هدكني المرض، وتنازلت النساء عن كثير من حقوقهن. المرأة المصرية صارت ضعيفة.. الإرهابيون وسَّخوا مخّهم..." تعني بذلك: أن الإسلاميين قد أقنعوهن حتى التزمن بالإسلام. فالإسلاميون في نظرها: إرهابيون، وقيامهم بإقناع النساء بالالتزام بالحجاب " توسيخ" لعقولهن. ﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾(١) .

اللهم جنبنا الردى، واكفنا شر العدا، ولا تضلنا بعد الهدى.

وحين سألتها الصحفية عن رؤيتها للحركة النسائية، أجابت: "هبطت كثيراً، بل انتهت ... لم تعد لدينا حركة نسائية".

وتفسر عودة المرأة المسلمة إلى دينها وحجابها تفسيراً غريباً﴿ ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ ۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ﴾(٢) تقول: "السيدات ملأهن الرعب من الإرهابيين والمتطرفين، وصمتن عن حقوقهن التي تُسحب منهن، وارتضين آراء بعض المتخلفين الذين يتمسحون في الدين ورجال الإرهاب، وكلاهما من أغبى الناس.

---

(١) سورة الكهف (٥).

(٢) سورة فاطر (٤٣).

وضاعت الجهود التي بذلتها "هدى شعراوي" ثم جهودنا نحن طوال خمسين عاماً، وعاد الحجاب ثانية" ..

قلت: الحمد لله الذي لم يهلكك حتى أكمدك بعودته، ﴿ وَلَعَذَابُ ٱلْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴾[١].

والله أعلم، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

---

(١) سورة طه (١٢٧).



نظرة شرعية
في فكر
محمد أحمد خلف الله



نظرة شرعية في فكر (محمد أحمد خلف الله)

يقول الأستاذ عبد السلام بسيوني عنه: "من أركان الفكر القومي المتطرف، الذي يعتمد المعايير الماركسية أسساً وضوابط له" (العقلانية هداية أم غواية؟ ص ١٣٤).

ويقول محمد إبراهيم مبروك عنه: "يهدف الدكتور خلف الله من كتاباته على نحو ما هو مطروح فيها إلى إقامة نهضة إصلاحية ماركسية لتطبيق الاشتراكية العلمية (الشيوعية الماركسية)، وعلى ذلك يجب تطويع بعض المفاهيم الإسلامية التي قد تتقارب في بعض أوجهها مع المفاهيم الماركسية في سبيل إقامة ذلك المشروع، أما المفاهيم الإسلامية الأخرى التي تتناقض تناقضاً بيناً مع المفاهيم الماركسية فإنها يجب تأويلها أياً كان شكل هذا التأويل أو تزيينها في صورة جديدة، أو اختزالها إلى مفاهيم أخرى بالطريقة التي يمكن بها إزاحتها من أمام مواصلة المضي في إقامة ذلك المشروع، فإذا لم ينفع معها أي مما سبق، فإنه يجب نقضها وهدمها تماماً"! (تزييف الإسلام وأكذوبة المفكر الإسلامي المستنير، ص ١٠٥-١٠٦).

قلت: وقد ابتدأت الضجة حول الدكتور خلف الله عندما أصدر أطروحته للدكتوراه عام ١٩٤٧م عن "القصص الفني في القرآن" التي ادعى فيها أن قصص القرآن إنما جاءت للموعظة لا لتقرير الحقائق!! أي أنها قد تكون أساطير وخرافات !! وقد أحدث هذا موجة من الاستهجان والاستنكار من العلماء والكتاب.

ومنذ ذلك الحين والدكتور خلف الله يلقي بين الحين والآخر بآرائه المستهجنة ـ كما سيأتي ـ:

انحرافاته:

١- كما سبق فإن من أهم وأوائل انحرافاته المشينة زعمه في رسالته للدكتوراه التي أشرف عليها شيخه أمين الخولي[1] بأن الصدق التاريخي لم يكن من مقاصد القرآن الكريم فيما عرض من وقائع وقصص تاريخية!!

يقول خلف الله "إن الصنيع البلاغي للقرآن الذي يقوم على تخليص العناصر القصصية من أحداث وأشخاص وأخبار من معانيها التاريخية، وجعلها صالحة كل الصلاحية لاستثارة العواطف والانفعالات حتى تكون العظة والعبرة، وتكون البشارة والإنذار، وتكون الهداية والإرشاد، ويكون الدفاع عن الدعوة الإسلامية والتمكين لها حتى في نفوس المعارضة ـ إن هذا كله هو الدليل القوي على أن القرآن الكريم لا يطلب الإيمان برأي معين في هذه المسائل التاريخية" (الفن القصصي، ص٢٥٤).

ثم يقول: "ومن هنا يصبح من حقنا، أو من حق القرآن علينا، أن نفسح المجال أمام العقل البشري ليبحث ويدقق، وليس عليه من بأس في أن ينتهي من هذه البحوث إلى ما يخالف هذه المسائل ـ أي ما ذكر في القصص القرآني! ـ، ولن تكون مخالفة لما أراده الله أو لما قصد إليه القرآن، لأن الله لم يرد تعليمنا التاريخ، ولأن القصص القرآني لم يقصد إلا إلى الموعظة والعبرة وما شابههما من مقاصد وأغراض.

إن المخالفة هنا لن تكون إلا مخالفة لما تتصوره البيئة ولما تعرفه عن

---

(١) انظر لبيان انحرافاته وتأثيره على تلاميذه؛ كخلف الله: رسالة الأستاذ أنور الجندي ـ ﷺ ـ: (إعادة النظر في كتابات العصريين في ضوء الإسلام، ص١٢٦-١٣٠).

التاريخ. ولم يقل قائل بأن ما تعرفه البيئة العربية عن التاريخ هو الحق والصدق. ولم يقل بأن المخالفة لما في أدمغة العرب من صور عن التاريخ هي الكفر والإلحاد. بل لعل هذه المخالفة واجبة حتى يكون تصحيح التاريخ وخلوه من الخيالات والأوهام"!! (القصص القرآني، ص ٢٥٤-٢٥٥)

قلت: وهذا قول كفري ـ لاشك فيه ـ؛ حيث نسب الكذب إلى القرآن الكريم ـ والعياذ بالله ـ.

ولهذا فقد استهجن واستنكر المسلمون صنيعه هذا ـ على مختلف مشاربهم ـ فرد عليه منهم: أحمد أمين وعبد المتعال الصعيدي وعبد الفتاح بدوي ومحمد الغمراوي ومحب الدين الخطيب، أما الشيخ شلتوت فقد حُولت له الرسالة لفحصها وإبداء رأيه فيها، فذكر في تقريره بأن هذه الرسالة: "قامت على أسس فاسدة، لأنها غارقة في تكذيب القرآن، ولأن كاتبها جاهل لا يفهم النصوص" وختم تقريره بأن تُطهر الجامعة من هذه الدراسة. كما أفتى أكثر من مائة عالم من الأزهر بأن هذه الرسالة "مكفرة يخرج بها صاحبها عن الدين الإسلامي"؛ (انظر: مؤلفات في الميزان لأنور الجندي ص٧٢، والعقلانية هداية أم غواية لعبد السلام البسيوني، ص ١٣٥).

قلت: ومن أواخر من فنَّد ما جاء في هذه الأطروحة الكفرية ـ فقرة فقرة ـ الدكتور محمد بلتاجي في مقالته الطويلة حولها بعنوان "التفسير البياني للقصص القرآني بين الحق والمذهب الفني، دراسة وتقويم لمنهج باطل في التفسير" نشر في مجلة (أضواء الشريعة، مجلة تصدرها كلية الشريعة بالرياض، العدد السادس، جمادى الثانية، سنة ١٣٩٥هـ الصفحات ٩٩-١٨٢).

يقول الدكتور بلتاجي تعليقاً على مقولة خلف الله السابقة : "إذن فنظرية خلف الله التي ستحل - كما قال - مشكلات التفسير واعتراضات المستشرقين والمبشرين: هي أن القرآن الكريم استخدم الأساطير والأكاذيب التي كانت في أذهان العرب عن الوقائع التاريخية، فنزل بها، ولم يصححها أو ينص على كذبها، خدمة لأغراضه في العظة والاعتبار، ومجاراة لعقائد القوم الذين نزل فيهم"!! (ص ١١٢). (ومن أراد الزيادة فليراجع مقالة الدكتور بلتاجي - أثابه الله -).

وهذا القول من خلف الله - كما سبق - قول كفري، يكفر به إن لم يتب إلى ربه، ويعتقد أن كلامه - ﷻ - منزه عن الكذب.

١- ومن انحرافاته: "الاقتصار على القرآن الكريم فقط في الاستدلال دون السنة؛ لكي يفلت من تحديدات السنة لمعاني القرآن وأغراضه وأحكامه وتعاليمه، ولكي يفلت من مقررات السنة نفسها، ولا يصطدم اصطداماً بيناً مع أحد نصوصها المتعددة" ، ومع هذا فإنه "لا يستند على أي مرجع من مراجع التفسير المعتمدة إلا (مفردات القرآن الكريم) للراغب الأصفهاني! وهو كتاب تفسير لغوي، وعلى بعض التفسيرات والأقوال التي يشتمل عليها تفسير المنار، التي يستخدمها استخدامه الخاص ويؤولها بالطريقة التي تخدم أهدافه. ليس هذا فقط؛ فإن الدكتور خلف لا يستند على مراجع من أي نوع وبذلك يتحرر تماماً من التفسيرات والمفاهيم والأفكار التي يجمع عليها المسلمون والتي من الطبيعي أن تعوق تقدمه في خطته التأويلية التحايلية التلفيقية التي يقوم بها. أما بعض الأفكار العامة التي تهدف إلى التجديد فلا بأس بها عنده فقد تكون مبرراً لادعائه بأن ما يقوم به هو تلبية لما نادى به مفكرو العالم

الإسلامي من ضرورة التجديد". (انظر: تزييف الإسلام، ص ١٠٦-١٠٨).

٢- ومع هذا فإنه يقول "إن النص القرآني إن لم يكن قادراً على تحقيق المصلحة تركناه ولجأنا إلى الفكر البشري"!! (عن اليسار الإسلامي، ص ٣٤).

٣- ومن انحرافاته: أنه يذهب إلى "أن الإسلام دين عربي لا يعدو جنساً معيناً من البشر، ولا يجوز اعتباره رسالة للعالمين" (عن: العقلانية هداية أم غواية، ص ١٣٤).

٤- ومن انحرافاته: أنه يرى أن المعايير الإسلامية قاصرة لا تصلح لهذا الزمان، يقول: "لقد فعل الزمان فعلته في المعايير القديمة فعلاها الصدأ وتآكلت منها الجوانب، وخفت موازينها إلى الحد الذي أصبحت فيه عاجزة عن أن تكون أداة من أدوات الحق والعدل" (مجلة الطليعة المصرية الماركسية، نوفمبر، ١٩٧٥عن: غزو من الداخل، لجمال سلطان، ص ٣٥).

ولذا يتعجب هذا (المستنير) ممن لا زالوا يتبعون النصوص الشرعية!، يقول: "ومن الغريب أن المسلمين اليوم لا يعنيهم أمر من هذه الأمور، بقدر ما يعنيهم الاستمساك بهذه القيم، ويكون استمساكهم أشد عندما يكون المعيار القديم نصاً من النصوص" !! (المصدر السابق).

١- ومن انحرافاته: قوله: "إن خروج المعاملات من نطاق الشرع إلى نطاق القانون، قد حقق لها ألوانا من الحرية والانطلاق لم يكن لها بهم عهد من قبل" !! (مجلة الطليعة الماركسية، فبراير ١٩٧٦).

ويقول: "القرآن لكل العصور ولكل الأزمنة فيما يخص المعتقدات الدينية والعبادات، وليس فيما يخص المعاملات" !! (حوار حول قضايا

إسلامية، إقبال بركة، ص ١٠٢).

٢- ومن انحرافاته: قوله بأن "شرع المتقدمين علينا حضارياً شرع لنا" !! (مجلة الطليعة، مايو، ١٩٧٦).

٣- ومن انحرافاته الخطيرة تطبيقاً لما سبق: ادعاؤه "أن هناك أشياء وردت في القرآن الكريم ولا نستطيع أن نعمل بها الآن؛ لأن العمل بها ضار بمصلحة المسلمين" !! ومن هذه الأشياء ـ في زعم الدكتور ـ:

تقسيم الغنائم، وحد الزنا، وحد السرقة، وحد شرب الخمر! (انظر مقابلته مع مجلة روز اليوسف، عدد ٣١٧٧).

(وقد رد عليه تخاريفه هذه الأستاذ مصطفى علي محمود في المجلة العربية، العدد ١٥٩).

ويقول هذا الزائغ: "موقف القرآن الكريم من المرأة كان موقفاً في عصر معين ووضعت تلك القواعد لعصر معين، ومن الممكن جداً أن مثل هذه الأشياء قد لا يسمح العصر الذي نعيش فيه بتطبيقها. وأعطيك مثلاً: حد الزنا الذي يطالب البعض بتطبيقه، له شروط ولابد من أربعة شهود على واقعة الزنا.. اليوم في العصر الحديث توجد مبان ولا توجد خيام كما كان الحال وقت نزول الآية.. وبالتالي أصبح من المستحيل تحقيق الشروط، فالمساكن الحديثة في العمارات والشقق تجعل توافر الشروط مستحيلاً. كذلك لم يعد أحد يجرؤ على اقتحام بيوت الناس، والعلاقات الاجتماعية أصبحت مختلفة تماماً. فهل نترك الزنا بلا عقاب أم نفكر في عقاب جديد وفي شروط جديدة تتفق مع العصر!

صحيح أننا سنبتعد عن التطبيق الحرفي للنص القرآني الواضح، ولكننا نفعل ذلك إحياء للإسلام وليس العكس" !! (حوار حول قضايا

إسلامية، إقبال بركة، ص١٠٢).

٤- ومن انحرافاته: ادعاؤه "أنه لا مانع من تزويج المسلمة بالنصراني واليهودي! إذ لا يوجد نص قرآني مانع من ذلك ـ في رأيه ـ" !! (مجلة المسلمون، فبراير١٩٩١) (العقلانية هداية أم غواية، ص ١٣٤).

٥- ومن انحرافاته: غلوه في العقل وتقديمه على النقل. يقول خلف الله :"إن البشرية لم تعد في حاجة إلى من يتولى قيادتها في الأرض باسم السماء، فلقد بلغت سن الرشد، وآن لها أن تباشر شئونها بنفسها" (مجلة الطليعة، نوفمبر ١٩٧٥م) .

ويقول هذا العقلاني: "لقد حرر الإسلام العقل البشري من سلطان النبوة، من حيث إعلان انتهائها كلية وتخليص البشرية منها" !! (الأسس القرآنية للتقدم، ص ٤٤).

٦- ومن انحرافات هذا السفيه : قوله بأن :" الإسلام حرر الإنسان من سلطان الرسل والأنبياء" !! (مشكلات الحياة في القرآن الكريم، نقلاً عن : تزييف الإسلام، ص ١١٤).

٧- ومن انحرافاته: ادعاؤه أن "الإسلام دين فقط وليس ديناً ودولة" (تزييف الإسلام، ص ١١٥). وهو يتابع في هذا رأي علي عبد الرزاق وأضرابه ممن أرادوا فصل الدين عن الدولة في الإسلام. (انظر للرد عليه: إعادة النظر، لأنور الجندي، ص ٣٠٢-٣٠٧).

٨- ومن انحرافاته: دعوته الملحة للديمقراطية الغربية، التي يقول عنها بأنها: "وفدت إلينا كعنصر حضاري من عناصر الثقافة الأوربية" (مجلة اليقظة العربية، العدد الأول، السنة الأولى).

٩- ومن انحرافاته: زعمه أن المسلمين "إذا أرادوا التنعم بمعطيات الحضارة الغربية المادية فعليهم أن يعطوا ولاءهم لهذه الحضارة خيرها وشرها، حلوها ومرها، صحيحها وسقيمها، حقها وباطلها" !! (انظر: كتاب: الذين يحرثون في البحر، للأستاذ عبد الرحمن علي فلاح، ص ٢٦).

١٠- ومن انحرافاته: دعواه "أن القرآن الكريم لم يحرم - في أي نص من نصوصه - التزاوج بين الأديان السماوية الثلاثة التي تقول بالتوحيد! - اليهودية والمسيحية والإسلام" (تزييف الإسلام، ص ١٢١). فهو من دعاة وحدة الأديان والتقارب والتعايش السلمي فيما بينها.

١١- ومن انحرافاته: قوله "يجب الإيمان بأن القرآن والاشتراكية يلتقيان معاً في الأرض التي تمهد باسم العلم" (تزييف الإسلام، ص ١٢٢-١٢٣).

يقول الأستاذ محمد إبراهيم مبروك: "ينظر الدكتور خلف الله إلى الإسلام من منظور مادي صرف وهو يتعامل معه على أنه أحد المكونات الأساسية لتلك الأمة، وأنه مادة تراثية من نتاج شعوبها، وعلى هذا فإنه يكاد يكون من المستحيل تجاهله، بل يجب التعامل معه كفكر له تجاوبه العقلي والنفسي الراسخ في ضمير تلك الشعوب، ولكن لا يعني ذلك قبول مواد هذا الفكر كما هي وإنما هو يحاكمها إلى المعايير الغربية (الماركسية بوجه خاص) والذي يكون مقبولاً لدى تلك المعايير يكون مقبولاً عنده وما ترفضه يرفضه هو أيضاً" (تزييف الإسلام، ص١٠٥).

قلت: فثبت بما سبق أن الدكتور خلف الله: اشتراكي، علماني، ديمقراطي، قومي، لا يعتمد القرآن والسنة مصدراً للتشريعات، بل صدرت منه الآراء والأقوال التي لا يشك مسلم في كفر من قال بها -

نعوذ بالله من حاله ـ.

ملحق فيه رد المستشار سالم البهنساوي عليه:

قال المستشار في كتابه (تهافت العلمانية في الصحافة العربية):

وقفة موضوعية مع الدكتور محمد خلف الله:

في يوم الجمعة الماضي نشر للدكتور محمد أحمد خلف الله تصريحات خطيرة زعم فيها أن النبي ـ ﷺ ـ لم تقم له حكومة أو حكم بل إدارة أعمال، وأن من يطالب بحكم الإسلام إنما يطالب بحكومة دينية لا وجود لها بعد النبي، وأن ما لم يرد في القرآن فلا نلتزم به، أي لا يلتزم المسلم بالسنة النبوية، ثم عاد وادعى أن السنة لا يعمل بها، إلا إن كانت مبينة للنصوص القرآنية، غير قطعية الدلالة.

إنه من التحريف البين لنصوص القرآن الكريم وأحداث السيرة النبوية ما زعمه الكاتب المجتهد في قوله:

"لا نستطيع أن نسمي ما قام به رسول الله ـ ﷺ ـ بالحكومة فما قام به هو شيء من إدارة الأعمال أكثر منه حكومة، ولو كان حكومة في ذلك الوقت لكان ملكاً وهذا مرفوض من وجهة نظر النبي ، ففي حياته عرض عليه الملأ من قريش أن يكف عن أعمال الرسالة ويعطوه الملك إن أراد حيث قالوا له: "إن كنت تريد ملكاً ملكناك، فأبى إلا أن يكون رسولاً".

هذا القول فيه تحريف ومغالطة وذلك على النحو التالي:

أولاً: صحيح أن الكفار قد طلبوا من النبي ـ ﷺ ـ أن يجعلوه ملكاً أو حاكماً عليهم ورفض ذلك، ولكن سبب الرفض هو أنهم أرادوا أن

يترك رسالة الإسلام مقابل الحكم، فليس صحيحاً أن الرفض سببه أن النبي ما جاء ليحكم، فقد قال الله تعالى لنبيه: ﴿ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ﴾[1] وقال الله لنبيه داود: ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ ﴾[2].

ثانياً: إن أحداث السيرة النبوية تؤكد أن النبي ـ ﷺ ـ قد أقام دولة في المدينة المنورة، وليس صحيحاً أن ما قام به من هذا الشأن هو إدارة أعمال فقط، فالنبي ـ ﷺ ـ أقام دولة وحكومة بكل المقومات الحديثة للدولة.

فإذا رجعنا إلى القواعد الدستورية الحديثة نجد أن الدولة لها مقومات ثلاثة:

الأول: شكل الحكومة ودعامتها: والإسلام حدد ذلك من قول الله تعالى: ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾[3].

الثاني: السلطات ومصدرها ومن يتولاها: والإسلام يجعل التشريع هو القرآن والسنة .

الثالث: حقوق الأفراد وحرياتهم: والإسلام قد كفل هذه الحقوق، قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُوا۟ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا۟ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[4].

---

(١) المائدة (٤٩).

(٢) سورة ص (٢٦).

(٣) الشورى: (٣٨).

(٤) البقرة (١٨٨).

والنبي - ﷺ - قد ضمن حقوق الإنسان في إعلانه بحجة الوداع إذ قال: "إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام كحرمة يومكم هذا".

كما أن النبي - ﷺ - بصفته رئيساً للدولة وضع القانون الذي ينظم العلاقة بين المسلمين وغيرهم، وهذا الكتاب قد جاء به "بسم الله الرحمن الرحيم. هذا كتاب من محمد النبي بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم، أنهم أمة واحدة من دون الناس، المهاجرون من قريش على ربعتهم يتعاقلون بينهم، وهم يفدون عانيهم بالمعروف والقسط" كما جاء بهذا الدستور "وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين" إلى أن قال: "وإن المؤمنين لا يتركون مفرحاً[1] بينهم أن يعطوه المعروف في فداء وعقل... وأنه لا يجير مشرك مالا لقريش ولا نفساً ولا يحول دونه على مؤمن ... وأنه لا يحل لمؤمن أقر بما في هذه الصحيفة وآمن بالله واليوم الآخر أن ينصر محدثاً ولا يؤويه ... وإنكم مهما اختلفتم فإن مرده إلى الله - ﷻ - وإلى محمد - ﷺ -"[2].

ثالثاً: المبادئ القانونية والتشريعية:

ففي نطاق القوانين المحلية بين المؤمنين وغيرهم. والتي لم تصل إليها الدول إلا بعد أربعة عشر قرناً. وتعرف باسم القانون الدولي الخاص. فإن الكتاب الذي وضعه النبي كدستور لحكومته بالمدينة تضمن أن المؤمنين أمة من دون الناس وأنهم متضامنون في الحياة الاجتماعية وفي أداء الديات. وأن هذه المعاهدة مفتوحة لمن أراد الانضمام إليها من غير

---

(١) المفرح: المثقل بالدين الكثير العيال.

(٢) البداية والنهاية ٣/ ٢٢٤.

المسلمين .

وفي مجال تنازع القوانين حسم النبي الأمر فقرر - ﷺ - أنه عند اختلاف الديانات فالقانون الواجب التطبيق هو شريعة الإسلام إذا اختلف أصحاب هذه الديانة ولجأوا إلى محاكم المسلمين.

أما في نطاق اتصال الدولة بغيرها من الدول وهو ما يعرف حالياً بالقانون الدولي فالإسلام نظام عالمي تضمن المعاهدات الداخلية والمعاهدات بين الدول في السلم والحرب. قال تعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[1] وقال تعالى: ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾[2] وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ﴾[3].

رابعاً: وأخيراً تعلل الباحث بأمر آخر فقال "لقد نص القرآن الكريم على أن محمداً - ﷺ - هو آخر النبيين والمرسلين، ومعنى ذلك أن استمداد الحاكم السلطة من الله لن يكون بعد وفاة النبي، فكل من جاء بعده وتولى الخلافة كان يستمد سلطته من الناس وليس من الله"

---

(١) آل عمران (١٠٤).

(٢) الحجرات (٩).

(٣) النساء (٥٨).

وقال: "ونستطيع أن ننظر في الخلافة فنرى الخليفة يستمد سلطته من الناس عن طريق البيعة، فإن كانت الحكومة الإسلامية التي تطالب بها الجماعات الدينية، هي الحكومة التي تستمد سلطتها من الناس فلا فرق كبير بينهما وبين ما تمارس به الحكومة اليوم من سلطات. وأما إذا كانوا يدعوننا إلى سلطة دينية فإن السلطة الدينية لا تكون إلا من الله، وقد أعلن القرآن الكريم أن محمداً ـ ﷺ ـ آخر الأنبياء وخاتم المرسلين، أي آخر الناس الذين يستمدون سلطتهم في إدارة شؤون الحياة من الله".

إن هذا القول يخلط بين حكم الإسلام وبين الحكومة الدينية التي ظهرت في أوروبا وكانت تدعي أنها ظل الله في الأرض، وبالتالي فما يصدر عنها يكون تشريعاً من الله لأنها جاءت بسلطان من الله تعالى.

وهذا الأمر يرفضه الإسلام جملة وتفصيلاً، والقاصي والداني يعلم ذلك، فالقرآن الكريم قد حذر من هذا السلطان الديني الكاذب وعده من أنواع الشرك بالله، وهذا ما قاله النبي ـ ﷺ ـ لعدي بن حاتم عندما جاء يعلن إسلامه وكان يحمل صليباً من ذهب حيث قال له النبي : (**ألق عنك هذا الوثن** وقرأ عليه قول الله تعالى : ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ﴾ قال عدي: ما عبدناهم . قال النبي: ألم يحلوا لكم الحرام ويحرموا عليكم الحلال فتبعتموهم؟ قال عدي: بلى يا رسول الله . قال: فتلك عبادتكم إياهم".

ولقد نص القرآن على أن الرسول هو خاتم النبيين وذلك ليمنع قيام مثل هذا السلطان الديني. فلا يملك أحد بعد النبي أن يشرع للناس بخلاف ما جاء في القرآن والسنة. وهذا هو الفيصل بين حكم الإسلام

وبين ما يسمى بالحكومة الدينية، فحكم الإسلام هو تطبيق نصوص القرآن والسنة والتزام الحاكم والمحكوم بها، وليس إعطاء قدسية لبعض الحاكم يحلون ويحرمون من دون الله. فذلك هو الشرك مع الله كما جاء في القرآن وبينته السنة النبوية[١].

وحسبنا ما كتبه الأستاذ الشيخ خالد محمد خالد في كتابه (الدولة في الإسلام) حيث اعترف بخطئه الفاحش فيما كتبه عن الحكم الإسلامي وأنه نوع من الحكومة الدينية في أوروبا وكان ذلك عام ١٩٥٠ في كتابه "من هنا نبدأ".

وقد بين أسباب انحرافه في هذا الفهم وساق الأدلة على أن الإسلام لا يعرف ما يسمى بالحكومة الوثنية وهذا ما نتناوله في المقال القادم إن شاء الله[٢].

وقفة أخوية مع الدكتور خلف الله

بين الإسلام وحكومة الكهنوت

بتاريخ ١٩/ ١١/ ١٩٨٢ نشرت جريدة الوطن حديثاً للأستاذ محمد خلف الله تضمن أموراً منها:

أ - لا نستطيع أن نسمي ما قام به رسول - ﷺ - بالحكومة فما قام به هو شيء من إدارة الأعمال أكثر منه حكومة.

ب - إن كل ما لم يرد في القرآن يكون غير ما أنزل الله، فنحن نفكر ونتعامل بعقولنا مع كل ما هو ناجم عن الفكر البشري وليس له أساس

---

(١) راجع السنة المفترى عليها، والحكم وقضية تكفير المسلم للمؤلف.

(٢) نشر بالوطن في ١٩٨٢/١١/٢٦.

من كتاب الله، أي أنه لم ينـزل من عند الله.

ج - الحكم يجب أن يكون بما أنزل الله إذا كان ما أنـزل الله قطعـي الدلالة أو ما بينه الرسول كان من القرآن الكريم غير قطعي الدلالة.

لهذا .. وبتـاريخ ٢٠/ ١١/ ١٩٨٢ أرسـلـت إلى رئـيس التحريـر رداً من ثلاث مقالات:

الأولى: تضمنت أن النبي أقام دولة وحكومة شملت جميع مقومـات الدولة والحكومة في الأنظمة الدستورية المعاصرة.

الثانيـة: تضمنت أن ما أنزل الله يشمل القرآن والـسنة النبويـة معـاً وأن قصر ما أنزل الله على القرآن وحده إنكار للسنة النبوية. كما أن مـا جاء في القرآن غير قطعي الدلالة لا يتوقف العمل به على ورود حـديث نبوي قطعي الدلالة.

الثالثة: تضمنت بيان الحكومة والسلطة في الإسلام والفـرق بينهـا وبين الحكومة الدينية التي ظهرت في أوروبا. وأوضـحت أن الإسـلام لا يعرف هذا المفهوم الكنسي للحكومة.

ولقد قامـت الـوطن بنـشر المقالـة الأولى في الـصفحة الدينيـة يـوم الجمعة ٢٦/ ١٢/ ١٩٨٢ مصحوباً بكلمة من الـوطن بعنـوان: الـدكتور خلف الله لم ينكـر الـسنة لأن مـا ورد في حـديث الـدكتور يـشير إلى أن الدين من عند الله ورسـوله الكـريم. وإن العبـارة الـواردة أن الـدين لا يكون إلا من عند الله فالمغزى منها واضح إذ يتجه القصد إلى اجتهادات المجتهدين والفقهاء وليس إلى أحاديث الرسول ـ ﷺ ـ.

وفي اليوم المحدد لنشر المقال الثالث الخـاص بالحكومـة الدينيـة نـشر

بدلاً منه رد للدكتور محمد خلف الله عن الموضوع الخاص بهذا المقال الذي لم ينشر. فإن كان هو حرية الدكتور خلف الله في الرد فإن ذلك يكون بعد انتهاء المقالات التي سيرد عليها أو نشر مقالي ورده معاً.

لما كان ذلك وكان الدكتور خلف الله في رده قد طلب مني أن أجيب على أسئلة طرحها وطلب مني أن أهتدي بهدي القرآن الكريم لأخرج من الظلمات إلى النور وأهتدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم.

فإنني أوضح الحقائق التالية:

أولاً: حقيقة أقوال الفقهاء:

إن جريدة الوطن ليست وكيلاً عن الدكتور خلف الله، ولا تملك أن تعبر عنه قصده، فعبارته "إن كل ما لم يرد في القرآن يكون غير ما أنزل الله" هذه العبارة في ظاهرها تفيد أن السنة النبوية ليست ما أنزل الله. وبالتالي تسري بشأنها القاعدة التي وضعها وهي أن نتعامل معها بعقولنا فنقبل منها ما تقبله هذه العقول التي تختلف باختلاف الزمان والمكان والأفهام والتأثيرات اليمينية واليسارية.

وإذا كان الدكتور خلف الله يقصد أن أقوال ابن تيمية وابن القيم والمودودي وسائر الفقهاء ليست بذاتها من عند الله، وبالتالي لنا أن نجتهد فيها وأن نتعامل معها بعقولنا فهذا ما يقوله الصغير والكبير في الجماعات الإسلامية التي أشار إليها الدكتور. فأقوال الفقهاء تعرض على القرآن والسنة النبوية ولا تطاع إلا في حدود موافقتها لهما.

ولكن سياق عبارة الدكتور خلف الله تشمل السنة النبوية كما تشمل أقوال الفقهاء. فكان عليه الإيضاح إن كان ما يقصده هو ما أجابت به جريدة الوطن.

ثانياً: طبيعة الحكومة الإسلامية:

أورد الدكتور في رده أن الخلفاء لا يخلفون الله من حيث أن الله لم ينص على ذلك كما نص في خلافة داود. ومن حيث أن الخليفة يخلف غيره حين يغيب لمرض أو سفر أو وفاة وليس يصح شيء من ذلك بالنسبة إلى الله.

وتساءل الدكتور: هل أملك أن أعين خليفة لله في أرض الله من غير أن يأذن الله. وأين هو الإذن ؟ ولن أجيب على ذلك بما أوردته في المقال الثالث عن الحكومة الدينية التي كانت ظل الله في الأرض؛ لأن هذا قد أوقفت الوطن نشره.

وإنما أحيل الجميع إلى المقال الأول المنشور يوم ٢٦/ ١١/ ١٩٨٢ حيث جاء به بالحرف "إن قول الدكتور خلف الله يخلط بين حكم الإسلام وبين الحكومة الدينية التي ظهرت في أوروبا وكانت تدعي أنها ظل الله في الأرض، وبالتالي فما يصدر عنها يكون تشريعاً من الله؛ لأنها جاءت بسلطان من الله تعالى. وهذا الأمر يرفضه الإسلام جملة وتفصيلاً، والقاصي والداني يعلم ذلك. فالقرآن الكريم قد حذر من هذا السلطان الديني الكاذب وعده من أنواع الشرك بالله، وهذا ما قاله النبي ـ ﷺ ـ لعدي بن حاتم حين جاء يعلن إسلامه، فقد قرأ عليه النبي قول الله: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ فقال عدي: ما عبدناهم: قال النبي ألم يحلوا لكم الحرام ويحرموا عليكم الحلال فتبعتموهم؟ قال عدي: بلى يا رسول الله. قال فتلك عبادتكم إياهم". انتهى .

ثالثاً: بين النبوة والحكومة الدينية:

قال الدكتور: "لقد كان محمد ـ ﷺ ـ يستمد سلطته من الله. فهل أمده الله بسلطة غير سلطة النبوة والرسالة. وهل أمد الله ـ تعالى ـ خلفاء محمد عليه السلام بمثل هذه السلطة؟ وطلب مني الدكتور أن أجيب.

وجوابي أشرت إليه في المقال الأول على النحو السالف ثم **قلت:** "ولقد نص القرآن على أن الرسول هو خاتم النبيين وذلك ليمنع قيام مثل هذا السلطان الديني فلا يملك أحد بعد النبي أن يشرع للناس بخلاف ما جاء في القرآن والسنة. وهذا هو الفيصل بين حكم الإسلام وبين ما يسمى بالحكومة الدينية" وأما سلطة الحكم ففي البند التالي:

ثم قلت: "الإسلام لا يعرف ما يسمى بالحكومة الدينية وهذا ما نتناوله في المقال القادم إن شاء الله" ولكن المقال لم ينشر.

رابعاً: الحكم الإسلامي والحكومة الدينية:

يقول الدكتور خلف الله "أعتقد أن ما بيني وبين الأستاذ سالم البهنساوي قريب جداً وأن الاختلاف يمكن أن يقضى عليه عندما نقف عند المفاهيم القرآنية ولا نتجاوزها إلى مفاهيم أخرى عصرية، لم يقصدها القرآن الكريم أبداً. وأول هذه المفاهيم هو معنى الحكم الذي أشار إليه الأستاذ البهنساوي، وقدم الدليل عليه من القرآن الكريم حين أورد قول الله تعالى: ﴿ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ﴾[1] ووقوف الأستاذ البهنساوي عند هذا الحد من الآية الكريمة هو

---

(١) المائدة (٤٩).

الذي حال بينه وبين مفهوم كلمة الحكم من حيث أن كل الآيات التي وردت في القرآن الكريم لا تعني من هذه الكلمة الحكومة أو السلطة وإنما تعني بها القضاء بالعدل" ثم أورد آيات الحكم بما أنزل الله وعلق عليها بقوله "إن الحكم في هذه الآيات جميعها وفي كل آية وردت فيها هذه الكلمة لا يعني أبدا غير الفصل في الخصومات بالأحكام الشرعية التي وردت في التوراة والإنجيل والقرآن، الحكم في القرآن الكريم كله لا يعني غير القضاء والفصل في المنازعات. والحكم في القرآن الكريم لا يعني أبداً الحاكم الذي يستمد سلطته من الناس وينشئ الحكومة التي تدير شئون الحياة في المجتمعات".

جوابنا على ذلك هو:

أ- لقد تضمن مقالي الأول أن السلطان الديني والحكومة الدينية بالمفهوم الكهنوتي لا يقول به مسلم. وقلت في نهاية المقال "فحكم الإسلام هو تطبيق نصوص القرآن والسنة والتزام الحاكم والمحكوم بها. وليس إعطاء قدسية ما لبعض الحكام يحرمون ويحلون من دون الله. فذلك هو الشرك مع الله كما جاء في القرآن وبينته السنة النبوية" .

ب- لم يقل علماؤنا أن القرآن والسنة قد نصا على أشخاص يستمدون سلطتهم من الله في حكمهم للناس، فذلك هو المفهوم الكنسي للحكومة الدينية وهو ما يبطله الإسلام ويعده شركاً مع الله.

ولكن قيام الحكومة من الناس واستمدادها السلطة من الأمة لا يعني أن هذه الحكومة تملك أن تصدر التشريع الذي يخالف القرآن والسنة النبوية. فهذا أمر مقبول في المجتمعات الغربية وله قواعد دستورية أهمها نظرية السيادة التي تجعل الشعب هو صاحب السيادة في التشريع.

وفي المجتمعات الشيوعية يتولى الحزب الشيوعي نصب الحكومة التي لا تملك الخروج على مبادئ ماركس ولينين.

أما الإسلام فالحكومة فيه تستمد سلطتها من الأمة ولكنها مقيدة في أعمالها وتصرفاتها، فلا تملك أن تخالف القرآن والسنة النبوية فإن فعلت كان قرارها باطلاً لا شرعية له. قال الله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾[1].

خامساً: الإسلام والدين والدولة :

يقول الدكتور خلف الله: إن النبي لم تكن له وظيفة أخرى غير النبوة والرسالة، وإذا كان الأستاذ البهنساوي يريد أن يؤكد للناس أن الإسلام قد كان له دولة فإنه عليه أن يقدم الدليل من القرآن الكريم.

والجواب على ذلك هو:

أ- لماذا يقتصر الدليل على ما ورد في القرآن؟ فالدكتور لا ينكر السنة وعليه أن يطلب الدليل منها. وإلا كان منكراً لها حسب ظاهر أقواله.

ب- أوضحت في المقال الأول أن الدولة الحديثة لها مقومات ثلاثة هي: شكل الحكومة والسلطات الثلاثة وحقوق الأفراد. وكل ذلك قد جاء به القرآن. وقدمت الدليل عليه من كتاب الله. كقول الله: ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾[2] وقوله ـ ﷻ: ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ

(١) الأحزاب (٣٦).

(٢) الشورى (٣٨).

تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ﴾[1]

وأود أن يعلم الجميع أن الآية ٢٥ من سورة الحديد قد نصت على أن رسول الله كانت له مهمة رئيسة هي إقامة الدولة والحكم بين الناس بالقسط، قال تعالى: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِۖ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ ﴾[2] فهذا النص قد وضح أن الرسل جاءوا للبشرية لإقامة حكم فيه:

١- سلطة تشريعية هي الكتاب الذي دل على السنة.

٢- سلطة قضائية رمز إليها بالميزان.

٣- سلطة تنفيذية رمز إليها بالحديد.

وقدمت الدليل من السنة النبوية، ومن ذلك الدستور الذي وضعه النبي في أول حكمه بالمدينة ليحكم العلاقات بين المسلمين وبينهم وبين غير المسلمين، وأن هذا الدستور يتضمن القانون الدولي العام والخاص.

ج- إن لم يكن الرسول حاكماً، وأمر المسلمين بإقامة حكم إسلامي. فما معنى قول الله: ﴿ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾ وقوله سبحانه ﴿ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ﴾ ؟

د- إن كانت وظيفة النبي هي النبوة والرسالة فقط ـ أي مجرد تبليغ الدين ـ فالحروب والغزوات التي قام بها لا تدخل ضمن ما حدده له

---

(١) الحجرات (٩).

(٢) الحديد (٢٥).

بها ولا تدخل ضمن ما حدده له الدكتور من عمل الرسالة. وكذلك إعداده الجيوش والقواد لغزو الروم ثم التحرك بهم حتى وصل إلى تبوك وعقده صلحاً مع زعماء جرياء واذرج وأيلة. وهل تعيينه معاذاً حاكماً على اليمن من أعمال النبوة؟ وهل غزوة مؤتة المتجهة نحو الروم من أعمال النبوة؟ وهل تعيينه أمراء لجمع الزكاة جبراً من أعمال النبوة؟ أم أن ذلك من أعمال الدولة فقام بها الخلفاء؟

سادساً: جعل الدكتور خلف الله رده بعنوان:

"هل يجوز أن يكون الدين من عند غير الله" وساهمت الوطن في نشر ذلك في صفحتها الأولى وهذا يوحي أنني أجيز ذلك ولا أحب أن أقول: أذلك قد ورد في مقالتي الأولى الذي نشرته الوطن يوم ٢٦/ ١١/ ١٩٨٢ ومقالي الثاني المنشور يوم ٣/ ١٢/ ٨٢ وكلاهما تضمن أنه لا يحل لمسلم أن يقتصر على ما جاء في القرآن فالدين يشمل القرآن والسنة معاً. والنبي يقول: "إني أوتيت القرآن ومثله معه"، والله تعالى يقول عن النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾ [1].

أما ما ختم الدكتور به رده في قوله "بقي أن أهمس في أذن الأستاذ البهنساوي بأن الدين غير التشريع، وأن مصدر الدين هو الله سبحانه وتعالى، أما مصدر التشريع فيكون القرآن الكريم وسنة سيد المرسلين والإجماع والقياس وما إلى ذلك مما عده علماء أصول الفقه من مصادر التشريع والتي وصلت إلى تسعة عشر مصدراً".

---

(١) النجم (٣ ، ٤).

فالجواب عليه:

١- أنه لو صح أن الدين غير التشريع لكان مصدر الدين هو القرآن والسنة وليس القرآن فقط، فإن الله تعالى يقول: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾(١).

٢- إن مصدر التشريع ينحصر في القرآن والسنة النبوية، لأن الإجماع والقياس وغيرهما مما عده علماء الأصول مصادر هي في حقيقتها ليست مصدراً مستقلاً. فلا حجة لها إلا إذا كان لها مستند من الكتاب والسنة. وهذا هو الذي يفرق بين الاجتهاد البشري وبين التشريع المنزل من عند الله والمتمثل في القرآن والسنة.

٣- لقد ورد لفظ الدين في القرآن الكريم بمعنى التشريع والقانون في قول الله تعالى: ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ﴾(٢).

وورد الدين بمعنى العقيدة في قول الله تعالى: ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ﴾(٣)وورد بمعنى المناسك التعبدية في قول الله: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ﴾(٤).

وقد فصلت ذلك في كتابي "الحكم وقضية تكفير المسلم" المتضمن

---

(١) الحشر (٧).

(٢) البقرة (١٩٣).

(٣) البقرة (٢٥٦).

(٤) الشورى (١٣).

الرد على انحرافات بعض الشباب.

٤- ولا يوجد أحد من المسلمين يقول: إن الإنسان أو الحاكم خليفة الله بمعنى أنه ينوب عن الله ويتولى سلطاته؛ لأن هذا ما أخبر النبي أنه شرك مع الله، في قوله لعدي بن حاتم عن الأحبار والرهبان: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾[١].

أما قول الله تعالى: ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾[٢] فليس معناه خليفة عن الله بل يفسره قول الله: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ ﴾[٣] أي يخلف بعضهم بعضاً. فقد جاء في معاجم اللغة: خلف فلان فلاناً أي جاء بعده. ومنه قول الله: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِي فِي قَوْمِي ﴾[٤] كما قال الله: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴾[٥] فهذا خلف هذا أي جاء بعده. أما قول الله: ﴿ وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ﴾[٦] أي أنفقوا من المال الذي أنتم عليه أمناء ويدكم عليه يد عارضة سيخلفكم فيه غيركم من الورثة وسيؤول إليهم.

---

(١) التوبة (٣١)

(٢) البقرة (٣٠).

(٣) الأنعام (١٦٥).

(٤) الأعراف (١٤٢).

(٥) الفرقان (٦٢).

(٦) الحديد (٧).

وختاماً نرجو أن يدرك الجميع أن ما نقلناه وذكرناه ليس جدالاً ولا مراء[١].

وقفة نهائية مع الدكتور محمد خلف الله

النبي والدولة.. والاجتهاد والنص:

لقد نشر الدكتور محمد خلف الله كلاماً يتعلق بالحكم الإسلامي والسنة النبوية، تناولته بالحوار لكنه في ١٧ـ١٢ـ١٩٨٢ ادعى أنني في حواري معه نقلت عنه غير الحقيقة بل أوهاماً توهمتها إذ لم أقرأ النصوص قراءة سليمة ولم أتفهمها فهماً دقيقاً، وانتهى إلى أن ما يقوله هو الحق وما قلته هو الباطل وطلب أن أهتدي معه إلى هذا الحق وأترك الجدال.

ولما كان دفاعي لا يتعلق بشخصي بل ينصب حول وظيفة الرسول ـ ﷺ ـ ومنزلة السنة النبوية مع الدين والتشريع وهذا أمر لا يملك أحد منا أن يبتدع فيه حكماً كما أن ما قاله كل منا ليس سراً لم يطلع عليه أحد بل قد نشرته الصحف اليومية ويمكن الاحتكام إليه دون تراشق بالألفاظ أو تحوير الكلمات.

فأضع صاحبي والقراء أمام الحقائق التالية:

أولاً: السنة وقيام دولة في عصر النبي:

لقد قال بالحرف في مقاله يوم ١٩ نوفمبر الماضي:

"لا نستطيع أن نسمي ما قام به رسول الله ـ ﷺ ـ بالحكومة، فما قام به هو شيء من إدارة الأعمال أكثر منه حكومة".

---

(١) نشر بالوطن يوم ١٧/١٢/٨٢.

وفي رده يوم ١٧ ديسمبر طلب مني:

أ- ألا أخلط بين شؤون الدولة والحكم، وبين شؤون النبوة والرسالة.

ب- أن يكون سندي في كل ما أرغب في الوصول إليه هو القرآن الكريم.

ج- ألا أنكر ولا غيري صحة قوله "إن ما لم يرد في القرآن يكون غير ما أنزل الله".

وأضاف أن القارئ قد فطن إلى أن قوله هذا لا يتصل بقريب أو بعيد بعنوان مقالي الثاني "السنة بين المستشرقين وعلماء السلطان".

والجواب على ذلك هو:

١- أن تكرار طلبه أن يكون دليلي هو القرآن لهو أكبر دليل على عدم أخذه بالسنة النبوية.

٢- أن عبارته التي يدعي أنني لم أفهمها وهي "أن ما لم يرد في القرآن يكون غير ما أنزل الله" لا تحتاج إلى إعمال نظر في الفهم، فهي صريحة أن كل ما لم يرد في القرآن ليس من عند الله، يدخل في ذلك السنة النبوية وهو حتى اليوم لم يصرح باحتكامه إلى هذه السنة.

٣- إن المسلم لا يملك أن يقول: إن السنة النبوية غير ملزمة بدعوى أنها لم ترد في القرآن أو أن يقول أنه لا يأخذ من السنة إلا ما كان بياناً لما في القرآن، وهذا هو إجماع المسلمين لما يأتي:

الأول: لتبين أن القرآن أمرنا بطاعة الرسول فيما أمر به أو نهى عنه قال تعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾[1].

---

(١) الحشر (٧).

وقطعاً فهذا أمر آخر غير القرآن، فمن قال: غير القرآن لا يكون من عند الله دون أن يستثني السنة النبوية، يدخل هذه السنة في الفكر البشري الخاضع للاجتهاد وهذا ما يحاوله صاحبنا.

الثاني: أن قول الله ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾[1] يخول الرسول بيان ما جاء في القرآن، وهذا البيان يشمل أيضاً كل حكم جديد ليس في القرآن كتحريم لحم الحمر الأهلية وهذا ما فصلته في المقال الثاني مع مزيد من الأمثلة والأدلة من القرآن والسنة، وكذلك تحريم زواج العمات والخالات، وهذا ما عليه إجماع المسلمين، وصاحبنا يقول بخلافه، وهو ما يقول به المستشرقون وبعض الحكام سواء من غير المسلمين أو مسلمين نكسوا على رؤوسهم.

فهل ما أجمع عليه المسلمون بشأن السنة النبوية وهو ما نتمسك به هو الضلال، والبدعة التي ينادي بها الدكتور خلف الله هي الحق الذي يجب أن نهتدي إليه؟

ثانيا: النبي والدين والدولة:

كرر صاحبنا أن النبي - ﷺ - لم ينشئ حكماً ولا دولة بل قام بإصلاح إداري، ولم يبين الدولة والحكومة التي أسندت إلى النبي - ﷺ - الإصلاح الإداري المزعوم، والغريب أن الإسلام في رسالته الخاتمة قد تميز بتنظيمه للدولة في شؤونها الداخلية والخارجية، وقد أوضحت في المقال الأول أن هذا من مهام الرسل استناداً إلى الآية ٢٥ من سورة الحديد، التي أشارت إلى مقومات الدولة والسلطة التشريعية والقضائية

---

(١) النحل (٤٤).

والتنفيذية.

ولكن صاحبنا قد تجاهل ذلك وادعى أن قول الله تعالى: ﴿ يَـٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَـٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ ﴾[1] أمر خاص بنبي الله داود ولا ينطبق على خاتم المرسلين، ويزعم أنه لم يرد في القرآن نص بذلك.

وبهذا المنطق المعكوس يستطيع كل جاهل أو محرف لدين الله يقول إن صلاة الصبح أو صلاة الظهر لم ترد في القرآن فلا نلزم بها أو إن زكاة المعادن لم ترد في القرآن فلا نلزم بها.

ومع عدم تسليمنا له أن يكون الدليل من القرآن فقط لأن في هذا إنكاراً للسنة النبوية.

فإن القرآن الكريم قد قال لنبيه والمؤمنين معه: ﴿ وَقَـٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ﴾[2] وقال الله تعالى: ﴿ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ ﴾[3] كما قال الله لنبيه في شأن أسرى معركة بدر ﴿ مَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾[4] فهذه الآيات وغيرها مما أوردته في المقال الأول متعلقة بأمور السلم والحرب، لا يمكن أن ينفذه النبي - ﷺ - إلا من

(١) ص (٢٦).

(٢) الأنفال (٣٩).

(٣) الأنفال (٤١).

(٤) الأنفال (٦٧).

خلال حكومة ودولة.

فهل كانت المدينة المنورة تحت حكم اليهود أو الوثنيين من العرب ونفذوا للنبي - ﷺ - هذه الآيات القرآنية لأنه قام بإصلاح إداري لحسابهم!

ثم كيف ينكر مسلم أن أول شيء فعله النبي - ﷺ - في المدينة هو أن وضع وثيقة ودستوراً يحكم العلاقة بين أفراد الدولة التي أقامها سواء من المسلمين أو اليهود أو غيرهم، وقد جاء في ديباجة هذا الدستور أو هذه الوثيقة أو هذه الصحيفة "هذا كتاب من محمد النبي رسول الله بين المؤمنين والمسلمين من قريش وأهل يثرب ومن تبعهم بالحق ولحق بهم"، وجاء بهذه الوثيقة عن اليهود أن اليهود يتفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين.

وقد حدد هذا الكتاب حدود الدولة وسماها النبي بحرم المدينة.

وهذا الكتاب يقع في ٤٧ مادة أو بنداً فما حكم من أنكره؟ لقد حصر الدكتور محمد حميد الله الوثائق السياسية في عهد النبي - ﷺ - فبلغت ٢٤٤ وثيقة، منها هذا الدستور وصلح الحديبية، الذي تضمن وضع الحرب ١٠ سنين والذي جاء ذكره في القرآن الكريم في سورة الفتح، فهل هذه ليست دليلاً على الدولة؟ وهل المشورة في الحروب التي قادها النبي - ﷺ - ليست إلا لجاناً من أولي الأمر ولا تدل على وجود دولة؟ ولم يقم بها الرسول الكريم، كما يدعي الدكتور خلف الله؟

وإذا كانت مشورة النبي في الحروب " ليست دليلاً على الدولة وخصوصاً عندما تكون هذه اللجان من أولي الأمر إلى جانب النبي" ،

وهو ما ادعاه الدكتور خلف الله. فمن هم أولو الأمر الذين شكلوا هذه اللجان بجانب النبي - ﷺ - ؟

وإذا قلنا ذلك نكون محرفين للنصوص أو لم نفهمها فهماً دقيقاً ونكون قد قلنا الباطل؟

وإلى من يتوجه الخطاب في قول الله تعالى:﴿ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّـٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ ﴾[1]، لقد نزل هذا على النبي في عصره فهل التحاكم في هذا النص وغيره موجه إلى أفراد ليس لهم سلطان الدولة التي تحتكم إليها وإلى مؤسساتها الدستورية؛ لأن القرآن لا يحكم هو بين الناس بل يحكم به الحكام ومن يسندون إليهم هذا الأمر من القضاة والأمراء؟ العالم في أي جانب من الجوانب الكونية إذا ما حمل بين جوانحه قلباً مؤمناً بالدين، يستحيل ألا يزداد إيمانه؛ لأن علمه بأسرار الكائنات هو في الوقت نفسه علم بعظمة من خلق تلك الكائنات، وبدأها وسواها وأجراها على سنن منظومة، هي التي يكشف عنها العلماء ويطلقون عليها اسم "القوانين العلمية" . "ومن أبرز الفوارق بينهما، أي الدين والعلم، مما لابد أن نكون على وعي شديد به. هو أن مبادئ الدين ثابتة عند المؤمنين بهذا الدين؛ لأنها معايير يقاس بها السلوك، ولابد للمعيار أن يحتفظ بمعنى واحد، وإلا فقد معياريته، وأما العلم فهو متغير مع تقدمه في تعاقب العصور..".

ج- وفي مقاله المنشور في الأهرام والوطن يوم ٥/ ٤/ ٨٨ يقول: العقيدة مدارها التوحيد والقيم الضابطة للسلوك، ويرجع في ذلك إلى

---

(١) النساء (٦٠).

الأصلين، القرآن الكريم وسنة النبي ـ ﷺ ـ إذا ما أشكل أمر لم يرد عنه نص في هذين الأصلين، فمرجع المسلم فيه العقل، ولا فرق بين أن نقول إنه العقل أو إنه إجماع الرأي عند الثقات. والنضج العقلي يكون بالقدرة على تمثيل المبادئ التي نزل بها دين الإسلام، والتزامها في استدلالاته العقلية بعد ذلك، كلما أراد لنفسه هداية في دنيا السلوك" .

لا ينكر أحد أن الرسل يحكمون؛ لقول الله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [(١)] ويقول الله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ﴾ [(٢)] وإن كان فهمي هذا باطلاً مع أنه إجماع فقهاء الأمة فمن من الفقهاء فهم مثل فهم الدكتور خلف الله وادعى أن مصلحة الناس تقدم على النص وهو القرآن أو السنة أم أن الإجماع أن المصلحة تقدم إذا لم تتعارض مع القرآن أو السنة[(٣)] .

وأخيراً فأحيل القارئ إلى مقالي التالي والذي نشر بالأهرام حيث قد عرى الدكتور خلف الله من تمسحه بالقرآن الكريم .

القومية والقرآن العصري بين خلف الله وسيف الدولة

نشر الأستاذ الدكتور "محمد أحمد خلف الله" مقالاً في صفحة الحوار القومي تناول موضوع القومية العربية والإسلام، تطرق فيه إلى مقال للأستاذ "محمد حامد أبو النصر" ، ومقال للمرحوم الأستاذ "عمر

---

(١) آل عمران (٧٩).

(٢) النساء (١٠٥).

(٣) نشر بالوطن في ٢٤/١٢/٨٢.

التلمساني"..

وقد علل الدكتور "خلف الله" رده بقوله "مقال المرشد العام، قد أفسد الجو بين القومية العربية والإسلام إلى الحد الذي لا يصح معه السكوت أبداً".

كما وصف مقال المرشد الراحل الأستاذ عمر التلمساني بقوله: "إنه الأقرب إلى مفهوم وحدة الأمة الذي جاء به القرآن الكريم" وبقوله "إنه يرفع التناقض بين العروبة والإسلام" وكما قدم الدكتور خلف الله نفسه للقراء في قوله: وعلاقة الإسلام بالعروبة إنما تتحدد بما حدده القرآن الكريم لهذه العلاقة وليس أبداً بما نفرضه نحن على هذه العلاقة، فهل جعل الدكتور خلف الله الإسلام هو الفيصل فيما اختلف فيه؟ إنه لم ينزل إلى حكم الإسلام في مقاله هذا، وفي فكره القومي بصفة عامة، في الوقت الذي يقول فيه إن القرآن هو الذي يحدد علاقة الإسلام بالعروبة لهذا ودفاعاً عن الإسلام نركز على الآتي:

علاقة الإسلام بالعروبة:

ذكر أن القرآن الكريم حين يحدد العلاقة بين العروبة والإسلام، يجعل العروبة هي الأصل ويجعل الإسلام هو الفرع، ثم يذكر أن الثقافة الإسلامية تؤكد ما جاء به القرآن من أن الإسلام مرتبط بالعروبة ارتباطاً عضوياً، وأن الأصل العروبة وليس الإسلام، وهذا الذي يذكره الدكتور خلف الله لا يوجد أي دليل عليه من القرآن الكريم الذي جعل العقيدة هي الأصل وليست العروبة أو غيرها.. قال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ

تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾[١].

وهاهو المفكر القومي الدكتور عصمت سيف الدولة في كتابه "عن العروبة والإسلام" يصحح هذا الخطأ فيقول: (لا مجال إذن للخلط بين علاقة الانتماء إلى العروبة وعلاقة الانتماء إلى الإسلام، لا في الأشخاص ولا في المضمون.... إن الإسلام علاقة انتماء إلى دين خالد في الزمان بحكم أنه خاتم الرسالات والأديان وخالد في المكان بحكم أنه رسالة إلى كل البشر، أما العروبة فعلاقة انتماء مقصورة على شعب معين)[٢] ويقول: (وإن من المنافقين من أبناء أمتنا العربية من يناهضون الإسلام باسم العروبة) كما يقول: (ولا نتتبع هنا كل صور النفاق الذي يخفي مناهضة الإسلام بالعروبة ومن أشكال هذا النفاق ما هو ظاهر السذاجة).

من ذلك الاستعلاء على الإسلام باسم العروبة، فالاستعلاء استئصال يمهد للاستغناء.

حيث يفاخر بعض العرب بأن الرسول قد كان منهم، وكان القرآن بلغتهم وبأن في ذلك آيتين على أن الإسلام دين العرب وفضلهم على الناس كافة، وأنهم استحقوا أن توضع الرسالة فيهم فوضعت. إنهم ينافقون الشعب العربي يبغون مرضاته، ربما ليقبلهم في موقع القيادة

---

(١) التوبة (٢٤)، وهذا الرد قد نشر بتاريخ ١٩٨٧/٦/١٠.

(٢) كتاب العروبة والإسلام ص ٢٤.

منه، ولكنهم يجعلون من الإسلام ثمرة من ثمار حضارة ينسبونها إلى أمة عربية لم توجد قط، كأن العروبة هي الأصل وما كان الإسلام إلا فرعاً، ونشهد أننا لم نقرأ ولم نسمع شيئاً أكثر جهالة من هذا الذي اختاره بعض العرب أسلوباً لمناهضة الإسلام باسم العروبة)[١].

لا جدال أن الإسلام مثلما جاء للعرب وبلغتهم، فإنه جاء للناس كافة فكما قال الله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ رَسُولاً شَٰهِدًا عَلَيۡكُمۡ ﴾[٢]، قال تعالى:﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ ﴾[٣]وقال الله تعالى: ﴿ وَأَرۡسَلۡنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولاً ﴾[٤]وقال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾[٥].

الإسلام والقومية:

يقول الدكتور: (يخطئ المرشد العام "أبو النصر" لأنه قد ذهب إلى أن العروبة هي اللسان واللغة وليست القومية).

والدكتور لا ينكر أن القومية مذهب يؤمن به الإنسان عند إدراكه، أما العروبة فهي انتساب إلى وطن والأصل فيه اللغة، ولهذا قال المفكر القومي الدكتور "عصمت سيف الدولة" (إن الإسلام علاقة انتماء تنشأ بالتمييز فالإدراك فالإيمان : أما العروبة فعلاقة انتماء إلى وضع تاريخي

---

(١) نفس المصدر ص ١٨٢.

(٢) المزمل (١٥).

(٣) المائدة (١٥).

(٤) النساء (٧٩).

(٥) سبأ (٢٨).

تدرك العربي منذ مولده وتصاحبه حتى وفاته ولو لم يكن مميزاً)[١].

فإذا أريد بالقومية تفضيل العرب على غيرهم فالنبي - ﷺ - قال "من بطأ به عمله لم يسرع به نسبه" وقال: "يا فاطمة بنت محمد أعملي فإني لن أغني عنك من الله شيئاً".

وإذا أريد بالقومية، رابطة تناهض الإسلام فالله يقول: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾[٢] أما إذا كانت القومية أن يصبح العرب أمة واحدة تتفاعل فيما بينها للدفاع عن أرضها وشعبها وتعمل من أجلهم وتجاهد من أجل عقيدتهم المشتركة فهذا لا ينازع فيه أحد من العرب والمسلمين، - إن كانوا عرباً أو مسلمين - وهذا ما أوضحه الدكتور "عصمت سيف الدولة" الذي أشاد برأي الإمام "حسن البنا" مؤسس جماعة الإخوان في ذلك.

ويقول خلف الله : (حين دعا النبي - ﷺ - العرب إلى إفراد الله بالعبادة، كان يعتبر ذلك البديل للشرك العربي الممثل في اللات والعزى وما إلى ذلك.. ثم ترتبط الصلاة بالأرض العربية ويرتبط الحج بالأمكنة العربية والأزمنة العربية وكذلك الصوم يراه مرتبطاً بالشهور العربية، فهل يستطيع المسلم أن يؤدي فرائض دينه في غير مقوماتها العربية، وإن كل الذين دخلوا في الإسلام سواء تعربوا أم لا ، إنما يمارسون حياتهم الدينية من حيث الفروض والواجبات على أساس من العروبة وليس

---

(١) المصدر السابق ص ٢٣.

(٢) الأحزاب (٣٦).

يصلح لغير العربية أن يقيم الدين الإسلامي إلا على أساسه العربي وإلا كان ما سيؤديه إسلاماً آخر).

ولسنا ندري ما هو النص سواء الآية القرآنية الكريمة، أو الحديث النبوي الشريف الذي يجعل إسلام الأوروبي إسلاماً آخر إذا صلى بغير اللغة العربية!

ثم ما هو النص الشرعي الذي يجعل إفراد الله بالعبادة بديلاً عن الشرك العربي، فعبادة الله وحده ليست بديلاً عن الشرك فهي أصل والشرك عارض وطارئ.

الهدف من الإسلام:

إن القرآن الكريم قد حدد الهدف من رسالة الإسلام في آيات لا نكاد نحصيها منها قول الله تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ﴾[1].

ولكن الدكتور يقول : (إن الهدف من الرسالة الإسلامية أولاً وقبل كل شيء هو الارتفاع بالمستوى الحضاري للأمة العربية، وذلك عن طريق الرسول الذي يعلمهم الكتاب والحكمة).

وأين هذا من الآيات القرآنية التي تحدد رسالة الإسلام بإخراج الناس من الظلمات إلى النور عن طريق اتباع تشريع الله الممثل في القرآن والسنة، إذ قال الله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ

(١) المائدة (٤٨).

ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓاْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِۦ ﴾[١]. وقال الله تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾[٢].

إقليمية الرسالة:

يحاول الدكتور "خلف الله" أن يجعل من العروبة رسالة يصبح الإسلام تابعاً لها كما جعل العروبة هي الأصل والإسلام هو الفرع، فيقول: (وعروبة القرآن أو اختيار المولى سبحانه وتعالى للغة العربية لتكون لغة الوحي إنما كان بسبب أن الرسالة الإلهية موجهة إلى الأمة العربية أولاً وقبل كل شيء).

وسبق أن ذكرت رد الدكتور "عصمت سيف الدولة" من أن الإسلام رسالة للناس كافة، أما العروبة فانتماء إلى شعب معين. وقد ختم هذه القضية بقوله: (كانت خلاصة ما تقدم من تخريب وتغريب أن نشأت في كل قطر عربي طبقة قومية الانتماء إقليمية الولاء، مادية الباطن إسلامية الظاهر فردية البواعث، نفعية الغايات، رأسمالية النشاط، اجتماعية الأرباح، يتعلق بها وتتغذى عليها شخوص من الفلاسفة والمفكرين والكتاب والأساتذة والتلاميذ... وهي طبقة نشأت مع الاستعمار؛ لتؤدي بالنيابة عنه ولحسابه نقض الحضارة العربية من بناء شخصية الإنسان العربية)[٣]. إنه لا يجهل أحد أن الإسلام جاء

---

(١) النساء (٦٠).

(٢) النساء (٦٥).

(٣) المصدر السابق ص ٤٢٩.

للعرب، ولكنه أيضاً جاء للناس كافة وهذا ما يدركه الدكتور خلف الله الذي لا نعنيه بالاقتباس الأخير .

حقيقة فكر الدكتور "خلف الله" :

إن الدكتور خلف الله يستشهد بالآيات القرآنية الكريمة؛ ليوهم القارئ أن العروبة هي الأصل والإسلام هو الفرع، ويرتب على ذلك نتائج خطيرة لم يذكرها صراحة في مقاله، ولكنه نشرها في مقالات وكتب وهذه أهمها:

١- بحوث الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية المنشورة في كتاب باسم "القومية العربية الإسلام" والمنشور ١٩٨١. وفي هذه البحوث يرد الدكتور "محمد خلف الله" على المفكرين الذي يربطون بين الإسلام والقومية العربية فيقول: يطلب للربط بين الإسلام والقومية العربية التنازل عن العلمانية، وهو ما لا يمكن أن تتخلى عنه القومية العربية ؛ لأن ممارسة الحياة على أساس من العلمانية يمنح المجتمع حرية وانطلاقاً في تحقيق المصلحة العامة، على أساس من الحضارة العلمية أكثر مما يمنحه الإسلام[١] .

٢- وكتابه الأسس القرآنية للتقدم، يصرح بأكثر من ذلك فيقول: (تبقى بعد ذلك عملية تحرير العقل البشري من السلطة الدينية المتمثلة في نظام النبوة)[٢] .

ويقول: (لقد حرر الإسلام العقل البشري من سلطان الآلهة فيما عدا سلطان الله) [٣]ولكنه يقول: (أرجو أن يطمئن القارئ إلى الأساس

---

(١) كتاب القومية العربية والإسلام ص ٥٥.

(٢) الأسس القرآنية للتقدم ص ٤١.

(٣) المصدر السابق ص ٤٤.

الذي بني عليه التوحيد وكيف كان تحرير العقل البشري من سلطان الآلهة بما فيهم سلطان الله)[١].

لما كان ذلك كذلك فليس للدكتور "خلف الله" أن يلبس هذا الفكر اللاديني ثوب القرآن الكريم، وله إن شاء أن يكون علمانياً أو لا دينياً ولكن ليس له صلاحية تحويل نصوص القرآن الكريم، هذا ما نبه عليه الدكتور "عصمت سيف الدولة" في فصل النفاق وفصل العلمانية بكتابه سالف الذكر[٢].

براءة القرآن من أركسة القوميين :

بتاريخ ١٧/ ٦/ ١٩٨٧ نشر الدكتور محمد خلف الله مقالاً عن عروبة الإسلام ذكر فيه أنني ممن يعيشون في الوهم الذي صنعته القومية الفارسية، وأن وهما آخر يرسخ في ذهني، وهو أن عروبة الإسلام ضد عالميته، وعالميته تقتضي فصله عن عروبته، وذلك على الرغم من أنني لم أكتب ذلك ولم أقله.

وكنا نود أن يذعن الدكتور "خلف الله" لحكم الإسلام في تحديد العلاقة بين الإسلام والعروبة والقومية، وخصوصاً وأنه يكرر أن الحقائق القرآنية لا يمكن أن تكون موطن الجدل ومحل الشك والارتياب.

غير أنه تعصب لفكره القومي العلماني، وحاول أن يجعل القرآن الكريم وسيلة لتأييد هذا الفكر مع مناهضته للإسلام حسبما فصله مقالي السابق.

فهاهو قد كتب في ذات الصفحة مقالين تناولا كلامي وكلام

---

(١) المصدر السابق ص ٣٦.

(٢) نشر بالأهرام بتاريخ ٨٧/٦/١٠ في صفحة الحوار القومي.

الدكتور عبد الصبور شاهين" نشر الأول في ١٧/ ٦ بعنوان "عروبة الإسلام" والآخر في ٢٤/ ٦ بعنوان "القومية حقيقة قرآنية".

وقد وضح، أنه يحاول إيهام القارئ أن الحوار كان يدور حول مسمى المقالين، بينما القضية الرئيسة في الحوار تمثلت في سؤال صريح بدأت به مقالي السابق وهو (هل جعل الدكتور "خلف الله" الإسلام هو الفيصل فيما اختلف فيه)؟ ثم أجبت بقولي: (إنه لم ينزل على حكم الإسلام في مقاله هذا وفي فكره القومي بصفة عامة).

وقد استندت في إجابتي المذكورة إلى فقرات كاملة من أقواله، كما استشهدت على بعد فكره عن القرآن الكريم بآيات عديدة منه، وبفقرات من كلام الدكتور "عصمت سيف الدولة".

فما كان من الدكتور "خلف الله" إلا أن أغفل هذه الحقيقة.

والحقيقة التي لا يختلف عليها اثنان أن الدكتور "خلف الله" هو الذي حدد عقيدته لنفسه، وهي التي تباعد بينه وبين الدكتور "سيف الدولة" وغيره من الملتزمين بحكم الإسلام، بل ومن المنصفين من الباحثين غير المسلمين، وما كان دوري إلا أن أظهرت هذه الحقيقة، وما زال الأمر بيده إن شاء ترك فكره الذي يناهض الإسلام بالعروبة والقومية، وإن شاء أصر على موقفه السابق، غير أنه لا يوجد باحث منصف يقره على نسبه هذا الفكر إلى الإسلام.

أما أنه يوهم القارئ أن الحوار كان يدور حول مسمى مقاليه سالفي الذكر، يتضح من قوله (تلك هي القضية الأساسية التي لم تستوعبها الجماعات الدينية بعد، التي يثور بشأنها الجدل والحوار ويقع ذلك على الرغم من أن عروبة الإسلام حقيقة قرآنية..).

كما تتضح هذه المحاولة من عبارات أخرى له منها قوله: (إن القرآن الكريم لم يتخذ موقفاً معادياً للقومية) وبهذه المحاولات يتجاهل أن مقالي محل رده هذا، قد ورد به (إذا كانت القومية أن يصبح العرب أمة واحدة... فهذا لا ينازع فيه أحد من العرب أو المسلمين).

كما تجاهل أن الدكتور "عصمت سيف الدولة" وهو من كبار المفكرين القوميين، قد حدد موقف كبرى الجماعات الإسلامية من العروبة والقومية بقوله: (إن الأمة العربية هي أمة الإسلام وإنجاز ثورته، وحاضنة حضارته، وحاملة رسالته إلى كل شعب يقبلها بدون إكراه، في أي دولة من دول الأرض، وهذا ما فطنته جماعة الإخوان المسلمين بإرشاد قائدها الشهيد "حسن البنا" (ص ١٦٥).

ولعل الدكتور محمد خلف الله قد اطلع على رسالة المؤتمر الخامس للشيخ "حسن البنا" الذي حدد الموقف من الوحدة القومية والعربية والإسلامية فقال (إن هذا الإسلام الحنيف نشأ عربياً ووصل إلى الأمم عن طريق العرب، وجاء كتابه الكريم بلسان عربي مبين وتوحدت الأمم باسمه على هذا اللسان يوم كان المسلمون مسلمين، وقد جاء في الأثر: إذا ذل العرب ذل الإسلام..) ص ١٧٦.

ولعل الدكتور "خلف الله" لا ينكر أنه قد اقترن بالدعوة إلى القومية العربية تياران:

أحدهما: عَلماني يحاول أن يجعل من القومية مذهباً يناهض الإسلام وهو ما قال عنه الدكتور "سيف الدولة" ((إن الاستعلاء على الإسلام بالعروبة مناهضة وأركسة) أي قلب للحقائق (ص ١٨٥) (ويجعلون من الإسلام ثمرة من ثمار حضارة ينسبونها إلى أمة عربية لم

توجد قط، كأن العروبة هي الأصل وما كان الإسلام إلا فرعاً منها. ونشهد أننا لم نقرأ ولم نسمع شيئاً أكثر جهالة من هذا الذي اختاره بعض العرب أسلوباً لمناهضة الإسلام باسم العروبة) (ص١٨٢ من كتابه عن العروبة والإسلام).

أما التيار الآخر، فيضع القومية العربية في موضعها الطبيعي داخل النظام الإسلامي، ولهذا نادى "الكواكبي" بانتقال الخلافة إلى العرب وأن تكون جامعة إسلامية يتم توزيع وظائفها وفقاً لأهليات وخصال الأقوام المسلمين.

وحقيقة فكر الدكتور خلف الله أنه يتبنى اتجاه التيار الأول، ولقد برهنت على ذلك في مقالي السابق فنقلت عنه إصراره على أن تظل القومية العربية إسلامية، لكن بشرط أن لا تتخلى عن العلمانية. كما نقلت عنه ادعاءه أن الأساس الذي بني عليه التوحيد هو تحرير العقل البشري من سلطان الآلهة بما فيهم سلطان الله)[1].

ولقد حاول الدكتور "خلف الله" أن ينقل القارئ إلى موضوع آخر يبعدنا عن الحوار سالف الذكر فحشد الآيات القرآنية التي تدل على الصلة بين الإسلام والعربية والقومية، ثم قال: إن مصر تحركت بعد زوال الخلافة العثمانية وطالبت بالخلافة للملك "فؤاد" وقال: (إن المرحوم الأستاذ "حسن البنا" كان من الذين يتظاهرون من أجل عودة الخلافة في مصر "ولأحمد فؤاد").

ولكن مذكرات "البنا" ورسائله لا تتضمن ذلك، ولم يسند الكاتب

---

(١) كتاب الأسس القرآنية للتقدم ص ٣٦ للدكتور خلف الله.

هذا إلى أي مصدر تاريخي، والمصادر تثبت أن "البنا" كان آنذاك طالباً بدار المعلمين بدمنهور، والملك "فؤاد" لا يجرؤ في التفكير بالخلافة الإسلامية فضلاً عن أن يرشح نفسه حتى تقوم مظاهرات بتأييده، فهذا الملك كان أحد أدوات بريطانيا التي أسقطت الخلافة الإسلامية وخدعت العرب بوعد ونفذت وعداً آخر لليهود، وفي سبيل ذلك قسمت بلاد العرب بينها وبين فرنسا طبقاً لاتفاق "سايكس بيكو".

وأخيراً يؤيد الكاتب فكره بأن كلمة الناس في أكثر آيات القرآن الكريم تعني العرب، أو المشركين منهم، من ذلك قول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ﴾[١] وقال الناس هنا هم العرب فالقبائل توجد فيهم إلى اليوم ولا توجد بمصر مثلاً، وقد نسي أن أصول اللغة العربية تقتضي أن اللفظ العام يظل على عمومه ما لم تدل القرائن على أنه خاص، والعموم هنا لا دليل على تخصيصه بالعرب؛ لأنه إن كانت القبائل فيهم فهي توجد أيضاً في أفريقيا بل وأوروبا، كما أن الذكورة والأنوثة والشعوب ليست خاصة بالعرب بل للناس كافة.

وفي الختام فإن لكل شخص أن يعتقد ما شاء من العقائد والأفكار، ولكن ليس له أن يفرض على القرآن الكريم مذهباً قد ظهر على أيدي غير المسلمين، ثم تبناه بعض من أعلنوا العلمانية التي تختلف مع الإسلام، والقرآن منها براء كل البراءة، ولكن "خلف الله" يريد أن يفرض على القراء مذهبه اللاديني، وينسب هذا الباطل إلى القرآن

---

(١) الحجرات (١٣).

الكريم، وبهذا يستخف بعقول القراء ويستخدم أسلوباً من النفاق الـذي حذر منه الدكتور عصمت سيف الدولة)[١].

انتهى رد الأستاذ سالم البهنساوي ـ وفقه الله للخير ـ

ولمزيد من الرد على أفكار محمد خلف الله يُنظر: «أقلام مسمومة تهاجم الإسلام» للأستاذ علي عبدالعظيم. و«تزييف الإسلام وأكذوبة المفكر الإسلامي المستنير» للأستاذ محمد إبراهيم مبروك، و«الذين يحرثون في البحر» للأستاذ عبدالرحمن فلاًح.

---

(١) أرسل هذا المقال في ١٩٨٧/٦/٢٨ بالبريد المسجل إلى جريدة الأهرام كرد على مقالي خلف الله ولكن المسئول عن صفحة الحوار وهو الأستاذ لطفي الخولي، لم ينشر المقال، كما لم ينشر رد شـيخ الأزهر!

نظرة شرعية
في فكر
محمد عابد الجابري



نظرة شرعية في فكر (محمد عابد الجابري)

ترجمته[1]:

• كاتب مفكر مغربي معاصر. ولد بالمغرب عام ١٩٣٦م، وحصل على دبلوم الدراسات العليا في الفلسفة عام ١٩٦٧، وعلى دكتوراه الدولة في الفلسفة عام ١٩٧٠م من كلية الآداب بالرباط.

• يعمل حالياً أستاذاً للفلسفة والفكر العربي الإسلامي في كلية الآداب بجامعة محمد الخامس بالرباط.

• له مجموعة مؤلفات، ومشاركات في الصحف والمجلات.

مؤلفاته:

١- أضواء على مشكلة التعليم بالمغرب، ١٩٧٣م.

٢- مدخل إلى فلسفة العلوم ـ بيروت ـ دار الطليعة ـ ١٩٨٢م.

٣- من أجل رؤية تقدمية لبعض مشكلاتنا الفكرية والتربوية، ١٩٧٧م.

٤- نحن والتراث ـ المغرب ـ المركز الثقافي العربي ١٩٨٣م.

٥- تكوين العقل العربي ـ بيروت ـ مركز دراسات الوحدة العربية

٦- المنهاج التجريبي وتطور الفكر العلمي بيروت ـ دار الطليعة ـ ١٩٨٢م.

٧- فكر ابن خلدون، العصبية الدولة ـ المغرب ـ دار النشر المغربية ـ ١٩٨٤م.

---

(١) انظر: مجلة الجديد في عالم المكتبات، العدد ١٧، وكتابه "حفريات في الذاكرة "، وغلاف كتابه (الخطاب العربي المعاصر) في طبعته الخامسة عام ١٩٩٤م، مركز دراسات الوحدة العربية ـ بيروت ورسالة الدكتور مفرح القوسي (المنهج السلفي والموقف المعاصر منه في البلاد العربية) (٢/٥٦١).

٨- إشكاليات الفكر العربي المعاصر، ١٩٨٦م.

٩- وحدة المغرب العربي ـ بيروت ـ مركز دراسات الوحدة العربية ـ ١٩٨٧م.

١٠- التراث والحداثة: دراسات ومناقشات، ١٩٩١م.

١١- الخطاب العربي المعاصر ـ بيروت ـ مركز دراسات الوحدة العربية ـ ١٩٩٤م.

١٢- وجهة نظر: نحو إعادة بناء قضايا الفكر العربي المعاصر، ١٩٩٢م.

١٣- المسألة الثقافية ، ١٩٩٤م.

١٤- الديمقراطية وحقوق الإنسان ، ١٩٩٤م.

١٥- مسألة الهوية: العروبة والإسلام والغرب، ١٩٩٥م.

١٦- المثقفون في الحضارة العربية: محنة ابن حنبل ونكبة ابن رشد، ١٩٩٥م.

١٧- الدين والدولة وتطبيق الشريعة، ١٩٩٦م.

١٨- المشروع النهضوي العربي: مراجعة نقدية، ١٩٩٦م.

١٩- قضايا في الفكر المعاصر، ١٩٩٧م.

- أصدر الجابري مجلة (نقد وفكر)، وهي شهرية.

تنبيه :

حيث أنه قد سبقني مجموعة من الباحثين الفضلاء في دراسة فكر هذا الرجل، فقد رأيت الاكتفاء بنقل دراساتهم للقارئ؛ نظراً لعمقها وتحقيقها للمراد، خشية أن تتكرر الجهود.

والدراسات هي:

١- مقال للأستاذ أحمد أبو عامر بعنوان (كتّاب يجب أن نحذرهم: محمد عابد الجابري) نشره في المجلة العربية، العدد ١٦٥، بتاريخ شوال ١٤١١هـ.

٢- مقال للأستاذ عبد العزيز الوهيبي بعنوان (قراءة في فكر الدكتور محمد عابد الجابري) نشره في مجلة البيان (العدد٧١).

٣- جزء من رسالة الدكتور مفرح القوسي (المنهج السلفي والموقف المعاصر منه في البلاد العربية)[1] خصصه للحديث عن الجابري (٢/ ٥٦١ ـ ٥٦٩).

ـ قال الأستاذ أحمد عبد العزيز أبو عامر في مقال له عن الجابري نشره في المجلة العربية (العدد ١٦٥): (تمهيد: تعاني جامعاتنا العربية ضمن ما تعانيه من الضعف أن جل أساتذتها الذين تخرجوا من الجامعات الأجنبية وبخاصة في العلوم الإنسانية عادوا بتصورات أجنبية فعلاً تتنكر غالباً للأصول الإسلامية لفقدانهم الأسس الإسلامية الصحيحة، وفاقد الشيء لا يعطيه.

ولذا وجدناهم مختلفي المنطلقات الفكرية، ويمكن إجمالهم على النحو التالي:

١- الدعاة لمركسة الفكر العربي وأبرزهم عبد الله العروي.

٢- الدعاة لعلمنة الفكر العربي وأبرزهم محمد أركون.

٣- الدعاة لعقلنة الفكر العربي وأبرزهم محمد عابد الجابري، مدار المناقشة في هذه الحلقة وهو من المبشرين بما يسمى بالمذهب الانتقالي،

---

(١) لم تُنشر بعد. وهي موجودة لدى مكتبة الملك فهد بالرياض.

والذين يزعمون أن العلم شيء والعقيدة شيء آخر.

ما حقيقة هؤلاء:

وهؤلاء الكتاب يزعمون أنهم يناقشون قضايا المجتمع العربي الإسلامي من منظور علمي مع أنهم في الحقيقة يحاولون عمداً هدم الإسلام من الداخل ويسمي الباحث القدير (د/ يوسف نور عوض) هذا الاتجاه الجديد في علم الاجتماع. (اتجاه النقل المقصود به الهدم) ذلك أن معظم الكتاب العرب الذين بدأوا يستخدمون هذا المنهج، لم يحاولوا في الواقع نقد المنهج ذاته بل استخدموه بأقصى درجات التطرف من أجل تفتيت كيان الأمة الثقافي. تارة تحت اسم (سوسيولوجيا المعرفة) وأخرى تحت اسم (سوسيولوجيا النقد)[١] ومعظم الذين يعملون في هذه الاتجاهات الخطيرة قد عملوا في إطار التنظيمات الأيدلوجية المشبوهة وغرضهم إسقاط أفكارهم على الواقع الاجتماعي دون الدخول مباشرة في المواجهة، ونعود لصاحبنا الجابري.

نبذة عن حياته[٢]:

ولد عام ١٩٣٦م في قرية (فكيك) المغربية على الحدود الجزائرية ودرس بها ثم غادرها إلى (الدار البيضاء) حيث انخرط في خلايا العمل الوطني في بداية الخمسينات، وفي عام ١٩٥٨م انتقل إلى دمشق للحصول على الإجازة في الفلسفة. بعد أن حصل على البكالوريا كمرشح حر ولم يتم دراسته الجامعية وعاد للمغرب لينتسب إلى الجامعة المغربية الفتية. وفيها يكمل مشواره الأكاديمي، وفي ١٩٦٤م يحصل على

---

(١) الندوة العدد ٨٧٧٨

(٢) الندوة العدد ٨٧٧٨

(الليسانس) في الفلسفة وفي عام ١٩٦٧م نال الماجستير بعد مناقشة رسالته (منهجية الكتابات التاريخية المغربية) والتي عن طريقها اكتشف عالم الاجتماع المسلم (عبد الرحمن بن خلدون) حيث قرر أن يكون بحثه لنيل شهادة الدكتوراه عام ١٩٧١م (العصبية والدولة: معالم نظرية خلدونية في التاريخ العربي الإسلامي). وهو الآن أستاذ الفلسفة والفكر العربي والإسلامي في كلية الآداب بجامعة الملك محمد الخامس بالرباط، وله العديد من الكتب من أشهرها: (نحن والتراث) و(نقد العقل العربي) وقد صدر في أجزاء ثلاثة هي (تكوين العقل العربي) و(بنية العقل العربي) و(العقل السياسي العربي) و(الخطاب العربي المعاصر) وغيرها. وقد شارك في العديد من المؤتمرات العلمية والثقافية وطرح بعض الآراء التي سيتم مناقشة بعض منها فيما بعد.

والملاحظ أن كثيراً من الكتاب المغاربة المشهورين اختطوا طريقاً فكرياً ينحو المنحى الفلسفي بما يسمونه (قراءات التراث) وهي اتجاهات شتى يمكن الرجوع لمعرفتها في كتاب (التراث والهوية) لعبد السلام بن عبد العالي الذي تطرق فيه إلى كل من العروي والخطيبي والجابري وغيرهم.

ومحمد عابد الجابري والحق يقال: إنه من أنزه هؤلاء الكتاب وإن كان عليه مآخذ سأوضحها فيما بعد، وهذا التعريف السريع به وبفكره ينطلق من عنوانه من ما يعرف بالبستمولوجيا وهي النظم المعرفية التي اشتهر في كتاباته عنها، في دراسته عن (نقد العقل العربي) وكيف انحدر إلى ما أسميه (بالهذرلوجيا)[1] وأعني به السقوط في الرأي، حينما عرض

---

(١) مع الاعتذار للأستاذ (سليمان الفليح) صاحب زاوية (هذرلوجيا).

وجهة نظره في أزمة الخليج والتي هي أقرب ما تكون للهذر من التحليل العلمي الذي عرف به وكيف أنه ناقض نفسه في مفهومه للوحدة العربية والذي سبق أن أدلى به في عدة مقابلات صحفية كما سأوضحه إن شاء الله.

قراءات في التراث:

للجابري صلة قوية بدراسة التراث العربي الإسلامي ومن خلال قراءاته تلك يعرف بفكره وطروحاته حول التراث والتحديث، وقد وضع منطلقاته الفكرية هذه في مدخل كتابه (نحن والتراث).. فحينما ذكر اتجاهات الفكر العربي المعاصر في دراسة التراث وضعها في ثلاث فئات (السلفية الدينية) و(القراءة الاستشراقية) و(القراءة اليسارية) وقال: إن تلك القراءات كلها (سلفية) وإن اختلفت منطلقاتها. وإنما الفرق بينها هو نوع السلف الذي يتحصن به كل تيار، فالقراءة الاستشراقية سلفها مفكرو أوروبا واليسارية سلفها الماركسية.. ومن خلال إطلاعي على بعض من كتب عن الجابري وجدت أن ما ذكره المفكر المغربي (سعيد بن سعيد) عن ملامح منهجه الفكري هو أقرب ما يكون له، حيث وضع منهج الجابري متمثلاً في ثلاثة أبعاد.

١- بين درسين اثنين درس الفلسفة الهيجلية الماركسية ودرس الابستمولوجيا التكوينية كما نجدها عند (جان بياجي) من جهة ثانية.

٢- الدرس البنيوي حيث يأخذ فيه من البنيويين وعلى وجه الخصوص من الفرنسيين (التوسر) و(فوكو) بصفة خاصة.

٣- البعد البستمولوجي الفرنسي ونجد تأثره بالمفكر الفرنسي

(باشلار) أكثر من غيره[1]، ولقد صاغ الجابري في هذه الأخلاط المتعددة قراءاته للتراث والتي سنرى نموذجاً لها، ومما يتميز به الجابري أنه لم يصادم الإسلام مباشرة، ولا يرى التغيير في ترك التراث كالعروي مثلاً لكن له آراء عجيبة وغريبة، ومما جاء في (بنية العقل العربي) قوله: (اللغة والشريعة والعقيدة والسياسة في الماضي والحاضر تلك هي العناصر الرئيسية التي تتكون منها المرجعية التراثية التي قلنا: إنه لا سبيل إلى تجديد العقل العربي إلا بالتحرر منها) !!

ماذا قال في دراسته عن نقد العقل العربي:

هذه الدراسة صدرت في أجزاء ثلاثة سبق ذكرها وهي دراسة مركزة وتحليلية للثقافة العربية والإسلامية تحتاج إلى كبير تأمل ومراجعة حتى يستوعبها القارئ لها، وسأقف معك أخي القارئ في الجزء الأول منها وهو (تكوين العقل العربي) وقد ذكر في كتابه (الخطاب العربي المعاصر) والذي يعتبر تمهيداً لهذه الدراسة، ذكر أن الذاتية العربية الراهنة تفقد استقلالها لكونها تنطلق من مرجعيتين متعارضتين منفصلتين عنها إحداها (تنتمي إلى الماضي العربي الإسلامي) والأخرى تنتمي إلى (الحاضر والمستقبل الأوروبي). وسبيل تحقيق الذات العربية هو التحرر من ذلك النموذج (الإسلامي والغربي) !!

تكوين العقل العربي:

تتبع الجابري مراحل تكوين الثقافة الإسلامية التي دونت وصنفت وأعيد بناؤها خلال عصر التدوين وامتداداته فوجد نفسه أمام ممارسة

---

(١) الشرق الأوسط. العدد ٣٩٣ ٤

نوع من التاريخ للثقافة العربية يقوم على إعادة ترتيب العلاقات بين أجزائها، فبدلاً من تصنيف ضروب المعرفة إلى علوم نقلية وأخرى عقلية.. أدى به رصد الأساس (البستمولوجي) لإنتاج المعرفة داخل الثقافة العربية إلى تصنيف آخر لا يؤخذ فيه بعين الاعتبار سوى البنية الداخلية للمعرفة (آلياتها ووسائلها ومفاهيمها الأساسية) حيث وضعها في ثلاث مجموعات:

١- علوم البيان: من نحو وفقه وعلم كلام وبلاغة ويؤسسها نظام معرفي واحد يعتد قياس الغائب على الشاهد كمنهاج في إنتاج المعرفة سماه (المعقول الديني العربي).

٢- علوم العرفان: تصوف وفلسفة وباطنية وسحر وتنجيم ويؤسسها نظام معرفي يقوم على (الكشف والوصال) و(التجاذب والتدافع) كمنهاج وسماه (اللامعقول العقلي).

٣- علوم البرهان: من منطق ورياضيات وطبيعيات وإلهيات ويؤسسها نظام معرفي واحد يقوم على الملاحظة التجريبية والاستنتاج العقلي كمنهج وسماه (المعقول العقلي) وقال بأن العقل العربي إنما تكون من خلال تشييده لعلوم البيان التي أبدع فيها أيما إبداع، فإن كانت الفلسفة معجزة اليونان فإن العلوم العربية هي معجزة العرب!! وإذا كانت معجزة اليونان قد جعلتهم يتعاملون مع الكون لمحاولة فهمه فإن معجزة العرب قد جعلتهم يتعاملون مع النص وينغلقون من داخله بعد أن أغلقوا المعرفة التي تنتمي إليه. فماذا يا ترى يريد قوله بهذا الكلام الملفوف؟

وهكذا صار يحلل البقية على ذلك المنوال، ثم ذكر أن تأخر المسلمين راجع لكون العقل قدم استقالته استناداً إلى المشروعية الدينية، ففي حين بدأ الأوروبيون يتقدمون باستيقاظ العقل بينما المسلمون في صراع حول الخلافة وصراع الفرق وأن تقدم غير المسلمين حينما فصل الدين عن الدولة.

وهكذا يدس السم في الدسم بطريق غير مباشر ولذا صدق د/ يوسف نور عوض[1] بقوله عن هذا الكتاب: إنه نوع من الكتب التي يوهم القارئ بأنه يتحدث في أمور خطيرة ويتناولها بطريق علمية وموضوعية ولكن المتأمل فيه يدرك أن الكتاب فارغ المضمون وأنه مليء بالمغالطات والآراء غير العلمية بعكس الدعاية الكبيرة له، ومن ملاحظاته ما يلي:

١- أن السياسة وحدها ليست هي السبب الجوهري في تخلف المسلمين لأنه ليس هناك مجتمع في العالم لا يهتم بالسياسة فضلاً عن أن علومنا الإسلامية هي الأساس للنهضة الأوروبية كما اعترف بذلك منصفو الغرب أنفسهم كجوستاف لوبون في (حضارة العرب) وأن الاختلاف في التفاوت بين أوروبا والعالم العربي ليس في طبيعة العقل ذاتها وإنما لكون أوروبا اكتشفت الطاقة قبلنا واستطاعت عن طريق استثمار ثرواتها أن تنمي نهضتها الصناعية، واستطاعت عن طريق الاستعمار أن تثبت أركان نفوذها وقوتها.

٢- إن الجابري يموه بمفهومي النص والبيان وإن ما يعنيه هو القرآن

(١) الندوة، العدد ٩٠٧١.

الكريم إذ يريد أن يقول: إن الثقافة الإسلامية كلها قد انحصرت في معرفة النص القرآني وهكذا أصبحت من وجهة نظره معرفة مغلقة، ولم يدع أحد حتى الآن في الغرب أن دراسة اللغة مثلاً قد أصبحت غير مجدية، ودليلنا تطور علم اللغة الحديث لهم بطريقة مذهلة.

٣- وحينما قال الجابري: إن العقل البياني العربي استقال من خلال ما يعرف بالتصوف السيئ أكد د. يوسف بأنه لا يعترف بأن التيار الصوفي كان في أي مرحلة من مراحله قوياً بحيث يحجب الشريعة ويكون بديلاً عنها بحيث نصف العقل الإسلامي بأنه عقل مستقيل.

٤- دعواه أن العلم العربي ظل خارج الحياة ولم يدخل في احتكاك مع الدين كما هو الشأن في الغرب ولم يبرر ذلك بموقف الإسلام الإيجابي من العلم وإنما برره بسلبية العرب واهتمامهم بالسياسة أكثر من اهتمامهم بالعلم. وأقول: كيف تقدم العلم العربي الإسلامي في عصور ازدهاره مع الاهتمام الكبير بالسياسة آنذاك والصراع حولها؟ لكن الحقيقة أن العلم والعلماء لم تتح لهم من الإمكانات والدعم ما كان موجوداً آنذاك، وفي نظري أن تقسيمه الجديد عقد العلم وفروعه وجعله مستعصياً عن الفهم عند الآخرين، ثم كيف تقدم أسلافنا في التقسيم التقليدي وكانوا غرة في جبين الزمان؟! فنهضتنا وتقدمنا ليس في تقسيم للعلم جديد بدلاً للتقسيم القديم فحسب. بل لا بد من إعادة النظر في المناهج والتوجهات والخطط التنموية والعمل الجاد من كافة فئات الأمة بعد وضع الرجل المناسب في المكان المناسب.

من آرائه العجيبة:

أولاً: في الوقت الذي يقول فيه: إن تطبيق الشريعة مبدأ لا يحتمل

النقاش كمبدأ يقول: إن الشريعة في الإسلام مجال مفتوح وأن هناك مبادئ وجوانب معينة وتطبيقها فيه مجال للاجتهاد، ثم يقول: إن (حد الزنا) كان من الممكن تطبيقه في مجتمع البادية أما المجتمع الجديد فلا يمكن تطبيقه كما اشترط الفقهاء[1] ولا شك فهذه الدعوى ساقطة من أساسها؛ لأن إجماع العلماء بأنه لا اجتهاد مع النص معروف ولا خلاف حوله، وتبقى الملابسات والظروف والتحديد العقلي، وهذا ما يقرره العلماء والجابري ليس منهم، والإسلام دين شامل لكل زمان ومكان وتعاليمه السماوية لم تكن مؤقتة كما يزعم هؤلاء بلا علم (أأنتم أعلم أم الله).

ثانياً: يقول في إحدى المقابلات معه (المستقبل العربي عدد ٤٥ / ٥): إن التمزق الذي يعيشه عالمنا العربي ليس في الحقيقة فشلاً لمفهوم القومية العربية كبديل عن المجتمع القديم، بل نتيجة لغياب الديمقراطية عن مشروع القومية العربية!!

والحقيقة أن مأساة الأمة العربية في مشاريع الوحدة الكثيرة ليس لغياب الديمقراطية فحسب بل لكونها لم تتم على الأسس المفروضة المنطلقة من الإسلام ذاته، ولو آمن المتحدون بالإسلام عقيدة وشريعة ومنهج حياة لما حصلت أي خلافات أو تعثر. لكن مشكلة المشاريع الوحدوية أنها قامت لمصالح ومن ورائها ذوو اتجاهات حزبية متناقضة لا يأمن بعضهم جانب بعض فما تلبث إلا أن تسقط بين عشية وضحاها، إن الأمة بحاجة إلى منطلقات إيمانية وإلى معالم شورية وحينها

---

(١) الحوار القومي الديني.

لن يحدث ما يحصل من تشرذم وسقوط، فهل نعي ذلك أم على قلوب أقفالها؟ وليس هناك أكبر دليل على سقوط (القومية) من واقعنا اليوم وكيف أصبحت المفاهيم القومية مصلحية ونفعية ولا تمت للمصالح العليا للأمة بصلة[1].

ثالثاً: في حوار ثقافي بين الجابري وحسن حنفي على صفحات مجلة اليوم السابع (٢٢٥/ ٥) حول ما دعته المجلة (بالتخلي عن منطق الفرقة الناجية) تطرق الجابري إلى حديث (افتراق الأمة إلى ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة) وذكر بأن حصر الفرق الضالة كما جاء في الحديث وكما يفعل علماء الشرع وتعيين الطائفة الناجية عمل فيه تحكم وتعسف لا يقبله العقل ولا الشرع مستنداً إلى ما ورد عن رأي لبعض علماء المغرب والأندلس.. والحقيقة أن الحديث صحيح كما أخرجه علماء الحديث قديماً وحديثاً وقد جمع الباحث (سليم الهلالي) طرق الحديث ورواياته وتقويم علماء الجرح والتعديل له وبيان صحته والرد على بعض المعاصرين في طعنهم فيه وتأويل معناه بدون فهم في رسالة له بعنوان (نصح الأمة في فهم أحاديث افتراق الأمة) وختم الرسالة بست حقائق علمية في فقه الحديث جديرة بالإطلاع أكد فيها على وجود الطائفة المنصورة القائمة على نهج النبي ـ ﷺ ـ متبعة سنته حتى يأتي أمر الله بالنصر والتأييد، وقد فصل الباحث الهلالي أوصاف هذه الطائفة في كتابه (اللآلئ المنثورة بأوصاف الطائفة المنصورة).

---

(١) للمزيد: انظر دراسة د. صالح العبود عن القومية العربية في ضوء الإسلام، ولمعرفة حقيقة الديمقراطية التي دائما ما يطنطن حولها انظر (نقض النظام الديمقراطي) د. محمود الخالدي.

مقالته في الهذرلوجيا:

قلت: إن الهذرلوجيا أعني بها الكلام غير الموزون وغير القائم على أسس علمية وقد طرح الجابري رأيه حيال أزمة الخليج في (مجلة اليوم السابع) حيث يرى أن خلاف العقيدة (العراق) مع (الغنيمة) الكويت وضع عربي متسلسل عن صراع التكوينات العربية والاشتراكية في الستينات مع التقليدية والأمبريالية. انكمشت في الماضي زمن تطاول الاشتراكية ثم تجاسرت على الخروج فكان الصدام الذي جعل البترول الكويتي غنيمة يستحقها العراق نتيجة خوضه الحروب القومية!! فأدى تراكم الديون إلى بحثه عن حقه في الغنيمة.. وأتساءل مع الأستاذ (تركي السديري)[1] في تعليقه على الجابري فيما ذكر: أي أمل لنا في فكر من هذا النوع من الكتاب الذي يتجاهل تشريد شعب بكامله وسطو على حقوق غيره ثم يسمي ذلك بأنه رد فعل طبيعي، متحللاً تماماً من صفته كمفكر ليتحول إلى كاتب إعلامي.

والجابري ينطلق في توهمه هذا على ما بنى عليه كتابه (العقل السياسي العربي) حينما قال: إن القبيلة والغنيمة والعقيدة محدودات ثلاثة حكمت العقل السياسي العربي الماضي وما زالت تحكمه، وبعد أن احتككنا بالحضارة المعاصرة وظهرت الأيدلوجيات النهضوية من سلفية وعلمانية وليبرالية وقومية واشتراكية.. تعرضت تلك المحدودات إلى نوع من القمع والإبعاد فشكلت المكبوت وبعدما تعرضنا له من نكسات واحباطات فتحت الباب على مصراعيه لعودة المكبوت وأن

(١) الرياض العدد ٨٢٢٤ راوية لقاء

المطلوب هو تجديد مهام الفكر العربي اليوم بتجديد العقل السياسي ويتمثل في رأيه فيما يلي:

١- تحويل القبيلة إلى مجتمع منظم مدنياً وسياسياً واجتماعياً.

٢- تحويل الغنيمة إلى اقتصاد (ضريبة) أو اقتصاد منتج .

٣- تحويل العقيدة إلى مجرد رأي.. ومن ثم التعامل بعقل اجتهادي ونقدي.

والذي يعرفه الجميع أن تلك التحولات الجديدة حصلت في كثير من أنحاء العالم العربي بالفعل، لكن السؤال المهم على أي أساس ينظم المجتمع المنشود. وعلى أي أساس يقوم الاجتهاد النقدي؟! لقد جربت الأمة العديد من المناهج الكثيرة من قومية واشتراكية ورأسمالية وما زالت تدور في حلقة مفرغة ويبقى أن تجرب الإسلام الفعال الإسلام الحق القائم على الشورى. لا الإسلام الانتقالي الذي يريده (الجابري) وأمثاله.. ومما يؤسف له أن الجابري نسي أو تناسى جوابه عن الطريقة المعقولة للوحدة العربية في مقابلة معه في صحيفة القبس الكويتية العدد (٥٨٨٤) الصادر في ٢٩/ ٩/ ١٩٨٨م حينما قال: (والوحدة في أية حال لا يمكن أن تتم أو تكون دون ديمقراطية، ودون تراضي الدول العربية المرشحة لأن تتحد إما كمجموعات إقليمية أو كوطن عربي ككل. لا طريق آخر للوحدة العربية إلا طريق التراضي الديمقراطي بين هذه الدول، إلى أن يقول.. وبالتالي ستكون الوحدة عبارة عن مراحل وتعاون متدرج وليس وحدة شاملة من خارج المحيط..) أي دعوى تلك التي زعمها في رأيه بأزمة الخليج وقد قال ما قال وناقض رأيه السابق في الموضوع بلا مبرر معقول؟

حقاً إن الجابري لم يقدم إضافة مفيدة ولكنه خسر نفسه كمفكر) انتهى كلام الأستاذ أحمد أبو عامر ـ وفقه الله ـ.

وقال الأستاذ عبد العزيز الوهيبي في مقال له بعنوان (قراءة في فكر الدكتور محمد عابد الجابري) نشره في مجلة البيان (العدد ٧١): (هل يمكن بناء نهضة بعقل غير ناهض.. عقل لم يقم بمراجعة شاملة لآلياته، ومفاهيمه، وتصوراته ورؤآه... ؟ !

ثم لماذا لم تتطور أدوات المعرفة (مفاهيم، مناهج، رؤى..) في الثقافة العربية (الإسلامية) خلال نهضتها في (القرون الوسطى) إلى ما يجعلها قادرة على إنجاز نهضة فكرية وعلمية مطردة التقدم، على غرار ما حدث في أوربا ابتداءً من القرن الخامس عشر (الميلادي)؟!

تلك هي الإشكالية التي شغلت ذهن المفكر المغربي د/ محمد عابد الجابري، ودفعته إلى إصدار دراساته المتنوعة حول كثير من قضايا الفكر الإسلامي التي منها: (نحن والتراث) صدر عام ١٩٨٠هـ و(الخطاب العربي المعاصر) صدر عام ١٩٨٢م و(نقد العقل العربي) الذي بدأ صدور أجزائه عام ١٩٨٦م. ولعل أهم هذه الدراسات وأكثرها ثراءً: الدراسة الأخيرة التي جاءت في ثلاثة أجزاء، كان الأول منها عن (تكوين العقل العربي)، والجزء الثاني عن (بنية العقل العربي) والجزء الثالث عن (العقل السياسي) .

والجزء الأول والثاني، أكثر أهمية في نظري من الجزء الثالث الذي درس نشأة الدولة في الإسلام، وتطورها... وحاول المؤلف فيه إبراز ما أسماه المحددات التي بقيت تحكم هذه الدولة في مختلف مراحل سيرتها الطويلة، هذه المحددات حصرها المؤلف من وجهة نظره في ثلاثة جوانب

لا تتجاوزها وهي: العقيدة، والقبيلة، والغنيمة... وأحسب أنه لا يزال في هذا الموضوع العقل السياسي زيادة لمستزيد ولم يكن تناول المؤلف لهذا الموضوع كافياً ولا شافياً.

لاحظ الجابري، عندما درس (بينة العقل العربي) أن التصنيف الشائع القديم للعلوم الإسلامية بتقسيمها إلى علوم نقلية وأخرى عقلية، أو علوم دين وعلوم لغة، أو علوم العرب وعلوم العجم، لاحظ أن هذه التصنيفات لا تقوم إلا على اعتبار المظاهر الخارجية وحدها، والتي تذكرنا بالتصنيف القديم للحيوانات حسب مظاهرها الخارجية وحدها: إلى حيوانات برية ومائية وبرمائية، لكننا بحاجة إلى تصنيف جديد للعلوم الإسلامية كما ظهر التصنيف الجديد للحيوانات إلى فقريات ولا فقريات؛ الأمر الذي فتح أمام علم البيولوجيا آفاقاً جديدة خصبة وعميقة.

لقد كان عمل الجابري في هذا البحث (نقد العقل العربي) محاولة للكشف عن هذا التصنيف الجديد، محاولة لدراسة البنية الداخلية للفكر الإسلامي، وإعادة التصنيف على أساس لا يؤخذ فيه بعين الاعتبار سوى البنية الداخلية للمعرفة: آلياتها ووسائلها ومفاهيمها الأساسية.

من هذا المنطلق جاء التقسيم الجديد عند المؤلف للعلوم الإسلامية وتيارات التفكير الإسلامي إلى ثلاثة علوم أساسية هي:

- علوم البيان: وتشمل الفقه وأصوله وعلم الكلام وعلوم اللغة.
- علوم البرهان: وتشمل الفلسفة وخصوصاً فلسفة أرسطو!
- علوم العرفان: وتشمل التشيع والتصوف والفلسفة الإشراقية.

كان الإمام الشافعي هو المؤسس للمنهج في العلوم البيانية وكتابه (الرسالة) يعتبر (قواعد المنهج) للفكر الإسلامي، كما وضع ديكارت (قواعد المنهج) للفكر الفرنسي والأوروبي الحديث، وقد لخص ـ رحمه الله ـ تلك القواعد بقوله: (ليس لأحد أبداً أن يقول في شيء حل ولا حرم إلا من جهة العلم، وجهة العلم: الخبر في الكتاب أو السنة، أو الإجماع، أو القياس (الرسالة: ٣٩) فجهة العلم بناء على هذا النص محصورة في أحد سبيلين: النص (من كتاب أو سنة أو إجماع) أو القياس (الذي هو إلحاق فرع بأصل لاتحادهما في العلة) فقياس التمثيل إذن هو الآلية المفضلة عند الفقهاء، وهو الأسلوب الذي يحكم منهجهم في التفكير.. وعن الفقهاء انتقل المنهج إلى المتكلمين وعلوم النحو والبلاغة مُشكّلاً بذلك مدرسة البيانيين.

أما علوم العرفان وهي العلوم التي يقدم فيها العقل استقالته فتبدأ مع بداية الترجمة، عندما أمر خالد بن يزيد بن معاوية (ت ٨٥هـ) بترجمة كتب الكيمياء، والتنجيم، وكتب الطب اليونانية والقبطية، تلك الكتب التي تقدم رؤية هرمسية غنوصية للكون والإنسان، ثم كان لجابر دور في نشر هذه النظرة الهرمسية، وشاركه في مثل هذا الدور الطبيب الرازي، أما في المجال العقائدي فقد كان الشيعة أول من تهرمس في الإسلام، ولم تسلم الجهمية هي الأخرى من هذا التلوث وكذا الصوفية، ثم جاء بعد ذلك دور التيارات الباطنية ممثلة في إخوان الصفا وفلسفة ابن سيناء، التي تزعمت التيارات الباطنية الإشراقية، ثم غدت بعد ذلك طابعاً عاماً لكثير من التيارات المنحرفة التي كان مدار التفكير فيها والمنهج المفضل للوصول إلى المعرفة قائماً على أساس الكشف والعرفان والإشراق

الذوقي الباطني، وبخلاف كثير من الباحثين يرى المؤلف أن هذا الاتجاه لم يكن رد فعل ضد تشدد الفقهاء، ولا ضد جفاف الاتجاه العقلي عند المتكلمين، كلا، لقد ظهر هذا النظام قبل أن تتطور تشريعات الفقهاء، ونظريات المتكلمين إلى ما يستوجب قيام رد فعل من هذا القبيل، لقد كان هذا التيار نتيجة لمحاولة عناصر معادية للفكر الإسلامي وللدولة الإسلامية قادته عناصر من الزنادقة وأتباع الديانات الوثنية؛ من أجل تقويض البناء الفكري والسياسي للدولة الإسلامية.

هذا عن البيان والعرفان... أما عن البرهان فيذكر المؤلف تبعاً لما يراه المستشرق كارل بروكلمان أن المأمون (١٩٨ــ ٢١٨هـ) إنما أمر بترجمة الفلسفة اليونانية لمواجهة العرفان المانوي الغنوصي الذي اعتمده الشيعة والزنادقة لمواجهة الدولة الإسلامية، لقد كان الكندي (١٨٥ـ٢٥٢هـ) هو أول فيلسوف عربي حيث أكد على أن المعرفة إنما تكون حسية أو عقلية أو إلهية أداتها الرسل المبلغة عن الله، وهو بذلك يرفض العرفان الشيعي الصوفي، ثم جاء بعده الفارابي (٢٦٠ـ ٣٣٩هـ) الذي حاول (الجمع بين الحكيمين)، أرسطو وأفلاطون محاولاً (التوفيق) بين تيارات الفلسفة اليونانية المختلفة، متوصلاً بذلك إلى أن العرفان إنما هو ثمرة للبرهان.

لقد بقيت مدرسة بغداد كما يرى المؤلف من المأمون وحتى الخليفة القادر (٣٨١ ـ٤٢٢هـ) مركزاً علمياً مخلصاً لاستراتيجية المأمون الثقافية القائمة على الارتكاز على أرسطو ومنطقه وعلومه في الحرب ضد الإسماعيلية العرفانية الهرمسية، ثم تسلم بعد ذلك ابن رشد الراية عنهم، وهو المفكر الذي احتفظ بصورة فلسفة أرسطو نقية كما جاءت

عنه، رافضاً إضافات الفارابي وابن سينا إلى هذه الفلسفة. هكذا تشكلت الدوائر الثلاث البيانية والعرفانية والبرهانية في الفكر الإسلامي، لكنها لم تدم مستقلة بعضها عن بعض طوال الوقت، لقد حصل تدريجياً تداخل بين هذه التيارات... فلقد حاول ابن سينا تأسيس (العرفان) على (البرهان)، وذلك بالبحث في الفلسفة عن أسانيد للرؤية الهرمسية للكون والإنسان وعلاقتهما بالإله.

كما حاول الغزالي تأسيس (البيان) على (العرفان)، وذلك بالتشكيك في كل قيمة للمعرفة الحسية والتجريبية والعقلية، متوصلاً بذلك إلى تفضيل طريقة (الكشف) والإلهام باعتبارها طريق اليقين الوحيد.

بينما حاول ابن حزم تأسيس (البيان) على (البرهان) وذلك برفض قياس الفقهاء التمثيلي، ومحاولة اعتقاد البرهان المنطقي الأرسطي المبني على مقدمتين ينتج عنهما نتيجة ضرورية يقينية، وتابعه على ذلك الشاطبي بعض المتابعة في محاولته لتأسيس فقه المقاصد.

أما ابن رشد، فقد سن محاولات الخلط بين هذه الحقول، ورأى أن الشريعة صنو الحكمة وأختها الرضيعة، وأن لا سبيل للبرهنة من أحدهما على الأخرى.. وهي نتيجة توصل إليها أبو سليمان المنطقي من قبل، لكن كان لابن رشد فضل بلورتها وتوضيحها.

المؤسف كما يرى الجابري أن محاولة ابن رشد جاءت متأخرة فلم تلق أذناً صاغية ممن جاء بعده من المفكرين، بل كان النصر (للعقل المستقيل) في الحركة الصوفية والشيعية، كما كان النصر حليفاً لاختلاط الأنهر عند المتكلمين الذي ظهر بظهور الرازي حيث قام تلميذه

(الإيجي) بعد ذلك بوضع الصورة النهائية لعلم الكلام في كتابه (المواقف) حيث يختلط فيه (البيان) بـ(البرهان) بـ(العرفان) وبذلك ظهرت أزمة الأسس في الفكر الإسلامي، وتشقي الحقيقة ثم ساد بعد ذلك الجمود والتقليد، وتحريم الاجتهاد والنظر العقلي.

هذا عرض سريع لموضوع كتابي (بنية العقل العربي) و(تكوين العقل العربي) نأتي بعده إلى سؤال مهم: تُرى ما هي المدرسة التي يتبناها الجابري بين هذه المدارس المختلفة، والتي يبشر بها ويدعو إليها؟! ثم ما هو المقياس الذي اعتمده في قبول أو رفض هذه التيارات، وما هي الخلفيات الفكرية والاعتقادية التي كانت تحكم نظرته نحو مختلف المدارس الفكرية...؟!

قبل الشروع في الإجابة على هذه الأسئلة، لابد من الإشارة إلى ظاهرة لا تخفى على القارئ لمختلف الإصدارات التي كتبها الجابري؛ ألا وهي رغبته الدائمة في عدم الكشف عن توجهاته الفكرية بشكل سافر.. اتضح هذا جلياً في حواره مع (حسن حنفي) في كتاب (حوار المشرق والمغرب) حيث سود صفحات في بيان رغبة القراء في كشف القناع عن الخلفيات الأيديولوجية التي تحكم من يقرؤون له، ومع ذلك فلم يحدد توجهاته بوضوح..!!

الذي يظهر لي أن حرص الكاتب على عدم إظهار توجهه الفكري يرجع إلى أحد سببين هما:

- إما أنه لا يزال في مرحلة التأمل والبحث والنظر، فلم يحدد بعد توجهاته الفكرية.
- أو أن الباحث يرغب في نشر إنتاجه الفكري بين مختلف

الأوساط دون عوائق تصنيفية تلحق به الضرر عند من لا يوافق على توجهه الفكري.

على أي حال، فإنه يمكن من خلال التتبع لمختلف دراساته تبين خطوط رئيسية في خياراته الفكرية نشير إلى شيء منها هاهنا:

بادئ ذي بدء، لا يخفي الكاتب انحيازه للعقلانية حيث يقول:

(نحن نصدر عن موقف نقدي ينشد التغيير، من التحرك من موقع أيديولوجي واعٍ، أي لابد من الصدور عن موقف تاريخاني؟ ، موقف يطمح ليس فقط في اكتساب معرفة صحيحة بما كان، بل أيضاً إلى المساهمة في صنع ما يتبقى أن يكون، وهو بالنسبة للمجال الذي نتحرك فيه: الدفع بالفكر العربي في اتجاه العقلنة، اتجاه تصفية الحساب مع ركام ـ ولا نقول رواسب ـ اللامعقول في بنيته.

(تكوين العقل العربي: ٥٢).. (لأن موضوعنا هو العقل، ولأن قضيتنا التي ننحاز لها هي العقلانية) (التكوين: ص٧).

تبني العقلانية، والدفاع عنها، والتنويه برموزها كان هدف الجابري الذي لا يخفيه في عامة دراساته التي أصدرها.. لكن العقلانية بأي معنى...؟!

إنه لا يوجد صراحة من يعلن الحرب على العقل والعقلانية[١]

---

(١) مما يؤسف له حقاً أن من بين المتمسكين بالنص في الإسلام من يتصور أن الإسلام ضد العقلانية، وأن مقتضى الوفاء للنص يعني الحرب والعداء للعقل، ولذلك يصفون المخالفين لهم (بالعقلانيين). وهذا خطأ مركب، فعلماء السلف لم يكونوا يسمون أهل البدع إلا بأهل "الأهواء" لا أهل العقول، ولم يكونوا يحاربون العقل أبداً، كيف والله تعالى يبين في كتابه الكريم أن هلاك الهالكين إنما كان بسبب ترك النص والعقل (وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير)، وهذه العجالة لا تكفي لتوفية هذا الموضوع حقه.

لكن الاختلاف يظهر عندما يتحدد المقصود بالعقلانية.. فما هي يا ترى العقلانية التي يدعو إليها الباحث، وينافح عنها..؟ من خلال الرموز الذين دافع عنهم الجابري يمكن تلمس ملامح تلك العقلانية، وسماتها الأساسية.

لقد عرض الباحث فكر أرسطو في (بنية العقل العربي) (ص ٣٨٤) دون أن يتحفظ على شيء مما جاء فيه، كما اعتبر الفارابي الذي يسمى (المعلم الثاني) اعتبره هو الذي أعاد تأسيس العقلانية في الإسلام، نظراً لكونه أول من درس المنطق الصوري كاملاً، وقد تغافل الباحث عن الجوانب الغنوصية في فكره ولم يعطها وزنها الذي تستحقه، نظراً لأنه كما يقول جعل (العرفان) ينتج عن (البرهان)، كما تبنى هجوم ابن حزم على القياس باعتباره منهجاً في البحث لا يفضي إلى اليقين، واعتبر المنهجية الظاهرية الحزمية في الأصول أمتن من منهجية البيانيين وأقوم، وكذا أعجب بمنهجية الشاطبي في الموافقات، حيث بنى الأصول على المقاصد التي تعرف باستقراء أدلة الشرع..

لكن الشخصية الإسلامية التي تحتل قيمة لا منازع لها عند الجابري هي شخصية ابن رشد.. إن الخطاب الرشدي يبنى كله على النظر إلى الدين والفلسفة كبناءين مستقلين، يجب أن يبحث عن الصدق فيهما داخل كل منهما وليس خارجه، والصدق المطلوب هو صدق الاستدلال، وليس صدق المقدمات، ذلك أن المقدمات في الدين كما في الفلسفة، أصول موضوعة يجب التسليم بها دون برهان: فإذا كانت الصنائع البرهانية، في مبادئها المصادرات والأصول الموضوعة، فكم بالحري أن يكون ذلك في الشرائع المأخوذة من الوحي والعقل. (تهافت

التهافت ٢/ ٨٦٩)، ولذلك (فإن الحكماء من الفلاسفة لا يجوز عندهم التكلم ولا الجدال في مبادئ الشرائع، وذلك أنه لما كانت لكل صناعة مبادئ، وواجب على الناظر في تلك الصناعة أن يسلم لمبادئها، ولا يتعرض لها بنفي ولا إبطال؛ كانت الصناعة العملية الشرعية أحرى بذلك..) (التهافت ٢/ ٧٩١).

علام تدل هذه الكلمات؟! اعتبار الشريعة نسقاً مغلقاً لا يمكن الاستدلال عليه من خارجه؛ ألا يعني هذا أن الدين تسليم دون استدلال؟! وإذا صح هذا فكيف يمكن التمييز بين الدين الصحيح والزائف؟! ألا تحمل هذه الكلمات بذوراً علمانية خطيرة؟!

ـ يعلق الجابري على منهج ابن رشد بقوله: (كانت الرشدية قادرة على طرق آفاق جديدة تماماً، وهذا ما حدث بالفعل، ولكن في أوروبا حيث انتقلت وليس في العالم العربي حيث اختنقت في مهدها، ولم يتردد لصيحتها الأولى صيحة الميلاد أي صدى إلى اليوم..) (بنية العقل العربي: ص٣٢٣) أي صدى تردد في أوروبا، إنه الصدى الذي تبنى العلمانية منهاجاً، وجعل من الدين مواضعات اجتماعية وأخلاقية خاصة، فمن تبنى العلمانية منهاجاً وجعل من الدين مواضعات اجتماعية وأخلاقية خاصة، فمن شاء أن يلتزم بها فله ذلك ومن لم يشأ فلا جناح عليه !! أما أن يتدخل الدين في صياغة المنهج السياسي أو الاقتصادي، أو العلاقات الخارجية، فكلا، ليس ذلك للدين وإنما هو للعقل البشري المجرد..!!

هل يريد الجابري هذه النتيجة..؟! من العدل أن نقول إنه لم يصرح بهذا في هذه الكتب...لكن القارئ بسوء نية يمكنه أن يفهم ذلك..

ملاحظات ومراجعات:

رغم الجهد الضخم الذي بذله الجابري في إعداد هذا المشروع الفكري مستفيداً في ذلك ممن سبقه من الباحثين، مسلمين كانوا أو مستشرقين أو ماركسيين.. الخ؛ فإن المرء لا يسعه إلا أن يتبنى موقفاً مغايراً لما تبناه المؤلف في كثير من المواضع في تلك الكتابات، نقف في هذا العرض عند بعض منها:

من الملفت للنظر في هذا المشروع النقدي، أنه في غمرة حماسته للفلسفة الأرسطية، قد غض الطرف عن النقد الجوهري المتين الموجه قديماً وحديثاً لهذه الفلسفة، سواء أكان ذلك في المنطق الذي يحكمها أو في النتائج والرؤية التي تنتج عنها، حتى أن العلم الحديث لم يتمكن من تحقيق فتوحاته العظيمة حتى تحرر من أسرها، والمؤلف خبير بالمنهج العلمي الحديث في البحث والتفكير، حيث وضع فيه كتاباً في جزأين تحت عنوان (فلسفة العلوم)، ظهر له من خلالهما البون الشاسع بين التفكير العلمي الحديث والمنهج الأرسطي القاصر فلماذا يا تُرى جعل الباحث المنهج الأرسطي معياراً للحكم على فكر هذا العالم أو ذاك بالتقدم أو التخلف، بالعقلانية أو عدمها؟!

حقيقة.. لا يظهر لي سبب واضح وراء هذه الحماسة والاندفاع.

ـ رغم أن الجابري لم يبد عداءً نحو منهج البيانيين (فقهاء وأصوليين ولغويين) فهو في ذات الوقت لم يحدد موقفاً واضحاً من القضايا التي أثاروها ولم يبد انحيازاً مع تلك الطروحات أو ضدها، وهو موقف غريب غير مبرر. ومن المسائل ذات الدلالة في هذا الموضوع أن ابن تيمية رغم مساهمته الثرية والعميقة في كل القضايا التي أثارها المؤلف في

كتاباته، لم يلق أي اهتمام يستحق الذكر مقارنة بغيره من الشخصيات التي برزت في علم الأصول أو علم الكلام أو الفلسفة... الخ.

ورغم عدم تحيزنا للأشخاص، فإنه يمكن اعتبار هذه الظاهرة ذات دلالة لا تخفى، حيث أن ابن تيمية يشكل ربما الصورة الأخرى لابن رشد... فرغم إطلاعه الواسع على الفلسفة بمختلف تياراتها، ودخوله في جدل عميق مع مختلف طروحاتها، إلا أنه ظل على إيمان عميق لا يتزعزع بأن العقل لا يعارض النقل ولا يُضادّه، وأن أكمل مناهج التفكير العقلي، إنما هي تلك التي دعى إليها النقل وحث عليها.

فهو بخلاف ابن رشد يؤمن بأن مبادئ الشرائع يمكن فحصها والاستدلال لها بالعقل، كما أن مقدمات الفلسفة هي الأخرى تخضع للفحص العقلي والنقلي؛ وذلك هو الموقف العلمي الصحيح، وإلا كيف لمسلم أن يتورط بالقول بأزلية العالم؟، وذلك مخالف لمسلمة قطعية من مسلمات الدين وهي الاعتقاد بأن هذا العالم مخلوق بعد أن لم يكن؟!

كيف لمفكر يحترم نفسه أن يسلم بالرؤية الفلكية الأرسطية، ويبقى في ذات الوقت محترماً للنص الشرعي مؤمناً بما فيه، بحجة أن هذه مقدمة فلسفية وتلك مقدمة كلامية شرعية؟!

أليس في ذلك تغييباً مقصوداً للوعي؟! وعودة لا تخفى إلى التناقض؟!

ـ أشار المؤلف إلى أن منهجية البيانيين المفضلة هي الاستدلال بالشاهد على الغائب، وهي دعوى غير مسلم بها، فلقد كان للأصوليين المتقدمين كلام في الاستحسان، والمصالح، والاستقراء، والاستنباط،

وهي طرائق في الفهم والاستدلال مغايرة لقياس الشاهد على الغائب.

كما أن للعلماء المسلمين في مجال العلوم الطبيعية، منهجياً تجريبياً متقدماً حتى أن المسلمين يعتبرون بحق وبشهادة الباحثين الغربيين أنفسهم سباقين إلى اكتشاف المنهج التجريبي، وعنهم أخذته أوروبا في عصر النهضة، وهي قضية لم يعطها الكاتب حقها من الاهتمام والتقدير الكافيين.

هذه مسألة.... والمسألة الأخرى في هذا الصدد حول قيمة المنهج في الوصول إلى الحقيقة... إن التقدم العلمي الهائل الذي تشهده العلوم التجريبية المعاصرة، ليس في الحقيقة ناتجاً عن تقدم المنهج إطلاقاً... إنما هو في الواقع ناتج عن الإمكانات الهائلة التي أودعها الله في هذا الكون... إنها عظمة الله تتبدى في عظمة خلقه، وليس ذلك ناجماً عن عظمة المناهج البشرية. إن العلم يكشف الطبيعة (الخلق) وقوانينها (السنن) ولا يخلقها من عدم... بل إن لبعض علماء الفيزياء المرموقين المعاصرين وهو بول ديفيس البريطاني كتاباً سماه "ضد الطريقة Against Method" يذكر فيه أن المنهج لم يكن في يوم من الأيام رائداً للبحث العلمي، بل كان دوماً متخلفاً وتابعاً للبحث العلمي!!

فالدور الضخم الذي يعطيه الجابري للمنهج يحتاج إلى مراجعة وتدقيق.

ـ في حديث المؤلف عن مرحلة التدوين في العصر العباسي، أشار إلى ما كتبه ابن المقفع في رسالته التي سماها "رسالة الصحابة" حيث يرى فيها كما يرى محمد أركون إنها ذات نفس علماني واضح...! وحجتهم الوحيدة على ذلك: هو أنه لم يستشهد في هذه الرسالة بالقرآن، ولا

بالحديث ولا بأي عنصر آخر من الموروث الإسلامي...! والحقيقة أن القارئ لهذه الرسالة لا يجد ذلك النفس العلماني المزعوم، وإنما غرض ابن المقفع الدعوة لتنظيم الدولة، وتوحيد القضاء، منعاً للاختلاط والاضطراب، وذلك باستخدام سلطة الخليفة دون أي دعوة ظاهرة أو خفية إلى تنحية الشريعة، أو تقديم بديل عنها، وهو مطلب لا يوجد أي غبار عليه، ولا يعتبر مطعناً في صاحبه!

- يركز الجابري في دراساته المختلفة على البعد العربي لمناهج التفكير والمدارس التي يحلل إنتاجها، وهو بعد ليس له مبرر، ذلك أن هذا التراث شاركت في بنائه وتكوينه عقول مختلفة من شتى الشعوب الإسلامية، ولم ينفرد العرب في تكوينه ولا تدوينه، وإنما هو ثمرة لتضافر جهود آلاف من الباحثين المسلمين في شتى التخصصات، فلعل الكاتب خشي من سوء الفهم عند نقد العقل المسلم، إذ يفهم بعضهم ذلك بأنه نقد "للمنهج الإسلامي" وليس لمناهج "المفكرين المسلمين" والفرق بعيد بين الأمرين.

ورغم وجاهة هذا الاحتمال، فإنه لا يكفي مبرراً لإضفاء صفة "قومية" على التراث الإسلامي، ويمكن تلافي مثل هذه المخاطر بالتنبيه عليها في مطلع أو خاتمة مثل هذه الدراسة.

- وأخيراً... رغم النجاح الواضح الذي حالف المؤلف في تعرية تيارات الغنوص، والعرفان الرافضي والباطني والفلسفي والصوفي، وكذلك في الكشف عن مناطق الضعف والخلل عند بعض التيارات الأخرى، إلا أنه في ذات الوقت لم يبلور للقارئ الملامح النهائية للمشروع النهضوي المنشود الذي تتبناه هذه الدراسة وتدعو إليه ...

فظاهر أن المؤلف لا يقف موقف الموتور المعادي للموروث الإسلامي، لكنه في ذات الوقت لم يبشر به، ويعتبره المخرج مما نعانيه من أزمة على شتى الصُعُد.

ـ إن الحلول التي قدمها المؤلف في نهاية كتابه عن العقل السياسي وهي:

١- تحويل القبيلة إلى تنظيم مدني سياسي اجتماعي: لأحزاب أو نقابات..الخ، وفتح الباب لقيام مجال سياسي حقيقي، تمارس فيه السياسة ويصل بين سلطة الحاكم وامتثال المحكوم.

٢- تحويل الغنيمة إلى اقتصاد ضريبة في إطار اقتصادي إقليمي جهدي وفي إطار سوق عربية مشتركة تفسح المجال لقيام وحدة اقتصادية عربية تنموية.

٣- تحويل العقيدة إلى مجال يسمح بحرية التفكير وحق الاختلاف والتحرر من سلطة الجماعة المغلقة والتحرر من سلطة عقل الطائفة والتعامل مع عقل اجتهادي نقدي" (العقل السياسي: ص٣٧) هذه الحلول لا تمثل برنامجاً كافياً مبلوراً للخروج من أزمة التخلف والتبعية والتشرذم... ولذلك فإنني أدعو الباحث وغيره من الجادين في الرغبة بنهوض هذه الأمة، ومحاولة استئناف مسيرتها القيادية لذاتها وللناس أدعوهم إلى مراجعة موقفهم من الحل الإسلامي، واتخاذ موقف أكثر علمية من الموقف الهلامي الذي يتخذه كثير منهم.. لابد لهم لكي يكونوا واقعيين مع أنفسهم أن ينحازوا للخيار الذي لا تقبل الأمة عنه بديلاً... ألا وهو رفع شعار الحل الإسلامي، والتبشير به والدعوة إليه والسير الحثيث والفعلي لإنجازه...﴿ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ

عِندِهِۦ فَيُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَـٰدِمِينَ ﴾[(١)] ﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَـٰبِدُونَ ﴾[(٢)] ﴿ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَـٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ [(٣)] والحمد لله رب العالمين). انتهى كلام الأستاذ عبد العزيز الوهيبي ـ وفقه الله ـ.

وقال الدكتور مفرح بن سليمان القوسي في رسالته (المنهج السلفي والموقف المعاصر منه في البلاد العربية) (٢/ ٥٦١-٥٦٩): (الدكتور محمد عابد الجابري: الذي قدم في كتبه ما يمكن أن يُسمى مشروعاً تحديثياً لتجديد الشريعة كي تبدو موافقة للتطور وموائمة لظروف العصر، والتجديد الذي يدعو إليه ليس هو التجديد بمفهومه السلفي الضيق ـ على حد تعبيره ـ بل تجديد بمفهوم عصري واسع يقوم على العقل وحده، فنراه يقول: "والتجديد بالنسبة للرؤية الإسلامية جزء من الحياة نفسها بدليل الحديث النبوي المشهور (إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها)، وبما أن الإسلام لا يفصل بين الدين والدنيا، بل بالعكس من ذلك يربط صلاح أمور الدين بصلاح أمور الدنيا، فإن تجديد أمور الدين يعني في ذات الوقت تجديد أمور الدنيا. وبما أن أمور الدنيا تتغير من زمان إلى آخر، فإن مفهوم التجديد ومتطلباته لابد أن يتغير حسب الظروف والأعصار. وهكذا

(١) المائدة (٥٢).
(٢) البقرة (١٣٨).
(٣) الحج (٧٨).

فإذا كان بعض الفقهاء القدامى قد فسروا "التجديد" على أنه كسر للبدعة والعودة بالمسلمين إلى سيرة السلف الصالح، فينبغي ألا نقف عند حدود هذا المعنى تقليداً لهم وتقيداً بالتعريف الذي أعطوه للبدعة، والذي استمدوه من ظروف عصرهم ومعطيات واقعهم"[(١)].

ويقول كذلك محدداً (التجديد) الذي يحتاج إليه المسلمون اليوم:"والحق أن ما يحتاج إليه المسلمون اليوم هو "التجديد" وليس مجرد "الصحوة"، إن التحديات التي تواجه العالم العربي والعالم الإسلامي تتطلب ليس فقط رد الفعل بل الفعل، والفعل في العصر الحاضر هو أولاً وأخيراً فعل العقل... لأن العصر يقوم كل شيء فيه على الفعل العقلاني"[(٢)].

ويتمثل المشروع التحديثي الذي قدّمه الجابري لتجديد الشريعة فيما يلي:

أولاً: إعادة تأصيل الأصول ولا سيما أصول الفقه، وإعادة بناء منهجية التفكير في الشريعة، وفي هذا يقول: "إن المطلوب اليوم هو إعادة بناء منهجية التفكير في الشريعة انطلاقاً من مقدمات جديدة ومقاصد معاصرة، وبعبارة أخرى: المطلوب اليوم تجديد ينطلق لا من مجرد استئناف الاجتهاد في الفروع، بل من إعادة تأصيل الأصول؛ من إعادة بنائها"[(٣)]، ويقول أيضاً: "إنما نريد أن يتجه تفكير المجتهدين الراغبين في

---

(١) وجهة نظر نحو إعادة بناء قضايا الفكر العربي المعاصر ص٤٠ ــ ٤١، ط الثانية ١٩٩٤م، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ــ لبنان. وانظر: التراث والحداثة ص ١٠ ــ ١١، ط الأولى ١٩٩١م، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ــ لبنان.

(٢) وجهة نظر ص ٤٠.

(٣) المرجع السابق ص ٥٧. وانظر : التراث والحداثة ص ١٠-١١.

التجديد حقاً والشاعرين بضرورته فعلاً إلى القواعد الأصولية نفسها، إلى إعادة بنائها بهدف الخروج بمنهجية جديدة تواكب التطور الحاصل، سواء على صعيد المناهج وطرق التفكير والاستدلال أو على صعيد الحياة الاجتماعية والمعاملات الجارية فيها التي تفرضها مستجدات العصر وضروراته وحاجاته. إن القواعد الأصولية التي ينبني عليها الفقه الإسلامي لحد الآن ترجع إلى عصر التدوين (العصر العباسي الأول)، وكثير منها يرجع إلى ما بعده. أما قبل عصر التدوين هذا فلم تكن هناك قواعد مرسمة تؤطر التفكير الاجتهادي بمثل ما حدث بعد، والفقهاء الذين وضعوا تلك القواعد قد صدروا في عملهم الاجتهادي ذاك عن النظام المعرفي السائد في عصرهم، وعن الحاجات والضرورات والمصالح التي كانت تفرض نفسها في ذلك العصر، وبما أن عصرنا يختلف اختلافاً جذرياً عن عصر التدوين ذاك، سواء على مستوى المناهج أو المصالح، فإنه من الضروري مراعاة هذا الاختلاف والعمل على الاستجابة لما يطرحه ويفرضه"[١]، ويقول كذلك: "إننا نريد أن نؤكد في هذا السياق أن الدعوة إلى تحقيق الأصالة والمعاصرة، وهي دعوة ما فتئت تتردد على ألسنتنا وفي كتاباتنا منذ أكثر من قرن ودون جدوى ستبقى مجرد دعوة تتقاذفها أمواج التغير والتبدل الذي يفرض نفسه على الحياة المعاصرة ما لم ترتفع تلك الدعوة إلى المستوى الذي يجعل منها دعوة إلى التكيف الواعي مع المستجدات قصد السيطرة عليها ارتكازاً على تأصيل جديد للأصول"[٢].

---

(١) وجهة نظر ص ٦٣.

(٢) المرجع السابق ص ٦٦.

ويقول كذلك مبرراً دعوته إلى تغيير أصول الفقه :"القواعد الأصولية هذه ليست ما نص عليه الشرع لا الكتاب ولا السنة، إنها من وضع الأصوليين، إنها قواعد للتفكير، قواعد منهجية، ولا شيء يمنع من اعتماد قواعد منهجية أخرى إذا كان من شأنها أن تحقق الحكمة من التشريع في زمن معين بطريقة أفضل"(١).

ومن القواعد الأصولية التي يريد الجابري تغييرها كي تبدو الشريعة مواكبة للعصر ومسايرة للتطور ما قرره معظم الفقهاء من دوران الحكم الشرعي مع علته في عملية الاجتهاد، ومعلوم أن العلة وصف منضبط في الشيء الذي صدر فيه الحكم؛ وبهذا الوصف يُعرف وجود الحكم فإذا وجد وُجد الحكم. ويريد الجابري تغيير ذلك بأن يكون دوران الحكم الشرعي مع الحكمة والمصلحة لا مع العلة، فإذا وُجدت الحكمة والمصلحة وُجد الحكم، وإذا عُدمت أُلغي الحكم، ويضرب لذلك مثالاً وهو : الحكم بإباحة الفوائد المترتبة على بعض المعاملات المالية التي هي نوع من شهادات الاستثمار وسندات البنوك وذلك لعدم وجود الاستغلال في هذا النوع من المعاملات، ويقول: "ومعلوم أن منع الاستغلال هو الحكمة من تحريم الربا"(٢).

ويحتج الجابري على ما ذهب إليه من ضرورة أن يكون دوران الحكم مع الحكمة والمصلحة لا مع العلة بقوله: "وإذا كان عمر بن الخطاب قد عمل باجتهاده واجتهاد الصحابة الذي استشارهم في مسألة فيها نص، فوضع الخراج عن الأراضي المفتوحة عنوة بدل تقسيمها بين

---

(١) المرجع السابق ص ٦٢.

(٢) المرجع السابق ص ٦١.

المقاتلين مراعياً في ذلك المصلحة؛ مصلحة الحاضر والمستقبل، وإذا كان قد عدل عن قسمة الغنائم بالسوية كما كان يفعل النبي وأبو بكر، وارتأى أن "العدل" يقتضي قسمتها على أساس السبق في الإسلام والقرابة من الرسول ـ ﷺ ـ، إذا كان عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ المشرع الأول في الإسلام بعد الكتاب والسنة- قد اعتبر المصلحة ومقاصد الشرع فوضعهما فوق كل اعتبار فلماذا لا يقتدي المجتهدون والمجددون اليوم بهذا النوع من الاجتهاد والتفكير بدل الاقتداء بفقهاء عصر التدوين والترسيم؟ لماذا نضيق على أنفسنا ونسجن اجتهادنا في قواعد كانت تفي بالمصلحة والمقاصد قليلاً أو كثيراً في زمان إذا لم تعد تفي بنفس الغرض اليوم على أكمل وجه، والحال أنها قواعد مبنية على ظن المجتهد، وليس فيها شيء من القطع واليقين باعتراف أصحابها أنفسهم؟. أما دوران الأحكام مع المصالح فشيء يفرض نفسه ما دمنا نقرر أن المصلحة هي الأصل في التشريع، وأعتقد أن هذا المبدأ هو الذي صدر عنه الخليفة الفاروق عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ، وإذن فالاجتهاد يجب أن يكون لا في قبول هذا المبدأ أو عدم قبوله بل في نزع الطابع الميكانيكي عن مفهوم الدوران، والعمل من أجل الارتفاع بفكرة المصالح إلى مستوى المصلحة العامة الحقيقية كما تتحدد من منظور الخلقية الإسلامية، إنه بدون هذا النوع من التجديد سيبقى كل اجتهاد في إطار القواعد الأصولية القديمة اجتهاد تقليد وليس اجتهاد تجديد حتى ولو أتي بفتاوى جديدة"[1].

---

(١) المرجع السابق ص ٦٣ – ٦٤.

ثانياً: تأسيس معقولية الأحكام الشرعية، وذلك باتخاذ المقاصد والمصالح أساساً للتشريع، وربط الأحكام الشرعية بأسباب نزولها، وفي هذا يقول الجابري: "عملية تأسيس معقولية الأحكام هي العملية التي بدونها لا يمكن تطبيق الشريعة على المستجدات، ولا على الظروف والأحوال المختلفة المتباينة، ولما كان مقصد الشارع الأول والأخير هو مصلحة الناس (فالله غني عن العالمين)[1]، فإن اعتبار المصلحة هو الذي يؤسس معقولية الأحكام الشرعية، وبالتالي فهو أصل الأصول كلها، وواضح أن هذه الطريقة تتحرك في دائرة واسعة لا حدود لها؛ دائرة المصلحة وبالتالي فهي تجعل الاجتهاد ممكناً ولدى كل حالة"[2].

ويقول أيضاً داعياً إلى ربط الأحكام بأسباب نزولها كي تبدو الشريعة أكثر طواعية وأشد مسايرة لظروف العصر وأحواله المتغيرة: "لا سبيل إلا باعتبار المقاصد والمصالح أساساً للتشريع، ذلك لأنه في هذه الحالة يتجه المجتهد بتفكيره لا إلى اللفظ (الحقيقة، المجاز، الاستعارة، الخصوص، العموم)، بل إلى (أسباب النزول)، وهذا باب عظيم واسع يفتح المجال لإضفاء المعقولية على الأحكام بصورة تجعل الاجتهاد في تطبيقها وتنويع التطبيق باختلاف الأحوال وتغير الأوضاع أمراً ميسوراً"[3]، ويقول :"بناء معقولية الحكم الشرعي على (أسباب النزول) في إطار اعتبار المصلحة يُفسح المجال لبناء معقوليات أخرى

---

(١) لعله يقصد هنا الآية الكريمة وهي قوله تعالى: (ومن كفر فإن الله غني عن العالمين) آل عمران ٩٧.

(٢) المرجع السابق ص ٥٨.

(٣) المرجع السابق ص ٥٩. وانظر: التراث والحداثة ص ١٠-١١.

عندما يتعلق الأمر بـ(أسباب نزول) أخرى، أي بوضعيات جديدة، وبذلك تتجدد الحياة في الفقه، وتتجدد الروح في الاجتهاد، وتصبح الشريعة مسايرة للتطور قابلة للتطبيق في كل زمان ومكان"[1]، ويضرب الجابري لذلك مثالاً وهو: ضرورة ربط عقوبة القطع في السرقة في الشريعة الإسلامية بأسباب نزولها؛ وهي: ما كان عليه العرب قبل الإسلام وزمن البعثة النبوية من حيث إقامتهم في مجتمع بدوي صحراوي، واعتمادهم على التنقل والترحال طلباً للكلأ مما يلزم معه قطع يد السارق، وأما في وقتنا الحاضر وقت التطور العمراني والصناعي فقطع يد السارق غير ملائم لردعه عن تكرار السرقة، بل الملائم هو السجن بدل القطع، فنراه يقول ما نصه: "إذا تحررنا من سلطة القياس والانشداد إلى الألفاظ، وانصرفنا باهتمامنا بدلاً من ذلك إلى البحث عن (أسباب النزول)، وهي هنا الوضعية الاجتماعية التي اقتضت نوعاً ما من المصلحة وطريقة معينة في مراعاتها، فإننا سنجد أن قطع يد السارق تدبير مبرر ومعقول داخل تلك الوضعية، وهكذا فبالرجوع إلى زمن البعثة المحمدية والنظر إلى الأحكام الشرعية في إطار الوضعية التي كانت قائمة يومئذ سنهتدي إلى المعطيات التالية:

أولاً: أن قطع يد السارق كان معمولاً به قبل الإسلام في جزيرة العرب.

ثانياً: أنه في مجتمع بدوي ينتقل أهله بخيامهم وإبلهم من مكان إلى آخر طلباً للكلأ؛ لم يكن من الممكن عقاب السارق بالسجن، إذ لا

---

(١) وجهة نظر ص ٦١.

سجن ولا جدران ولا سلطة تحرس المسجون وتمده بالضروري من المأكل والملبس.... الخ، وإذن فالسبيل الوحيد هو العقاب البدني. وبما أن انتشار السرقة في مثل هذا المجتمع سيؤدي حتماً إلى تقويض كيانه، إذ لا حدود ولا أسوار ولا خزائن، فلقد كان من الضروري جعل العقاب البدني يلبي هدفين: تعطيل إمكانية تكرار السرقة إلى ما لا نهاية، ووضع علامة على السارق حتى يُعرف ويحتاط الناس منه، ولا شك أن قطع اليد يلبي هذين الهدفين معاً، وإذن فقطع يد السارق تدبير معقول تماماً في مجتمع بدوي صحراوي يعيش أهله على الحل والترحال، ولما جاء الإسلام وكان الوضع العمراني الاجتماعي زمن البعثة لا يختلف عما كان عليه من قبل احتُفظ بقطع اليد كحد للسرقة من جملة ما احتُفظ به من التدابير والأعراف والشعائر التي كانت جارية في المجتمع العربي قبل الإسلام، مع إدراجها في إطار خلقية الإسلام" (١) .

ثالثاً: التوسع في تحديد مقاصد الشريعة، وعدم الاقتصار فيها على ما ذكره فقهاء الأمة واتفقوا عليه فيما يدخل ضمن الضروريات، والحاجيات، والتحسينات، حيث يقول: "إن الأمور الخمسة التي حصر فيها فقهاؤنا القدامى (الضروريات) كانت وما تزال وستبقى أموراً ضرورية بالفعل، أي مقاصد أساسية لكل تشريع يستهدف فعلاً خدمة (مصالح العباد)، غير أن (مصالح العباد) اليوم لم تعد مقصورة على حفظ الدين والنفس العقل والنسل والمال، بل إنها تشمل بالإضافة إلى الأمور الخمسة المذكورة أموراً أخرى نعتقد أنه لابد من أن ندرج فيها:

---

(١) المرجع السابق ص ٦٠ – ٦١.

الحق في حرية التعبير وحرية الانتماء السياسي، والحق في انتخاب الحاكمين وتغييرهم، والحق في الشغل والخبز والمسكن والملبس، والحق في التعليم والعلاج.. إلى غير ذلك من الحقوق الأساسية للمواطن في المجتمع المعاصر. أما الحاجيات فبالإضافة إلى ما ذكره فقهاؤنا القدامى؛ هناك حاجيات جديدة مثل الحاجة إلى توفير الصحة والوقاية من الأمراض بإعداد ما يكفي من مستشفيات وغيرها، والحاجة إلى مالابد منه لتنشيط الإبداع الفكري في مختلف المجالات العلمية والفنية والنظرية، والحاجة إلى ما لابد منه لاكتساب معرفة صحيحة بالواقع والأحداث... أما التحسينات التي يتطلبها عصرنا فحدّث ولا حرج"[١]. ويختم كلامه بهذا الخصوص بقوله: "إذا كانت هناك ضرورات عامة خالدة كتلك التي أحصاها فقهاؤنا بالأمس، فإن لكل عصر ضرورياته وحاجياته وتكميلياته، وهكذا فعندما ننجح في جعل ضروريات عصرنا جزءاً من مقاصد شريعتنا فإننا سنكون قد عملنا ليس فقط على فتح باب الاجتهاد في وقائع عصرنا المتجددة المتطورة؛ بل سنكون أيضاً قد بدأنا العمل في تأصيل أصول شريعتنا نفسها بصورة تضمن الاستجابة الحية لكل ما يحصل من تغيير أو يطرأ من جديد"[٢].

رابعاً: إسقاط الحد في جرائم السرقة والزنا وشرب الخمر والقذف، والاكتفاء فيها بالسجن، لأن الحدود ـ في نظره ـ ليست غاية في ذاتها وإنما هي وسيلة لردع وزجر النوازع الذاتية الفردية الهدامة، أي التي تمس مصلحة الجماعة أو الأمة.

---

(١) المرجع السابق ص ٦٧.

(٢) المرجع السابق ص ٦٨.

ويستدل الجابري على إسقاط الحدود بحديث (ادرأوا الحدود بالشبهات) مدعياً أن شبهات عصرنا كثيرة ومتفرعة بسبب تعقد الحياة المعاصرة وتنوع الحوافز فيها، بالإضافة إلى وجود الشبهات الراجعة إلى السياسة التي تجعل تنفيذ الحدود يلتبس بالأغراض والدوافع السياسية، وتلك ـ كما يقول ـ شبهة وأية شبهة[١].

ويدّعي أن الشريعة الإسلامية لم تطبق تطبيقاً كاملاً في كل مراحل التاريخ الإسلامي بما فيها المرحلة الأولى في عصر الرسول ـ ﷺ ـ والخلفاء الراشدين، فنراه يعلنها صراحة في قوله: "أنا لا أجد حرجاً لا في ديني ولا في وجداني ولا في عقلي إذا قلتُ إن الشريعة الإسلامية لم تطبق قط كاملة في يوم من الأيام"[٢]!!.

ويرى الجابري أن "السلفية" التي تعني ـ كما يقول ـ استقامة السلوك والتجديد في الدين والعمل من أجل المستقبل من خلال الدعوة إلى الرجوع إلى سيرة السلف الصالح؛ لا تناسب الأمة الإسلامية في العصر الحاضر للحفاظ على وجودها واستمراريتها، لأن "السلفية" ـ في رأيه ـ "نوع من المقاومة الذاتية لأمراض داخلية ذاتية المنشأ، وقد كانت كافية وناجعة عندما كانت الحضارة العربية الإسلامية هي حضارة العالم لعصرها، أعني غير مزاحمة ولا مهددة بحضارة معاصرة لها على صعيد الزمن"[٣]. ويرفض نموذج السلف، ويرى أن النموذج الذي يجب استلهامه من أجل إعادة بناء الذات تجربتان:

أولاهما: جماع التجربة التاريخية لأمتنا بغض النظر عمن صدرت

---

(١) انظر: وجهة نظر ص ٦٨-٧٢.

(٢) المرجع السابق ص ٧٣. وراجع ص ٧٢-٧٦ من المرجع نفسه.

(٣) المرجع السابق ص ٤٥.

عنهم هذه التجربة وعن موافقتها للحق والصواب من عدمه.

والثانية: التجربة التاريخية لمختلف الأمم الأخرى، فنراه يقول ما نصه: "النموذج الذي يجب استلهامه من أجل إعادة بناء الذات؛ ذاتنا نحن وتحصينها وتلقيحها ضد الذوبان والاندثار والاستلاب ينبغي ألا يكون من نوع "النموذج ـ السلف" الذي يُقدّم نفسه كعالم يكفي ذاته بذاته، بل يجب أن يشمل جماع التجربة التاريخية لأمتنا مع الاستفادة من التجربة التاريخية للأمم التي تناضل مثلنا من أجل الوجود والحفاظ على الوجود، وأيضاً من التجربة التاريخية للأمم التي أصبحت اليوم تفرض حضارتها كحضارة للعالم أجمع. لقد كانت السلفية كافية وفعالة وإجرائية يوم كنا وحدنا في بيت هو بيتنا وبيت لنا في نفس الوقت، أما وقد أصبحنا جزءاً في كل فإن الطريق الوحيد لإثبات وجودنا والحفاظ على خصوصيتنا داخل هذا الكل هو طريق التعامل معه بالمنطق الذي يؤثر فيه؛ منطقه هو ولكن من مواقعنا لا من مواقع غيرنا، ومنطق الكل الذي ننتمي إليه اليوم ـ أعني منطق الحضارة المعاصرة ـ يتلخص في مبدأين: العقلانية، والنظرة النقدية. العقلانية في الاقتصادي والسياسة والعلاقات الاجتماعية، والنظرة النقدية لكل شيء في الحياة؛ للطبيعة والتاريخ والمجتمع والفكر والثقافة والإيديولوجيا. هذا في حين أن منطق سيرة السلف الصالح ـ التي تُمثل "المدينة الفاضلة" في التجربة التاريخية للأمة العربية الإسلامية ـ كان شيئاً آخر، كان منطقه يقوم على المبدأ التالي: الدنيا مجرد قنطرة إلى الآخرة، وقد أدى هذا المنطق وظيفته يوم كان العصر عصر إيمان فقط وليس عصر علم وتقنية وأيديولوجيات"[1]). انتهى كلام الدكتور القوسي ـ سلمه الله ـ.

---

(١) المرجع السابق ص ٤٥ ــ ٤٦.



نظرة شرعية
في فكر
الدكتور أحمد البغدادي



نظرة شرعية في فكر (الدكتور أحمد البغدادي)

- دكتور كويتي معاصر، وأستاذ بجامعة الكويت.

- له مشاركات في صحف الكويت، إضافة إلى هذه المؤلفات:

١- تجديد الفكر الديني: نشر دار المدى بسوريا، الطبعة الأولى عام ١٩٩٩م.

٢- الدولة الإسلامية بين الواقع التاريخي والتنظير الفقهي، دار قرطاس بالكويت، الطبعة الأولى عام ١٩٩٤م.

٣- حزب التحرير ، دار قرطاس بالكويت، الطبعة الثانية عام ٢٠٠١م.

لمحة عنه:

- يعد البغدادي أحد أبرز العلمانيين الكويتيين، وأكثرهم جرأة في الطرح، وفي مهاجمة الإسلام وأهله.

وقد ذاع صيت الرجل بالسوء! عندما أطلق مقولته الكفرية التي اتهم فيها الرسول محمداً ـ ﷺ ـ بأنه قد "فشل" في دعوته!!

وقد قام بعض الغيورين في الكويت برفع أمره للمحكمة التي حكمت عليه بالسجن، إلا أنه سرعان ما خرج أو أخرج !!

- لهذا الكاتب كتاب بعنوان (تجديد الفكر الديني)! كشف فيه عن وجهه القبيح دون استحياء ، وعن دعوته للعلمانية بتصريح دون تلميح . وسيكون التركيز عليه في ذكر انحرافات الرجل.

انحرافاته:

١- أول انحراف للبغدادي ـ كما علمنا ـ هو تصريحه بفشل الرسول

ـ ﷺ ـ في دعوته! وهذه عبارة كفرية يستتاب منها فإن تاب وإلا قُتل ردةً. (انظر مجلة المجتمع الكويتية، عدد ١٣٧٣، ص ١٦ـ ١٧).

٢- ومنها: تهجمه على أحكام الشريعة الإسلامية بقوله ـ أخزاه الله ـ: "ما السبب الكامن وراء تبني المسلمين حكاماً ومحكومين المفاهيم العلمانية عملياً لا فكراً، دون حرج، أو لنقل دون تفكير؟ الإجابة بسيطة، لقد أصبحت هذه المفاهيم جزءً من متطلبات المجتمع المدني الذي أخذ المسلمون يقطفون خيراته من خلال دولة القانون. هذه الدولة التي ألغت ـ دون إعلان ـ معظم المفاهيم الدينية في العقوبات وأنواع العلاقات الجنسية غير العقلانية (ملك اليمين والتسري) وأبقت على الزواج فقط، وألغت الرق، وهجرت الزكاة مقابل تبني الاقتصاد الربوي الغربي، واستبدلت بكل ذلك العقل الذي أسس الدولة المعاصرة" ! (تجديد الفكر الديني، ص ٤٠).

قلت: فهذا العلماني يُفضل حكم الكفر والطاغوت على حكم الإسلام، بل يتهم حكم الإسلام بأنه لا يناسب العصر، وهذه ردة عظيمة عن دين الإسلام ـ والعياذ بالله ـ.

٣- ومن ذلك: قوله مصرحاً بعلمانيته: "من المعروف أن أسس الإيمان لا تتضمن السياسة" (المرجع السابق ٤٦).

٤- ومن ذلك: قوله : "إن من الطبيعي عجز رجل الدين عن اللحاق بإنجازات المجتمع المدني في المجال الفكري؛ لأن رجل الدين يعلم كل العلم أن ذلك يقتضي التخلي عن الكثير من آرائه البالية التي لم تعد صالحة للعصر الحديث وللمستقبل، وأنه ليس أمامه سوى أن يعترف

بكونية العلمانية، وأن المستقبل لها" ! (المرجع السابق، ص٤٧).

٥- ومن ذلك: قوله ساخراً بمجتمع الرسول ـ ﷺ ـ: "لنبحث في العلاقة المزعومة بين الإسلام والتنمية التي يدعيها التيار الديني، ولكن لنعلم أولاً وقبل كل شيء حقيقة مهمة هي أن المدينة المنورة مركز الدين وانطلاق الدعوة كانت أكثر المناطق الإسلامية فقراً"!! (المرجع السابق، ص٢٩١).

قلت: فالرجل علماني ينظر إلى الأمور بنظرة (مادية) (دنيوية)، وعنده أن من كان أكثر رخاء ونعيماً فإنه الأفضل! دون نظرٍ إلى دينه، وهذه نظرة كثير من العلمانيين المعاصرين الذين ينظرون بهذه النظرة (الدهرية)، متناسين سنن الله التي قضت بأن يمد هؤلاء وهؤلاء من عطائه، وأنه قد يبتلي المؤمن بالضراء. قال سبحانه: ﴿ فَأَمَّا ٱلْإِنسَـٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَـٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ۝ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَـٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَـٰنَنِ ۝ كَلَّا ﴾ أي ليس الأمر كما تظنون، وليس إنعام الله على العبد بالنعم الدنيوية دليلاً على رضاه عنه، وهكذا ليس تضييقها عليه دليلاً على سخطه عليه.

والأدلة الشرعية كثيرة في توضيح هذا، ليس هذا موضعها.

٦- ومن ذلك قوله: "من استعراض تاريخ دار الإسلام والخلفاء وكتب الأحكام السلطانية والسياسة الشرعية يتبين فشل الدين في ضبط وتوجيه السياسة" !! (المرجع السابق، ص٣٠١).

فانظر إلى هذا العلماني الماكر كيف يستغل أخطاء البشر وانحرافاتهم عن الحق في تشويه صورة الإسلام وأنه غير قادر على سياسة الناس!

والإسلام كما هو معلوم حجة على الناس وليس الناس حجة عليه. وما مثل هذا الرجل إلا كمثل من رأى من يشرب الخمر فطعن في حكم الإسلام القاضي بتحريمها؛ لأنه لم يردع هذا الشارب!!

٧- ومن ذلك: قوله "نعلم مسبقاً بالتعارض القائم بين مفاهيم الديمقراطية كحقوق الإنسان وبعض النصوص الدينية على سبيل المثال اختلاف الأديان يمنع التوارث، وعدم حق المرأة بتولي الإمارة، وعدم حقها في الزواج ممن يخالف دينها وما إلى ذلك من نصوص، وهذا يستدعي من الفقهاء جرأة جديدة وقوية وغير عادية، خاصة أن هناك بعض العلماء المعاصرين الذين يمتازون بهذه الروح، ونضرب على ذلك مثلين، الأول كتاب خليل عبد الكريم، الجذور التاريخية للشريعة الإسلامية، والثاني كتاب العالم الإسلامي عبدالله العلايلي[1]: أين الخطأ: تصحيح مفاهيم ونظرة تجديد، ويمكن أن نضيف إلى هذه الكتابات الإبداعية الجريئة كتاب إبراهيم فوزي: تدوين السنة، وهناك بعض المحاولات التي تتم على استحياء لكنها تتراجع في بعض الأوقات مثل كتابات الشيخ محمد الغزالي الذي يستشعر القارئ له ميوله الدفينة نحو الغرب، بل لا نبالغ إذا قلنا إنه يحسد الغرب على ما وصل إليه في المجال السياسي وحقوق الإنسان" ! (المرجع السابق، ص٤٠٨).

فهذا العلماني الأصل عنده أنه إذا تعارض الواقع العلماني الديمقراطي المزعوم مع نصوص الشريعة فإن الواجب أن تؤول هذه النصوص أو تُدفع وترد ويُقدم عليها هذا الواقع الكفري، ـ والعياذ بالله

---

(١) سيأتي بيان انحرافات هذا (العالم الإسلامي)! ضمن إحدى مجموعات هذه السلسلة ـ إن شاء الله ـ.

ـ!! ولا مانع عنده من تسمية هذا العمل اجتهاداً ! ما دام يوصل إلى مقصوده أخزاه الله.

٨- ومن ذلك: سخريته بحديث النبي ـ ﷺ ـ المحذر من خروج المرأة من بيتها متعطرة ، وقوله: "نورد حديثاً نبوياً يردده معظم المتدينين، والقاضي بأن خروج المرأة من منزلها متعطرة حرام، والبعض يتشدد ويصف المرأة التي يُشتم منها الرجل رائحة عطرها بالزنا والعياذ بالله، لست مختصاً بعلم النفس، لكنني قرأت أن بعض الرجال تستثار غرائزهم عند شم رائحة العرق !!" ! (المرجع السابق، ص١٨ـ ١٩)

٩- ومن ذلك: زعمه أن الاقتصاد لا يقوم بدون ربا، وطعنه في حكم تحريم الربا، بقوله: "هل يمكن للاقتصاد المعاصر أن يستغني عن الأسلوب التجاري المستخدم في البنوك العادية والمرتبطة بالاقتصاد العالمي، وتعطيل مصالح الناس الاقتصادية بسبب مفهوم غير حاسم وهو الربا" ! (المرجع السابق، ص ١٩).

١٠- ومن ذلك: طعنه في حكم قتل المرتد وقوله: "هل يمكن تطبيق مفهوم الردة وهو تبديل الدين، والدعوة لقتل المسلم الذي يعتنق الديانة المسيحية أو اليهودية أو يرفض اعتناق أي دين؟ لا شك أنه من المستحيل تطبيق ذلك عملياً" (المرجع السابق، ص ١٩). (وانظر : ص ٨٢، ١٢٣ وما بعدها، ٣٤٥، ٣٨٨).

وقال ـ قبحه الله ـ في (ص ١٠٥): "هناك أيضاً أحاديث خطرة على حياة الإنسان؛ مثل حديث: (من بدل دينه فاقتلوه) " !

١١- ومن ذلك: زعمه "أن ليس هناك ما يسمى بالحقيقة الدينية المطلقة"! (المرجع السابق، ص٧). ولا أدري هل يدخل في هذا: وجود الله

سبحانه؟! أو اليوم الآخر؟! أو .... الخ لأن الرجل يهرف بما لا يعرف.

١٢- ومن ذلك: دعوته الملحة إلى تطبيق الديمقراطية (المزعومة!)، وتفضيلها على حكم الشريعة الإسلامية! (انظر كتابه السابق، ص ١٢٠، ٤٠٨).

١٣- ومن ذلك: تهجمه الدائم على أهل الإسلام، كقول هذا السفيه عنهم: "لقد قلت سابقاً وأكرر: إن التيار الديني لا عقل له" ! (المرجع السابق، ص٣٤٥).

قلت: الخلاصة أن الرجل ليس ذا فكر، إنما هو مردد لما يقوله غيره من غلاة العلمانيين في بلادنا الإسلامية، مع جرأة في الطرح وعلو صوت. وأفكاره التي يجترها في مقالاته وكتبه هي: الدعوة إلى العلمانية ومحاربة حكم الله ومن يطالب به.

نسأل الله أن يهديه ، أو يُكمد قلبه ويُسخِن عينه بتحكيم شرع الله في جميع بلاد المسلمين.

نظرة شرعية
في فكر
فرح أنطون



نظرة شرعية في فكر (فرح انطون)

ترجمته[١]:

- هو فرح بن أنطون بن إلياس أنطون.
- نصراني لبناني.
- ولد في مدينة طرابلس بلبنان عام ١٨٧٤م، ودرس في مدرسة (دير بكفتين) اشتغل بالتجارة، ثم تولى إدارة مدرسة (نصرانية) أهلية في طرابلس أنشأتها جمعية خيرية للروم الأرثوذكس.
- كان يراسل الصحف الصادرة بمصر لنشر أفكاره .
- سافر إلى الإسكندرية ليستقر في مصر عام ١٨٩٧م، ويكتب في عدد من صحفها.
- وأنشأ فيها مجلة (الجامعة) سنة ١٨٩٩م.

يقول الدكتور جورج نخل: (بقيت "الجامعة" المنبر الرئيس لنشر أفكار "أنطون" ومبادئه العلمية والعلمانية، وميوله الاشتراكية) (فرح انطون، ص٩).

- أنشأ مجلة أخرى بعنوان (السيدات) وجعل أمرها بيد أخته "روز أنطون".
- سافر "فرح" إلى أمريكا عام ١٩٠٦م، وواصل إصدار المجلات هناك.
- عاد بعد سنتين إلى مصر ليتابع نشر مجلة "الجامعة" فترة قصيرة

---

(١) انظرها موسعة في كتاب الدكتور جورج نخل (أعلام من لبنان: فرح أنطون)، وفي (الجامع في تاريخ الأدب العربي) لحنا الفاخوري.

إلى أن احتجبت.

- لم يتوقف عن الكتابة في الصحف ، إضافة إلى كتابة المسرحيات.

- توفي عام ١٩٢٢م عن عمر يناهز (٤٨) سنة.

آثاره:

١-الجامعة: مجلة شهرية أصدرها لمدة سبع سنوات. ضمنها آراءه الاجتماعية والسياسية، وسير الرجال العظام والمفكرين والأدباء... والمقالات العلمية والفلسفية، وهي مركز الثقل في كل كتاباته.

٢- فلسفة ابن رشد: نشره على شكل مقالات في مجلته، ودار حوله جدال عنيف، بينه وبين الشيخ "محمد عبده".

٣- أورشليم الجديدة أو فَتحُ العرب بيت المقدس: وهي قصة فلسفية اجتماعية.

٤- الحب حتى الموت: قصة يُظهرُ فيها الأمانة والإخلاص عند المرأة.

٥- مريم قبل التوبة: قصة اجتماعية، مات ولم يُكملها.

٦- الوحش، أو سياحة في أرز لبنان: قصة أخلاقية تدور أحداثها في لبنان.

٧- الدين والعلم والمال أو المدن الثلاث: قصة مدن وهمية يُضمنّها معظم ما جاء في العالم العربي الحديث من أفكار، كالطبقية وفوارقها، والرأسمالية والعمال، والملكية وزوالها، والصراع الاشتراكي، كما يبحث فيها قضية الدين ورجاله، ومسألة الحب، وتنازع البقاء، وفيها رجوع إلى آراء "روسّو" التربوية.

ترجماته:

١- بولس وفرجيني : لبرناردان دي سان بيار .

٢- الكوخ الهندي: لبرناردان دي سان بيار.

٣- أتلا: لشاتوبريان.

٤- رواية ديماس عن الثورة الفرنسية وقد قسّمها إلى ثلاثة أقسام: "نهضة الأسد" ويقصد بهذا الاسم نهوض الشعب الفرنسي في ثورته الكبرى إلى طلب حقوقه، وتذكير الحكام بواجباتهم . "وثبة الأسد" ويريد بذلك وثوبه لاقتحام المظالم وكسر نير الاستعباد والاستبداد، عندما لم يجد في اللين والمسالمة نفعاً. "فريسة الأسد" ويقصد بذلك افتراس الثورة الفرنسية الملك لويس السادس عشر والملكة ماري أنطوانيت قرينته مع جميع النبلاء.

٥- تاريخ المسيح: لأرنست رينان، وقد لخصه تلخيصاً.

٦- ولقد ألف وترجم روايات تمثيلية عديدة أهمها:

٧- البرج الهائل.

٨- ابن الشعب.

٩- الساحرة.

١٠- أوديب الملك.

١١- المتصرف في العباد.

١٢- صلاح الدين.

وقد مثلها جميعها الممثل النصراني المشهور: جورج أبيض.

١٣- كرمن.

١٤- كرمنينا.

١٥- روزينا.

١٦- تاييس.

وقد مثّلت هذه الروايات الأربع المقتبسة، فرقةُ منيرة المهدية.

١٧- مصر الجديدة.

١٨- بنات الشوارع وبنات الخدور.

وهما روايتان غنائيتان مثلتهما فرقةٌ أخرى.

١٩- أبو الهول يتحرك: رواية غنائية.

٢٠- رواية ذات الورد: لديماس.

انحرافاته:

١- نصرانيته، وليس بعد الكفر ذنبٌ!

٢- يعد فرح أنطون أحد نصارى الشام (لبنان خصوصاً) الذين نزحوا إلى بلاد مصر في القرن الماضي لنشر أفكارهم المخالفة للإسلام، والمساهمة في تضليل المسلمين وصرفهم عن دينهم بشتى أنواع الانحرافات، فكرية كانت أو فنية[1]، وكان من نصيب فرح أنطون الأمور الفكرية؛ حيث ساهم في الدعوة إلى الاشتراكية والعلمانية بين أبناء المسلمين، وتزهيدهم في دينهم، ومحاولة فصله عن أمور الحياة؛ ليسهل له ولأمثاله من الكفرة الانغماس بين صفوف المسلمين في مساواة وطنية تمكنهم من قيادة المجتمع المسلم إلى حيث يريدون، دون أن يشعر بمخططاتهم أحد؛ لغياب النظرة الإسلامية التي تمايز بين المسلم

---

(١) حيث كان هؤلاء النصارى أول من أسس الصحافة في بلاد مصر وأول من أسس الفن والمسرح في مصر، ومنها انتقلت إلى بلاد المسلمين. فليت أحد الباحثين يكتب رسالة في الجهود الخبيثة لهؤلاء النصارى المهاجرين إلى مصر.

والكافر، وتضع الكافر في مكانه الـذي أراده الله لـه ذلـة ومهانـة وعـدم تمكين من أمور المسلمين.

ـ يقول الكاتب فتحي القاسمي في رسالته (العلمانيـة وطلائعهـا في مصر) (ص٣٤٦) عن فـرح أنطـون وصـاحبيه سـلامة موسـى وشـبلي شميّل: (اعتبروا إقصاء الدين شرطاً أولياً وحيوياً لعلمنة الشرق).

ويؤكد بأن الذي كان يشغلهم هو: (الدعوة إلى جعل الدين ممارسـة فردية، وعزله عن الحياة السياسية) (ص ٣١١).

ومن أقواله المهمـة الخاصـة بفـرح أنطـون: (ظـل متحمـساً لمبـادئ الاشتراكية ومعرفاً بها في مقالاته ورواياته؛ لأنه وجـد فيهـا بـديلاً) (ص ٣٠٠).

ـ (ما انفك ينادي بضرورة الإقلاع عـن كـل مقـدس ثابـت ؛ لأنـه تجديف ضد التيار. ويوجد في روايته "أورشليم الجديـدة" مـا يـدل علـى إيمانه بتغير كل شيء وتحوله باطراد) (ص ٢٠٢).

ـ (إنه من خلال عنوان روايتـه "أورشـليم الجديـدة" يبـشر بقدسـية العلم الجديدة، التي أرادها ناسخة لقدسية الـدين القديمـة، فكـأن العلـم سحب البساط من تحت الدين) (ص ٢١٠).

ـ (إن المتتبع لفكر فرح أنطون يتبين شـدة التعلـق بـالعلم إلى درجـة التقديس) (ص ٢١١)؛ مما جعله يقول (ليس لنا أمـل بعـد الله إلا فيـك أيها العلم المقدس) (ابن رشد وفلسفته، فرح أنطون، ص ٢١٧).

قلت: وصـاحب كتـاب (العلمانيـة وطلائعهـا في مـصر)[١] فتحـي

(١) ركز أطروحته على ثلاثة من رموز العلمانية ؛ وهم: فرح أنطون، وشبلي شميّل، وسلامة موسى.

القاسمي متأثر بدعوة هـؤلاء النـصارى! ومـدافع عـنهم! ولكنـه أفادنـا بالكثير من أقوالهم وأفكـارهم وتـاريخهم بـالتوثيق العلمـي الـدقيق، ممـا جعلني أكثر من النقل عنه، والله أعلم.

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

نظـرة شـرعـيـة
في فـكـر
شبلي شميل



نظرة شرعية في فكر (شبلي شميّل)

ترجمته[١]:

- هو شبلي بن إبراهيم شميّل، ولد في (كفر شيما) بالقرب من بيروت عام ١٨٥٣م.

- أحد نصارى الشام.

- درس الطب في (الكلية السورية الإنجيلية) التي أسسها البروتستانت الأميركيون. وتخرج طبيباً عام ١٨٧١م.

- في عام ١٨٧٥م سافر إلى باريس لمواصلة دراسته في الطب.

- عاد إلى مصر ليمارس فيها الطب، وأصدر مجلة اسمها (الشفاء) لينشر من خلالها أفكاره، لا سيما فكرة (التطور) لداروين، التي آمن بها شميّل إيماناً كاملاً، وتطرف في مناصرتها والدعوة إليها .

- كان يكتب في عشرات المجلات المصرية.

- توفي في القاهرة عام ١٩١٧م عن عمر يناهز الرابعة والستين.

آثاره:

١- كتاب "فلسفة النشوء والارتقاء" طُبع لأول مرة في عام ١٨٨٥، ثم أصدرت "المقتطف" الطبعة الثانية، في القاهرة عام ١٩١٠. وهو كتاب يشمل مقدمة الطبعة الثانية ومقدمة الطبعة الأولى، وكتاب "شرح بخنر على مذهب داروين" ، ورسالة "الحقيقة" التي يرد فيها على من انتقدوه، "وملحق في مباحث الحياة لتأييد الرأي المادي فيها" و"خاتمة

---

(١) انظرها موسعة في كتاب الدكتور جورج نخل: (أعلام من لبنان: شبلي شمّيل)، وفي (الجامع في تاريخ الأدب العربي) لحنا الفاخوري.

الكتاب".

٢- "الجزء الثاني من مجموعة الدكتور شبلي شميّل" ويضم ٦٩ مقالة، نشرها في صحف ومجلات عديدة. نُشر هذا الكتاب في عام ١٩٠٩ في القاهرة.

٣- رسالة بعنوان "شكوى وأمل"، وجّهها إلى السلطان "عبد الحميد"، يشرح فيها وجهة نظره في ما كانت تفتقر إليه الدولة العثمانية .

٤- رسالة "المعاطس"، وهي صغيرة على نسق رسالة "الغفران" للمعرّي.

٥- رسالة "آراء الدكتور شميّل".

٦- رسالة "سورية ومستقبلها".

٧- شروح وتعليقات على كتب طبّية قديمة، تولى نشرها؛ كفصول "أبقراط"، وأرجوزة "ابن سينا".

ـ له نظم وليس بشاعر.

ـ كان يُجيد الفرنسية، ويُعدّ من الكتّاب فيها.

انحرافاته:

١- نصرانيته.

٢- هو أحد النصارى الشاميين القادمين إلى بلاد مصر لإفساد أبناء المسلمين، كشأن صاحبه فرح أنطون ـ كما سبق ـ وكان من نصيب هذا النصراني: الدعوة إلى العلمانية مع التركيز الشديد على نقل نظرية (دارون) الإلحادية ونشرها بين أبناء المسلمين، بواسطة الكتب والمقالات.

ـ يقول فتحي القاسمي: (لقد كان شبلي شميّل أول من بشر

بالنظرية التطورية (أي نظرية دارون) في الشرق العربي منذ سنة ١٨٧٦م غداة عودته من أوربا) (العلمانية وطلائعها في مصر، ص ١٥٨).

ـ ويقول: (لقد كان تعلق شبلي شميل بمذهب التطور شديداً إلى درجة أنه اعتبر مبادئه أوليات ينبغي أن لا تخفى عن كل متعلم) (ص ١٩٣).

ـ ويقول: (سعى إلى ترويج هذا المذهب بواسطة مقالات متتالية نشر بعضها في الجرائد وأكثرها في مجلة المقتطف) (ص ١٨٩).

ـ ثم واصل شميّل ـ بخبث ـ نقل فكرته عن التطور إلى مجال الدين !! هادفاً بذلك (تقويض الفكر الثبوتي في الشرق باسم الدين) (المرجع السابق، ص ١٩٤) أي أنه يدعو إلى عدم ثبات شيء باسم الدين؛ بل كل شيء فيه قابل للتطور !!

يقول الهالك: (اعلم أن مذهب داروين كما يصح على الأنواع يصح على الديانات أيضاً) !! (فلسفة النشوء والارتقاء (٢/ ١٣٢).

ـ إذاً فالهدف من الدعوة إلى نظرية دارون ـ سواء من شميّل أو غيره ـ هو سحبها إلى مجال الدين (الإسلام طبعاً!!) ليتم لهم إيهام الناس بأن لا شيء ثابت ـ بناء على نظريات العلم الحديث ـ، ولو كان من أمور الدين.

ـ لقد كان شميّل يريد استبدال الدين بالعلم زاعماً التناقض بينهما ! دون تفريق بين نصرانيته المحرفة والإسلام؛ ليسهل له العبث بعقول أبناء المسلمين هو وطائفة بعد أن (يتساووا) معهم في العلم إذا أقصيت الفروقات الدينية.

- يقول شميّل: (الدين الحق هو العلم الصحيح) (فلسفة النشوء والارتقاء، (٢/ ٩)).

- ويقول القاسمي عنه: (إن تقديسه للعلم حمله على انتقاص شأن الديانات؛ لأنها في نظره ليست قادرة على الصمود أمام تحديات الحاضر والمستقبل) (العلمانية.. ص٢٠٨).

- ويقول : (كان شبلي شميّل من أشد المثقفين المسيحيين العلمانيين تحمساً للحضارة الغربية، وقد اتصل إعجابه بذلك إلى آخر رمق في حياته) (المرجع السابق، ص ٢٩٣)

- ويقول: (لقد حاول شبلي شميل أن يدعو الشرق إلى طرح كل ما يربطه بالقديم باعتبار ذلك جموداً) (المرجع السابق، ص ٢٩٦).

أسأل الله أن يبصر المسلمين بكيد أعدائهم، وأن ينصرهم عليهم، والله أعلم.

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

نظرة شرعية
في فكر
سلامة موسى



نظرة شرعية في فكر (سلامة موسى)

ترجمته[1]:

قال الزركلي في الأعلام عنه: سلامة موسى القبطي المصري: كاتب مضطرب الاتجاه والتفكير. ولد عام ١٣٠٤هـ في قرية كفر العفي بقرب الزقازيق. وتعلم بالزقازيق وباريس ولندن. ودعا إلى الفرعونية. وشارك في تأسيس حزب اشتراكي، لم يلبث أن حله الإنجليز واعتقلوه وسجنوه مدة. وجحد الديانات في شبابه وعاد إلى الكنيسة في سن الأربعين، وأصدر مجلة "المستقبل" قبل الحرب العامة الأولى وتعطلت بسبب الحرب. وعمل في التدريس، ثم رأس تحرير مجلة الهلال وكل شيء، حتى عام ١٩٢٧، وقام بحملة على الصحافة اللبنانية بمصر، فنشرت دار الهلال رسائل بخطه تثبت أنه كان عيناً عليها لحكومة صدقي.

وصنف وترجم ما يزيد على ٤٠ كتاباً، طبعت كلها.

منها: "حرية الفكر وأبطالها في التاريخ" و"نظرية التطور وأصل الإنسان" و"غاندي والحركة الهندية" و"أشهر قصص الحب التاريخية" و"التجديد في الأدب الإنجليزي الحديث" و"اليوم والغد" مقالات من إنشائه. و"التثقيف الذاتي" و"فن الحياة" و"العقل الباطن أو مكنونات النفس" و"المرأة ليست لعبة الرجل" و"تاريخ الفنون وأشهر الصور".

وجمع الناشرون مقالات له، بعضها مترجم، في كتب منها "اليوم والغد" و"مختارات سلامة موسى" و"في الحياة والأدب".

---

(١) نقلاً عن الأعلام للزركلي (بتصرف يسير)، والعلمانية وطلائعها في مصر، لفتحي القاسمي (ص ١٧٠ وما بعدها).

وكتب في مجلات وصحف متعددة لم يكن يستقر في الانقطاع إلى إحداها، إلى أن مات عام ١٣٧٨هـ في أحد مستشفيات القاهرة.

وكان كثيرالتجني على كتب التراث العربي، يناصر بدعة الكتابة بالحرف اللاتيني(١).

ملخص فكره:

تدور أفكار النصراني سلامة موسى حول نشر الاشتراكية والعلمانية في بلاد المسلمين؛ كشأن صاحبيه فرح أنطون وشبلي شميّل، إلا أنه فاقهم في ذلك؛ بحكم كونه مصري النشأة، مما جعله أجرأ منهم في نشر انحرافاته، وأكثر إنتاجاً.

ولقد تميز سلامة موسى عن صاحبيه ـ أيضاً ـ بتطرفه في الدعوة إلى تحرير المرأة، وتسهيل السبل أمامها للسفور والتبرج.

انحرافاته:

١- نصرانيته؛ فهو أحد أقباط مصر.

٢- بغضه للإسلام وأهله، ومحاولة تزهيد الشباب عن التمسك به، وتصويره بأقبح الصور

يقول الهالك عن أمنياته وهو في سن الستين:

(لن أكف عن تأليف الكتب المقلقة، مثل: نظرية التطور، أو حرية الفكر. خمائر صغيرة أبعثها في أنحاء الوادي وغيره إلى الأقطار العربية؛ كي أزعزع التقاليد السوداء، وأحرق العفن الذي تركته على العقول المطموسة) (تربية سلامة موسى، ص ٢٩١).

---

(١) أحمد أبو كف، في مجلة الكتاب العربي : العدد ٢٨ وإبراهيم التيوتي، في جريدة العلم بالرباط ١٩٥٨/٨/١٥ والعهد الجديد ٥٨/٨/١٣ والأهرام ٥٨/٨/١٠.

ويقول: (ربما كان الأزهر أكبر ما عاق تفكيري الحر) (المرجع السابق، ص ٣٣٨).

و(نادى بأن تتكاتف الجمعيات الخيرية القبطية لمواجهة أعدائها)! (العلمانية وطلائعها.. ، ص١٧٥ـ ١٧٦).

٣- دعوته إلى العلمانية في بلاد المسلمين؛ فهو أحد طلائعها.

يقول: (إذا خرج الدين من دائرة علاقة الإنسان بالكون، وأخذ يقرر أصول المعاملة بين الناس، من تجارة وزواج وامتلاك وحكومة ونحو ذلك، فإنه عندئذٍ يقرر الموت لكل من يؤمن به) (مقدمة السبرمان، ضمن المؤلفات الكاملة لسلامة موسى ١/ ٢٣).

ويقول: (الرابطة الدينية وقاحة. فإننا أبناء القرن العشرين أكبر من أن نعتمد على الدين جامعة تربطنا) (اليوم والغد، ضمن المؤلفات الكاملة لسلامة موسى، (١/ ٦٦١).

ـ يقول فتحي القاسمي: (ما انفك سلامة موسى يدافع عن مشروعه العلماني على امتداد خمسة عقود من الزمن) (العلمانية ...، ص٣٠٥)

ـ ويقول: (كان كتابه "مقدمة السبرمان" ١٩١٠م دعوة مبكرة للعلمنة ـ التي تواتر ذكرها فيه مراراً ـ) (السابق، ص١٧٨)

ـ ويقول عنه أيضاً ـ: (كان يطمح إلى بناء مجتمع علماني) (السابق، ص٢١٧-٢١٨).

٤- دعوته إلى الاشتراكية:

حيث (كان طبعه لكتاب "الاشتراكية" بمصر ١٩١٣م دعوة ملحة من أجل قيام مجتمع اشتراكي فكراً وممارسة) (السابق، ١٧٨).

يقول سلامة: (إني أعتقد بالمستقبل الاشتراكي للعالم كما لمصر، وأعمل له) (تربية سلامة، ص ٣١٩).

ويقول: (ليس في العالم من تأثرت به وتربيت عليه مثل كارل ماركس) (السابق، ص ٣١٣).

- ويقول عنه موسى صبري: (هو في مقدمة العقول التي دعت إلى الفكر الاشتراكي في مصر) (أبي، لرؤف سلامة موسى، ص٢٦،٢٥).

- ويقول القاسمي في كتابه (العلمانية وطلائعها في مصر):

(لقد استمر سلامة موسى يدعو إلى الاشتراكية على امتداد نصف قرن) (ص ٢٥٣) .

وقال عنه - أيضاً -: (أُشْرب قلبه حب الاشتراكية والمبادئ التي نادى بها ماركس) (السابق، ص١٧٢).

وألف في ذلك كتاباً بعنوان (الاشتراكية) - كما سبق -.

٥- دعوته إلى وحدة الأديان: وهذه الفكرة من أخطر الأفكار وأخبثها في صرف المسلمين عن دينهم، أو ترويج الكفر بينهم ورضاهم به، وخلط الحق بالباطل[1].

وقد غلف الهالك دعوته تلك بالترويج لفكرة (الإنسانية) التي اقتبسها من إخوانه نصارى الغرب؛ لتمرير فكرة (وحدة الأديان) بين المسلمين.

يقول فتحي القاسمي: (كان سلامة موسى قد تربى منذ شبابه على حب الإنسانية، وظل تعلقه شديداً بآراء "نيتشه" الذي مجّد قوة الإنسان،

(١) انظر لمعرفة خطر هذه الفكرة الكفرية: كتاب (الإبطال لنظرية الخلط بين دين الإسلام وغيره من الأديان) للشيخ بكر أبو زيد ـــ وفقه الله ـــ.

واعتبر سلامة موسى ثاني من عرّف بآراء "نيتشه" في الشرق، وذلك منذ سنة ١٩٠٩م. وقد كان إفراطه في الاعتداد بالإنسان، والإيمان بتفوقه شديداً لما كان طالباً بلندن، وهو ما حفزه على تأليف باكورة إنتاجه "مقدمة السبرمان" الذي بدا فيه نيتشياً إلى النخاع) (العلمانية.. ص٢٣٩).

ـ ويقول سلامة عن نفسه: (إني أؤمن بالمسيحية والإسلام واليهودية) (تربية سلامة موسى، ص ٣١٧).

ويقول: (إن جميع الأديان سواء، حيث إنها تنشد الحياة الطيبة) (السابق، ص٢٥٤).

وقال معلقاً على أبيات الملحد ابن عربي:

وقد صار قلبي قابلاً كل صورة
فمرعىً لغزلان ودَير لرهبان
وبيت لأوثان وكعبة طائف
وألواح توراة ومصحف قرآن
أدين بدين الحب أنى توجهت
ركائبه فالحب ديني وإيماني

(من الحسن أن تذاع مثل هذه الأبيات الذهبية وتُعلق في بيوتنا على الجدران)!! (السابق، ص ٢٥٨).

٦- دعوته إلى تحرير المرأة: (حيث كان من المعجبين بمظاهر تحرر المرأة الفرنسية، وخصوصاً الإنجليزية، وكان من المتأثرين بالحركة النسائية في العالم) (العلمانية...، ص ٢٦٠).

و(كان متحمساً للاختلاط بين الجنسين، ومعتبراً التحرر الجنسي عند الفرنسيين ـ مثلاً ـ سعادة) (السابق، ص ٢٦٣).

٧- دعوته إلى (الدارونية): ثم التدرج منها ـ كما فعل أصحابه ـ إلى تطور الأديان؛ لمحاولة صرف المسلمين عند دينهم.

ـ يقول سلامة موسى عن نظرية دارون بأنها : (غرست في نفسي مزاج الكفاح ؛ لأنها تصدت للعقائد والتقاليد) !! (تربية سلامة موسى، ص١٧٦).

ـ ويقول: (التطور ناموس عام يشمل جميع الجهود الإنسانية الأدبية والمادية والاجتماعية لا تستثني في ذلك الأديان والمذاهب) (مختارات سلامة موسى، ص٥٩).

ـ بل وصل به تطرفه في الدعوة إلى نظرية دارون إلى أن قال بأن على: (أبناء الشعوب العربية أن يجعلوا من التطور عقيدة، بل عقيدة دينية، إذا كفر بها إنسان فإنه لن يعاقب على كفره بجهنم بعد الموت، ولكنه يعاقب بالموت أو الفقر والذل وهو حي في هذا العالم)! (الإنسان قمة التطور، سلامة موسى، ص ١٣٧).

- وقد (أصدر كتابه "نشوء فكرة الله" ١٩١٢م لبيان أن التوحيد سابق للأديان السماوية !! وقد اعتمد في ذلك على آراء "جرانت إلين") (العلمانية..، ص١٧٨).

٨- دعوة المسلمين إلى الامتزاج بأوروبا والغرب، موهماً إياهم بأن ذلك السبيل الوحيد للنجاح والفلاح، يقول سلامة:

(الرابطة الحقيقية التي تثبت على قاعدة وترسخ ولا تتزعزع، هي رابطة الحضارة والثقافة، هي رابطتنا بأوربا التي أخذنا عنها حضارتنا الراهنة، ومنها تثقفنا ثقافتنا الجديدة) (اليوم والغد، ضمن المؤلفات الكاملة لسلامة موسى(١/ ٦٦٢).

٩- دعوته إلى محاربة اللغة العربية والانتقال عنها إلى اللاتينية!،

يقول الهالك: (لن يكون في بلادنا نهضة علمية، ولن ترقى الصناعة إلا حين تتخذ الحروف اللاتينية أي لن تستعرب العلوم إلا إذا "استلتن" الهجاء العربي) (البلاغة العصرية واللغة العربية، سلامة موسى ، ص١٦٥).

هذه أبرز انحرافات النصراني القبطي سلامة موسى على عجل، تكشف مدى مساهمته في حمل لواء التغريب في بلاد المسلمين، حيث ضلل الكثيرين من أبناء الإسلام ممن رأوا فيه (طليعة) حضارية ! وعقلاً متقدماً ، فتربوا على أفكاره وتراثه ، فكان لهم المرشد إلى الشر، كما سيأتي مثال ذلك عند الحديث عن (نجيب محفوظ) ـ إن شاء الله ـ.

أسأل الله أن يبصر المسلمين بأعدائهم ، وأن يُحبط كيد اليهود والنصارى، وينصر دينه.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.



نظرة شرعية
في فكر
علي عبد الرازق



نظرة شرعية في فكر (علي عبد الرازق)

ترجمته[١]:

- هو: علي عبد الرازق.

- ولد في قرية "أبو جرج" بمحافظة "المنيا"، من صعيد مصر سنة ١٣٠٥هـ ١٨٨٧م.

- التحق ـ بعد أن حفظ القرآن الكريم ـ بالأزهر ـ في القاهرة ـ وكان من شيوخه الذي تلقى عنهم العلم الشيخ أحمد أبو خطوة [١٢٦٨ـ ١٣٢٤هـ ١٨٥٢ـ ١٩٠٦] والشيخ أبو عليان.

- في سنة ١٠٠٨م نشأت الجامعة المصرية. لتنهج في التعليم مناهج الحضارة الغربية فالتحق بها علي عبد الرازق، وجمع بين الدراسة فيها والدراسة في الأزهر الشريف.

- في سنة ١٩١٢م تخرج من الأزهر، وحصل على شهادة "العالمية".

- وعقب تخرجه سافر إلى إنجلترا على نفقة أسرته، والتحق هناك بجامعة أكسفورد عازماً على دراسة الاقتصاد.. لكن اندلاع الحرب العالمية الأولى جعله يعود إلى مصر سنة ١٩١٥م.

- في سنة ١٩١٥م عين قاضياً شرعياً.. واستمر في هذا العمل حتى أصدر كتابه [الإسلام وأصول الحكم] سنة ١٩٢٥م ـ وكان قاضياً بمحكمة المنصورة الشرعية ـ فكان من تداعي أحداث المعركة السياسية التي أثارها هذا الكتاب أن فصل من عمله في ١٧ من سبتمبر سنة

---

(١) انظرها موسعة في تقديم الدكتور محمد عمارة لكتاب (الإسلام وأصول الحكم) لعلي عبد الرازق.

١٩٢٥م ٢٩ من صفر سنة ١٣٤٤هـ. تنفيذاً للحكم التأديبي الذي أصدرته "هيئة كبار العلماء" في ١٢ من أغسطس سنة ١٩٢٥م ٢٢ من محرم سنة ١٣٤٤هـ، والذي أخرجته بموجبه من "زمرة العلماء" !

- وبعد ذلك سافر إلى لندن، دارساً.. وإلى شمالي أفريقيا، سائحاً.. ومن هناك كتب عدداً من المقالات التي نشرتها له مجلة [السياسة] التي كان يصدرها، الأحرار الدستوريون".

- وبعد أن تولى أخوه الشيخ مصطفى عبد الرازق باشا [١٣٠٢ـ ١٣٦٦هـ ١٨٨٥ـ ١٩٤٦م] مشيخة الأزهر سنة ١٩٤٥م. أعاده إلى زمرة العلماء!

- دخل الوزارة، وزيراً للأوقاف، ما بين ٢٨ من ديسمبر سنة ١٩٤٨م و٢٥ من يوليو سنة ١٩٤٩م في الوزارة التي رأسها إبراهيم عبد الهادي باشا [١٣١٦ـ١٤٠١هـ] [١٨٩٨ـ١٩٨١م].. كما شغل عضوية مجلس النواب، ومجلس الشيوخ.. وعين عضواً بمجمع اللغة العربية.

- توفي في جمادى الآخرة من عام ١٣٨٦هـ الموافق ٢٣ سبتمبر ١٩٦٦م.

مؤلفاته:

١- الإسلام وأصول الحكم.

٢- الإجماع في الشريعة الإسلامية.

٣- أمالي علي عبد الرازق.

انحرافاته:

١- تأليفه كتاب (الإسلام وأصول الحكم) بعد سقوط الخلافة العثمانية! ليقول فيه بأن الإسلام دين لا دولة، ورسالة روحية لا علاقة

لها بالحكومة والسياسة الدنيوية وعمارة الكون وتنظيم المجتمعات. وأن محمداً - ﷺ - لم يؤسس دولة! ولم يرأس حكومة ! ولم يسس مجتمعاً !، ولم يدعُ إلى شيء من ذلك، بل كان رسولاً فقط، ما عليه إلا البلاغ.

فهو يسقط نظرة النصارى إلى دينهم على دين الإسلام، ويدعو إلى علمانية تفصل بين الدين والدولة، ومما يلفت النظر في فعله هذا أمران:

١- أنه أصدره بعد سقوط الخلافة العثمانية من قبل الصنم (كمال أتاتورك) عام (١٩٢٤م).

٢- أن هذا العمل جاء من شيخ أزهري!

- بعد صدور كتابه هذا قام العلماء في الأزهر بدارسته ثم محاكمة مؤلفه وإخراجه من زمرة العلماء.

وقد لخصوا في بيانهم وحكمهم أهم انحرافات الكتاب، وهي:

١- جعل الشريعة الإسلامية شريعة روحية محضة لا علاقة لها بالحكم والتنفيذ في أمور الدنيا.

٢- وأن الدين لا يمنع من أن جهاد النبي - ﷺ - كان في سبيل الملك لا في سبيل الدين ولا لإبلاغ الدعوة إلى العالمين.

٣- وأن نظام الحكم في عهد النبي - ﷺ - كان موضوع غموض أو إبهام أو اضطراب أو نقص وموجباً للحيرة.

٤- وأن مهمة النبي - ﷺ - كانت بلاغاً للشريعة مجرداً عن الحكم والتنفيذ.

٥- إنكار إجماع الصحابة على وجوب نصب الإمام، وعلى أنه لابد للأمة ممن يقوم بأمرها في الدين والدنيا.

٦- إنكار أن القضاء وظيفة شرعية.

٧- وأن حكومة أبي بكر والخلفاء الراشدين من بعده ـ ﷺ ـ كانت لا دينية.

(انظر: حكم هيئة كبار العلماء في كتاب الإسلام وأصول الحكم، ص٥،٦)

ثم فند العلماء هذه الانحرافات في حكمهم السابق، فليراجع

ـ رد على هذا الكتاب مجموعة من العلماء، من أهم تلك الردود: كتاب (نقض كتاب الإسلام وأصول الحكم) للشيخ محمد الخضر حسين، الصادر سنة ١٩٢٦م.

ـ يقول الأستاذ أنور الجندي: (كتاب الإسلام وأصول الحكم ليس من تأليف علي بعد الرازق بل من تأليف مرجليوث.

كان السؤال عن دعوى علي عبد الرازق في كتابه (الإسلام وأصول الحكم) التي لا تزال قوى التغريب والغزو الثقافي والماركسيون والشعوبيون تجدد نشرها.. لخداع جماهير المسلمين عن حقيقة دينهم، وإذاعة مفهوم الدين العبادي القائم على الروحيات والمساجد وإنكار حقيقة الإسلام.. بوصفه ديناً ومنهج حياة، ونظام مجتمع، ويقوم الادعاء الخبيث الذي يثيره الاستشراق والشعوبية على أن في الإسلام مذهبين.. أحدهما يقول: بأن الإسلام دين ودولة.. والآخر يقول: بأن الإسلام دين روحي.. ويضعون علي عبد الرازق على رأس الفريق الذي يقول هذا القول. والواقع أن الإسلام ليس فيه غير رأي واحد.. هو الرأي الأول.. وأن ما ذهب إليه علي عبد الرازق عام ١٩٢٥م لم يكن من الإسلام في شيء .. ولم يكن علي عبد الرازق نفسه إماماً مجتهداً.. وإنما كان قاضياً شرعياً تلقفته قوى التغريب فاصطنعته تحت اسم (التجديد) ودعي علي عبد الرازق إلى لندن لحضور حلقات الاستشراق التي تروّج

للأفكار المعارضة لحقيقة الإسلام وهدم مقوماته.. وأهدى هذا الكتاب الذي وضع عليه اسمه مترجماً إلى اللغة العربية وطلب إليه أن يضيف إلى مادته بعض النصوص العربية التي يستطيع اقتباسها من كتب الأدب. أما الكتاب نفسه فكان من تأليف قزم من أقزام الاستشراق، وداهية من رجال الصهيونية واليهودية العالمية.. هو (مرجليوث) الذي تقضي الصدف أن يكون صاحب الأصل الذي نقل عنه طه حسين بحثه عن (الشعر الجاهلي) والذي أطلق عليه محمود محمد شاكر (حاشية طه حسين على بحث مرجليوث)! ويمكن أن نطلق الآن اسم (حاشية علي عبد الرازق على بحث مرجليوث)، وقد كشف هذه الحقيقة الدكتور ضياء الدين الريس في بحثه القيم (الإسلام والخلافة في العصر الحديث).

وهكذا نجد أن السموم المثارة في أفق الفكر الإسلامي توضع أساساً من رجال التغريب.. ثم تختار لها أسماء عربية لتحمل لواءها وتذيعها.. إيماناً بأن الاسم العربي أكثر تأثيراً، وأبعد أثراً في خداع الجماهير.

ولقد طالما تحدث التغريبيون عن كتاب (الشعر الجاهلي) و(الإسلام وأصول الحكم) على أنهما دعامة النهضة في الفكر الحديث.. ونحن نرى أنهما دعامة التغريب التي حاولت خداع جماهير المسلمين عن حقائق الإسلام العظيم.

ومع أن حركة اليقظة الإسلامية واجهت كتاب علي عبد الرازق المنحول وفندت فساد وجهته وأخطائه.. فإن قوى التغريب لا تزال تعيد نشره وطبعه، مع مقدمات ضافية يكتبها كتاب مضللون شعوبيون يخدعون الناس بألقابهم وأسمائهم.. وهم يجدون في هذه الفترة التي يرتفع فيها صوت تطبيق الشريعة الإسلامية. والدعوة إلى الوحدة

الإسلامية مناسبة لنفث هذه السموم مرة أخرى.. ولن يجديهم ذلك نفعاً.. فإن كلمة الحق سوف تعلو وتنتشر وتدحض باطل المضللين مهما تجمعوا له وقدموه في صفحات براقة مزخرفة، وأساليب خادعة كاذبة.
إن أول من كشف حقيقة الكتاب هو الشيخ (محمد بخيت) الذي رد على الشيخ علي عبد الرازق في كتابه (حقيقة الإسلام وأصول الحكم) وهو واحد من الكتب التي صدرت في الرد عليه.. حيث قال:
(لأنه علمنا من كثيرين ممن يترددون على المؤلف أن الكتاب ليس له منه إلا وضع اسمه عليه فقط.. فهو منسوب إليه فقط.. ليجعله واضعوه من غير المسلمين ضحية هذا العار، وألبسوه ثوب الخزي إلى يوم القيامة). قد علق الشيخ علي عبد الرازق على هذا المعنى حين قال للماركسيين الذين اتصلوا به سنة ١٩٦٤ لإعادة طبع كتابه أن هذا الكتاب كان شؤماً عليه، وقد ألصق به كثيراً من المتاعب والشبهات.. والحقيقة أنه بعد أن طرده الأزهريون من (هيئة العلماء) ظل منسياً ومهجوراً وعاش بقية حياته منقطعاً عن الحياة العامة.. بالرغم من أن محاولات جرت لإعادته إلى زمرة العلماء، وإلى مجمع اللغة.. فقد كان أشبه باللعنة على حياته كلها. ومن هذا الخيط الرفيع بدأت محاولة الدكتور ضياء الدين الريس فاستطاع أن يصل إلى الحقيقة بأن كاتب الكتاب في الحقيقة هو مستشرق إنجليزي يهودي الأصل شن الهجوم على الخلافة .. لأن بلاده (بريطانيا) كانت في حرب مع تركيا.. وقد أعلن الخليفة العثماني الجهاد الديني ضدها.. والنصوص في الكتاب قاطعة بأنه كان موجهاً ضد الخلافة العثمانية.. فإنه يذكر بالاسم (السلطان محمد الخامس) الخليفة في ذلك الوقت الذي كان يسكن

(قصر يلدز) وهناك نص آخر عن (جماعة الاتحاد والترقي) وهي التي كانت تحكم تركيا.. أي دولة الخلافة طوال أعوام الحرب العالمية الأولى.. ونقول: إن الاتحاديين تلاميذ الماسونيين، وقد تربوا في محافلهم واعتنقوا شعارهم ومفاهيمهم، وقاموا بدور مسموم وهو فتح باب فلسطين أمام اليهود المهاجرين.. وكان السلطان عبد الحميد قد رفض ذلك، وكانوا هم ـ أي الاتحاديون ـ أداة الصهيونية العالمية في إسقاط هذا السلطان الشهيد..

ورجح الدكتور ضياء الدين الريس أن مرجليوث اليهودي الذي كان أستاذاً للغة الغربية في أكسفورد بريطانيا هو كاتب الكتاب.. لأن آراء الكتاب هي آراؤه التي كتبها من قبل عن الدولة الإسلامية، وفندها الدكتور ضياء الدين الريس في كتابه (النظريات السياسية في الإسلام) وأثبت خطأها وبطلانها بالأدلة العلمية.. وهو يكتب عن الإسلام بنزعة حقد شديد، ويتسم أسلوبه بالمغالطات والمعلومات المضللة، والقدرة على التمويه.. كما يتصف بالالتواء.. وهذه الصفات كلها تظهر في هذا الكتاب المنسوب إلى الشيخ عبد الرازق.. ومعروف أن الشيخ علي عبد الرازق ذهب إلى بريطانيا وأقام فيها عامين.. فلا بد أنه كان متصلاً بالمستر مرجليوث. أو تتلمذ عليه.. وكذلك توماس أرنولد الذي يشير إليه الشيخ ويصفه بالعلامة قد ألف كتاباً عن الخلافة هاجم فيه الخلافة بوجه عام، والعثمانية بوجه خاص .. وقد نقدناه (القول للدكتور الريس) في كتابنا (النظريات السياسية الإسلامية). والقصة تتلخص في أنه إبان الحرب العالمية الأولى والحروب دائرة بين الخليفة العثماني وبريطانيا .. أعلن الخليفة الجهاد الديني ضد بريطانيا ودعا

المسلمين أن يهبوا ليحاربوها، أو يقاوموها.. وكانت بريطانيا تخشى غضب المسلمين الهنود بالذات أو ثورتهم عليها.. في هذه الفترة كلفت المخابرات البريطانية أحد المستشرقين الإنجليز أن يضع كتاباً يهاجم فيه الخلافة وعلاقتها بالإسلام، ويشوه تاريخها ليهدم وجودها ومقامها ونفوذها بين المسلمين .. وقد استخدمت السلطات البريطانية هذا الكتاب في الهند وفي غيرها .. وبعد أن انتهت الحرب كان الشيخ عبد الرازق قد اطلع على هذا الكتاب أو عثر عليه.. هذا إن لم يفرض أن هذا كان باتفاق بينه وبين هذا المستشرق الذي اتصل به حينما كان في إنجلترا أو في بعض الجهات البريطانية التي كانت تعمل في الخفاء للقضاء على فكرة الخلافة، أو التي تحارب الإسلام.. فأخذ الكتاب إلى اللغة العربية، أو أصلح لغته إن كان بالعربية، وأضاف إليه بعض الأشعار أو الآيات القرآنية التي تبدو أنها لم تكن في أصل الكتاب، وبعض الهوامش والفقرات، وأخرجه للناس على أنه كتاب من تأليفه.. ظناً منه أنه يكسبه شهرة، ويظهره باحثاً علمياً، ومتفلسفاً ذي نظريات جديدة.. غير مدرك ما في آرائه أو في ثناياه من خطورة.. ولا يستغرب هذا لأنه لم يدرك أن إنكار القضاء الشرعي هو إنكار لوظيفته نفسها وعمله، وإلغاء لوجوده.. وكانت هذه هي البدعة السائدة في ذلك الوقت بين كتاب (السياسة) جريدة من أسموا أنفسهم (حزب الأحرار الدستوريين).. وهذا هو الذي فهمه (أمين الرافعي) فكتب في جريدة الأخبار أنه لم يستغرب أن يقدم الشيخ علي عبد الرازق على إصدار هذا الكتاب.. لما عرف عنه من الضعف في تحصيل العلوم، والإلحاد في العقيدة.. ثم قال: هذا إلى أنه انغمر منذ سنين في بيئة ليس لها من

أسباب الظهور سوى الافتئات على الدين، وتقمص أثواب الفلاسفة والملحدين، وصار خليقاً باسم (الأستاذ المحقق) والعلامة الكبير.

ولم يعرف الأستاذ الرافعي أن المؤلف الحقيقي ربما كان غير الشيخ عبد الرازق.. ولكن كلامه يكاد يكون إثباتاً لذلك.. وهناك قرائن أخرى:

أولاً: ذكر اسم كتاب مترجم عن التركية طبعة عام ١٩٢٤.. بينما هناك فقرة تنص على أن تاريخ التأليف قبل عام ١٩١٨.. وأنها ذكرت اسم السلطان محمد الخامس.. وقيل في الهامش أنه كتب في عهده.. وأقرب تفسير لذلك أن الكتاب ليس من تأليف شخص واحد.

ثانياً: يتحدث المؤلف عن المسلمين كأنه أجنبي عنهم وهم منفصلون عنه.. فيذكرهم بضمير الغائب ولا يقول عندنا.. أو العرب.. أو نحو ذلك.. كما يقول المسلم عادة.

ثالثاً: يكرر الشيخ عبد الرازق عبارة: عيسى وقيصر (مرتين).. ويكرر هذه الجملة التي يسميها الكلمة البالغة (دع ما لقيصر لقيصر وما لله لله) مع أن أي مسلم صحيح الإسلام لا يمكن أن يؤمن بهذا التعبير.. وأن قيصر وما لقيصر لله رب العالمين.

رابعاً: يتعاطف مع المرتدين الذين خرجوا على الإسلام. وشنوا الحرب على المسلمين.. فيدافع عنهم.. في نفس الوقت الذي يحمل على رأي أبي بكر الصديق المسلم الأول بعد رسول الله ـ ﷺ ـ فينكر خلافته.. ويقول إن محاربته لهؤلاء المرتدين لم تكن حرباً من أجل الدين.. ولكن نزاعاً في ملوكية ملك ولأنهم (رفضوا أن ينضموا لوحدة

أبي بكر) وما هي وحدة أبي بكر يا عدو أبي بكر والإسلام.. أليست هي وحدة المسلمين..؟! ويقول (حكومة أبي بكر) أو ليست هي حكومة الإسلام والمسلمين..؟! ويتكلم عن أبي بكر هكذا بغير احترام أو تبجيل.. كأنه رجل عادي.. أو كما يتكلم عدو.

هل هذا هو أسلوب المسلم.. فضلاً عن الشيخ.. في الكلام عن الصحابة.. وعن أفضل الناس وأحبهم إلى رسول الله ـ ﷺ ـ وخير من دافعوا عن الإسلام، وجاهدوا في سبيل الله ـ ﷻ ـ؟!

خامساً: أن الأسلوب الذي كتب به الكتاب أسلوب غريب.. ليس مألوفاً في الكتب العربية.. فهو أسلوب مناورات ومراوغة، ويتصف بالالتواء واللف والدوران.. فهو يوجه الطعنة أو يلقي بالشبهة.. ثم يعود فيتظاهر بأنه ينكرها ولا يوافق عليها ويفلت منها .. ثم ينتقل ليقذف بشبهة أو طعنة أخرى على طريقة (اضرب واهرب). وحين يهاجم يصوغ عباراته في غموض.. وهذا يدل على أسلوب رجل سياسي متمرن في المحاورة والمخادعة.. وهو أشبه بالأسلوب الإفرنجي، وأسلوب الدعايات السياسية، أو الدينية التبشرية.. وليس هو أبداً الأسلوب العربي الصريح.. فضلاً عن أسلوب أحد الشيوخ المتعلمين في الأزهر.. وهذا مما يغلب الرأي بأنه كتاب مترجم.

سادساً: لم يعرف عن الشيخ علي عبد الرازق ـ من قبل ـ أنه كان كاتباً تمرس في الكتابة، ومرن على التأليف.. فيكتب بهذا الأسلوب، ويتعمد الطعن في الإسلام وتاريخه وعظماء رجاله.

ولم يعرف للشيخ كتاب أو مقالات قبل هذا الكتاب (أي في السياسة والتاريخ) بل كل ما كتب من قبل كان (كتيباً) في اللغة أو في

علم البيان وهذا كل إنتاجه في أربعة عشر عاماً بعد تخرجه من الأزهر.

ثم بعد أن كتب هذا الكتاب ظل أربعين عاماً لم يكتب كتاباً آخر في نفس موضوعه أو مثله، ولم يحاول أو لم يستطع حتى أن يدافع عن نفسه ويرد على خصومه بكتاب آخر.

سابعاً: هناك من القرائن والأدلة العديدة ما يدعو العقل إلى أن يرجح صحة الخبر الذي رواه فضيلة المفتي الشيخ محمد بخيت نقلاً عن كثيرين من أصحاب الشيخ علي عبد الرازق المترددين عليه من أن مؤلف الكتاب شخص آخر من غير المسلمين.. وقد غلبنا نحن أنه أحد المستشرقين.. ولكننا نقيد هذا الخبر بأن الشيخ قد أضاف بعض فقرات وتعليقات، وأنه هو الذي أورد الآيات من القرآن .. الظاهر أنها محشورة .. مجموعات في مكان واحد، وأبيات الشعر التي استشهد بها. كما كتب المقدمة التي زعم فيها أنه بدأ البحث في تاريخ القضاء منذ سنة ١٩١٥.. وذلك ليغطي المفارقة الظاهرية بين وضع الكتاب ووقت صدوره.. فإنه من غير المعقول أن يستغرق تأليف كتيب لا يزيد عن مائة صفحة عشر سنوات.

ثامناً: كانت هناك أسباب ودوافع مختلفة دفعت الشيخ إلى إصدار هذا الكتاب.. ولكن كان أقواها في نهاية الأمر حب الظهور والرغبة في الشهرة، وأن يوصف بأنه باحث أو محقق أو مجدد.. كما فعل غيره من قبل.. ونحن نعرف أن مسألة انتحال الكتب أو عدم الأمانة نسبة الأمور والمعلقات مسألة مألوفة في الشرق. ولا سيما النقل من الكتب الأجنبية.

وفي مثل هذه المسائل بالذات.. فإن هذه الحالة أسهل.. لأن النقل أو الترجمة من كتيب مجهول.. أو كانت المسألة بتصريح أو اتفاق لخدمة

غرضين، فالطرف الأول يريد نشر آرائه لغايات سياسية ودينية والطرف الثاني له مأرب سياسي أيضاً.. ولكن الدافع الذاتي أنه يريد الشهرة أو الظهور أو الغرور" ا.هـ كلام الأستاذ أنور الجندي ـ رحمه الله ـ من كتابه (إعادة النظر في كتابات العصريين في ضوء الإسلام، ص٥٥ ـ٦١).

نظرة شرعية
في فكر
عبد الرزاق السنهوري

نظرة شرعية في فكر (عبد الرزاق السنهوري)

ترجمته[(١)]:

ـ هو عبد الرزاق بن أحمد السنهوري، ولد في ١١ آب من عام ١٨٩٥م في مدينة الإسكندرية. وكان والده موظفاً بمصلحة الصحة.

ـ دخل مدرسة راتب باشا الابتدائية، ثم مدرسة العباسية الثانوية، فتخرج فيها وكان ترتيبه الثاني في جميع القطر المصري. ثم انتقل إلى القاهرة ودخل مدرسة الحقوق سنة ١٩١٣م، ونجح إلى الصف الثاني، فتوفي والده عام ١٩١٤م، فاضطر إلى التوظف في مراقبة الحسابات في وزارة المالية، واستمر في دراسته (منتسباً)

ـ حصل على شهادة الليسانس عام ١٩١٧م، وكان ترتيبه الأول.

ـ تعين وكيلاً للنائب العام في المنصورة عام ١٩١٧م. ثم انتقل إلى مدرسة القضاء الشرعي لتدريس القانون فيها عام ١٩٢٠م.

ـ سافر في بعثة إلى فرنسا، وتتلمذ على القانوني الفرنسي (لامبير)، وحصل على شهادة الدكتوراه في العلوم القانونية سنة ١٩٢٥م برسالته (القيود التعاقدية الواردة على حرية العمل)، ثم حصل على الدكتوراه في العلوم الاقتصادية والسياسية، وكان موضوع رسالته (الخلافة الإسلامية)، ثم على الدبلوم من معهد القانون الدولي بجامعة باريس.

ـ عاد إلى القاهرة عام ١٩٢٦م وعين مدرساً في كلية الحقوق، ثم

---

(١) انظرها موسعة في : رجال فكر وقانون، لأحمد فوزي. وفي كتاب الدكتور محمد عمارة عنه: (الدكتور عبد الرزاق السنهوري: إسلامية الدولة والمدينة والقانون) فقد ذكر العديد من المراجع لترجمته. وانظر أيضاً: الأعلام للزركلي.

اشتغل محامياً أمام محكمة النقض والإبرام، ثم عاد عام ١٩٣٥م إلى كلية الحقوق.

ـ انتدبته حكومة العراق عام ١٩٣٥ ـ ١٩٣٦م ليكون عميداً لكلية الحقوق، فأصدر مجلة (القضاء)، ووضع قانوناً مدنياً للعراق ـ كما سيأتي ـ، ثم عاد إلى مصر.

ـ في عام ١٩٣٨م انتقل من عمادة كلية الحقوق إلى وظيفة قاضي بالمحاكم المختلطة، ثم عُين وكيلاً لوزارة المعارف عام ١٩٣٩م، ثم في عام ١٩٤٢م اشتغل بالمحاماة.

ـ عُين عام ١٩٤٤م وكيلاً لوزارة العدل، ثم وزيراً للمعارف عام ١٩٤٥م ثم وزيراً للدولة، ثم وزيراً للمعارف مرة ثانية عام ١٩٤٦م، وأيضاً مرة ثالثة عام ١٩٤٨م.

ـ في عام ١٩٤٩م عُين السنهوري رئيساً لمجلس الدولة.

ـ حصل بينه وبين جمال عبد الناصر ورفاقه خلاف حاد أدى إلى طرده من مجلس الدولة عام ١٩٥٤م.

ـ اعتزل ـ بعد ذلك ـ الحياة العامة، ومنعته الحكومة من السفر إلى خارج مصر، واقتصر نشاطه على ندوة في منزله يقيمها مساء كل يوم أربعاء.

ـ توفي في ٢٧/٦/ ١٣٩١هـ بالقاهرة.

مؤلفاته:

١- (الأوراق الشخصية) ــ وهي مذكراته الشخصية ـ من ١٤ أغسطس سنة ١٩١٦م حتى ١١ أغسطس سنة ١٩٦٩م طبعت بالقاهرة سنة ١٩٨٨م.

٢- (القيود التعاقدية على حرية العمل في القضاء الإنجليزي - المعيار المرن والقاعدة الجامدة في القانون) - بالفرنسية - رسالة دكتوراه، من جامعة ليون - بفرنسا - سنة ١٩٢٥م نشرت في فرنسا ضمن مجموعة معهد القانون المقارن بجامعة ليون.

٣- (فقه الخلافة وتطورها لتصبح عصبة أمم شرقية) - بالفرنسية - رسالة دكتوراه في العلوم السياسية من جامعة ليون - بفرنسا - سنة ١٩٢٦م - نشرت بفرنسا - ضمن مجموعة مكتبة معهد القانون المقارن بجامعة ليون، وترجم القسم النظري منها إلى العربية، ونشر بالقاهرة سنة ١٩٨٩م.

٤- (الدين والدولة في الإسلام) بحث في مجلة المحاماة الشرعية - السنة الأولى - القاهرة سنة ١٩٢٩م.

٥- (تطور لائحة المحاكم الشرعية) - بحث في مجلة المحاماة الشرعية - السنة الأولى - العدد الثاني سنة ١٩٢٩م.

٦- (عقد الإيجار) - دروس لطلبة الليسانس بكلية الحقوق - القاهرة سنة ١٩٢٩م.

٧- (الامتيازات الأجنبية) - بحث نشر في مجلة القانون والاقتصاد - القاهرة سنة ١٩٣٠م.

٨- (الشريعة الإسلامية) - بحث بالفرنسية - قدم إلى المؤتمر الدولي للقانون المقارن - بلاهاي - سنة ١٩٣٢م.

٩- (تقرير عن المؤتمر الدولي للقانون المقارن) - بلاهاي - سنة ١٩٣٢م نشرت ترجمته ملخصة - مجلة القضاء العراقية - ببغداد.

١٠- (المسئولية التقصيرية) بحث بالفرنسية بالاشتراك مع الأستاذ

حلمي بهجت بدوي ـ نشرته مجلة القانون والاقتصاد ـ القاهرة ـ سنة ١٩٣٢م.

١١- (الشرق والإسلام) دراسة نشرتها صحيفة السياسة الأسبوعية ـ ملحق العدد ٢٩٣١ ـ القاهرة في ١٤ أكتوبر سنة ١٩٣٢م.

١٢- (وجوب تنقيح القانون المدني، وعلى أي أساس يكون هذا التنقيح) ـ بحث نشرته مجلة القانون والاقتصاد ـ السنة السادسة ـ العدد الأول ـ القاهرة سنة ١٩٣٣م.

١٣- (نظرية العقد) ـ دروس لطلبة الليسانس بكلية الحقوق ـ في ألف صفحة، القاهرة سنة ١٩٣٤م.

١٤- (مقدمة كتاب الالتزامات الأجنبية) ـ بحث تحليلي للمقترحات البريطانية بشأن الامتيازات الأجنبية ـ نشرته لجنة التأليف والترجمة والنشر ـ القاهرة سنة ١٩٣٦م.

١٥- (الإمبراطورية العربية التي نبشر بها) بيان، نشرته مجلة الرابطة العربية، السنة الأولى ـ العدد الثاني عشر ـ القاهرة ١٩٣٦م.

١٦- (الوحدة العربية) ـ ثلاثة مقالات ـ نشرتها مجلة الرابطة العربية ـ القاهرة سنة ١٩٣٦م.

١٧- (نبي المسلمين والعرب) ـ بحث نشرته مجلة الهداية العراقية ـ بغداد سنة ١٩٣٦م.

١٨- (تقديم) مجلة القضاء العراقية ـ في عهدها الجديد ـ بغداد ـ سنة ١٩٣٦م.

١٩- (عقد البيع في مشروع القانون المدني العراقي) ـ بغداد ـ سنة ١٩٣٦م.

٢٠- (عقد البيع في مشروع القانون العراقي) مجلة القضاء العراقية ـ بغداد سنة ١٩٣٦م.

٢١- (من مجلة الأحكام العدلية إلى القانون المدني العراقي ـ حركة التقنين المدنية في العصور الحديثة) ـ بغداد ـ سنة ١٩٣٦م.

٢٢- (مقارنة المجلة بالقانون المدني العراقي) ـ بغداد سنة ١٩٣٦م.

٢٣- (علم أصول القانون) دروس لطلبة حقوق العراق ـ بغداد ـ سنة ١٩٣٦م.

٢٤- (واجبنا القانوني بعد معاهدة سنة ١٩٣٦م) محاضرة ألقيت بالقاهرة في ٣١ ديسمبر سنة ١٩٣٦م.

٢٥- (المسئولية التقصيرية في الفقه الإسلامي) ـ بحث بالفرنسية ـ قدم إلى المؤتمر الدولي للقانون المقارن ـ بلاهاي ـ سنة ١٩٣٧م ونشرته مجلة القانون والاقتصاد ـ بالقاهرة.

٢٦- (المعيار في القانون) بحث ـ بالفرنسية ـ نشر في مجموع الأبحاث المهداة إلى الفقيه الفرنسي جيني ـ سنة ١٩٣٧م.

٢٧- (الشريعة الإسلامية كمصدر للتشريع المصري) ـ بحث بالفرنسية ـ نشر في مجموعة الفقيه الفرنسي إدوار لامبير سنة ١٩٣٧م.

٢٨- (الموجز في النظرية العامة للالتزامات) لطلاب الليسانس بكلية الحقوق ـ في ٧٥٠ صفحة ـ القاهرة سنة ١٩٣٨م.

٢٩- (أصول القانون) لطلبة الليسانس بكلية الحقوق ـ القاهرة سنة ١٩٣٨م بالاشتراك مع الأستاذ أحمد حشمت أبو ستيت.

٣٠- (تطبيق نظرية الظروف الطارئة على عقود البيع المبرمة قبل قانون الإصلاح الزراعي) ـ مجلة المحاماة ـ القاهرة سنة ١٩٤١م.

٣١- (مشروع تنقيح القانون المدني المصري) ـ محاضرة ألقيت بالجمعية الجغرافية الملكية ـ بالقاهرة في ٢٤ أبريل سنة ١٩٤٢م ونشرتها مجلة القانون والاقتصاد ـ السنة الثانية عشرة.

٣٢- (وصية غير المسلم وخضوعها للشريعة الإسلامية) ـ بحث كبير ـ قدم كمذكرة قانونية إلى محكمة النقض ـ القاهرة سنة ١٩٤٢م.

٣٣- (الروابط الثقافية والقانونية في البلاد العربية) ـ القاهرة سنة ١٩٤٦م.

٣٤- (التعاون الثقافي والتشريعي بين البلاد العربية) محاضرة ألقيت في الجمعية المصرية للقانون الدولي ـ بمؤتمرها الثاني ـ القاهرة في ٢٤ مايو سنة ١٩٤٦م.

٣٥- (المفاوضات في المسألة المصرية) القاهرة سنة ١٩٤٧م.

٣٦- (تقارير مجلس الدولة) منذ ولايته سنة ١٩٤٩م وحتى سنة ١٩٥٤م.

٣٧- (تقديم مجلة مجلس الدولة) منذ عددها الأول يناير سنة ١٩٥٠م وحتى سنة ١٩٥٤م.

٣٨- (رثاء عبد العزيز باشا فهمي) العدد الثاني من مجلة مجلس الدولة سنة ١٩٥١م.

٣٩- (علمتني الحياة) مجلة الهلال ـ القاهرة ـ سنة ١٩٥١م.

٤٠- (مخالفة التشريع للدستور والانحراف في استعمال السلطة التشريعية) مجلة مجلس الدولة ـ السنة الثالثة ـ سنة ١٥٢م.

٤١- (القانون المدني العربي) بحث ـ نشر بمجموعة الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية ـ القاهرة ـ سنة ١٩٥٣م.

٤٢- (تصدير) للترجمة العربية لكتاب "تاريخ النظريات السياسية" ترجمة الأستاذ حسن جلال العروسي ـ القاهرة ـ سنة ١٩٥٣م.

٤٣- (الوسيط في شرح القانون المدني) ـ خمسة عشر ألف صفحة ـ في عشرة أجزاء. صدر الأول منها سنة ١٩٥٤م والثاني سنة ١٩٥٦م، والثالث سنة ١٩٥٨م، والرابع سنة ١٩٦٠م، والخامس سنة ١٩٦٢م، والسادس سنة ١٩٦٣م، والسابع سنة ١٩٦٤م، والثامن ١٩٦٧م، والتاسع سنة ١٩٦٨م، والعاشر سنة ١٩٧٠م.

٤٤- (الوجيز) وهو تلخيص للوسيط فلقد أراد أن يلخص الوسيط عشرة أجزاء في ثلاثة أجزاء صدر منه الجزء الأول، وتعاقد مع عدد من رجال القانون على إكماله ولكنهم شُغلوا عنه.

٤٥- (مصادر الحق في الفقه الإسلامي مقارنة بالفقه الغربي) ـ في ستة أجزاء ـ ألف وخمسمائة صفحة صدر الجزء الأول منه سنة ١٩٥٤م، والثاني سنة ١٩٥٥م، والثالث سنة ١٩٥٦م، والرابع سنة ١٩٥٧م، والخامس سنة ١٩٥٨م، والسادس ١٩٥٩م.

٤٦- (التصرف القانوني والواقعة المادية القانونية) لطلبة الدكتوراه في كلية الحقوق ـ القاهرة ـ سنة ١٩٥٤م.

لمحة عنه:

يعد عبد الرزاق السنهوري بحق (طاغوت القوانين الوضعية المعاصرة)!!؛ فقد سخر هذا الرجل جهوده وذكاءه وتفوقه في سبيل التمكين لهذه القوانين الكفرية في بلاد الإسلام، وتحسين صورتها أمام المسلمين بما يضفيه عليها من مسحات (إسلامية) يخلط من خلالها الحق بالباطل؛ ليكون ذلك أمكن في تثبيتها وأسرع لرواجها بعد أن أشرب

قلبه حبها، وقصر عمره على دراستها ونشرها.

فالسنهوري قد قام بعمل القوانين الوضعية التالية:

١ـ القانون المدني المصري عام ١٩٣٦، حيث عرضت الحكومة المصرية على السنهوري القيام بعمل قانون جديد لها بدل القانون المصري القديم الذي أنشئ زمن الاحتلال الإنجليزي لمصر عام ١٨٨٣م، فقام بذلك متعاوناً مع أستاذه الفرنسي (إدور لامبير)!! الذي وضع الباب التمهيدي.

وقد صدر هذا المشروع في يوليو ١٩٤٨م، وبدأ تنفيذه في أكتوبر عام ١٩٤٩م[١].

وقد قال السنهوري مفتخراً بقانونه الوضعي هذا[٢]:

جهود منهكات مضنيات وصلت الليل فيها بالنهار

وكنت إذا استبد اليأس يوماً أسل عزيمة الأسد المثار

قلت: بئس الفخر فخرك! حيث نازعت الله ـ ﷻ ـ في حكمه، ومكنت لهذه القوانين الكفرية في الإسلام.

ثم وضع السنهوري أو ساهم في وضع الدستور المصري بعد ثورة جمال عبد الناصر ورفاقه[٣].

٢ـ عمل قانون العراق بطلب من رشيد عالي الكيلاني عام ١٩٣٦م، وعندما عاد إلى بلاده (اصطحب معه العشرة الأوائل من أبناء

---

(١) انظر: عبد الرزاق السنهوري.. للدكتور عمارة (ص ٧٧، ٥٠).

(٢) (عبد الرزاق السنهوري من خلال أوراقه الشخصية) (في ١٩٤٢/٨/٦م)، و(الدكتور عبدالرزاق السنهوري..) للدكتور محمد عمارة (ص ٥٠-٥١).

(٣) عبد الرزاق السنهوري .. للدكتور عمارة (ص ٨٢-٨٣).

كلية الحقوق ببغداد، وألحقهم بكلية الحقوق بالقاهرة، فكانوا نواة الأساتذة العراقيين الذين اضطلعوا بتدريس القانون هناك فيما بعد)(١)!

أي أنه لم يكفه أن قام بعمل القانون الوضعي، حتى ربى تحت نظره من يواصل مسيرته في التمكين له! نسأل الله العافية.

٣ـ عمل قانون سوريا عام ١٩٤٣م(٢).

٤ـ عمل قانون ليبيا ١٩٥٣م، بدعوة من الحكومة الليبية بعد استقلالها(٣).

٥ـ عمل دستور دولة الكويت في عهد أميرها عبد الله السالم الصباح عام ١٩٦٠ـ ١٩٦١م(٤).

٦ـ عمل دستور السودان(٥).

٧ـ عمل دستور دولة الإمارات العربية المتحدة(٦).

٨ـ قال الدكتور عبد الباسط الجميعي (وكذلك وضع السنهوري لإمارة البحرين مجموعة من القوانين العصرية)(٧). أي الكفرية!

هذه أهم القوانين التي وضعها السنهوري وهي ـ كما يقال ـ أبرز جهوده أثناء حياته!، أفلا يحق لنا بعدها أن نصفه بأنه (طاغوت القانون الوضعي)؟!

ولتوضيح خطورة ما قام به السنهوري:

اعلم أن البلاد الإسلامية قبل أن يضع السنهوري قوانينه الوضعية

---

(١) رجال فكر وقانون، أحمد فوزي (ص ٥٠).

(٢) (عبد الرزاق السنهوري) لمحمد عمارة (ص ٥٨).

(٣) المرجع السابق (ص ٨٣).

(٤) المرجع السابق (ص ٩٠).

(٥) المرجع السابق (ص ٩٠).

(٦) المرجع السابق (ص ٩٠).

(٧) مجلة البحوث والدراسات العربية –القاهرة- العدد ٢٥ – ص ٤١.

لكثير منها كانت تحكم بالآتي:

١- بعضها يحكم بالشريعة الإسلامية؛ وهي: المملكة العربية السعودية، واليمن[(١)].

٢- وبعضها الآخر يحكم بالقوانين العثمانية المستقاة من الشريعة الإسلامية[(٢)] مع بعض التعديلات؛ كالعراق وسوريا وفلسطين والأردن وليبيا.

٣- وبعضها يحكم بالقانون الفرنسي!؛ وهي الدول التي انسلخت من الدولة العثمانية، قبل صدور (مجلة الأحكام العدلية)، وهذه الدول: إما أن تكون قد تبنت القانون الفرنسي بمحض إرادتها كما كانت الحال بالنسبة لمصر بلاد السنهوري![(٣)].

أو تكون قد تبنتها بسبب الاحتلال الفرنسي؛ كلبنان وتونس والمغرب والجزائر.

وقد كان المسلمون ـ رغم ضعفهم ـ يعلمون مخالفة هذه القوانين الفرنسية لشريعة الرحمن، ويتحرج الكثير منهم من التحاكم إليها أو الرضا بها، ويتمنون الخلاص منها، والتحاكم إلى شرع ربهم، وأعداء الإسلام من الذين لا يريدون أن تقوم للشرع قائمة لا يجهلهم ذلك[(٤)]،

---

(١) وفق المذهب الزيدي! وهو على كل حال أفضل من الحكم بالطاغوت.

(٢) وفق المذهب الحنفي، كما جاء في (مجلة الأحكام العدلية) التي كانت بمثابة تقنين للفقه الحنفي.

(٣) وذلك بالجهود الخبيثة لمحمد علي باشا وأسرته من بعده، حيث تبنى حفيده إسماعيل هذه القوانين الكفرية، وجلبها لبلاده، بعد أن قام بترجمتها رفاعة الطهطاوي!!

(٤) وهم يعلمون أنهم راحلون –لا محالة– عن ديار الإسلام، وخشية من أن ينبذ المسلمون قانونهم الكفري بعد الرحيل قرروا هذه المخطط؛ لضمان عدم عودة المسلمين إلى تحكيم الشريعة بعد أن يُلبس عليهم السنهوري وأحزابه بأن القانون الجديد ليس من صنع المستعمر، وأنه لا يتعارض مع شريعة رب العالمين! فانظر إلى هذا المكر الكبَّار ما أعظمه.

ولهذا فقد تفتقت أذهانهم عن خطة ماكرة تقوم على محاولة ترميم وتحسين هذه القوانين الكفرية بمزجها بشيء من الأحكام الشرعية[١] ليسهل هضمها وقبولها من المسلمين بعد خداعهم بهذا المزج الذي سموه (أسلمة) للقوانين، أو (تطويراً) للشريعة الإسلامية!، بشرط أن يقوم بهذه المهمة رجال يحملون الهوية الإسلامية زيادة في التضليل، وحبكاً للمخطط.

وقد وقع نظر القوم على السنهوري باشا! الذي لفت انتباههم بتفوقه وميوله الحقوقية.

فتم ابتعاثه ـ كما سبق ـ إلى بلاد القانون الوضعي: فرنسا!، وأوكلت مهمة الإشراف عليه إلى من قيل فيه (علامة القانون المقارن)![٢]؛ وهو أستاذه (إدوار لامبير) الذي كان يقول عن السنهوري: (لقد وجدت ضالتي المنشودة أخيراً على يد السنهوري، وهو من أنبغ تلاميذه الذين درست لهم خلال حياتي العملية كأستاذ)[٣]

ولهذا وجدنا الحكومة الفرنسية تمنح السنهوري وسام (ليجيون دويز) نظراً لجهوده في الترويج لقوانينهم الكفرية بطريقة (إسلامية)!، ونظراً لتقريره اللغة الفرنسية على طلاب الثانوية أثناء وزارته للمعارف عام ١٩٣٥م[٤].

---

(١) لا سيما ما يُسمى بالأحوال الشخصية.

(٢) قالها محمد عمارة في كتابه عن السنهوري (ص ٣٤).

(٣) المرجع السابق (ص ٣٥) نقلاً عن مقدمة لامبير لكتاب تلميذه السنهوري عن (فقه الخلافة وتطورها).

(٤) المرجع السابق (ص ٧٦).

ولقد قام السنهوري بمهمته كما أراد الأعداء، حيث تولى كِبْر صياغة القوانين الوضعية الكفرية الجديدة بعد أن خلط باطلها الكثير بحقٍ قليل زيادةً في التضليل، وبدهاء لا يجيده إلا أكابر المجرمين.

وأثمرت جهوده[1] كما قال الأستاذ مجيد خدوري: (في إدخال الإصلاح التشريعي وفق أسس علمانية)[2].

وقال خدوري ـ أيضاً ـ: (يمكن أن يُعزى النجاح الملحوظ الذي أحرزه السنهوري إلى أنه بدأ بتطبيق أسلوبه في المواضيع التي تثير أقل قدر من معارضة العناصر المحافظة، أو التي لا تثير معارضة على الإطلاق، وبذلك تجنب عن حكمة[3] الخوض في قضايا مثيرة للجدل يمكن أن تورطه في نزاع مع العلماء ... ولهذا السبب نجح السنهوري حيث فشل الآخرون)[4].

وقال الدكتور محمد كامل ضاهر عن قوانين السنهوري: (إن المنحى الأساسي الذي ضمنه السنهوري في هذه الدساتير **هو العلمنة**؛ أي عدم جعل الشريعة الإسلامية والفقه الإسلامي من مصادرها الرئيسية...)[5].

وقال ـ أيضاً ـ: (لم يأخذ بهذا الفقه ـ أي الإسلامي ـ عندما أعد القانون المدني المصري عام ١٩٤٨، وقاوم كل الاتجاهات التي طالبت باستنباط مبادئ هذا القانون من الشريعة الإسلامية، وأصر على اعتماد

(١) ثمراً مرّاً علقماً.

(٢) الاتجاهات السياسية في العالم العربي، (ص ٢٤٦ – ٢٥٢).

(٣) بل عن خبث.

(٤) المرجع السابق.

(٥) الصراع بين التيارين الديني والعلماني (ص ٢٩٦).

المناهج العلمانية الغربية...)[١].

قلت: ولابد لمن يريد التعرف على جهود السنهوري في سبيل التمكين لقوانين الكفر من بلاد الإسلام أن يعلم الفكرة التي كان يعدها بمثابة التمهيد لقبول هذه القوانين، وهي مما استقاه من أتباع المدرسة العصرانية التي سبقته[٢].

تقوم هذه الفكرة التي آمن بها السنهوري على خطوتين:

١- (وجوب) تطويع الشريعة الإسلامية لتتوافق مع متطلبات العصر ـ مهما كانت ـ، وليس العكس!

٢- التفريق في الشريعة الإسلامية بين:

أ- العبادات: وهذه لا تقبل ـ في نظره ـ الاجتهاد والتطور.

ب- المعاملات: وهي ما تقبل الاجتهاد والتطور بين عصر وآخر.

ولتوثيق كل هذا سوف أنقل من كلام الرجل ما يشهد له؛ حتى لا يظن أحد أني أتجنى عليه:

ــ يقول السنهوري: (إن الشريعة الإسلامية هي شريعة الشرق[٣] ووحي أحكامه، ومتى ألفنا بينها وبين الشرائع الغربية، فروح من الشرق وقبس من نوره يضيء طريقنا للمساهمة في نهضة الفقه

---

(١) السابق (ص ٢٩٧). وانظر بعض مناقشات أنصار الشريعة الإسلامية للدكتور السنهوري عندما وضع قانونه العلماني هذا، في كتاب الدكتور عمر الأشقر (الشريعة الإلهية لا القوانين الجاهلية، ص ١٣٨ وما بعدها).

(٢) وهي مدرسة محمد عبده وتلاميذه، وقد كان السنهوري ــ كما ذكر ذلك محمد عمارة ــ كثيراً ما يثني على أعضاء هذه المدرسة العصرانية.

(٣) سيأتي مقصده من هذا اللفظ (الشرق).

العالمية)[1] فالهدف إذاً (التأليف) بين الشريعة وقوانين الكفر!

ويقول: (أمران وددت ألا أموت قبل أن تكون لي قدم في السعي إلى تحقيقهما: فتح باب الاجتهاد في الشريعة الإسلامية حتى تعود شريعة حية يستقي منها الشرق قوانينه)[2].

وستعلم قريباً إن ـ شاء الله ـ حقيقة هذا الاجتهاد الذي يسعى إليه!

ـ ويقول السنهوري: (إن القرآن الكريم والحديث الشريف هما الجزء المجموع من القانون الإسلامي. وعندي أن لتفسيرهما يجب اتباع قاعدة أساسية وهي أن جزءاً من أحكامهما عام يصلح في عموميته لكل زمان ومكان، ولهذا وضع .

وجزءاً آخر خاص بالزمن والمكان اللذين وضع فيه فلا يتعدى إلى غيرهما إلا إذا اتحدت الظروف والأسباب.

وفي القرآن الكريم نفسه ناسخ ومنسوخ، والنسخ هو قصر بعض أحكام جاءت في ظروف خاصة على هذه الظروف، واستبدال أحكام أخرى بها، بعد زوال الظروف التي اقتضتها.

ومما يجب التنبيه عليه أن كل ما ورد في القرآن والحديث مما يتعلق بعلاقة الخالق بالمخلوق هو من الأحكام العامة التي لا تتغير؛ لأن ظروف علاقة الخالق بالمخلوق لا تتغير، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ فعنى بالدين هذه العلاقات. وقد وردت في كتابه الكريم مستوفاة لا حاجة إلى إكمالها.

---

(١) (السنهوري...) لعمارة (ص ٢٠٨).

(٢) عبد الرزاق السنهوري من خلال أوراقه الشخصية (ص ٢٤١).

أما ما عدا الدين من الأمور الدنيوية فلا تشمله الآية؛ والسبب في ذلك ظاهر وذلك أن الله تعالى ونبيه الكريم أمرنا أن نطيع العقل في أمور معاشنا وأن ننزل على قوانين العقل في ذلك، ومن قوانين العقل قانون التطور، وهذا القانون يقتضي ألا تثبت الحالات الاجتماعية على نسق واحد بل هي تسير دائماً في تطور وتقدم، (ومثل هذا يقال أيضاً في الحالات الطبيعية) وأن من مقتضى هذا التطور أن تتطور معه علاقات البشر بعضها بالبعض وتتغير تبعاً لذلك القوانين الاجتماعية، فأرادت حكمة الله تعالى ألا تغلق باب التطور الاجتماعي الذي يقتضيه العقل في وجه الناس)[1].

فالسنهوري يقصر ما هو ثابت في دين الله ولا يقبل التطور بحال على العبادات بمفهومها الضيق؛ كالصلاة والصوم والحج.. الخ[2]، أما غير ذلك من أمور الدين، فهو يقبل التطور (أو التغيير) ما بين عصر وآخر حسب ما تراه عقول البشر القاصرة.

فهي دعوة علمانية مستترة تريد أن تجعل من الإسلام الشامل لأمور الحياة مجرد عبادات يمارسها العبد بينه وبين ربه؛ كحال النصارى الذين تأثر السنهوري وأحزابه من العصرانيين بنظرتهم لدينهم؛ فأرادوا تعميم تلك النظرة على الإسلام.

ويقول السنهوري ـ أيضاً ـ: (الدين ينظر إلى العلاقة بين العبد وخالقه، وهذه لا تتغير، ولا يجب أن تتغير، فالخالق ـ ﷻ ـ أبدي أزلي

---

(١) عبد الرزاق السنهوري من خلال أوراقه الشخصية (ص ١٥٩).

(٢) لم أقل(والزكاة)؛لأنني أظن أن السنهوري سيُخرجها من نطاق العبادة!لتعلقها بأمور مالية قابلة للتطور في زعمه.

لا يجوز عليه التغيير ولا التبديل[١]، فالعلاقة بينه وبين العبد ثابتة لا تتطور.

أما مسائل الدولة فالنظر فيها لا يكون نظر مصلحة وتدبير)[٢].

- ويقول: (إن الفقهاء أدركوا ضرورة هذا التمييز[٣] فوضعوا أبواباً للعبادات وأبواباً للمعاملات، وبذلك فرقوا بين المسائل الدينية، والقانون بمعناه الحديث. لذلك يجب أن نقتصر من الفقه في أبحاثنا على أبواب المعاملات، فهذه هي الدائرة القانونية...)[٤].

وانظر للمزيد: ص ١٤٢ ـ ١٤٥ من كتاب (عبد الرزاق السنهوري من خلال أوراقه الشخصية).

قلت: والهدف من هذا التمييز (الموهوم) ما بين العبادات والمعاملات، وأن الثانية تقبل التغيير والتطور هو تطويع شريعة الرحمن لتتوافق مع قانون الشيطان وما يسميه العصرانيون : متطلبات العصر.

وبدلاً من أن يدور السنهوري مع أحكام الشرع الحنيف ويقوّم بها سلوكه وسلوك الدول التي عمل قوانينها أراد للشريعة أن تدور مع

---

(١) هذا من تعبيرات أهل الكلام. أما أهل السنة فيصفون الله تعالى بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله ـ ﷺ ـ، من الصفات الذاتية أو الفعلية، ولا يسمون ذلك تغييراً أو تبديلاً. وبهذا نعلم خطأ المقولة الشائعة عند البعض : (سبحان الذي يغير ولا يتغير)، إن قُصد بها نفي الصفات الفعلية لله ـ ﷻ ـ.

(٢) السنهوري.. لعمارة (ص ١٥٤).

(٣) أي بين العبادات والمعاملات . وهذا من الكذب عليهم! لأنهم رحمهم الله يرون أن الجميع دين يجب الالتزام فيه بما ورد في الشرع، وتجنب ما نهى عنه. إنما هم قسموا الفقه إلى عبادات ومعاملات للتمييز بينهما للدارس، وليس كما يوهمه السنهوري من أنهم يرون العبادات لا تتطور ولا تتغير بخلاف المعاملات!

(٤) المرجع السابق (ص ١٥٥).

أهوائه وانحرافاته هو وغيره من (العلمانيين) تلامذة النصارى مسمياً ذلك كله (تطوراً) و(تغييراً) تقبله الشريعة.

وإنما هو تحليل لما حرّم الله تعالى وتملص وتخلص من أوامره ونواهيه بشتى الحيل.

ولكي يتضح ما سبق بمثالٍ واقعي يشهد على انحراف السنهوري، وأنه يعارض بقوانينه تلك شرعَ الله، ويحل ما حرَّمه: اسمع ما يقوله عن (الربا) المحرَّم بنص القرآن:

يقول السنهوري: (مهما كانت الحاجة الشديدة إلى النهوض بالشريعة الإسلامية وجعلها مطابقة لروح العصر الحاضر[(١)] فلا يغيب عمن يريد القيام بإصلاح من هذا القبيل أن يترك للشريعة مرونتها ويكتفي باستنباط أحكام منها تتفق مع العصر الذي هو فيه، دون أن يرتكب خطأً فيقول بصلاحية هذه الأحكام المستنبطة صلاحية مطلقة، فقد يجئ عصر آخر تتغير فيه المدنية والآراء السائدة في الوقت الحاضر، وقد يكون بعض من الآراء في فقه الشريعة لا يصلح في الوقت الذي نحن فيه ويجب تعديله في نظر البعض، ثم يأتي عصر آخر يكون فيه نفس الرأي صالحاً.

والمثل الذي أفكر فيه الآن هو الربا، ولا شك في أن من قواعد النظام الاقتصادي الآن رءوس الأموال وهذه لا تتهيأ إلا إذا تقرر مبدأ الفائدة المعتدلة، فيمكن أن يقول البعض إذن بتقييد الربا الممنوع في الشريعة على أنه الربا الفاحش وهذا تحرمه كل الشرائع ويحرمه العقل والمصلحة.

---

(١) هذا المقصد الأول له ــ كما سبق ــ.

ولكن ليس من الأمانة العلمية ولا من المصلحة أن يدعي (من يريد إدخال هذا التغيير) أن هذا هو المعنى الذي فهمه المسلمون قبلا من الآيات التي تحرم الربا.

فالواقع أن المسلمين كانوا يحرمون الربا ـ كثيرة وقليله ـ ولم يكن في الأنظمة الاقتصادية في ذلك العهد ما لا يتألف مع هذا التحريم، فإذا جدت أنظمة اقتصادية في عصرنا تقتضي التمييز بين كثير الربا وقليله، وكانت المصلحة تقضي بهذا التغيير فيجب أن يؤخذ على أنه مقيد بالعصر الذي اقتضاه.

وقد يأتي زمن ـ وتوجد من البوادر ما يدعو لتوقع ذلك ـ ينتقض فيه النظام الاقتصادي الحاضر وتقل أهمية رءوس الأموال أو تنعدم ويصبح الربا الفائدة مهما قل لا يتفق مع روح العصر، فعند ذلك نرجع إلى ما فهمه المسلمون أولاً من وجوب تحريم الربا ويكون هذا صحيحاً وتتسع الشريعة الإسلامية بالتطور الجديد في الأفكار)[١]!!

أرأيت كيف أحل السنهوري الربا المحرم؟! مستخدماً بذلك خطته الماكرة من تقسيم الشريعة إلى عبادات لا تتطور، ومعاملات تتطور، ويعني بالتطور ـ كما في المثال السابق ـ أن ما كان حراماً في الماضي قد يكون حلالاً في عصرنا هذا! فما أشبه صنيع الرجل بما كان يصنعه أهل الجاهلية من تحليل الشهر الحرام عاماً وتحريمه عاماً آخر، حسب المصلحة! كما فعل السنهوري سواء بسواء. فقال سبحانه واصفاً صنيعهم بأنه ﴿ زِيَادَةٌ فِي ٱلْكُفْرِ﴾[٢] نعوذ بالله من الضلال.

---

(١) عبد الرزاق السنهوري من خلال أوراقه الشخصية (ص ١٦١).

(٢) سورة التوبة ٣٧.

ثم تأمل ذكاء الرجل حيث علم أن نصوص الشريعة تحرم الربا قليله، وكثيره، لا كما يزعم بعض أصحاب الأهواء من اقتصار ذلك التحريم على كثير الربا فقط، أما قليله فحلال، وهو ما ترده نصوص الشرع التي يعلمها السنهوري. فأراد أن يأتي بحيلة أكثر خفاءً لتحليل ما حرم الله.

وما يُقال عن الربا يقال عن غيره من المحرمات التي يريد السنهوري بقوانيه الكفرية تحليلها بعد أن وضع قاعدة (التطور) و(التغير) المزعومة.

وهو لا يقتصر في صنيعه ذلك على أمور الاقتصاد ـ كما قد يظن ـ بل يعمم قاعدته لتشمل كل ما يمكن أن يُدخله تحت مسمى (المعاملات)! ؛ كأمور تنظيم الدولة، والتعامل مع الكفار، وأمور المرأة من حجاب واختلاط ونحو ذلك.

ولك أن تقول باطمئنان: أن السنهوري[1] يسعى من خلال خطته السابقة إلى أن يكون الإسلام كالنصرانية؛ يجعل ما لقيصر لقيصر وما لله لله، وينزوي من الواقع ليكون مجرد عبادة بين العبد وربه لا دخل له بتنظيم أمور الحياة وعلاقات الناس وأحوالهم المختلفة.

وإن شئت فقل بأن السنهوري يدعو إلى (العلمانية) ولكن بعد أن يلبسها ثوباً إسلامياً؛ وهو ما فتئ يحاوله أساطين العصرانية منذ نشأة تيارهم في بلاد الإسلام[2].

---

(١) ومن خلفه: أساتذته النصارى!.

(٢) لا فرق بين (علمانية) العلمانيين الأقحاح المجاهرين بعلمانيتهم، وبين (علمانية) العصرانيين ؛ لأن الهدف واحد لمن أحسن التأمل، وإنما الاختلاف في الوسيلة فقط، حيث ستر العصرانيون وسائلهم باللباس الإسلامي ـ كما سبق ـ بخلاف الأولين وفي ظني أن أهل العصرنة في

والعجب بعد هذا كله ـ أن تجد من الفضلاء ـ كما حدثني بعضهم ـ من لا زال يحسن الظن بالسنهوري أو يدافع عنه أو يصفه بما لا يستحقه، غافلاً عن جريمته النكراء في حق أمته؛ حيث صرفها عن شرع ربها بشتى الحيل، لترتمي في أحضان قوانينه الكفرية التي استفادها من أساتذته النصارى.

وقد تأكد عجبي هذا بعد أن رأيت الدكتور الفاضل علي السالوس[1] يصفه بـ (العلاّمة)!

ثم رأيت الدكتور محمد زكي عبد البر المدرس بكلية الشريعة بالرياض يثني على جهوده في صنع قوانين الدول العربية!![2]

ومثله؛ ما ذكره المحامي عبد العزيز القاسم ـ هداه الله ـ من أن السنهوري كان (متبنياً وجوب الرجوع إلى الشريعة عند مراجعة التشريع المصري)[3]!! وسيأتي ـ إن شاء الله ـ ماهية الشريعة التي يرى السنهوري وجوب الرجوع إليها!

هدى الله الجميع لما يحب ويرضى، وجنبهم كيد الأعداء.

انحرافاته:

١ـ أعظم انحراف له ـ كما علمنا ـ هو وضعه القوانين الكفرية دستوراً وحاكماً في كثير من الدول العربية، ومساهمته الجادة في تثبيتها وترويجها بين المسلمين، فعليه وزرها ووزر من افتتن وعمل بها. وقد

---

(١) في مقاله عن ودائع البنوك، المنشور في مجلة الاقتصاد الإسلامي، العدد ١٦.

(٢) في مقاله عن كتاب السنهوري (مصادر الحق..)، منشور في مجلة كلية الشريعة بالرياض، العدد ٨، جمادى الآخرة ١٣٩٧هـ. والحق يقال ـ كما سيأتي ـ بأنه أجاد في الرد على بعض أخطاء السنهوري.

(٣) مجلة البيان (العدد ١٦٩ ـ ص ٢٤).

قال الله تعالى: فيه وفي أمثاله من الداعين إلى حكم القوانين[١] ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓاْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾.

٢ـ ومن انحرافاته المتعلقة بما سبق أنه إضافةً إلى عمله لقوانين الكفر قام بإفساد القوانين الإسلامية التي كانت تتحاكم إليها بعض الدول العربية ذاك الوقت[٢].

مثال ذلك ما صنعه في العراق، حيث كان هذا البلد يحكم بالشريعة الإسلامية، فجاء السنهوري كما يقول مجيد خدوري (فأدخل عناصر من القانون الغربي في القانون العراقي الذي كان إسلامياً)[٣]!!

وقال الدكتور عبد الباسط الجميعي؛ (هو الذي وضع للعراق قانونها المدني الذي جمع فيه بين أحكام القوانين الوضعية العصرية وأحكام الشريعة الإسلامية)[٤].

٣ـ ومن انحرافاته: أن العالم في نظره ينقسم إلى (شرق) و(غرب)،

---

(١) ولمعرفة خطورة القوانين الوضعية على دين المسلم انظر: كتاب الشيخ عمر الأشقر (الشريعة الإلهية لا القوانين الجاهلية)، والرسالة القيمة للشيخ إبراهيم السنيدي (دخول القوانين الوضعية إلى مصر) ـ لم تُنشر بعد حسب علمي ـ.

(٢) وهذا دليل على أن الرجل مؤمن بأن قوانينه الكفرية خير من حكم الإسلام، لا كما يدعي محمد عمارة ـ كما سيأتي ـ من أنه كان يحاول نقل المسلمين من حكم القانون الوضعي إلى الحكم الإسلامي بعد تطعيم الأول بالمواد الإسلامية، وهي خطوة أولى نحو الحكم الكامل للإسلام، فإذا كان هذا يصدق على الدول التي تحكم بالقانون الوضعي، فما يقول عمارة في صنيع السنهوري في الدول التي كانت تحكم بالشريعة ؟!.

(٣) رجال فكر وقانون (ص ٥٤).

(٤) مجلة البحوث والدراسات العربية ـ القاهرة- العدد ٢٥ ـ ص ٤٠.

لا إلى (مسلمين) و(كفار). والشرق الذي يسعى السنهوري إلى رفع مكانته ليمتزج فيه (المسلم) (باليهودي) (بالنصراني).... الخ! وهذه تسمية وفكرة بثها أعداء الإسلام قديماً من خلال المستشرقين فتلقفها بعض المثقفين والكتاب من بني جلدتنا؛ كالسنهوري وغيره، وهدفها صرف المسلمين عن حقيقة الصراع الديني القائم بين الإسلام وأعدائه، وإماتة الحس الشرعي لدى أبناء الإسلام، الذي لا يحييه سوى الألفاظ الشرعية: (بلاد الإسلام، بلاد الكفر...) ، وتذويب ذلك كله في منافسة (دنيوية) بين شرق يحوي جميع الأجناس والأديان وغرب مقابل له[1].

يقول السنهوري: (الشرق يتنبه ويريد الآن أن يقوم بقسطه من العمل على سعادة العالم ورفع شأن المدنية، بعد أن سكت عن ذلك مدة، ولكنه يريد أن يبذل مجهوداً جدياً وأن يختط لنفسه طريقاً لا أن يكون مقلداً للغرب، ويريد أن يميز مدنيته الجديدة شيئان:

١ـ أن تكون تلك المدنية ذات صبغة شرقية تصل الماضي بالمستقبل.

٢ـ أن تكون تلك المدنية بمثابة رد فعل للمادية المتغلبة اليوم على المدنية الغربية، فقد غالى الغربيون في ماديتهم وأصبح ضحايا هذه المدنية أضعاف المتنعمين بها، فالعالم ينتظر الآن من الشرق أن ينقذه من تلك الوهدة. ومن أكفأ من الشرق في القيام بهذه المهمة وهو الذي كان مبعث النور والخير ومهبط الحكمة والأديان؟)[1].

---

(١) وهذا اللفظ يذكرني بلفظ آخر روجه أعداء الإسلام بيننا لإماتة الحس الشرعي لدينا؛ وهو قولهم (الشرق الأوسط)! بدلاً من بلاد الإسلام. وسرعان ما راج بين المغفلين من بني جلدتنا وساعدت وسائل الإعلام (المنافقة) في نشره على نطاق واسع. بل تسمت به!. فما أكثر الألفاظ التي بثها الأعداء بيننا. انظر للمزيد (المستدرك على معجم المناهي اللفظية) للشيخ بكر أبو زيد ــ سلمه الله ووفقه ــ لكاتب هذا البحث ــ.

(٢) عبد الرزاق السنهوري من خلال أوراقه الشخصية (ص ١٣٩).

ويقول ـ أيضاً ـ: (يقول الشرق لأبنائه: إن نهضتي هي نهضة دين، وتقوم على سائر الأديان، في أني مقر الأديان الثلاثة، وكلها من عند الله)[١]!!

ويقول موضحاً فكرته ومؤكداً ما قلته: (ليس قيام الشرق معناه قيام دين على دين)[٢]!!

فلا فرق بين الأديان عنده! ، ولا فرق بين المسلم والنصراني واليهودي! إنما الفرق أن هذا نشأ مسلماً وهذا نشأ نصرانياً والآخر يهودياً!

ويؤكد لك هذا قوله عن بلاده مصر: (لو أمكن مزج القبطي والمسلم مزجاً تاماً حتى تنعدم كل الفروق، لكان هذا خير ما يُرجى.

ولكني أرى أنه يحسن الآن بذل كل مجهود لحصر هذه الفروق في دائرة ضيقة، وهي دائرة الاعتقاد الديني، ولا يكون لهذا أثره في الحياة المدنية للمصري)[٣]!!

فالهدف إذاً المزج (التام) بين المسلم والكافر بحيث لا يكون بينهما أي فرق! ولكن لعلم السنهوري بصعوبة هذا الأمر لجأ إلى المطالبة بأن تبقى الفروق محصورة في (دائرة الاعتقاد الديني)!

---

(١) المرجع السابق (ص ٩٧ـ ٩٨).

(٢) المرجع السابق (ص ٩٨). وانظر أيضاً: الصفحات : ٧٥، ٩٧، ٩٨، ٩٩، ١٢٥، ١٢٧، ١٣٧، ١٣٩، ١٤٠ من المرجع السابق. وقد حاول المعلقان على أوراقه (ابنته والدكتور توفيق الشاوي) أن يلطفا هذه العبارة بزعمهم بأنه يعني بها (بلاد الإسلام)! ، ولكنه يريد أن ينفي عن نفسه تهمة التعصب الديني!! (انظر: ص ٢٧٣). وما سيأتي من نقل عن السنهوري يرد هذا الفهم من المُعلقَين! وأنه مجرد دفاع بالباطل ـ والعياذ بالله ـ.

(٣) المرجع السابق (ص ٩٩).

فالفكرة الأساسية للسنهوري هي أن يحل مذهب (الإنسانية) في ما يسميه الشرق محل الأديان. فإن لم يمكن ذلك الآن فلتكن (العلمانية) الخطوة الأولى نحوه! وهو يعبر عن هذا كله بقوله: (أحلم بعالم بشري موحد يقوم على سيادة العقل وعلى سيادة القانون)[١]!!

وهذه ظلمات وكفريات بعضها فوق بعض، لا يشك فيها مسلم نعوذ بالله من الضلال.

٤ ـ ومن انحرافات السنهوري: محاولاته الحثيثة إفساد (الأزهر)، وهو البقية الباقية لأنصار شريعة الله في بلاد مصر، وذلك بتقليل مواده الشرعية ومزجها باللغات الأجنبية والقوانين الكفرية! يقول السنهوري شارحاً خطته الآثمة: (والجامع الأزهر يحتاج إلى كثير من الإصلاح[٢] فلو جعل على ثلاثة أقسام: القسم الابتدائي وهذا ينتشر في كل البلاد، والقسم الثانوي منه ما يعد لقسم الدين والعقائد ويجعل مركزه في الأزهر الحالي وفي كل المديريات، ومنه ما يُعد لقسم الآداب، وهو القسم الثانوي بمدرسة دار العلوم، ومنه ما يُعد لقسم الفقه الإسلامي (القانون) وهو القسم الثانوي بمدرسة دار القضاء، ويجعل منهاج الدراسة في هذه الأقسام مناسباً لما يُعد الطالب نفسه لأجله من العلو، مع جعل المبادئ الأساسية للغة العربية والعقائد مشتركة في الجميع،

---

(١) المرجع السابق (ص ٣٠٥).

(٢) والحق يقال: بأن الأزهر يحتاج إلى أن يعاد النظر في مواده ومقرراته؛ بحيث يتبنى تدريس مذهب السلف في العقيدة لطلابه، ويلغي كل ما يخالفها من عقائد المتكلمين المتأخرين؛ من أشاعرة ومعتزلة أفسدت على المسلمين دينهم. ويسعى بعد ذلك جاهداً في تعليم القرآن والسنة واللغة العربية وما يعين على دعوة الآخرين للإسلام، وأن تُرى لأبنائه جهود في إنكار البدع والمعاصي المنتشرة في بلاد المسلمين، وما ذلك على الله بعزيز .

ومع مراعاة إدخال لغة أجنبية شرقية (الفارسية أو التركية) ولغة أجنبية غربية (الفرنسية أو الإنجليزية) في منهاج دراسة القسم الثانوي بدار العلوم، ثم يأتي بعد ذلك الأقسام العالية، وهي قسم الدين والعقائد وهو القسم العالي بالأزهر الحالي (ويُراعى فيه دراسة تاريخ الأديان الكتابية وخلاصتها والمسيحية واليهودية) وقسم الآداب وهو القسم العالي بدار العلوم، ويراعى فيه دراسة اللغة العبرية عدا التوسع في اللغتين الأجنبيتين الأخريين، وقسم الفقه والقانون وهو القسم العالي بمدرسة القضاء الشرعي، ويراعى فيه دراسة اللغة الفرنسية ومبادئ القانونين اللاتيني والإنجليزي)[1].

فلماذا الإلحاح يا سنهوري على دراسة هذه القوانين الكفرية؟! ليته كان لتبيين عظمة التشريع الإسلامي مقارنة بها، لكن الهدف ـ كما علمنا ـ هو الاستفادة منها، وتطويع الشرع لها.

٥ـ ومن انحرافاته: مطالبته (بتطوير) اللغة العربية! بعد أن طالب بل (طور) الشرع ليتناسب مع قوانينه.

يقول السنهوري: (قلت في كلمة مجمع اللغة أن اللغات المتطورة تتميز بأن تكون لغة الكتابة قريبة من لغة الكلام ولغة الحاضر بعيدة عن لغة الماضي.

وأضيف إلى ما قلت أن اللغة العربية لغة الكتابة فيها بعيدة عن لغة الكلام ولغة الحاضر قريبة من لغة لماضي.

وهذا إنما يدل على قليل من التطور، فاللغة كائن حي، لابد من أن يتطور، فإذا أعوز اللغة أن تتطور في الكتابة فلا مناص من أن تتطور في

---

(١) المرجع السابق (ص ٩٦ – ٩٧).

الكلام، فتبعد الشقة ما بين الكلام والكتابة، بينما يكون حاضر اللغة قريباً من ماضيها لبطء تطورها)[١].

وهذا الانحراف لم يستطع المعلقان على أوراقه الشخصية[٢] أن يهضماه، فبينا بأن هذا الأمر فيه خطورة على اللغة العربية. وليتهما علقا بمثل هذا التعليق على انحرافاته الأخرى، وهي أخطر من هذا الأمر بكثير

٦- ومن انحرافاته: تبنيه كتابة المادة الفقهية وفق المناهج والقوانين الحديثة ومصطلحاتها؛ مما سبب مشاكل عديدة.

وقد أطال الدكتور محمد زكي عبد البر في دفع هذا الانحراف وبيان ما فيه من زلات وجنايات على الفقه الإسلامي في مقاله المشار إليه سابقاً، وهو منشور في مجلة كلية الشريعة بالرياض، العدد ٨، جمادى الآخرة ١٣٩٧هـ.

٧- ومن انحرافاته: أنه أراد إنشاء (معهد الفقه الإسلامي المقارن)! عام ١٩٤٦م، ليزاحم به الأزهر الذي لم يكن يقبل بأطروحات الرجل، ومحاولاته الخبيثة تطويع الشريعة الإسلامية لقوانينه الكفرية. ولهذا فقد هاجمه المصلحون وسفهوا رأيه هذا، ووزعت ضده المنشورات في المساجد تصف معهده ـ كما يقول الدكتور عمارة! ـ بأنه (أنشئ للإلحاد في دين الله)[٣]!

٨ ـ ومن انحرافاته: دعوته لتحرير المرأة، ومن ذلك قوله: (لا أظن

---

(١) المرجع السابق (ص ٢٨٠ – ٢٨١).

(٢) وهما: ابنته والدكتور توفيق الشاوي.

(٣) عبد الرزاق السنهوري... للدكتور عمارة (ص ٦٥).

أن مطالبة الرجال بتحرير النساء تجدي ما دامت النساء لا تطلب ذلك لأنفسهن)[1]

رد الدكتور محمد محمد حسين ــ رحمه الله ــ على السنهوري:

يعد الدكتور محمد محمد حسين ـ رحمه الله ـ من أبرز من تصدى للمدرسة العصرانية الحديثة (مدرسة الأفغاني ومحمد عبده)، وبين خطورتها على الإسلام، وأنها مجرد قنطرة للعلمانية اللادينية، وذلك في كتبه الشهيرة الرائعة التي لا يستغني عنها طالب حق في هذا الباب:

١- الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر.

٢- حصوننا مهددة من داخلها.

٣- الإسلام والحضارة الغربية.

ولم يفت الدكتور ـ رحمه الله ـ وهو المعاصر للسنهوري أن يتعرض لجهوده الخبيثة في التنصل من الشريعة الإسلامية وإقراره القوانين الوضعية بدلها تحت دعاوى ماكرة لم تنطل على الدكتور الحصيف ـ رحمه الله ـ.

وقد نشر رده على السنهوري في كتابه (حصوننا مهددة من داخلها) (ص١١١ـ ١١٨)، وكان تعقيباً على مقال للسنهوري بعنوان (القانون المدني العربي).

قال الدكتور محمد محمد حسين ــ رحمه الله ــ:

(يدعو السنهوري في مقاله هذا إلى توحيد القانون المدني في سائر البلاد العربية، فيستثني من ذلك الحجاز واليمن، لأنهما يلتزمان الشريعة

---

(١) عبد الرزاق السنهوري من خلال أوراقه الشخصية (ص ٩١).

الإسلامية، (إلى أن يحين الوقت الذي تتمكن فيه من المشاركة في حركة التقنين المدني العربي ـ ص٨). ويقول بعد ذلك: إن التقنين العربي يتنازعه تياران، أحدهما ممثل في القانون المصري، وهو تيار غربي خالص أو يكاد، والآخر يمثله القانون العراقي الحديث، وهو يمزج بين الشريعة الإسلامية والقوانين الغربية.

ويُدخل في القسم الأول الذي يصفه بأنه (ينتمي إلى الثقافة المدنية الغربية).. مصر وسوريا ولبنان وتونس والجزائر ومراكش، بينما يُدخِل في القسم الثاني العراق والأردن وفلسطين.

وهو يصف القانون المدني الجديد في مصر بأنه قد جعل للشريعة الإسلامية بعض الاعتبار.

ولكنه يعترف بأن (المشرع المصري بالرغم من كل ذلك لم يخط خطوة حاسمة في جعل القانون المدني مشتقاً في مجموعة من الفقه الإسلامي). ويعتذر عن ذلك بأن المشرع المصري قد أخذ بأسباب الأناة والتبصر (وتربص حتى يأخذ الفقه الإسلامي بأسباب التطور ـ ص١٠) ثم يعود فيؤكد أن هذا القانون (يمثل أصدق تمثيل الثقافة المدنية الغربية في العصر الذي نعيش فيه ـ ص١٥).

أما القانون العراقي فهو يتميز عنده بأنه (أول قانون مدني حديث يتلاقى فيه الفقه الإسلامي والقوانين الغربية الحديثة جنباً إلى جنب بقدر متساوٍ في الكم والكيف ـ ص١٨) وهو يرى أن هذه التجربة (من أخطر التجارب في تاريخ التقنين الحديث) لأن وضع نصوص الشريعة الإسلامية إلى جانب النصوص الغربية قد (مكن لعوامل المقارنة والتقريب من أن تنتج أثرها، ومهد الطريق للمرحلة الثالثة والأخيرة في

نهضة الفقه الإسلامي، يوم يصبح الفقه مصدراً لأحكام حديثة تجاري مدنية العصر وتساير أحدث القوانين وأكثرها تقدماً ورقياً.. ص١٩).

وهو يقدر (بعد أن أصبح الفقه الإسلامي والقانون المدني الغربي جنباً إلى جنب في صعيد واحد، أن يتكامل القانونان وأن يتفاعلا، هذا يؤثر في ذاك وقد يتأثر به.

ومن ثم تقوم نهضة علمية حقة لدراسة الفقه الإسلامي في ضوء القانون المدني الغربي، وهذه الدراسة هي التي قصدت أن أصل إليها حتى إذا آتت ثمارها وتقدمت دراسة الفقه الإسلامي إلى الحد الذي يجعله مصدراً لقانون مدني يجاري مدنية العصر ويساير ثقافة الجيل، عند ذلك نكون قد بلغنا المرحلة الثالثة والأخيرة، ويتحقق ببلوغنا هذه المرحلة الهدف المنشود ـ ص٢٠). والهدف المنشود عنده هو الذي أشار إليه قبل ذلك بسطور قليلة حين قال (والهدف الذي قصدت إليه هو أن يكون للبلاد العربية قانون واحد يشتق رأساً من الشريعة الإسلامية). ولكن كلامه الذي تلا ذلك ـ وهو كلام بالغ الخطورة ـ يكشف عن مبلغ ما في هذا الزعم من إخلاص، ويبين أنه ليس إلا خداعاً، وأن الشريعة الإسلامية التي بقصدها هي شيء آخر غير الشريعة التي أنزلها الله على سيدنا محمد ـ ﷺ ـ، والتي تمت نعمة الله علينا بإكمالها منذ نزل قوله تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ۚ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾[1] فهي شريعة تستهدي (مدنية العصر) الغربية و(ثقافة الجيل)

(١) سورة المائدة الآية: ٣

الغربية أيضاً، وتروض نفسها على أن ترتفع إلى مستوى شرائع الغرب، لأنها في زعم المؤلف لم تبلغ هذا المستوى. وقصد الكاتب إلى تطوير الشريعة الإسلامية واضح في مقاله هذا كل الوضوح، وهو يقصد بتطوير الشريعة الإسلامية جعلها ملائمة لنظم حياتنا ولأنماطها المنقولة عن الغرب المسيحي، أو الغرب اللاديني على الأصح، فهو يريد أن يشكل الشريعة الإسلامية بشكل هذه الحياة، بدل أن يشكل الحياة بشكل الشريعة، أي أنه يحكم هذه الأنماط الغربية في الشريعة بدلاً من أن يحكم الشريعة في اختيار ما يلائمنا من هذه الأنماط، أو بعبارة أخرى هو يعرض الشريعة على واقع الحياة، ولا يعرض واقع الحياة على الشريعة، وهو مع ذلك لا يميز بين الشريعة الإسلامية المنـزلة من عند الله وبين القانون الغربي الذي صنعته المصالح والأهواء، بل الذي صنعته اليهودية العالمية في بعض الأحيان، كما هو الشأن في القانون الفرنسي الذي استمد منه القانون المصري بخاصة، لأن هذا القانون ثمرة من ثمار الثورة الفرنسية اليهودية التي أصبحت فرنسا من وقتها دولة لا دينية من الناحية الرسمية على الأقل، وما وجه المقارنة بين قانون صنعه الإنسان وبين قانون منـزل من عند الله العليم الخبير؟.

إن الذي يعتريه شك في أن الشريعة الإسلامية ـ كما هي في القـرآن الكريم وكما بينتها السنة الشريفة ـ منـزلة من عند الله هو كافر، والـذي يؤمن بأنها منـزلة من عند الله لا يعتريه شك في صـلاحيتها لكـل زمـان ومكان، لأن الله ـ ﷻ ـ يعلم الماضـي والحاضـر والمستقبل، قـد أحـاط بكل شيء علماً، وأحصى كل شيء عدداً، ولا يعزب عن علمـه مثقـال ذرة في السموات ولا في الأرض، بذلك وصـف نفسه ـ ﷻ ـ في محكـم

كتابه، وبذلك يؤمن المسلمون.

والذي يهدف إليه السنهوري هو شر الحلول، لأن الذي يفعله هو تبديل الشريعة الإسلامية، ولا شك أن تفاعل الشريعة الإسلامية السماوية مع شرائع الغرب الوضعية هو شر مما كان حادثاً من استعارة القانون الغربي كله أو بعضه؛ لأن من الممكن التخلص من الدخيل في هذه الحالة. أما في حالة الاندماج والتفاعل فإدراك الحدود بينهما صعب، وتخليص الشريعة الإسلامية مما دخلها من أسباب الزيغ والانحراف يكاد يتعذر بعد أن تتغلغل الروح الغربية في كيانها، ويصبح الناتج من تفاعلهما شيئاً جديداً معقد التركيب تختلف خصائصه وصفاته عن كل من العنصرين المكونين له.

ثم إن الناس في الحالة الأولى يدركون إدراكاً واضحاً أن القانون الذي يحكمهم قانون دخيل. أما في الحالة الثانية فقد يتوهمون أن القانون الذي يحتكمون إليه قانون إسلامي، بل إن كاتب المقال يزعم لهم ذلك منذ الآن.

والواقع أن هذا الذي يفعله السنهوري هو الذي يهدف إليه الاستعباد الغربي. يقول هـ.ا.ر. جب في كتابه "إلى أين يتجه الإسلام؟! (Whither Islam) (ص ٣٢٨ ـ ٣٢٩ من طبعة لندن ١٩٣٢): (إن مستقبل التغريب والدور الذي سيلعبه في العالم الإسلامي لا يتوقف على هذه المظاهر الخارجية للتأثر والاقتباس، لأن الصورة الظاهرية ثانوية، وكلما كان التقليد في المظاهر أكمل كان امتزاج الشيء المنقول بنفس المقلدين أقل، لأن فهم الروح والأصول التي تنطوي عليها المظاهر الخارجية فهماً كاملاً لا بد أن يصحبه إدراك التعديلات التي تتطلبها

الظروف المحلية. ويمكن أن يزول من العالم الإسلامي كثير من النظم الغربية التي نراها فيه الآن، ثم لا يكون مع ذلك أقل حظاً من الاستغراب، بل ربما كان أوفر حظاً، وإذا أردنا أن نعرف المقياس الصحيح للنفوذ الغربي ولمدى تغلغل الثقافة الغربية في الإسلام كان علينا أن ننظر إلى ما وراء المظاهر السطحية، علينا أن نبحث عن الآراء الجديدة والحركات المستحدثة التي ابتكرت بدافع من التأثر بالأساليب الغربية بعد أن تُهضم وتصبح جزءاً حقيقياً من كيان الدول الإسلامية، فتتخذ شكلاً يلائم ظروفها).

يعود كاتب مقال اللجنة الثقافية بجامعة الدول العربية فيؤكد أن هدفه هو تغريب الشريعة الإسلامية نفسها وفرنجتها، أو بعبارة أخرى إيجاد "إسلام غربي" إن صح هذا التعبير، وذلك حيث يقول: (فالنتيجة الحتمية إذن لوضع القانون المدني المصري ثم لوضع القانون المدني العراقي، مشتقاً منه ومن الفقه الإسلامي على السواء هي النهوض بدراسة الفقه الإسلامي في ضوء القانون المدني الغربي ـ ص٢١).

ومع ذلك فهذا القانوني الذي يظن بالتشريع الإسلامي التخلف عن القانون الغربي يعترف بأنه لم يدرس الشريعة الإسلامية إلا في وقت حديث متأخر جداً، حين اشترك في وضع القانون المدني العراقي، فأتيح له الاطلاع على بعض نصوص الفقه الإسلامي، وهو هنا يعترف اعترافاً صريحاً بأن اطلاعه على الفقه الإسلامي جديد تاريخاً، ومحدود موضوعاً، لا يتجاوز ما أتيح له أثناء اشتراكه في لجان وضع القانون العراقي، وأنه لم يمنحه من وقته سنة من عشرات السنين التي أفناها في دراسة القانون الفرنسي، والواقع أن هذا الجهل بالشريعة الإسلامية

يعلل فتنته بالقوانين الغربي، التي حدت به إلى المجاهرة بأن تكون روح التقنين الغربي وأسلوبه هما قوام نهضة التشريع الإسلامي، وهو بذلك معذور لجهله حسب اعترافه، ومن جهل شيئاً عاداه، ولكن من الظلم للناس وللإسلام وللقانون أن يسلم زمام التشريع في البلاد الإسلامية إلى الذين يجهلون شريعتها، ومن الواضح أن الرجل حين رأس لجان القانون المدني الجديد في مصر لم يكن على معرفة بالشريعة الإسلامية، لأنه إنما اتصل بها حسب اعترافه أثناء اشتراكه في لجان القانون المدني العراقي، وقد كان ذلك بعد وضع القانون المدني المصري الجديد، واعترافه في هذا الصدد صريح، إذ يقول (وأكثر ما كان درسي للفقه الإسلامي عند وضع القانون المدني العراقي، فإن هذا القانون كما قدمت مزيج صالح من الفقه الإسلامي والقانون المصري الجديد، فأتاح لي اطلاعي على نصوص الفقه الإسلامي ـ سواء كانت مقننة في المجلة[1] ومرشد الحيران، أو كانت معروضة عرضاً فقهياً في أمهات الكتب وفي مختلف المذاهب ـ أن ألحظ مكانة هذا الفقه وحظه من الأصالة والابتداع، وما يكمن فيه من حيوية وقابلية للتطور ـ ص٢٢).

ويرسم كاتب المقال منهجاً يقترحه لدراسة الفقه الإسلامي (لإحيائه والنهضة به نهضة علمية صحيحة) حسب زعمه، فيقرر في بدء كلامه أن (الأساس في هذه الدراسة أن تكون دراسة مقارنة، فيدرس الفقه الإسلامي في ضوء القانون المقارن)، ولست أدري ما حاجتنا إلى

---

(١) المقصود هو (مجلة الأحكام العدلية) التي أصدرتها الدولة العثمانية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر متضمنة صياغة الأحكام الإسلامية ــ على المذهب الحنفي ــ في شكل مواد على النمط الغربي.

هذه المقارنة، ولماذا كل هذا الحرص على أن لا نخالف التشريع الغربي ولا نبتعد عن روحه؟ أليس في ذلك قتل لشخصيتنا وإفناء لها في الغرب، مما لا يخدم سوى مصالح الاستعباد والتبشير؟ ذلك إلى ما يتضمنه من تبديل شرع الله وتحريف الكلم فيه عن مواضعه، وهو كفر صريح، وليس بعد الكفر ذنب.

ويطالب الكاتب بدراسة مذاهب الفقه الإسلامي المختلفة، السني منها والشيعي والخارجي والظاهري: (وتُستكشف من وراء كل هذه قواعد الصناعة الفقهية الإسلامية، ثم تقارن هذه الصناعة بصناعة الفقه الغربي الحديث. حتى يتضح ما بينهما من الفروق ووجوه الشبه، حتى نرى أين وقف الفقه الإسلامي، لا في قواعده الأساسية ومبادئه، بل في أحكامه التفصيلية وفي تفريعاته، فتمتد يد التطور إلى هذه التفصيلات، على أسس تقوم على ذات الفقه الإسلامي وطرق صياغته وأساليب منطقه، وحيث يحتاج الفقه الإسلامي إلى التطور يتطور، وحيث يستطيع أن يجاري مدنية العصر يبقى على حاله دون تغيير، وهو في الحالين فقه إسلامي خالص (؟!) لم تداخله عوامل أجنبية فتخرجه عن أصله (؟!) - ص ٢٣).

ألا تعجب معي لهذا الرجل الذي يزعم بعد كل ما قاله أن الفقه الإسلامي الذي يسعى إلى تطويره تحت وصاية التقنين الغربي وفي ولايته هو فقه إسلامي خالص؟ وكيف يكون خالصاً وهو يحكم فيه (روح العصر)، وهي روح غربية حسب اعترافه في كل موضع من مقاله؟ ومن الواضح أن (مدنية العصر) التي يطلب السنهوري إلى الفقه الإسلامي أن يجاريها، ويطلب إلى واضعي القانون أن يتخذوها مقياساً

لصلاحية الفقه الإسلامي، هذه المدنية هي مدنية غربية فرضها الاستعباد الغربي ونجح في ترويجها وفي إرساء دعائمها وتنشئة الرجال الذين يسهرون عليها ورعاية هؤلاء الرجال ودفعهم إلى مناصب القيادة والزعامة، بما يسمح لهم أن يرعوا جيلاً جديداً من أتباعهم، ثم يرعى هذا الجيل جيلاً من بعده، وهكذا دواليك، فتصبح قيادة المسلمين الفكرية والسياسية دائماً في يد هذه العصابة، لا يسمع الناس إلا كلامها وكلام أذنابها، ولا يرون إلا صورها وصور أذنابها، ولا يرقى أحدهم إلى مرتبة من مراتب الشرف ولا يُفتح له باب من أبواب الرزق إلا إذا حصل على جواز المرور من هذه العصابة التي تسد كل منفذ وتتحكم في كل باب وتحتل كل معقل، ويظل المسلمون هكذا محكومين في حقيقة الأمر بالاستعباد الغربي وهم يظنون أن حكامهم هم إخوانهم وأبناء أمتهم.

ويقترح السنهوري بعد ذلك إنشاء معهد خاص يلحق بجامعة الدول العربية لدراسة الفقه الإسلامي حسب ذلك المنهج الذي يقترحه، وهنا يلتقي السنهوري بطه حسين، الذي اقترح في كتابه (مستقبل الثقافة في مصر - الفقرة ٤٩) إنشاء معهد للدراسات الإسلامية في كلية الآداب، كما يلتقي بمحمد خلف الله في اقتراحه الذي تقدم به إلى وزارة التربية والتعليم عن إعداد مدرس الدين، فاقترح فيه (أن يعاد النظر في تكوينه وإعداده وأن يُرسم لذلك منهج يحقق له عمق الثقافة وحرية الفكر). وبنى على ذلك اقتراحاً بإنشاء (قسم أو شعبة للدراسات الإسلامية في كلية للآداب بالجامعات المصرية) (تدرس فيما تدرسه "سيكولوجية الدين" و"النظم الدينية والأخلاقية المقارنة" ولغة أو لغتين

شرقيتين كالفارسية والأردية، ولغة أو لغتين غربيتين، ليكونوا على اتصال بتيارات التفكير الثقافي في الشرق الإسلامي وفي الغرب)[(١)].

ومع ذلك كله فليس للشريعة الإسلامية من الاعتبار عند كاتب هذا المقال أكثر مما للقانون الروماني، فالغاية عنده من إنشاء ذلك المعهد الذي اقترحه هي أن (تنتهي هذه الدراسة بعد عشرات من السنين إلى أن يتجدد شباب هذا الفقه، وتدب فيه عوامل التطور لروح العصر، وتكون نهضة الفقه الإسلامي هذه شبيهة بنهضة القانون الروماني في العصور الوسطى، ويُنبت الفقه الإسلامي قانوناً مدنياً متطوراً يجاري المدنية الحديثة، وينبثق هذا القانون الحديث من الشريعة الإسلامية كما انبثقت الشرائع اللاتينية والشرائع الجرمانية من الفقه الروماني - ص٢٤).

مثل هذا الكلام لا يمكن أن يصدر عن مسلم يعتقد أن الشريعة الإسلامية منزلة من عند الله، وأنها حدود الله، لا يتعداها إلا كافر ظالم لنفسه.

ثم يأخذ الكاتب في بيان ما يتضمنه التقاء القانون الغربي بالفقه الإسلامي من وجوه واحتمالات، ويخرج القارئ من كلامه بأن ما يسميه (اشتقاق القانون من الشريعة الإسلامية) ليس في حقيقة الأمر إلا إخضاع الشريعة الإسلامية لأهواء العصر وشهواته وهو ما يسميه (مدنية العصر).

وخلاصة ما يقوله هنا أنه لا يأخذ بحكم الشرع إلا حيث يتفق تماماً

---

(١) مجلة الأسرة ــ يصدرها قسم اللغة العربية بكلية الآداب بالإسكندرية ــ العدد السادس سنة ١٩٥٧ص ١٦٠ــ ١٦٥.

مع روح القوانين المدنية المستجلبة من أوروبا، ثم هو يُعدّل الحكم الشرعي أو يلغيه ويسقطه حسب مبلغ تعارضه مع هذه القوانين الغربية الأصول، التي هي في زعمه (أصلح للعصر) أو (تجاري مدنية العصر) أو (تساير روح العصر)، حسب تعبيره في مواضع مختلفة من هذا المقال.

وتطوير الفقه الإسلامي الذي يدعو إليه الكاتب، أو تبديله على الأصح، هو تطوير وتبديل لا يقف عند حد حسب اعترافه هو نفسه حيث يقول: (فالهدف الذي نرمي إليه هو تطوير الفقه الإسلامي وفقاً لأصول صناعته، حتى نشتق منه قانوناً حديثاً يصلح للعصر الذي نعيش فيه، فإذا استخلصنا هذا القانون في نهاية الدرس وأبقيناه دائم التطور حتى يجاري مدنيات العصور المتعاقبة، فقد تكون أحكامه في جزء منها، قل أو كثر مطابقة لأحكام القانون المدني العراقي أو لأحكام القانون المدني المصري أو الأحكام كل من القانونين.. إلخ ص ٢٨).

والمهم في ذلك كله أن هذا التطور الدائم سوف ينتهي بذلك التشريع الإسلامي المزعوم في المدى القريب أو البعيد إلى أن يصبح شيئاً مختلفاً عن الإسلام الذي أنزل على نبينا عليه الصلاة والسلام اختلافاً تاماً، بل إنه لكذلك منذ بدء وضعه أو التفكير فيه كما هو ظاهر في هذا البحث). انتهى كلام الأستاذ محمد محمد حسين ـ رحمه الله ـ.

لماذا يدافع الدكتور محمد عمارة عن السنهوري؟!

لقد قام الدكتور محمد عمارة بتجنيد نفسه مدافعاً ومحامياً عن السنهوري باشا صانع قوانين الكفر من خلال نشر المقالات في الصحف والمجلات[1] وتأليف كتاب بعنوان (الدكتور عبد الرزاق السنهوري:

(١) كمجلة المنهل (الأعداد: ٥٦١ ـــ ٥٦٤ ـــ ٥٦٦ ـــ٥٦٩)، ومجلة المجتمع (الأعداد: ١٣٦٩ إلى ١٣٧٢).

إسلامية الدولة والمدنية والقانون)[١]!! زاعماً أن السنهوري لم يكن علمانياً أبداً[٢]، وإنما كان إسلامياً يسعى إلى قيام حكم الإسلام واتخذ من القوانين الوضعية المطعمة بمواد إسلامية قنطرة وسلماً لذلك الهدف العظيم!

وهذه مغالطة مكشوفة من الدكتور يعلمها كل باحث اطلع على تراث وجهود السنهوري، كان ينبغي على صاحبها أن يستحي من ادعائها، وأن يتذكر قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴾[٣]، وقوله:﴿ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴾[٤].

وما سبق نقله من انحرافات وأقوال السنهوري نفسه تدحض هذا الإدعاء من الدكتور عمارة.

وفي ظني ـ والله أعلم ـ أن الذي حدا الدكتور عمارة لاقتحام هذا الأمر هو سعيه الدؤوب لإحياء تراث المدرسة العصرانية، ونشره بين أبناء المسلمين[٥]. فلما رأى أن السنهوري معجب ببعض رموز هذه

---

(١) الصادر عن دار الرشاد بمصر عام ١٤٢٠هـ.

(٢) انظر: ص ٥٠ من كتابه.

(٣) سورة النساء الآية: ١٠٥

(٤) سورة النساء الآية: ١٠٩

(٥) وذلك بعد توبته من الشيوعية!ليتحول بعدها إلى بعث تراث المعتزلة ومدرستهم الحديثة؛ فأحيا لأجل هذا (مخلفات)رفاعة الطهطاوي والأفغاني ومحمد عبده وقاسم أمين!وغيرهم من رموز هذه المدرسة،حتى قال الناصحون:ليته بقي على شيوعيته!وهذا مما يشهد بعدم صدق توبة الرجل،وإنما هو(تكتيك)تقتضيه المرحلة!خلافاً لما يظنه بعض المخلصين الذين انخدعوا بأطروحاته الجديدة ومساهمته في الرد على من يسميهم (غلاة العلمانيين)!فاستكتبوه لأجل هذا في مجلاتهم وصحفهم!،جاهلين أن فكر عمارة وأحزابه من العصرانيين أضر على الأمة من خُلص العلمانيين؛لأن هذا الفكر ـ كما سبق ـ يحقق =

المدرسة؛ كالكواكبي وغيره، ورأى توافق فكر الرجل مع شيوخه العصرانيين تحمس للدفاع عنه وتلميع صورته (الكالحة) أمام أبناء الإسلام؛ ليُرَوج عليهم ضلالاته.

ومن أعجب مقالات الدكتور عمارة عن السنهوري قوله عنه : (جعل رسالة حياته منذ فجر شبابه إحياء الشريعة الإسلامية)[١]!!

وأنه (كان أسبق وأعمق من الإخوان المسلمين)[٢]!

وأنه كان مؤمناً أشد الإيمان بالله ! لقوله عنه تعالى: (أنت موجود لأنك خلقتني)[٣]!!! أو قوله: (أدرك أن هناك قوة غير منظورة تحيطني وأؤمن بها، وإني من صُنْع هذه القوة)[٤]!!

إلى آخر هذا الهراء..

ونسي عمارة أن هذا مما يشترك فيه الوثني باليهودي بالنصراني بالمسلم، وإنما الذي يُميز المسلم عن غيره من الكفرة هو إيمانه برسالة محمد ـ ﷺ ـ، وتحقيقه توحيد العبادة لربه، وعدم نقضه بأيٍ من نواقض الإسلام المعروفة، إضافة إلى كفره بالطاغوت. وهذا مما لم يحققه

= الهدف العلماني(وفق الطريقة الإسلامية)!فهل يتنبه الغافلون وأصحاب الظن الحسن؟!ثم يطالبون الرجل إن كان صادقاً في توبته أن يتبرأ من هذا الفكر المخالف للكتاب والسنة.نسأل الله ذلك،ونسأله أن يهدي الدكتور محمد عمارة إلى الحق ويوفقه للتوبة النصوح،وأن يسخر جهوده وجَلَده على البحث لنصرة دعوة الكتاب والسنة. انظر لبيان حقيقة أفكار الدكتور عمارة:رسالة(محمد عمارة في ميزان أهل السنة) لكاتب هذا البحث.

(١) مجلة المنهل (العدد ٥٦١).

(٢) عبد الرزاق السنهوري.... (ص ١٠٦)، والإخوان المسلمون عليهم مؤاخذات عديدة، لكن لا مقارنة بينهم ألبتة وهذا الطاغوت.

(٣) المرجع السابق (ص١١٨).

(٤) عبد الرزاق السنهوري من خلال أوراقه الشخصية (ص٦٣).

السنهوري لا سيما الأخير، بل كان (طاغوتاً) من ضمن الطواغيت ـ والعياذ بالله ـ.

ولقد قام الدكتور الفاضل عباس حسني محمد عضو هيئة التدريس بالمعهد العالي للقضاء بالرياض بالرد على ادعاءات الدكتور عمارة التي حاول فيها الدفاع عن السنهوري وتحسين صورته أمام المسلمين .

فإليك مقاله الرائع، وقد أتى فيه ببعض الفوائد والزيادات التي لم يتطرق لها هذا البحث فيما سبق.

قال الدكتور عباس تحت عنوان: (هذا هو موقف السنهوري باشا من الشريعة):

(لقد أشاد الكاتب ـ أي محمد عمارة ـ بالسنهوري باشا باعتباره من الدعاة إلى إحياء الشريعة الإسلامية، والحق أن السنهوري كان على العكس من ذلك تماماً، وإني أسوق فيما يلي بعضاً من مظاهر موقف السنهوري من الشريعة الإسلامية الغراء وهي مظاهر واضحة وثابتة إما بصفة رسمية أو بقلمه:

١ـ من المعلوم أن السنهوري هو واضع القانون المدني المصري، وقد نصت المادة (١) من هذا القانون على ما يأتي:

(١ـ تسري النصوص التشريعية على جميع المسائل التي تتناولها هذه النصوص في لفظها أو في فحواها.

٢ـ فإذا لم يوجد نص تشريعي يمكن تطبيقه حكم القاضي بمقتضى العرف، فإذا لم يوجد فبمقتضى مبادئ الشريعة الإسلامية، فإذا لم يوجد فبمقتضى مبادئ القانون الطبيعي وقواعد العدالة).

فهذا النص يقدم أولاً نصوص القانون الوضعي وفحواها على

العرف، ثم يقدم العرف على الشريعة، وواضح أن العرف هنا منفصل عن الشريعة فهو ما تعارف عليه الناس دون تقيد بالشريعة، ولذلك جاء هذا العرف الفاسد مقدماً على الشريعة.

ثم يفترض أن الشريعة ناقصة، فيأمر بالرجوع إلى قواعد القانون الطبيعي والعدالة، وهذا ازدراء بالشريعة، وهو أمر يتعارض مع ما أمر به الله تعالى رسوله ـ ﷺ ـ باللجوء أولاً وآخراً إلى الشريعة في كل الأمور صغيرها وكبيرها، وفي كل حال سواء في المنشط أو المكره، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[1] وهذا التعبير القرآني البليغ يشمل كل أحوال الإنسان إلى يوم القيامة، لأن الناس إما في أمن أو في خوف، وقد أمر تعالى المسلمين باللجوء بعد وفاة الرسول ـ ﷺ ـ إلى العلماء الذي يستنبطون الأحكام من أدلتها الشرعية، وقال تعالى:﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾[2]

٢ـ زعم السنهوري أن الفقه الإسلامي لم يعرف الحوالة فهو يقول:

---

(١) سورة النساء الآية: ٨٣

(٢) سورة النساء الآية: ٦٠

"فلم يكن الفقه الإسلامي إذن بدعاً في تطوره كما قدمنا ولم يقر حوالة الدين دون أن يقر حوالة الحق، بل هو قد سار على السنن المألوفة في التطور، إذ هو قد بدأ بإقرار حوالة الحق بسبب الموت ثم بإقرار هذه الحوالة بين الأحياء، ولكن في مذهب واحد من مذاهبه، ثم وقف تطوره عند ذلك فلم يقر حوالة الحق بين الأحياء في المذاهب الأخرى ولم يقر حوالة الدين لا بسبب الموت ولا بين الأحياء" (الوسيط، للسنهوري: ج٣ ص٤٣٧).

فالسنهوري يعلن هنا أن الفقه الإسلامي شأنه شأن القوانين الوضعية لا يستطيع أن يعرف إلا ما يعرفه بالعقل عن طريق سنة التطور، وهذا نفي صريح للوحي؛ لأن الفقه الإسلامي هو بيان للشريعة الإسلامية التي ما هي إلا وحي يوحى.

ولقد عرف الفقه الإسلامي الحوالة بنوعيها عن طريق الوحي وليس عن طريق التطور، فقد ثبت في الصحيح عن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: "من أحيل بحقه على مليء فليحتل" رواه البخاري، وفي رواية صحيحة أخرى: "وإذا أتبع أحدكم على مليء فليتبع"، وهذه صريحة في إثبات كافة أحوال الحوالة سواء أكانت حوالة حق أم حوالة دين. هذا ويلاحظ أن السنهوري رتب هذه النتيجة وهي عدم جواز معرفة الفقه الإسلامي للحوالة، لأن هذا مخالف للتطور القانوني على مقدمة غير صحيحة تدل على عدم معرفته للفقه الإسلامي، فهو قد ظن أن الفقه الإسلامي لم يعرف انتقال الالتزام "الدين" بسبب الموت، لأن المبدأ السائد في مصر يقوم على أساس أنه لا تركة إلا بعد سداد الديون، أي لا يجوز نقل الدين بسبب الموت.

ولكنه لم يعلم أن الفقه الإسلامي يصرح بأن هناك رأياً آخر يذهب إلى أن الالتزام ينتقل بالموت، وفي هذا يقول ابن قدامة: "حكى بعض أصحابنا فيمن مات وعليه دين: هل يمنع الدين نقل التركة إلى الورثة؟ روايتان:

إحداهما: لا يمنعه، للخبر: "من ترك حقاً أو مالاً فلورثته"، ولأن تعلق الدين بالمال لا يزيل الملك في حق الجاني والراهن والمفلس، فلم يمنع نقله، فإن تصرف الورثة في التركة ببيع أو غيره صح تصرفهم ولزمهم أداء الدين.

والرواية الثانية: منع نقل التركة إليهم "أي: لا تركة إلا بعد سداد الديون".

فالسنهوري رتب هذه النتيجة على مقدمة غير صحيحة، وهي أن الفقه الإسلامي لا يعرف إلا مبدأ "لا تركة إلا بعد سداد الديون"، وهذا غير صحيح، ثم أخضع الفقه الإسلامي لما يخضع له القانون الوضعي من سنة التطور، ونسي أن الفقه الإسلامي يعتمد أصلاً على الوحي، أي : المعجزة، وقد حصلت المعجزة الفقهية ـ فعلاً ـ في نزول الوحي بهذا الحديث الصحيح، وهو: "من أحيل بحقه على مليء فليحتل"، فالحوالة جاء بها الشرع، سواء أكان الفقه الإسلامي يرى انتقال الالتزام بسبب الموت أم لا يرى ذلك، والحق أن نزول الحوالة في قلب رسول الله ـ ﷺ ـ إنما هي من معجزاته الفقهية، لأن القانون الروماني لم يعرف الحوالة أبداً، كما لم يعرفها قانون نابليون الصادر في سنة ١٨٠٤م.

٣ـ اعتذر السنهوري عن عدم اعتبار الشريعة الإسلامية هي الأساس الأول ـ الذي ينبني عليه القانون المدني ـ بعذرٍ واه، فقال: "أما

جعل الشريعة الإسلامية هي الأساس الأول الذي ينبني عليه تشريعنا المدني، فلا يزال أمنية من أعز الأماني التي تختلج بها الصدور، وتنطوي عليها الجوانح، ولكن قبل أن تصبح هذه الأمنية حقيقة واقعة، ينبغي أن تقوم نهضة علمية قوية لدراسة الشريعة الإسلامية في ضوء القانون"
(الوسيط، للسنهوري: ج١ ص ٤٨ هامش:١)

فالسنهوري يزعم أن الشريعة الإسلامية لا يمكن تطبيقها قبل دراستها دراسة قوية في ضوء القانون المقارن، فالشريعة الإسلامية غير قابلة ـ في نظره ـ للتطبيق قبل دراستها دراسة عميقة، لقد أنزل الله تعالى الشريعة الإسلامية ميسرة للتطبيق الفوري، وطبقت مئات السنين، وهي تطبق الآن في بعض الدول الإسلامية القليلة، هذا ولا يوجد في العالم تشريع سماوي أو وضعي درس دراسة عميقة مستفيضة مثل الشريعة الإسلامية، ولقد احتوى الفقه الإسلامي على آلاف الدراسات العميقة، ولا توجد أي فكرة تعرض لها الشراح في القوانين القديمة والحديثة إلا وتعرض لها فقهاء الإسلام إما بالقبول أو الرفض.

وإذا كان السنهوري يرى ذلك في الشريعة الإسلامية، فإن علماء القانون المقارن في الغرب أقروا بعظمة الشريعة الإسلامية مع أنهم ليسوا بمسلمين:

ـ ففي المؤتمر الدولي للقانون المقارن المنعقد في لاهاي سنة ١٩٣٢م أعلن العالم القانوني الفرنسي لامبير تقديره العظيم للفقه الإسلامي.

ـ وفي مؤتمر المحامي الدولي المنعقد في لاهاي والذي اشترك فيه كبار علماء القانون من ثلاث وخمسين دولة جاءت قراراته تشيد بالشريعة الإسلامية.

- وفي يوليو سنة ١٩٥١م، عقدت شعبة الحقوق الشرقية من المجمع الدولي للحقوق المقارنة مؤتمراً في كلية الحقوق بجامعة باريس للبحث في الفقه الإسلامي، وفي خلال مناقشة المؤتمر قال أحد نقباء المحامين في باريس، ما يأتي: "كيف أوفق بين ما كان يُحكى لنا عن جمود الفقه الإسلامي وعدم صلاحيته أساساً تشريعاً يفي بحاجات المجتمع العصري المتطور وبين ما نسمعه الآن، مما يُثبت خلاف ذلك تماماً ببراهين النصوص والمبادئ".

وقد ألف رجال القانون الدولي جمعية خاصة ببحث كتب محمد بن الحسن الشيباني - صاحب أبي حنيفة - واعتبروه أباً للقانون الدولي.

ولكن السنهوري يرى أن الشريعة الإسلامية لا يمكن تطبيقها الآن إلا بعد إعادة دراستها دراسة قوية في ضوء القانون المقارن، وهو يقدم - رسمياً - العرف عليها ويفترض نقصانها باللجوء إلى قواعد القانون الطبيعي والعدالة.

ولنا أن نتساءل: ما هذه الدراسات التي تحتاج إليها الشريعة الإسلامية؟

يرى السنهوري أنه لابد من تطوير الشريعة الإسلامية، فمثلاً الحدود الشرعية لم تعد تصلح في نظره للتطبيق الآن، ولابد من إحلال عقوبات السجن والغرامة بدلاً من الرجم والجلد والقطع، وهذا أمر مستحيل حصوله إلا من خلال التكذيب بآيات الله البينات، ومما هو معلوم من الدين بالضرورة[1].

---

(١) وهذا من انحرافات الرجل الكثيرة التي لم أذكرها، وهي تدخل ضمناً في تفضيله حكم القوانين الوضعية على الشريعة الإسلامية.

٤ـ نصت المادة (٤٩٢ مدني مصري) على أن هبة الأموال المستقبلة باطلة، لأنه تبرع بمعدوم، وذلك رغم أن القانون نفسه يجيز التعامل بعوض في المال المستقبل، وبرغم أن الهبة الأصل فيها عدم وجود مقابل لها، فلا خطر من انعدامها وقت التعاقد، ولا خسارة تعود على الموهوب له إذا لم توجد عند التنفيذ، بعكس الحال في عقود المعاوضات المالية، كما هو واضح، فكان من الأليق وقد أجاز القانون التعامل في الأموال المستقبلة بعوض أن يجيزه من باب أولى في الأموال بغير عوض.

وقد ذكر السنهوري في المذكرة الإيضاحية للمشروع التمهيدي للقانون المدني المصري: أن بطلان هبة المال المستقبل تطبيق لأحكام الشريعة الإسلامية في مبدئها العام الذي يمنع التعامل في المعدوم (الوسيط، للسنهوري: ج٥ المجلد الثاني)

لكن فقهاء الإسلام اختلفوا بالنسبة للتعامل في المعدوم: فالحنفية منعوه تماماً، وغيرهم مثل شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم ومن نحا نحوهما ذهبوا إلى أن التعامل بالمعدوم صحيح إذا وصف وصفاً كافياً نافياً للجهالة، وحجتهم قوية، فأحاديث السلم ثابتة وصحيحة، وهي تُجيز ذلك صراحة، وفقهاء الإسلام بصفة عامة يتخففون في التبرعات فيجيزون فيها ما لا يجوز في المعاوضات، وهم يقسمون المعاوضات إلى مالية وغير مالية، ويذهبون إلى أن الغرر لا يؤثر إلا في المالية، ومن باب أولى لا يؤثر في التبرعات.

ومن هنا نعلم أن ما ذكره السنهوري ليس صحيحاً، بل هو يتعارض تماماً مع الفقه الإسلامي، وكان الأجدر أن يُقال هنا إن القانون المصري جرى وراء التشريع الفرنسي الذي يمنع هبة المال المستقبل

(م٩٤٣ مدني فرنسي).

٥ـ ذهب السنهوري إلى أن الفقه الإسلامي يرفض فكرة الاشتراط لمصلحة الغير، وردده في كتبه، ولقد عرف الفقه الإسلامي الاشتراط لمصلحة الغير باسم: اشتراط نفع الأجنبي عن العقد، واختلف الفقهاء بشأنه، فمنهم من أجازه بإطلاق، مثل شيخ الإسلام ابن تيمية.

وقد صدرت في عام ١٩٧٧م رسالة دكتوراه بكلية الحقوق ـ جامعة القاهرة ـ قسم الشريعة، عنوانها: "الاشتراط لمصلحة الغير في الفقه الإسلامي والقانون المقارن"، وثبت فيها أن فكرة الاشتراط لمصلحة الغير في الفقه الإسلامي أوسع وأدق من نظيرتها في القانون.

٦ـ إنه لمن العجيب حقاً أن د. محمد عمارة ساق لنا في مقاله عبارات للسنهوري تؤكد ما نقوله تماماً، فيقول: "ولذلك دعا السنهوري إلى إشراك غير المسلمين في حركة تجديد فقه المعاملات وتقنينه، وذلك بإحياء المبدأ الإسلامي: شريعة من قبلنا شريعة لنا ما لم تنسخ".

فالسنهوري يرى ببساطة أنه من المستحسن أن يشترك في الاجتهاد في أحكام المعاملات في الفقه الإسلامي غير المسلمين، وهذا يبطل الاجتهاد، لأنه من أول شرائط الاجتهاد: أن يكون المجتهد مسلماً، فكيف يشترك الكفار في الاجتهاد الذي هو استنباط الحكم الشرعي من الأدلة من الكتاب والسنة؟!

ثم ما علاقة اجتهاد الكافر في الإسلام بقاعدة "شريعة من قبلنا شريعة لنا ما لم تنسخ"؟ إن الاجتهاد لا يكون إلا فيما لم يرد فيه نص، وأما شريعة من قبلنا، فلا يمكن الأخذ بها إلا إذا ثبتت بنص من الكتاب أو السنة أولاً.

وبعد: فإن هذه بعض الأمثلة التي تدل على أن **السنهوري لم يكن من أنصار تطبيق الشريعة الإسلامية**، وإنما على العكس من ذلك، كان يرى وجوب تطويع الشريعة للقوانين الوضعية، حتى يمكن تطبيقها، وأن يقوم الكفار بهذا العمل، وهذا أمر خطير ولا ريب)[1].

---

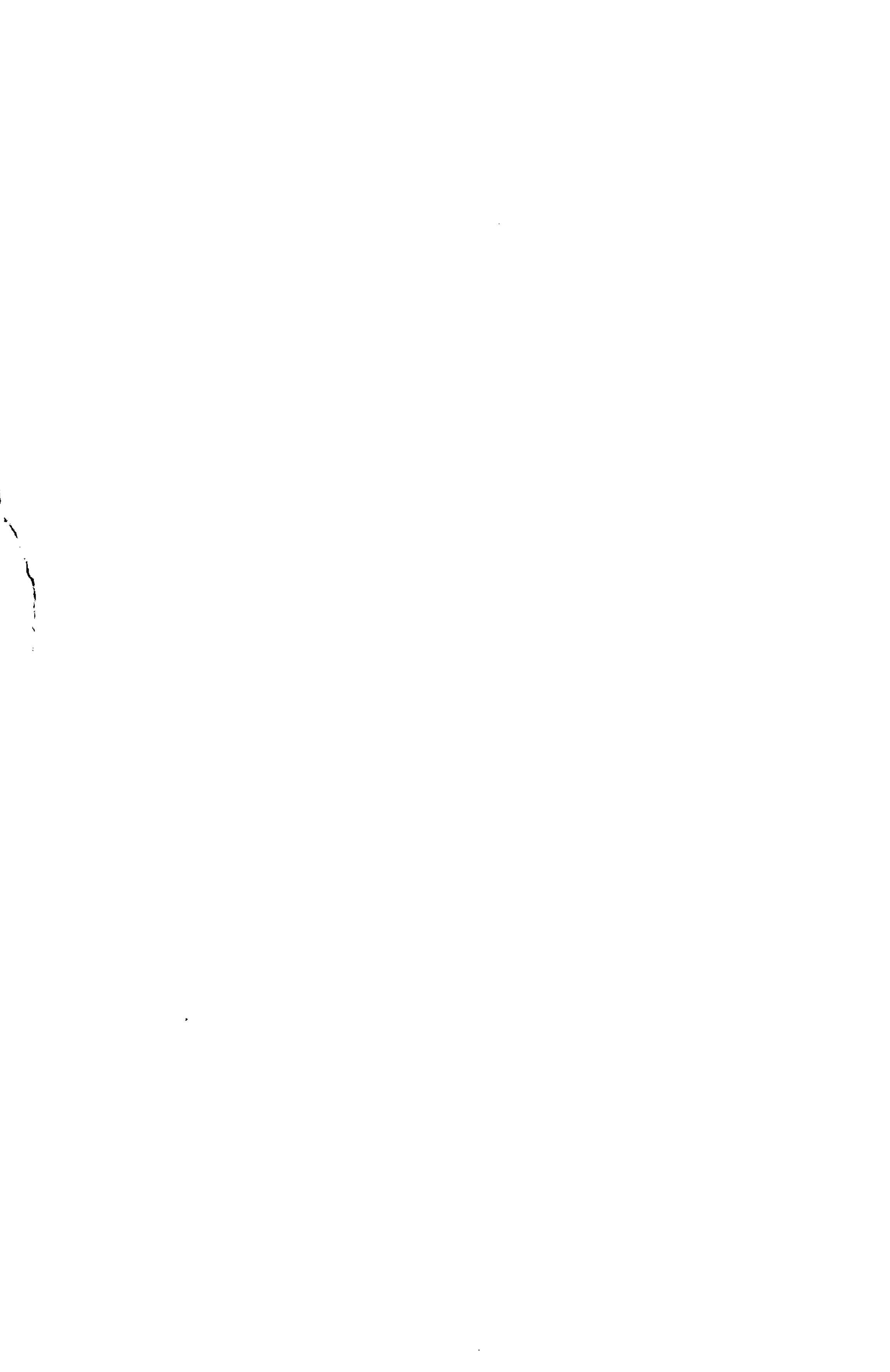
(١) مجلة المجتمع، العدد ١٣٨٦ – ٢٦ شوال ١٤٢٠هـ .

نظرة شرعية

في فكر

زكي نجيب محمود





نظرة شرعية في فكر (زكي نجيب محمود)

ترجمته[(١)]:

هو: زكي نجيب محمود.

ولادته: ١٩٠٥ في ميت الخولي عبد الله، مصر .

وفاته: / ١٠/ ١٩٩٣.

ثقافته:

تعلم في مدرسة ميت الخولي الابتدائية ثم في القاهرة، دخل مدرسة كلية جوردن في الخرطوم، فمعهد المعلمين الأعلى، القاهرة، ١٩٢٦ــ ١٩٣٠، ثم كلية الملك (King's ollege)، جامعة لندن، ١٩٤٤ــ ١٩٤٧.

وحصل على دكتوراه في الفلسفة.

حياته في سطور:

كاتب، أستاذ جامعي في الفلسفة، أستاذ زائر في كلية كولومبيا ولاية كارولينا الجنوبية وجامعة الدولة، واشنطن، الولايات المتحدة، ١٩٥٣. مستشار ثقافي للسفارة المصرية في واشنطن العاصمة، أستاذ زائر في الجامعة العربية، بيروت، ١٩٦٤، أستاذ في جامعة الكويت، ١٩٦٨ــ ١٩٧٣؛ محرر مجلة الثقافة، ١٩٤٩ـ ١٩٥٢، والفكر المعاصر، ١٩٦٥ــ ١٩٦٨؛ ثم أصبح عضو المجلس الأعلى للثقافة عند إنشائه من جديد سنة ١٩٨٠ كما هو عضو المجلس القومي للثقافة، ١٩٧٩ وعضو المجلس

---

(١) الترجمة مقتبسة من (أعلام الأدب العربي المعاصر) لروبرت كامبل (٢/١١٨٨-١١٩١). وانظر: تتمة الأعلام، للأستاذ محمد خير رمضان يوسف، و"الفكر الديني عند زكي نجيب محمود " للدكتورة منى أحمد أبو زيد.

القومي للتعليم والبحث العلمي والتكنولوجيا.

نال جائزة الدولة التشجيعية في الفلسفة، ١٩٦٠؛ وظفر بجائزة الدولة التقديرية، في الأدب، ١٩٧٥؛ وأنعم عليه بوسام الاستحقاق من الطبقة الأولى. لقد زار كلاً من الجزائر وسورية والعراق ولبنان والكويت وأبو ظبي والسودان كما زار فرنسا وإنجلترا والولايات المتحدة الأمريكية. وقد اقترن بلوغه الثمانين بفوزه بالجائزة التقديرية للثقافة العربية التي منحته إياها منظمة "الألكسو"

السيرة:

يقول عن نفسه: "ولدتُ في اليوم الأول من شهر فبراير سنة ١٩٠٥ بقرية ميت الخولي عبد الله بمحافظة دمياط في الشمال الشرقي من دلتا النيل وقضيت في القرية نحو خمس سنوات من طفولتي الأولى بدأت من خلالها مرحلة التعليم الأولى في مدرسة القرية ثم انتقلت الأسرة إلى القاهرة وهناك استأنفت مرحلة التعليم الأولى حتى بلغت التاسعة من عمري وعندئذ نقل والدي إلى وظيفة في حكومة السودان بالخرطوم. وتنقلت معه بقية الأسرة لألتحق هناك بمدرسة كلية غوردون وهي في ذلك الحين المدرسة الوحيدة في السودان وتتألف من المرحلتين الابتدائية والثانوية وكانت على نظام المدارس الإنجليزية. فلما أوشكت على إتمام المرحلة الثانوية هناك عدت إلى القاهرة تكميلاً للمرحلة العليا.

وفي سنة ١٩٢٦ التحقت بمدرسة المعلمين العليا القسم الأدبي وتخرجت منها سنة ١٩٣٠ وعملت بالتدريس في مدارس التعليم العام بضع سنوات ولكن حدث في أول يناير سنة ١٩٣٣ أن صدرت مجلة

وبدأت إرسال المقالات لتلك المجلة فكان ذلك ابتداء السير خلال حياتي كلها في خطين متوازيين إحداهما العمل الذي أرتزق منه وهو التدريس والآخر هو المشاركة في حياتنا الثقافية بالكتابة في المجلات أو بتأليف الكتب وكانت المقالات التي بدأت أنشرها في مجلة الرسالة مقالات في موضوعات فلسفية فلما كان عام ١٩٣٤ تصادف أن التقيت بالمرحوم الأستاذ أحمد أمين الذي رئيساً للجنة التأليف والترجمة النشر منذ بدأت ١٩١٤ وإلى آخر حياته. وكانت تلك اللجنة تضم بين أعضائها معظم نجوم الفكر والأدب في مصر عرضت على الأستاذ أحمد أمين المشاركة معاً في إصدار سلسلة كتب تعرض تاريخ الفلسفة وتاريخ الأدب بأسلوب واضح سهل يتقبله المثقف العام. وهكذا كان فلم يمض عام حتى صدر الكتاب الأول قصة الفلسفة اليونانية سنة ١٩٣٥ وفي العام الذي تلاه صدر الكتاب الثاني قصة الفلسفة الحديثة من جزءين وخلال الأربعينات صدر لنا معاً قصة الأدب في العالم في أربعة مجلدات على أنه قد حدث خلال تلك الفترة أن أصدرت اللجنة مجلة خاصة بها سنة ١٩٣٧ هي مجلة الثقافة فاخترت أنشر مقالاتي بها منذ ذلك الحين بالإضافة إلى نشاط آخر قمت به من خلال خطة لمجلس التأليف تهدف إلى نقل عيون الأدب والفكر العربي فكان لي في ذلك المشروع كتاب عن هـ.جـ. ويلز وجعلت عنوانه الأغنياء والفقراء وذلك سنة ١٩٣٧ ثم كان لي بعد ذلك كتاب فنون الأدب عربته عن شارلتون أستاذ الأدب الإنجليزي في إحدى جامعات بريطانيا.

وفي سنة ١٩٤٤ سافرت إلى إنجلترا في بعثة دراسية للحصول على إجازة الدكتوراه في الفلسفة فالتحقت بجامعة لندن في كلية الجامعة وحصلت في صيف العام التالي ١٩٤٥ على بكالوريوس الشرفية من الطبقة الأولى في الفلسفة فكان هذا الامتياز يتيح لي في جامعة لندن

التقدم إلى التسجيل لدرجة الدكتوراه فسجلت لها في كلية الملك بلندن تحت موضوع الجبر الذاتي (Self Determination) وحصلت على الدكتوراه في الفلسفة سنة ١٩٤٧ عدت بعدها إلى القاهرة لألتحق بهيئة التدريس بقسم الفلسفة في كلية الآداب جامعة القاهرة (وكان اسمها عندئذ جامعة فؤاد الأول) على أني استأنفت السير في الخطين المتوازيين الذي أشرف إليهما ففي إحداهما أباشر عملي الجامعي وفي الآخر أشارك في حياتنا الثقافية العامة، وكانت مؤلفاتي لعدة سنوات منصبة على إخراج كتب جامعية في الفلسفة وفي الخط الثاني ظللت أصدر الكتب الأدبية والنقدية من خلال لجنة التأليف والترجمة والنشر حتى كان عام ١٩٦٥ بلغت سن التقاعد ولكني عينت بالجامعة أستاذاً غير متفرغ حيث ما أزال حتى اليوم.

خلال تلك الفترة حدث ما يأتي: ففي سنة ١٩٥٣ سافرت إلى الولايات المتحدة الأمريكية أستاذاً زائراً في جامعتين حيث قضيت في كل منهما فصلاً دراسياً الأولى منها كانت جامعة كولومبيا بولاية كارولينا الجنوبية والأخرى كانت في جامعة بوليمان بولاية واشنطن في أقصى الشمال الغربي من الولايات. وبعد أن انتهى ذلك العام طلبت إلى مصر أن أكون مستشاراً ثقافياً في سفارتنا بواشنطن حيث قضيت عاماً واحداً ثم عدت بعده لأستأنف التدريس بقسم الفلسفة بكلية آداب القاهرة.

وفي سنة ١٩٦٤ قضيت فصلاً دراسياً في بيروت بجامعة بيروت العربية ثم في سنة ١٩٦٨ سافرت إلى الكويت أستاذاً بجامعتها لمدة خمس سنوات.

وأعود مرة أخرى إلى معالم حياتي منذ عدت من لندن ١٩٤٧ فكان أبرزها زواجي ١٩٥٦ من الدكتورة منيرة أحمد حلمي أستاذة علم النفس بجامعة عين شمس، وأما الأحداث الثقافية فكان من بينها الإشراف على مجلة الثقافة من سنة ١٩٤٩ـ ١٩٥٢ وهي المجلة التي كانت تصدرها لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٥٨ شاركت بقسط كبير في الموسوعة العربية الميسرة التي أصدرتها مؤسسة فرانكلين بتمويل من مؤسسة فورد، وفي سنة ١٩٦٥ أنشأت باسم وزارة الثقافة مجلة الفكر المعاصر وأشرفت على تحريرها حتى سافرت إلى الخارج سنة ١٩٦٨"

ـ توفي في ٢٢/ ٣/ ١٤١٤هـ.

مؤلفاته :

(أ) كتب جامعية في الفلسفة:

١- المنطق الوضعي، جزءان، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٥١.

٢- خرافة الميتافيزيقا، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥٣؛ ط٢، موقف من الميتافيزيقا، بيروت، دار الشروق، ١٩٨٣.

٣- برتراند راسل، القاهرة، سلسلة "نوابغ الفكر الغربي"، دار المعارف، ١٩٥٦. عرض لفلسفة برتراند.

٤- دافيد هويوم، القاهرة، دار المعارف، ١٩٥٧.

٥- حياة الفكر في العالم الجديد، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٥٧؛ ط٢، بيروت، دار الشروق، ١٩٨٢.

٦- نحو فلسفة علمية، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٦٠.

٧- جابر بن حيان، القاهرة، هيئة الكتاب بوزارة الثقافة، ١٩٦١.

(ب) كتب أدبية:

١- الأغنياء والفقراء، القاهرة، مجلس التأليف، ١٩٣٧. مقالة عن H .G . wells..

٢- جنة العبيط، القاهرة، دار الشرق، ١٩٤٧.

٣- شروق من الغرب، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٥١.

٤- والثورة على الأبواب، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٥٧.

٥- قشور ولباب، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٥٧.

٦- فلسفة وفن، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٥٧.

٧- قصة نفس، بيروت، دار المعارف لبنان، ١٩٦٥.

٨- وجهة نظر، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٦٧.

٩- مع الشعراء، بيروت ـ القاهرة، دار الشروق، ١٩٧٦.

١٠- أرض الأحلام، القاهرة، دار الهلال، ١٩٧٧.

١١- موقف من الميتافيزيا، بيروت ـ القاهرة، دار الشروق، ١٩٨٣.

١٢- في مفترق الطرق، بيروت، دار الشروق، ١٩٨٥. مقالات.

١٣- رؤية إسلامية، القاهرة ـ بيروت، دار الشروق، ١٩٨٧. مقالة.

١٤- عربي بين ثقافتين، القاهرة، دار الشروق، ١٩٩٠.

١٥- بذور وجذور، القاهرة، دار الشروق، ١٩٩٠.

١٦- حصاد السنين، القاهرة، دار الشروق، ١٩٩١. مذكرات.

(ج) ترجمات:

١- فنون الأدب، القاهرة، لجنة التأليف. والترجمة والنشر، ١٩٣٨. .The litirary arts, by prof. Charlton(?)

٢- قصة الحضارة، القاهرة، م ١، لجنة التأليف والترجمة، ١٩٥٠.

٣- تاريخ الفلسفة الغربية لبرتراند راسل، القاهرة، لجنة التأليف...، ١٩٥٠ـ١٩٥٢. The history of westirn philosphy, by Bertrand Russel.

٤- المنطق ـ نظرية البحث لجون ديوي، القاهرة، مؤسسة فرنكلين، ١٩٥٩. Logic, The theory of inquiry, by john Dewey.

(د) كتب ثقافية:

١- الشرق الفتان القاهرة، هيئة الكتاب المصري، ١٩٦١.

٢- تجديد الفكر العربي، بيروت ـ القاهرة، دار الشروق ١٩٧١.

٣- المعقول واللامعقول في تراثنا الفكري، بيروت ـ القاهرة، دار الشروق، ١٩٧٢.

٤- قصاصات الزجاج، بيروت ـ القاهرة، دار الشروق، ١٩٧٦.

٥- في فلسفة النقد، بيروت ـ القاهرة، دار الشروق، ١٩٧٦.

٦- في حياتنا العقلية، بيروت ـ القاهرة، دار الشروق، ١٩٧٩. من زاوية فلسفية، بيروت ـ القاهرة، دار الشروق، ١٩٧٩.

٧- هذا العصر وثقافته، بيروت ـ القاهرة، دار الشروق، ١٩٨٠.

٨- مجتمع جديد أو الكارثة، بيروت ـ القاهرة، دار الشروق، (؟). ١٩٨٠.

٩- قصة عقل، بيروت ـ القاهرة، دار الشروق، ١٩٨٣. سيرته الذاتية العقلية.

١٠- الكوميدية الأرضية، بيروت ـ القاهرة، دار الشروق، ١٩٨٣.

١١- أفكار ومواقف، بيروت ـ القاهرة، دار الشروق، ١٩٨٣. مذكرات الكاتب.

١٢- قيم من التراث، بيروت ـ القاهرة، دار الشروق، ١٩٨٤.
١٣- عن الحرية أتحدث، بيروت ـ القاهرة، دار الشروق ١٩٨٦.
١٤- في تحديث الثقافة العربية، القاهرة، دار الشروق، ١٩٨٧.
١٥- نافذة على فلسفة العصر، الكويت، سلسلة "الكتاب العربي"، ١٩٩٠.

عن المؤلف:

١- الرأي (عمان، الأردن)، ٩/ ١٠/ ١٩٧٦. مقابلة. حوار عن أزمة الفكر العربي.

٢- الحوادث، ٢٤/ ٥/ ١٩٨٥، ص ٦٧ـ ٦٩، ١٠/ ٧/ ١٩٨٧، ص ٥١ـ٥٢؛ و١، ٧، ١٩٨٨، ص ٥٢ ـ٥٣. مقابلات.

٣- سدي، عبد الباسط: الوديعة المنطقية والتراث العربي: نموذج فكر زكي نجيب محمود، بيروت، دار الفارابي، ١٩٩٠.

٤- بعد الرحيل: مقالات مجموعة في رثائه بتقديم زوجته، ١٤١٧هـ.

لمحة عنه:

ـ يعد الدكتور زكي نجيب محمود أحد رواد "الفلسفة الوضعية"، والمروّج الأول لها بين المسلمين، وقد ألف لأجل هذا ثلاثة كتب، هي؛ (المنطق الوضعي)، (خرافة الميتافيزيقا)، (نحو فلسفة علمية).

يقول الدكتور: "مذهبي الفلسفي هو فرع من فروع المذهب التجريبي، يمكن تسميته بالوضعية المنطقية" (المنطق الوضعي، المقدمة هـ).

ويقول ـ أيضاً ـ: "إنني في الفلسفة نصير الوضعية المنطقية التي ما فتئ أصحابها حتى اليوم يجاهدون في تبليغ دعواها، وإن دعواها تتطلب

جهاداً شاقاً طويلاً لتبقى في عقول الناس" (مجلة الكتاب، ج٣، ١٩٥٢، ص١٩٧).

ويقول الدكتور محمود أمين العالم: "إن زكي نجيب محمود هو الصوت الوحيد الذي يعبر عن الفلسفة الوضعية في شرقنا العربي" (عن الغزو الفكري في المناهج الدراسية، للأستاذ علي لبن، ص١٩).

ولكي نفهم عقيدة الدكتور ومذهبه هذه نبذه عن (المذهب الوضعي):

ـ مر الدكتور زكي بثلاث مراحل ـ كما يزعم ـ : "المرحلة الميتافيزيقية، ومحورها الجبر الذاتي، والمرحلة الوضعية المنطقية، ومرحلة الاهتمام بالتراث" ولكنه مع هذا يوضح أنه لم يتخل عن مذهبه الوضعي حتى في مرحلته الثالثة، يقول الدكتور معقباً على الكلام السابق: "مع مراعاة أنني في هذه المرحلة الثالثة لم أتنكر للمرحلة الثانية، بل ما زلت حتى اللحظة أتمسك بالأسس العامة للوضعية المنطقية في مجال التفكير العلمي" (الوضعية المنطقية والتراث العربي، نموذج فكري زكي نجيب محمود الفلسفي، لعبد الباسط سيدا، ص ١٩٢).

ـ ويعترف الدكتور زكي بأن عودته للتراث كانت متأخرة جداً، يقول الدكتور عن نفسه في مقدمة كتابه (تجديد الفكر العربي):

"لم تكن قد أتيحت لكاتب هذه الصفحات في معظم أعوامه الماضية فرصة طويلة الأمد، تمكنه من مطالعة صحائف تراثنا العربي على مهل، فهو واحد من ألوف المثقفين العرب، الذين فتحت عيونهم على فكر أوروبي ـ قديم أو جديد ـ حتى سبقت إلى خواطرهم ظنون بأن ذلك هو الفكر الإنساني الذي لا فكر سواه، لأن عيونهم لم تفتح على غيره

لتراه؛ ولبثت هذه الحال مع كاتب هذه الصفحات أعواماً بعد أعوام: الفكر الأوروبي دراسته وهو طالب، والفكر الأوروبي تدريسه وهو أستاذ، والفكر الأوروبي مسلاته كلما أراد التسلية في أوقات الفراغ؛ وكانت أسماء الأعلام والمذاهب في التراث العربي لا تجيئه إلا أصداء مفككة متناثرة، كالأشباح الغامضة يلمحها وهي طافية على أسطر الكاتبين.

ثم أخذته في أعوامه الأخيرة صحوة قلقة؛ فلقد فوجئ وهو في أنضج سنيه، بأن مشكلة المشكلات في حياتنا الثقافية الراهنة، ليست هي: كم أخذنا من ثقافات الغرب وكم ينبغي لنا أن نزيد؛ إذ لو كان الأمر كذلك لهان، فما علينا عندئذ إلا أن نضاعف من سرعة المطابع، ونزيد من عدد المترجمين، ... الخ" (ص٥).

ولكن هذه الصحوة من الدكتور على التراث لم تقده إلى تبني الحق واتباع الصراط المستقيم ـ كما سيأتي ـ إنما قادته إلى مزيد من الاضطراب والصد عن سبيل الله؛ لأن الرجل عندما عاد ـ كما يزعم ـ إلى التراث، عاد بفكره القديم (الوضعي) فقبل من التراث ما يقبله مذهبه الفلسفي، وتخير ما يناسب عقله ـ كما سيأتي ـ فكان رائده عقله ومذهبه لا الحق.

وللعلم: فبعض الباحثين استنكر من الدكتور تبجحه بأنه لم يعرف التراث إلا متأخراً، ثم نجده يخوض في مسائله وقضاياه ويرد كثيراً منه بجرأة عجيبة.

يقول الأستاذ جمال سلطان: " كيف يحق لصاحب تلك (النظرات العجلى) أن يحكم على تراث يشمل دنياً، وحضارة،

وأعلاماً، وأمة، وقادة، كانوا مثار إعجاب العالم الغربي ذاته قبلنا؟" (غزو من الداخل، ص٤٥).

ويقول الأستاذ محمد إبراهيم مبروك: "هل من الممكن أن يكون من الموضوعية أن يحاكم الإسلام بمعايير غربية ترسخت في ذهن صاحبها على امتداد أربعين سنة؟!" (علمانيون أم ملحدون، ص١٠٥).

انحرافاته:

١-أعظم انحراف له هو إنكاره للغيب كله!! اتباعاً لمنهجه الوضعي ـ كما سبق ـ، وقد ألف كتاباً بعنوان (خرافة الميتافيزيقا) أي خرافة الغيب!، وهو يعترف بهذا . يقول الدكتور:

"ولما كان المذهب الوضعي بصفة عامة ـ والوضعي المنطقي الجديد بصفة خاصة ـ هو أقرب المذاهب الفكرية مسايرة للروح العلمي كما يفهمه العلماء الذي يخلقون لنا أسباب الحضارة في معاملهم؛ فقد أخذت به أخذ الواثق بصدق دعواه؛ وطفقت أنظر بمنظاره إلى شتى الدراسات، فأمحو منها ـ لنفسي ـ ما تقتضيني مبادئ المذهب أن أمحوه.

وكالهرة التي أكلت بنيها، جعلت الميتافيزيقا أول صيدي ـ جعلتها أول ما أنظر إليه بمنظار الوضعية المنطقية، لأجدها كلاماً فارغاً لا يرتفع إلى أن يكون كذباً، لأن ما يوصف بالكذب كلام يتصوره العقل، ولكن تدحضه التجربة؛ أما هذه فكلامها كله هو من قبيل قولنا: إن المزاحلة مرتها خمالة أشكار ـ رموز سوداء تملأ الصفحات بغير مدلول ـ وإنما يحتاج الأمر إلى تحليل منطقي ليكشف عن هذه الحقيقة فيها"!! (المنطق الوضعي، المقدمة م).

فالغيب عند الدكتور ليس كذباً فقط، بل هو (كلام فارغ) !ـ

والعياذ بالله ـ.

وهذا كفر بالله لا يشك فيه أدنى مسلم؛ لأن الإيمان بالغيب (ومن ضمنه: الإيمان بالله، وبملائكته، وبالجنة والنار...) من لوازم الإيمان، فلا يصح إيمان عبد وهو يكفر بالغيب.

هذا، وقد قام الدكتور محمد البهي ـ رحمه الله ـ بتفنيد شبهات الدكتور التي ملأ بها كتابه (خرافة الميتافيزيقا)، وذلك في كتابه (الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، ص ٢٣٩ وما بعدها فليراجعه من شاء).

وقد يتعجب البعض عندما يرى الدكتور في مرحلته الثالثة يهتم بالتراث، وهذا ما يناقض مذهبه الوضعي؛ لأن التراث يحتوي على غيبيات كثيرة، فكيف التوفيق؟

أقول: الدكتور لا يجعلنا نحتار في هذا التناقض الظاهري، فهو يعترف ـ كما سبق ـ بأنه باقٍ على مذهبه الوضعي حتى في مرحلته الثالثة، وأما عن اهتمامه بالتراث الغيبي ومدى تناقضه مع ما سبق، فيحل هذا الإشكال الأستاذ عبد الباسط سيدا بقوله: "لا يقبل زكي نجيب محمود الماورائية بأي معنى آخر، لأنها حينئذ ستكون بمثابة "أسطورة من أساطير الأولين"، لا تقدم إلى القارئ أي شيء، في الوقت الذي توهمه أن قضاياها قضايا تركيبية كقضايا باقي العلوم.

والأمر الذي لا جدال فيه، هو أن هذه النتيجة لا تعجب العديد من المعجبين بالمذاهب الفلسفية الضخمة ـ التي يعتبرها الوضعيون المنطقيون ما ورائية فارغة من المعنى ـ لأنهم يرون أن للقضايا الواردة "في الكتب الميتافيزيقية تأثيراً في القارئ وتأثيراً قوياً جداً في بعض

الأحيان، وبناء على ذلك لابد من أنها تعبر عن شيء".

هنا ترى الوضعية المنطقية ـ ممثلة في زكي نجيب محمود ـ أن العبارات الماورائية مثلها مثل الشعر الغنائي، إنما تعبر عن مشاعر الإنسان ورغباته، ولا نستطيع أن نحكم عليها بالصدق أو بالكذب، لكنها مع ذلك تختلف عن الشعر الغنائي ـ في الوقت الذي تتفق معه ـ من حيث أنها توهم القارئ والسامع بأنها تعبر عن شيء من الأشياء الحسية، في الوقت الذي لا تعبر فيه عن أي شيء من ذلك القبيل، وإنما تعبر فقط "عن الميول الانفعالية أو الإرادية" لأصحابها.

وتنتهي مهمة زكي نجيب محمود الوضعي المنطقي بشأن الماورائية عند هذا الحد، حد إخراجها من دائرة العلم ووضعها في دائرة الفنون، وبعد هذا الحد تترك الماورائية وشأنها، لأن مشاعر الإنسان ورغباته هي من الأمور التي ينبغي أن تراعى.

لكنه يصر على وجوب الفصل بين تلك المشاعر والقضايا العلمية، ويقول في ذلك "إنني لست أقل حرصاً على مشاعر الإنسان وآماله ومثله العليا من هؤلاء الذي يصيحون في وجهي دفاعاً عنها، لكنني أفرق بين لغة العقل ولغة الشعور وهم لا يفرقون"(١).

أمام هذه الوقائع نتساءل: ماذا نحن صانعون بهذه الكتب الضخمة التي كتبها الماورائيون على مر العصور!!؟

ويجيبنا زكي نجيب محمود بسرعة وبساطة: "إنه لعزيز عليّ وعليك أن تلقى هذه الأسفار كما كان ينبغي لها طعاماً لألسنة النار، أو أثقالاً في قاع المحيط، وإذن فلنبق عليها، ليقرأها القارئ ـ إذا أخذه الحنين إلى

---

(١) فلسفة وفن، ص ٥٨.

الماضي ـ كما يقرأ أساطير الأولين"!! (أسطورة الميتافيزيقا، ص ٣٠٤) (نقلاً عن: الوضعية المنطقية والتراث العربي، لعبد الباسط سيدا، ص ١١٩ـ ١٢١).

قلت: فبان لنا أن الدكتور لا يزال ـ في مرحلته الثالثة الأخيرة ـ مصراً على إنكار الغيب وأنه مجرد خرافة، ولكن لا مانع أن نقرأه للتسلية والفن!! أما اهتمامه بالتراث فينصب ـ كما سيأتي ـ على المواقف العقلية فيه، التي لا دخل لها بالغيب!

٢ـ من انحرافاته: أنه في مرحلته الثالثة: اهتم بالتراث ـ كما يزعم ـ، ولكنه انتقى منه ما يسميه المواقف العقلية، التي ينبغي أن نأخذها ونحييها، وألف في سبيل هذا كتابه (المعقول واللامعقول في تراثنا الفكري)، فكانت النتيجة أن أحيا الدكتور تراث المعتزلة ونبذ تراث أهل السنة !!

يقول الدكتور عن تراثنا: "لم أجعل غايتي تقويم ذلك التراث، ومن أكون حتى أجيز لنفسي مثل هذا التقويم لتراث كان بالفعل أساساً لحضارة شهد لها التاريخ؟ لكني جعلت غايتي شيئاً آخر أظنه من حقي إذا أردته، وهو البحث في تراثنا الفكري عما يجوز لعصرنا الحاضر" (عن: الوضعية المنطقية والتراث العربي، ص ٢٣١).

فما الذي انتقاه الدكتور من تراثنا زاعماً أنه يناسب عصرنا؟

يقول الدكتور: "إذا شئنا أن يكون لنا موقف نستمده من تراثنا فليكن موقف المعتزلة" ! (تجديد الفكر العربي، ص ١٣٦).

فهو ـ كما يقال ـ (زاد الطين بلة)! كان ينكر الغيب ولا يأبه بالتراث، فلما التفت للتراث ـ مع إنكاره للغيب! ـ لم يجد ما يشده

ويعجبه إلا تراث أهل البدع !! نعوذ بالله من الخذلان: ﴿ظُلُمَٰتٌۢ بَعۡضُهَا فَوۡقَ بَعۡضٍ﴾.

لأجل هذا وجدنا الدكتور ينصر رأي المعتزلة في قضايا كثيرة في كتابه (المعقول واللامعقول..)، كقضية مرتكب الكبيرة (ص٦٨)، والقدر (ص ١٣٢).

ووجدناه يذم منهج الصحابة ـ ﷺ ـ والسلف الصالح، وأنهم ـ في نظره ـ :"يكذبون، ويكيدون المكايد، ويتآمرون، ويغتالون في سبيل الوصول إلى مواضع الرياسة والحكم"! (ص ١٠٠).

ونجده يسخر من مذهب السلف في رؤية الله في الآخرة وفي قولهم في القدر (ص ٢٩٤).

٣ـ ومن انحرافاته: أنه يتبنى (المذهب النفعي) في المبادئ والأخلاق، فما كان نافعاً ـ في عقله القاصر ـ أخذ به، وما لم يكن اطرحه، دون نظر إلى حله وحرمته، فهذا لا يهمه.

يقول الدكتور: "إن المبادئ في شتى التيارات ليست حقائق تفرض نفسها على الإنسان بحيث لا يكون له قبل على تغييرها وتبديلها، بل هي بحكم طبيعتها (فروض) يفرضها الإنسان لنفسه حراً مختاراً، وهو يفرضها لنفسه لتخدم أغراضه، فإن هي أفلحت في خدمة تلك الأغراض كان بها، وإلا فهو يبدلها بسواها، حتى يقع على أنفع المبادئ لحياته العملية" (تجديد الفكر العربي، ص ١٩٧).

ثم يصرح أكثر بقوله: "ذلك أني أردت أساساً أن أقول: إن العرب في حاضرهم إذا أرادوا أن يكونوا استمراراً للعرب في ماضيهم، فلا

يلزم من ذلك أن ينقل الحاضرون من الماضين كل ما اصطبغه هؤلاء الأسلاف من مبادئ! بل من حقهم أن يغيروا وأن يبدلوا كلما رأوا الفروض النظرية التي افترضها أسلافهم لم تعد تثمر في حياتهم الثمرة المرجوة، كانت مبادئهم فروضاً فرضوها لأنفسهم لتصلح بها الحياة بظروفها الماضية، ثم تغيرت ظروف الحياة، فلم يعد بد من تغير الفروض" (المرجع السابق، ص ١٩٨ـ١٩٩).

ويقول في كتابه (المعقول واللامعقول): "إننا لا نُجاوز حدود التراث إذا أخذنا بمذهب أخلاقي في عصرنا الراهن هذا، يجعل الأخلاق قائمة على أساس "المنفعة" وحدها، فليس من الأخلاق المحمودة ما تثبت تجارب الحياة على طول السنين أنه ضار؛ وبهذا المبدأ وحده تزول عن التقاليد قدسيتها أو ما يشبه القدسية عند كثير من مواطنينا المعاصرين، فليست أولوية القبول لما قد جرى به عرف الأقدمين، بل الأولوية هي لما يثبت أنه جالب للمنافع دافع للمضار؛ ولما كانت المنافع تتغير بتغير الظروف عصراً بعد عصر، وجب أن تُراجع مبادئ الأخلاق عصراً بعد عصر كذلك، أو قل تُراجعُ حضارة بعد حضارة؛ ولقد ذهب كاتب هذه الصفحات هذا المذهب النسبي في القيم على اختلافها، فقامت عليه القيامة كأنه خرج بهذا القول عن مبادئ تراثنا المجيد!" (ص ١٥١).

٤ـ ومن انحرافاته: أنه يفهم (الألوهية) كفهم مشركي العرب أو فهم الفلاسفة اليونانيين! لا كفهم المسلمين الموحدين (انظر: إعادة النظر في كتابات العصريين في ضوء الإسلام، لأنور الجندي، ص٨٧ ـ٩١).

٥ـ ومن انحرافاته: سخريته من شريعة الإسلام، وتشكيكه في وجود منهج متكامل للاقتصاد الإسلامي، ووصفه للحدود الشرعية بأنها

(دعوة غريبة معادية لتطور العصر)! (المرجع السابق، ص ٢٦٠).

٦ـ ومن انحرافاته: إنكاره للسحر! (المعقول واللامعقول، ص٤٤١).

٧ـ ومن انحرافاته: سخريته بحجاب المرأة المسلمة، وأنه "ردة حضارية"!! وأنه "حجاب على الفكر"! (جريدة الأهرام ٩/ ٤/ ١٩٨٤م، عن: غزو من الداخل، لجمال سلطان، ص٥٥).

ويقول: "إن ظاهرة الحجاب دليل على أننا نمر بحالة مزرية من التخلف، وإنه لا يُعقل أن تنهض المرأة المصرية في الجيلين الماضيين، ثم تأتي اليوم وتتخلف مرة أخرى بوضعها تلك العمامة على رأسها"! (جريدة الأهالي ٢٥/ ٦/ ١٩٨٦م، عن: الغزو الفكري في المناهج، لعلي لبن، ص٢٢)[1].

٨ ـ ومن انحرافاته: رده لبعض الأحاديث الصحيحة بعقله القاصر؛ كحديث "إذا وقع الذباب في إناء أحدكم..." الحديث رواه البخاري، وقد رده هذا العقلاني في كتابه (قيم من التراث، ص ١٥٥).

٩ـ ومن انحرافاته: أنه يغلو في الغرب وحضارته، ويرى أنهم هم النموذج الأمثل لكل حضارة! متابعاً خطى شيخه طه حسين.

يقول الدكتور: "إنه لعزيز على نفسي أن أقولها صريحة، وإنه كذلك لعزيز على نفوس القراء أن يسمعوها، لكنه حق لا منجاة لنا عن مواجهته، وهو أن نموذج القياس إنما هو الحياة العصرية كما تعاش اليوم في بعض أجزاء أوروبا وأميركا، فقد شاء الله أن يكون هناك اليوم ينبوع

---

(١) وتجد نماذج لأقواله المنحرفة في مجال قضايا المرأة في رسالة "الفكر الديني عند زكي نجيب محمود" للدكتورة منى أبو زيد، (ص ١٢٥ـ ١٢٨).

وللأسف فإن الدكتورة ـ هداها الله ـ ترى أن هذه الانحرافات من قبيل التحديد!!

الحضارة، كما كان ينبوعها في أرضنا ذات يوم!" (ثقافتنا في مواجهة العصر، ص ٢٠٦، نقلاً عن: الوضعية المنطقية والتراث العربي، ص ٢٦٦).

يقول الأستاذ عبد الباسط سيدا عن فكر الدكتور: "أما الحضارة الغربية فهي دائماً المثل الأعلى، وهي المقياس في دراسة التراث" (المرجع السابق، ص٦١).

١٠ـ ومن انحرافاته: أنه شارك في تأليف كتابي (الفلسفة) و(المنطق) لطلاب الشهادة الثانوية بمصر، وقد حشا هذين المؤلفين بكثير من الانحرافات التي نجملها في الآتي:

أ ـ تفضيله الفلسفة على الدين الذي يمزجه بالخرافات!

ب ـ ادعاؤه بأن الفكر اليوناني أصل الحضارات!

ج ـ محاولته بعث علم الكلام الذي ذمه السلف؛ لعدم فائدته.

د ـ مدح المعتزلة وذم أهل السنة.

هـ ـ تمجيد من يسمون فلاسفة الإسلام.

وللتفصيل، والرد على الكاتب، انظر: كتاب (الغزو الفكري في المناهج الدراسية، للأستاذ علي لبن).

١١ـ ومن انحرافاته: تمجيده للملحدين في تاريخنا وتعاطفه معهم؛ كالحلاج وبشار بن برد وغيرهما (انظر: كتابه: تجديد الفكر العربي، ص ٣٣ وما بعدها).

١٢ـ ومن انحرافاته: تحليله للتماثيل وصناعتها، وتشنيعه على من يحرمها! (انظر: كتابه: قيم من التراث، ص ١٧).

ـ ختاماً: يقول الدكتور أنور الجندي: "لقد عرف الدكتور زكي

نجيب محمود بأنه يدير لحناً قديماً مسئماً قد ظل يردده حتى قال الناسك يا ليته يكف عنه، فقد أصبح كريهاً إلى النفوس من كثرة ترديده.

ولم يستطع الدكتور زكي نجيب محمود أن يقنع أحداً بأنه يقدم منهجاً جديداً أو منهجاً صالحاً؛ لأنه تاريخه القديم وكتاباته السابقة ما زالت تطغى على مفاهيم الناس فتحول دون الثقة به، وما تزال كتاباته عن القول: بأن الغيب خرافة في كتابه (خرافة الميتافيزيقا) أو أنه تابع لمذهب غربي مادي قد أشبعه الغربيون نقداً وتمزيقاً، وقد داسته خيول الفلسفات المتوالية وهو مذهب الوضعية المنطقية وشيخه (اوجست كونت) التي يدور في فلكها، والموصدة عليه حلقة حياته كلها بعد أن تجاوزتها الفلسفات والأحداث.

إن علماء الغرب التجريبيون اليوم يتحدثون عن آفاق جديدة في العلم تتصل بالإيمان بخالق الكون بينما لا يزال الدكتور زكي غارقاً في الواقع التجريبي المحسوس وإنكار الميتافيزيقا والغيب والإيمان بالجبر الذاتي، والاحتكام إلى العقل الذي لا يستطيع أن يكون مقياساً منفرداً للنفس الإنسانية الجامعة بين المادة والروح، كذلك فإن نظريته في التوفيق بين الأصالة والمعاصرة ساذجة، بل وزائفة، وقد تخطاها المفكرون المسلمون، ومن الأسف أن الدكتور زكي نجيب محمود يعالج الفكر الإسلامي بمفهوم الفكر الغربي ويتجاهل أن الفكر الإسلامي يختلف من ناحية تكامله ونظرته الجامعة، وأن له مقاييسه الخاصة في دراسته ومعالجاته بينما يقف الفكر الغربي عند الانشطارية والمادية. إن المناهج الغربية التي تحاول أن تستخدم العقل وحده وتنحي الجوانب الروحية والذاتية في تفسير الكون أو تفسير الإنسان تتعثر ولا تستطيع أن تصل

إلى شيء" (إعادة النظر...، ص ٢٦٢).

وقال الدكتور مفرح القوسي في رسالته (المنهج السلفي والموقف المعاصر منه في البلاد العربية) (٢/٦٤٠ــ ٦٤٧):

(١ــ الدكتور زكي نجيب محمود: أحد أبرز أعلام العلمانية المعاصرين، وأحد كبار دعاة التغريب في عالمنا الإسلامي المعاصر. سعى في عملية "التغريب" التي يدعو إليها إلى ضرورة اقتلاع الجذور الإسلامية واستبعادها وإحلال المبادئ العصرية الغربية محلها، مدعياً ـ على سبيل المغالطة ـ أنه بهذا الصنيع يكون متبعاً لمنهج الأسلاف، وأن مقصوده أن يكون خير خلف لخير سلف، فنراه يقول: "انتهيتُ إلى نظرات في التحول من قديمنا إلى الحديث بأنه لا تحول إلا إذا بدأناه من الجذور؛ من المبادئ نقتلعها لنضع مكانها مبادئ أخرى، فنستبدلُ مُثُلاً عليا جديدة بمُثُلٍ كانت عليا في أوانها ولم تعُدْ كذلك، ولا ضير علينا في شيء من هذا، فأسلافنا قد صنعوا الصنيع نفسه؛ استبدلوا مبادئ بمبادئ وأفكاراً بأفكار ومثلاً بمثلٍ، ولا نريد سوى أن نكون خير خلف لخير سلف"[1]، ويقول محدداً ما يجب على المسلم اتباعه :"إنما الوقفة الصحيحة للكاتب العربي أينما كان في طول الوطن العربي وعرضه هي : أن يفصل في ذهنه بين ما توحي به العاطفة من جهة، وما يوجبه العقل من جهة أخرى. والذي يوجبه العقل هو أن تجند الأقلام جهودها في التعبئة الثقافية التي تحمل جمهور الأمة العربية على التسلح بثقافة الغرب وأدواته الحضارية، وأقل ما نقوله في هذا التوجه هو أن نصبح به أقدر

---

(١) تجديد الفكر العربي ص ٢٠٤، ط التاسعة ١٩٩٣، دار الشروق، القاهرة ــ بيروت.

على مواجهة الغرب ذاته، ومع ذلك فمن ذا الذي أوهمنا بأن تشرب روح العلم الجديد بكل ما يستتبعه من مناهج يتنافى مع هويتنا الأصلية"[١]، ويحسم طريق النهوض للأمة بأنه "ليس في الرجوع إلى تراث قديم، بل إن مصدره الوحيد أن نتجه إلى أوروبا وأمريكا نستقي من منابعهم ما تطوعوا لنا بالعطاء"[٢].

وليس للنصوص الشرعية عند زكي محمود حاكمية على أي شيء في حياتنا، وإنما الحاكمية العليا والمقدسة هي حاجاتنا، التي تقرر ما يصح وما لا يصح من التراث[٣]، ولذا نجده يسخر كثيراً من قول الحافظ ابن كثير: "فالسعيد من قابل الأخبار بالتصديق والتسليم، والأوامر بالانقياد، والنواهي بالتعظيم"[٤]. ولذا أيضاً ينفي عن التراث الإسلامي أي مقوم حضاري من "القيم الرفيعة" التي جلبتها لنا ـ في نظره ـ الحضارة الغربية، حتى ما يظن البعض أنه تشابه بين الاثنين كقيم العدالة والحرية والعلم والمساواة، فهو مجرد تشابه أسماء أما المضمون فمتخلف عند السلف ومتحضر عند الغرب، فنراه يقول: "أنا على علم بمدى التحفز الذي يتحفز به كثيرون دفاعاً عن تراثنا الفكري، ظناً منهم أن هذا الدفاع لا تتم لهم قواعده وأركانه إلا إذا نبشوا في صحائف الأقدمين، فأخرجوا لفظاً من هنا ولفظاً من هناك، وجملة من هذا

---

(١) محمد إبراهيم مبروك ــ تزييف الإسلام ص ١٥٩، ط الأولى ١٤١١هـ/ ١٩٩١م، دار ثابت- القاهرة.

(٢) تجديد الفكر العربي ص ٨٢.

(٣) انظر: المرجع السابق ص ١٨ــ١٩.

(٤) المرجع السابق ص ٤٨.

الكتاب وأخرى من ذلك، ليثبتوا أن قيم هذا العصر الجديد - وأعني القيم المحمودة الشريفة - قد وردت كلها في تراثنا، وليس بنا حاجة إلى لغو المحدثين، فإن قال المحدثون: حرية ومساواة وعلم وعدل، أجبناهم في انفعال: صح نومكم يا هؤلاء، لقد سبقناكم بكذا قرن من الزمان إلى الحرية والمساواة والعدل والعلم وغيرها من القيم الرفيعة، ويفوتنا دائماً أن نتروى حتى نستوثق من أن كؤوس هذه الألفاظ ما زالت تحمل شرابها القديم ولم تستبدل به شراباً جديداً، به وحده تسري في أجسادنا روح العصر، وبغيره نتخلف لنعيش مع الأقدمين لفظاً ومعنى، وشكلاً ومضموناً"[1].

ولما قرر زكي محمود أن الشبه بين الحضارتين الغربية والإسلامية هو فقط في الشكل وليس في المضمون، عاد فأكد - كي يمتنع اللبس - أنه يجب أن نأخذ من تراثنا الشكل فقط دون المضمون، فالمناداة بشعار "العدل" و"الحرية" و"الفضيلة" و"المساواة" إنما نأخذها "مضموناً" من الحضارة الغربية، أما الحضارة الإسلامية فلا بأس أن نأخذ منها "الشكل" فقط، فنراه يقول: "وأستطيع أن ألخص رأيي في ذلك بعبارة واحدة قصيرة؛ تفصيلها وارد في سائر فصول هذا الكتاب، وهي: أن ما نأخذه من تراثنا هو الشكل دون مضمونه"[2].

ويحكم تارة على التراث الإسلامي بقوله: "إن هذا التراث كله بالنسبة إلى عصرنا قد فقد مكانته، لأنه يدور أساساً على محور العلاقة بين الإنسان والله، على حين أن ما نلتمسه اليوم في لهفة مؤرقة هو محور

---

(١) المرجع السابق ص ١٧٨ – ١٧٩.

(٢) المرجع السابق ص ١٠٢.

تدور عليه العلاقة بين الإنسان والإنسان"[١]. ويدعو تارة أخرى إلى إيجاد تركيبة عضوية يمتزج فيها التراث الإسلامي مع عناصر الثقافة الغربية، ويتساءل: "كيف ننسج الخيوط التي استللناها من قماشة التراث مع الخيوط التي انتقيناها من قماشة الثقافة الأوروبية والأمريكية، كيف ننسج هذه الخيوط مع تلك في رقعة واحدة، لحمتها من هنا وسداها من هناك، فإذا هو نسيج عربي ومعاصر"[٢].

ويؤكد التباين بين الالتزام بالإسلام ومعايشة العصر بفكره ومشكلاته، واستحالة الجمع بينهما، فيقول: "إني لأقولها صريحة واضحة: إما أن نعيش عصرنا بفكره ومشكلاته، وإما أن نرفضه ونوصد دونه الأبواب لنعيش تراثنا، نحن في ذلك أحرار، لكننا لا نملك الحرية في أن نوحد بين الفكرين"[٣].

ويحكم ـ في دعوته إلى "التقدم" ـ على الماضي عامة حكماً كلياً؛ بأنه أقل صلاحية من الحاضر، حيث يقول: "إن الماضي دائماً وفي كل الظروف أقل صلاحية من الحاضر دائماً وفي كل الظروف"[٤]، ويرى "استحالة أن يكون الماضي أكثر رشداً من الحاضر وأخصب فكراً وأهدى سبيلاً"[٥]، ونتيجة لهذه النظرة يقرر أنه: لا حكم لماضٍ على آت بحجة "أننا في تحول، وإذن فنحن في تغير، وإذن فلا حكم لماضٍ على آت"[٦].

---

(١) المرجع السابق ص ١١٠.
(٢) المرجع السابق ص ١٤.
(٣) المرجع السابق ص ١٨٩.
(٤) ثقافتنا في مواجهة العصر ص ٩٦، ط الثانية ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م، دار الشروق ـ بيروت.
(٥) المرجع السابق ص ١٠٤.
(٦) تجديد الفكر العربي ص ٢٢٨.

ويدعو زكي محمود إلى هدم العقيدة الراسخة في العقلية العربية الإسلامية؛ القائلة بأن من حق الله في السماء أن يحكم ومن واجب العباد في الأرض أن يذعنوا ويطيعوا، فيقول: "... وأولى هذه الحلقات وأعمقها جذوراً وأكثرها فروعاً هي نظرة العربي إلى العلاقة بين الأرض والسماء، بين المخلوق والخالق، بين الواقع والمثال، بين الدنيا والآخرة، بين المعقول والمنقول، هذه كلها ظلال من موقف واحد وحقيقة واحدة. ونظرة العربي في صميمها هي: أن السماء قد أمرت وعلى الأرض أن تطيع، وأن الخالق قد خط وخطط، وعلى المخلوق أن يقنع بالقسمة والنصيب، وأن المثال سرمدي ثابت، وعلى الواقع أن يقسر نفسه على بلوغه، وأنه إذا ما تعارضت الآخرة والدنيا كانت الآخرة أحق بالاختيار، وأن المنقول إذا تعارض مع المعقول ضحينا بالمعقول ليسلم المنقول. تلك هي وقفة العربي في صميمها، لك أن تقول: إنها وقفة أفلاطوينة أكثر منها أرسطية، إذ هي وقفة من يجعل الثبات للسماء والفناء للأرض، ففي السماء الأصول، وعلى الأرض الأشباح والظلال، إنها ثنائية حادة بين الغيب والشهادة، بين الروح والجسد، بين الإنسان والله، العلاقة بين الطرفين ليست هي التبادل بالأخذ والعطاء، بل هي علاقة الحاكم بالمحكوم"[١].

ويرى أن "الديانات المختلفة مثل آخر للنسقات الفكرية التي تنبني على مبادئ، كل منها يضع كتابه أمام مبدأ يسير منه ويستنبط"[٢]، "والمبادئ في شتى البناءات الفكرية ليست حقائق تفرض نفسها على

(١) المرجع السابق ص ٢٩٤.

(٢) المرجع السابق ص ١٩٤.

الإنسان؛ بحيث لا يكون له قبلٌ على تغييرها وتبديلها، بل هي ـ بحكم طبيعتها ـ (فروض) يفرضها الإنسان لنفسه حراً مختاراً، وهو يفرضها لتخدم أغراضه، فإن هي أفلحت في خدمة تلك الأغراض كان بها، وإلا فهو يبدلها بسواها؛ حتى يقع على أنفع المبادئ لحياته العلمية"[١]. وينتج من كلامه هذا أن الدين والوحي مجرد فروض بشرية تجريبية افترضها الأسلاف لتلائم واقعهم وبيئتهم، وليس من حق أحد أن يعطيها صفة الثبات والخلود، بل لنا أن نبدلها وننسفها نسفاً، وقد صرح بذلك بوضوح، فقال: "ذلك أني أردت أساساً أن أقول: إن العرب في حاضرهم إذا أرادوا أن يكونوا استمراراً للعرب في ماضيهم، فلا يلزم عن ذلك أن ينقل الحاضرون عن الماضين كل ما اصطنعه هؤلاء الأسلاف من مبادئ، بل من حقهم أن يغيروا وأن يبدلوا كلما رأوا الفروض النظرية التي افترضها أسلافهم لم تعد تُثمر لهم حياتهم الثمرة المرجوة. كانت مبادؤهم فروضاً فرضوها لأنفسهم لتصلح بها الحياة بظروفها الماضية، ثم تغيرت ظروف الحياة فلم يعد بدٌّ من تغير الفروض"[٢].

وليس هذا فحسب، بل كل شيء عند زكي محمود قابلٌ للهدم بما في ذلك الأخلاق والقيم، وليس هناك شيء أو فكرة ـ في نظره ـ لها حصانة من النقد والتجريح، فإن "حقيقة الكائنات أنها تتغير وبخاصة الإنسان، ولا يعيب الإنسان وهو في مرحلة التغير ـ مرحلة التحول، مرحلة السفر ـ أن تهتز القيم وترتج المعايير، بل العيب هو ألا ترتج

(١) المرجع السابق ص ١٩٧.

(٢) المرجع السابق ص ١٩٨ – ١٩٩.

هذه وألا تهتز تلك، فلا ينبغي أن تكون لشيء أو لفكرة أو لوضع أو لنظام حصانة تصونه عن النقد والتجريح"[١]، وعلينا ـ في نظره ـ أن نُلقي بآدابنا وعقائدنا ومعارفنا الإسلامية التي تعرف عندنا باسم (الثقافة) علينا أن نلقي بها في النار، أو نجعلها على أحسن الظروف مادة التسلية في أوقات الفراغ، فنراه يقول بعد فاصل كبير من تقديس (التقنيات) و(الصناعة) و(الآلة): "وتسألني: ماذا نحن صانعون بآدابنا وفنوننا ومعارفنا التقليدية كلها، والتي تحتكر عندنا اسم (الثقافة)؟ فأجيبك بأنها مادة للتسلية في ساعات الفراغ، ولم أعد أقول ـ كما قلت مراراً مقلداً هيوم وجارياً مجراه ـ لم أعد أقول: إنها خليقة بأن يُقذف بها في النار، وحسبي هذا القدر من الاعتدال ابتغاء الوصل بين جديد وقديم"[٢].

وهكذا فالعقيدة ينبغي أن تكون ـ في نظره ـ عقيدة الآلة، وكذلك الأخلاق لا اعتبار لها البتة في بناء الأمم والحضارات، اللهم إلا إذا فهمنا أنها تعني كيفية الضغط على أزرار الآلة الصناعية وزمنه، وإليك نص عبارته: "ووالله لولا خشيتي سوء التأويل لعارضت شاعرنا أحمد شوقي في قوله:

إنما الأمم الأخلاق ما بقيت

فإن همو ذهبت أخلاقهم ذهبوا

لأقول له: إنما الأمم في يومنا التقنيات ما اطردت وتغلغلت، فإن همو انعدمت علومهم وصناعتهم وتقنياتهم تخلفوا إلى حيث لا أمل ولا

---

(١) تجديد الفكر العربي ص ٢٢٧.

(٢) المرجع السابق ص ٢٤١.

رجاء، اللهم إلا إذا فهمنا الأخلاق بمعنى يجعل منها أن أعرف كيف أضغط على الأزرار ومتى"[١].

ويصم زكي محمود أهل السنة وأتباع السلف بالتطرف[٢]، ويصور موقفهم من (العلم) بقوله: "...لكن المتطرفين من أهل السنة وأتباع السلف لم يكونوا ينظرون نظرة الرضى إلى أي فكر دخيل؛ فـ(العلم) عندهم لفظة لا تنصرف إلا إلى معنى واحد؛ هو العلم الموروث عن النبي ـ ﷺ ـ أما ما عدا ذلك فهو إما خارج عن مجال العلم إطلاقاً، وإما هو معرفة لا تنفع ولا تستحق التحصيل"[٣]. انتهى كلام الدكتور مفرح القوسي ـ وفقه الله ـ.

وقال الأستاذ محمد إبراهيم مبروك في كتابه (علمانيون أم ملحدون؟) (ص ١٠٥ـ١١٢): (يصف الدكتور زكي نجيب محمود نفسه في مقدمة كتاب (تجديد الفكر العربي) فيقول إنه :"واحد من ألوف المثقفين العرب الذين فتحت عيونهم على فكر أوروبي ـ قديم أو جديد ـ حتى سبقت إلى خواطرهم ظنون بأن ذلك هو الفكر الإنساني الذي لا فكر سواه، لأن عيونهم لم تفتح على غيره لتراه ولبثت هذه الحال مع الكاتب أعواماً بعد أعوام".

وبعد أكثر من أربعين عاماً من التشكيل الغربي للفائف عقله أراد لكي يوائم!؟ بين ذلك الفكر وبين التراث، لماذا؟ لكي لا تفلت منا عروبتنا ! (كما يقول). ولكن كيف حدث ذلك؟ يقول[٤]. "استيقظ

(١) المرجع السابق ص ٢٣٨ — ٢٣٩.
(٢) انظر: المرجع السابق ص ١٣٥، ١٦٧.
(٣) المرجع السابق ص ١٦٧.
(٤) تجديد الفكر العربي.

صاحبنا (يقصد نفسه) بعد أن فات أوانه أو أوشك فإذا هو يحس الحيرة تؤرقه فطفق في بضعة الأعوام الأخيرة، التي قد لا تزيد على السبعة أو الثمانية، يزدرد تراث آبائه ازدراد العجلان، كأنه سائح يمر بمدينة باريس، وليس بين يديه إلا يومان، ولابد له خلالهما أن يريح ضميره بزيارة اللوفر، فراح يعدو من غرفة إلى غرفة يلقي بالنظرات العجلى هنا وهناك ليكتمل له شيء من الزاد قبل الرحيل".

فهل من الممكن أن يكون من الموضوعية أن يحاكم الإسلام بمعايير غربية ترسخت في ذهن صاحبها على امتداد أربعين سنة وأن تحدث هذه المحاكمة في عجالة سريعة سبعة أو ثمانية أعوام كل ذلك بغرض أخذ شيء منه (على أساس كونه تراثاً[١]) يتواءم مع الفكر الغربي للحفاظ على عروبتنا ؟

فماذا للإسلام في كل هذا الكلام وما ذنبه أن فلاناً من الناس لا يقدره قدره فيعامله على عجالة بينما يقف من الفكر المعادى له موقف العبودية لعقود طويلة، وهل يحق لمن يكون هذا منهجه أن يضطلع بدور المجدد للفكر العربي؟!؟!.

من البدء لابد أن نعرف الموقع الذي يتحرك منه هذا الكاتب وهو كما هو معروف للجميع ينتمي انتماء جذرياً للفلسفة المنطقية الوضعية فماذا تقول هذه الفلسفة؟ وما هو موقفها من الدين بوجه خاص؟ سنتركه هو يجاوب عن ذلك. يقول الدكتور زكي[٢]: "يرى المذهب الوضعي على يدي (أوجست كونت) وجوب الوقوف بمحاولاتنا نحو معرفة العالم الخارجي عند حدود الظواهر التي يمكن مشاهدتها وإقامة

---

(١) تجديد الفكر العربي.

(٢) نظرية المعرفة.

التجارب عليها واستخراج قوانينها العلمية القائمة على علاقة السببية، أما أن نجاوز الطبيعة المتطورة إلى ما رواء الطبيعة الغيبي فتلك محاولة غير مشروعة ولا عناء فيها، إن جاز للأسبقين في مرحلة الطفولة البشرية أن يحاولوها فلا يجوز ذلك لنا نحن الذين نعيش في عصر العلم ودقته.. وللمذهب الوضعي شعبة حديثة معاصرة تسمى بالمذهب الوضعي المنطقي مؤداها أن ما يجاوز حدود الخبرة الحسية ليس هو كما ظن "أوجست كونت" وكما ظن "كانت" متعذر المعرفة على الإنسان لقصور أدوات المعرفة عند الإنسان، وأنه لو كان مزوداً بوسائل أخرى للمعرفة غير وسائله الحالية لجاز أن يكون في مستطاعه معرفة ذلك العالم الأسمى، بل هو مستحيل المعرفة بحكم تحليل اللغة نفسها التي يستخدمها من يتحدثون عن ذلك العالم الذي يجاوز حدود الخبرة الحسية الممكنة، إذ أن تحليل تلك العبارات تحليلاً منطقياً يبين أنها عبارات بغير معنى"... أما "الوضعيون المنطقيون" إذا سئلوا عن رأيهم في عبارة كهذه، رفضوها لأن التحليل المنطقي لأجزائها وطريقة تركيبها يبين أنها بغير معنى، فلا يجوز قولها لا لأنها فوق مستوى العقل، بل لأنها عبارة فارغة"...

وبمثل هذا المنطق وبمثل هذه المعايير جاء يحاكم الإسلام على أساس أنه مجرد تراث لابد من الاحتفاظ ببعضه لكي نحفظ لعروبتنا شيئاً من الأصالة كما يقول: لقد نظر إلى خصائص شخصيتنا فوجد فيها ثلاث خصائص إذا سلمنا بالأولى كان لزاماً أن نسلم بما يليها، وأولى هذه الخصائص هي نظرتنا الثنائية الحادة إلى السماء والأرض إلى الروح والجسد إلى الغيب والواقع تلك النظرة التي تجعل الطرفين في انفصام تام ويكون للطرف الأول دائماً السيادة المطلقة وللطرف الثاني الانقياد

والتسليم. والثانية أن قوانين الأشياء والظواهر في الطبيعة قد تطرد أو لا تطرد دون التقيد بقوانين العلم، والثالثة أن قوام الأخلاق عندنا هو الواجب لا السعادة، وهذا الكلام سليم تماماً إذا فهمنا أن الدين الذي يتحدث عنه الكاتب هو المسيحية الغربية التي لا يستطيع في سنواته العجلى أن ينزعها من مخيلته أما الإسلام فإذا كان لا يستطيع أن يراه فلنحيله إلى أحد أبناء الحضارة الغربية التي يعتز بها مثل جارودي في (وعود الإسلام) أو إلى الدكتورة زيغر يدهونكه في (العقيدة والمعرفة) والتي لم تسلم بعد ـ وكلاهما يتحدث عن الفرق بين الإسلام الذي ألغى هذه الثنائية والمسيحية (الأرسطو أفلاطونية) التي رسخت هذه الثنائية وعمقت المسافة بين طرفيها. ونفس الأمر ينطبق على الخصيصة الثانية أما الثالثة فهو يرفض نفس المفهوم الديني للأخلاق ويضع بدلاً منه المفهوم البراجماتي لها الذي يجعل الهدف النهائي من الأفعال هو السعادة أو بقول أدق (لو أراد الدكتور) المنفعة، وهو ما يعني هنا إدخال القيم الأخلاقية نفسها في مجال المتغيرات (وأرجو من القارئ أن يحتفظ معي بهذه الملحوظة الهامة) لأن الواجب يحدد موقفاً أخلاقياً معيناً أما مفهوم تحقيق السعادة (المنفعة) فهو يقتضي تغير الموقف الخلاقي بحسب النتائج المتحققة والتي يجب أن تستهدف السعادة، سعادة من؟ لا أحد يعرف، وسوف نتعرض لهذا الأمر بالشرح في حديثنا عن الفلسفة البراجماتية.

ولهذا الموقف الذي يستدعي فيه الدكتور إلى ذهنه صورة أوروبا في القرون الوسطى يقول[1]: "إننا في حياتنا الثقافية مازلنا في مرحلة السحر التي تعالج الأمور بغير أسبابها الطبيعية وإننا لولا علم الغرب وعلماؤه

(١) تجديد الفكر.

لتعرت حياتنا الفكرية على حقيقتها، فإذا هي حياة لا تختلف كثيراً عن حياة البدائي في بعض مراحلها الأولى" إنها يا سادة حالة حادة من الانسلاب النفسي أمام معطيات الغرب.

هناك قصة مشهورة في التاريخ الإسلامي يسردها المؤرخون دائماً على أنها رمز للجهاد الفكري في الحضارة الإسلامية وعلى الاستماتة في الحفاظ على حقائق القرآن والسنة من عبث العابثين أو تدخلات الحكام تلك القصة هي مواجهة الإمام أحمد للقائلين بخلق القرآن وعلى رأسهم الخليفة المأمون وكيف كان إصراره الفريد على موقفه برغم الاضطهاد وقد يمثل هذا الموقف الذروة في جهاد أئمة المسلمين من أجل استقلال حقائق الدين عن آراء الحكام.

لكن الدكتور زكي نجيب محمود بعد سرد هذه القصة أراد أن يستدل بها على أشياء على النقيض التام من كل ما سبق ويقول الدكتور[١] معلقاً على تلك القصة: لا، لم يكن في ساحة الفكر عن الأسلاف "حوار" حر إلا في القليل النادر، وفي مواقف لم تكن بذات خطر كبير على سلطة الحاكم، وكيف يكون والحوار إنما يتم بين أنداد ذوي قامات متقاربة، وأوزان متكافئة؟ أما وساحتنا لا تعرف هذا التكافؤ ولا ذلك التقارب في الأوزان والقامات ـ اللهم إلا في المبادئ النظرية التي كادت لا تشهد العمل والتطبيق ـ وكل الذي تعرفه هو أن تعلو فيها نخلة واحدة، أو قلة من نخيل، ليحيط بها كلأ قصير فإذا ما دفعت حرارة التربة ذلك الكلأ أن يرتفع برؤوسه، جُذت رؤوسه لتظل قريبة من مواضع الأقدام.. هذه كانت ساحة الفكر، وتلك هي كائناتها،

---

(١) تجديد الفكر.

فهي بطبعها ترفض أن يدور على أرضها حوار إذ لا يكون حوار بين نخيل ونجيل.. وفيم العجب؟ ألسنا قوماً على الفطرة؟ تلك إذن هي سنة الفطرة: فهل ترى - في البحر - حوار الأنداد قائماً بين الحوت والبلم؟ أم هل ترى - في الفضاء - نقاش الأقران دائراً بين سباع الطير وبغاثها؟ وهل تجري مفاوضات في الغاب - إلا في الأساطير والحكايات - بين الليوث والغزلان؟

تلك هي فطرة الأحياء والأشياء وظواهر الطبيعة، ونحن قوم على الفطرة فأي عجب إذا سلكنا أنفسنا مع الفطرة فيما فطرها عليه فاطر الأرض والسماء؟".

وما يريد أن يقوله الدكتور هو أن تراثنا الفكري الإسلامي بالكامل كان من صنع الحكام المستبدين وهو بذلك ليس تراثاً مزيفاً فقط وإنما هو تراث معاد للإنسانية مسوغ لاستبداد من يحكمون ومن يملكون القوة والسلطان. وبالرغم من ندرة هذه المواقف فإن استدلال الدكتور قد تحتمل صحته لو أن الإمام أحمد وافق المأمون على ما يريد، لكن ما بالك وأن ما حدث هو على العكس تماماً فبرغم ما ذاقه الإمام أحمد من صنوف العذاب إلا أن ذلك لم يثنه عن موقفه المتصلب المستميت، إلا أنه في النفس شيء يجعلها تقلب الأمور رأساً على عقب وتحاول أن تحيل الليل نهاراً والنهار ليلاً. كما أن الخليفة المأمون عندما فعل ما فعل فإنه لم يكن يفعل هذا طمعاً في دنيا أو رغبة في سلطان يدعوه إلى الاستبداد والإصرار على رأيه وإنما كان يفعل ذلك من وجهة نظره هو دفاعاً عن حقائق الدين كما يراها، فلا داعي للغمز بالخلفاء في كل مناسبة واتهامهم بمجافاة الدين وتنحيه عن حياتهم.

وللدكتور زكي نجيب محمود طريقة ذكية في عرض أفكاره يخلص بها إلى الغرض المنوط منها، فهو عادة يفترض ثلاث وجهات نظر أمام القضية المحورية التي يطرحها يختار أوسطهما فيبدو ذلك أنه نموذج للفكر الوسطي وأنه يتمثل بذلك الرؤية الإسلامية إلى الكون، مع أن الحقيقة فيما يفعل أن وجهات النظر الثلاث التي يطرحها الأولى شبيهة لوجهة النظر الإسلامية والثانية معادية والثالثة متطرفة في معاداتها للإسلام وبذلك فإنه عندما يعطي للقارئ انطباعاً ما بوسطيته باختياره وجهة النظر الثالثة فإنه في الحقيقة قد استطاع بتلك الحيلة أن يوقع به في قبول وجهة النظر التي يبغيها والتي هي في نفس الوقت معادية للإسلام ومناقضة له تماماً.

ففي مقال له بعنوان (صورة جديدة لأفكار قديمة)[١] يذهب إلى أن هناك ثلاث أفكار تمثل كبرى القضايا بالنسبة للإنسان، وهي فكرته عن إله خلقه وفكرته عن نفسه وفكرته عن الكون الذي يعيش فيه، ثم يتساءل بأي الأفكار ينبغي لإنسان العصر أن يبدأ؟ هل يبدأ من فكرته عن الخالق ودراسة العقيدة الدينية أولاً أم يبدأ بدراسة نفسه والكون معاً وعندئذ فقط يكون أقدر ما يكون معرفة وفهماً لحقيقة الخالق الذي خلقه وخلق الكون جميعاً. ويقول "والحق أن ثمة فرقاً بعيداً بين الحالتين حالة تعرف بها نفسك والكون على ضوء ما ورد في تعاليم الدين ومبادئه؟ وحالة أخرى تعرف فيها تلك التعاليم والمبادئ على ضوء ما تدرسه دراسة متعمقة عن نفسك وعن ظواهر الكون معاً".

ثم يعرض لوجهات النظر الثلاث في الإجابة عن ذلك، الأولى هي

(١) نقلاً عن د. عبد الحميد الغزالي: تجديد الثقافة.

البدأ بدراسة الثقافة (لاحظ أنه يكاد يتأفف دائماً من ذكر التعبير الحقيقي أي الدين الإسلامي) التي استظل بظلها أسلافنا في التاريخ العربي الإسلامي على وجه التحديد واستنتاج الحلول منها، أما الثانية فهي أخذ ثقافتنا الآن بضاعة جاهزة من منتجات الغرب الحديث والمعاصر، تماماً كما نفعل عندما نستورد منه الطيارات والسيارات. ويصفها هنا أنها أضعف وجهات النظر حجة وأبعدها عن الصواب (لاحظ أن وجهة النظر الثالثة التي يهدف إلى إقناعنا بها لا تختلف شيئاً في مضمونها عن وجهة النظر هذه!). أما وجهة النظر الثالثة فهي تريد لنا حياة ثقافية تظل معها السحنة العربية بعامة ـ والمصرية بخاصة ـ سليمة من الأذى (ما كل هذا الكرم!) مع تعميق الثقافة الغربية لتشمل جوانب الحياة بأسرها وأبناء الشعب جميعاً في رؤيتهم العامة للدنيا وأهلها وأحداثها، وبهذه الثقافة العلمية نكون أقدر على فهم ديننا فهماً لا يتصادم مع أسس الحياة كما تفرضها ظروف واقعنا" ا.هـ.

فهل من الممكن أن يتفق مع الإسلام أن يكون مجرد سحنة عربية من الثقافة لا ترتقي حتى لأن تصل إلى مستوى السحنة المصرية. وما دخل العلوم المعاصرة في اختيار هذا الموقف أو ذاك ولماذا الإصرار على وضع الإسلام وكأنه في صراع ومواجهة مع العلم؟! إذا كان يقصد بذلك العلوم الطبيعية فإن القرآن لم يقل مثلاً أن الغلاف الجوي على بعد ٥٠ ميل وقال العلم إنه أقل من ذلك أو أكثر ولم يأت القرآن بقوانين في الميكانيكا تتناقض مع قوانين نيوتن وليس للقرآن آراء في الانشطار الذري تختلف عن آراء أينشتين. فلماذا الإصرار على هذه

اللعبة المستهلكة التي يوضع فيها الإسلام في مواجهة العلم ويطلب منا اختيار أحدهما. أما إذا كان المقصود بهذه الثقافة العلمية علوم الغرب الإنسانية المستمدة من عمق ثقافة حضاراتهم العلمانية فكيف أبني ثقافتي على هذه العلوم التي ما هي إلا ركام من آراء البشر وأتطلع من خلالها إلى فهم الخالق والدين وأقول إنني سأكون بذلك أقدر على المعرفة والفهم؟ ما ذنب الإسلام أن يحاكم على معايير قوم تصدعت نفوسهم من الانحلال والحيرة والتيه ؟!

إن غاية هذه العلوم أنها تقدم رؤية ما للكون والحياة وحركة التاريخ وهي رؤية ظنية تتشتت فيها الآراء الغربية إلى فرق متباعدة يخطئ كل منها الأخرى، فهل لو نحن مؤمنون ينبغي علينا أن نحاكم ديننا الإسلامي المنزل من السماء إلى المعايير المستخلصة من هذه الآراء البشرية التي تتعرض كل يوم للنقد والتصحيح؟!

وهل ينبغي على الدين أن يقف موقفاً حيادياً من حيرة الإنسان في فهمه لأحداث الكون والحياة ويتركه دون هدى في هذه المتاهة من الفلسفات والمذاهب والآراء التي تتشتت بها عقول البشر في كل اتجاه وبأي معايير يمكن محاكمته وتفضيل وجهات النظر تلك عليه؟! لقد يستساغ ذلك لو أن الدين جاء بآراء تتناقض مع بديهيات الواقع المعقول، أما إن كان يقدم وجهات نظر تختلف مع وجهات النظر الأخرى للفلسفات والمذاهب فكيف يكون من المنطق أن نحاكمه على أساس معاييرها؟ هل أخطأ الدين حين قدم للإنسان رؤيته الهادية للكون والحياة؟!

من وجهة نظرهم نعم كان ينبغي على الدين أن يقف هـذا الموقـف الحيادي الذي يبغونه ولا يتدخل في حياة البشر وتوجيههم وإنما مـن لـه حق التدخل عندهم فقط هو عقل الإنسان مهما كان شطحه.

فهل هم وقفوا هذا الموقف من وجوب تنحية الـدين عـن التـدخل في شئون البشر نتيجة دراسة فلسفية عميقة أتـت لهـم بهـذه النتـائج؟ لا وإنما غاية ما في الأمر أن الغربيين يفعلون ذلك فعلـيهم إذن أن يفعلـوه. ولكن لماذا يقف الغربيون هذا الموقف؟ ببساطة جـداً لأنهـم لا ينظـرون إلى الدين إلا على أنه وهم من الأوهام فمن أراد أن يحتفظ بهـذا الـوهم فليحتفظ به لنفسه ولا يقحمه في حيـاة الآخـرين. ويتلقـى الانـسلابيون عندنا هذه الآراء ثم يريدون أن يحاكموا ديننا بها). انتهى كـلام الأسـتاذ محمد إبراهيم مبروك ـ وفقه الله ـ.

نظرة شرعية
في فكر
جرجي زيدان



نظرات شرعية في فكر (جرجي زيدان)

ترجمته[1]:

- ولد جرجي زيدان في بيروت عام ١٨٦١م، والبلاد تتخبط في الفتن والانقسامات والحزازات المذهبية.

- اضطر إلى ترك المدرسة صغيراً ليساعد أباه في تحصيل القوت، ثم تعلم في مدرسة ليلية اللغة الإنجليزية.

- التحق بالكلية السورية الإنجيلية (الجامعة الأمريكية) حيث تعلم الطب.

- هاجر إلى مصر كحال غيره من نصارى الشام.

- في مصر انصرف إلى العلم وتحرير جريدة (الزمان) والتأليف والترجمة، ثم عمل ترجماناً للمصريين والسودانيين عندما وجه الإنجليز حملتهم إلى السودان.

- في عام ١٨٨٥م عاد إلى بيروت، فانتخب عضواً في المجمع العلمي الشرقي. ثم زار انجلترا.

- عاد إلى مصر منقطعاً إلى التأليف والصحافة.

- أسس في عام ١٨٩٢م مجلة (الهلال) الشهيرة.

- توفي في سنة ١٩١٤م.

مؤلفاته:

- من مؤلفاته في التاريخ:

---

(١) الموجز في الأدب العربي وتاريخه، لحنا الفاخوري (٤/٢٢٦ - ٢٣٢). وانظر: أعلام العرب المبدعين! في القرن العشرين، للدكتور خليل أحمد خليل.

١- العرب قبل الإسلام ـ الجزء الأول، طُبع في مصر سنة ١٩٠٨.

٢- تاريخ التمدّن الإسلامي ـ خمسة أجزاء ـ طبع في مصر ١٩٠٢ـ ١٩٠٦.

٣- تاريخ مصر الحديث ـ جزآن ـ طُبع في مصر ١٨٨٩.

ـ ومن مؤلفاته في اللغة وآدابها:

١- الألفاظ العربية والفلسفة اللغوية ـ بيروت ١٨٨٩.

٢- تاريخ آداب اللغة العربية ـ أربعة أجزاء ـ مصر ١٩١١.

ـ ومن مؤلفاته في القصص التاريخي: عشرون رواية تستعرض التاريخ الإسلامي في مختلف أطواره، هي: فتاة غسان ـ أرمانوسة المصرية ـ عذراء قريش ـ ١٧رمضان ـ غادة كربلاءت الحجاج بن يوسف ـ فتح الأندلس ـ شارل وعبد الرحمن ـ أبو مسلم الخراساني ـ العباسة أخت الرشيد ـ عروس فرغانة ـ أحمد بن طولون ـ عبد الرحمن الناصرـ الانقلاب العثماني ـ صلاح الدين ـ شجرة الدر ـ أسير المتمهدي ـ المملوك الشارد ـ استبداد المماليك ـ جهاد المحبين.

انحرافاته:

١- نصرانيته، وليس بعد الكفر ذنب !

٢- يصدق فيه ما قاله الدكتور محمد السيد الوكيل في تقديمه لرسالة (نبش الهذيان من تاريخ جرجي زيدان) بأنه : "من أشهر من افترى وزيّف التاريخ الإسلامي في العصر الحديث... الذي استتر برداء العروبة وتوارى خلف شعارات القومية، ومهّد له الإعلام الغربي ليلعب دوره الطبيعي في كتابه التاريخ الإسلامي مشوَّهاً ومبتوراً يزينه بأسلوب رقيق ممتع، ويغلفه بعناوين زاهية براقة، ويقدمه في صورة قصة

غرامية أخاذة" (ص٦).

٣- لقد توجهت كلمات العلماء والناصحين إلى كتب وروايات هذا النصراني، محذرةً منها، ومبينة انحرافاتها، ومن ذلك:

أ- تحذير الشيخ الهندي شبلي النعماني من كتاب (تاريخ التمدن الإسلامي) لزيدان، حيث فند أخطاءه، وكشف انحرافاته، وأبان عن تزويره وتلبيساته، وذلك في كتابه (انتقاد كتاب تاريخ التمدن الإسلامي) الذي لخص في مقدمته أبرز انحرافات زيدان قائلاً:

"إني أيها الفاضل! المؤلف غير جاحد لمنبتك فإنك قد نوهت باسمي في تأليفك هذا وجعلتني موضع الثقة منك، واستشهدت بأقوالي ونصوصي، ووصفتني بكوني من أشهر علماء الهند، مع أني أقلهم بضاعة، وأقصرهم باعاً، وأخملهم ذكراً، ولكن مع كل ذلك هل كنت أرضى أن تمدحني وتهجو العرب، فتجعلهم غرضاً لسهامك، ودرية لرمحك، ترميهم بكل معيبة وشين، وتعزو إليهم كل دنية وشر، حتى تقطعهم إرباً إرباً، وتمزقهم كل ممزق؟ وهل كنت أرضى بأن تجعل بني أمية لكونهم عرباً بحتاً من أشر خلق الله وأسوئهم، يفتكون بالناس، ويسومونهم سوء العذاب، ويهلكون الحرث والنسل، ويقتلون الذرية وينهبون الأموال، وينتهكون الحرمات، ويهدمون الكعبة ويستخفون بالقرآن؟!.

أو هل كنت أرضى بأن تنسب حريق الخزانة الإسكندرية إلى عمر ابن الخطاب، الذي قامت بعدله الأرض والسماء، وهل كنت أرضى بأن تمدح بني العباس فتعد من مفاخرهم أنهم نزلوا العرب منزلة الكلب، حتى ضرب بذلك المثل، وأن المنصور بني القبة الخضراء إرغاماً

للكعبة، وقطع الميرة عن الحرمين استهانة بهما، وأن المأمون كان ينكر نزول القرآن، وأن المعتصم بالله أنشأ كعبة في (سامرا) وجعل حولها مطافاً واتخذ منى وعرفات؟!

وهب أني عدمت الغيرة على الملة والدين، وافتخرت كصنيع بعض الأجانب بأني فلسفي بحت عادم لكل عاطفة ووجدان، فلا أرضى ولا أغضب ولا أسر ولا اغتاظ ولا أفرح ولا أتألم، وهب أني حملت نفسي على احتمال الضيم، وقبول المكروه، والصمم عن البذاء، ومجازاة السيئة بالحسنة، ومكافأة الخبيث بالطيب، فهل كنت أرضى بأن تشوه وجه التاريخ، وتدمغ الحق، وتروج الكذب، وتفسد الرواية، وتقلب الحقيقة، وتنفق الهم، وتعود الناس الخرافة؟ بئس ما زعمت أيها الفاضل، فإن في الناس بقايا وأن الحق لا يعدم أنصاراً.

إن الغاية التي توخاها المؤلف ليست إلا تحقير الأمة العربية وإبداء مساويها، ولكن لما كان يخاف ثورة الفتنة غير مجرى القول، ولبس الباطل بالحق.

بيان ذلك أنه جعل لعصر الإسلام ثلاثة أدوار: دور الخلفاء الراشدين، ودور بني أمية، ودور بني العباس، مدح الدور الأول وكذلك الثالث (ظاهراً لا باطناً كما سيجيء) ولما غر الناس بمدحه الخلفاء الراشدين، وهم سادتنا وقدوتنا في الدين، وبمدحه لبني العباس وهم أبناء عم النبي - ﷺ -، وبهم فخارنا في بث التمدن وأبهة الملك، ورأى أن بني أمية ليست لهم وجهة دينية فلا ناصر لهم، ولا مدافع عنهم، تفرغ لهم، وحمل عليهم حملة شنعاء، فما ترك سيئة إلا وعزاها إليهم، وما خلى حسنة إلا وابتزها منهم...الخ" (ص٢، ٣)

ب- أما انحرافاته في كتابه (تاريخ آداب اللغة العربية) فقد أبان عنها الشيخ أحمد عمر الإسكندري - رحمه الله -. في مقالة له نشرت في ذيل رسالة النعماني السابقة. جاء فيها : "الأمور التي تؤخذ على الكتاب: "يكفي القارئ أن أذكر بغاية الاختصار بعض هذه الأمور فإذا شاء أو شاء المؤلف فضل إيضاح لبعض المباحث فصلته تفصيلاً ويمكن توزيع هذه الأمور إلى الأنواع الآتية:

١- الخطأ في الحكم الفني: أي تقرير غير الحقيقة العلمية سواء كان ذلك بقصد من المؤلف أم بغير قصد.

٢- الخطأ في الاستنتاج: وهو ما يعذر فيه المؤلف لأنه اجتهاد من عند نفسه فإن أصاب فله الشكر وإن أخطأ فمن ذا الذي ما ساء قط.

٣- الدعوى بلا دليل: وهو ما يقرره المؤلف من غير تدليل عليه وقد يكون في ذاته صحيحاً ولكن في سوقه ساذجاً مجالاً للشك.

٤- الخطأ في النقل: وهو آت من تصرف المؤلف في عبارات المؤلفين بقصد اختصارها أو من تسرعه في الجمع وقلة مراجعة الأصول.

٥- قلة تحري الحقيقة: بمراجعة الكتب المعتبرة والتواريخ الصادقة ووزن كل عبارة بميزان العقل والأنصاف وقياس الأمور بأشباهها بل كثيراً ما تروج عند المؤلف أقوال الخصوم في خصومهم وأقوال الكتب الموضوعة لأخبار الجان أو لذكر عجائب الأمور وغرائبها.

٦- تناقض بعض أقوال الكتاب.

٧- الاختصار في كثير من التراجم والمباحث وإهمال ما ليس من شأنه أن يهمل.

٨- إدخال ما ليس من موضوع الفن فيه لغير مناسبة أو لمناسبة

ضعيفة جداً.

٩- الاستدلال بجزئية واحدة على الأمر الكلي وهو كثير الحصول في جميع كتب المؤلف وفي أكثر استنتاجاته ودعاواه.

١٠- تقليد المستشرقين في مزاعمهم أو نقلها عنهم من غير تمحيص.

١١- اضطراب المباحث وصعوبة استخراج فائدة منها لاختلال عبارتها أو لعدم صفاء الموضوع للمؤلف.

١٢- اضطراب التقسيم والتبويب إما بذكر المباحث في غير موضعها وإما بعدّ رجال عصر في عداد رجال عصر آخر، وربما زاد المؤلف عن ذلك بعد رجال فن في رجال فن آخر.

١٣- التحريف واللحن وهما كثيرا الشيوع في جميع كتب المؤلف مع سهولة الاحتراز عنهما بمراجعة الأصول عند التأليف والطبع واستئجار أحد المصححين العالمين بقواعد العربية.

١٤- تهافت المؤلف على تطبيق قانون النشوء والارتقاء حتى في الأمور التي فيها تدن وانحطاط لا نشوء ولا ارتقاء" (ص ٨-٨١).

ج- أما كتابه (تاريخ مصر الحديث) فقد تولى كشف زيفه الشيخ أمين بن حسن الحلواني المدني في كتابه (نبش الهذيان من تاريخ جرجي زيدان) خطّأ فيه زيدان في (١٠١) موضع.

د- أما رواياته التاريخية فقد خصص الأستاذ شوقي أبو خليل كتابه (جرجي زيدان في الميزان) لبيان ما فيها من إفساد. ولخّص في خاتمته أبرز انحرافات زيدان في رواياته قائلاً:

(وهكذا.. قدمنا ملاحظاتنا حول روايات جرجي زيدان، التي تعمد فيها التخريب والكذب لأجل تحقير العرب، عن سوء قصد، لا عن

جهل، فلا ينقص جرجي العلم بعد أن أوهم قرّاءه أنه عاد إلى مصادر ومراجع عربية.. لكنه تعمّد التحريف، وتعمد الدس والتشويه، وتعمد فساد الاستنباط مع الطعن المدروس.. لعمالته الأجنبية، ولتعصبه الديني، الذي جعله ينظر إلى تاريخنا العربي الإسلامي، وآداب اللغة العربية، بعين السخط والحقد.

ونحن في نقدنا الذي دوّناه فيما سبق.. لم نكن في موقف من يتصيد الأخطاء ويغمض عينه عن الصواب.. ولكننا كنا نبحث عن الصواب فلم نجده، فاخترنا من الأخطاء بعضها وأهمها.. ونحن لا نقول إن ما سجلناه هو كل ما يقال عن روايات جرجي، لا.. فمن يفتش يجد طعنات وأخطاء بقدر ما كتبناه وأكثر.. ولكننا أردناها لقيمات تتذوقها من "طبخة" كبيرة طبخها جرجي من تاريخنا، وقدمها للأجيال..

وخاتمة لدراستنا هذه .. يمكننا أن نستخلص من مجموع الروايات، ما أراده جرجي، وما هي الملاحظات الرئيسة التي توجه إلى هذه الروايات:

١ - شوه جرجي سيرة أبطال الإسلام.

ففي "فتاة غسان".. سيرة النبي الكريم - ﷺ - ورجالات الصدر الأول.. ووصفهم بالبطش، والفتك والنهب..

وفي "أرمانوسة المصرية" شوه حياة عمرو بن العاص.. وأظهر المسلمين سذجاً بسطاء أغبياء..

وفي "عذراء قريش" .. شوه سيرة عثمان وعلي وعائشة.. - ﷺ -.

وفي "١٧ رمضان" .. شوه سيرة خلفاء بني أمية.

وفي "فتح الأندلس" .. شوه سيرة طارق بن زياد وموسى بن نصير.

وفي "شارل وعبد الرحمن".. شوه سيرة عبد الرحمن الغافقي.

وفي "أبي مسلم الخراساني".. شوه سيرة المنصور.

وفي "العباسة أخت الرشيد".. شوه سيرة الرشيد.

وهكذا شوه جرجي أيضاً سيرة المعتصم، وأحمد بن طولون، وعبدالرحمن الناصر، والظاهر بيبرس وقطز، ومحمد أحمد المهدي.

٢- طمس جرجي بطولات وفتوحات المسلمين، وأثار الشكوك حولها.. تارة بالنهب والسلب، وتارة بالبطش والفتك.. وتارة بالظلم "جزية خراج، أتاوة..".

٣- جعل جرجي الجزئية كلية، واستدل بجزئية واحدة على الأمر الكلي.. وهذا حاصل في كل استنتاجاته ودعاواه، يجعل الواقعة الجزئية قضية كلية وقاعدة عامة.. يضاف إلى هذا.. إغفال الأحداث الرئيسة في تاريخ الإسلام..

مثال ذلك.. أشار جرجي إلى نكتة ذكرها صاحب الأغاني لحسين بن الضحاك، فأنزلها منزلة الأمور العمومية في ذلك العصر، فهذا ليس بتاريخ، بل مسخ التاريخ، وقال جرجي "ومن ثمار الحضارة في ذلك العصر تكاثر الغلمان، وصاروا يحجبونهم كما يحجبون النساء" .. هذا ما رآه جرجي من ثمار الحضارة، ومن مميزات عصر النهضة الذهبي في تاريخنا !!.

٤- جعل مسرح أحداث رواياته في الأديرة والكنائس، وجعل للرهبان والقسس دور التوجيه حيث الأمن والأمان والاحترام والطمأنينة، والرأي القويم السليم .. عندهم.

كما أضفى هالات مثالية على كل ما هو (مسيحي).. وسلط

الأضواء على صور الصلبان والقديسين ومياه المعمودية المقدس.. وزيت مصباح الدير.. "الشفاء التام ببركة الماء المقدس وزيت المصباح وبركة صاحب الدير".

٥- تلاعب بالمصادر والمراجع .. وإن أشار إلى مرجع ونقل فقرة، نقلها مشوهة ودون ذكر الجزء أو الصفحة أو الطبعة.. وما ذلك إلا لإيهام القارئ بموضوعيته..

كما وأنه يضع كلاماً بين قوسين، وكأنه ينقل حرفياً بأمانة.. مع أنه كلام من أفكار جرجي.. يدسه ويرويه على ألسنة أعلام مشهورين.وبخاصة حوار كبار الصحابة مع بطلاته الوهميات !!

٦- ركز جرجي على فترات القلق السياسي، فكانت له أحداث الفتنة الكبرى، وأبو مسلم الخراساني، الأمين والمأمون، وشجرة الدر.. مرتعاً خصباً للخوض في غمار هذه الأحداث مجسماً الخلاف، مظهراً العيوب..

٧- كما أكثر جرجي من "الدعوى بلا دليل"..

كاستهانة عبد الملك بن مروان بالقرآن الكريم: "هذا فراق بيني وبينك!"وكقوله إن معاوية أرسل بسر بن أرطأة، وأرسل معه جيشاً، أوصاهم أن يسيروا في الأرض ويقتلوا كل من وجدوه من شيعة علي،ولا يكفوا أيديهم عن النساء والصبيان!!

وكقول جرجي أن المنصور والمعتصم، بنيا كعبتين في بغداد وسامراء!!

وكقوله بكره المنصور للعرب..وهو العربي وابن عم النبي العربي - ﷺ -.

وقوله إن "دائرة للمنجمين" في قصر الخلافة العباسية في بغداد.

وقوله: ذبح الخليفة أهل الكرخ بسبب جارية.

وقوله: إن للبطل الفاتح عبد الرحمن الغافقي "خباء من النساء"!!

٨- أظهر شعوبية وحقداً على العرب..

لقد حقر جرجي ـ في ذهنه فقط ـ أمتنا، وأظهر مساوئها.. بل ما ترك سيئة إلا وعزاها لأمتنا، وابتز منها كل مكرمة.. واستغل الطورانيون، أعداء العرب، مؤلفات جرجي، فترجمت إلى اللغة التركية، للاستعانة بما كتبه في تحقير العرب، وانتقاص مدنيتهم، وغمط حضارتهم، وتفضيل الأعاجم، عليهم، فكادوا يولدون بذم العرب عصبية جديدة..

لقد جعل جرجي العرب غرضاً لسهامه، ودربة لنباله.. يرميهم بكل نقيصة، ومعيبة وشر..

٩- أثار الأحقاد التي يرجو كل عاقل إطفاء نيرانها بين السنة والشيعة.. وبخاصة في رواياته: عذراء قريش. ١٧ رمضان. غادة كربلاء. أبو مسلم الخراساني. العباسة أخت الرشيد. الأمين والمأمون. عروس فرغانة . فتاة القيروان..

جاء في "فتاة القيروان" : "إن شيعتنا في ضنك شديد، إن هؤلاء الظالمين يسومونهم سوء العذاب من الإهانة والضرب والحبس بسبب وبلا سبب".

"إن شيعتنا مغلوبون على أمرهم يذوقون العذاب ألواناً من الحبس والقتل..".

"إنهم يسومون شيعتنا ذلك لأنها تجل أبناء الرسول، لو قصصت عليك بعض الخبر لبكيت على حالنا"..

١٠- أثار غريزة الشباب، وحرك شهوات المراهقين، مستغلاً ضعف ثقافة الكثيرين منهم، وحاول إيصالهم إلى الغاية التي يرمي إليها في كل رواية، مع لواعج الغرام، اصطكاك الركب، خفقان القلوب، رعشات الحب، سريان الكهرباء عند تلامس الأيدي..

١١- كما جعل جرجي تاريخنا العربي (مع الغرام والحب).. دسائس، جواسيس، لصوص، ظالمين، قطاع طرق، ثارات، طاغين، وشايات.. ولقد ذكرنا في كل رواية ما ورد من مثل هذه العبارات..

١٢- وجعل جرجي وراء سير الأحداث غانيات فاتنات، ملكات جمال ممشوقات القوام، ممتلئات الجسم، مستديرات الوجه كالبدر.. جمعن بين لطف النساء وحزم الرجال وشجاعتهم، يتنقلن بخفة متناهية بين بلد وبلد، وبين فئة وأخرى ليسيرن الأحداث في تاريخنا العربي الإسلامي.

فقطام في "١٧ رمضان" فتاة الكوفة الفتانة، التي ذاع صيتها في الآفاق، وسمع بجمالها القاصي والداني، حتى أصبحت فتنة الكوفيين ومضرب أمثالهم، وشخصت إليها الأبصار، وحامت حولها القلوب، فباتت معجبة بجمالها.

وسلمى في "غادة كربلاء" عند النظر إليها أعجب الحبيب بها فلم ير جمالاً مثل جمالها في فتاة قبلها، طول عمره الذي قضاه في دمشق وضواحيها، مع كثرة ما شهد من بنات الروم والعرب والنبط والسريان واليهود، فلم تقع عيناه قبل تلك الساعة على فتاة في وجهها من الجمال والهيبة مثل ما في هذا الوجه، وقد أدهشه منها بنوع خاص جمال عينيها..

وجلنار في "أبي مسلم الخراساني" مضرب الأمثال بالجمال والتعقُّل والأنفة.. وهي على جانب عظيم من الجمال، مستديرة الوجه، ممتلئة

الجسم، طويلة القامة معتدلتها، بيضاء البشرة مع حمرة تتلألأ تحت البياض، سوداء الشعر مسترسلته، نجلاء العينين كحلاءهما، تفيض جاذبية وحلاوة، وكان لها في مقدم الذقن فحص، وإذا ابتسمت ظهر على جانبي فمها فحصتان هما "الغمازتان".

وهكذا .. في كل رواية .. كلما أزيح لثام، ظهر وجه كالبدر، ليكون وراء الأحداث بتعقل وحنكة.. وهذا تفسير فرويدي جنسي لتاريخنا العربي الإسلامي!!

١٣- عود الناس تصديق الخرافة والخيال.. فقصة الحب التي ينسجها بين حبيبين يباعد الفتح أو تباعد الأحداث بينهما، يعودان إلى اللقاء في نهاية القصة.. مع تنجيم، وسحر، وكهان، ورمل، ومندل وودع..

كل هذا في "روايات تاريخ الإسلام" !!

١٤- عدم استخراج فائدة، أو روح معنوية سامية من هذه الروايات.. مع أن الكاتب الكبير هو الذي يوجه قراءه إلى هدف كبير، وأول خطوة تجاه الهدف الكبير البعد عن الكذب والدس والتشويه والحذلقة والطعن والشعوبية.

الكاتب العظيم.. من يجعل فيما يكتبه مغزى عظيماً رفيعاً، ولن تكون العظمة فيما يُكتب إلا إذا التزم الكاتب الصدق، والأمانة، والموضوعية.. ولن يصل إلى المستوى الرفيع إلا إذا جعل ما يكتب للسمو بالجيل فكراً ونفساً وروحاً ومنهجاً.

١٥- كما قلد جرجي المستشرقين في شبهاتهم.. الرهبان علموا النبي الكريم ـ ﷺ ـ، سطو العرب وحبهم للغنيمة، لا يشجع الإسلام

حرية الفكر والفلسفة، إدانة الرشيد في نكبة البرامكة..

١٦- وكان جرجي يختصر في ما ينبغي الإطناب فيه، والإطناب فيما ينبغي الاختصار.. كوصف دير، أو بستان، أو غرفة، أو جارية.. صفحات ذكرناها فيما سبق.. بينما يذكر عين جالوت في سطرين دون ذكر اسمها، ولا يذكر غزوات النبي ـ ﷺ ـ مطلقاً، حتى أنه في كتابه "تاريخ آداب اللغة العربية" خصص اثنتي عشر صفحة لموضع أجنبي بعيد عن آداب اللغة العربية وهو آداب اللغة اليونانية وأطوارها، وتراجم مستقلة بصور كبيرة لفلاسفة اليونان، وآداب اللغة الفارسية وأطوارها، وآداب اللغة السريانية وأطوارها، وآداب اللغة الهندي.. نقل هذه المباحث من دوائر المعارف، نقلها هنا بلا مناسبة وكان الأولى به أن يحل محلها كتاب الدولة العباسية، وهم فحول البلاغة، وقادة الكلام.

ومما يذكر هنا.. التطويل والتكرار في موضوعين أو ثلاثة لغير موجب، مثل: وصف جمال الغانيات والجواري، والتهتك والخلاعة، وإثارة الأحقاد بين المسلمين، ثم إعادة ذلك بعينه في كل رواية!!

١٧- يتضح من مراجع (جرجي) أنه لم يطلع مطلقاً على "منهج البحث التاريخي".. ويتجلى ذلك في اعتماده على كتب شك المؤرخون بصحتها، بل وعرفوا كذبها ومجونها.. مثل الأغاني الذي جعله مرجعاً رئيساً في معظم رواياته..

١٨- كما دون جرجي في رواياته: تصورات أبطال هذه الروايات، وما قالوه في أنفسهم، وما سمعوه من هواتف، وما مر على خواطرهم من ذكريات.. حتى أحلامهم سجلها جرجي..

وليس بمثل هذه الخيالات يكتب تاريخ على وجه البسيطة!!) انتهى

كلام الدكتور شوقي أبو خليل ـ وفقه الله ـ. (ص٣٠٧-٣١٥).

أما الأستاذ أنور الجندي فقد قال عن روايات زيدان:

(أما المجال الذي استطاع جرجي زيدان أن ينفث سمومه فيه بجرية؛ فهو مجال القصص، فقد ألف عدداً من القصص تحت اسم "روايات الإسلام"، دس فيها كثيراً من الدسائس والمؤامرات والأهواء، وحاول إفساد مفهوم الشخصية الإسلامية والبطولة الإسلامية، حيث أساء إساءة بالغة إلى أعلام من أمثال صلاح الدين الأيوبي، هارون الرشيد، السلطان عبد الحميد، عبد الرحمن الناصر، أحمد بن طولون، الأمين والمأمون، عبد الرحمن الداخل، شجرة الدر، وقد أقام تصوره على أساس خطير:

أولاً: تصوره للخلفاء والصحابة والتابعين بصورة الوصوليين الذي يريدون الوصول إلى الحكم بأي وسيلة، ولو كان على حساب الدين والخلق القويم مع تجريحهم واتهام بعضهم بالحقد وتدبير المؤامرات.

ثانياً: تزييف النصوص التي نقلها عن المؤرخين القدامى وحولها عن هدفها تحويلاً أراد به السخرية والاستخفاف بالمسلمين وبنى عليها قصصا غرامية باطلة.

ثالثاً: استهدف من حشد القصص الغرامية ذات المواقف المسفة داخل روايات "تاريخ الإسلام" إثارة غريزة الشباب وتحريك شهوة المراهقين، مستغلاً ضعف ثقافة الكثيرين منهم وجهلهم بالغاية التي يرمي إليها في الروايات، مع الاستشهاد بالأبيات الشعرية المكشوفة الساقطة التي تحرك الغرائز الدنيا.

رابعاً: تبين من البحث الذي قدمه عالم أزهري درس باستفاضة

روايات جرجي زيدان أن معظم الأحداث التاريخية في رواياته قد حرفت وبنيت على أساس فاسد.

فقد ظل جرجي على حد تعبير الباحث الدكتور... ينقب وينقر ويجهد نفسه في مزج الحق بالباطل، وتقديمه في أسلوب براق جذاب معتمداً على فن أدبي ذي أثر بالغ، وذلك هو فن القصة والرواية، حيث لم يكن حريصاً على تحري الحقائق التاريخية قدر حرصه على الحبكة القصصية وخلق الحوادث المثيرة خلقاً، وقد عمل جاهداً على طمس التاريخ الإسلامي وتشويه معالمه بغية تنفير أبناء العرب والمسلمين من ماضي آبائهم المجيد.

خامساً: من أخطر شبهاته أنه قال ببشرية القرآن وشك في مصادر العربية الأولى، ومدح بني العباس لأنهم أنزلوا العرب منزلة الكلب (على حد قوله)، ونسب إحراق مكتبة الإسكندرية إلى عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ.

وقد طبع اللبنانيون روايات جرجي زيدان مزدانة بالصور الملونة والألوان الصارخة بقصد استهواء الشباب وحملهم على قراءة هذه الكتب التي لا تعطيهم إلا صوراً مشوهة لتاريخ أمتهم وأخباراً ملفقة بغية التشكيك في ذلك التاريخ.

سادساً: أعطى نفسه الحرية المطلقة في تفسير أحداث التاريخ في معظم رواياته استناداً إلى موقف الأديب من التاريخ، وكانت تفسيراته متعسفة متكلفة في محاولة لإثارة مشاعر السخط في نفوس المسلمين.

سابعاً: تفسيره لتصرفات هارون الرشيد مع أخته العباسة وجعفر البرمكي بما لا يتفق مع ما عرف عن الرشيد من أنه كان يحج عاماً

ويغزو عاماً، وبما لا يتفق مع أيسر قواعد التفكير والمنطق السليم، وفي رواية أرمانوسة المصرية حاول أن يقول: إن الحب بين أرمانوسة وأركاديوس قائد حصن الروم هو السبب في هزيمة الروم وانتصار المسلمين، واتهم المسلمين بأنهم دخلوا البيوت ينهبون ويسلبون عندما فتحوا بلبيس، وهو مناقض تماماً لما أورده المؤرخون المنصفون.

ثامناً: في رواية "فتاة غسان"؛ أورد شبهة بأن النبي محمداً ـ ﷺ ـ أخذ تعاليمه عن الرهبان، وتأثر بتوجيهات الراهب بحيرا، واتسمت كتابته بالسخرية والاستخفاف بوثائق العهد النبوي، ووصف حادثة شق صدر النبي ـ ﷺ ـ بالغرابة، وادعى أن هناك خصومة بين خالد بن الوليد وأبي عبيدة بن الجراح، وأخذ مصادره في هذا من كتب المستشرقين.

تاسعاً: في رواية "عذراء قريش"؛ أقام منطقه على تجريح الصحابة واتهام بعضهم بالحقد وتدبير المؤامرات، واتهم السيدة عائشة بالميل إلى سفك الدماء والنزوع إلى الشر، ووصف الخليفة عثمان بأنه رجل إمعة وذليل ومستسلم لابن عمه، وافترى على علي بن أبي طالب وفسر الفتنة تفسيراً مغرضاً، واتهم علياً بالتهاون في المطالبة بدم عثمان.

العاشر: وفي رواية "العباسة"؛ اتهم الرشيد بالاستهتار والمجون والاستبداد والظلم، وقدم تفسيراً خاطئاً ومغرضاً لقتل بني برمك، وشوه شخصية العباسة أخت الرشيد.

الحادي عشر: في روايات "شارل" و"عبدالرحمن"؛ زعم بأن القواد وأمراء الجند من المسلمين كانوا مشغولين بحب فتيات النصارى وقد فتنوا بجمالهن، وأن هذا الحب قد صرفهم عن أمر الفتح؛ فتركوا جنودهم في ساحة القتال وادعى أنهم كانوا يهتمون بالغنائم أكثر من

اهتمامهم بما عداها، وجرى على تصوير حروب الإسلام على أنها حروب غنائم.

الثاني عشر: أجرى على لسان أبي مسلم الخراساني من الافتراء ما قال من أن العرب كانوا يحتقرون غير العرب ويسومونهم سوء العذاب، ثم يفتخرون عليهم بالنبوة، وطمس معالم التاريخ الإسلامي في هذه الرواية بالدس والافتراء، وقدم صوراً باهرة للكنيسة ورهبانها، وأشاد بالأديرة والرهبان حيث جعلها ملجأ الضعفاء وملاذ التائهين والخائفين.

وفي رواية "الأمين والمأمون"؛ كان واضح التحامل على العرب، واصفاً إياهم بالاستبداد وسوء التصرف مع الأجناس الأخرى التي تربطهم بهم رابطة الإسلام قبل كل شيء.

الثالث عشر: في رواية "فتاة القيروان"؛ حاول التشكيك في أنساب الكثيرين من حكام المسلمين، ...، واعتمد في قصصه الغرامية على الخيال؛ إذ لا يوجد ذكر لكل هذه المواقف في جميع كتب التاريخ، وخاصة حاكم سلجماسة الأمير حمدون، بل أن صاحب سلجماسة في كتب التاريخ يختلف تماماً عما جاء في رواية زيدان مما يؤكد ميل زيدان إلى التزوير والتحريف.

بل إن صاحب سلجماسة هو محمد بن داسول وليس الأمير حمدان، ولم يقل ابن الأثير أن له بنتاً شغلت القائد جوهر؛ فخطبها لابنه، وقد أعطى زيدان اليهود في روايته دوراً إيجابياً وجعلهم أصحاب الفضل الأول في إزالة الدولة الإخشيدية وإقامة دولة الفاطميين[1] مقامها.

---

(١) الصواب أن تسمى دولة العبيديين الرافضة الذين تستروا بمحبة آل البيت زوراً، وسموا دولتهم بالفاطمية.

الرابع عشر: في رواية "صلاح الدين" تلفيق وتزوير وإفساد للمجتمع؛ فقد ذهب إلى أن الخليفة العاضد لما ضعف أمره استدعى صلاح الدين وأوصاه بأهله خيراً، وأن صلاح الدين نقض هذا العهد بعد سويعات وحاصر قصر الخليفة وأخذ كل ما فيه ومن فيه، ولا ذكر في كتب التاريخ لتلك الوصية، ولا إشارة في كتب التاريخ إلى سيرة الملك هذه، وهذه الوصية التي ذكرها زيدان لم ترد في "الكامل" لابن الأثير ولا غيره؛ فهي ملفقة مزورة، كذلك؛ فقد زيف زيدان النصوص التي نقلها من ابن الأثير وحولها تحويلاً أراد به السخرية والاستخفاف بالمسلمين، وبنى عليها قصصاً غرامية باطلة.

ولم يعن المؤلف بالتصوير الحي لشخصية صلاح الدين ولم يسجل مواقفه الحاسمة، وصرف الشباب عن الحديث عن الدور المهم الذي قام به صلاح الدين بالحديث عن مكائد الحشاشين، وتهديدهم لصلاح الدين، واعتمد على روايات طائفة الحشاشين تلك الجماعة الضالة المنحرفة، وحاول أن ينسب إلى صلاح الدين قصصاً غرامية كاذبة.

الخامس عشر: وفي رواية "شجرة الدر"؛ حاول أن يصور نساء السلطان الصالح نجم الدين أيوب بصورة النساء اللاتي يتاجرن بأعراضهن في سبيل الحصول على ما يتطلعن إليه، وليس معه أي دليل من التاريخ، وهذه الدعاوى التي أوردها حول شجرة الدر تختلف عن الحقائق الواردة في الكتب التي أرخت لهذه الفترة.

السادس عشر: وخلاصة ما يصل إليه البحث حول روايات جرجي زيدان:

١- تحويل مواقف الشخصيات التاريخية .

٢- إثارة الشكوك حول البطولات الإسلامية.

٣- تعمد إغفال الحوادث التاريخية المهمة.

٤- إضفاء هالات مثالية على الأديرة والرهبان.

٥- التلاعب بالمصادر والمراجع). انتهى كلام الأستاذ أنور الجنـدي ـ رحمه الله ـ من كتابه (إعادة النظر في كتابات العصريين في ضوء الإسلام، ص ١٧٤- ١٧٨).

نظرة شرعية

في فكر

طه حسين



نظرة شرعية في فكر (طه حسين)

ترجمته[(١)]:

ـ هو طه حسين، كان مولده سنة ١٨٨٩ كما كتب طه ترجمته في سجلات المجمع اللغوي واعتمد عليه كتاب ـ المجمعيون ـ ومن جعل مولده ١٨٩١ فقد أخطأ .

كان السابع من إخوته وإخوانه الذين بلغوا ١٣ مولوداً وكان والده ذا مركز مرموق في الضاحية حرص على تعليم أولاده فبينهم طالب الطب والقضاء والمجاور في الأزهر وتلميذ الثانوية..

حرص الأب أن يعلمه فأدخله الكتاب وحفظ فيه القرآن الكريم وحفظ الصبي الكثير مما كان يسمع من أدعية وأشعار وأغانٍ! وقصص، وحفظ قواعد التجويد، وحين ترعرع راح أخوه الأزهري يحفظه الألفية ليعده للحياة الجديدة في الأزهر.

أوسع مرجع لصباه ولحياته في القرية وفي الأزهر كتابه "الأيام" الجزء الأول.

كما أن أفضل كتابين يرجع إليهما الباحث تتناول حياته العامة "أديب" و"مذكراته والجزء الثاني من الأيام".

- دخل الأزهر عام ١٩٠٢.

- ما حفظه في القرية أهله أن يتفوق به على رفاقه في الأزهر ومكنّه أن يتابع دروس شيوخه بوعي وفهم.

---

(١) مستفادة من كتاب (طه حسين بين أنصاره وخصومه) لجمال الدين الألوسي. ومراجع ترجمته كثيرة لا تخفى على الباحثين.

- وحدته وعماه جعلتاه ينزع في تفكيره منزع التطرف والعنف وهذا ما جعله يصطدم بأساتذته الواحد بعد الآخر.

- تفتح ذهنه واتسعت آفاق تفكيره حين بدأ يحضر دروس الأدب على يد سيد علي المرصفي، والأستاذ ينحو في دروسه منحى اللغويين والنقاد مع ميل للتفقه وللتحليل ويعنى بمفردات اللغة وإظهار ما في البيت من بيان وبديع ومعان.

- أرضت هذه الدروس نفس طه وتعلق بها وحفظ ما كان يعرض له من ديوان الحماسة وغيره.

- نمت فيه الكفايات ومكنته من القدرة على التمييز والتحليل، وبدأت ذاتيته وقابلياته تنضج نضجاً مبكراً وسريعاً، يتناسب مع حدة ذكائه وقوة مداركه.

- ظهرت في هذه الفترة في أقواله وتقريراته، ملكة النقد وكانت مجلبة لإتعابه مع رفاقه ومع مدرسيه.

- كره طه بعد المرحلة الثانية من دراسته الأزهرية دروس الأزهر واجتوى حلقات الشيوخ ما عدا درس الأدب.

- حضر درسين اثنين للإمام محمد عبده فاستهواه حديثه ورغب أن يلازمه لكن الشيخ لم يعد لحلقته وإنما نقل إلى الإفتاء.

- كان عام ١٩٠٨ عاماً فاصلاً بينه وبين حياة الأزهر وشيوخ الأزهر، في هذا العام فتحت الجامعة المصرية الأهلية فانتمى إليها وقضى فيها سنوات ثلاثاً يختلف إليها وإلى الأزهر. وقد وجد في دروس الجامعة اختلافاً كثيراً ووجد حرية البحث، فشغف بهذه الدروس حباً وتفتحت لها نفسه وكان أثر ذلك عميقاً فيها كما كون في نفسه نزعة التطرف

والنقد وهو على استعداد لهذه الخصلة.

- وجد في الجامعة مبتغاه، وفي ظل البحث التحليلي أخرج رسالته عن أبي العلاء المعري "ذكرى أبي العلاء" التي نال بها درجة الدكتوراه بتفوق.

- فلما وزعت مطبوعة ثارت حولها ضجة ورمي بالإلحاد وقدم أحد النواب إلى الجمعية العامة استجواباً أثار به موضوع رسالة طه حسين وطالب بفصله ونزع الشهادة عنه ولولا تداركه رئيس المجلس (سعد زغلول) لتغير مجرى حياته.

- في ٥ مارس ١٩١٤ سافر على نفقة الجامعة إلى فرنسا ليكمل دراسته فكان ذلك حدثاً لم يتيسر لغيره من أمثاله .

- في "مونبيليه التي يدرس فيها الأدب الفرنسي واللغة اللاتينية تعرف على "سوزان" التي كان لها الأثر الأكبر في وجهته القادمة.

- اجتاز امتحان الليسانس عام ١٩١٧ وفي هذا العام تم زواجه بها.

- وفي هذا العام كان طه يستعد للدكتوراه برسالة عن "ابن خلدون" وفلسفته الاجتماعية.

- وفي سنة ١٩١٩ قفل إلى مصر وتم تعيينه أستاذاً للتأريخ القديم.

- في عام ١٩٢٥ ألحقت الجامعة بالحكومة فتم تعيين طه حسين أستاذاً دائماً للأدب العربي بكلية الآداب.

- في أثناء دروسه للتاريخ القديم كان يكتب في "السياسة" حديث الأربعاء على نمط حديث الاثنين الذي كان يكتبه "سان بيف".

- أثارت هذه الأحاديث نقداً وهجوماً من المؤرخين والكتاب

لتشويهه فيها تاريخ المسلمين.

- في هذه الفترة كان طه حسين جم النشاط يكتب ويحاضر وينشر ويؤلف حتى فاضت شهرته وغطت سمعة الآخرين.

- أخرج محاضراته (في الظاهرة الدينية عند اليونان) في كتاب عام ١٩١٩ يحمل اسم "آلهة اليونان".

- وفي عام ١٩٢٠ أخرج "صحف مختارة من الشعر التمثيلي عند اليونان".

- وفي عام ١٩٢١ أصدرت له مطبعة الجريدة ترجمة لكتاب (الواجب) بالاشتراك مع محمد رمضان.

- وفي عام ١٩٢١ أيضاً ترجم كتاب "نظام الاثنين" لارسطو.

- وفي عام ١٩٢٢ أعيد طبع كتاب "ذكرى أبي العلاء" بعد أن نفدت طبعته الأولى.

- وفي عام ١٩٢٣ نقل (روح التربية) عن غوستاف لوبون ونشرته الهلال لمشتركيها.

- وفي عام ١٩٢٤ كتب سلامة موسى مقالاً في الهلال رفع فيه طه حسين إلى زعامة الأدب الحديث .

- وفي عام ١٩٢٤ نشر طه كتابه "قصص تمثيلية" من الفرنسية.

- وفي عام ١٩٢٥ أخرج الجزء الأول من كتابه (حديث الأربعاء).

- وفي ١٩٢٥ نشر كتاباً باسم "قادة الفكر".

- وفي ١٩٢٦ نشر كتابه "حديث الأربعاء" الجزء الثاني.

- وفي ١٩٢٦ نشر كتابه "الشعر الجاهلي" فأثار ظهوره ثورة عاصفة كادت تعصف بطه وكرسيه وأدبه، وانبرت أقلام الأدباء

والمؤرخين وعلماء المسلمين يردون عليه بأعنف ما عرف النثر الأدبي من النقد والهجاء، وأخرجت المطابع كتباً عديدة في الرد عليه وربحت المكتبة العربية كتباً غاية في الجودة والنقد وأدب الحوار.

- أحيل طه حسين سنة ١٩٢٦ إلى النيابة وحققت معه وانتهت من قرارها سنة ١٩٢٧. وكان قرارها فيه تفنيد لمزالق متطرفة ارتكبها طه حسين في كتابه. وتفنيد آراء أخذها من المستشرقين أمثال رينان ومرغليوث وغيرهما، وصودر كتابه وجمع من الأسواق.

نشأته: القرية:الأزهر:باريس: العودة.

- في سنة ١٩٢٨ عين الدكتور طه عميداً لكلية الآداب فأثار هذا التعيين أزمة حادة للجامعة وللدكتور طه، فقد كان علي الشمسي وزيراً للمعارف وكان وفدياً يحقد على طه فتدخل للحيلولة دون هذا التعيين ويريد أن ينتقم للوفد الذي لم ينس زعماؤه مقالات طه حسين ويعلمون صلاته بالأحرار الدستوريين، وأصر الوزير إلا أن يستقيل وأصر الدكتور طه إلا المباشرة في العمادة، وقبل أن يستقيل بشرط واحد هو أن يعين ويباشر وظيفته ولو ليوم واحد ويوقع بعض الأوراق ثم يقدم استقالته، وبذلك حسم النزاع واستمر أستاذاً للأدب العربي.

- وفي سنة ١٩٣٠ انتهت مدة "ميشو" الفرنسي عميداً فاختارت الكلية الدكتور طه حسين عميداً، ووافق وزير المعارف "مراد سيد أحمد" وبعد حين طلب منه أن يستقيل ليصبح رئيساً لتحرير جريدة الشعب لسان حال حزب صدقي باشا فرفض الطلب وآثر البقاء في الجامعة وألحت عليه الجهات الرسمية على قبول رئاسة تحرير الجريدة فأصر على الرفض، وهذا ما جعل صدقي يضمر في نفسه الانتقام من الدكتور

طه.

- وابتداءً من ٢٩ مارس ١٩٣٢ لزم الدكتور بيته وشرع يكتب في جريدة السياسة ويتولى رئاسة تحريرها حين يكون الدكتور هيكل غائباً عن القاهرة. وكان ائتلاف بين الأحرار والوفد فطلب من الدكتور طه أن يكتب في جريدة (كوكب الشرق)التي كان يصدرها حافظ عوض. واستقال من كوكب الشرق واشترى امتياز جريدة الوادي وتولى الإشراف على التحرير واستمر إلى تشرين الثاني ١٩٣٤ يدير الوادي.

- أعيد في وزارة نسيم إلى الجامعة سنة ١٩٣٤ وعين أستاذاً في كلية الآداب وفي مارس من سنة ١٩٣٦ اختير عميداً للكلية واستمر في العمادة حتى مارس ١٩٣٩ وأعيد انتخابه للعمادة لكن حكومة محمد محمود لم ترض إعادته عميداً فاستقال من العمادة وبقي أستاذاً في الكلية للأدب .

- وفي كانون الأول من عام ١٩٣٩ عين مراقباً للثقافة في وزارة المعارف واستمر بعمله الرسمي إلى شباط ١٩٤٢ مع بقائه يلقي محاضراته في كلية الآداب.

- وعاد الوفد سنة ١٩٤٢ إلى الحكم فاختاره نجيب الهلالي وزير المعارف مستشاراً فنياً بوزارة المعارف ثم انتدب مديراً لجامعة الإسكندرية واستمر في هذين المنصبين إلى تشرين ١٩٤٤.

- وفي ١٦ تشرين الأول سنة ١٩٤٤ أحيل إلى التقاعد واستمر خارج المناصب الحكومية، وفي ١٣ كانون الثاني ١٩٥٠ عين وزيراً للمعارف في الوزارة الوفدية .

- ومن سنة ١٩٥٢ انصرف إلى الإنتاج الفكري وإلى النشاط في

المجامع العلمية واللغوية، فهو عضو في مجمع اللغة في القاهرة، والمجلس الأعلى للفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، والمجمع المصري في دمشق، والمجمع العلمي العراقي، وعضو مراسل لعدة مجامع علمية في الخارج.

- حصل على الدكتوراه الفخرية من جامعة مدريد وجامعة كمبردج، ونال وسام الباشوية ووسام الليجون دونير مو طبقة كراند أوفيسية، ونال الدكتوراه الفخرية من جامعات ليون، ومونبيليه، ومدريد، وأكسفورد، وانتخب رئيساً للمجمع اللغوي بعد وفاة أحمد لطفي السيد سنة ١٩٦٣.

- توفي طه حسين عام ١٩٧٣م.

مؤلفاته:

١- ذكرى أبي العلاء المعري، وهو أول كتاب صدر له نال به رسالة الدكتوراه سنة ١٩١٤ وقد طبع لأول مرة بمطبعة الواعظ سنة ١٣٣٤هـ ـ١٩١٥م في ٤١٠ صفحة. وطبع ثانية بمطبعة المعاهد بمصر سنة ١٩٢٢ في ٣٨٤ صفحة من غير حذف أو تغيير. وطبع ثالثة بعنوان تجديد ذكرى أبي العلاء في دار المعارف سنة ١٩٣٧ في ٣١١ صفحة. وطبع طبعة رابعة سنة ١٩٥٠ ثم طبعة خامسة في دار المعارف سنة ١٩٥٨.

٢- فلسفة ابن خلدون الاجتماعية : وهو رسالة الدكتوراه التي قدمها إلى السوربون سنة ١٩١٧ ونال بها إجازة الدكتوراه من جامعة باريس وترجمها عبد الله عنان بعنوان (فلسفة ابن خلدون الاجتماعية) طبعت بمطبعة الاعتماد لأول مرة سنة ١٣٤٣هـ ـ١٩٢٥م.

٣- آلهة اليونان: الظاهرة الدينية عند اليونان وأثرها في المدنية طبع في

مطبعة المنار سنة ١٩١٩، في ٩٦ صفحة.

٤- دروس التأريخ القديم وهي الدروس التي كان يلقيها في الجامعة المصرية بين عام ١٩١٩ وعام ١٩٢٤ شملت اليونان والرومان نشر بعضها في مجلة الجامعة.

٥- صحف مختارة من الشعر التمثيلي عند اليونان، مطبعة الهلال بمصر سنة ١٩٢٠.

٦- الواجب ترجمة عن الفرنسية لمؤلفه جول سيمون وطبع في مطبعة الجريدة سنة ١٩٢١ في أربعة أجزاء .

٧- نظام الاثنين تأليف أرسطو طاليس ترجمه عن اليونانية وطبع بمطبعة الهلال وأعيد طبعه في دار المعارف في ١٩٢ صفحة.

٨- روح التربية تأليف جوستاف لوبون عن الفرنسية طبع بمطبعة الهلال في ١٦٣ صفحة.

٩- قصص تمثيلية لجماعة من أشهر الكتاب الفرنسيين طبع في المطبعة التجارية سنة ١٩٢٤.

١٠- قادة الفكر طبع سنة ١٩٢٥ بمطبعة الهلال بـ١٣٥ صفحة. وأعيد طبعه بمطبعة المعارف سنة ١٩٢٩ ثم أعيد مرات عديدة كان آخرها سنة ١٩٥٩.

١١- حديث الأربعاء، سلسلة مقالات نشرها في السياسة وطبع منها المجلد الأول في المكتبة التجارية بالقاهرة سنة ١٩٢٥ وطبع الجزء الثاني بمطبعة دار الكتب المصرية سنة ١٩٢٦، وطبع الجزءان ثانية بمطبعة مصطفى البابي الحلبي بالقاهرة سنة ١٩٣٧ وطبع هذان الجزءان في دار المعارف ١٩٥٩ وطبع الجزء الثالث في دار المعارف سنة ١٩٥٧ الأول

بـ٤١٢ص، والثاني بـ٣٤٧ص، والثالث بـ٢٣٠ صفحة.

١٢- في الشعر الجاهلي طبع بمطبعة دار الكتب المصرية سنة ١٩٢٦ ثم سحب الكتاب من الأسواق.

١٣- في الأدب الجاهلي وهو كتاب (في الشعر الجاهلي) بعد أن حذف منه فصل وأضيفت إليه فصول، طبع لأول مرة بمطبعة الاعتماد بالقاهرة سنة ١٩٢٧ بـ٣٧٥ص، وطبع ثانية في دار المعارف سنة ١٩٥٨ بـ٣٣٣ص.

١٤- في الصيف نشره سنة ١٩٢٨ ولم يظهر في كتاب إلا سنة ١٩٣٣ وطبع في بيروت للمرة الثانية مع رحلة الربيع والصيف بدار العلم للملايين سنة ١٩٥٧.

١٥- الأيام، الجزء الأول نشر أولاً في الهلال المجلد ٣٥ ج٢ ص١٦١-١٦٨ وتوالى نشره من سنة ١٩٢٦-١٩٢٧ ثم جمع بكتاب وطبع بمطبعة أمين عبد الرحمن في سنة ١٩٢٩ وأعيد طبعه سنة ١٩٤٢ ثم في سنة ١٩٤٩. ثم في سنة ١٩٥٨.

١٦- حافظ وشوقي طبع بمطبعة الاعتماد بـ١٢١ص وذلك سنة ١٩٣٣.

١٧- على هامش السيرة الجزء الأول المطبعة الرحمانية وقد أعيد مراراً سنة ١٩٣٥، ١٩٥٣.

١٨- نقد النثر لقدامة بن جعفر حققه بالاشتراك مع عبد الحميد العبادي، دار الكتب.

١٩- دعاء الكروان، وقد أعيد طبعه مراراً منها طبعة دار المعارف سنة ١٩٥٩ بـ١٦٠ صفحة.

٢٠- من بعيد طبع بمطبعة الرحمانية بـ٣١١ص. وأعادت طبعه الشركة العربية للطباعة والنشر سنة ١٩٥٨ بـ ٣٠٥صفحة.

٢١- أديب، طبع بمطبعة الاعتماد سنة ١٩٣٥ بـ٢٥١ص، وأعيد طبعه سنة ١٩٤٤، وطبع ثالثة سنة ١٩٥٣ بمطابع جريدة المصري من مجموع كتب للجميع.

٢٢- الحياة الأدبية في جريدة العرب مكتب النشر وأعيد طبعه في كتاب "ألوان" سنة ١٩٥٨.

٢٣- مع أبي العلاء في سجنه مطبعة المعارف بـ ٢٤٥ص وطبع مرة أخرى سنة ١٩٥٦ بـ ٣٣٦ص.

٢٤- أندروماك لراسين، المطبعة الأميرية ببولاق.

٢٥- من حديث الشعر والنثر، مطبعة الصاوي القاهرة بـ ٣١٢ص، وطبع ثانية سنة ١٩٤٨ وثالثة بدار المعارف سنة ١٩٥٧ بـ ١٨٤ص.

٢٦- القصر المسحور بالاشتراك مع توفيق الحكيم، طبع بدار النشر الحديث سنة ١٩٣٧.

٢٧- مع المتنبي ظهر في شباط سنة ١٩٣٧ في جزأين بـ ٧١٦ صفحة ضمن مطبوعات لجنة التأليف والترجمة والنشر وأعادت طبعه دار المعارف سنة ١٩٥٧ بمجلد واحد وأعيد طبعه سنة ١٩٦٠.

٢٨- الحب الضائع نشرته مجلة الراديو (مسلسلة)، عام ١٩٣٧-١٩٣٨ ثم نشر في العدد ١٠٠ من سلسلة "اقرأ" التي تصدرها دار المعارف شهرياً ١٩٥١.

٢٩- مستقبل الثقافة في مصر جزءان طبعا بمطبعة المعارف سنة ١٩٣٨ وأعيد طبعه سنة ١٩٤٤.

٣٠- من الأدب التمثيلي اليوناني، لجنة التأليف والترجمة والنشر. وأعيد في دار المعارف.

٣١- الأيام، الجزء الثاني طبع سنة ١٩٣٩ ثم أعيد طبعه بدار المعارف سنة ١٩٥٦.

٣٢- لحظات، في جزئين طبعته دار المعارف سنة ١٩٤٢.

٣٣- على هامش السيرة، الجزء الثاني طبعته دار المعارف سنة ١٩٤٢ وأعيد طبعه في دار المعارف سنة ١٩٥٣.

٣٤- على هامش السيرة، الجزء الثالث، طبعته دار المعارف سنة ١٩٤٣ وأعادت طبعه ١٩٥٥ وسنة ١٩٥٨ وسنة ١٩٦١.

٣٥- صوت باريس، مجموعة قصصية تمثيلية، طبعته دار المعارف ١٩٤٣ وأعيد طبعه سنة ١٩٥٦ ضمن كتب للجميع.

٣٦- أحلام شهرزاد، العدد الأول من سلسلة اقرأ طبعته دار المعارف، سنة ١٩٤٣.

٣٧- شجرة البؤس، طبعته دار المعارف وصدر عن نادي القصة ثانية سنة ١٩٥٣ ضمن سلسلة الكتاب الذهبي وطبع عن دار المعارف سنة ١٩٥٨.

٣٨- جنة الشوك عن دار المعارف سنة ١٩٤٥.

٣٩- فصول في الأدب والنقد. أصدرته دار المعارف سنة ١٩٤٥.

٤٠- صوت أبي العلاء، العدد ٢٣ من مسلسلة اقرأ عن دار المعارف سنة ١٩٤٥.

٤١- زاديج أو القدر مترجم من فولتير، صدر عن مطبعة الكاتب المصري وأعيد طبعه سنة ١٩٦٠، من دار العلم للملايين، بيروت.

٤٢- أندرية جيد: من أبطال الأساطير اليونانية أوديب أسيوس، صدرته مطبعة الكاتب المصري.

٤٣- المعذبون في الأرض، نشرته مجلة الكاتب المصري سنة ١٩٤٨، ثم طبع في صيدا سنة ١٩٤٩ وطبع في سلسلة اقرأ وطبعته الشركة العربية سنة ١٩٥٨.

٤٤- مرآة الضمير الحديث، قامت بطبعه دار الملايين ١٩٤٩، وطبع بعنوان نفوس للبيع ضمن مجموعة كتب للجميع سنة ١٩٥٣.

٤٥- الوعد الحق: طبع في دار المعارف في العدد ٨٦ من سلسلة اقرأ وطبع سنة ١٩٥٤ و ١٩٥٤ و ١٩٥٩ و ١٩٦٠.

٤٦- جنة الحيوان: طبع بمطابع جريدة المصري سنة ١٩٥٠.

٤٧- رحلة الربيع، العدد ٦٩ من سلسلة اقرأ طبع دار المعارف سنة ١٩٤٨، ثم أعيد نشرها مع رحلة الصيف طبعتهما دار العلم للملايين بيروت ١٩٥٧.

٤٨- ألوان: نشرته دار العلم للملايين بيروت سنة ١٩٥٢. ثم أعادت طبعه مجدداً سنة ١٩٥٨.

٤٩- عليّ وبنوه: الجزء الثاني دار المعارف وطبع مرة ثانية ١٩٦١.

٥٠- بين بين : نشرته دار العلم للملايين سنة ١٩٥٢.

٥١- شرح لزوم ما لا يلزم لأبي العلاء بالاشتراك مع إبراهيم الأبياري العدد ١٣ من ذخائر العرب.

٥٢- من هناك، مطبعة روز اليوسف من سلسلة الكتاب الذهبي، ١٩٥٥، وضم صوت باريس.

٥٣- خصام ونقد نشرته مطابع دار العلم للملايي، بيروت، سنة

.١٩٥٥

٥٤- نقد وإصلاح: نشرته مطابع دار العلم للملايين، بيروت، سنة ١٩٥٦ وطبع ثانية سنة ١٩٦٠.

٥٥- رحلة الربيع والصيف دار الملايين أخرجته سنة ١٩٥٧ ويضم رحلة الربيع وفي الصيف.

٥٦- مرآة الإسلام، مطبعة المعارف بمصر سنة ١٩٥٩ بـ ٣١١ص .

٥٧- من لغو الصيف، نشرته دار العلم للملايين، بيروت ١٩٥٩.

٥٨- من أدب التمثيل الغربي، نشرته دار العلم للملايين سنة ١٩٥٩.

٥٩- أحاديث نشرته دار العلم للملايين سنة ١٩٥٩.

٦٠- الشيخان أبو بكر وعمر نشرته دار المعارف بمصر سنة ١٩٦٠.

٦١- المذكرات، دار الآداب بيروت شباط ١٩٦٧.

٦٢- الجزء الأول من الفتنة الكبرى (عثمان)، دار المعارف وكان الجزء الثاني من الفتنة قد صدر بعنوان علي وبنوه سنة ١٩٥٢.

٦٣- كلمات: في الأدب والنقد أصدرته دار العلم للملايين سنة ١٩٦٧.

٦٤- خواطر: في الأدب والنقد أصدرته دار العلم للملايين سنة ١٩٦٧.

ترجمة كتبه وأعماله المجمعية:

ترجمت "الأيام" إلى الإنكليزية والفرنسية والعبرية والصينية والروسية والفارسية والإيطالية والألمانية والمجرية، وقد ترجم الأيام الجزء الثاني إلى الإنكليزية والفرنسية وترجمه كراتشكوفسكي إلى الروسية وظهرت ترجمته سنة ١٩٦٠.

دعاء الكروان نقل إلى الفرنسية.

وأوديب ومستقبل الثقافة إلى الفرنسية.

والوعد الحق إلى الفارسية.

علي وبنوه إلى الفارسية والأوردية.

- وللدكتور طه حسين مقالات سياسية وأدبية ونقدية واجتماعية، وله مقدمات لكتب عديدة كان يكتبها لأصدقائه وطلابه لو جمعت لأربت على عشرات الكتب.

أما أعماله المجمعية: فقد ساهم .... في لجانه الكثيرة ومنها:

١- لجنة المعجم الكبير وقد اختير مشرفاً عليها منذ إنشائها.

٢- لجنة اللهجات.

٣- لجنة الأدب.

٤- لجنة الأصول.

٥- لجنة التأريخ والجغرافيا.

٦- لجنة الألفاظ والأساليب.

٧- لجنة نشر التراث القديم.

وألقى في المجمع بحوثاً وكلمات منها:

١- كلمة في استقبال الدكتور عبد الحميد بدوي ونشر في المجلة، الجزء السادس ص ٢١٨.

٢- بحث (فن من الشعر يتطور بأعين الناس)، المجلة، الجزء السابع ص ٢٤.

٣- كتاب الرد على النحاة، لابن مضاء، بحث عنه، نشر في المجلة، الجزء السابع ص ٧٦.

٤- كلمة في استقبال الأستاذ محمود تيمور، سنة ١٩٥٠، الجزء الثامن ص ٤٣.

٥- كلمة في استقبال الأستاذ محمد توفيق دياب، المجلة، الجزء العاشر ص ١٥١.

٦- كلمة في استقبال الأستاذ توفيق الحكيم، سنة ١٩٥٤، الجزء العاشر ص ١٧٥.

٧- مشكلة الأعراب المحلية، الجزء الحادي عشر، ص ١٧٥.

٨- كلمة في استقبال أحمد حسن الباقوري، المجلة ج ١٣ ص ٢٤١.

٩- في تأبين الدكتور محمد حسين هيكل، سنة ١٩٥٧، المجلة ج ١٣ ص ٢٨٧.

١٠- كلمة في تأبين الأستاذ انوليتمان، المجلة، ج ١٤ ص ٣٣٤، ألقاها بالنيابة عن الدكتور طه حسين الدكتور محمد عوض محمد، يوم ٢٧ من ذي العقدة سنة ١٣٨٣هـ ٢١ نيسان ١٩٦٣.

١١- كلمة في تأبين الدكتور عبد الوهاب عزام، المجلة، ج ١٤ ص ٣٤١.

١٢- تأبين الأستاذ أحمد لطفي السيد، مجلة المجمع، الجزء الثامن عشر، ص ١١٣.

وقد اختير الدكتور طه حسين لتمثيل المجمع في عدة مؤتمرات مثل مؤتمر اللغويين السادس باريس، والمؤتمر الحادي والعشرين للمستشرقين الذي عقد بباريس أيضاً، والمستشرقين في لندن، وأدار الإدارة العامة للثقافة العربية في الجامعة العربية، وحضر ورأس مهرجانات ومؤتمرات أدبية في أقطار عديدة. (انتهى ملخصاً بتصرف من كتاب (طه حسين بين أنصاره

وخصومه) لجمال الدين الألوسي (١٢ـ ١٦، ٦٣ـ ٦٥، ٦٩ـ ٧٦).

انحرافاته:

انحرافات هذا الرجل كثيرة جداً، فهو ـ بلا شك ـ رأس من رؤوس التغريب في زماننا المعاصر، وقد حاول طيلة حياته إلقاء الشبهات وإثارة الشكوك ومحاربة الإسلام بشتى الطرق، وفق خطة مدروسة صاغها له الغربيون الذين ربوه على أعينهم.

فإليك أخطر انحرافاته التي بثها بين المسلمين:

١- إحياؤه ودعوته إلى مذهب (الشك) الذي تلقاه عن (ديكارت).

يقول الأستاذ أنور الجندي: "يكاد المستشرقون والباحثون الغربيون يجمعون على أن هدف طه حسين الأول الذي أعد له، والذي عمل له خلال حياته كلها من خلال كتاباته سواء منها التي ألقيت في الجامعة كمحاضرات أو نشرت في صحف أو في كتب مطبوعة تجمع على شيء واحد هو: إرساء منهج الشك الفلسفي في حياة الفكر الإسلامي على نحو يسيطر تماماً على التاريخ والنقد الأدبي والمسرح والدراما، واتخاذ كل أساليب البيان للوصول إلى هذه الغاية فقد اتخذ ذلك أول الأمر أسلوبه في الجامعة حيث حمل لواء الدعوة إلى نقد القرآن بوصفه نص أدبي، وتشكيكه في وجود إبراهيم وإسماعيل ـ عليهما السلام ـ." (كتاب العصر تحت ضوء الإسلام، ص٣٠)

وقد رد الأستاذ محمود شاكر ـ رحمه الله ـ على طه حسين مبطلاً مذهبه هذا بقوله "إن إدعاء طه حسين أن القاعدة الأساسية في منهج ديكارت أن يتجرد الباحث من كل شيء كان يعلمه من قبل، وأن يستقبل بحثه خالي الذهن خلواً تماماً مما قبل، فإن هذا شيء لا أصل له

وتكاد تكون هذه الصياغة كذباً مصفى، بل هو خارج عن طوق البشر.

هبه يستطيع أن يخلي ذهنه خلواً تاماً مما قبل، وأن يتجرد من كل شيء كان يعلمه من قبل، أفيستطيع هو أيضاً أن يتجرد من سلطان اللغة التي غذي بها صغيراً حتى صار إنساناً ناطقاً؟ أفيستطيع أن يتجرد من سطوة الثقافة التي جرت منه مجرى لبن الأم؟ أيستطيع أن يتجرد من بطشة الأهواء التي تستكين ضارعة في أغوار النفس وفي كهوفها كلام يجري على اللسان بلا زمام يضبطه، محصوله أن يتطلب إنساناً فارغاً خاوياً مكوناً من عظام كسيت جلداً؟." (المرجع السابق، ص٣٢).

قلت: وليت طه حسين إذ دعا إلى هذا المذهب كان يهدف إلى أن يكون الشك مقدمة إلى اليقين، إذاً لهان الأمر، ولكنه كان يهدف إلى أن يكون الشك للشك !!

٢- تدور فكرة كتابه (في الشعر الجاهلي) على "أن الشعر الجاهلي لا يمثل حياة العرب قبل ظهور الإسلام، أي لا يمثل الحياة التي عاش فيها الرسول ـ ﷺ ـ قبل الرسالة بمالها من جوانب وأجواء، إذ هو شعر مصطنع مفتعل ولذا لا يعبر عن حقائقها ولا عن ما دار فيها، فهو في جملته يعبر عن حياة جاهلية فيها غلظة وخشونة، وبعيدة عن التمرس السياسي، والنهضة الاقتصادية أو الحياة الدينية الواضحة. مع أن حياة العرب في الجاهلية كانت حياة حضارية" (طه حسين في ميزان العلماء والأدباء، للأستاذ محمود الأستانبولي، ص ١٢٩).

"ومنطق المؤلف: بما أن الشعر الجاهلي لا يصح أن يكون مرآة صافية للحياة الجاهلية، وهي الحياة التي نشأ فيها الرسول ـ ﷺ ـ وقام بدعوته، وكافح من أجل هذه الدعوة فيها، فالشيء الذي يعبر عن هذه

الحياة تعبير صدق، وموثوق به كل الثقة، هو القرآن " (المرجع السابق، ص ١٣٠).

ثم ذكر ما يعتقده من صفات الحياة الجاهلية كما جاءت في القرآن قال الدكتور محمد البهي: (ومعنى هذا القول ـ كما يريد المؤلف أن يفهم قارئه ـ أن القرآن انطباع للحياة القائمة في وقت صاحبه، وهو النبي، ويمثل لذلك بيئة خاصة: في عقيدتها ولغتها وعاداتها واتجاهها في الحياة، وهي البيئة العربية في الجزيرة العربية) (الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، ص ١٨٦).

"وإذن: القرآن ـ بعبارة أخرى ـ دين محلي لا إنساني عالمي قيمته وخطره في هذه المحلية وحدها، قال به صاحبه! تحت التأثر بحياته التي عاشها وعاش فيها، ولذلك يعبر تعبيراً صادقاً عن هذه الحياة، أما أنه يمثل غير الحياة العربية، أو يرسم هدفاً عاماً للإنسانية في ذاتها، فليس ذلك الكتاب. إنه دين بشري وليس وحياً إلهياً" !! (المرجع السابق، ص ١٨٧).

- كان من أخطر وأعظم أقوال طه حسين في هذا الكتاب، قوله:

"للتوراة أن تحدثنا عن إبراهيم وإسماعيل، وللقرآن أن يحدثنا عنهما أيضاً، ولكن ورود هذين الاسمين في التوراة والقرآن لا يكفي لإثبات وجودهما التاريخي، فضلاً عن إثبات هذه القضية التي تحدثنا بهجرة إسماعيل بن إبراهيم إلى مكة ونشأة العرب المستعربة، ونحن مضطرون أن نرى في هذه القصة نوعاً من الحيلة في إثبات الصلة بين اليهود

والعرب من جهة، وبين الإسلام واليهود، والقرآن والتوراة من جهة أخرى" !!(نقلاً عن: طه حسين : حياته وفكره في ميزان الإسلام، للأستاذ أنور الجندي، ص ٨).

٣- أما في كتابه (مستقبل الثقافة في مصر) فقد دعا طه حسين إلى ثلاثة أمور:

١- الدعوة إلى حمل مصر على الحضارة الغربية وطبعها بها وقطع ما يربطها بقديمها وبإسلامها.

٢- الدعوة إلى الوطنية وشؤون الحكم على أساس مدني لا دخل فيه للدين، أو بعبارة أصرح: دفع مصر إلى طريق ينتهي بها إلى أن تصبح حكومتها لا دينية.

٣- الدعوة إلى إخضاع اللغة العربية لسنة التطور ودفعها إلى طريق ينتهي باللغة الفصحى التي نزل بها القرآن الكريم إلى أن تصبح لغة دينية فحسب كالسريانية والقبطية واللاتينية واليونانية" (طه حسين في ميزان العلماء ، ص ١٤٦).

ومن أقواله الشنيعة في هذا الكتاب: دعوته إلى "أن نسير سيرة الأوروبيين ونسلك طريقهم، لنكون لهم أنداداً، ولنكون لهم شركاء في الحضارة، خيرها وشرها، حلوها ومرها، وما يحب منها وما يُكره، وما يُحمد منها وما يُعاب" (مستقبل الثقافة في مصر، ص ٤١).

٤- أما كتابه (على هامش السيرة) فقد حشاه بالأساطير والروايات الباطلة مبرراً موقفه هذه "بأن هذه الأساطير ترضي ميل الناس إلى السذاجة، وترفه عنهم حين تشق عليهم الحياة" !! (طه حسين في ميزان العلماء، ص ٢٣٤).

يقول الأستاذ غازي التوبة: "ليس من شك في أن تناول السيرة بقصد الاستراحة من جهد الحياة وعنائها، والترفيه عن النفس، وإرضاء ميل الإنسان إلى السذاجة، وتنمية بعض عواطف الخير، ليس من شك أنها سابقة خطيرة، لا يحسد عليها طه حسين؛ لأن المسلمين كتبوا - دوما وكثيراً - في سيرة نبيهم صلوات الله عليه، ومحصوا أحداثها، وميزوا دقائقها، وبوبوا تفاصيلها، وكان نظرهم - خلال ذلك كله وبعده - يرمق في محمد - ﷺ - مثلاً أعلى للإنسانية ويلتذ في ذلك، ويشتم منه الصفات العبقة ويلتذ في ذلك - ولم يقفوا عند حدود الرمق والشم والالتذاذ - ولكن سعت أقدامهم في لحظة الرمق والشم والتلذذ نفسها - ومشت على طريق محمد. فزكوا أنفسهم كما زكى محمد نفسه، وعبدوا ربهم كما عبد محمد ربه، وعاملوا الناس كما عامل محمد الناس، وجاهدوا الشرك والباطل كما جاهد محمد الشرك والباطل الخ...

كتب المسلمون الذي كتبوه في سيرة نبيهم، ومحصوا الذي محصوه، وبوبوا الذي بوبوه، قاصدين الاقتداء به، والعمل مثل عمله. وشتان بين ما هدف إليه طه حسين، وما ذهب إليه رواة السيرة" (الفكر الإسلامي، لغازي التوبة، ص، ١١٠).

قلت: وقد صدق محمد حسين هيكل صاحب طه حسين ! في تعليقه على كتاب طه هذا، حين قال: "الخطر ليس على الأدب وحده، ولكن على الفكر الإسلامي كله؛ لأنه يعيد غرس الأساطير والوثنيات والإسرائيليات في سيرة النبي - ﷺ - مرة أخرى بعد أن نقاها العلماء المسلمون منها، وحرروها من آثارها" (طه حسين في ميزان العلماء، ص ٢٣٦).

٥-أما كتابه (الشيخان) فقد مارس فيه ما أتقنه من مذهب (الشك) الذي ورثه من (ديكارت) ! حيث قال في مقدمة الكتاب: "وما أريد أن أفصل الأحداث الكثيرة الكبرى التي حدثت في أيامهما، فذلك شيء يطول، وهو مفصل أشد التفصيل فيما كتب عنهما القدماء والمحدثون.

وأنا بعد ذلك أشك أعظم الشك فيما روي عن هذه الأحداث، وأكاد أقطع بأن ما كتب القدماء من تاريخ هذين الإمامين العظيمين، ومن تاريخ العصر القصير الذي وليا فيه أمور المسلمين، أشبه بالقصص منه بتسجيل الحقائق التي كانت في أيامهما" !! (نقلاً عن : طه حسين في ميزان العلماء، ص ٢١٤).

هكذا دون أدلة، ودون رجوع لأهل الشأن من علماء الحديث، إنما تحكيماً لعقله في أحداث الصحابة وما جرى منهم ولهم.

٦- أما كتاب (الفتنة الكبرى) بجزأيه، فقد خاض فيه طه حسين في ما شجر بين الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ دون علم، وهو ما نهى عنه علماء أهل السنة ـ رحمهم الله ـ، وكان له هدف خبيث من هذا الخوض بينه الأستاذ غازي التوبة بعد أن فنَّد الكتاب بقوله: "إذن ينعي طه في ختام الجزء الأول الخلافة، ويوهِن من عزائم المسلمين الساعية إلى إعادتها، وينبههم إلى أن المسلمين الأوائل تنكبوا عن طريقها منذ أمد بعيد واتبعوا طريق الملك الذي يحل مشكلات الدنيا بالدنيا، فالخلافة تحتاج إلى أولي عزم من الناس، وأين أولو العزم الآن ؟؟!!

وكأن لسان حاله يخاطب مسلمي عصره ويقول لهم: عليكم أيها المسلمون أن تدعوا التفكير في الخلافة، وأن تبطلوا السعي إليها، وأن ترضوا بحكم الديمقراطية كما رضي أصحاب النبي بعد عثمان ـ ﷺ ـ

بحل مشكلات الدنيا بوسائل الدنيا ؟؟!!

هذه هي النتيجة التي يصل إليها طه حسين في ختام الجزء الأول، ويا لها من نتيجة مثبطة!!" (الفكر الإسلامي، للتوبة، ص١٢٢-١٢٣).

- أما الجزء الثاني من الكتاب (علي وبنوه)، فإنه أيضاً لم يخلُ من دسّ، معلناً فيه (انهزام)! الخلافة على يد علي - ﷺ - وموهماً القارئ أن الإسلام قد انسحب نهائياً من الحياة بهزيمة علي - ﷺ -!! وأن المال قد استولى على النفوس!

الخلاصة كما يقول الأستاذ غازي التوبة: أن طه حسين "كتب (الفتنة الكبرى) مشككاً في حكم الخلافة الإسلامية الأول، وفي إمكانية استمراره، ناعياً على الإسلام افتقاره للنظام المكتوب، معلناً انبثاق مذهب جديد في السلطان يقوم على الجبر والقهر، مبيناً رضوخ المسلمين وارتضاءهم للمذهب الجديد، زاعماً انسحاب الإسلام من مختلف قطاعات الحياة وسيطرة المال والأثرة !!

كتب كل هذا: قاصداً أن يقنع المسلمين بأن الحكومة الإسلامية لا وجود لها بعد وفاة الرسول - عليه الصلاة والسلام -، وإن طبقت فلأمد محدود لا يتجاوز حياة عمر، ويعود نجاح التطبيق إلى إمكانات عمر الفردية فقط !!

كتب كل هذا: هادفاً أن يُلطخ صورة الخلافة الوضاءة كي يصرف أنظار المسلمين عنها، وأن يثني عزائمهم عن السعي إليها بتهويل الصعوبات، فالأمر يحتاج إلى أولي عزم. وأين أولو العزم من الناس ؟ !

ما هي الأسباب التي دفعته إلى الكتابة عن الإسلام؟

يكمن السبب في الوضع الداخلي لمصر، فقد بلغ المد الإسلامي

فيها ذُروته العظمى في نهاية الأربعينيات وأوائل الخمسينيات باغياً إعادة تطبيق الإسلام في مجال الحكم، وإرجاع الخلافة الإسلامية إلى الوجود. وقد كتب طه ـ في اللحظة نفسها أواخر الأربعينات وأوائل الخمسينيات ـ كي يُشكك هذا المد بعدم جدوى محاولته بالاستناد إلى تاريخ المسلمين نفسه" (الفكر الإسلامي، ص ١٢٥-١٢٦).

٧- أما كتاب (حديث الأربعاء) فقد حاول طه فيه أن يصور للقارئ أن العصر العباسي كان عصر شك ومجون ودعارة وإباحية !! معتمداً في ذلك على قصص أبي نواس وحماد عجرد والوليد بن يزيد ومطيع بن إياس والحسين بن الضحاك ووالبة بن الحباب وإبان بن مروان بن أبي حفصة وغيرهم من المجّان!

وقد نقد هذا الكتاب (الماجن) كلٌ من:

١- الأديب إبراهيم المازني. (انظر: طه حسين في ميزان العلماء، ص ٢٤٦).

٢- والأستاذ رفيق العظم. (انظر: المرجع السابق، ص ٢٤٥).

- أخيراً قام الأستاذ أنور الجندي بجمع أهم الانحرافات على هذا الرجل، ولخصها على شكل نقاط، فقال: "أهم الأخطار التي يروج لها فكر طه حسين والتي يجب الحيطة في النظر إليها هي:

أولاً: قوله بالتناقض بين نصوص الكتب الدينية وبما وصل إليه العلم، وقوله: (إن الدين لم ينزل من السماء وإنما خرج من الأرض كما خرجت الجماعة نفسها) وهذه نظرية شاعت حيناً في الفكر الغربي تحت تأثير المدرسة الفرنسية التي يرأسها اليهودي (دوركايم).

ثانياً: إثارة الشبهات حول ما سماه القرآن المكي والقرآن المدني، وهي نظرية أعلنها اليهودي (جولد زيهر) وثبت فسادها.

ثالثاً: تأييده القائلين بتحريق العرب الفاتحين لمكتبة الإسكندرية وهي نظرية رددها المستشرق (جريفبني) في مؤتمر المستشرقين عام ١٩٢٤.

رابعاً: عَمِلَ على إعادة طبع (رسائل إخوان الصفا) وتقديمها بمقدمة ضخمة في محاولة لإحياء الفكر الباطني المجوسي الذي كان يحمل المؤامرة على الإسلام والدولة الإسلامية.

خامساً: إحياؤه شعر المجون والغزل بالمذكر وكل شعر خارج عن الأخلاق سواء كان جنسياً أو هجاء، وقد أولى اهتمامه بأبي نواس، وبشار والضحاك في دراسات واسعة عرض فيها آراءهم وحلل حياتهم.

سادساً: ترجمة القصص الفرنسي المكشوف، وترجمة شعر بودلير وغيره من الأدب الأجنبي الإباحي الخليع.

سابعاً: إثارة شبهة خطيرة عن أن القرن الثاني الهجري كان عصر شك ومجون.

ثامناً: قدم فكرة فصل الأدب العربي عن الفكر الإسلامي كمقدمة لدفعه إلى ساحة الإباحيات والشك وغيرها وذلك باسم تحريره من التأثير الديني.

تاسعاً: إعلاء الفرعونية وإنكار الروابط العربية والإسلامية ومن ذلك قوله: إن الفرعونية متأصلة في نفوس المصريين ولو وقف الدين الإسلامي حاجزاً بيننا وبين فرعونيتنا لنبذناه.

العاشر: إشاعة دعوة البحر الأبيض لحساب بعض القوى الأجنبية والقول: بأن المصريين غربيوا العقل والثقافة، وأن الفكر الإسلامي قام على آثار الفكر اليوناني القديم ولذلك فلا مانع من تبعيته في العصر

الحديث للفكر الغربي.

الحادي عشر: الادعاء بأن الشاعر أبا الطيب المتنبي (لقيط) وهي دعوى باطلة أقام عليها كتابه (مع المتنبي) متابعاً رأي الاستشراق وهادماً لبطولة شاعر عربي نابه[١].

الثاني عشر: اتهامه الخطير لابن خلدون بالسذاجة والقصور وفساد المنهج وهو ما نقله عن أستاذه اليهودي (دوركايم).

الثالث عشر: إعادة خلط الإسرائيليات والأساطير إلى السيرة النبوية بعد أن نقاها المفكرون المسلمون منها والتزيد في هذه الإسرائيليات والتوسع فيها وذلك في كتابه (على هامش السيرة) وقد كشف هذا الاتجاه الدكتور محمد حسين هيكل ووصفه مصطفى صادق الرافعي بأنه (تهكم صريح).

الرابع عشر: حملته على الصحابة والرعيل الأول من الصفوة المسلمة وتشبيههم بالسياسيين المحترفين في كتابه (الفتنة الكبرى).

الخامس عشر: إثارة الشبهات حول (أصالة) الأدب العربي والفكر الإسلامي بما زعمه من أثر اليهود والوثنية والنصرانية في الشعر العربي.

السادس عشر: إنكار وجود سيدنا إبراهيم وسيدنا إسماعيل - عليهما السلام - وإنكار رحلتهما إلى الجزيرة العربية وإعادة بناء الكعبة على نفس النحو الذي أورده العهد القديم وكتابات الصهيونية.

---

(١) المتنبي لا تخلو أشعاره من المؤاخذات، انظرها إن شئت في رسالة (نظرات شرعية في ديوان المتنبي) لكاتب هذا البحث.

السابع عشر: دعوته إعلاء شأن الأدب اليوناني على الأدب العربي والقول: بأن لليونان فضلاً على العربية والفكر الإسلامي.

الثامن عشر: دعوته إلى الأخذ بالحضارة الغربية (حلوها ومرها وما يحمد منها وما يعاب) في كتابه (مستقبل الثقافة).

التاسع عشر: وصف الفتح الإسلامي لمصر بأنه (استعمار عربي) وعبارته هي: (خضع المصريون لضروب من البغي والعدوان جاءتهم من الفرس والرومان والعرب).

العشرون: إنكار شخصية عبد الله بن سبأ اليهودية وتبرئته مما أورده الطبري ومؤرخو المسلمين من دور ضخم في فتنة مقتل عثمان في كتابه (الفتنة الكبرى)) انتهى من كتاب: (إعادة النظر في كتابات العصريين في ضوء الإسلام، ص ١٤٩-١٥١).

- لمن أراد الزيادة في معرفة انحرافات طه حسين، والرد عليها، فعليه بهذين الكتابين الجامعين:

١- طه حسين: حياته وفكره في ميزان الإسلام، للأستاذ أنور الجندي.

٢- طه حسين في ميزان العلماء والأدباء، للأستاذ محمود مهدي الإستانبولي .

والله أعلم، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

نظرة شرعية
في أدب
إحسان عبد القدوس

نظرة شرعية في أدب (إحسان عبد القدوس)

ترجمته[١]:

- الأديب المعروف، صاحب القصص المشهورة، ولد ليلة أول يناير سنة ١٩٢٠م.

"نشأ في بيت جده لوالده الشيخ رضوان وكان من خريجي الجامع الأزهر ويعمل رئيس كتاب بالمحاكم الشرعية وهو بحكم ثقافته وتعليمه متدين جداً وكان يفرض على جميع العائلة الالتزام والتمسك بأوامر الدين وأداء فروضه والمحافظة على التقاليد، بحيث كان يُحرّم على جميع النساء في عائلته الخروج إلى الشرفة بدون حجاب..[٢]".

"وفي الوقت نفسه كانت والدته الفنانة والصحفية السيدة روز اليوسف سيدة متحررة تفتح بيتها لعقد ندوات ثقافية وسياسية يشترك فيها كبار الشعراء والأدباء والسياسيين ورجال الفن[٣]".

"وكان ينتقل وهو طفل من ندوة جده حيث يلتقي بزملائه من علماء الأزهر ويأخذ الدروس الدينية التي ارتضاها له جده وقبل أن يهضمها. يجد نفسه في أحضان ندوة أخرى على النقيض تماماً لما كان عليه.. إنها ندوة روز اليوسف"[٤].

ويتحدث إحسان عن تأثير هذين الجانبين المتناقضين عليه فيقول:

---

(١) أعلام الأدب العربي المعاصر، لروبرت كامبل (٨٨٨-٨٩٢)، وكتاب الأديبة سهيلة زين العابدين (إحسان عبد القدوس بين العلمانية والفرويدية).

(٢) إحسان عبد القدوس يتذكر د. أميرة أبو الفتوح ص ١١.

(٣) المصدر السابق .

(٤) المصدر السابق .

"كان الانتقال بين هذين المكانين المتناقضين يصيبني في البداية بما يشبه الدوار الذهني حتى اعتدت عليه بالتدريج واستطعت أن أعد نفسي لتقبله كأمر واقع في حياتي لا مفر منه"[١].

ووالده إحسان "روزاليوسف" اسمها الحقيقي فاطمة اليوسف وهي لبنانية الأصل، نشأت يتيمة إذ فقدت والديها منذ بداية حياتها واحتضنتها أسرة (نصرانية!!) صديقة لوالدها والتي قررت الهجرة إلى أمريكا وعند رسو الباخرة بالإسكندرية طلب اسكندر فرح صاحب فرقة مسرحية من الأسرة المهاجرة التنازل عن البنت اليتيمة فاطمة ليتولاها ويربيها فوافقت الأسرة. وبدأت حياتها في الفن!

وتعرفت فاطمة اليوسف على المهندس محمد عبد القدوس المهندس بالطرق والكباري في حفل أقامه النادي الأهلي وكان عبد القدوس عضواً بالنادي ومن هواة الفن فصعد على المسرح وقدم فاصلاً من المونولوجات المرحة، فأعجبت به فاطمة وتزوجته، فثار والده وتبرأ منه وطرده من بيته لزواجه من ممثلة، فترك الابن وظيفته الحكومية وتفرغ للفن ممثلاً ومؤلفاً مسرحياً[٢]".

درس إحسان في مدرسة خليل آغا بالقاهرة ١٩٢٧ـ ١٩٣١م، ثم في مدرسة فؤاد الأول بالقاهرة ١٩٣٢م -١٩٣٧م، ثم التحق بكلية الحقوق بجامعة القاهرة.

وتخرج إحسان من كلية الحقوق عام ١٩٤٢م وفشل أن يكون محامياً ويتحدث عن فشله هذا فيقول: "كنت محامياً فاشلاً لا أجيد

(١) المصدر السابق .
(٢) المصدر السابق .

المناقشة والحوار وكنت أداري فشلي في المحكمة إما بالصراخ والمشاجرة مع القضاة، وإما بالمزاح والنكت وهو أمر أفقدني تعاطف القضاة، بحيث ودعت أحلامي في أن أكون محامياً لامعاً[١].

إنتاجه الأدبي: لقد كتب أكثر من ستمائة قصة وقدمت السينما عدداً كبيراً من قصصه، ويتحدث إحسان عن نفسه ككاتب عن الجنس فيقول: "لست الكاتب المصري الوحيد الذي كتب عن الجنس فهناك المازني في قصة "ثلاثة رجال وامرأة" وتوفيق الحكيم في قصة "الرباط المقدس" و....و.... وكلاهما كتب عن الجنس أوضح مما كتبت ولكن ثورة الناس عليهما جعلتهما يتراجعان، ولكنني لم أضعف مثلهما عندما هوجمت فقد تحملت سخط الناس عليّ لإيماني بمسؤوليتي ككاتب!! ونجيب محفوظ أيضاً يعالج الجنس بصراحة عني ولكن معظم مواضيع قصصه تدور في مجتمع غير قارئ أي المجتمع الشعبي القديم أو الحديث الذي لا يقرأ أو لا يكتب أو هي مواضيع تاريخية، لذلك فالقارئ يحس كأنه يتفرج على ناس من عالم آخر غير عالمه ولا يحس أن القصة تمسه أو تعالج الواقع الذي يعيش فيه، لذلك لا ينتقد ولا يثور.. أما أنا فقد كنت واضحاً وصريحاً وجريئاً فكتبت عن الجنس حين أحسست أن عندي ما أكتبه عنه سواء عند الطبقة المتوسطة أو الطبقات الشعبية ـ دون أن أسعى لمجاملة طبقة على حساب طبقة أخرى".

- تولى إحسان رئاسة تحرير مجلة روز اليوسف، وهي المجلة التي أسستها أمه وقد سلمته رئاسة تحريرها بعد ما نضج في حياته، وكانت

(١) المصدر السابق ص ٢٠.

لإحسان مقالات سياسية تعرض للسجن والمعتقلات بسببها، ومن أهم القضايا التي طرحها قضية الأسلحة الفاسدة التي نبهت الرأي العام إلى خطورة الوضع، وقد تعرض إحسان للاغتيال عدة مرات، كما سجن بعد الثورة مرتان في السجن الحربي وأصدرت مراكز القوى قراراً بإعدامه.

- بالرغم من موقفه تجاه اتفاقية كامب ديفيد إلا أنه في قصصه كان متعاطفاً مع اليهود كما في قصص: "كانت صعبة ومغرورة" و"لا تتركوني هنا وحدي".

- توفي في ١١/ ١/ ١٩٩٠م.

مؤلفاته:

(أ) قصص:

١- صانع الحب، دار روز اليوسف، ١٩٤٨.
٢- بائع الحب، دار روز اليوسف، ١٩٤٩.
٣- النظارة السوداء ، دار روز اليوسف، ١٩٥٢.
٤- أنا حرة، دار روز اليوسف، ١٩٥٤. قصة طويلة.
٥- أين عمري، دار روز اليوسف، ١٩٥٤.
٦- الوسادة الخالية، دار روز اليوسف، ١٩٥٥.
٧- الطريق المسدود، دار روز اليوسف، ١٩٥٥. قصة طويلة.
٨- لا أنام، دار روز اليوسف، ١٩٥٧. قصة طويلة.
٩- في بيتنا رجل، دار روز اليوسف، ١٩٥٧. قصة طويلة.
١٠- شيء في صدري، دار روز اليوسف، ١٩٥٨. قصة طويلة.
١١- عقلي وقلبي، دار روز اليوسف، ١٩٥٩.

١٢- منتهى الحب، دار روز اليوسف، ١٩٥٩.

١٣- البنات والصيف، دار روز اليوسف، ١٩٥٩.

١٤- لا تطفئ الشمس، الشركة القومية للتوزيع، ١٩٦٠. قصة طويلة.

١٥- زوجة أحمد، دار روز اليوسف، ١٩٦١. قصة طويلة.

١٦- شفتاه، الشركة العربية، ١٩٦١.

١٧- ثقوب في الثوب الأسود، كتبة مصر، ١٩٦٢. قصة طويلة.

١٨- بئر الحرمان، الشركة العربية، ١٩٦٢.

١٩- لا ليس جسدك، الشركة العربية، ١٩٦٢.

٢٠- لا شيء يهم، الشركة العربية، ١٩٦٣. قصة طويلة.

٢١- أنف وثلاث عيون، جزءان، الشركة العربية، ١٩٦٤. قصة طويلة.

٢٢- بنت السلطان، مكتبة مصر، ١٩٦٥.

٢٣- سيدة في خدمتك، دار المعارف، ١٩٦٧.

٢٤- علبة من الصفيح الصدئ، دار المعارف، ١٩٦٧.

٢٥- النساء لهن أسنان بيضاء، أخبار اليوم، ١٩٦٩.

٢٦- دمي ودموعي وابتسامتي، دار الرائد العربي، ١٩٧٢.

٢٧- لا أستطيع أن أفكر وأنا أرقص، دار الشروق، ١٩٧٣.

٢٨- الهزيمة كان اسمها فاطمة، دار المعارف، ١٩٧٥.

٢٩- الرصاصة لا تزال في جيبي، دار الشروق، ١٩٧٧.

٣٠- العذراء والشعر الأبيض، دار المعارف، ١٩٧٧.

٣١- خيوط في مسرح العرائس، أرجوك خذني في هذا البرميل

وعاشت بين أصابعه، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٧.

٣٢- حتى لا يطير الدخان، أقدام حافية فوق البحر، الهيئة المصرية...، ١٩٧٧. مجموعة قصص.

٣٣- ونسيت أني امرأة، دار المعارف، ١٩٧٧. قصة طويلة.

٣٤- الراقصة والسياسي وقصص أخرى، الهيئة المصرية...، ١٩٧٨.

٣٥- لا تتركوني هنا وحدي، روز اليوسف، ١٩٧٩. قصة طويلة.

٣٦- آسف لم أعد أستطيع، مكتبة مصر، ١٩٨٠.

٣٧- يا ابنتي لا تحيريني معك، روز اليوسف، ١٩٨١.

٣٨- زوجات ضائعات، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨١. قصص طويلة.

٣٩- الحب في رحاب الله، مكتبة مصر، ١٩٨٦. قصص.

(ب) روايات:

١- لن أعيش في جلباب أبي، مكتبة غريب، ١٩٨٢.

٢- يا عزيزي كلنا لصوص، مكتبة غريب، ١٩٨٢.

٣- وغابت الشمس ولم يظهر القمر، مكتبة غريب، ١٩٨٣.

٤- رائحة الورد وأنف لا تشم، مكتبة غريب، ١٩٨٤.

٥- ومضت أيام اللؤلؤ، مكتبة غريب، ١٩٨٤.

٦- لون الآخر، مكتبة غريب، ١٩٨٤.

٧- الحياة فوق الضباب، مكتبة مصر، ١٩٨٤.

(ج) مقالات :

١- على مقهى في الشارع السياسي، دار المعارف، ١٩٧٩ـ ١٩٨٠.

٢- خواطر سياسية، عبد المنعم منتصر، ١٩٧٩.

٣- أيام شبابي، المكتب المصري الحديث، ١٩٨٠. خواطر

٤- بعيداً عن الأرض، القاهرة، الهيئة المصرية....، ١٩٨٠. من الأدب السينمائي.

عن المؤلف :

١- هدّارة، محمد مصطفى: "إحسان عبد القدوس وأزمة القصة"، مجلة دوحاً، تموز ١٩٧٨، ص ٣٦ـ ٤٢.

٢- أبو الفتوح، أميرة: إحسان عبد القدوس، يتذكر، الهيئة المصرية...، ١٩٨٢.

٣- الشراع، ٢٢/ ١/ ١٩٩٠، ص ٥٤ـ ٥٦، نعيات وتقدير وقائمة بأعماله.

لمحة عنه:

- يعد إحسان عبد القدوس أديب (الجنس) الأول في العالم العربي، فلا تكاد تجد قصة من قصصه لا تحتوي على أمور جنسية، وعلاقات غير شرعية بين أبطال قصصه.

يقول الأستاذ فتحي سلامة: "لقد أطلق على إحسان عبد القدوس روائي الجنس، ظل يكتب بطريقته الخاصة متحدياً التيار الأخلاقي (بل الإسلامي!) الذي طالب بتحريم كتب إحسان عبد القدوس"(١).

ويقول الأستاذ أنور الجندي:

"لقد استطاع إحسان عبد القدوس أن يغلف أفكاره ودعاواه وإباحيته بأن يديرها في إطار قصة سياسية أو وطنية ليخدع بها

---

(١) إعادة النظر في كتابات العصريين في ضوء الإسلام، لأنور الجندي (ص ٢٢٠).

الشباب"[١]

- التناقض الذي عاشه إحسان في طفولته بين بيئتين متعارضتين : بيئة (جده أبو والده) وبيئة (أمة الفنانة !) أثر في فكرة السياسي والأدبي، ونلمح هذا كثيراً في قصته (فوق الحلال والحرام) إذ جمع بين النقيضين في آن واحد!.

- وفيما يلي نعرض لأبرز محتويات قصصه ملخصين لها من الدراسة القيمة التي كتبتها الأديبة المسلمة (سهيلة زين العابدين) في تعقب أدب إحسان عبد القدوس بعنوان (إحسان عبد القدوس بين العلمانية والفرويدية)[٢] .

قصة (منتهى الحب) والدعوة إلى وحدة الأديان!

ملخص القصة أن فتاةً كانت تعيش في قرية وتحب الخير للناس (جميعاً)، لما ماتت ذهبوا بها إلى الجنة! ولكنها في الجنة سمعت أنين وعذاب أهل النار، فرفضت أن تعيش في الجنة حتى يلغي الله النار !! ويُدخل جميع الناس الجنة! وقد أثرت في كثير من أهل الجنة أن يؤيدوها على هذا، حتى (صدر قرار إلهي بإلغاء الجحيم) !!

ففي هذه القصة دعوة إلى (وحدة الأديان) وأنه لا فرق بين مسلم وكافر، فالجميع يستحقون الجنة ـ كما يزعم إحسان! ـ.

كما أن فيها اعتراضاً على أفعال الله تعالى، واستدراكاً عليها، واتهاماً له تعالى بالظلم لتعذيبه الكفار .

إضافة إلى سوء أدبه مع الله ـ ﷻ ـ وملائكته، حيث تخاطب معهم

---

(١) المرجع السابق (ص ٢٢١).

(٢) ومن أراد توثيق النصوص فعليه برسالة الأستاذة سهيلة ـ أثابها الله ـ.

وامتهن ذكرهم.

دفاعه عن اليهود! واعتراضه على الشريعة

- في قصة (كانت صعبة ومغرورة) يتعاطف إحسان مع اليهود، متناسياً كل مكايدهم وعدائهم التاريخي للإسلام وأهله؛ وذلك بتزويجه المسلمة (ناهد) من اليهودي (شريف الهنداوي) بعد أعلن إسلامه نفاقاً ليتمكن من الزواج منها.

ومن خلال كلمات شريف عن اليهود تجد الدفاع الحار عنهم الذي يصوغه إحسان على لسانه .

- ويقول إحسان في مقدمة قصته الثانية (لا تتركوني هنا وحدي): "ليست هذه أول قصة أكتبها وأنشرها عن المجتمع اليهودي المصري.. ربما كانت ثالث أو رابع قصة، فقد عشت هذا المجتمع منذ كنت أعيش صباي وشبابي في حي العباسية الملاصق لحي الظاهر الذي كان يضم أغلبية من السكان اليهود.. وكان لي من بينهم أصدقاء وصديقات كثيرون" .

- وملخص هذه القصة (لا تتركوني هنا وحدي) هو زواج (لوس) اليهودية من المسلم (شوكت بك)، وعندما أخبرت شوكت بأنها ستسلم، قال لها: "لماذا؟ إننا نستطيع أن نتزوج دون أن تغيري دينك.. إنها أنانية الإسلام.. البنت المسلمة لا تستطيع أن تتزوج غير المسلم، ولكن الرجل المسلم يستطيع أن يتزوج من كل الأديان" !!

وفي هذا اعتراض على حكم الإسلام !

قصة (فوق الحلال والحرام) والدعوة إلى تحرير المرأة !

قصة (فوق الحلال والحرام) تدور حول الإسلام والعلمانية، وفيها

يجمع إحسان بين عبد الرحمن (شاب متدين) وهاني (شاب علماني) ويدور بينهما الحوار.

ومن خلال هذا الحوار حاول إحسان أن يمرر ما يعتقده من أفكار تحريرية؛ كمهاجمته للحجاب، ودعوته للرقص والاختلاط، وتحليله للموسيقى، وغير ذلك. وإليك شيئاً من أقواله فيها:

- (إن أي شيء مخبأ أو مغطى هو أكثر إثارة للإغراء من أي شيء مكشوف..)

- (إني لم أحس بأني أدفع إلى الحرام، وأنا أستمع إلى الموسيقى الأجنبية، أو حتى وأنا أراقص هاني..)

- (المايوه ليس خطيئة ما دام لا يتعارض مع التصرفات الفاضلة، والنفوس الفاضلة)

- في قصة (خطاب إلى ابنتي) يقول إحسان:

- (قد كانت البنات قبل أن تولدي وأولد أنا يعشن وراء المشربيات، ولكن هذه المشربيات لم تحمهن من الخطيئة)

فهو يوحي للقارئ بأن الحشمة والحجاب لا تحمي من الخطيئة، فالحل ـ في نظره ـ في ترك ذلك ما دام لا نفع منه !! متناسياً أن الحجاب أمرٌ إلهي لا دخل للأهواء وحسابات الإنسان به.

الخمر في قصصه!

لا تكاد تخلو قصة لإحسان عبد القدوس من كؤوس الخمر، ووجود البار في كل منزل، وكأن جميع المصريين على اختلاف مستوياتهم وثقافاتهم وحِرَفهم يشربون الخمر.

وأما الحشيش ـ وهو أخبث من الخمر ـ فيقول عنه:

(ليس هناك نص في الإسلام يحرم الحشيش)!.

سوء أدبه مع الله:

يقول في قصة (البنات والصيف) عن رقية: (عندما أصبحت في الثامنة من عمرها علموها الصلاة، وضعوا في رأسها صورة مخيفة لإله المسلمين ! .. كانت تتصور الله شيئاً هائلاً ضخماً، يمسك في يده (مرزبة) وينظر إليها مقطب الحاجبين، غاضب العينين، وهو متربص بها، حتى إذا أخطأت خطأ صغيراً.. أقل هفوة .. زجر الله وحملها بالمرزبة وألقى بها في النار.. كانت تخاف هذا الإله).

وفي هذا سوء أدب مع الله ـ ﷻ ـ، ومقدار قدره في نفس إحسان. وصدق الله: ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ﴾ فإحسان عامله الله بما يستحق يحاول تشويه وتحطيم هيبة الله من نفوس المؤمنين.

الشخصيات المتدينة في قصص !

الشخصيات (المتدينة) في قصص إحسان ضعيفة مهزوزة، بل بعضها حائر بين الحلال والحرام؛ لأنه لا يعرف الحلال من الحرام، كما في قصة (حائر بين الحلال والحرام)، وبعضها ضعيف الشخصية لا يستطيع أن يقاوم الفاحشة، كما في قصة (البنات والصيف)، ومنهم من يرتكب الفاحشة ـ فعلاً ـ كما في قصة (وسقط قبل أن يصل إلى الجنة).

بل وصل به الحال أن يجعل (إمام المسجد) وسيطاً لتطليق امرأة من زوجها وتزويجها لحبيبها !! كما في قصة (الحب في رحاب الله) ! الذي صوَّر فيها الرجال والنساء يصلون جنباً إلى جنب في المسجد!

ثم زيادة في امتهان المسجد جعله مكاناً لالتقاء الحبيب بحبيبته! أو

كما يقول: (لقد جمعه الحب داخل جامع، والجوامع لا ينطق فيها إلا حب الله)!

إحسان والغريزة الجنسية:

تقول الباحثة سهيلة زين العابدين: (من خلال دراسة قصص الأستاذ إحسان عبد القدوس نجد ونلمس بوضوح مدى تركيز الأستاذ إحسان على الغريزة الجنسية لدرجة أنه جعل سلوك شخوص قصصه نساء أو رجالاً، فتياناً وفتيات يدور في تلك الغريزة الجنسية: لا أسرة، لا زواج، ولا احترام لرباط الزوجية، ولا أمومة، ولا أبوة، ولا بنوة ، ولا أخوة، ولا عمل، وسعي على طلب الرزق، ولا دين ولا عبادة، ولا صوم ولا صلاة، ولا قيم، ولا أخلاق، ولا مبادئ!، شيوعية إباحية حرية مطلقة، تحلل وانحلال، هذا ما نجده في قصص الأستاذ إحسان عبد القدوس، فالغريزة الجنسية هي كل ما في حياة الإنسان والمجتمعات ولا فرق بين مجتمع ومجتمع، وامرأة مسلمة محجبة تعيش في كنف الحجاب وامرأة أوربية متحللة مومس، كل النساء سواء، وكل المجتمعات سواء، بل إن المجتمعات التي تسير على نهج الله وتوجب الحجاب وتحرم الخمر وتمنع الاختلاط هي في نظره من أكثر المجتمعات تحللاً وفساداً)

قلت: ولا يخفى تأثر إحسان بفرويد اليهودي الذي يحيل جميع العلاقات البشرية إلى الغريزة الجنسية !

الرجل في قصصه:

- (لقد جرد الأستاذ إحسان عبد القدوس الرجل من كل شيء إلا من غريزته الجنسية، بل جعلها هي محور حياته ودوافع سلوكه)

- (الرجل في قصص الأستاذ إحسان عبد القدوس وحش كاسر يفترس النساء والفتيات والصغيرات والأرامل والمطلقات والحوامل والعذارى).

الرجل في قصص الأستاذ إحسان لا يقدس الحياة الزوجية، ولا يحترمها، فالخيانة تجري في عروقه مجرى الدم، ولا يوجد رجل في قصص الأستاذ إحسان إلا وله وكر يمارس فيه شهواته ونزواته).

المرأة في قصصه:

(المرأة في نظر الأستاذ إحسان عبد القدوس عبدة لغريزتها الجنسية التي تسيرها وفق ما تشاء لا كابح يكبحها ولا ضابط يضبطها تسلم نفسها لكل الرجال وتجمع بين أكثر من رجل في آن واحد، عرى جسدها وجعله حقاً مباحاً لكل الرجال، لا قيمة البتة ـ في نظره ـ لعذريتها وشرفها، لقد جردها من زوجيتها وأمومتها وبنوتها وأخوتها كما جردها من شرفها وملابسها، دعاها إلى الحرية الوجودية المطلقة، وجعلها تتحرر من كل القيم والتعاليم الإسلامية بل سد أمامها كل أبواب الفضائل، وفتح لها كل أبواب الخطايا والرذائل، وجعل المجتمع مسؤولاً عن خطاياها، دعاها إلى التمرد على كل القيم والفضائل باسم الحرية والمساواة ومتعة الحياة ولذتها.

حلل المحرمات: الخمر والمخدرات والسفور والتبرج والاختلاط ومراقصة المرأة للرجل وتعريها أمامه وحلل القبلات والخلوات "خلوة المرأة بالرجل" ودعا إلى زواج المتعة وهاجم وعارض بشدة تعاليم الإسلام التي تدعو المرأة إلى الفضيلة والاحتشام وهاجم المجتمعات التي

تلتزم بحجاب المرأة وتمنع الاختلاط.

والنساء كلهن في نظره سواء لا فرق بين متدينة متحجبة وبين سافرة متبرجة، أستاذة جامعية وخادمة، وامرأة مومس ساقطة، راقصة أو معلمة، فتاة عذراء أو زوجة، أرملة أو مطلقة، أماً أو ابنة، بل نجده أساء كثيراً إلى الأرامل والمطلقات واتهمهن أنهم أكثر النساء يرتكبن الفواحش.

فالنساء عنده جميعاً يسيطر عليهن "حيوان الجنس" بل المتحجبات المتدينات ـ في قصصه ـ أكثر نهماً ويسلمن أنفسهن لأي كان لأنهن ـ كما يدعي - يعانين من الكبت والحرمان).

نظرته إلى المجتمعات المحافظة:

يقول: "هناك مجتمعات عربية لا تزال تحرم الاختلاط بين الجنسين، فلا يستطيع الزوج ـ مثلا ـ أن يصحب زوجته إلى زيارة عائلة صديق، ولا يستطيع أن يظهر بها أمام الناس في منتدى أو ملهى عام، أو يراقصها إذا كان من هواة الرقص، .. هذا الزوج وهذه الزوجة ينتظران في كبت، وضيق، وزهق إلى أن يسافرا إلى بلد آخر، حتى لو كان بلداً عربياً، وينطلقان.. الزوج يقدم زوجته إلى أصدقائه سواء كانوا من بلده، أو من البلد الآخر، ويطوف بها النوادي والملاهي ويراقصها ويعيشان كل حياة المجتمع الذي سافرا إليه إلى أن يعود إلى بلدهما.. وهناك يعودان إلى كل ما يفرضه المجتمع المحلي عليهما.. لا يصبح لأصدقائه من نفس بلده والذين كانوا في الخارج معه الحق في أن يروا زوجته، ولا هو يرى زوجاتهم.. ولا يصبح من حقه أن يخرج معها في الشوارع كما كان يخرج معها في شوارع القاهرة، أو يراقصها كما كان يراقصها في فندق

سميراميس.."

- وفي قصة (خلف العباءة) يتحدث إحسان عن الفتيات في المجتمعات الملتزمة بالحجاب، التي لا يسودها الاختلاط، فيصور بيوتهن بالسجون ويصف حياتهن بالملل والضجر؛ لأنهن يخرجن سافرات، ولا يختلطن بالرجال؛ لذا فإنهن يتحايلن للوصل إلى الخطيئة.

دعوته إلى الزنا، وسخريته من عقد الزواج:

- في قصة (أنا حرة) يُبطل إحسان الزواج، ويشرع العلاقة غير الشرعية (الزنا)، بل يجعل المجتمع يقرها ويعترف بها، حيث تعاشر (أمينة) (عباس) بلا زواج ثمان سنوات !

- أما في قصة (أيام في الحلال) فعدلية ترفض أن تعيش مع مجدي بالحلال! وتطلب الطلاق لتعيش معه بالحرام كما كانت ! لأنها لا تريد أن تكون زوجة ثانية، بل تكون عشيقة !

- وفي قصة (خواطر فتاة متحررة) يسفه إحسان على لسان بطلة القصة الزواج الشرعي ويتهمه بأنه مجرد (بنت تتوظف عند رجل .. تشرف له على بيته ... الخ)

- تقول الأستاذة سهيلة: (إن دعوة الأستاذ إحسان المرأة للتمرد على الزواج واعتباره عبودية، مهّد لها الاستهانة بالشرف والفضيلة).

- وتقول (ما دام الأستاذ إحسان قد دعا إلى إبطال الزواج والإباحية الجنسية باسم التحرر والمدنية والتطور، فالأسرة في قصصه لا وجود لها).

نظرته للدين:

- (معظم أبطال وبطلات قصصه لا قيمة للدين لديهم، ولا يوجد

شيء يشدهم إليه).

- (وبعد، فهذه نتائج بحث ودراسة أكثر من خمسين قصة للأستاذ إحسان عبد القدوس، وهي بلا شك تعكس مدى تأثر الأستاذ إحسان بالفكر الغربي وسيطرته عليه، حتى أضحى يردد نظريات وفلسفات تبتعد كل البعد عن الإسلام).

نظرة شرعية
في فكر
عبد الرحمن الشرقاوي



نظرة شرعية في فكر (عبد الرحمن الشرقاوي)

قال الأستاذ محمد خير رمضان يوسف في كتابه (تتمة الأعلام للزركلي) (١/ ٢٧٧-٢٧٩) معرفاً بالشرقاوي: "شاعر، روائي، كاتب مسرحي، مفكر.

ولد في قرية الدلاتون في دلتا مصر عام ١٣٣٩هـ وأتم دراسته للحقوق في جامعة فؤاد الأول. وتولى بعد قيام ثورة يوليو عدداً من المناصب والمراكز القيادية في مجالات الثقافة والنشر.

وتعتبر روايته "الأرض" التي صدرت عام ١٣٧٤هـ من أشهر الروايات العربية التي صورت شقاء الفلاح المصري وحبه للأرض وقد ترجمت إلى لغات كثيرة.

وهو كشاعر وكاتب مسرحي عالج في قصائده ومسرحياته الشعرية قضايا سياسية واجتماعية معاصرة، ولو أن بعضها اتخذ الشكل التاريخي، وكذلك مسرحياته المستمدة من التراث الإسلامي.

وهو وإن كان تخصصه في القانون فإنه كان عاشقاً للأدب، ويبدو أنه لقي مقاومة من أسرته لاتجاهه هذا الاتجاه[1]".

قلت: أذكر أن رواياته والسير التي كان يكتبها عن الأئمة كانت تثير ضجة وعدم رضي بين علماء المسلمين، لانحيازه إلى الأفكار اليسارية (الاشتراكية).

ويقول رجاء النقاش في حديث عنه: "الشرقاوي كان صاحب فكر يساري، يدعو إلى التغيير ويؤمن به. وكان في الوقت نفسه من أصحاب

---

(١) عالم الكتب مج ٩ ع ٢ (شوال ١٤٠٨هـ).

الأسلوب الواقعي في معالجة المشكلات الدقيقة، ولذلك قرر أن يخوض محاولة، أو مغامرة كبرى للتوفيق بين الفكر اليساري والسلطة...

كان من أعلام المدرسة الأولى في تاريخنا الثقافي والفكري، وهي المدرسة التي تعمل وتحرص على "التفاهم مع السلطة" وخلق الجذور معها، حتى لا يتعرض فكره للقمع المستمر الذي يؤدي به في النهاية إلى عدم القدرة على الإنتاج والإنجاز.

على أنه لم يستطع أن ينجو بنفسه من كل العواصف، رغم جهوده الكبيرة التي بذلها للتوفيق بين الفكر اليساري والسلطة.

فهو لم يصطدم فقط بمشكلة "السلطة" التي حلها بطريقته، وهي التحالف والمهادنة، فقد اصطدم أيضاً بمشكلة أخرى خطيرة، هي مشكلة التوفيق بين الفكر اليساري والتراث العربي والإسلامي، وقد جاءته هذه الفكرة منذ وقت مبكر في أواخر الخمسينات، ولا شك في أنه كان يدرك أهمية هذه الفكرة بعمق موهبته وخصوبة شاعريته التي كانت تمتد بجذورها إلى الشعر العربي القديم، بما فيه من خطابة وقوة موسيقية باهرة وقدرة على الوصف والاستطراد..

كان يدرك بهذه المواهب كلها أن الفكر اليساري إذا انعزل عن التراث فسوف يبقى فكراً جافاً غريباً ضعيف التأثير، ولم يكن الشرقاوي يطيق لفنه وفكره أن يكون قطعة باردة معروضة في متحف يتفرج عليها الزائرون والسائحون، كان محباً لحرارة الحياة، عاشقاً لرؤية النتائج الفعلية للكلمة والفكرة واضحة جلية أمام عينيه في حياة الناس، وما كان شيء من ذلك يمكن أن تحقق إلا بالدخول القوي في عالم التراث، وأهم ما في هذا التراث هو التاريخ الإسلامي والفكر الإسلامي، وهنا

دخل بأفكاره الجديدة إلى التاريخ الإسلامي والفكر الإسلامي، وقدم في السنوات الأخيرة من حياته أعمالاً بارزة في هذا المجال بدأت بكتابه "محمد رسول الحرية"، وتوقفت عند آخر أعماله "الصديق أبو بكر". واستطاع بهذه الأعمال ... أن يصل إلى جماهير واسعة جداً من القراء، وأن يدخل بفكره إلى معظم بيوت العرب والمسلمين.

ولكن محاولته "التوفيقية" بين فكره اليساري والتراث الإسلامي جرت عليه الكثير من المعارك العنيفة التي مات وفي نفسه شيء منها... ولم يستطع أبداً أن يجد لها حلاً نهائياً حاسماً..

لقد ثار عليه الكثيرون .. ولم يتقبلوا منهجه في دراسة الإسلام وتراثه.

وكان من مظاهر هذه المعارك العنيفة أن مسرحيته "الحسين ثائراً وشهيداً"، وهي من جزأين، لم تر النور حتى (الآن) رغم ظهورها منذ حوالي عشرين عاماً، وذلك بسبب اعتراض المحافظين على المسرحية ورفضهم لمنهج الشرقاوي في تصوير التاريخ الإسلامي والتعبير عنه.

وكان من مظاهر هذه المعارك أن كتابه "محمد رسول الحرية" ما زال مصادراً في عدد كبير من بلدان العالمين العربي والإسلامي.

وكان من مظهر هذه المعركة العنيفة، ما دب بينه وبين الشيخ عبد الحليم محمود في السبعينات من خلاف بالغ العنف والحدة.. وكان من ذلك أيضاً ما دب بينه وبين الشيخ محمد الغزالي من خلاف صاخب عندما كان الشرقاوي يكتب دراسته الواسعة عن "علي إمام المتقين".

وهكذا فقد أراد الشرقاوي أن يحقق منهجه في "التوفيق" بين أفكاره اليسارية وبين التراث الإسلامي فخاض معركة بالغة الشراسة، ولم يخرج

منها بغير جراح تركت آثارها واضحة على نفسه وقلمه"[١].

وفي آخر حوار معه في مجلة "المصور"، أجراه معه المحاور مصطفى عبد الغني، وضمنه كتابه "الشرقاوي متمرداً"، وبعد أن قرأه الشرقاوي مكتوباً، قال له إنه يفضل نشر الحديث بعد وفاته. والذي فهمته من الحوار أنه كانت له ميول شيوعية، وأفكار اشتراكية، مجسدة في المنهج اليساري. ولكنه كان ينفي انتماءه لأي حزب. ومع ذلك عندما سئل: أين تضع نفسك في خارطة التصنيفات المألوفة: يمين، يسار، تقدمي، ماركسي، وسط... إلى غير ذلك؟

قال: أنا ضد مثل هذه التصنيفات، وأنا موقفي يتحدد في انحيازي للحق والحرية والشعب، ويتحدد أكثر بالانحياز الواضح والصريح إلى هذا المعسكر الأخير.. الشعب.

وإذا أردت التوقف عند التفكير الذي يتخذ سمة دينية فإنني أقول: إن الفكر الحقيقي يجب أن يكون دائماً لتحقيق الهدف الأسمى، وهذا الهدف الأسمى لا يخرج بأية حال عن تكوين (مجتمع فاضل) "[٢].

وفي الاحتفال بالذكرى الخامسة لرحيله تقرر إنشاء مدرسة وبيت ثقافة باسمه في قريته، وتنظيم مسابقة في القصة والرواية والشعر والمقال باسمه، كما أطلق اسمه على أحد الشوارع الهامة بمدينة شبين الكوم تخليداً لذكره[٣].

---

(١) المصور ع ٣٢٩٣ – ١٤٠٨/٣/٢٨هـ ص ٣٧ – ٣٨.

(٢) المصدر السابق، العدد نفسه، ص ٦٠.

(٣) الأهرام ع ٣٨٧١٣ (١٤١٣/٦/٨هـ). وانظر مقال: "عبد الرحمن الشرقاوي يزور السيرة والتاريخ"/ أنور الجندي. المجتمع ع ٨٧٣ (١٤٠٨/١١/٢١هـ) ص ٣٦-٣٧.وله ترجمة وقائمة بأعماله في : ببليوجرافيا الرواية في إقليم غرب ووسط الدلتا ص ٢٣١، وجيل العمالقة والقمم الشوامخ في ضوء الإسلام ص ٢٠٣.

ومن أعماله المتنوعة:

- ابن تيمية: الفقيه المعذب ـ القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٤٠٨هـ، ٢٥٧ص. (مؤلفات عبد الرحمن الشرقاوي؛ ١٢).

- الأرض. القاهرة: مكتبة غريب، ١٤٠٤هـ ٤٢٩ص.

- أئمة الفقه التسعة. ط٣. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٤٠٧هـ، ٢مج. (مؤلفات عبد الرحمن الشرقاوي؛ ١٤،١٥).

– الدراسات التاريخية؛ ٤):

مج ١: الإمام زيد بن علي زين العابدين، الإمام جعفر الصادق، أبو حنيفة النعمان، مالك بن أنس، الليث بن سعد، الإمام الشافعي.

مج ٢: الإمام أحمد بن حنبل.

مج ٣: الإمام ابن حزم.

مج ٤: العز بن عبد السلام.

- الحسين ثائراً: مسرحية في ١٣ منظراً. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

- الحسين شهيداً: مسرحية شعرية في ٦ مناظر. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

- خامس الخلفاء: عمر بن عبد العزيز القاهرة: مكتبة غريب.

- الشوارع الخلفية. القاهرة: دار الشعب.

- الصديق: أول الخلفاء. القاهرة: مكتبة غريب.

- صلاح الدين: النسر الأحمر. القاهرة: دار المعارف.

- عرابي: زعيم الفلاحين: مسرحية شعرية. القاهرة: مركز الأهرام للترجمة والنشر، ١٤٠٦هـ، ٢٣١ص.

- الفاروق عمر بن الخطاب. القاهرة: مركز الأهرام للترجمة والنشر، ١٤٠٧هـ، ٣٠٢ص.

- الفتى مهران: مسرحية شعرية. القاهرة: الدار القومية، ١٣٨٥هـ.

- الفلاح . القاهرة: عالم الكتب .

- قلوب خالية. القاهرة: الدار القومية.

- مأساة جميلة.

- محمد رسول الحرية. القاهرة دار الشعب. ط٨ . القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

- وطني عكا". انتهى كلام الأستاذ محمد خير ـ وفقه الله ـ. (بتصرف يسير).

قلت: لقد تنبه العلماء لخطورة مسلك الشرقاوي في رواياته وكتبه، ومحاولته إسقاط فكره اليساري على الأحداث الإسلامية، فحذروا منها.

ومن ذلك: ما ذكره الأستاذ أنور الجندي في كتابه (جيل العمالقة والقمم الشوامخ في ضوء الإسلام)(ص ٢٢٣-٢٥٢)،، حيث قال متحدثاً عن الهجمة على الإسلام: "ولكن الذي يلفت النظر أن تتوالى الأحداث هكذا في مهاجمة الإسلام؛ فيكتب لويس عوض في (المصور) عن مصر العلمانية وعن مصر الفرعونية فيخوض أوحالاً شديد السواد والقتامة ولا يستطيع أن يصل إلى شيء، ثم نجد تلك الصفحات التي وسمت باسم (الإمام علي) في جريدة الأهرام والتي كتبها عبد الرحمن الشرقاوي وكيف جدد خصومته القديمة للإسلام تحت أسلوب براق من الانتماء للإسلام، وغفل عن أن تاريخه لا يزال معروفاً ومذكوراً، وأن كتابه (محمد رسول الحرية) وتقرير الإمام أبو زهره ما يزال بين أيدي الناس،

والأمانة التاريخية والمسئولية التاريخية فإن تقرير الأمام أبو زهره أول من حصل عليه الأستاذ محمد نعيم ونشرته الاعتصام ١٩٧٥.

فإذا تجاوزه قليلاً فرواية (الحسين شهيداً) قد دُمغت أيضاً من جماعة من العلماء، من بينهم الدكتور الطيب النجار بالظلم الشديد للمجتمع الإسلامي، على الذي افترى به طه حسين، على العصر الثاني للهجرة في كتابه (حديث الأربعاء) حين وصفه بأنه عصر شك ومجون وفيه جماعة التابعين والأعلام مثال أبو حنيفة والشافعي وأحمد بن حنبل والحسن البصري، وهو ما ذهب إليه عبد الرحمن الشرقاوي في رواية (الحسين شهيداً) الذي كشف عن أن كاتب الرواية كان حريصاً على تصوير المجتمع الإسلامي بعد وفاة الرسول ـ ﷺ ـ بنصف قرن فقط في صورة بشعة، وكأن هذا المجتمع قد تدالى وتهاوى وصار مجتمع عربدة وفجور، ومجتمع شقاق ونفاق، ومجتمع جبن وضعف، ومجتمع خيانة ونكث للعهود! مع أن المجتمع كان لا يزال حافلاً بعدد كبير من صحابة رسول الله ـ ﷺ ـ وفيه عدد ضخم من التابعين لهم بإحسان، وقد وسم علماء الأزهر المسرحية بأنها تشهر بجماعة من أصحاب رسول الله ـ ﷺ ـ وهم قدوة لنا، وقد ترددت في المسرحية عبارات الاتهام بالكفر والخروج عن الإسلام وعبارات اللعن والتعريض والتشنيع بالحرمان، كما صورت المسرحية العصر الأموي تصويراً يجافي الحقيقة في بعض النواحي فوصفته بأنه عهد الإقطاع والأطماع وجردت الأمويين من كل خير وقدمت القصة شخصيات لم يعيشوا في مرحلتها التاريخية أمثال وحشي بن حرب الذي مات سنة ٢٥ هجرية في خلافة عثمان ـ ﷺ ـ، وهناك نوع من القسوة في الحكم على معاوية مع أنه صحابي ومن

كتاب الرسول ـ ﷺ ـ فقد ذكرت المسرحية أنه عطل أصلاً من القرآن وزيف قاعدة الشورى وأهدر أحكام السنة، وتردد في المسرحية أكثر من مرة التعريض بنظام الجواري حيث تناولت لأشخاص عبارات الاتهام باللهو والتمتع بالجواري على سبيل التعرض والتهكم كما تناثرت في المسرحية عبارات مأخوذة من جو غير إسلامي كقوله (ما جئت لألقي سلاحاً، لأملأ كل بيت بالمحبة، جئت لألقي موعظة الخ.

كتابات الشرقاوي:

فإذا أضفنا هذا التقرير إلى تقرير الشيخ أبو زهره حول كتاب (محمد رسول الحرية) أمكن أن تتكون لنا صورة ذات هدف واضح من كتابات عبد الرحمن الشرقاوي الذي قدم صلاح الدين الأيوبي في قصة (النسر الأحمر) في قالب غير كريم ومجاف لحقائق التاريخ، فهو يجعل منها دعوة مباشرة وصريحة للاستسلام والصلح مع الغرب وطلب السلام الخادع الكاذب، وما كان هكذا صلاح الدين يوماً في حياته ولكنها محاولة لاستغلال النصوص التاريخية لأهواء العصر، ولقد عاش صلاح الدين حتى آخر يوم من حياته مجاهداً مؤمناً يرفع راية الجهاد في سبيل الله، وهكذا تترابط أعمال عبد الرحمن الشرقاوي على طريق واحد وهدف واحد وهو يتابع مخطط طه حسين حول بشرية الرسول ـ ﷺ ـ، وكان كتابه (محمد رسول الحرية) حلقة رابعة لكتاب (على هامش السيرة) كذلك فقد كان كتابه عن (علي) هو الحلقة الثالثة من كتاب (الفتنة الكبرى) إنها نفس الأفكار والطريقة والغاية التي رسمها الاستشراق لإعادة كتابة التاريخ الإسلامي بمفاهيمه الباطنية والوثنية اعتماداً على مصدر غير مصادر أهل السنة والجماعة، والتوسع في الأساطير والخيال

القصصي والاعتماد على كتاب الأغاني ومتابعة خصوم الشيخين أبي بكر وعمر، كل هذا لا يقدم عملاً تاريخياً أو أدبياً له قيمة ذاتية.

إن درجة الوعي الإسلامي اليوم في فهم تيارات التغريب في تحريف التاريخ الإسلامي وتفريغه من طوابعه الحقيقية بوصفه مصدراً من مصادر اليقظة الإسلامية قد أصبحت عالية، ودليل ذلك ما كتب في الرد على لويس عوض وما وصل الصحف من ردود على توفيق الحكيم وعبد الرحمن الشرقاوي، نعتقد أن هذه الأقلام لا تستطيع أن تكسب ثقة قارئ واحد من الذين عرفوا خلفيات هذه التيارات، وليعلم هؤلاء جميعاً أن خطط التخريب والغزو الثقافي قد كشفت تماماً مهما حاولوا تغيير جلودهم ومهما خلطوا أوراقهم، أما الصحف فإن مسئوليتها التاريخية كبيرة وفي إخفاء كلمة الحق في الرد على الباطل خيانة للأمة، وما كانت هكذا تدار المساجلات الفكرية في الماضي حيث يسمح لكل صاحب رأي أن يدلي بأية حتى تتبلور النتائج وينكشف الرأي الصحيح للجماهير التي تحترم صحفها وتثق بها، أما أن تحجب الآراء كلها ويتبنى الرأي الواحد المصر على جهة نظره فهذا ما لا يتفق مع أدنى أصول الحوار الصحفي.

إنها محاولة لتحطيم الصحوة والقضاء على الأصالة ولطرح مزيد من الشبهات والشكوك والسموم على الطريق الذي عبده المصلحون .. ليسلك عليه المسلمون إلى إقامة المجتمع الإسلامي الذي رسمه القرآن الكريم .

كتاب (محمد رسول الحرية)

إن المناقشة التي قام بها الشيخ أبو زهرة ركزت على السموم الناقعة

في الكتاب، قال:

"لم يسلم الكاتب من الخطأ، أو بالأحرى كان له اتجاه غير إسلامي من البداية، فهو ما درس محمداً ـ ﷺ ـ على أنه رسول يوحى إليه، بل على أنه رجل عظيم له آراء اجتماعية فسرها الكاتب على هوى ما يريد، مدعياً أنه قصاص أديب يصوغ التاريخ في قالب قصصي فني.

وقد تكون هذه الكتابة مفيدة لقوم يصغرون من شأن محمد ـ ﷺ ـ، ويهونون من أمره فتزيل عنه ما يتوهمون، وتبين أن له شأناً ومقاماً في تفكيره ومنحاه، وإذا لم تكن الكتابة صادقة من كل الوجوه فهي في ذاتها تصوير حسن في الجملة لغير المسلمين، وفي هذا الحال فقط، لكن يفسدها طمس الحقائق الكبرى أو تجاهلها.

مقام النبي الرسول ـ ﷺ ـ:

أما نشر هذه الكتابة بين المسلمين الذين يعرفون مقام النبي ـ ﷺ ـ، عند الله، ومقام الرسالة الإلهية التي حملها النبي ـ ﷺ ـ، والتي هي مصدر علمه، فإنه لا فائدة فيها من جهة، وهي توهين للعقيدة الإسلامية من جهة ثانية، ثم هي غير صادقة من جهة ثالثة.

وإذا برر نشرها بين غير المسلمين لتقريب نفوسهم من مبادئ محمد ـ ﷺ ـ، فنشرها بين المؤمنين باعث على الفتنة ومنفر للقلوب ومضعف للإيمان.

وإن أول ما يلمحه القارئ من الكتاب بعد استيعابه جملة وتفصيلاً:

أن الكاتب يقطع النبي ـ ﷺ ـ عن الوحي، فكل ما كان من النبي ـ ﷺ ـ: من مبادئ وجهاد في سبيل الله إنما هي عنده، لا بوحي من الله تعالى، وهي فيه بمقتضى بشريته لا بمقتضى رسالته.

ولعل العنوان الذي اختاره للكتاب ـ مع إردافه بعنوان آخر صغير ـ أراد أن يشير به إلى بشرية النبي ـ ﷺ ـ مبتوته عن الوحي، وهذا العنوان: قوله تعالى معلماً نبيه ـ ﷺ ـ "﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ﴾" فقد اختار هذه الجملة القرآنية ليعلن أن ما وصل إليه النبي ـ ﷺ ـ من مبادئ جاهد لأجلها، إنما هو صادر من بشرية كاملة لا عن نبوة.

ولكي يتم له الاستشهاد، اقتطع الجملة اقتطاعاً عما قبلها وما بعدها، فإن هذه الجملة وردت في نصين من نصوص القرآن الكريم.

أولهما: في آخر سورة الكهف وهو قول الله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَـٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾[1].

وثانيهما: في سورة فصلت وهو قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓاْ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴾[2] ونرى النص الذي اختاره شعاراً لكتابة مقطوعاً عما قبله وما بعده، فما قبله هو قوله تعالى مخاطباً النبي ـ ﷺ ـ بقوله "قل" وهو يصرح بخطاب الله تعالى للنبي ـ ﷺ ـ، وما بعده هو قوله تعالى: "يوحى إليّ"، قد أبعده ولم يأت به لأنه لا يتفق مع غرضه الذي يهدف إليه لأنه يريد نفي الوحي عن الحياة المحمدية.

وإن القارئ ليسير قليلاً في الكتاب، حتى يجد الكاتب ينفي الخطاب

---

(١) سورة الكهف الآية ١١٠.

(٢) سورة فصلت الآية ٦.

السماوي للرسول ـ ﷺ ـ، فلا يذكر أن جبريل خاطب النبي ـ ﷺ ـ في العيان، فهو يقول في أول نزول الوحي بالقرآن ما نصه.

ولكن في تلك الليلة من رمضان، أغفى قليلاً ثم نام، فرأى من يعرض عليه كتاباً ويطلب منه أن يقرأ، فقال ما أنا بقارئ، ولكنه ألح عليه أن يقرأ، فسأله ماذا أقرأ فقال له: ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾[1]: وعندما استيقظ من نومه يحفظ ما سمعه من النوم ويستوضح حلمه فيما بينه وبين نفسه، فإذا به وهو بين اليقظة والنوم كأنه يسمع صوتاً بعيداً يقول له: أنت رسول الله وأنا جبريل؟ (من٦٩،٦٨).

وإن تصوير الوحي في هذا المقام بالحلم في النوم، يخالف ما أجمع عليه المسلمون من أن جبريل ـ عليه السلام ـ كان يخاطب النبي ـ ﷺ ـ بالعيان لا في المنام.

نعم قبل ذلك الخطاب بقوله ـ اقرأ ـ ونزول سورة القلم، كان إرهاص الوحي يجئ إليه فيما يجئ في رؤيا مناميه حتى إنه كان يرى الرؤيا تجئ في الصحو مثل فلق الصبح، كما صرح البخاري، ولكن لم تكن تعتبر خطاباً من السماء، حتى نزول الوحي ومخاطبة جبريل الأمين الذي تردد ذكره في القرآن على أنه رسول الله إلى الذين يصطفيهم من الأنبياء لتبليغ الرسالة الإلهية لأهل الأرض.

وإنه إذ يقطع الرسالة عن الرسول ـ ﷺ ـ، ويقطع الوحي عنه،

(١) سورة العلق الآية ١ ــ ٥.

ويتجه إلى القرآن فيذكر عباراته أحياناً منسوبة إلى النبي - ﷺ - على أنها من تفكيره، ومن قوله، لا أنها قرآن موحى به وقائله هو الله - ﷻ -، وأن ذلك لمبثوث في الكتاب بكثرة ولنضرب على ذلك بعض الأمثلة.

(١) إنذار عشيرته الأقربين:

ذكر في صفحة ٨٠ ما نصه (رأى محمد أن يجمع أسرته من بني عبد المطلب إلى الإيمان بما جاء به فليس أحب إليه من عشيرته الأقربين) وتراه يذكر ذلك على أنه رأي ارتآه ويغفل الأمر القرآني الثابت وهو قوله تعالى: ﴿ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[(١)]، فتراه في هذا الكلام الذي قاله ينسب كل ما يكون بوحي قرآني إلى أنه رأي رآه النبي - ﷺ -.

(٢) تبت يدا أبي لهب:

وفي هذا المقام اعترض أبو لهب عم النبي - ﷺ -، فيذكر الكاتب في ذلك ما نصه: "فاسمع يا أبا لهب اسمع إذن، سمعت الرعد، تباً لك أنت، تبا لك سائر يومك وسائر حياتك (تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ) (ص ٨٣) فتراه في هذا ينسب إلى النبي - ﷺ - قوله تعالى: ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴾[(٢)].

وبهذا نرى أنه ينسب هذه السورة إلى النبي - ﷺ -، لا إلى الله - ﷻ

---

(١) سورة الشعراء الآية ٢١٥.

(٢) سورة المسد الآية ١ — ٥.

ـ ومثل ذلك جاء في (ص ٨٧) من الكتاب، ففيها ما نصه: تبأ لها (أي لامرأة أبي لهب) كما تبت يدا أبي لهب وتبت يدا أبي لهب وتب وامرأته حمالة الحطب.

(٣) القتال في الشهر الحرام:

يذكر استنكار المشركين لأمر النبي ـ ﷺ ـ بأنه قاتل في الأشهر الحرم فيقول في صفحة ١٨٣ (إنها لكبيرة أن يقتل عبد الله (أي ابن جحش) أحداً في الشهر الحرام، ولكن الفتنة أكبر من القتل وصد الناس عن البيت العتيق وإخراج أهله منه أكبر).

يذكر هذا الكلام منسوباً إلى النبي ـ ﷺ ـ على أنه من عنده، مع أنه في القرآن الكريم والله تعالى يقول: ﴿ يَسْئَلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ﴾[1].

(٤) أسرى بدر:

استشار النبي ـ ﷺ ـ بعد غزوة بدر أصحابه في شأن الأسرى، فأشار عمر بقتلهم وأشار أبو بكر بالعفو، وتوسط النبي ـ ﷺ ـ فاختار أن يفتدوا من أهلهم، وقد بين الله سبحانه لنبيه الحكم في أخذه أسرى، والمعركة دائمة مستمرة، لأنه لا أسرى إلا بعد أن يعجز العدو عن القتال، وقد نزل في ذلك قوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ

(١) سورة البقرة الآية ٢١٧.

ﭐلْأَخِرَةَۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾(١).

هناك في القضية عمل من النبي - ﷺ - ولوم وتوجيه من الله، لكن الكاتب يقول إن النبي - ﷺ - بعد تأمل وتدبر قرر خطأ الفداء، وهذا نص كلامه فقد أطلق كثيراً من الأسرى ولم يعد - أي لم يبق - غير القليل، فانقطع يفكر وخرج على أصحابه يقول: إنه أخطأ هو وأبو بكر حين لم يسمعا لنصيحة عمر، فما كان له أن يترك لقريش أسراها لتستعين بهم على حربه مرة أخرى ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ (ص ٢٠٣/ ٢٠٤).

وبهذا يتبين أنه يرى أن هذا ليس وحياً، ولكنه من تـأملات النبي - ﷺ -، وأن القرآن من عند محمد لا من عند الله.

(٥) إبطال التبني من النبي – ﷺ –:

ينسب إبطال التبني إلى النبي - ﷺ -، ولا ينسبه إلى الله، مع أن التبني حرم بأمر الله، فقد قال الله تعالى: في سورة الأحزاب ﴿ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ۝ ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِۚ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْۚ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾(٢).

---

(١) سورة الأنفال الآية ٦٧.

(٢) سورة الأحزاب الآية ٥ ـــ ٦.

ويقول سبحانه في نفس السورة:﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾[1] لكن المؤلف يذكر قصة زيد بن حارثة مع زوجه زينب بنت جحش، وشكواه منها، وقول النبي - ﷺ - له: أمسك عليك زوجك، ويبين أن الزوجين أصبحا لا يطيقان الاستمرار، ويذكر إشاعة أن النبي - ﷺ - طمع في جمالها، وما كان للنبي أن يتزوج زوجة متبناة لأنه ابنه، ثم يقول:

ولكن محمداً - ﷺ - خرج يقول أن المتبني ليس كالابن تماماً فالولد شيء آخر، وأنه إنما تزوج زينب لكي يدركوا هذا، وكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم، فلا حاجة له بجمال زينب، ولديه عائشة وحفصة (ص ٢١٦).

فهو في هذا يدعي أن التحريم للتبني من محمد - ﷺ - ويدعي أن محمداً تزوج زينب من تلقاء نفسه، مع أنه فعل ذلك بأمر من الله - تعالى - في قوله من سورة الأحزاب: ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴾[2].

فتراه ينسب التحريم إلى النبي - ﷺ -، وينسب الزواج لرأى ارتآه

---

(١) سورة الأحزاب الآية ٤٠.

(٢) سورة الأحزاب الآية ٣٧.

الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ مع أنه ثابت بالقرآن، ولكنه ينسب ما جاء بالقرآن دائماً إلى النبي ـ ﷺ ـ.

وإنا لنحمد له أنه لم يسر وراء المستشرقين في إدعائهم أخذاً بما جاء في رواية ضعيفة عن بعض التابعين، أن النبي ـ ﷺ ـ فتن بجمال زينب وكان الطلاق لذلك فله منا التقدير لهذا.

ـ ذكر ـ بعد أن قص أخبار موقعة أحد ـ العبر فيها على أنها من قول محمد ـ ﷺ ـ، مع أنها من قول الله تعالى، فهو يقول: (وأقبل محمد ـ ﷺ ـ على الناس يحدثهم عن محنة أحد ويستخلص العبرة من أخطائهم عسى أن تضيئ التجربة القاسية طريق المستقبل).

وإن العبرة في أحد كانت بقول الله تعالى في آيات كثيرة من سورة آل عمران في مثل قوله تعالى:﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ فَأَثَٰبَكُمْ غَمًّۢا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾[1] ولكنه دائماً ينسب ما جاء في القرآن إلى النبي ـ ﷺ ـ، مما يدل على أنه يرى القرآن من قول النبي ـ ﷺ ـ، ولم يذكر في الصحيح من السنن أن النبي ـ ﷺ ـ

---

(١) سورة آل عمران الآية ١٥٢ ــ ١٥٣.

بين العبر في أحد بغير تلاوة القرآن عليهم.

كذلك يذكر الكاتب أن تقسيم أموال بني النضير كان بقول النبي - ﷺ - ويقول في ذلك، قال لهم (..إن إخوانكم المهاجرين ليس لهم مال فإن شئتم قسمت أموال بني النضير وأموالكم بينكم جميعاً وإن شئتم أمسكتم أموالكم وقسمت هذه فيهم خاصة).

والحق أنه لا يوجد ذلك التخيير وأن النص القرآني في ذلك صريح يبين هذا، فالله - ﷻ - يقول في سورة الحشر ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ۝٨ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[1].

ولكنه كمنهاجه ينسب ما جاء في القرآن دائماً إلى رأي النبي - ﷺ -! وزاد هنا حالة التخيير التي لا نعلم لها مصدراً تاريخياً (٢٠٠).

وهكذا نجده يذكر كثيراً من معاني القرآن، وينسبها للنبي - ﷺ - فهو يذكر سورة (الكافرون) ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴾ ...، على أنها من كلام النبي - ﷺ - (ص١٠٨).

وينسب تحريم الخمر على أنه للنبي - ﷺ - ويشير إلى تدرج التحريم في القرآن الكريم، ويترك الآيات المختلفة الدالة على ذلك.

(١) سورة الحشر الآية ٨ ـ٩.

ويذكر قصص القرآن على أنها نتيجة تجارب النبي - ﷺ - ويقول في ذلك.. (وقسم محمد لياليه بين زوجاته الثلاث: سودة وعائشة وحفصة، ولكنه مع ذلك كان يجمعهن عند صاحبة النوبة في الصباح ليعظهن وفي المساء ليسمر معهن، ويقص عليهن ما رآه في رحلاته، وكثيراً من الحكايات والأمثال).

وما كان قصص النبي - ﷺ - إلا من القرآن، وما كانت له رحلات في بلاد العرب، بل إنه لم يخرج من الحجاز إلا مرتين إحداهما وهو في الثانية عشرة والثانية وهو في الخامسة والعشرين؛ الأولى مع عمه والثانية في تجارة بمال خديجة - رضي الله عنها -.

أخطر ما يقدم الكتاب: التشكيك في (القرآن):

هذه أمثلة سقناها وإنها لكثيرة في الكتاب، وهي تدل على أنه يرى - أي الكاتب - أن القرآن من كلام محمد - ﷺ -، وفي الحقيقة إنه لم يذكر قط أن الله - ﷻ - منزل القرآن وباعث محمد - ﷺ - بالرسالة، بل إن ذكر الله تعالى يندر في الكتاب بل لا نجد له ذكراً قط ﴿نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾[1].

ولم يذكر القرآن إلا نادراً، بل إنك تقرأ الصفحات الكثيرة التي تبلغ مائتين أو أكثر فلا تجد ذكراً لكلمة القرآن الكريم، بل لكلمة القرآن قط، وإذا ذكر آية ذكر أنها همهمة نفس النبي - ﷺ -، ولنضرب لذلك مثلاً:

لقد ذكر أن النبي - ﷺ -، أذن لبعض الناس بالعودة من حيث خرجوا، وكان ذلك في بعض الغزوات، ثم يقول: فأذن لمن يريد أن

(١) سورة الحشر الآية ١٩.

يعود إلى بيته أن يعود، فهذا خير من أن يبقى في الصفوف ليشيع الانهزام، ويثبت في الصفوف من يجد في نفسه القدرة على مواجهة الخطر، والرغبة الصادقة في الاستشهاد دفاعاً عما يؤمن به، وهمهم لنفسه وهو يتقدم الصفوف: ﴿ عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ ﴾ [(١)] ولكنه عاد فرأى الخير في تخليص صفوفه من العناصر الخائرة ثم أخذ يتلو عليهم: ﴿ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُواْ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴾ ...[(٢)]﴿ قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [(٣)] (ص ٢٨٨).

وأكبر علامات التشكيك في آيات الله، أنه يذكر الهمهمة ثم يقرنها بآية على أنها من همهمته ثم يتلو آية أخرى غير ناسبها إلى الله تعالى ولا لأحد فهي بمنطقة من همهمة النبي أيضاً.

ثم يشير إلى نوع من التشكيك لأن الآيتين يبدو بينهما تعارض مع أن الآيتين مختلفتان من حيث موضع قولهما، فآية سورة التوبة ﴿ عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ ﴾ كانت في غزوة تبوك.

وقوله تعالى من سورة الأحزاب: ﴿ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ ﴾ كانت في غزوة الأحزاب وهو لا يذكر كلمة القرآن على أنه

---

(١) سورة التوبة الآية ٤٣.

(٢) سورة الأحزاب الآية ١٣.

(٣) سورة الأحزاب الآية ١٦.

منسوب لله في مقام يومئ بالتشكيك في صدقه.

واقرأ قوله في ص ٣٥٤ (بالنسبة للمرتدين الذين قتلوا بعض المؤمنين غدراً الذين قال فيهم النبي ـ ﷺ ـ يقتلون ولو تعلقوا بأستار الكعبة، وكان منهم رجل عهد إليه محمد ـ ﷺ ـ بكتابة القرآن، ولكن الرجل كان يغير في القرآن على هواه، يمليه محمد ـ ﷺ ـ (وهو السميع العليم) فيكتب وهو (الخبير الحكيم) ثم يذهب إلى المنافقين في المدينة، ويتندر بما يصنع، ظل يصنع هذا، حتى اكتشف محمد أمره فهرب إلى مكة، ويظل يهزأ بمحمد ـ ﷺ ـ وبالقرآن ويؤكد للناس أنه حرف كثيراً من آياته ولم يكشفها محمد ـ ﷺ ـ بعد).

واقرأ قوله في صفحة ٣٥٦ (أما الرجل الذي حرف في القرآن الكريم فيعلن توبته ويحرق النسخة المحرفة أمام الجميع)، وإن هذا البيان التاريخي يوهم بل يشير أن القرآن فيه تحريف وتبديل، بدليل أن أحد كتاب الوحي قال ذلك.

تلفيق الأخبار:

والخبر على هذا الوجه غير صحيح، ذلك أن الرجل كان يكتب الوحي أحياناً وليس دائماً، وما كان للنبي ـ ﷺ ـ كاتب واحد، بل كان يكتب الوحي من يكون بحضرته عند نزوله ممن يحسنون الكتابة، وعندما يملي عليه النبي ـ ﷺ ـ ما أوحي إليه، يقرأه ويحفظه من يكون بحضرته من الصحابة فما كان الرجل ملازماً له، وما كان الاعتماد على ما يكتب بل على ما يحفظ النبي ـ ﷺ ـ وحفاظ الصحابة.

وما تكونت في عصر النبي ـ ﷺ ـ نسخة مجموعة جمعاً نهائياً، ولكن كان محفوظاً في صدور كثيرين من الصحابة كأبي بن كعب وزيد بن

ثابت، وعلي بن أبي طالب وغيرهم كثير - ﷺ - فلا يقال: إن هناك نسخة كانت محرفة وحرقت، وما جاء ذلك في سياق تاريخي قط وما قاله أحد قط من علماء الإسلام.

وأخيراً فإن الردة التي وقع فيها ذلك الرجل، ما كانت نتيجة طرد النبي - ﷺ - له، بل إنه ارتد من تلقاء نفسه ثم أخذ يشيع هذه الأكاذيب، فما كانت حقيقة ولكنها إدعاء منه هو كاذب فيه.

فالنبي - ﷺ - يحفظ ما ينزل عليه، وغيره يحفظ، وما كان من المعقول أن يستمر ذلك التحريف دقيقة واحدة وإنه عند جمع القرآن في مصحف، أي تكوين نسخة كاملة منه، في عهد الشيخين أبي بكر وعمر، وكان يُبحث عن المكتوب غير المجموع، إذ كانت الكتابة في قطع متناثرة عند الصحابة وفي بيوت النبي - ﷺ -، فيبين أن المكتوب كما حفظوا، فيثبتونه في المصحف .

توهين لتواتر القرآن:

إن في السياق الذي ذكره الكاتب توهينا لتواتر القرآن، لا يصح أن ينشر بين المؤمنين فضلاً عن أنه في أصله كاذب في ذاته.

ثم إنه ليوهن من شأن النصوص سواء أكانت قرآناً أم أحاديث، عندما يقرر أن الحكم في الإسلام بالقرآن والسنة أو الرأي على أنها متساوية والمسلم مخير بينها إلا أنها مرتبة.

ويقول في ذلك ص ٢٧٥ (وفي رأي كل منهم ترسخ نصيحة محمد - ﷺ - فاحكم بالقرآن أو السنة أو اجتهد برأيك، والأمر شورى بينكم لا تختلفوا ولا تعلوا في الأرض مفسدين).

موقف الكتاب ومؤلفه من النبي - ﷺ -:

هذا موقف الكتاب من القرآن ذكرناه مع ضرب الأمثلة من

الكتاب، لا نكتب عنه ما لم يكتب بل إننا نستمد البينات من كتابته.

فلنتجه بعد ذلك إلى موقفه من النبي - ﷺ - المبعوث من عند الله تعالى، فإن الكلام الذي كتبه عنه غير قائم على أسس صادقة، بل على ما ينافي كل الحقائق التاريخية تماماً.

أولاً: إدعاء خروج النبي - ﷺ - إلى اليمن:

ادعى المؤلف أن النبي - ﷺ - سافر إلى اليمن مع عمه الزبير بن عبد المطلب فقد جاء في ص ٤٢ ما نصه:

(وها هو ذا محمد يضطر إلى أن يشتغل أخيراً في هذه القوافل، ليعيش مما كان يملك بالدينارين أو الدينار، ويخرج إلى اليمن مع عمه الزبير في رحلة الشتاء).

وهذا القول لم يذكر في الصحاح تاريخ النبي - ﷺ -، وقد يذكره المستشرقون من غير سند تاريخي، بل بفرض يفرضونه ليتم لهم ما يبتغون من توهين شأن الدعوة الإسلامية، بإدعاء أن محمد - ﷺ - كان رحالة وأن ما جاء به نتيجة تجاربه لا بوحي من ربه.

ثانياً: يسترسل في إدعاء أن محمداً - ﷺ - كان رحالة معنياً بما عند الرومان والفرس.

فهو يقول في ص ٦٢ (لم تكن الجزيرة العربية وحدها هي التي تعنيه، فقد طاف بالشمال والجنوب، وعرف كثيراً مما يحدث في بلاد الفرس والروم، وفكر في هذا كله، ففي كل مكان يهدد الإنسان، ويسيطر الغيظ أحياناً حتى لتمتد يد المرأة الحنون إلى قلب خصمها بعد أن يقتل، فتأكل منه القلب وتلعق الدم.

وما زال الملاك الكبار في بلاد الروم يصنعون بالرجال والنساء ما

يصنعه المرابون الكبار في مكة، والرؤساء والدهاقين في بلاد الفرس، وهنا وهناك يقضى على الإنسان ما يقضى باسم قوى الخفاء التي لا تقاوم ولا ترد، وهي قوى لا تشبع من دم الضعفاء وتقتات بالهوان).

ولا يهمنا من هذا الكلام إلا ما فيه من إدعاء أن النبي - ﷺ - قد جاب البلاد العربية شمالاً وجنوباً، وأنه كان معنياً بمعرفة ما عند الرومان والفرس، مع أن ذلك كله لا يوجد ما يدل عليه في التاريخ الإسلامي والمصادر الصحيحة، بل لا يوجد شيء من هذا في أي مصدر عربي قديم، ولكنه خيال المستشرقين لحاجة في نفوسهم.

ثالثاً: ويذكر أن النبي - ﷺ - تعلم الكتابة من ملاحظته الحروف، وهذا نص قوله في ص ٣١٣ (فتناول محمد الصحيفة من علي ومحا ما كتبه علي، وكتب هو ديباجتها، كما أراد مندوب قريش، كانت هذه أول مرة يكتب فيها بعد أن تعود ملاحظة الحروف من طول ما أملى على كتبة القرآن).. وهذا تحريف للروايات، فإن الثابت أن علياً لما امتنع عن حذف كلمة الرسول أو محوها مد رسول الله - ﷺ - يده ومحاها بنفسه بعد أن استفسر من علي عن موضعها، وأتم علي بقية الكتاب ولم يكتب محمد - ﷺ - بيده شيئاً.

رابعاً: إن هناك نزعة نصرانية نجدها في مواضيع كثيرة، نذكر منها أن النبي - ﷺ - ينادى بياولدي، ولا يذكر من المنادي، فقد جاء في ص ٤٩ ما نصه: (غريب أنت في هذا التيه الذي يتنفس باللعنة والأكذوبة والمنكر، شارد حزين لا تنفك تتأمل في السماوات والأرض ووجوه الرجال والنساء والأطفال.

ما تكاد تضحك مستمتعاً بحياتك الجديدة المطمئنة مع المرأة الجميلة

التقية الحكيمة التي اختارتك للحياة).

ولا تدري من الذي يناديه ذلك النداء وقد تكرر ذلك في عدة مواضع فقد جاء في ص ١٣٤ ما نصه:

(طريد أنت يا ولدي، مسكين معذب كالمبشرين الأوائل) فمن ينادي هذا النداء، إن الذي يمكننا أن نفسر به ذلك هو أن هذه نزعة نصرانية، كما يجري على ألسنة النصارى (أبانا الذي في السماء) وأنه يصح أن يكون ذلك صوت الله يناديه في زعم الكاتب، ولكن لا أحد في الدنيا يصح أن يكون ولداً لله تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾[1].

هذا موقف الكتاب من القرآن والنبي ـ ﷺ ـ بالإضافة إلى الخيال الروائي الذي يفتقر إلى الصدق التاريخي في بعض الروايات عن حمزة وغيره، والكتاب في الجملة يسيئ إلى الناس في دينهم".

حاشية: هذا التقرير الذي كتبه الشيخ محمد أبو زهرة عام ١٩٦٢ وقد حصل عليه منه قبل وفاته الأستاذ محمد نعيم الصحفي الإسلامي وقد احتفظ به حتى أتيحت له فرصة نشره عام ١٩٧٥م. وهذا الذي قام بتلخيصه على هذا النحو المنشور الآن.

(مسرحية الحسين شهيداً)

الأصابع الحمراء تشوه حقائق المعارك الإسلامية وتشهر بالصحابة الأجلاء (أحمد الشرباصي، محمد الطيب النجار، زكي البنهاوي) نشرت الاعتصام ـ مايو ١٩٧٥ عن هذه الدراسة للمسرحية تحت عنوان:

---

(١) سورة الإخلاص الآية ١ ـــ ٤.

(مسرحية الحسين شهيداً).

١- المسرحية تظهر شخصية الحسين وشخصية السيدة زينب ـ رضوان الله عليهما ـ وهما من آل بيت الرسول الأعظم وقد تكررت الفتوى من العلماء المسئولين بمنع إظهار هذه الشخصيات الطاهرة.

٢- تردد في المسرحية التشهير بجماعة من أصحاب رسول الله ـ ﷺ ـ وهم قدوة لنا وقد نوه الرسول بمكانة أصحابه في أكثر من حديث شريف ومن واجبنا أن نبرز مفاخرهم ونركز عليها ونهتم بها وألا نطيل الوقوف أمام ما نسب إليهم من خلاف أو أخطاء.

٣- ترددت في المسرحية عبارات الاتهام بالكفر والخروج عن الإسلام وعبارات اللعنة والتعريض الشنيع بالحرمان، وهذا كله بين مجموعة تنتسب إلى الإسلام وجاءت فيها ألفاظ خارجة مثل (أبناء الأمهات الزانيات، يا ابن الفاعلة، يا ابن البرصاء، الدعي ابن الدعي).

٤- صورت المسرحية العصر الأموي تصويراً يجافي الحقيقة في بعض النواحي فوصفه بأنه عهد الإقطاع والأطماع وجردت الأمويين من كل خير ونحن لا ننكر أن هذا العصر فيه عيوب ومآخذ ولكن هذا العصر شهد أيضاً فتوحات إسلامية كثيرة وكان فيه جهاد ونضال، فكيف نجرده من كل حسنة ونبالغ في تصوير فساده كل هذه المبالغة ؟!

٥- المسرحية تعرض شخصية الصحابي (وحشي بن حرب) عرضاً مخالفاً للسيرة والتاريخ فهي تعرض هذه الشخصية المسلمة التائبة في صورة سكير مخمور، قد شرب (خمر الأرض) مع أنه من صحابة رسول الله ـ ﷺ ـ وروى عنه الحديث، وقد جاءت أحاديث مروية عنه في صحيح الإمام البخاري.

وتصور المسرحية مقابلته للرسول عند إسلامه تصويراً غير كريم وغير سليم لا تتفق مع التاريخ ولا يناسب المعروف عن مكارم الأخلاق التي تحلى بها سيد الإنسانية ورحمة الله للعالمين: رسول الله ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ فالرسول قد قبل إسلام وحشي وقال له: (يا وحشي اخرج فجاهد في سبيل الله كما كنت تقاتل لتصد عن سبيل الله).

٦- والعجب كل العجب أن يوجد "وحشي بن حرب" بين شخصيات هذه المسرحية لأن أحداثها تدور في سنة ستين للهجرة ووحشي بن حرب قد مات سنة خمس وعشرين للهجرة في خلافة عثمان ـ رضي الله عنه ـ!! فوحشي إذن لم يدرك شيئاً من أحداث هذه المسرحية فكيف يضاف إلى أشخاصها ؟!.

٧- هناك نوع من القسوة في الحكم على معاوية مع أنه صحابي ومن كتاب الرسول ـ ﷺ ـ فقد ذكرت المسرحية أنه عطل أصلاً من القرآن وزيف قاعدة الشورى وأهدر أحكام السنة إلى غير ذلك من التهم الشديدة.

٨- جاء على لسان الحسين ـ رضي الله عنه وأرضاه ـ أنه ذهب حينما اشتدت المحنة إلى قبر الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ وقال يخاطب النبي: جدي، أنا لا أعرف ما أصنع فأعني "والحسين خير من يعرف أن العون إنما يلتمس من الله تبارك وتعالى، وجد الحسين هو نفسه القائل: إذا استعنت فاستعن بالله. فضلاً عن أن الواقعة لا نصيب لها من الصحة.

٩- ذكرت المسرحية أن (يزيد) قد فرح بمقتل الحسين ــ رضوان الله عليه ـ وهذا يخالف الواقع؛ لأن التاريخ يذكر أن يزيد قد توجس شراً

من قتل الحسين وأنه بكى حين رأى رأسه، ولسنا ندري لمصلحة من يظهر يزيد وهو حاكم المسلمين على أقل تقدير في مظهر حقير مثير لو كان أمراً واقعاً لما كان من الحكمة إبرازه.

فقد قدمته المسرحية عقب مقتل الحسين شخصاً يبدو مخموراً والجواري يمتطين ظهره وينخسنه فيسير بهن كالحمار، والتاريخ يذكر فيما يذكر أن يزيد كان متهماً بالانحراف عن الآداب الدينية قبل المبايعة له فلما تولى الحكم انصرف عن هذا الانحراف أو على الأقل لم يجاهر بمثل ما كان يجاهر به من قبل[1].

١٠-أن المسرحية مع الأسف كأنها تحرص على تصوير المجتمع الإسلامي بعد وفاة الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ بنصف قرن فقط في صورة بشعة وكأن هذا المجتمع قد تداعى وتهاوى، وصار مجتمع عربدة وفجور ومجتمع شقاق ونفاق ومجتمع جبن وضعف، ومجتمع خيانة نكث للعهود، مع أن المجتمع كان لا يزال فيه عدد كبير من صحابة رسول ـ ﷺ ـ وفيه عدد ضخم من التابعين لهم بإحسان.

١١-تردد في المسرحية أكثر من مرة التعريض بنظام الجواري حيث تناول الأشخاص عبارات الاتهام والتمتع بالجواري، على سبيل التعريض والتهكم مثل هذه العبارات (ما تجيد سوى مصاحبة الجواري)، (تمتع بجواريك الأبكار الخرد)، (سوق الإماء).

١٢-تناثرت عبارات مأخوذة من جو غير إسلامي مثل هذه العبارات (ما جئت لألقي سيفاً) (جئت لألقى موعظة) (لأملأ كل بيت بالمحبة،

---

(١) يحسن بالقارئ الرجوع إلى مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية ــ رحمه الله ــ (٣٨١/٤-٤٨٨) حيث قال كلمة الفصل في يزيد بن معاوية وأثبت كذب كثير مما يُنقل عنه . (س)

جموع الفقراء) (يا مطفئ نور الحضارة).

١٣-اختير لون السواد لطائفة من الممثلين والممثلات وهذا السواد شعار طائفي مذهبي خاص[1]، فهل من المصلحة إثارة مثل هذه الطائفية، وكذا بدأ من قام بدور الحسين في ثياب تشعر بأنها إيحاء بشخصية غير إسلامية وإن كانت شخصية لها مكانها في نظر المسلم.

وكان هناك في نص المسرحية نواح وندب وتعديد، وقد طال هذا وامتد فما مدى اتفاق ذلك مع تعاليم الدين ؟!

كذلك جاء على لسان الأشخاص من أتباع الحسين ـ رضي الله عنه ـ ما يفيد أن قتال المعارضين للحسين خير من قتال المشركين فهل يحكم على عقائد الناس بمثل هذه السهولة ؟!

مآخذ على كتابات الشرقاوي: (حول الإمام علي)

أولاً: إن مصادر الكتابة عن الإمام علي ومنهج البحث في سيرة الصحابة تختلف عن المصادر ومنهج البحث في التاريخ العام، وهو لم يلتزم بهذا المنهج بل عمد لكتب التاريخ وغير كتب التاريخ فاستقى منها مادته وأخباره، فرجع إلى كتاب (الأغاني) وهو مرجع لمؤرخي الأدب في العصر العباسي يجمع أخبار الشعراء والأدباء والمغنين والمغنيات ومجالس الشراب والطرب، فإذا وجدت فيه معلومة عن صحابي أو تابعي فيجب الوقوف أمامها طويلاً، للبحث عما إذا كانت قد وردت في مصدر تاريخي أصيل مما تتكفل به أصول البحث العلمي، ومصطلح علم الحديث وأصول الرواية في معرفة حال الرواة وصحة المتن وطريق التحمل ولكن الشرقاوي سرى بين المصادر القديمة لقدمها

(١) أي أنه شعار الرافضة ــ قبحهم الله ــ (س).

ولم يفرق بينها ومن هنا وقع اللبس.

ومن مصادر الشرقاوي (الطبري) والطبري لا يشك أحد في صدقه ولكنه اعترف في كتابه أن الكتاب لا يخلو من الوقائع المكذوبة والأخبار المنحولة، فلما هوجم الشرقاوي في هذا دافع عن مصدره وأهمل هذا التحذير الخطير الذي سجله الطبري في صدر كتابه.

وهكذا فإن المصادر التي رجع إليها الشرقاوي لم تكن كلها كفئا للموضوع فوقع في ورطة لم تستجب لنصح الناصحين فيها.

ثانياً: تناول أشخاصاً لهم بلاء وغناء وسبق إلى الإسلام والجهاد في سبيل الله ووصفهم بما لا يليق بأمثالهم، فهم تلاميذ محمد - ﷺ - والشوامخ الذين هاجروا في الله بعد ما فتنوا وهاجروا وصبروا وقد قدم لنا الإمام علي في عماية فتنة وإعصار محنة، وقديماً قرر الفقهاء والعلماء والسلف الصالحون ممن أدركوا الفتنة وجاءوا بعدها الإمساك عن الخوض فيها، فإن الصحابة كلهم عدول بتعديل الله لهم ولكل منهم وجهة نظر واجتهاد، والمخطئ فيه له أجر والمصيب له أجران.

لم يتناول الكاتب دور اليهود في هذه الفتنة التي آثر الخوض فيها وما فعله عبد الله بن سبأ وأشياعه والمخدوعون به فهم أسبابها وما أشبه الليلة بالبارحة، ولم ينهج نهج المحدثين وأهل الأثر من نقدة الأخبار على مقتضى قوانين الرواية والجرح والتعديل الذي ميز الله به أمة محمد - ﷺ - وراح يسوق الأخبار ومنها الملفقة كأنها حقائق مسلمة، ويبني عليها اتهامات ويصدر أحكاماً قاسية وهي أخبار واهية لا تحل روايتها فضلاً عن اعتمادها في تقرير حكم أو توجيه لوم، خاصة إذا كانت تحمل في ثناياها دليل بطلانها ولم يشر إلى مرجع واحد من مراجعه التي اعتمد

عليها، فإن كثيراً من أئمة المؤرخين قد ينقلون الشائعات والأخبار التي لا تصدق ولكن بأسانيدها اعتماداً على أن الناس سيبحثون الأسانيد فيقبلونها أو يرفضونها.

ثالثاً: إلحاحه في قوله: (ليس لبني إسماعيل فضل على بني إسحاق ولا لبني إسحاق فضل على بني إسماعيل) والحق أنني ألمح منها كيداً خفياً من عمل اليهود وإفكاً افتروه، بعد أن عزلهم الله عن قيادة البشر وجعلها في العرب من بني إسماعيل، فاليهود من يريدون إن يتساووا مع العرب والمسلمين ويستغلوا المبدأ ويقرروا أنهم يرتقون إلى مستوى المسلمين على ما بهم من بغي وكفر وقساوة قلب وعلى أخذهم الربا وقد نهوا عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل وقولهم (ليس علينا في الأميين سبيل) ونحن نقول: (بل لبني إسماعيل اليوم فضل على بني إسحاق) وللعرب فضل على اليهود بعد ما أثبت اليهود ببغيهم وعداوتهم أنهم على مدى التاريخ وراء كل فتنة وسبب كل محنة وأنهم كالمشركين لا يرقبون في مؤمن إلاً ولا ذمة.

رابعاً: غرق عبد الرحمن الشرقاوي في أباطيل الرواة وفي الروايات الضالة فأجرى على لسان (الإمام علي) عبارات ما كان أن تجري على لسانه وتقول عليه أخباراً كاذبة كمثل ما نسب إليه من أنه قال أنه كان أولى من أبي بكر وعمر بالخلافة.

خامساً: انزلق عبد الرحمن الشرقاوي في أعراض الصحابة واندفع بهدف ونية مبيتة وليس من باب الخطأ أو عدم الإحاطة بالمصادر، وكان الواجب أن ينشر ما يقوم على احترامهم ومعرفة قدرهم وقد أشار النبي ـ ﷺ ـ إلى هذا حين قال: (أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم)[1]

---

(١) حديث ضعيف. انظر السلسلة الضعيفة للألباني ــ رحمه الله ــ (١/٧٨). (س).

ويقول (لا تسبوا أصحابي، من سب أصحابي فقد سبني).

وقد بدأ القصد من سياق السرد وهو النيل من الآخرين ومن سابقته بالذات ـ أي علي ـ وهي نقطة مهمة كان لابد من إثارتها، وكانت عبارات الكاتب تستهدف التنقيص ممن قبله من الخلفاء ـ ﷺ ـ أجمعين.

- وقد قصد الكاتب إلى إثارة خلاف في هذه الآونة بين طائفتين أو أكثر من المذاهب الإسلامية وإيجاد بلبلة وتباغض بين تلك الأمم والمذاهب ومن هنا دخل في الخطر الكبير الذي جاء عنه التحذير في بعض الآثار: (الفتنة قائمة لعن الله من أيقظها).

- الأخطاء كثيرة وكأني بالرجل يرمي إلى شيء وراء هذه المغالطات غير العلم فابتعد عن الحقائق، وماذا يقصد بأوصافه التي أتى بها خياله عن ليلة زواج ذي النورين عثمان ـ رضي الله عنه ـ من نائلة، وهو الذي كانت تستحي منه ملائكة الرحمن، ومن أين له هذا الوصف البعيد كل البعد عن العلم وعن التاريخ وأقرب ما يكون إلى روايات الجنس؟ أم كتاباته عن أم المؤمنين عائشة وعن الصحابة طلحة والزبير وغيرهم عندما وصفهم بغير أوصاف المؤمنين؟ وهم المؤمنون حقاً.

سابعاً: بدأ الشرقاوي خطته بأن ألف كتابه محمد رسول الحرية على أساس أن الإسلام مظهر للصراع بين الطبقات وأن الأصنام تم صبها حول الكعبة لأسباب مادية وتم هدمها كذلك لأسباب اقتصادية، ومضى في طريقه يفسر الوقائع بمعايير الفكر اليساري ويقرأ كتب التاريخ غير مميز بين حقيقة وشائعة، وبين صحيح وموضوع وغير مدرك لمكانة الرجال الذين يتحدث عنهم؛ فجاءت كتاباته بعيدة كل البعد عن

المنطق العلمي، كما جاءت بعيد الأثر في الإساءة إلى الإسلام والصحابة وإلى الآمال المرجوة في الصحوة الإسلامية وجمع الشمل وقد ردد الشبهات والتقط النقاط المشكوك فيها التي تعينه على باطله ومنها الخطبة المنسوبة إلى علي بأنه أولى بالخلافة من أبي بكر وعمر وهي خطبة تعني أن الخلفاء الثلاثة كانوا مغتصبين حقاً ليس لهم وأنهم طلاب دنيا وعشاق رياسة، وأن جمهور الصحابة جبن عن مظاهرة صاحب الحق المقرر، وهذا النسق يرمي إلى فتح الباب للطعن في السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار.

- ودعواه أن بني النضير أسلموا باطل، فما أسلم بنو النضير يوماً، وأنهم حاولوا قتل النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ عندما كان بينهم في بعض الشئون

وهناك قضية وهب لها الشرقاري فكره ونشاطه ويريد أن يجر الإسلام إليها جراً دون هوادة، هل للمسلم أن يدخر أو يكنز بعد أن يؤدي الحق المقرر عليه في ماله، أم يجب ألا يمسك عنده شيئاً فوق حاجته، وهو يؤكد أنه لا يجوز استبقاء شيء لصاحبه فوق نفقته العادية، إن هذا هو ميل إلى نظرية كارل ماركس (لكل حسب حاجته) ولكنه يصور الرأي الذي ارتآه على أنه من الكتاب والسنة، وهو يحاول أن يجعل علي بن أبي طالب ضد رأس المال مهما أدى ما عليه من حقوق وهو يحاول أن يجعل عثمان كأحد الباشوات أو اللوردات الذين يشبعون شهواتهم ويرهبون المجتمع بفضول أموالهم، ومن المقرر أن كتابات عبد الرحمن الشرقاوي لا تحكي تاريخاً إسلامياً، فهو يساري يريد أن يجعل الإسلام وتاريخه مصبوغين باللون الأحمر والتفكير المادي،

ويسوق الحوادث سوقاً لخدمة هذا الغرض.

فهل صحيح أن الصراع بين التوحيد والوثنية كان صراعاً طبقياً كما يقول الأغنياء يدافعون عن وجودهم والفقراء عن حقهم في الحياة الكريمة وعن أحلامهم في عالم أفضل؟ أي أحلام هذه؟ وهل صحيح أن موسم الحج كان "يستثمر هؤلاء الأغنياء أموالهم في البيع والشراء والربا فيربحون ويربحون، وهذه الأصنام هي التي تمنحهم كل سلطاتهم على الأجراء والمعدومين والعبيد وأبناء السبيل، وواجه محمد هذا كله بأن الأصنام ضلال مبين فهو يلعن الذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله... هكذا يقول الشرقاوي في تصوير الرسالة الإسلامية: صراع بين الغنى والفقر لا وجود له إلا في دماغ المؤلف.

وآية عدم اكتناز الذهب والفضة نزلت بعد اثنتين وعشرين سنة من بدء الرسالة ولا صلة لها بعبادة الأصنام أو الحرب التي شنها الإسلام على الوثنية من أول يوم.

حتى الهجرة إلى المدينة جعل لها الشرقاوي أسباباً اقتصادية، فإن المرابين في المدينة كان ضغطهم أقل، والهوان الذي يتعرض له المدنيون كان أخف، تأمل قوله: هنا مجتمع آخر أكثر تقدماً من مجتمع مكة، هنا علاقات اجتماعية أخرى أكثر قابلية لتعاليم محمد، فالمرابي اليهودي لم يكن قادراً على استعباد المدين العربي إذا عجز عن الوفاء كما كان يحدث في مكة، ولم يكن له الحق في أخذ امرأة المدين أو ابنته لإكراههما على البغاء كما كانت تفعل قريش، وأجير الأرض في المدينة أعلى درجة من عبيد مكة الذين كانوا يحرسون القوافل والمصارف الخ.

ليس في هذا الكلام كله ذرة من صدق والقول بأن العرب كانوا

يسترقون المدين المعسر، ويستوفون ديونهم من استرقاق امرأته وابنته وإرغامهما على الزنى، كلام مكذوب، ما كان شائعاً لا في مكة ولا في المدينة وبالتالي فلا صلة للهجرة بهذه الأوضاع المختلقة.

إن هذا الكلام ليس تشويه تاريخ، بل هو تزوير تاريخ، أو كما يقال في مصر (سمك، لبن، تمر هندي) وليس في القرآن ولا في السنة المطهرة ولا في السير المؤلفة عن صاحب الرسالة ما يترك مثل هذا الانطباع الغريب عن الجو الذي بدأت منه (تعاليم محمد) كما يصف عبد الرحمن الشرقاوي الإسلام ونبيه وما نزل عليه من وحي وما تمحض عنه من حضارة.

أخطاء عبد الرحمن الشرقاوي
في كتابه السيرة والتاريخ

في كل كتاباته الإسلامية يظهر الغرض المبيت المدفون واضحاً:

(محمد رسول الحرية ـ مسرحية الحسين ثائراً ـ كتاباته عن الإمام علي) إن درجة الوعي الإسلامي الآن في فهم تيارات التغريب قد أصبحت عالية وما نعتقد أنها يمكن أن تخدع، وهذه الأسماء معروفة الهوية ولذلك فهي لا تستطيع أن تكسب ثقة قارئ واحد من المؤمنين باليقظة الإسلامية، ولعل هذا هو ما يزعج هؤلاء ومن ورائهم، إن خطط التغريب والغزو الثقافي قد كشفت تماماً فمهما حاولوا تغيير جلودهم ومهما خلطوا أوراقهم ومهما نشرت لهم الصحف الكبرى ومهما حالت بين مفترياتهم وبين تصحيحها، فلييأس هؤلاء تماماً وسيرتد الكيد إلى نحور أهله.

إنها محاولة لتحطيم الصحوة وللقضاء على الأصالة ولطرح مزيد

من الشبهات والشكوك والسموم على الطريق الذي أصبح صالحاً ليسلك عليه المسلمون إلى إقامة المجتمع الرباني، إنها محاولات يائسة لإفساد الفكر ولتزييف التاريخ ولهدم القيم تحت أسماء إسلامية، ومن خلال صحف محتواه للتغريب والغزو الفكري.

في روايته الحسين شهيداً كان حريصاً على أن يصور المجتمع الإسلامي بعد أن اختار الرسول الرفيق الأعلى بنصف قرن في صورة بشعة، وكأن هذا المجتمع قد تداعى وتهاوى وصار مجتمع عربدة وفجور، ومجتمع شقاق ونفاق ومجتمع جبن وضعف خيانة ونكث للعود، مع أن المجتمع كان لا يزال يدخر بعدد كثير من صحابة رسول الله - ﷺ - وفيه عدد ضخم من التابعين لهم بإحسان (وهذه متابعة لخطة طه حسين) التي جرى عليها في الهجوم على الصحابة وأتباعهم.

أما في دراسة عن الإمام علي فقد اعتمد على مراجع معنية أغلبها مشكوك في صحتها وفي مقدمتها الأغاني، وفي هذا تابع أهواء الدكتور طه وخطته حتى ليخيل إلي أنه امتداد حقيقي وتجديد استشراقي تغريبي لأفكار طه حسين المسمومة التي بثها في كتابه الفتنة الكبرى وعلي بنوه في الأربعينات يجددها الشرقاوي في الثمانينات.

فقد جرى وراء القصص البراق، واعتمد على المصادر المضلة وساير خصوم الباطنية للشيخين أبي بكر وعمر وحاول أن يلحق الإساءة بالسيدة عائشة على هوى بعض الفرق.

ويمكن أن نقول بوضوح إن عبد الرحمن الشرقاوي القصاص الذي يغلبه الخيال والبريق والرواية المثيرة لا يصلح مؤرخاً ولا يمكن أن يقبل منه كل ما كتب على أنه تاريخ، وهو يمضي في سلك واحد مع جورجي

زيدان أولاً وطه حسين أخيراً، ومن العجيب أن أحداً ممن نقدوه لم يشر إلى متابعته لخطا طه حسين في هذا المجال.

وفي الوقت الذي يأتي كتاب غربيون يشيدون بعظمة الإسلام ورسوله ورجاله ينحرف كتاب عرب لهم أسماء إسلامية عن هذا الخط ويخوضون إلى ما تحت ركبهم في الأعراض والقبائح.

ولقد تأكد ما قاله الشيخ الشعراوي من أن الأهرام أصبحت وكراً لأعداء الإسلام وأن موقف الأهرام من إغلاق الصحيفة على كتابها دون أن تسمح بوجهة النظر الأخرى هو من الآثام التي سوف تحاسب عليها الأهرام عندما يكتب تاريخ الصحافة، وما كانت هكذا تجري المعارك الأدبية في القديم حيث كان يسمح لكل طرف أن يعرض آراءه، وهاهي الأهرام تستخدم من قبل توفيق الحكيم وزكي نجيب محمود، والشرقاوي لخدمة أعداء الإسلام.

ولقد صدق الشيخ محمد الغزالي حين وصف الشرقاوي بأنه يجمع القمامات من كتب التاريخ ويصدق أيضاً ما وصف بأنها مؤامرة لضرب الإسلام لحساب المسيحية، ولضرب الصحوة التي أدخلت في الإسلام أعلاماً كباراً أمثال جارودي[1] وبوكاي.

ولعل أسوأ صفحات الشرقاوي هو أسلوبه في الحوار وإدخاله الإقذاع والسخرية فهو كاتب يمكن أن يوضع في صف الشعراء القدامى الذين تخصصوا في الهجاء المقذع الذي يرفضه الإسلام أسلوباً للحوار،

---

(١) ثم تبين أن جارودي هذا لم يسلم! إنما هو باقٍ على عقيدته النصرانية، ولكنه ضم إليها الإيمان باليهودية وبالإسلام! مدعيًا أنه (إبراهيمي) المذهب لا يفرق بين الأديان الثلاثة! وقد رد عليه العلماء في حينها: كالشيخ ابن باز ــ رحمه الله ــ وغيره. انظر كتاب: "فكر جارودي بين المادية والإسلام" للأستاذ عادل التل.(س).

فما بالك وصاحب الحق في الرد لا يُمَكن من أن يقول كلمته في نفس المكان، أي ظلم هذا ؟!". انتهى النقل عن الأستاذ أنور الجندي ـ رحمه الله ـ، بتصرف يسير.

وقال الأستاذ إسماعيل الكيلاني في كتابه (لماذا يزيفون التاريخ) (ص١١٧ـ ١١٩): "والشرقاوي هذا كاتب تدثر بدثار التقدمية الماركسية، فلما وجد أن بضاعته مزجاة، وكتبه كاسدة لجأ إلى التاريخ الإسلامي ليقرأ حوادثه من خلال "المادية التاريخية" يدغدغ عواطف العامة ويستثير أحقاد القرون.. وهو صاحب قصة "الأرض" التي يهاجم الإسلام فيها من خلال مهاجمته الشيخ الشناوي "رجل الدين" بتعبيره حيث يقول عنه:

"لو كان يملك قيراطاً واحداً على الأقل لآمن أن الحكومة هي التي تحرم الفلاحين من الماء، ولتأكد أن الحكومة وحدها هي التي تصنع المصائب" "لم يكن الشيخ الشناوي يملك في كل أرض القرية إلا المقبرة" "إن الذين يملكون أرضاً في القرية يضعون أيديهم في النار، أما سيدنا فهو كخضرة ـ المومس ـ يده في الماء".

وفي مسرحيته "جميلة" بمناسبة انتصار ثورة الجزائر المسلمة على الصليبية الفرنسية، يؤكد أن مأساة الجزائر مأساة جزائرية، ليست عربية ولا مسلمة، وأن هدف المقاتلين الجزائريين "الحرية والإخاء والأمن والحب وحياة أفضل" أما العروبة والإسلام والعودة إلى محمد ـ ﷺ ـ فليست هي أهدافهم بزعمه، أما لحنهم الحبيب عند الاستقلال:

مبروك يا محمد عليك   الجزائر رجعت إليك

فهذا لا يستحق أن يذكر عند هذا التقدمي!

كما يؤكد على دور "سيمون" العاهرة الفرنسية في جيش التحرير الجزائري، ويجعل "جميلة" الجزائرية المسلمة تنطق بتقاليد "فرنسة" النبيلة، وبكرامة "فرنسة" التي يزري بها تعذيب الجلادين لها، ويشيد بمواقف فرنسيين يساريين تجاه ثورة الجزائر، والمعروف لكل ذي عينين أن اليسار الفرنسي لم يدافع عن الجزائر، بل غرق في عار الاستعمار، ولم يدافع عن "جميلة" العربية المسلمة إلا العرب المسلمون أبطال جيش التحرير الوطني الجزائري... وفي الوقت الذي يؤكد فيه على نصرانية "جان" وأنها تدفعه للسلوك الطيب المتعاون مع الثوار الجزائريين لم يشر أية إشارة إلى الدور الذي أداه الإسلام في الحفاظ على عروبة الجزائر، وفي أنه هو الذي قهر فرنسا، بل على العكس من ذلك فالصلاة والإسلام لا يذكره إلا الخونة عملاء الاستعمار "فالجاسوس هارون يقول: لم لا تقوم لكي تصلي، هل سهوت عن الصلاة؟" ووردت عبارة "الله أكبر" مرتين على لسان الجاسوس، ومرة على لسان المحامي الخائن عميل "فرنسة"، ومرّات على لسان "هند" بعد أن فقدت عقلها... ولا ينسى أن ينتقص المسلمين، فيقول في روايته هذه على لسان "هند" : "من يوم أن ذبح الحسين وأهله في كربلاء لم تأت غاشية كتلك" وكأنه يريد أن يعتذر عن المجازر الفرنسية، وأن المسلمين ارتكبوا أفظع منها ضد بعضهم بعضاً... هذا في الوقت الذي يعلن فيه "عمار أوزيجان" الوزير الجزائري بعد الاستقلال أن "رفض الأيديولوجية الإسلامية في بلاد مستعمرة، يضطهد دين أكثرية سكانها الساحقة، علامة تجدد أخرق، تنادي به فئة منفصلة عن الشعب، غريبة الحياة والفكر، امتصتها أو شلتها أيديولوجية المستعمر" وهذا الوصف ينطبق على الشرقاوي".

وقال الكيلاني ـ أيضاً ـ متحدثاً عن الدراسات التاريخية القاصرة، أن منها كتاب "علي إمام المتقين، وكأنه يريد لتلك الفتنة التي ذرت قرنها بين المسلمين، وبعد أن أفضى الجميع إلى ربهم، وطويت صفحاتها نهائياً، أن تعود من جديد ببعث أشخاصها من قبورهم، وجعلها مادة يصول فيها ويجول لتقطيع كل رابط يمكن أن يشد المسلم إلى أخيه، يوقظ أحقاد القرون، ويستدر عواطف المقهورين، ويثير ريح الكراهية نحو الجيل القدوة، وما في ذلك من تحقيق لأهداف أعداء الأمة، وكأنه يريد أن يقول للناس: هذا هو سلفكم، وهذا سلوكه وتصرفاته!! معتمداً في ذلك كله على مفتريات وأكاذيب أشاعها أصحاب الأهواء ممن أسلموا قيادهم لابن سبأ اليهودي؛ تابعهم فيها ولم يكلف نفسه عناء نقدها وتمحيصها، فضلاً عن أنه لم يذكر أي مصدر لأية رواية احتج بها، وهو يتهجم على صحابة رسول ـ ﷺ ـ.. وكان من جملة مفترياته:

١- أبو بكر وعمر وعثمان ـ رضي الله عنهم ـ بغاة (....جمع علي ـ رضي الله عنه ـ على زعم الكاتب ـ كبار المهاجرين والأنصار وفتيان بني هاشم ـ في المدينة المنورة ـ وقال لهم: ويم الله ما زلت مبغياً عليّ منذ قضى رسول ـ ﷺ ـ).

٢- عثمان ـ رضي الله عنه ـ ألعوبة بيد بطانة السوء، ومخادع غاش (... وكنت كلما نصحته يا علي تاب إلى الله وأزمع عزل بطانة السوء، فتجيئه تلك البطانة فتغير رأيه ... لكم دافعت عنه، وهو يعدك ويستغشك).

٣- عثمان ـ رضي الله عنه ـ أقطع بني أمية كثيرين من الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ إقطاعات من بيت مال المسلمين، وأعطاهم أموالاً كثيرة من بيت المسلمين لا يستحقونها (ألا وإن كل ما أقطعه عثمان من مال الله مردود

إلى بيت مال المسلمين).

٤- مأساة عثمان ـ ﷺ ـ جاءت نتيجة الجمع بين ورع الإمامة وأبهة الملكية (صنع ـ عثمان ـ مأساته ونهايته الفاجعة بنفسه منذ أصبح إماماً لنفسه وملكاً على الآخرين، أخذ نفسه بورع الإمامة والخلافة والسنة الشريفة، وأخذ المسلمين بسياسة الملك العضوض...وهو الذي نفى أبا ذر إلى الربذة لأنه جهر بتحريم الكنز، وأمر بالمعروف ونهى عنا المنكر!

٥- عمر ـ ﷺ ـ (ضرب أبا هريرة ـ ﷺ ـ وقاسمه أمواله، واتهمه في صدقه، ومنعه من رواية الحديث الشريف، وأبدى عجبه كيف يروي أبو هريرة عن الرسول ـ ﷺ ـ أضعاف ما روى عنه أبو بكر وعمر نفسه وعلي، وما كان أحد ألصق برسول الله ـ ﷺ ـ ولا أكثر صحبة من هؤلاء الثلاثة...).

٦- التشكيك بنفر من الصحابة منهم: عائشة ـ رضي الله عنها ـ أم المؤمنين، وطلحة والزبير ـ رضي الله عنهما ـ المبشران بالجنة، ويصفهم بالنفر الذين (انتفخت أجوافهم، وطمحت أبصارهم، وأحب كل امرئ منهم لنفسه.. هؤلاء الراغبون في أن تكون الولاية على الناس سطوة ملك عضوض..) واتهمهم بأنهم كانوا المحرضين على قتل عثمان ـ ﷺ جميعاً ـ.

٧- بنو أمية أهل كيد وسوء (لا تعلمون أيها الناس كيد بني أمية ومكرهم السيئ، والله لا يزالون حتى لا يدعوا لله محرماً إلا استحلوه، ولا عقداً إلا أحلوه...)

٨- صراع الطبقات وتفسير التاريخ الإسلامي تفسيراً مادياً تبعاً لماركس (أيمكن لطلحة والزبير أن يعيدوا هذا المال إلى بيت المال، أم أن

المصالح التي تربطهما بكبار بني أمية، كمعاوية وعصبته، هي الآن أقوى مما عسى أن يربطهما بالإمام.. سيلحق طلحة والزبير بمعاوية وعصبته بلا مراء...) لأن علياً ـ ﷺ ـ (سيحرمهم من كل متاع ومن كل مآربهم في حياتهم الجديدة الرغيدة، وسينصر عليهم المساكين، ويظل حتى يفقدوا أبهة الملك وزخرف الغنى وسطوة الجاه...)

وهو في جميع مفترياته هذه لم يعز أية رواية اعتمدها إلى مصدرها، ولم يذكر أي مصدر من المصادر التي رجع إليها واستقى منها ما سوّد من صفحات، وتعمد هكذا أن يلقي الكلام على عواهنه حتى لا يُفْتَضح هدفه، وتنكشف غايته، وأكبر الظن أنه تستر عليها ولم يذكرها لكونها جاءت وصدرت عن أهل الأهواء والفتن" انتهى كلام الأستاذ الكيلاني (ص ١١٧ ـ ١٢٢).

ويقول المستشار سالم البهنساوي في رده على الشرقاوي في كتاب (تهافت العلمانية في الصحافة العربية): "لو كان الشرقاوي كاتباً إسلامياً يخدم الإسلام في كتبه، فليعلن توبته عن كتابه (محمد رسول الحرية)، فالرسول ـ ﷺ ـ في هذا الكتاب ليس رسول الله بل رسول الحرية! كماركس عند الشيوعيين... " (ص ١٧٣).

نظرة شرعية
في فكر
د. محمد أركون



نظرة شرعية في فكر (الدكتور محمد أركون)

ترجمته:[(١)]

مفكر جزائري من مواليد ١٩٢٨ بمنطقة القبائل تلقى دراسته الثانوية في وهران، ثم أتم دراسته بباريس ١٩٥٥ وحصل على الدكتوراه من السربون ١٩٦٩ حول الإنسية العربية في القرن الرابع الهجري، وحاضر بالعديد من الجامعات الفرنسية والعربية.

له عدة مؤلفات؛ من أهمها: رسالته " الإنسانية العربية في القرن الرابع الهجري" و " محاولات في الفكر الإسلامي " و " الإسلام بالأمس واليوم " و " قراءات في القرآن " و " نحو نقد العقل الإسلامي " . .

قال عنه الأستاذ عبد السلام بسيوني:

(معظم مؤلفاته بالفرنسية، وهو علماني يدعو إلى التعامل مع الإسلام ـ والقرآن والسنة بالذات ـ بالمقاييس الغربية وبالاستفادة من المعطيات التي خلفها ماركس ونيتشه وغيرهما، ويعتبر الدين الذي ينتهجه الناس مجموعة من المعطيات البطريركية التي خلفها الفقهاء وأسبغوا عليها صبغة القداسة.

ومن آرائه أيضاً أن مفهوم الدين لم يبلور بلورة كافية للقيام بقفزه نظرية لا نتردد معها أن نجزم بأن الأديان ما هي إلا أيديولوجيات (مجلة الوحدة: العدد ٦ـ ١٩٨٥).

وأن المحتويات العلمانية التقديرية للفكر الإسلامي التقليدي ستبقى في غير متناولنا ما دمنا نريد البقاء متشبثين بإسلام لا يعدو أن يكون ديناً

---

(١) انظر مجلة الوحدة؛ (العدد ٣)، و " العقلانية هداية أم غواية " للأستاذ عبد السلام بسيوني.

يـأمر ويـسجن العـالم أجمـع، ويـرى الاتجـاه إلى إقـصاء جميـع الخطـب الأيديولوجيـة والتبريـد الـشرعي لمختلـف إرادات القـوة الـتي يـشكل الاصـطدام بهـا تاريخنـا الماضـي والحاضـر(!!) الـذي هـو مجـرد تـاريخ أسـطوري (!!) لا يـزال يحكمنـا إلى اليـوم (المجتمـع العـالمي - ١٩٧٨) ويناقش - راداً - بعض نصوص القرآن المتعلقة بالمرأة معتبراً إياها شـكلاً من أشكال التخسيس والزراية.

وننقل - للإيضاح - جزءاً مـن حـوارٍ أجرتـه معـه مجلـة "لونوفيـل أبسرفاتور" الفرنسية Nouvel Observateur فبراير ١٩٨٦، يعكـس جزءاً من طريقته في التفكير الذي يعتمـد القفـز والمغالطـات واسـتغفال القارئ من خلال مصطلحات "خواجاتية" يحـاول أن يخـضع لهـا الفكـر الإسلامي فيقول:

المجلة : باسم القرآن تقطع أياد، ترجم نساء، يفرض الحجـاب، تقـام حروب مقدسة.

أركون: هذه الأفعال تقام باسم القرآن ولكنها في الواقع خيانة له:

Ces acts sont commis au nom du Coran, mais ils en sont la trahison

وإن الـسلطات الـسياسية (!!) تفـسر الـنص القرآنـي بمفهومهـا الخاص. أما النص نفسه فهو مغطى، محرف أو منسيّ.

مثلاً في تعدد الزوجات، ماذا يقول القرآن، يمكنك أن تـنكح اثنـتين أو ثلاثاً أو أربعاً من النساء.. نعم، لكن: مـاذا تقـول بقيـة الآيـة؟ علـى شرط أن تعدل بينهن، العدل هنا لا يعني أن يكون لـديهن نفـس المتـاع، لكن كذلك نفس الحنان والحب بالضبط، وتقول الـسورة: إذا لم تـستطع أن تكون عادلاً فلك واحدة فقط، لكن من المستحيل أن يكـون الإنـسان

عادلاً، فإذا القراءة المتأنية للقرآن لا يمكن أن تؤدي إلا إلى منع تعدد الزوجات (!!).

نفس الشيء يمكن أن يقال بخصوص قضايا أخرى. رمضان مثلاً: في يوم من الأيام دعا الرئيس بورقيبة أصدقاءه إلى تناول الطعام في رمضان، كل الناس صدموا وقتها، لكن قال لهم: إن النبي نفسه دعا صحابته إلى الأكل والشراب في رمضان. نعم هذا الاستثناء كان وقت حرب، ولكن نحن كذلك في حرب ضد التخلف. فكما ترين: القرآن تتوجب إعادة قراءته.. والتفكير فيه بشيء مختلف (!!)

المجلة: لكن هناك أشياء النص فيه واضح.

أركون: بالعقل القرآن يقول:﴿ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ﴾[1] في مثل هذه الحالة الحسابية لا يمكن فعل أي شيء إلا إعادة طرح مسألة التفسير القرآني. لا يمكننا أن نستمر في قبول ألا يكون للمرأة قسمة عادلة (!!)

فعندما يستحيل تكيف النص مع العالم الحالي.

عندما يكون علانيةً منبثقاً عن وضع اجتماعي لا يتناسب في شيء مع عالمنا الحاضر.

ينبغي العمل على تغييره.

إن التفسير يبقى دائماً جائزاً بشرط أن يعاد في مسألة التنزيل على ضوء التاريخانية.

الحجاب مثلاً ـ ككل ما يمت إلى الجنس وإلى وضع المرأة في الإسلام

---

(١) سورة النساء الآية رقم ١١.

- ينتمي لقانون عربي سابق على الإسلام.

الإسلام صادق على تقاليد قديمة متعلقة بأسس قبلية، وأعطاها بعداً مقدساً (!!) .

ويتعلق الأمر اليوم بإعادة التفكير في هذه المفاهيم على ضوء التاريخ.

وللأسف فإن هذا العمل في بدايته في الإسلام.. بحكم سيطرة الأيديولوجيا (انظر دراسة محمد بريش عن أركون، مجلة الهدى - ١٩٨)ومن آراء أركون رفضه للإسلام نظام حكم لأنه لم يكن كذلك لا تاريخياً ولا عقائدياً!!) ا.هـ كلام الأستاذ عبد السلام بسيوني (ص ١٢٦- ١٢٨) (وانظر كتابه الآخر: اليسار الإسلامي خنجر في ظهر الإسلام، ص ٣٨ وما بعدها).

وقال الدكتور مفرح القوسي عنه: "الدكتور محمد أركون[1]: أحد كبار العلمانيين الداعين إلى التعامل مع الإسلام - كتاباً وسنة بوجه خاص - بالمقاييس بالغربية، تجنى كثيراً في كتاباته واللقاءات العديدة التي أُجريت معه على السلف ومنهجهم. فهو - مثلاً - يتهم المنهج السلفي بأنه منهج أسطوري لا تاريخي مغرق في التجريد والمثالية، فنراه يقول تحت عنوان (الرؤية الإسلامية التقليدية): "إليكم كيف يلخص المفكر الحنبلي ابن تيمية هذه الرؤية كما فرضت نفسها انطلاقاً من القرن التاسع: (فهذه الطبقة - صحابة النبي - كان لها قوة الحفظ والفهم

---

(١) مفكر جزائري ولد عام ١٩٢٨م بالجزائر. وبها بدأ دراسته، ثم أتمها بباريس عام ١٩٥٥م، حصل على الدكتوراه من جامعة (السربون) سنة ١٩٦٩م، حول (الإنسية العربية في القرن الرابع الهجري)، نشأ نشأة استشراقية ألقت بظلالها على نشاطه وإنتاجه الفكري، حاضر في العديد من الجامعات الفرنسية والعربية، ويعمل حالياً أستاذ بجامعة (السربون)

والفقه في الدين والبصر والتأويل، ففجرت من النصوص أنهار العلوم، واستنبطت منها كنوزها، ورزقت فيها فهماً خاصاً...، فهذا الفهم هو بمنزلة الكلأ والعشب الذي أنبتته الأرض الطيبة، وهو الذي تميزت به هذه الطبقة عن الطبقة الثانية، وهي التي حفظت النصوص، فكان همها حفظها وضبطها، فوردها الناس وتلقوها بالقبول، واستنبطوا منها واستخرجوا كنوزها)[١]، ويعلق أركون على ذلك بقوله مباشرة: "يتضح أكثر ما يتضح كيف يحذف تمجيد الجيل ـ الصحابي ـ الذي شاهد الوحي، يحذف المنظور التاريخي من الناحية العملية، فكل الحقيقة التي يمكن معرفتها، وكل التعاليم السنية في الإسلام، وكل نماذج السلوك الديني المحتذاة، ونماذج العمل الإنساني والتنظيم السياسي الاجتماعي، كل ذلك يتركز ويتحدد غاية التحديد في عصر التأسيس؛ في النصوص، الينابيع، النماذج (القرآن، الأحاديث النبوية المسماة سنة)، وهي مفهومة فهماً مثالياً وتحظى بتفسير الصحابة البارع، ثم إنها قد جُمعت ونُقلت بأمانة دقيقة من قبل التابعين وأجيال الفقهاء الورعين اللاحقين. وهذه السلسلة المتصلة من الشاهدين الذين لا يطالهم لوم؛ تجعل من الجائز أن يكون هناك مفهوماً إسلامياً صحيحاً معروفاً منذ أصوله، ومستمراً بواسطة المؤمنين ضد الانحرافات والالتواءات والتشوهات التي أقحمتها الفرق المبتدعة عبر العصور. وبالاستناد إلى حديث يُذكر دائماً أن محمداً نفسه قد أعلن أن أمته ستُقسم إلى ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا فرقة واحدة ناجية؛ لأنها هي التي اتبعت سنته بحذافيرها، أي: كل تعاليمه وكل ممارساته، وهذه

---

(١) نقض المنطق ص ٧٩.

الجماعة من المؤمنين الحقيقيين تسمى (أهل السنة والجماعة).

ومثلما يحدث في جميع الحركات الأيديولوجية الكبرى نهضت عدة جماعات في وجه المسلمين السنيين؛ احتجاجاً على دعواهم الانفراد بالإسلام الحقيقي والعمل على استمراره، ومن الجدير بالذكر أن نشير إلى أن كل فرقة تعلن عن نفسها أنها وحدها التي تستأثر بالسنة، ولكنها كلها تقيم الصلة ذاتها بعصر التأسيس، وذلك بوضع المصادرات التالية موضع التنفيذ:

أ- أن الوحي القرآني يشتمل على كل ما ينبغي على الإنسان أن يعرفه حول مصيره الخاص وحول الآخرة والتاريخ والعالم والله.

ب- لقد أبان محمد بقوله وعمله المعنى الدقيق للوحي، وأن حياته تؤلف على هذا النحو الأنموذج الكامل، الذي يترتب على كل مؤمن أن يسعى لمحاكاته.

ج- أن حياة محمد وتعليمه يمكن أن يُعرفا عن طريق الرواية التي لا ينالها الشك، مما قام به الصحابة والتابعون والفقهاء. ومما يلاحظ أن الخلاف يتناول دروب الرواية والوضع الأخلاقي الديني للرواة، ولكنه لا يمس نماذج الرواية ولا تقنيتها (سلسلة الإسناد). وإن الفرق كافة تستعمل إذن النشاط الذي يضفي الأسطورية على الماضي، وتمارس عمل الإسقاط ذاته لمفاهيم شتى، وأوضاع تاريخية متغيرة على لائحة الدلالات المثالية التي أقيمت في ذلك الوقت.

ج- أن قيمة السلوك الإنساني، وبوجه أعم قيمة النمو التاريخي للشعوب بعد سنة ٦٣٢ (سنة وفاة النبي ـ ﷺ ـ) إنما تتبع بدقة وظيفة ترسخها في النصوص ـ الينابيع ـ النماذج، وفي الأشكال الرمزية المثالية

(النبي، الصحابة، الأئمة)، وكل ابتعاد عن هذه النماذج لا يُعاش ولا يُطرح إلا بوصفه ضلالاً وانحطاطاً يصيب الأمة" [(١)].

ويقول مؤكداً تهمة (اللاتاريخية) في المنهج السلفي: "إن الطريقة التي أجاب بها الإصلاحيون السلفيون عن الواقع التاريخي كانت تتضمن نظرة أسطورية تجاه أصول الإسلام أكثر من كونها نظرة تاريخية، وذلك لأن الإصلاحيين زعموا أن الإسلام الأولي بإمكانه أن يحل مشاكل القرن التاسع عشر، وأن يواجه تغلغل الحداثة الاقتصادية والسياسية التي سبقتها في أوروبا ثورات وتجارب ديمقراطية وبرلمانية، وأيضاً تغلغل الحداثة الفكرية التي سبقتها في أوروبا أيضاً وفي القرن نفسه حركات علمية ضخمة. هذا كان عبارة عن وقائع تاريخية إيجابية، ولمواجهتها أراد المسلمون أن يقدموا إجابات من نوع أسطوري وليس تاريخياً"[(٢)]، ويقول: "أعتبر الموقف السلفي موقفاً ميتولوجياً، وذلك لكونه يريد العودة إلى ماضٍ موصوف بالمثالية"[(٣)]، ويقول أيضاً: "إن صورة الإسلام في قرنه الأول للهجرة ـ وهي الصورة التي تناقلتها الحركات الإسلامية ـ ليست صورة تاريخية وإنما أسطورية"[(٤)]، ويقول كذلك: "إن المسلمين ظلوا متعلقين بتصور هو أقرب إلى الأسطورية فيما

---

(١) الفكر العربي ص ٤٧ ــ ٤٩ بتصرف يسير، ط الثالثة ١٩٨٥م، دار عويدات، بيروت ــ باريس. وراجع كتابه (من الاجتهاد إلى نقد العقل الإسلامي) ص ٩٧ــ ٩٨، ط الثانية ١٩٩٣م، دار الساقي، بيروت ــ لبنان وهما بترجمة: هاشم صالح.

(٢) حوار البدايات مع محمد أركون، وهو حوار أجراه معه محمد رفرافي، منشور في مجلة (الفكر العربي المعاصر) في عددها الصادر في سبتمبر (أيلول) ١٩٨٩م، ص ٨٧.

(٣) المرجع السابق ص ٨٨.

(٤) المرجع السابق ص ٩٠.

يتصل ببواكير الإسلام، وإن الأسطورة هي أحد طرق التعبير عن الحقائق الإسلامية لدى الجماعات الإسلامية"[١].

ولذا نجده يدعو إلى إعادة قراءة وتشكيل الفكر والتاريخ الإسلامي مما يتعلق بالحوادث والأشخاص خلال القرنين الهجريين الأولين[٢].

ولما سُئل: هل يوجد إسلام واحد صحيح مصير أصحابه الجنة، وأن بقية الفرق الأخرى في النار؟.

أجاب: "هذا التصور رسخته الأدبيات البدعية (أي كتب الفرق الإسلامية وكتب الملل والنحل)، ومعظم الجهد الذي أقوم به الآن يتمثل في تجاوز هذه الأدبيات والخروج من موقعها الإيديولوجي الذي يخلع على نفسه غطاء الشرعية التيولوجية (أي اللاهوتية الإسلامية) دون أي حق أو برهان.. إن القول أن هناك حقيقة إسلامية مثالية وجوهرية مستمرة على مدار التاريخ وحتى اليوم ليس إلا وهماً أسطورياً لا علاقة له بالحقيقة والواقع... وسوف تنزاح الغشاوات عن عيون الناس وتسقط الأوهام الكبرى الشائعة التي تملأ وعي المسلمين بخصوص تاريخهم، فهم يتوهمون أن الإسلام السني كان موجوداً منذ البداية وعلى مستوى لحظة القرآن والخطاب القرآني، ولكن ذلك ليس إلا وهماً وسراباً...وأنا كمؤرخ نقدي يفتح عينيه جيداً لن أصدق هذا الزعم، لأني لو صدقته لما كنتُ مؤرخاً أو باحثاً، ولأصبحت عقائدياً متحيزاً"[٣].

---

(١) انظر: الفكر العربي ص ٤٦.

(٢) راجع: المرجع السابق ص ٤٥ وما بعدها.

(٣) الفكر الإسلامي ـ نقد واجتهاد ص ٢٤٦ ـ ٢٤٧ بتصرف يسير.

وينظر أركون إلى "الوحي" و"الحقائق الإسلامية الغيبية" و"الأصول التشريعية" نظرة بُعْديّة؛ منفلتة من مشاعر الاحترام والتقدير التي يحملها المسلم بداهة لكل ما يمس دينه ومعتقده. من ذلك ـ على سبيل المثال ـ قوله: "إن الفكر الإسلامي لا يمكنه أن يتهرب طويلاً، إن فعل الإيمان "الأرثوذوكسي" الأصيل الذي يصلح دوماً؛ يقوم على التأكيد بأن الدين يرتكز على الوحي الذي أنزله الله على الناس بواسطة الأنبياء، وبالتالي فإن الدين فوق المجتمع، ولكن الواقع العلمي الحديث ينزع إلى فرض الفكرة بأن الدين كله في المجتمع ومن المجتمع. الله بذاته بحاجة إلى شهادة الإنسان له"[1].

ومن ذلك: اعتقاده بأنه لكي نفهم ما سماه (الحادث القرآني)[2] وآثاره على الفكر العربي الإسلامي لابد ـ في نظره ـ من تحقيق "التاريخ الانتقادي للقرآن الكريم"، والذي ـ كما يقول ـ ليس "سوى إعادة بناء المجموع الصحيح لجميع النصوص التي نزلت على محمد باسم التنزيل والوحي"[3].

ومن ذلك أيضاً: ادعاؤه أن الحديث النبوي لم يصبح مصدراً ثانياً للتشريع بعد القرآن إلا بعد وضع الإمام الشافعي أصول الفقه ودّون أسسه في القرن الثاني الهجري[4].

---

(١) الإسلام الأمس والغد ص ١٢١ ــ ١٢٢، ط الأولى ١٩٨٣م، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت ــ لبنان، ترجمة: علي المقلد. وراجع: الفكر العربي ص ١٥٣.

(٢) أي الظاهرة القرانية.

(٣) الفكر العربي ص ٣٠.

(٤) انظر كلاً من: الفكر العربي ص ٧٦، وتاريخية الفكر الإسلامي ص ٧٥، ط الأولى ١٩٨٦م، مركز الإنماء القومي ــ بيروت، ترجمة: هاشم صالح.

ومن ذلك أيضاً: قوله عن تحديد الإمام الشافعي في كتابه (الرسالة) لمصادر التشريع الإسلامي بأنها: الكتاب والسنة والإجماع والقياس؛ قوله عن هذا التحديد بأنه: "الحيلة الكبرى التي أتاحت شيوع ذلك الوهم الكبير بأن الشريعة ذات أصل إلهي"[(١)].

ومن ذلك كذلك: قوله عن قاعدة الإجماع في أصول الفقه الإسلامي بأنها: بمثابة وجه آخر للقهر الفكري في التراث الإسلامي[(٢)].

ويصم أركون الحنابلة السلفيين ـ ولا سيما الإمامين أحمد بن حنبل وابن تيمية ـ بالتزمت واستعمال العقل استعمالاً أسطورياً[(٣)]، وبالإلحاف على وجوب الإقرار بأركان الإيمان دون التساؤل عن براهينها[(٤)]. ويدعي أن الإمام الشافعي في كتابه (الرسالة) "قد أسهم في سجن العقل الإسلامي داخل أسوار منهجية معينة؛ سوف تمارس دورها على هيئة استراتيجية لإلغاء التاريخية"[(٥)]، ويقول عن الإمام الطبري: "الطبري عندما كان يقول: يقول الله، ثم يُعطي تفسيره وكأنه مطابق تماماً لقول الله أو لمقصد الله، فإنه لم يكن يعرف أنه يتلاعب من غير وعي منه بالأنظمة التيولوجية"[(٦)].

ويشن أركون هجوماً عنيفاً على الفقهاء والمفسرين، ويكيل لهم العديد من السباب والشتائم مما لا يتفق بحال مع الطابع التاريخي العلمي

---

(١) تاريخية الفكر العربي الإسلامي ص ٢٩٧.

(٢) انظر: من الاجتهاد إلى نقد العقل الإسلامي ص ٧٧ ـ ٧٨.

(٣) انظر: الفكر العربي في الصفحات: ٩٠، ١٢٨، ١٣١، ١٥٣.

(٤) انظر: المرجع السابق ص ١٠٤.

(٥) تاريخية الفكر العربي الإسلامي ص ٧٤.

(٦) الفكر الإسلامي ـ نقد واجتهاد ص ٢١٩.

الموضوعي الذي يدّعي تقمصه في أبحاثه وكتاباته، ومن ذلك على سبيل المثال قوله: "الشيء الذي ينبغي أن يحظى باهتمامنا هنا وينبغي التركيز عليه هو ذلك الزعم المفرط والغرور المتبجح الذي يدّعيه الفقهاء بأنهم قادرون على التّماس المباشر بكلام الله[(١)]، وقادرون على الفهم المطابق لمقاصده العليا ثم توضيحها وبلورتها في القانون الديني"[(٢)]، وقوله - واصماً إياهم بصفة (الانتهازية) -: "سوف نرى فيما بعد أن انتهازية المشرعين تصبح أكثر وضوحاً وجلاء عندما يتنطعون لتعيين الآيات الناسخة والمنسوخة"[(٣)]. ويدعي أن الفقهاء كانوا يعتمدون في صدر الإسلام على آرائهم الشخصية في تقريرهم الأحكام الفقهية فيما يتعلق بالأحداث والوقائع المستجدة، ثم يُضفوا (يُسبغوا) عليها الصفة الشرعية[(٤)]. ويتهمهم بالتلاعب بالآيات القرآنية، فيقول: "إن المشرعين من البشر (أي الفقهاء) قد سمحوا لأنفسهم بالتلاعب بالآيات القرآنية من أجل تشكيل علم للتوريث يتناسب مع الإكراهات والقيود الاجتماعية الاقتصادية الخاصة بالمجتمعات التي اشتغل فيها الفقهاء الأوائل"[(٥)].

ويُصرُّ في معظم كتبه على وصف منهجهم بـ (الأرثوذكسية) الذي يعني - في نظره - الجمود والانغلاق الفكري؛ وفرض تفسيرهم لنصوص

---

(١) يعني فهم كلام الله، وهذا مدخل أساسي من مداخله لعزل القرآن عن الواقع الإسلامي، لأنه طالما ظل القرآن "طلسماً" لا يمكن ادعاء فهمه لأحد، فليس له قيمة علمية في الحياة على أية صورة.

(٢) من الاجتهاد إلى نقد العقل الإسلامي ص ١٥ ــ ١٦.

(٣) المرجع السابق ص ٣٨.

(٤) راجع: الفكر العربي في الصفحات : ٥٧، ٥٨، ٧٦، ١٠٧.

(٥) من الاجتهاد إلى نقد العقل الإسلامي ص ٦٧.

الكتاب والسنة بالقسر والقوة وعده التفسير الوحيد الصحيح المستقيم، وما عداه هرطقة وضلالاً. ويدعي أنهم يمارسون رقابة أيديولوجية صارمة على كل الفئات الاجتماعية وعلى كل مستويات الثقافة في البلاد الإسلامية، مما حد كثيراً من حرية البحث والتعبير، وأدى بالتالي إلى تأخر الفكر الإسلامي[١].

ويمتدح - في المقابل - المستشرقين، ويطري مناهجهم في دراسة الإسلام، ويدعي أن الاستشراق الآن "هو وحده الذي يؤدي إلى تقدم الدراسات في مجال الثقافة الإسلامية والفكر العربي، كما كان عليه الحال أيام غولدزيهر وجوزيف شاخت"[٢].

كما يمتدح علي عبد الرازق على ما أورده في كتابه (الإسلام وأصول الحكم)، ويدعي أنه لم يكن للخلافة الإسلامية أساس ديني، وأنها صنعت لنفسها وجهاً دينياً بواسطة الفقهاء[٣]، ويدعو إلى تطبيق العلمانية وممارستها في البلاد الإسلامية، بحجة أنها أصبحت ضرورة ملحة لهذه البلاد في وقتنا الراهن[٤]، وينكر على السلفيين قولهم أن "الإسلام دين ودولة"، واصفاً منهجهم بأنه منهج وثوقي (دوغمائي)، لأنه - في نظره - يفرض موقفاً من دون تحليله فكرياً وتبريره بدراسة تاريخية[٥]". انتهى كلام الدكتور مفرح القوسي - وفقه الله -.

---

(١) انظر: المرجع السابق ص ٢٧.

(٢) المرجع السابق ص ٣٠.

(٣) انظر: حوار البدايات مع محمد أركون ص ٨٩.

(٤) راجع كلاً من: تاريخية الفكر العربي الإسلامي ص ٢٧٥ وما بعدها، والفكر الإسلامي — نقد واجتهاد ص ٢٧٣ وما بعدها.

(٥) انظر: حوار البدايات مع محمد أركون ص ٨٩.

وقال الأستاذ محمد بن حامد الأحمري في مقال بعنوان (محمد أركون ومعالم من أفكاره) نشره في مجلة البيان (عدد ٣٥):

"تطورت في عصرنا هذا وسائل الدعاية لكل شيء بمقدار لم يسبق له مثيل، هذه الدعاية في قضايا الكماليات ووسائل الراحة قد تكون معقولة إلى حد ما، لكن الغريب من أصناف هذه الدعاية، الدعاية الفكرية لعامة الكتاب والشعراء والروائيين إلى درجة تدفع إلى السأم وعدم الثقة بأي شيء يشتهر من كتاب أو كاتب أو صحيفة، فيجعلك هذا لا تثق بالشهرة لأي عمل، إذ قد يكون في غاية الرداءة والفساد لكن جيوش الإعلام والترويج تحاصرك حتى تفقد بصيرتك. وقد حاصرتنا الدعاية في زماننا ورفعت في وجوهنا مجموعة من الكتاب والمفكرين والأدباء، وألصقتهم في وجوه ثقافتنا كرهاً، وألزمتنا بهم وحاصرتنا كتبهم في كل زاوية، وليس هذا الحصار فقط بين العرب، بل لقد شكت إحدى المستشرقات وقالت : إن أدونيس لم يقل شيئاً ولكن اللوبي الأدونيسي هو الذي أعطاه الأهميةً! هذا الجيش الدعائي من وراء كتاب صغار أو مغالطين كبار هو الذي أعطاهم أهمية كبرى في عالم الكتاب العربي.

قال أحد القراء: لقد رأيت كتب أركون ولفت انتباهي الدعاية الكبيرة لها، فذهبت مع القوم واشتريت منها وقرأت الأول والثاني فما أحسست بفائدة ولا ساعدني الفهم، وقلت: كاتب متعب، ولكن زادت الدعاية للرجل فقلت في نفسي: النقص في قدرتي على الدراسة والفهم، وسكت وخشيت أن أقول لأحد: لا أفهمه، حتى إذا كان ذات يوم جلست إلى قارئ وكاتب قدير وتناول كتاب "تاريخية الفكر العربي

الإسلامي" وقال: لقد حاولت أن أفهم هذا الكاتب أركون فما استطعت، فكأنما أفرج عني من سجن وقلت: رحمك الله أين أنت فقد كنت أبحث عن قارئ له يعطيني فيه رأياً، لا الذين أكثروا من الدعاية له دون دراية.

وحتى لا تضر بنا المبالغة في هذا إليك نموذجاً للدعاية الأركونية: علق هاشم صالح مترجم أركون إلى العربية في آخر كتاب "الفكر الإسلامي نقد واجتهاد" يقول هاشم: بعد أن تركت محمد أركون رحت أفكر في حجم المعركة التي يخوضها بكل ملابساتها وتفاعلاتها، وهالني الأمر فكلما توهمت أن حدودها قد أصبحت واضحة محصورة، كلما اكتشفت أنها متشابكة معقدة، شبه لانهائية. هناك شيء واحد مؤكد على أي حال: هو أن محمد أركون يخوض المعركة على جبهتين: جبهة الداخل، وجبهة الخارج، جبهة أصوليي المسلمين، وجبهة أصوليي المستشرقين:

وسوى الروم خلف ظهرك روم فعلى أي جانبيك تميل[1]؟

هذا مثل مما يفعل هذا المترجم، وقد يفاجئك مراراً بالمدح في وسط الكتاب أو في المقدمة أو في الهامش[2] أو في لقاءاته مع أركون التي تمثل جزءاً كبيراً من أعماله، فهذه طريقة في الكتابة جديدة إذ يجري المترجم حواراً حول أفكار أركون بعد كل فصل أو في آخر الكتاب كما في "الفكر الإسلامي قراءة علمية"، أو "الفكر الإسلامي نقد واجتهاد".

---

(١) الفكر الإسلامي فكر واجتهاد ص ٣٣٥، "حقاً إن أركون أشد على الإسلام هجوماً من مفكري الروم وسيأتي بيان ذلك".

(٢) انظر الكتاب السابق ص ٢٤٥ ومواقع عديدة في "الفكر الإسلامي قراءة علمية".

أثناء قراءة أعمال أركون قد تصادفه ينقد مدرسة عقائدية أو فقهية، ويحاول أن يقول إنها خرافة، وأسطورة دغمائية كما يحلو له أن يكرر، وتقول: لعله ينصر المدرسة الأخرى، فهو إما شيعي أو خارجي، ثم يخرج عليك في صفحة أخرى وهو يعرض بعدم معقولية فكرة الإمامة لدى الشيعة[١]، ثم في مكان آخر لايتفق مع الإسلام السني المتزمت في نظره[٢] علماً أن السني عنده هم الأشاعرة، وأما أحمد وابن تيمية فيدعوهما حنابلة متزمتين. وتحاول جاهداً أن تقف تماماً على مايريد فإذا هو متناقض لا يؤمن بشيء ولا يرى أن لهذا العلم أو التراث الإسلامي أي مكانة إلا في عين المدارس النقدية الغربية، فما أقرته فهو الحق والمحترم ـ كنص للدراسة ليس أكثر من نص بشري قابل للأخذ والعطاء ـ وما لا تقره المكتشفات الأسلوبية اللغوية الاجتماعية والنفسية المعاصرة فإنه لا يرى إقراره والاهتمام به لقدمه وتخلفه عن العصر.

ولعل كتاب "الفكر العربي" أول كتبه المترجمة إلى العربية وفيه تلخيص غامض لجل ما قال في الكتب الأخرى، وأشار فيه بكثير من التحفظ إلى آرائه في القرآن والسنة والشيعة والحداثة والتجديد.

عند أركون أهداف واضحة لمن يستقرئ أعماله ويصبر على التزوير والمراوغة واللعب بالكلمات في غير معانيها حتى يحصل على هدفه الكبير من كل مشروعه وسيأتي بيان الهدف بعد ذكر وسائله إليه.

---

(١) أركون، مقابلة مع أدونيس،بجلة "مواقف"، عدد رقم ٥٤ ـ ربيع عام ١٩٨٨، ص ١٠.

(٢) أركون، الفكر العربي، ترجمة عادل العوا، ص ١٢٨ والفكر الإسلامي نقد واجتهاد ص٩، ولعل كتاب "الفكر العربي" أول كتبه المترجمة إلى العربية وفيه تلخيص غامض لجل ما قال بعد في الكتب الأخرى وفيه إشارة بكثير من التحفظ إلى آرائه في القرآن والسنة والشيعة والحداثة والتجديد.

الوسائل:

أول وسائله نقد الكتاب الإسلاميين الذين ليست لهم صلة بالمدارس الغربية في الفكر، والذين ليس لهم إلمام بعلوم اللسانيات والاجتماع والنفس والنظريات التي خرجت - فيما يرى - بعد الخمسينات من هذا القرن الميلادي، وبالتالي يطالبهم بالمشاركة والدراسة لمستجدات النظريات الإنسانية الغربية، ثم هو يستخدم نظريات ميشيل فوكوه في مسائل المعرفة والسلطة، ويرى تاريخية المعرفة وبكونها قابلة للتغيير والتطوير والشمول، وأهم جوانب المعرفة التي يتحدث عنها المعرفة الدينية بكل أبعادها، ويرى اعتبار المعرفة الإسلامية نموذجاً أسطورياً يزعج المسلمين ويهز إيمانهم، ولكن لابد - كما يرى - من بناء مفاهيم جديدة مستمدة من الاحتياجات الجديدة كما فعل السلف، ويرى أن هناك مناطق عديدة في الفكر الإسلامي لا تمس ولا يفكر فيها مثل مسألة عثمان - ﷺ - وقضايا جمع القرآن، والتسليم بصحة أحاديث البخاري والموافقة على الأصول التي بناها الشافعي، ويرى أنه يضع أساساً للاجتهاد وعقلانية جديدة[1]، وهو يرى أن الوعي الإسلامي قد انشق فيما بين السنة والشيعة، والوسيلة عنده ليست بالتوفيق بين الجانبين ولا الانتقاء منهما إنما الوسيلة نقد الطرفين وهو يعتنق "النقدية الجذرية" للطرفين وإسقاط كل الحجج التي بأيدي الجميع، وبالتالي فإن النص السني مغلوط ومزور والنص الشيعي نص العدالة والعصمة مغلوط ومزور وأسطوري، والمطلوب أن يتحرر كل

---

(١) عيسى بلاطة، توجهات وقضايا في الفكر العربي المعاصر، ص ٨٩-٩٠.

من الفريقين من نصه فيتوحدان[(١)].

الأهداف:

من أهم ما يهدف له أركون في كتاباته المكررة والمملة نزع الثقة من القرآن الكريم وقداسته واعتباره نصاً اسطورياً[(٢)] قابلاً للدراسة والأخذ والرد. وهو يغالط كثيراً في معنى كلمة "أسطورة" ويقول: إنه يعاني من صعوبة هذه الكلمة على أسماع العرب الذين يربطون بين هذه الكلمة وبين الأكذوبة أو الخرافة، لكن ما هي الكلمة التي يستخدمها أركون في تعبيره عن القرآن باللغة الفرنسية التي يكتب كل كتبه بها.

إنه استخدم كلمة MYTHE وبالإنجليزية MYTH وكلتا الكلمتين تعني الخرافة أو الحكاية والكلمتان جاءتا من الكلمة الإغريقية MUTHIOS وهي تعني في جميع اللغات الأوربية حكاية خرافية شعبية تتحدث عن كائنات تجسد ـ بصورة رمزية ـ قوى الطبيعة والوضع الإنساني[(٣)].

ثم إذا سلم بهذه الأسطورة ـ بزعمه ـ فإنها أولاً لم تصلنا بسند مقطوع الصحة، لأن القرآن ـ كما يقول ـ لم يكتب كله في حياة الرسول ـ ﷺ ـ بل كتب بعض الآيات ثم استكمل العمل في كتابة القرآن فيما بعد[(٤)] وهذه من المغالطات التي يسوقها أركون بكل سهولة ويخلط فيها مابين قضية الجمع وقضية الكتابة، وبزعم أن الظروف السياسية هي التي

---

(١) رضوان السيد، الإسلام المعاصر، ص ١٩٠.

(٢) محمد أركون، الفكر الإسلامي قراءة علمية، ص ٢٠٢ وما بعدها.

(٣) محمد العربي الخطابي، مقال بعنوان "الأسطورة الأصلية في رأي أستاذ جامعي"، جريدة الشرق الأوسط ٢٦/٢/١٩٩٠.

(٤) محمد أركون الفكر، الإسلامي نقد واجتهاد، ص ٨٥-٨٦.

جعلت المسلمين يحافظون فقط على قرآن واحد ويتركون ماعداه[١].

ومن أجل أن يمهد لما يريد من إنكار القرآن سنداً في أول الأمر يدخل بعد ذلك إلى نصوص القرآن فيشكك في القصص والأخبار ويرى أن التاريخ الواقعي المحسوس هو الذي يحاكم إليه القرآن، فالأخبار والآثار التاريخية هي الموثوقة! ولنقرأ له هذا النص الذي يجد القارئ في كتبه كثيراً مثله يقول:

"ينبغي القيام بنقد تاريخي لتحديد أنواع الخلط والحذف والإضافة والمغالطات التاريخية التي أحدثتها الروايات القرآنية بالقياس إلى معطيات التاريخ الواقعي المحسوس"[٢].

ويرى أن القرآن عمل أدبي لم يدرس كما يجب إلا من قبل ندرة أهمهم عنده "محمد أحمد خلف الله" عندما كتب عن القصص الفني في القرآن وقال إن القصة القرآنية مفتعلة، ويتحسر على عدم استمرار "خلف الله" ويذكر أن الأسباب التي لم تمكن "خلف الله" في عمله أنه راعى الموقف الإسلامي الإيماني أولاً، وثانياً لنقص المعلومات. إذن فقد آل الأمر إلى أركون الذي سيهاجم القرآن، لأنه لا يراعي الموقف الإسلامي الإيماني لأنه مطلع على الأبحاث الجارية. ومع زعمه أنه يعرف الأبحاث الجارية التي كتبها فوكوه والحاخام دريدا، فإنه يظهر للقارئ بشكل يجعله لا يثق في قدرة أركون ولا أنه فهم ما زعم فهمه من قضايا المعرفة ونقد اللاهوت ونظريات البنيوية وما بعدها[٣]،

---

(١) المصدر السابق، ص ٨٦.

(٢) أركون، الفكر الإسلامي قراءة علمية، ص ٢٠٣.

(٣) انظر مجلة الحوار، عدد ٩، ص ١١٧ــ ١١٨.

ويعاني في عرضه للأقوال من عدم التوثيق أو القول الصحيح لما ينقل، إذ يقلب كل قضية قرآنية أو تفسيرية أو سياق لعلم حتى يفسد المعنى ويلويه إلى ما يريد كما مر معنا في مسألة كتابة القرآن، ومثال آخر يعرف الوحي بقوله: إنه يدعي بالتنزيل أي الهبوط من فوق إلى تحت"[1].

معاني القرآن:

لو تجاوزنا قضية شكه في القرآن ورده للسنة من باب فماذا يفسر به القرآن وكيف يفهمه؟ إنه يقول: "إن القرآن ـ كما الأناجيل ـ ليس إلا مجازات عالية تتكلم عن الوضع البشري، إن هذه المجازات لا يمكن أن تكون قانوناً واضحاً، أما الوهم الكبير فهو اعتقاد الناس ـ اعتقاد الملايين ـ بإمكانية تحويل هذه التعابير المجازية إلى قانون شغال وفعال ومبادئ محدودة تطبق على كل الحالات وفي كل الظروف"[2].

ويقول في موضع آخر:

"إن المعطيات الخارقة للطبيعة والحكايات الأسطورية القرآنية سوف تتلقى بصفتها تعابير أدبية، أي تعابير محورة عن مطامح ورؤى وعواطف حقيقية يمكن فقط للتحليل التاريخي السيولوجي والبسيكولوجي اللغوي ـ أن يعيها ويكشفهما"[3].

ويفصل أركون بين القرآن والشريعة، فالقرآن عنده خطاب مجازي يغذي التأمل والخيال والفكر والعمل ويغذي الرغبة في التصعيد والتجاوز، والمجتمعات البشرية لا تستطيع العيش طيلة حياتها على لغة

---

(١) الفكر الإسلامي نقد واجتهاد، ص ٧٩.

(٢) تاريخية الفكر الإسلامي، ص ٢٩٩.

(٣) الفكر الإسلامي قراءة علمية، ص ١٩١.

المجاز"[١] ولكن هناك البشر المحسوسون العائشون ـ كما يقول ـ في مجتمع وهناك أمورهم الحياتية المختلفة التي تتطلب نوعاً من التنظيم والضبط وهكذا تم إنجاز الشريعة[٢] ثم يعقب بأن هناك مجالاً أسطورياً مجازياً وهو مجال القرآن، ومجال آخر واقعي للناس هو مجال الشريعة ويقول: "إنه وهم كبير أن يتوقع الناس علاقة ما بين القرآن والشريعة التي هي القوانين الشرعية وأن المناخ الميثي (الأسطوري) الذي سيطر على الأجيال السابقة هو الذي أتاح تشييد ذلك الوهم الكبير، أي إمكانية المرور من إرادة الله المعبر عنها في الكتابات المقدسة إلى القوانين الفقهية (الشريعة) وحجته في ذلك ما يلي: في الواقع أن هناك أنواعاً مختلفة من الكلام (من الخطاب) وهناك فرق بين خطاب شعري أو ديني، وخطاب قانوني فقهي أو فلسفي، ولا يمكن لنا أن نمر من الخطابين الأولين إلى الخطابات الأخرى إلا بتعسف واعتباط"[٣] ألا ترى أنك يا أركون قد استطعت أن تمرق من الخطابين ؟!

مكانة السنة عنده:

ليس هذا مجالاً لمتابعة هذه الأقوال والرد عليها، فيكفي هنا التعريف بمعالم فكره بما فيها جرأته على الشك في ثبوت وصول القرآن إلينا، وجرأته على نفي الحديث والزعم بأن الظروف السياسية وأوضاع المجتمعات التي انتشر فيها الإسلام احتاجت إلى أحاديث وقال: "إن السنة كتبت متأخرة بعد موت الرسول ـ ﷺ ـ بزمن طويل وهذا ولد

---

(١) تاريخية الفكر الإسلامي، ص٢٩٩.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٩٩.

(٣) المصدر السابق، ص ٢٩٩.

خلافات لم يتجاوزها المسلمون حتى اليوم بين الطوائف الثلاث السنية والشيعية والخارجية، وصراع هذه الفرق الثلاث جعلهم يحتكرون الحديث ويسيطرون عليه لما للحديث من علاقة بالسلطة القائمة"[١].

وهو يرى أن الحديث هو جزء من التراث جعلهم يحتكرون الحديث ويسيطرون عليه لما للحديث من علاقة بالسلطة القائمة". وهو يرى أن الحديث هو جزء من التراث الذي يجب أن يخضع للدراسة النقدية الصارمة لكل الوثائق والمواد الموروثة كما يسميها[٢]، ثم يقول:"وبالطبع فإن مسيرة التاريخ الأرضي وتنوع الشعوب التي اعتنقت الإسلام ـ قد خلقت حالات وأوضاعاً جديدة ومستحدثة لم تكن متوقعة أو منصوصاً عليها في القرآن ولا في الحديث، ولكي يتم دمجها وتمثلها في التراث فإنه لزم على المعنيين بالأمر أن يصدقوا عليها ويقدسوها إما بواسطة حديث للنبي، وإما بواسطة تقنيات الحاجة والقياس"[٣].

تلك هي مكانة الشريعة عنده وهذه مكانة أحاديث الرسول ـ ﷺ ـ إذ لا يرى أي تشريع جاء به القرآن، وأن القرآن خطاب أدبي عاطفي لا علاقة له بالحياة، والشريعة ضرورة اجتماعية أملتها ظروف المجتمع وحاجة الناس، وهي في مجموعها تراث إذا قابلت في الطريق ثقافة مجتمع آخر أو استجد شيء فإن هذا الجديد يدمج في هذا التراث بواسطة حديث أو قياس، وهو يناقض نفسه تماماً، إذ لو لم تكن الشريعة

---

(١) أركون، الفكر الإسلامي نقد واجتهاد، ص ١٠٣.

(٢) أركون، الفكر الإسلامي نقد واجتهاد ، ص ١٠٨.

(٣) أركون، الفكر العربي، ص ١٧٤ ترجمة عادل العوا.

من غير هذين المصدرين كأساس لما سعى المعنيون بالأمر ـ كما يسميهم ـ لفعل ما كذبه عليهم. وهذا مثال واحد كبير من الغث والانحراف والكفر الذي يملأ به كتبه، كله يناقض بعضه بعضاً، وكفاه زوراً أو جرأة على كتاب الله قوله: "وليس في وسع الباحثين أن يكتفوا اليوم في الواقع بالتكرار الورع للحقائق الموحى بها في الجزيرة العربية في القرن السادس والتي طرحت منذئذ على أنها بآن واحد مما يمكن تعريفه واستخدامه وأنها متعالية[(١)]" وهو يرى أن الباحثين ـ يعني نفسه ومن تابعه ـ (إذ حتى كبار الكفار من المستشرقين لم يحملوا على القرآن والسنة والأمة كالحملة التي يقودها أركون ولم يستطيعوا القول بكل هذه الافتراءات في آن واحد) ـ لا يسعهم تطبيق القرآن لأنه نزل في الجزيرة في ذلك الزمن القديم، وهو لا يرى نفسه وهو يقدس ويستسلم لبقايا قوانين الرومان، بل ويحاسب الإسلام على أفكار فوكوه هل تتطابق معها أم لا، ويقول في نفس الوقت بأن القرآن حقائق، وقد سبق أن قال إنه مجازات عالية وقد أجمع القائلون بالمجاز على أن كل مجاز يجوز نفيه ويكون نافيه صادقاً في نفس الأمر[(٢)]، علماً بأن المجاز بالأسلوب الذي يريده أركون أبعد بكثير من المجاز الذي حدث فيه الخلاف بين المسلمين والذي قال فيه الشنقيطي إن وروده في القرآن غير صحيح ولا دليل يوجب الرجوع إليه من نقل ولا عقل، ونحن ننزه القرآن على أن نقول فيه مجاز بل نقول كله حقائق[(٣)].

---

(١) الشنقيطي، منع جواز المجاز، ص ٨.

(٢) الشنقيطي، منع جواز المجاز ، ص ٥١.

(٣) للتوسع يراجع الفصل الأخير من كتابه "الإسلام أصالة وممارسة" ترجمة د.خليل أحمد، وأيضاً مواضع متعددة من "الفكر الإسلامي قراءة علمية".

ونقل الشنقيطي عن عدد من العلماء عدم جواز المجاز في اللغة أصلاً فضلاً عن القرآن، وهو ـ أي الشنقيطي ـ ممن يرى هذا، وأركون لا يرى أن آيات الأحكام هي المجاز، ولا آيات الصفات كما قال بعض السابقين المخالفين لأهل السنة، لكنه يرى كل القرآن مجازات عالية، ومرة يقول متعالية أي تكون بعيدة عن المجتمع سياسة واقتصاداً واجتماعاً، إنما تهذيب روحي لا علاقة له بالدنيا.

وليس هذا مكان الحديث عن المجاز ولا الخلاف فيه. لكن جاء بمناسبة خلط أركون وتناقضه، إذ يقول: القرآن حقائق نزلت قديماً ثم يرجع ويقول مجازات عالية. إن أركون يهدم كل شيء ولا يقيمك على سنن ولا يثق بأحد ولا بعلم أحد، فهو يسخر من كل من سبقه حتى يسخر من الطبري ومن طريقته في التفسير. ومادام قد اجترأ على كتاب الله وسنة رسوله كل هذه الجرأة فماذا يتوقع القارئ عن غيرها. وهناك جوانب عديدة يستنكرها كقضايا الثواب والعقاب والبعث بعد الموت[1]. ويرى في آيات القرآن التي تحدثت عن الجنة وثوابها سياقات شعرية، وأيضاً يرى رمزية العذاب.

خلاصة :

يرى أركون أن القرآن والكتب السابقة تعاني من سياق واحد، ويضع القرآن مع الأناجيل في مستوى من الثبوت والدراسة واحد، ويرى أهمية النقد والتجديد. وعمله هذا النقدي السلبي النافي ـ الذي يمسخ كل الحقائق وكل المعاني ـ لا يمكن بحال أن يكون مذهباً فكرياً بديلاً، بحيث يحل محل شيء من الفرق أو الجماعات التي وجدت على

(١) رضوان السيد، الإسلام لمعاصر، ص ١٩٠.

الساحة الإسلامية وليس بأسلوب يمكن قبوله من قبل السنة أو الشيعة، ذلك أنه يلغي الجميع ويرى العدمية[١] التي يقدمها هي البديل أو التجديد، فالشك والجحود بكل شيء لن يكون أبداً بديلاً للإيمان، إذ هذا العدم لا يكون ديناً ولا يبني خلقاً، وهو يرى ـ مع هذا ـ ضرورة النظام في حياة الناس ويرى أهمية القوانين وهذه القوانين عنده تنشئها الضرورة الاجتماعية، لكن أي مجتمع وأية قوانين؟ أما المجتمع فلا يرى أركون أن يكون للإسلام سلطة عليه؛ لذا فليس للإسلام أن يسن أي قانون في ذلك المجتمع إذ ليس للإسلام في نظره أي قانون ولا علاقة بالوجود، وهو قد بذل وعصر كل سمومه وآفات الملحدين في الغرب لينكر المصادر أولاً ثم لو افترض إثباتها فليس لها حقائق ولا معاني تمس الناس، ثم إذا فهم منها معاني فتلك المعاني جاءت للحاجة والضرورة؛ لأنه لم يكن هناك قوانين في المجتمع. وقد علق أحدهم على نمط تفكير أركون وأسلوب تعامله مع النصوص فقال: إن تجديدية أركون هي تجديدية عدمية ولا نحسب أن مسلماً عاقلاً يهتم لقراءة أركون النافية وهذا ملخص لبحث مطول يتناول كتب ومقالات أركون، ومع أن أعماله غير معقولة لكن ـ ويا للأسف! ـ إن الذي يتحكم في سلوك وأفكار العالم الإسلام اليوم هو (اللامعقول) لهذا يحتاج إلى بيان)) انتهى كلام الأستاذ الأحمري ـ وفقه الله ـ.

وقال الدكتور أحمد إبراهيم خضر في مقال له بعنوان: (أبعاد التخريب العلماني: محمد أركون أنموذجاً) نشره في مجلة البيان (عدد١٢٣):

"بالأمس طلب خالد بن عبد الله القسري، أمير العراق الجعد بن

(١) رضوان السيد ، الإسلام المعاصر، ص ١٩٠.

درهم حتى ظفر به، فخطب بالناس في يوم الأضحى، وكان آخر ما قاله في خطبته: أيها الناس ضحوا، تقبّل الله ضحاياكم، فإني مضح بالجعد بن درهم، فإنه زعم أن الله لم يكلم موسى تكليماً، ولم يتخذ إبراهيم خليلاً، تعالى الله عما يقول الجعد علواً كبيراً ثم نزل فذبحه في أصل المنبر، فكان ضحية، ثم طفئت تلك البدعة فكانت كأنها حصاة رُمي بها[(١)]

واليوم.. المرعى الإسلامي غداً بابه مفتوحاً لكل (عرجاء) و(عوراء) لا يجزئ لحمها في الأضحية[(٢)].

إنهم أهل التخريب العقدي، يحاربون الإسلام من داخله بإثارة شكوك المسلمين بما يؤمنون به، يهدفون عبر زعزعة الترابط العقدي تفكيك المجتمع الإسلامي برمته[(٣)] يصفون أنفسهم بأنهم علماء مجتهدون متفرغون لتطوير المعرفة[(٤)] ولا تخرج مقولاتهم عند كونها لوناً من ألوان (الرقاعة الثقافية)[(٥)] يميزون أنفسهم عن المسلمين الآخرين (المقلدين)، أما هم فإنهم باحثون تحرروا مما أطلقوا عليه (المعارف الخاطئة) التي تعارف عليها كل المسلمين عن الإسلام، يدعون إلى العقلانية ويطالبون

---

(١) الجعد بن درهم مبتدع ضال قال بخلق القرآن وكان مؤدب مراون بن محمد قتله خالد بن عبد الله القسري سنة ١١٨هـ يوم النحر، انظر ابن قيم الجوزية الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة تحقيق د.علي بن محمد الدخيل الله ج٣ دار العاصمة الرياض ١٤١٢هـ حتى ١٠٧١.

(٢) سليمان بن صالح الخراشي، محمد عمارة في ميزان أهل السنة والجماعة دار الجواب الرياض ١٤١٣هـ-١٩٩٣م ص ٩.

(٣) محمد أركون، أين هو الفكر الإسلامي المعاصر، ترجمه هاشم صالح، دار الساقي ص ٧.

(٤) محمد أركون، أين هو الفكر الإسلامي المعاصر، ترجمه هاشم صالح، دار الساقي ص ٧.

(٥) (الرقاعة الثقافية) تعبير استخدمه الدكتور عبد الصبور شاهين في كتابه قصة أبو زيد وانحسار العلمانية في جامعة القاهرة، الدار الذهبية، القاهرة ص ١٣.

باتساع العقل وحرية البحث حتى في القضايا الدينية الحساسة التي ترتبط بما هو مقدس ولا يمس (كالوحي والقرآن والسنة)، يشجعون الإبداع الفكري الذي يصل عندهم إلى حد القول بأن الاعتقاد بأن الشريعة ذات أصل إلهي (وهم كبير)[1] ومع كل هذا الانحراف والضلال يطالبون الآخرين بالتسامح معهم والإقبال على مناظرتهم، وعدم الخلط بين العرض العلمي للقضايا ومواقف العوام، والتقيد بما يفرضه البرهان العقلي، يتهمون ما يسمى (بالخطاب الإسلامي) بأن خطاب مليء بالنقائض والرذائل والثالب، يحمّل المفكرين (أمثالهم) ما لم يفكروا فيه،وما لم يدّعوه، وما لم ينطقوا به[2].

ماذا يريدون بالضبط؟

همهم الأول القضاء على الإيمان العقدي ومحوه من الأفق البشري: حتى لا يبقى هناك إلا الأفق الاجتماعي، يريدون منا أن ندخل تجربة الغرب التاريخية التي خاضها منذ أكثر من قرنين فتخلص من الأفق الديني القروسطي (نسبة إلى القرون الوسطى) .

لا يجهلون الإسلام وإنما يصرون على تحليله في ضوء النصرانية الكنسية والقرون الوسطى التي ارتبطت في أذهان الغرب بالتصور المظلم والمرعب عن الدين، أفقهم المعرفي لا يخرج عن حدود الفكر الغربي والثقافة الأوروبية، يتزلفون للغربيين حتى القسس منهم على حساب دينهم، ولهذا يضيقون ذرعاً بمطالبة الإسلاميين بخصوصية إسلامية وأصالة عقلية وعلمية مطلقة جعلتهم في غنى عما أبدعته انحرافات

---

(١) أمين أبو عز الدين مرجع سابق ص ٢٤.

(٢) محمد أركون مرجع سابق ص ٣

الفكر الغربي والبحث العلمي خارج دائرة المعارف الإسلامية المتأصلة في القرآن والمنطلقة منه، فراحوا يتصورون أن الإسلاميين كآباء الكنيسة يقتلون في الإنسان حس المبادرة والحركة ويدعون إلى الاستكانة والاستسلام ورفض الانخراط في العالم[١] .

أهل السنة والجماعة في نظر أهل التخريب العقدي (أورثوذكسيون):

لأنهم يجمعون على عقيدة إسلامية صحيحة ومستقيمة، ويبرزون معايير التفرقة بينها وبين البدع والاعتقادات الطارئة المنحرفة عن الإسلام (والأورثوذكسية) أصلاً مصطلح غربي نقله أهل التخريب إلى العربية ولا يربطونه بالمذهب الأورثوذكسي في النصرانية، لأنه مصطلح سابق على ظهور هذا المذهب، لا يروق لهم المعنى الحرفي للكلمة (وهو الطريق المستقيم أو الطريق الصحيح) إنما يأخذون معناها الاصطلاحي وهو (النواة العقائدية الصلبة والمغلقة على ذاتها لدين ما، أو لإيديولوجية ما ، أو اتجاه سياسي ما، والتي ترفض كل ما يقع خارجها باعتبار أنه ضلال وهرطقة) .

يقول أهل التخريب إنهم لم يستطيعوا ترجمة مفهوم (الأورثوذكسية) بكل أبعاده الأيديولوجية بالسنة؛ لأن أهل السنة والجماعة قد احتكروا المفهوم لصالحهم وعدلوا به عن معناه في القرآن[٢] ، ولم يعط أهل التخريب العقدي دليلاً واحداً مقنعاً يبين صحة تأويلاتهم الفاسدة الخارجة أصلاً عن حدود القرآن والسنة.

---

(١) المرجع السابق ص ٣٠، ٦٦، ص ٨.

(٢) المرجع السابق ص ١٦، ١٩.

وحتى لا يتهم أهل التخريب العقدي بالكفر، سارعوا إلى وضع مفهوم جديد للإيمان والكفر فهموا من الإمام الغزالي أن الكفر هو تكذيب الرسول - ﷺ - في شيء مما جاء به، والإيمان هو تصديقه في جميع ما جاء به، فاليهودي والنصراني كافران لتكذيبهما الرسول - ﷺ - والبراهمي كافر بالطريقة الأولى لأنه أنكر مع رسولنا سائر المرسلين.

هذا الذي يتبنى مفهوم الغزالي عن الكفر ويطبقه على (العلماء المجتهدين) أمثالهم رجل مقلد بلغ درجة من العمى والتعصب في أحكامه؛ لأن الإيمان والكفر في فلسفة أهل التخريب العقدي مرتبطان بالبحوث النفسانية واللغوية عن تكوين البنية الشخصية والجماعية التي ينشأ فيها كل فرد. ولم يكتف أهل التخريب العقدي بذلك بل ألقوا مسائل الحلال والحرام والمقدس والقصص الديني في أحضان العلوم الحديثة (علوم الإنسان والمجتمع)[١] التي تعطي لها تفسيراً خاصاً يخرج بها كلية عن ارتباطاتها العقدية. ومن المسلّم به في العلوم الاجتماعية أن نظرياتها التقليدية ترى أن الأفكار الدينية زيف ووهم، أما نظرياتها الحديثة فتتجنب مسألة حقيقة الدين، لكنها تغذي هذه التحليلات التي تحقر من أي رؤية جدية للأفكار الدينية وتنظر إليها على أنها غير حقيقية[٢].

موقفهم من خاصية ثبات الأصول:

واجهت أهل التخريب العقدي مشكلة النظرة العقلية المستمرة

---

(١) المرجع السابق ص ٦،٧،٥.

(٢) انظر: الأساس الإلحادي للنظريات المعاصرة في علم الاجتماع في كتابنا: علماء الاجتماع وموقفهم من الإسلام، المنتدى الإسلامي، لندن، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣، ص ١٧٧-١٩٣

والمتكررة التي ترى وجود إسلام صحيح يتطابق مع مفهوم الدين الحق لمكافحة البدع والرد على أهل الأهواء والنحل، وإبطال الملل الضالة المضلة، وإبعاد أو إخضاع جميع المنحرفين عن الصراط المستقيم والحق المبين فقالوا إن الإجماع بأن هناك إسلاماً جوهرياً لا يقبل التغير ولا يخضع (للتاريخانية)[١] هو كالأقنوم الإلهي يؤثر في الأذهان والمجتمعات ولا يتأثر بها ليس إلا تحجراً عقلياً وتطرفاً وتعصباً وإرهاباً، ودعوا إلى العدول عن هذه النظرة التقليدية والإقرار بضرورة التعددية العقائدية، ويسوّغون دعواهم الضالة والمضلة بأن النصوص القرآنية قد ألهمت ولا تزال تلهم (تأويلات) بتغير الزمان والمكان[١] .

يؤمن أهل السنة والجماعة بأن التأويل الذي دلت عليه النصوص وجاءت به السنة ويطابقها هو التأويل الصحيح، والتأويل الذي يخالف ما دلت عليه النصوص وما جاءت به هو التأويل الفاسد، وكل تأويل وافق ما جاء به الرسول ـ ﷺ ـ فهو المقبول وما خالفه فهو المردود، لكن أهل التخريب العقدي بعد أن طرحوا بعيداً ربط الكفر بتكذيب الرسول ـ ﷺ ـ ردوا السنة برمتها إلى دائرة (البحث التاريخي)[٢] وسعوا إلى إعادة قراءة النصوص الدينية تلك التي أسموها بالنصوص التأسيسية أو النص الأول (القرآن) والنصوص الثانية (السنة وغيرها) في ضوء العلوم الحديثة.

---

(١) التاريخانية مصطلح طبقة أهل التخريب العقدي على الإسلام ويعنون به فهم الإسلام في حدود الحقبة الزمنية التي ظهر فيها وفي ضوء البيئة الاجتماعية والثقافية التي عمل عبرها مع التأكيد على نسبية وعدم اتساع قواعده ومفاهيمه لتطبق على حقب زمنية لاحقة .

(٢) محمد أركون مرجع سابق ص ٤-١٧.

(٣) انظر التاريخانية .

والتأويل عند أهل التخريب العقدي لا يخرج عما يقوله عنهم (ابن القيم) من أنه (استخراج معاني النصوص وصرفها عن حقائقها بأنواع المجازات وغرائب اللغات ومستنكر التأويلات، فأدى بهم هذا الظن الفاسد إلى نبذ الكتاب والسنة وأقوال الصحابة والتابعين وراء ظهورهم، فجمعوا بين الجهل بطريقة السلف والكذب عليهم وبين الجهل والضلال بتصويب طريقة الخلف. (والتأويل) إذا تضمن تكذيب الرسول ـ ﷺ ـ فحسبه ذلك بطلاناً) وتأويلات أهل التخريب العقدي من هذا الطراز[1] .

القطعية المعرفية ماذا تعني؟

خرج علينا أهل التخريب العقدي بمصطلح جديد أسموه (القطعية المعرفية) ومن المعروف عنهم أنهم لا يأتون بجديد، وإنما يستخرجون أفكارهم بعد أن يدخلوا جحر كل ضب دخله قبلهم المفكرون الغربيون ثم يلوكون هذه الأفكار ويطبقونها على الإسلام.

ومصطلح (القطعية المعرفية) طرحه أصلاً المفكر الإيطالي (فيكو) وكتب فيه الأمريكي (توماس كون) وعالم الرضيات الفرنسي (رينيه توم) تناول كل هؤلاء مسألة القطعية في تاريخ العلوم وكيفية تفسيرها متى تحدث القطعية في فكر ما؟ ما هي الشروط الموضوعية التي ينبغي توافرها لكي تحصل القطعية؟ أي: لكي يتوقف الناس فجأة عن التفكير بالطريقة التي كانوا يفكرون بها سابقاً منذ مئات السنين ولأن الحقد والغل يملأ قلوب أهل التخريب العقدي على الإسلام طبقوا هذا المفهوم على الإسلام، فدعوا إلى التوقف عن التفكير في الإسلام

---

(١) ابن القيم (بتصرف) مرجع سابق ج١، ص ١٦٣، ١٨٧، ١٩٢.

بالطريقة التي يؤمن بها الناس حالياً والتفكير فيه بطريقتهم التدميرية.

ويدعونا أهل التخريب العقدي إلى أن ندرك معنى القطعية المعرفية، أي أن نتخلى عن معارفنا التقليدية عن الإسلام التي يصفونها بأنها معارف (خاطئة أسطورية ذات معاني خيالية) وأن نفكر بالطريقة التي فكر بها الأوروبيون منذ القرن السادس عشر فنغير مثلهم نظرة العقل إلى المعرفة وطرق إدراكه للواقع وتعبيره عن تأويلاته لهذا الواقع.

هل نحن بحاجة إلى الفلسفة؟

وعبر إصرارهم المستميت على تخريب عقيدة الإسلام يزرعون الألغام الواحد تلو الآخر فتجدهم يدعون إلى الانفصال بين الحكمة والشريعة ويفسرون الحكمة بأنها (الفكر العلمي) ويسمون الشريعة (بالظاهرة الدينية)(١) مع أن الحكمة تعني العلم والفقه والمعرفة بالقرآن وخشية الله والفهم والبصر والعقل، كما جاء ذلك عن ابن عباس ومجاهد وابن مسعود وزيد بن أسلم وذلك في تفسير قوله تعالى: ﴿ يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾(٢) وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ ﴾(٣) (٤)، وتارة أخرى ينظرون إلى الحق على أنه خاضع (للتاريخانية) بمعنى أن وجوده ومظاهره تتغير بتغير نظرة العقل إليه كما

---

(١) محمد أركون مرجع سابق ص ١١،٧،٤.

(٢) سورة البقرة الآية رقم ٢٦٩.

(٣) سورة لقمان الآية رقم ١٢.

(٤) محمد رشاد خليل، الفلسفة وأثرها في أصول الدين، مجلة كلية أصول الدين جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية عدد ٥، ١٤٠٣-١٤٠٤هـ ص ٢٥٩.

يتغير العقل بدوره بتغير النتائج ووجوه الحق التي يستبينها ويتعقلها، كما يتبنون وظيفة الفلسفة لتسويغ الموجودات والأحكام إلى العقل في كل الممارسات والمعالجات بما في ذلك إثارة مسائل وقضايا ومواقف معرفية ما كان التفكير فيها ممكناً بل كان مستحيلاً، ولذلك تجدهم يرجعون انتشار المدّ الإسلامي إلى غياب الفلسفة إلا في غيبة نور الوحي الإلهي، أو في حالة خفوته أو في حالة جهل الناس بحقيقتها وجهلهم بالمنهج النبوي على وجهه الصحيح، وتملك الفلسفة القدرة على التلبيس بما تملكه من أدوات فهي تتزين بزي العقل حيناً وبزي العلم حيناً آخر، وتملأ الفراغ المخيف الذي تتركه غيبة الهداية الإلهية عن العقول[1].

وبينما اشتهر أهل التخريب العقدي في مصر وسوريا باستخدام مصطلحات (نقد الخطاب الديني) و(نقد الفكر الديني)، استخدم نظراؤهم المستوطنون في دول الغرب مصطلح: (نقد العقل الإسلامي).

يُعَرّف أهل التخريب العقدي (العقل الإسلامي) بأنه هذا العقل المتقيد بالوحي أو المعطى المنزل ويقر بأولوية المعطى لأنه إلهي وأن دور العقل ينحصر في خدمة الوحي أي فهم وتفهيم ما ورد فيه من أحكام وتعاليم وإرشاد، ثم الاستنتاج والاستنباط منه، فالعقل تابع وليس بمتبوع اللهم إلا بالقدر الذي يسمح به اجتهاده المصيب بفهم وتفهيم الوحي.

لا يقر أهل التخريب العقدي بذلك ويصبون كل انتقاداتهم على علاقة العقل بالمعطى المنزل وعلى رضاه بأن يبقى دائماً في الدرجة الثانية أي في حدود الخادم دون أن يجرؤ أبداً على مبادرة أو سؤال أو

---

(١) المرجع السابق ص٢٦٠ .

تأويل لا يسمح به الوحي المحيط بكل شيء، بينما العقل لا يدرك شيئاً إدراكاً صحيحاً إلا إذا اعتمد على الوحي المبين[١].

إنه ما عصي الله بشيء إلا أفسده على صاحبه ومن أعظم معصية العقل إعراضه كتاب الله وروحيه فأي فساد أعظم من فساد هذا العقل؟ إن علم الأنبياء وما جاؤوا به عن الله لا يمكن أن يدرك بالعقل ولا يكتسب وإنما هو وحي أوحاه الله إليهم بواسطة الملك أو كلام يكلم به رسوله منه إليه بغير واسطة كما كلم موسى وهذا متفق عليه بين جميع أهل الملل المقرين بالنبوة المصدقين الرسل ولا يخالفهم في ذلك إلا جهلة الفلاسفة وسفلتهم، ولكن أهل التخريب العقدي يريدون أن يعكسوا شرعة الله وحكمته فإن الله سبحانه جعل الوحي إماماً والعقل مؤتماً به وجعله حاكماً والعقل محكوماً عليه ورسولاً والعقل مرسلاً إليه وميزاناً والعقل موزوناً به وقائداً والعقل منقاداً له، فصاحب الوحي مبعوث وصاحب العقل مبعوث إليه والآتي بالشرع مخصوص بوحي من الله وصاحب العقل مخصوص ببحث عن رأي أو فكرة. الرسول يقول: معي كتاب الله وهم يقولون: معنا العقل. الرسول يقول: معي نور خالق العقل به أهدي وأهتدي ويقول قال الله كذا قال جبريل عن الله كذا وهم يقولون قال فيكو.. قال بيبر بورديو.. قال جاك دريدا.. قال فرانسوا إيوالد.. الخ.

بين العقل والوحي:

إن قضايا العقل تشتمل على العلم والظن والوهم، وقضايا الوحي كلها حق، فأي قضايا مأخوذة عن عقل قاصر عاجز عرضة للخطأ من

---

(١) محمد أركون مرجع سابق ص ١٥.

قضايا مأخوذة عن خالق العقول وواهبها هي كلامه وصفاته[١] (العقل هو المصدر والعامل في كل ما يعبر عن الإنسان ويبلغه بلغة من اللغات وهو المسئول عن عملية تركيب المعاني في إنتاج جميع المنظومات) هكذا يقول أهل التخريب العقدي في دفاعهم عن (فتنة خلق القرآن) وقد وصل بهم التبجح إلى القول بأنه (لو استمرت المناظرات بين العقل القائل بخلق القرآن والعقل الخادم الخاضع للقرآن غير المخلوق لكان الوضع المعرفي للعقل الإسلامي اليوم على غير ما هو عليه بمعنى أن الفسحة العقلية ما كانت لتصبح ضيقة محدودة تسودها الأرثوذكسية العقائدية المعروفة اليوم) [٢] أي انتصار أهل السنة والجماعة الذين يقولون أن القرآن كلام الله تعالى منه بدأ فنـزل غير مخلوق ألفاظه ومعانيه عن كلام الله سمعه جبريل من الله والنبي سمعه من جبريل والصحابة سمعوه من النبي وهو القرآن المكتوب بالمصاحف المحفوظ بالصدور المتلو بالألسنة القرآن عند أهل السنة والجماعة كلام الله تعالى بالحقيقة وليس بمخلوق ككلام البرية ومن سمعه وزعم أنه ككلام البشر فقد كفر وقد ذمه الله تعالى وعابه أو أوعده عذابه حيث قال: ﴿ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴾ [٣] التي أوعدها الله من قال: ﴿ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴾[٤] [٥].

---

(١) ابن القيم (بتصرف) مرجع سابق ص ٨٨٠، ٨٩١.

(٢) محمد أركون مرجع سابق ص ١٥.

(٣) سورة المدثر الآية رقم ٢٦.

(٤) سورة المدثر الآية رقم ٢٥.

(٥) أبوجعفر الأزدي الطحاوي عقيدة أهل السنة والجماعة، تعليق محمد بن مانع، مكتبة المعارف الطائف ص٨.

البؤس الفكري لدى بعض المفكرين العرب:

وقد اعترف أهل التخريب العقدي بأن التوجه الإسلامي الصحيح قد كشف أزمة المجتمع في العمق وكشف في الوقت نفسه عن البؤس الفكري لمعظم المثقفين العرب ومراهقتهم الفكرية، كما أنه كشف كذلك عن التخلف المنهجي والمعرفي للفكر العربي المعاصر فالواقع في واد وهم في وادٍ آخر، فبؤسهم الفكري عاجز عن طرح أي مشكلة بشكل صحيح بل عاجز حتى عن رؤية المشكلة ذاتها.

أقر أهل التخريب العقدي بأن زميلهم (المثقف العربي) يقف أمام نظيره الغربي (كالفلاح الفقير الذي يقف خجلاً بنفسه أمام الغني الموسر) ويقولون في ذلك (يقف مثقفنا العربي أمام نظيره الغربي وهو يكاد يتهم نفسه ويعتذر عن شكله غير اللائق ولغته غير الحضارية ودينه المتخلف ويستحسن المثقف الغربي منه هذا الموقف ويساعده على الغوص فيه أكثر فأكثر حتى يكاد يلعن نفسه أو يخرج من جلده لكي يصبح حضارياً أو حداثياً مقبولاً)[١].

لقد أحسن أهل التخريب العقدي وأجادوا في وصف حال المثقفين العرب الذين هم أيضاً من دعاة هذا التخريب، لكن حال أهل التخريب العقدي أمام المثقفين ليس بأفضل من حال المثقفين العرب الذين يهاجمونهم، هاهم يقفون خجلين أمامهم من الخطاب الإسلامي الذي يتحدث عن التوحيد والصلاة والصيام والزكاة والحج والحجاب والجهاد، إنهم يقدسون لغة الغرب ويكتبون بها ويرونها مؤيدة للنقد الفلسفي والتاريخي والعلمي وأن لها أرضية خصبة من الجهاز المفهومي

---

(١) محمد أركون مرجع سابق ص ٢٣ــ ٢٥.

الداعي إلى المزيد من الدقة والتعمق في النقد، أما لغتهم (اللغة العربية) فلا تتحمل اقتران النقد بالعقل الإسلامي، هاهم يعتذرون عن شكلهم غير اللائق ولغتهم غير الحضارية ودينهم المتخلف فيحذرون الإسلاميين من أن خطابهم المتردد على ألسنة الخواص والعوام يمجه جميع الناس في الغرب وأنه لا يتيح إلا المزيد من الرفض والاستبعاد وسوء التفاهم، ويحذرون أيضاً بأن على الخطاب الإسلامي أن يغير من طريقته التي تثير ردود فعل وتحريض للغرب على الإصرار في الهيمنة واستراتيجية الإخضاع والتسيير التحكمي للعالم (الإسلامي) المتخلف ثم يدافعون عن الغرب ويقولون "بأن للغرب حق الحماية لقيم مدنيته والدفاع عن أمانته أمام قوى العنف والتجاهل وعدم التسامح"[١].

يريد أهل التخريب العقدي خطاباً إسلامياً يتحدث للغرب بلغة ما وراء الحداثة[٢] والديمقراطية ومفهومي الفرد والمواطن والتعاقد

---

(١) المرجع السابق ص ٢١.

(٢) في الوقت الذي يدعونا فيه أهل التخريب العقدي بالتعامل مع الغرب بعقل ما بعد الحداثة فإن هناك من المثقفين العرب من يؤجل دخول مجتمعاتنا الإسلامية هذه المرحلة على أساس أن ما بعد الحداثة نقد غربي يسوي حسابات غربية ولا يقدم لنا مشروعية تاريخية لأن مجتمعاتنا في نظرهم مجتمعات ما قبل الحداثة، وعلى كل فإن ما بعد الحداثة اتجاه ثقافي غربي يسدل الستار على الحداثة كمشهد عابر في العرض المسرحي الممتد للتقدم الثقافي ويرى أن الحداثة قد استنفدت أغراضها وأن قيمتها المعرفية بهتت أو ربما صارت أصباغاً على لوحة لم يعد لها ملامح أو هوية، وما بعد الحداثة مفهوم ينكر ثنائية الحداثة التقليدية ولا يقدم بالضرورة على القطيعة مع الماضي أو الميراث الثقافي ولا يقبل النموذج الارتقائي الذي يجعل المجتمع الأوروبي هو الصورة النموذجية للعالم المتخلف، انظر: محمد السعيد: ما بعد الحداثة ومصير التنوير، العربي عدد ٤١٣ إبريل ١٩٩٣م ص ٢٤- ٢٨ وهذا لا يعني أن أهل التخريب العقدي قد عدلوا بهذا المفهوم موقفهم من الإسلام ويكفينا لبيان ذلك أن نشير إلى أنهم أعطوا للوحي مفهوماً يخالف ما هو معروف عنه ونظروا إليه على أنه جملة من الإكراهات والقيود وتكرار الشعائر والطقوس والقيام والقعود وفرض القوالب النهائية الجامدة . (انظر: محمد أركون) مرجع سابق ص ٧٥).

والتفاعل بين دولة القانون والمجتمع وأن يراعي الجانب الحقوقي والفلسفي للتجربة الديموقراطية وإلا فهو خطاب متخلف يستحق أن يمجه الغربيون ويرفضوه" انتهى كلام الدكتور أحمد خضر ـ وفقه الله ـ.

وقال الأستاذ نعمان السامرائي تحت عنوان (محمد أركون ينكر الصحوة الإسلامية):

"محمد أركون ينكر الصحوة ويراها شعاراً سياسياً يتخفى الإسلام والدين خلفه، ويرسم للصحوة صورة، فإذا لم تتحقق فليس هناك صحوة، وباعتباره "علماني" حتى العظم أو مخ العظم، لذا فالإسلام عنده شيء، والسياسة والحكم شيء آخر. بل هو يدعي أن القرآن فيه علمانية والتراث الإسلامي كذلك. ومع ذلك لنقرأ ما يقول:[1]

(......وما دامت العلوم الإسلامية الأصلية مجهولة، ولم تدرس على الطريقة التاريخية، والإنسانية، والأنتربولوجية الحديثة، فلا يمكننا أن نقول إن الإسلام "تجدد". طبعاً نرى ملايين من الناس يعيشون بالقيم الإسلامية، يعيشون بالإيمان، لكن هذا لا يدل على أننا قد تمكنا من المعاني الحقيقية الأصلية للدين بصفة عامة، وللدين الإسلامي بصفة خاصة).

الذين تحدثوا عن الصحوة لا حظوا جانب "الالتزام" فمن لم يكن ملتزماً بالإسلام راح "يلتزم" ومن كان لا يعنى ولا يهتم، صار يعنى، ويسأل، ويقرأ، ويهتم. وكما قال البعض: إن طلبة الطب والهندسة من الدار البيضاء إلى جاكرتا، صاروا أكثر تديناً والتزاماً، وهذا لا علاقة له بما يريده (أركون) من الدراسة على الطريقة التاريخية...

---

(١) كل العرب ص ٧.

فكل ما يطمح الرجل في نشره هو العلمانية، وقراءة القرآن قراءة جديدة غير مقيدة بقواعد اللغة (وقد ناقشت كل ذلك في كتابي: الفكر الاستشراقي والفكر العربي) وأرجو أن لا يُخدع القارئ بما يقوله هذا الرجل "ويغمغم" فيه.

والرجل بصفته "متغرب" أكثر من الغربيين، لا يريد مطلقاً أن يعترف بفشل الطروحات الغربية بشقيها اللبرالي والماركسي، ولذلك يظل يبحث عن أسباب أخرى للصحوة التي ينكرها، من ذلك كثرة المتعلمين[١]: (فالأجيال الطالعة عددها كبير جداً، ولا بد لها من أن تطالب بحقوقها في التعليم المدرسي وفي العمل وفي الحياة المادية التي يعيشها الناس في مجتمعاتنا العصرية، هذه المطالبة لا بد أن تعبر عن نفسها من طريق العمل السياسي ولكن النظام السياسي في المجتمعات الإسلامية لا يسمح باستعمال الخطاب السياسي المحض، لأن هذه المجتمعات وهذه الدول الإسلامية الحديثة تقوم على نظام الحزب الواحد، وأنبتت على زعامة واحدة...).

هناك دول مثل مصر، تونس، تركيا، إندونيسيا، السودان، باكستان، بنغلادش، وغيرها، تسمح بتعدد الأحزاب، وبعضها سمح للحزب الشيوعي بمزاولة النشاط الرسمي، ومع ذلك، فأمر الشباب في هذه البلاد لا يختلف عن سواها، حتى اضطر بعضها لمنع ومصادرة النشاط الإسلامي، فلو كانت القضية "سياسية صرفة"... لتوجه الشباب إلى تلك الأحزاب ومارس من خلالها العمل السياسي.

---

(١) كل العرب ص ٧.

وحتى في دولة "الحزب الطليعي الأوحد" بإمكان الشباب ممارسة العمل السياسي من خلاله، إذا كان المطلوب هو العمل السياسي لا غير.. وسيكون في أمان ورغد عيش، وأمل في تحقيق المطالب. لكن ذلك لم يحدث!..

إن نظرة أركون "العلمانية" هي التي توحي له بهذا التفسير، لذا لا أتفق معه في قوله:[1] (... ولذلك نرى أن الظاهرة الدينية طغت على مجتمعاتنا[2] ـ وهذا اعتراف صريح ـ لأن هؤلاء الشباب أجبروا على استعمال الواسطة الدينية، المعجم الديني، للتعبير عن حاجاتهم السياسية. والحقيقة أننا نستمع إلى خطاب سياسي، بعبارات دينية، وهذه الظاهرة مهمة جداً خصوصاً في مجتمعاتنا الإسلامية، لأننا لا نجدها في المجتمعات الغربية، حيث يسمح تعدد الأحزاب بالتعبير السياسي المباشر، من دون الحاجة إلى استعمال واسطة الدين للنضال، أو للتعبير عن حاجات المواطن في مجتمعه، ولذلك نرى في تلك المجتمعات انفصالاً بين الدين والسياسة).

هذا الانفصال هو "العلمانية" التي باتت مستقرة في الغرب، والتي وجدت في الأجواء المسيحية، حيث جفت ينابيع المسيحية وتصلبت كما يقول الناقد البريطاني "كولن ولسن" والتي تخلو من التشريع، والتي مارست الكنيسة في عصور خلت ألواناً من الإرهاب، لا مثيل له، وكل هذا وغيره لا وجود له في الإسلام، ولكن "هوس" أركون "بالعلمانية"، وإعجابه بالغرب، يجعله لا يرى في الصحوة الإسلامية إلا واجهة

---

(١) كل العرب ص ٧.

(٢) الرجل مجاور في باريس من أيام الدراسة، وقد رفض العودة للجزائر قديماً وحديثاً.

سياسية، يرفضها من منطلقه العلماني الضيق. بينما يدرك أساتذته المستشرقون أن الإسلام دين شامل يهتم بالدولة كما يهتم بالصلاة، ولا تفريق بين الدنيوي والأخروي ﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ﴾[1].

فالعلمانية إيمان ببعض الكتاب، وكفر بأكثره، وهي بعيدة عن الإسلام، وقد نبتت في غير أرضه، وبين قوم ليسوا بمسلمين.

قضية أخرى وهي أن مندوب المجلة علماني، ولذلك فهو يوجه الحديث كذلك.

قضية ثالثة يشكو منها أركون ويطالب بها بإلحاح: أن يُفسح له مجال التوجيه. والرجل يُستقبل عادة استقبال الفاتحين، ويوصف "بالمفكر العربي الكبير وصاحب النظريات" وتوضع في خدمته الإذاعات وغيرها، ومع ذلك فهو يشكو، ويشكو، ويطالب الحكومات، أن تشجع على "الفكر النقدي"، وهذا الفكر يقول: بأن القرآن كتب إملائياً في القرن الرابع عشر للميلاد، وأن السُنّة جرى عليها الحذف والاختيار، وأن الإمام الشافعي هو الذي جعل منها مرجعاً، وأن التفسير الصوفي الإشاري وعلم الجفر الشيعي يشكلان حقيقة مكتومة مموهة، وهما أفضل من التفسير السني الحرفي!!...

هذا الفكر، أو "المراهقة الفكرية" يريد صاحبها نشرها اليوم، وهو يتصور نفسه "قائد عميان" !. لا يا أستاذ السوربون، ما كل بضاعة "نافقة" في السوربون، وفي مؤتمرات المستشرقين المظلمة العفنة، يمكن أو

---

(١) سورة القصص الآية رقم ٧٧.

يجب أن تنشر في أوساط المسلمين، ولو منحتك السوربون ألف شهادة وألف لقب و"لّمعتك" بكل دهون العالم. ولقد حاول قبلك الدكتور طه حسين فلم ينجح، فلا تتعب نفسك! ...

هناك كذبة يروجها الكاتب قائلاً: [١](... ونسبة إلى القوة العظيمة التي تعمل على المستوى الدولي لإضعاف القوى المجددة عندنا، وتشجيع القوى التي تؤيد المواقف الرجعية، وعندما أقول الرجعية، أقصد على وجه التحديد الرجعية العقلانية، لأن هناك رجعية ثقافية عقلانية...).

أركون شيخ الرجعيين:

جلوس أركون على عرش السوربون، جعله يعتقد أن ذلك وحده يكفي لنفي صفة الرجعية عنه. والرجعية: صفة في العقل، ولوث في القلب، ومنهج في الفكر. وجلوس الإنسان في السوربون، أو الربع الخالي لا دخل له في ذلك. كما أن مدح "البعض" لا يعني أن الممدوح بعيداً عن الرجعية أو "الرجعة" الشيعية.

فلنجرب قراءة هذه النصوص لشيخ الرجعية الأركونية ثم نحكم بعد ذلك:

١- يقول شيخ السوربون وهو يتحدث عن الشيعة: [٢](إن حركة المطالبة بالشرعية، التي سينشأ عنها "حزب الشيعة" تحقق كذلك دلالة محتملة في القرآن، والتجربة النبوية. إن "الإمام" شأنه شأن النبي، يحظى بتأييد الله، لمتابعة مهمة شاقة، هي مهمة التجسد الإلهي في الإنسان، تجسد الروحي في الزمني، والمقدس في العادي، ولكن هذه النظرية

---

(١) كل العرب ص ٨.

(٢) الفكر العربي محمد أركون ص ٦٢.

ستزداد وضوحاً بالتدريج...).

فإذا لم تكن هذه الأفكار "الحلولية" من الرجعية فما الرجعية إذن؟؟.

٢- نتيجة تلاقح الفكر الشيعي بالإشراق التصوفي، سنحصل على فكر تقدمي في نظر أستاذ السوربون:[١] (الإمامية أو الإثنا عشرية، تجعل سلسلة الأئمة المعصومين من سلالة النبي تقف عند اثني عشر، بدءاً من "علي" .. وإن تعاليم هؤلاء الأئمة ـ وقد أهملها أهل السنة المسلمون ـ تؤلف السنة الحية، التي جمعها ونظمها "الكليني وابن بابويه" خاصة... وبالاتصال بالفلسفة الإشراقية، سيزدهر الفكر الإمامي بعد النهضة الصوفية في إيران...).

٣- هناك أخبار تُسند إلى جعفر الصادق رضي الله عنه، بأن لديه علم اسمه "علم الجفر" مودع في كيس من جلد فيه، علم الأنبياء والأوصياء وعلم بني إسرائيل[٢]. ولا يشك عاقل في كذب الخبر، ومع ذلك لنقرأ هذا النص:[٣] (من العسير علينا إعادة بناء العالم العلمي لشخص مثل "جعفرالصادق" المتوفى سنة ٧٦٥، وفيه يُرى التراث الإسلامي[٤] بآنٍ واحد، وأنه رائد رمزي "علم الجفر" أو المعرفة الأخروية الخاصة بالأنبياء، ثم هي خاصة بورثة "علي" .... فإن الثابت أن فكراً علمياً جديداً، قد نشأ في المدينة من حول "جعفر" وقد طبقت

---

(١) المرجع السابق ص ١٠٨.

(٢) وهذا يقتضي أن يكون جلد فيل أو "ديناصور" خصوصاً إذا تذكرنا أدوات الكتابة في تلك العصور!..

(٣) الفكر العربي ص ٦٨.

(٤) التراث أم شيخ الرجعية والحلولية ؟

تقنيات تحقيق روحي، متصلة بالرمزية السيميائية، على تفسير القرآن...) ا هـ.

وحتى يفهم القارئ "علم الجفر" لا بد أن يقرأ خبره في كتب الشيعة أولاً، ثم ليحكم بعد ذلك من هو الرجعي؟.

فقد نقل "الكليني" وهو عند أركون في مستوى البخاري ومسلم. نقل أن رجلاً من الشيعة سأل جعفر الصادق ـ ﷺ ـ عن هذا العلم فكان جوابه[١] (إن عندنا "الجفر"، وما يدريهم ما الجفر؟ وعاء من أدم[٢]، فيه علم النبيين والوصيين، وعلم العلماء الذي مضوا من بني إسرائيل. وإن عندنا مصحف فاطمة ـ عليها السلام ـ، وما يدريهم ما مصحف فاطمة؟ فيه مثل قرآنكم ثلاث مرات، والله ما فيه من قرانكم حرف واحد).

وإذا فهمنا علم الأنبياء وعلم الأوصياء، فما هي علوم بني إسرائيل؟؟.

والرسول ـ ﷺ ـ وجد يوماً صحيفة من التوراة في يد عمر بن الخطاب، فغضب واحمر وجهه، وقال: "لو كان أخي موسى حياً لما وسعه إلا أن يتبعني" . فماذا في جلد "الديناصور" الذي يعجب به شيخ السوربون؟؟!!...

وما هو العلم الذي نشأ في المدينة حول "الصادق"؟ وما هي السيمياء التي يعشقها أستاذ السوربون؟ لماذا لا يُطلعنا عليها، فنزدد علماً أو جهلاً؟؟.

---

(١) أصول الكليني ص ١٤٦.

(٢) جلد.

وأخيراً: كان هناك جاسوس إسرائيلي، في بلد عربي اسمه "كوهين"، استلم الإذاعة، وكانت هوايته المفضلة شتم "الرجعية" صباح مساء، كما كان يؤمن بالفكر النقدي، ومارس هوايته سنوات ثم سقط، وله أخ في مصر كان يفعل الشيء نفسه، اسمه (ليفي)، واسمه العربي (وحيد السعداوي) كان يشرف على برامج إذاعية، وكان يسب الرجعية بلا انقطاع !

أركون والعلمانية:

حينما يكون المتحاوران علمانيين يعجب الإنسان كيف تحوّر وتموّه الحقائق. لنستمع أولاً للمندوب العلماني وهو يسأل أركون:[1] (من منطلق تفسيرك لموضوع الصحوة الإسلامية هناك استنتاج رئيسي مفاده: أن الأجيال والقوى الناهضة تحاول استغلال الدين كغطاء لحركتها السياسية، ألا ترى في ذلك تحميلاً للدين فوق طاقته، وتجاوزاً لرسالته؟.

جواب أركون: إن هذا تزييف للدين وابتعاد عن المقصود الأسمى منه، لأن المقصود الأسمى من الدين معرفة الله، والديانة تكون مناجاة العبد لربه، وهذه المناجاة تكون: في الصلاة، في الحج، تكون في الصيام، تكون في الفروض الخمسة... أدافع عن التفريق بين مستوى الحياة الدينية ـ كما ذكرت ـ ومستوى الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية، أو ما يمكن أن نسميه الاتجاه أو الوضع العلماني الدنيوي، يجب أن نفصل بين هذين المستويين. هناك تيار قوي يقول إن الإسلام: دين، ودولة، ودنيا. وعندي أن هذا خلط بين مستويات مختلفة من

---

(١) كل العرب ص ٨-٩.

المعاني، والقيم، ومن الوظائف... هناك ـ للأسف ـ خلط بين الدين والدنيا والدولة، مع أن الفكر المعاصر والنقد العلمي المعاصر يدلان على أن تلك الاتجاهات أو تلك الأوضاع بين الدين والدولة يجب أن تُميز...).

هذه هي العلمانية، والرجل يجاهر ويفاخر بها، ثم يعود ليصف نفسه بأنه المدافع عن الإسلام والمتحدث باسمه، والذي لا يفوت مؤتمر في مشرق الأرض أو مغربها إلا ويحضره، ثم يلوك مثل هذا الكلام، ويدعي بأن القرآن يحوي العلمانية ويشتمل عليها، لكنه لا يقول مطلقاً في أي آية من كتاب الله وجدها؟؟ !!.

وفي الختام يرفض الرجل أن يقر بأن تغيراً حدث في حال المسلمين، وعلى الناس أن يقنعوه بذلك، لأنه لا يتمنى ذلك ولا يريده، وهو عاجز عن التعليل)) ا.هـ كلام الدكتور السامرائي ـ وفقه الله ـ من كتاب: (الصحوة الإسلامية في عيون مختلفة، ص ٤٩ـ٥٦).

قلت: ومن أراد الزيادة عن فكر (محمد أركون) فليرجع إلى الدراسة القيمة التي عملها الأستاذ محمد بريّش عن فكره ونشرها على حلقات في مجلة (الهدى) المغربية:

- الحلقة الأولى: مدخل الدراسة في العدد ١٣، جمادى الأولى، ١٤٠٦هـ يناير فبراير ١٩٨٦ (ص ٢٨-٣٣).

- الحلقة الثانية: من هو محمد أركون، في العدد ١٤، رمضان ذو العقدة، ١٤٠٦هـ ، ماي ـ يوليو ١٩٨٦، ص ٢٣ـ٤٣.

- الحلقة الثالثة: لماذا محمد أركون ؟ العدد ١٥، ربيع الثاني ، ١٤٠٧هـ ١٩٨٦م، ص ٤٢ـ٦٤.

- الحلقة الرابعة: ماذا يريد محمد أركون؟ أو (علمنة الإسلام - الجزء الأول - على عتبة المشروع). العدد ١٦/١٧/١٨، صفر - ربيع الأول - رجب، ١٤٠٨هـ، أكتوبر ١٩٨٧-١٩٨٨م، ص ٢٠-٣٦.

وليرجع أيضاً إلى كتاب (حوار مع علي حرب، نصر حامد أبو زيد، محمد أركون) للأستاذ عمر عبد الله كامل.

وإلى كتاب (الفكر العربي والفكر الاستشراقي بين د. محمد أركون ود. أدوارد سعيد) للدكتور نعمان السامرائي.

وليرجع - أيضاً - إلى مقال بعنوان "محمد أركون ومشروعه النقدي" للأستاذ محمد بوراس، منشور في مجلة البيان، العدد ١٧٩.

وإلى مقال "تناقضات مشروع محمد أركون الفكري" للدكتور عاصم حمدان. مجلة "أهلاً وسهلاً"، عدد أكتوبر ٢٠٠١م، ص ١٤-١٦.

نظرة شرعية
في أدب
د. سعاد الصباح



نظرة شرعية في أدب الدكتورة سعاد الصباح

ترجمتها:[(١)]

- هي الشاعرة الدكتورة سعاد بنت عبد الله المبارك الصباح من الأسرة الحاكمة بالكويت.

- ولدت عام ١٩٤٢م في مدينة البصرة بالعراق.

- متزوجة من الشيخ عبد الله المبارك الصباح، الذي توفي بعد غزو العراق للكويت.

- حصلت على بكالوريوس الاقتصاد من جامعة القاهرة عام ١٩٧٢م.

- حصلت على الدكتوراه في التنمية والتخطيط من جامعة ساري ببريطانيا عام ١٩٨١م.

- عضوة في عدة مجالس ومراكز منها :

- عضو مجلس أمناء اللجنة التنفيذية في منتدى الفكر العربي (عمان).

- مؤسسة وعضو في مجلس أمناء اللجنة التنفيذية للمنظمة العربية لحقوق الإنسان، (القاهرة).

- عضو اللجنة التنفيذية للمنظمة العالمية للنساء المسلمات!

- عضو الاتحاد العالمي لاقتصاديات الطاقة.

---

(١) استفدت الترجمة من: مجلة الفيصل (العدد ٢٠٦ ص ١١٨)، وكتاب "الدكتورة سعاد الصباح" للدكتور مكي محمد سرحان، وكتاب "قراءات في نقد اليسار العربي" لحسين معلوم، وديوانها "قصائد حب"، و"معجم البابطين" (٤٣٦/٢)، و"أدباء وأديبات من الخليج العربي" لعبد الله الشباط (ص ٢٤٦).

- عضو مؤازر لمركز دراسات الوحدة العربية (بيروت).
- عضو اللجنة التنفيذية لجمعية (أوليف بادن) الدولية.
- عضو في مركز الدراسات العبرية في جامعة اليرموك.
- عضو مجلس إدارة مشروع بحوث الشرق الأوسط والمعلومات ـ واشنطن.
- عضو اللجنة التنفيذية بالمجلس العربي للطفولة.
- عضو المجلس الاستشاري لمنظمة تخطيط السكان في الوطن العربي التابعة للأمم المتحدة ـ لندن.
- حاضرت في العديد من الجامعات العربية والأجنبية، وشاركت في المؤتمرات العربية والعالمية عن مشكلات الوطن العربي والشرق الأوسط.
- متخصصة في اقتصاديات التنمية والنفط وتخطيط الموارد البشرية، ولها العديد من الدراسات والأبحاث والكتب في هذه المجالات، منها :

١- التخطيط والتنمية في الاقتصاد الكويتي ودور المرأة (لندن ١٩٨٣).

٢- الكويت: أضواء على الاقتصاد الكويتي (لندن ١٩٨٥).

٣- أوبك بين تجارب الماضي وملامح المستقبل، (لندن١٩٨٦).

٤- السوق النفطي الجديد، السعودية تسترد زمام المبادرة (لندن، ١٩٨٦).

٥- المرأة الخليجية ومشاركتها في القوى العاملة، (لندن، ١٩٨٧م).

٦- أزمة الموارد في الوطن العربي (بيروت، ١٩٨٩م).

- لها عدة دواوين شعرية منشورة أهمها:

١- أمنية: (القاهرة، ١٩٧١).

٢- إليك يا ولدي: (القاهرة، ١٩٨٢).

٣- فتافيت امرأة: (بغداد، ١٩٨٦).

٤- في البدء كانت الأنثى: (لندن، ١٩٨٨). (بيروت١٩٩٤).

٥- حوار الورد والبنادق: (لندن، ١٩٨٨).

٦- برقيات عاجلة إلى وطني.

٧- قصائد حب: (القاهرة ١٩٩٢).

٨- امرأة بلا سواحل: (القاهرة ١٩٩٤).

٩- خذني إلى حدود الشمس: (القاهرة ١٩٩٨ ط٢).

١٠- القصيدة أنثى والأنثى قصيدة: (الكويت ١٩٩٩).

-وقد صدر لها كتابان:

١- هل تسمحون لي أن أحب وطني (القاهرة ١٩٩٢): وهو عبارة عن مقالات عن أزمة الخليج.

٢- حقوق الإنسان في العالم المعاصر(الكويت ١٩٩٩ط ٣)[(١)].

- نظراً لوجاهة الدكتورة وثرائها فإنها تملك داراً للنشر باسمها (دار سعاد الصباح) أقامتها في قصرها القديم بجاردن ستي بالقاهرة، وهي تنشر خلالها دواوينها ومؤلفاتها، إضافة إلى ما تستحسنه من

---

(١) وهو كتاب يعرض بنود وثائق الإنسان في العالم، مع إحسان للظن بها! وقد وقعت الدكتورة في زلة عند عرضها (لحقوق الإنسان في الإسلام) عندما زعمت أن الإسلام يساوي بين الناس جميعاً: (دونما تفريق بينهم على أساس الانتماء الديني) (ص١٩) !! وهذا جهل بشريعة الله التي مايزت بين المسلمين والكفار في أحكام كثيرة ــ لا مجال لعرضها الآن، وهي مما لا تخفى على مسلم، قال تعالى (أم نجعل المتقين كالفجار) فدين الإسلام هو (دين العدل) الذي يضع كل إنسان في مكانه، لا (دين المساواة)، كما تزعم الدكتورة.

مؤلفات الآخرين مما يوافق ميولها!.

ظاهرة تهييج النساء في شعر الدكتور سعاد الصالح:

من يقرأ دواوين الدكتور لا شك سيلاحظ تلك النغمة المتكررة التي تظهر بوضوح في مقدمات وقصائد تلك الدواوين عن قضية المرأة واضطهادها وظلمها في عالمنا العربي، حيث لا يُسمح لها ببث مكنونات نفسها، وأحاسيسها وعواطفها أمام الآخرين، وأن الشاعرة لأجل هذا تود التمرد على هذا الكبت من خلال التصريح بحبها ونشرها لقصائد الغزل بمن تحبه، بعيداً عن تسلط (القبيلة)! التي لا ترتضي مثل هذا إلا من (الذكور)!

وقد وقعت الدكتورة في الكثير من (التهويل) الذي لا يوافق الواقع، إضافة إلى أنها قد تجاوزت في عباراتها (الثورية) تلك إلى ما لا يجوز لها الوقوع فيه.

ولنستمع إلى شيء من أقوالها تبين ما قلته:

١- تقول الدكتور في مقدمة ديوانها (فتافيت امرأة) في قصيدة بعنوان (فيتو.. على نون النسوة)!

(يقولون: إن الكتابة إثم عظيم فلا تكتبي. وإن الصلاة أمام الحروف.. حرام فلا تقربي)[١].

إلى أن تقول: (وها أنذا.. قد كتبتُ كثيراً، وأضرمت في كل نجم حريقاً كبيراً، فما غضب الله يوماً عليَّ، ولا استاء مني النبي)[٢].

وفي هذا النقل من الدكتورة تجاوزات كثيرة وانحرافات خطيرة:

---

(١) فتافيت امرأة (١٦).

(٢) فتافيت امرأة (١٦).

أولاً: أنها اتهمت الآخرين بأنهم يقولون بأن الكتابة بالنسبة للمرأة (إثمٌ عظيم)، وفي هذا افتراء عليهم، حيث لم يقل بهذا القول، وهو منع النساء من الكتابة سوى أفراد من البشر ظنوا أن المرأة حين تتعلم الكتابة سينفتح أمامها باب عظيم من أبواب الفتنة، حيث ستقرأ وتكتب ما لا يجوز قراءته وكتابته، فلهذا قرروا منعها من الكتابة، واختاروا عدم جوازه لها، مخالفين بذلك سنة النبي ـ ﷺ ـ.

وقد اشتهر في الباب كتاب الشيخ نعمان الآلوسي المسمى (الإصابة في منع النساء من الكتابة)[(١)]!

ولكن هذا الرأي الشاذ مخالف لسنة النبي ـ ﷺ ـ أمر بتعليم المرأة؛ وذلك بقوله ـ ﷺ ـ للشفاء بنت عبد الله ـ رضي الله عنها ـ التي كانت ترقي من النملة[(٢)]: "علميها حفصة، كما علمتيها الكتابة".

قال الشيخ الألباني ـ رحمه الله ـ معلقاً على هذا الحديث: (في هذا الحديث فوائد كثيرة، أهمها اثنتان:

الأولى: ...

والأخرى: مشروعية تعليم المرأة الكتابة. ومن أبواب البخاري في (الأدب المفرد) (رقم ١١١٨): (باب الكتابة إلى النساء وجوابهن). ثم روى بسنده الصحيح عن موسى بن عبد الله قال: (حدثتنا عائشة بنت طلحة قالت: قلت لعائشة ـ وأنا في حجرها، وكان الناس يأتونها من كل مصر، فكان الشيوخ ينتابوني لمكاني منها، وكان الشباب يتأخوني فيهدون إلي، ويكتبون إليّ من الأمصار، فأقول لعائشة ـ يا خالة هذا

---

(١) مخطوط في مكتبة الأوقاف ببغداد (انظر فهرس مخطوطاتها ١/٣٨٣).

(٢) هي قروح تخرج في الجنب.

كتاب فلان وهديته. فتقول لي عائشة: أي بنيّة! فأجيبيه وأثيبيه، فإن لم يكن عندك ثواب أعطيتك، قالت: فتعطيني).

قلت: وموسى هذا هو ابن عبد الله بن إسحاق بن طلحة القرشي، روى عن جماعة من التابعين، وعنه ثقتان، ذكره ابن أبي حاتم في (الجرح والتعديل (٤/ ١/ ١٥٠) ومن قبله البخاري في (التاريخ الكبير (٤/ ٢٨٧) ولم يذكرا فيه جرحاً ولا تعديلاً، وقد ذكره ابن حبان في (الثقات)، وقال الحافظ في (التقريب): (مقبول). يعني عند المتابعة، وإلا فهو لين الحديث.

وقال المجد ابن تيمية في (منتقى الأخبار) عقب الحديث: (وهو دليل على جواز تعليم النساء الكتابة).

وتبعه على ذلك الشيخ عبد الرحمن بن محمود البعلبكي الحنبلي في (المطلع) (ق١٠٧/ ١)، ثم الشوكاني في (شرحه) (٨/ ١٧٧)، وقال: (وأما حديث "لا تعلموهن الكتابة، ولا تسكنوهن الغرف، وعلموهن سورة النور" فالنهي عن تعليم الكتابة في هذا الحديث محمول على من يخشى من تعليمها الفساد).

قلت (القائل الألباني رحمه الله): وهذا الكلام مردود من وجهين:

الأول: أن الجمع الذي ذكره يُشعر أن حديث النهي صحيح، وإلا لما تكلف التوفيق بينه وبين هذا الحديث الصحيح. وليس كذلك، فإن حديث النهي موضوع كما قال الذهبي. وطرقه كلها واهية جداً، وبيان ذلك في (سلسلة الأحاديث الضعيفة) رقم (٢٠١٧)، فإذا كان كذلك

فلا حاجة للجمع المذكور، ونحو صنيع الشوكاني هذا قول السخاوي في هذا الحديث الصحيح (إنه أصح من حديث النهي)! فإنه يوهم أن حديث النهي صحيح أيضاً.

والآخر: لو كان المراد من حديث النهي من يخشى عليها الفساد من التعليم لم يكن هناك فائدة من تخصيص النساء بالنهي، لأن الخشية لا تختص بهن، فكم من رجل كانت الكتابة عليه ضرراً في دينه وخلقه، أفينهى أيضاً الرجال أن يتعلموا الكتابة؟! بل وعن تعلم القراءة أيضاً لأنها مثل الكتابة من حيث الخشية!

الحق أن الكتابة والقراءة نعمة من نعم الله ـ تبارك وتعالى ـ على البشر كما يشير إلى ذلك قوله ـ ﷻ ـ: ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴾ وهي كسائر النعم التي امتن الله بها عليهم، وأراد منهم استعمالها في طاعته، فإذا وجد فيهم من يستعملها في غير مرضاته، فليس ذلك بالذي يخرجها عن كونها نعمة من نعمة، كنعمة البصر والسمع والكلام والكلام وغيرها، فكذلك الكتابة والقراءة، فلا ينبغي للآباء أن يحرموا بناتهم من تعلمها شريطة العناية بتربيتهن على الأخلاق الإسلامية، كما هو الواجب عليهم بالنسبة لأولادهم الذكور أيضاً، فلا فرق في هذا بين الذكور والإناث.

والأصل في ذلك أن كل ما يجب للذكور وجب للإناث، وما يجوز لهم جاز لهن ولا فرق، كما يشير إلى ذلك قوله ـ ﷺ ـ: "إنما النساء شقائق الرجال"، رواه الدارمي وغيره، فلا يجوز التفريق إلا بنص يدل

عليه، وهو مفقود فيما نحن فيه، بل النص على خلافه، وعلى وفق الأصل، وهو هذا الحديث الصحيح، فتشبث به ولا ترض به بديلاً، ولا تصغ إلى من قال:

ما للنساء وللكتابة .... والعمالة والخطابة .

هذا لنا ولهن منا.... أن يبتن على جنابة !

فإن فيه هضماً لحق النساء وتحقيراً لهن، وهن كما عرفت شقائق الرجال. نسأل الله تعالى أن يرزقنا الإنصاف والاعتدال في الأمور كلها)[(١)]. انتهى كلام الألباني ـ رحمه الله ـ.

ثانياً: من الملاحظات على الدكتورة: قولها بأنها قد كتبت كثيراً (فما غضب الله عليها، ولا استاء منها النبي ـ ﷺ ـ).

وهذا تألٍ على الله وعلى رسوله ـ ﷺ ـ، فما أدراها بأن الله لم يغضب عليها؟!.

فالدكتورة قد شابهت بقولها هذا قول من قال:﴿ وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ﴾[(٢)] فرد الله عليهم بقوله: ﴿ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾[(٣)].

أفتقولين ـ يا دكتورة ـ على الله ما لا تعلمين ؟!

إن كنت ظننت أن الله لم يغضب عليك بسبب توالي نعمه الدنيوية

---

(١) سلسلة الأحاديث الصحيحة، للألباني (١/٢٩٥-٢٩٧)، وللشيخ محمد شمس الحق العظيم آبادي رسالة مطبوعة بعنوان (عقود الجمان في جواز تعليم الكتابة للنسوان).

(٢) سورة البقرة الآية رقم ٨٠.

(٣) سورة البقرة الآية رقم ٨٠.

عليك من مالٍ وجاه، فهذا ـ والله ـ ظن من لم يعرف سنن الله في خلقه، لأن الله قد يُنعم على أعدائه النعم المتواترة استدراجاً منه لهم، كما قال سبحانه: ﴿ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴾[١]، وقال تعالى: ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴾[٢].

فالحذر الحذر يا دكتورة من مكر الله، ﴿ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾[٣]. ولا تغتري بما أنت فيه من نعم دنيوية، وتنسبي ذلك إلى رضا الله عنك، وأنت ترتكبين التجاوزات في أشعارك. فإنه لا ارتباط بين الاثنين، كما سبق. بل على المرء أن يقيس أعماله بكتاب الله وسنة رسوله ـ ﷺ ـ، فإن وافقتها فليحمد الله على فضله، وإن خالفتها فليراجع نفسه، ولينته عن ذنوبه.

٢- تقول الدكتورة: (أنا الخليجية الهاربةُ من كتاب ألف ليلة ووصايا القبيلة وسُلطة الموتى)[٤].

قلت: أما كتاب (ألف ليلة وليلة) فهو كتاب في الأدب والقصص الشعبي، قد ألفه صاحبه ـ أو أصحابه على خلاف في ذلك ـ زمن المماليك، وفيه الكثير من الكذب والافتراءات على خلفاء المسلمين ـ لا سيما هارون الرشيد ـ، خلاف ما فيه من المواقف والعبارات البذيئة، والإغراق في قصص الجن والسحرة[٥].

---

(١) سورة المؤمنون الآية رقم ٥٦.
(٢) سورة العلق الآية رقم ٦-٧.
(٣) سورة الأعراف الآية رقم ٩٩.
(٤) ديوان فتافيت امرأة (٥١).
(٥) انظر (كتب حذر منها العلماء) لمشهور حسن سلمان (٢/٥٧-٦٢).

ولكن يهمنا منه ما تُلمح إليه الدكتورة، وهو موقفه من المرأة، حيث صورها في صورة الجارية التي تزف إلى الرجل ليستمتع بها ثم يقتلها، وذلك في القصة الرئيسة لهذا الكتاب، وهي قصة الملك شهريار الذي يقتل كل جارية تُزفُ إليه بعد ما يستمتع بها، ما لم تنفذ شرطه.

فالدكتورة ـ هداها الله ـ قد اتخذت من شهريار رمزاً لكل الرجال في عصرها، وهذا مخالف للواقع، ومخالف لشرع الله الذي يعامل المرأة أكرم معاملة، ويحرص على أن تنال حقوقها كاملة، لأنها شقيقة الرجال كما أخبر بذلك ـ ﷺ ـ[1].

فحديث الدكتورة قد يصدق على بعض الشواذ من الرجال الذين اتخذوا من المرأة مجرد لعبة وجارية يقضون منها وطرهم ثم يُلقون بها ويلفظونها لفظ النواة، ولكنه لا يصدق على عامة الرجال، لا سيما الذي يعاملون المرأة كما أمرهم الله ـ ﷻ ـ.

أما قولها: (وصايا القبيلة وسلطة الموتى) فلم تبين ما تقصد منها؛ لأن المسلم عليه أن يتبع كلام الله وكلام رسوله ـ ﷺ ـ في جميع أقواله وأفعاله، لا أن يتبع (وصايا القبيلة) أو (سلطة الموتى)!.

فليت الدكتورة بينت مرادها لكي لا تذهب بالقارئ الظنون، فيظن السوء بالدكتورة.

٣- تقول الدكتورة: (أنا الخنجر البحريُ الأزرق الذي لن يستريح حتى يقتل الخرافة...)[2]!.

---

(١) في قوله صلى الله عليه وسلم "إنما النساء شقائق الرجال". أخرجه أحمد (٢٥٧٩٦)، والترمذي (١١٣)، وأبو داود (٢٣٦) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٣٣٣).

(٢) ديوان فتافيت امرأة (٥٥).

ونحن مثل الدكتورة لن نستريح حتى نقتل الخرافة! فالخرافة عندنا هي أن يُعَبَّد البشر لغير خالقهم، فيعظمون لأجل ذلك الأحجار، والأصنام، أو المخلوقات، ويصرفون لهم شيئاً من الأقوال أو الأفعال التي لا تجوز إلا لله ـ ﷻ ـ.

هذه هي الخرافة التي أنزلت الكتب وأرسلت الرسل لقتلها وتحرير الناس من أسرها، وإخراجهم من ظلماتها إلى نور التوحيد.

فهل خرافة الدكتورة كخرافتنا ؟!

أم أن لها مفهوماً آخر عندها ؟!

المعنى في بطن (الشاعرة)!

٤- وتقول: (أيها السيدُ.. إني امرأة نفطية تطلع كالخنجر من تحت الرمال تتحدى كتب التنجيم، والسحر..وإرهاب المماليك..)[(١)].

قلت: نحن مثل الدكتورة نتحدى بل نحارب كتب التنجيم والسحر، لأنها من الشعوذة والخرافة التي جاء الإسلام بهدمها، بل كفَّر منتحليها[(٢)].

ولكن: هل تعني الدكتورة ما نعينه من هذه الدلالات ؟! أم أنها تعني أمراً آخر؟! العلم في (بطن الشاعرة) كما سبق، لأنها اتخذت المذهب الرمزي منهاجاً لها في كثير من أقوالها التي لا تود البوح بها.

٥- وتقول: (أخرج من بطن الخرافة وأسنان شيخ القبيلة..

---

(١) ديوان فتافيت امرأة (٣٧) .

(٢) انظر حكم هذه الأعمال في: كتاب (تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد) للشيخ سليمان ابن عبد الله آل الشيخ ــ رحمه الله ــ. (ص٣٣٣ وما بعدها)، ورسالة: (التنجيم والمنجمون وحكمهم في الإسلام) لعبد المجيد المشعبي.

وفناجين القهوة العربية، وأخلع الحذاء الصيني الضيق. من عقلي .. ومن قدمي..وأذهب معك إلى آخر الحرية..)[(١)].

قلت: قد سبق ترديد الدكتورة لمثل هذه الألفاظ (الخرافة) (القبيلة) ولكنها لا تبين ما تقصد بها، والمسلم يرفض أن يكون أسيراً (للخرافة) أو (شيخ القبيلة)، بل هو أسير التعاليم الإسلام؛ لأن الله قد أمره بذلك، وهو إنما يفعل هذا ابتغاء رضوان الله.

أما إن كانت الدكتورة تقصد (بالخرافة) و(شيخ القبيلة) تعاليم الشريعة الإسلامية فبئس ما أوحى به شيطانها حيث أوقعها في المهلكة، ـ كما سبق ـ.

ونحن لا نُلزم الدكتورة بما لم يصدر منها (تصريحاً).

٦- وتقول: (هذي بلاد لا تريد امرأةً تمشي أمام القافلة..)[(٢)].

قلت: لا مانع أن تمشي المرأة أمام القافلة ما دامت ملتزمة بالحجاب الشرعي! أما إن عنت الدكتورة بأمام القافلة أن تكون رئيسة أو متصدرة لأهل القافلة، فقد قال: ـ ﷺ ـ "لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة"[(٣)]. ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾[(٤)].

٧- وتقول الدكتورة: (قد كان بوسعي، ـ مثل جميع نساء الأرض ـ مغازلة المرأة.

---

(١) ديوان قصائد حب (١٠٥).

(٢) ديوان خذني إلى حدود الشمس (٧).

(٣) أخرجه البخاري.

(٤) سورة الأحزاب الآية ٣٦.

قد كان بوسعي، أن أحتسي القهوة في دفىء فراشي.
وأمارس ثرثرتي في الهاتف.
دون شعور بالأيام.. وبالساعات.
قد كان بوسعي أن أتجمل..
أن أتكحل.
أن أتدلل.
أن أتحمص تحت الشمس.
وأرقص فوق الموج.
ككل الحوريات .
قد كان بوسعي
أن أتشكل بالفيروز، وبالياقوت،
وأن أتثنى كالملكات.
قد كان بوسعي أن لا أفعل شيئاً.
أن لا أقرأ شيئاً.
أن لا أكتب شيئاً
أن أتفرغ للأضواء .. وللأزياء.. وللرحلات..
قد كان بوسعي
أن أرفض
أن لا اغضب
أن لا أصرخ في وجه المأساة
قد كان بوسعي،
أن أبتلع القمع

وأن أتأقلم مثل جميع المسجونات
قد كان بوسعي
أن أتجنب أسئلة التاريخ
وأهرب من تعذيب الذات
قد كان بوسعي
أن أتجنب آهة كل المحزونين
وصرخة كل المسحوقين
وثورة آلاف الأموات
لكني خنت قوانين الأنثى
واخترت مواجهة الكلمات..)[١]

قلت: وهذا الكلام من الدكتورة لا يحتاج إلى تعليق، وقد سبق مثله مما يصب في موضوع تهييج النساء المسلمات بالكلمات العاطفية التي تضر ولا تنفع.

٨- وتقول الشاعرة عن حبيبها (الرجعي)!:

(يا هولاكو الأول.. يا هولاكو الثاني. يا هولاكو التاسع والتسعين.
لن تدخلني بيت الطاعة، فأنا امرأة .. تنفر من أفعال الأمر)[٢].

٩- وتقول أيضاً:

(ليست الديمقراطية أن يقول الرجل رأيه في السياسة دون أن يعترضه أحد؛ الديمقراطية أن تقول المرأة رأيها في الحب.. دون أن يقتلها أحد !!)[٣].

---

(١) ديوان في البدء كانت الأنثى (١٥-٢٣).
(٢) الديوان السابق (٢٣).
(٣) الديوان السابق (٥٣).

١٠- وتقول ــ أيضاً ــ: (كل شيء من حولنا يتساقط.. الفـرح.. والطفولة..

ودفاتر الشعر،
وشجر الأحلام.
كل شيء يضيق.
حتى مساحة البحر.
ومساحة الحرية
حتى الشمس في هذا العصر الظلامي
أخذوها من بيتها ..
وحكموا عليها بالسجن خمسة عشر عاماً
بتهمة توزيع رسائلها الضوئية
على نوافذ المواطنين..
حتى ضوء القمر
ألصقوا صوره على كل جدران المدينة
وطلبوا إلقاء القبض عليه
حيا.. أو ميتا ..
حتى سنابل القمح
وضعوها في الإقامة الجبرية
ومنعوا العصافير من زيارتها
حتى كلامنا في المقهى .. أو على الهاتف ..
مسجل على أشرطة
ومحفوظ في أرشيف المباحث العامة ..

إنهم يحاولون أن يغتالوا القصائد
ويحرقوا غابات الحب الخضراء
ويستأصلوا رجولة الرجال
وأنوثة النساء
ولكننا ..
سنتحداهم بكل طاقاتنا عن الحب
لأن الحب وحده ..
هو الذي سيطرد جحافل البرابرة
ويوقف هجمة عصور الانحطاط..)[١].

١١- وتمارس الدكتورة في مقدمة ديوانها (خذني إلى حدود الشمس) مهمة تهييج النساء المسلمات ودعوتهن بالكلمات العاطفية الرنانة للتمرد على أوضاعهن لكي يتابعنها على ما هي فيه من تحرر مما تراه من قيود (الرجعية) التي تكبلها بالأوامر والنواهي، وقد صرحت الدكتورة ـ وهي قليلة التصريح! ـ بأن الحجاب الشرعي يعد من هذه القيود التي كبلت المرأة في زمان مضى !! ـ والعياذ بالله ـ إلى أن استطاعت التخلص منه بموجة التحرير التي هبت على معظم بلاد الإسلام في القرن الماضي.

وهذا مما تباركه الدكتورة وتطالب بالمزيد منه! تقول الدكتورة المتحررة من الحجاب: (هذه قصائد حب لا حدود لها.. إنها محاولة لهدم كل الحيطان الحجرية التي تفصل بين الأنثى وأنوثتها.. بين المرأة وبين حقها الطبيعي في أن تتنفس.. وتتكلم.. وتعيش.

---

(١) الديوان السابق (١٣٩-١٤٢).

وإذا كان حق المرأة في الكلام العادي حقاً مرفوضاً، ومكروهاً، ومستهجناً في المجتمعات المتضخمة الذكورة.. فإن الكلام عن الحب في تلك المجتمعات يعتبر فضيحة كبرى، وجريمة موصوفة.

فالصوت الأنثوي، كان خلال مراحل تاريخية طويلة مرتبطاً بفكرة العار، والعرض، والشرف الرفيع، حتى وصل الأمر ببعض الغلاة والمتزمتين إلى اعتبار صوت المرأة عورة لا يجوز كشفها للسامعين.

ولقد قاتلت المرأة طويلاً لاستعادة صوتها المحجوز عليه، والخروج من مرحلة الخرس الطويلة، حتى تمكنت من إعادة تشغيل حنجرتها بعدما غطاها الصدأ.. نتيجة لعدم التدريب، وقلة الاستعمال.

إن الحجر على صوت المرأة.. ووضعه (تحت الحراسة).. جعل المجتمع العربي ينطق بصوت واحد.. هو صوت الرجل بكل خشونته، وملوحته، ونبرته المدنية.

وهكذا لم تعرف موسيقانا (نصف الصوت) أو (ربع الصوت) وظلت السمفونية التي عزفها كورس الرجال وحدهم، (سمفونية ناقصة).

في بدايات هذا القرن، بدأت المرأة تتخلص شيئاً فشيئاً من الحجاب المفروض على وجهها..

ولكن الحجاب المفروض على (صوتها).. لم يتزحزح سوى سنتمترات قليلة.. وظلت المرأة رغم انفتاح أبواب العلم والمعرفة أمامها، واتساع أفقها الثقافي، تعبر عما يدور بعالمها الداخلي بنصف لغة .. ونصف صوت.. ونصف حرية.

فالمجتمع العربي لا يزال، رغم التحولات التي طرأت على بنيته،

يعتبر الصوت النسائي مؤامرة على دولة الرجال وسلطتهم.. ويعتبر المرأة (الفصيحة) ظاهرة شاذة أو مرضية.. لابد من معالجتها بالعقاقير والمضادات الحيوية.

وهكذا ظل فم المرأة مختوماً بالشمع الأحمر، وغير صالح إلا لارتشاف الماء، ومضغ الطعام.

ومثل هذا الامتياز تتمتع به جميع الحيوانات بشكل غريزي.

إن لعبة الحب هي لعبة يقوم بها اثنان: رجل.. وامرأة.. فلماذا يلعب الرجل وحده بأوراق الحب.. دون أن يعطي الفرصة للمرأة لتشارك في اللعبة.. وتجرب حظها ؟..

لماذا يحق للرجل، حين تجتاحه عاصفة الحب أن يقول للمرأة: (أحبك).. ولا يحق لها، إذا بللتها أمطار الحب.. أن ترد عليه بلغة، ربما تكون أكثر حرارة وأعذب جرسا، وأشد صدقاً ؟؟

وإذا كانت المساواة البيلوجية غير ممكنة.. فلماذا لا نحقق المساواة (العاطفية) على الأقل، باعتبار الحب عاطفة إنسانية يشترك الذكر والأنثى.. ولا تحتمل الفصل العنصري أو الجنسي؟

في هذه المجموعة الشعرية، أردت أن أحقق نوعا من (الاشتراكية العاطفية) بعيداً عن أي فكر إقطاعي.. أو قبلي.. أو احتكاري.. وأن استرد حقي الطبيعي كأنثى في نقل مشاعري إلى من أحبه.. بدون أي شعور بالنقص، أو بالاضطهاد، أو بالخروج على قواعد الأخلاق العامة[١]..

فالحب الكبير، لم يكن في يوم من الأيام مناقضاً للقيم العليا،

---

(١) هذا لا يكفي يا دكتورة ! بل نريدك أن لا تخرجي عن شريعة الله!

والأخلاق العامة.

إنه حق مشروع لا يختلف عن حق الأمواج في التكسر.. وحق الرعود في التفجر.. وحق العصافير في الغناء والزقزقة..

فلماذا لا يسمح لي أن أكون موجة.. أو رعداً أو عصفورة تغني على نافذة حبيبها.. دون أن تقتلها بواريد الصيادين؟

لقد تغزل الرجل بالمرأة منذ بدء التاريخ.. ولم يترك لها هامشاً صغيراً من الحرية يسمح لها بأن تتغزل به..

أي أن المبادة العاطفية كانت دائماً في يد الرجل.. بالإضافة إلى امتيازاته القانونية، والسياسية، والاقتصادية، والثقافية .

صحيح أن بعض النساء في تاريخنا الشعري قد كسرن هذا الاحتكار، كما فعلت الشاعرة الأندلسية ولادة بنت المستكفي، حين أعلنت أنها تعيش حالة عشق، وكشفت أوراقها الغرامية بكل شجاعة.

إلا أن الغزل النسائي بشكل عام، ظل غزلاً خجولاً، ومتردداً وخائفاً من لعنة المجتمع.. وخناجر القبيلة.

فالمجتمع العربي، رغم كل مظاهر الحداثة والانفتاح الثقافي والحضاري على العالم، لا يزال يضع (الفيتو) على المرأة العاشقة، ويعتبرها امرأة ناشزة يشكل كلامها عن الحب، خادشاً للحياء العام وخطراً على الأمن القومي.

والسؤال الذي أود أن أطرحه هنا هو:

ما هي علاقة الأمن القومي بقلب المرأة، وأشواقها وأحلامها، وأحاسيسها الأنثوية الطبيعية والمشروعة؟

ثم أود أن أسأل:

لماذا لا يكون الرجل العاشق خطراً على الأمن القومي وقصائد الحب التي يكتبها تهديداً للسلام والأمن الاجتماعي؟

وإذا كنا نؤمن بالديمقراطية أساساً لأنظمتنا السياسية[1]، فلماذا لا نطبق الديمقراطية على علاقتنا العاطفية أيضاً؟

ولماذا نطبق مبدأ التمييز الجنسي بين الرجل العاشق.. والمرأة العاشقة؟؟

وبعد، فهذه قصائد حب، أحاول بها أن أقيم (ديمقراطية عاطفية) يتساوى فيها الرجل والمرأة في حرية البوح، بحيث لا يحتكر الرجل وحده بلاغة الخطاب الأيروتيكي، ولا تبقى المرأة مجرد مستمعة لاسطوانة الحب التي يعزفها الرجل ليلاً ونهاراً.

إن لدى المرأة كلاماً عاطفياً مخزناً منذ آلاف السنين تريد أن تقوله...

فاسمحوا لها أن تفجر ينابيعها الداخلية، وتطلق آلاف العصافير المحبوسة في صدرها.

اسمحوا لها أن تنزع الأقفال عن فمها، وتقول للرجل الذي تحبه: (أحبك).. دون أن تذبح كالدجاجة على قارعة الطريق.

اسمحوا لها، ولو لمرة واحدة في التاريخ أن تعرف معنى المساواة في الحب وتستنشق رائحة الحرية"[2].

المصطلحات (النصرانية) في دواوين الشاعرة:

من يطالع دواوين الشاعرة يجد أنها قد أكثرت من استخدام الرموز

---

(١) بل نؤمن بالإسلام! أما الديمقراطية فهي نظام جاهلي يقوم على تأليه البشر.

(٢) ديوان قصائد حب (٧-١٤).

والمصطلحات المتعلقة بالنصارى، كألفاظ: (الصليب) و(الكنيسة) و(الناقوس) و(الأجراس) ونحو ذلك، وهذا مما يستغرب من شاعرة مسلمة أن تقع فيه وترضى لنفسها أن تتشبه بهؤلاء الكفرة في مصطلحات دينهم وعباداتهم، وهو أمر منكر ومحرم قد يهوي بفاعله في هاوية الكفر ـ والعياذ بالله ـ عندما يرتضي شيئاً من تلكم العبادات، أو يعتقدها ـ مع مخالفتها الصريحة للإسلام ـ كقضية صلب المسيح عيسى بن مريم ـ عليه السلام ـ مثلاً، وقد قال ـ ﷺ ـ: "من تشبه بقوم فهو منهم"[1] [2].

فالنصارى لما زاغوا عن شريعتهم وحرفوها، اخترعوا بعض المظاهر الوثنية التي أقحمت في ديانتهم وحملوا الناس عليها.

(ومن مظاهر تحريف النصارى لعقيدتهم: أنهم يعتقدون أن المسيح ـ عليه السلام ـ قتل مصلوباً، لتخليص البشر من الخطيئة التي ارتكبها أبوهم آدم ـ عليه السلام ـ بأكله من الشجرة التي نهاه الله عنها، وزعموا أن هذه الخطيئة انتقلت من آدم إلى بنيه من بعده، فأصبح البشر كلهم مغضوباً عليهم ومبعدين من رحمة الله تعالى ! ولكن الله تعالى في المقابل، وبمقتضى رحمته، دبر للبشر طريقاً للخلاص من هذه الخطيئة، فتجسد في ابنه المسيح، فنزل وقُتل وصُلب فداء عن البشر! وتكفيراً لخطيئتهم)[3].

ومن ها هنا انتشرت بين النصارى ألفاظ: (الخطيئة) و(التكفير)

---

(١) أخرجه أبو داود وجود إسناده شيخ الإسلام في (اقتضاء الصراط المستقيم) (١/٢٣٦) وصححه الألباني في الإرواء (١٢٦٩).

(٢) لبيان تفاصيل أحكام التشبه بالكفار: انظر: رسالة (من تشبه بقوم فهو منهم) للشيخ ناصر العقل ـ حفظه الله ـ.

(٣) رسالة (التدابير الواقية من التشبه بالكفار) للدكتور عثمان دوكوري (٢/٤٨٣).

و(الصلب) و(الفداء) و(يسوع المخلص) وغيرها من الألفاظ المتعلقة بهذه العقيدة المحرفة.

ولكن: إن كان لأبناء النصارى عذر في التعلق بألفاظهم ومصطلحاتهم فما عذر الدكتورة (المسلمة) في تشبهها بهم، حتى وقعت فيما يعارض كتاب ربها معارضة صريحة ـ كما سيأتي ـ؟!.

في ظني ـ والله أعلم ـ أن الذي أوقع الشاعرة في هذا المضيق العفن هو متابعتها لأساطين الحداثة في البلاد العربية، الذين تتابعوا على هذا الأمر، لا سيما وكثير من متقدمي الحداثة هم ممن يدينون بالديانة النصرانية، كجبران خليل جبران، وميخائيل نعيمة، ويوسف الخال، وأنسي الحاج، وجبرا إبراهيم جبرا، وغالي شكري، وخليل حاوي، وتوفيق صائغ، وغيرهم.

ولا شك بأن هؤلاء الحداثيين النصارى قد نشروا مصطلحات ديانتهم (المحرفة) في ثنايا أشعارهم[1]، فجاء أغمار المسلمين كالدكتورة فتلقفوها عنهم دون تمحيص، ظانين بسذاجة وجهل أنها من شروط الحداثة!.

ومن ذلك على سبيل المثال: قول الشاعر توفيق زياد: (على الصلبان منسية بلادي زهرة الدنيا وعود الند)[2].

وقول البياتي: (وكأن يسوع معكم يعود إلى الجليل بلا صليب)[3].

وقول السياب: (غنيت تربتك الحبيبة وحملتها، فأنا المسيح يجر في

---

(١) بعض الباحثين يرى أن هؤلاء أخذوا ذلك عن شعراء الحداثة الغربيين، كأليوت، الذي أولعوا بالنقل عنه.

(٢) ديوانه (ص٢١).

(٣) ديوانه (١/٢١٣).

المنفى صليبه)[١].

وقول صلاح عبد الصبور: (شعرت بأنني أصبحت قريباً وأن رسالتي هي أن أقدسكم)[٢].

والأمثلة على هذا كثيرة.

المصطلحات (النصرانية) في شعر الدكتورة:

فمن ذلك قولها: (يا زمان القبح.. من أين يجيء المبدعون؟ في بلادي، وعلى أي صليب من دموع يولدون؟)[٣].

وقولها:

(أصبح شاي الساعة الخامسة نعمتي .. ولعنتي..

بسمتي .. ودمعتي..

واحتي .. وورطتي..

أصبح الصليب الذي أنزف عليه

والكرباج الذي يلسعني على ظهري)[٤].

وقولها :

(فإن جرحوني

فأجمل ما في الوجود غزال جريح

وإن صلبوني. فشكراً لهم

لقد جعلوني بصف المسيح)[٥].

---

(١) ديوانه (ص١٢٣).
(٢) ديوانه (ص١٢٣).
(٣) ديوان فتافيت امرأة (١٦٥).
(٤) المصدر السابق (١١٨).
(٥) المصدر السابق (٢٠).

قلت: وفي هذا المقطع وقعت الدكتورة في ماكنا نخشاه، وهو متابعة النصارى في عقيدتهم الباطلة التي ردها الله في كتابه، وهي قولهم بصلب المسيح ـ عليه السلام ـ وهو ما رده الله عليهم وكذبهم فيه، بقوله تعالى: ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾(١).

وقولها:

(أنا قصيدتك المكتوبة بحبر الأنوثة

أنا عصفورتك

أنا جزيرتك

أنا كنيستك

فاسمع أجراس حنيني)(٢).

وقولها:

(أسميك .. حتى أغيظ النساء ـ "حبيبي"

وحتى أغيظ عقول الصفيح ـ

"حبيبي"

أعرف أن القبيلة تطلب رأسي وأن الذكور سيفتخرون بـذبحي، وأن

---

(١) النساء ١٧٥ـــ ١٥٨، وليت الدكتورة هداها الله تراجع تفسير ابن كثير للآية السابقة لتعلم عقيدة المسلمين في قضية صلب عيسى ـــ عليه السلام ـــ التي تسربت إليها من (النصارى).

(٢) المصدر السابق (٥٩).

النساء سترقص تحت صليبـي..)[١].

وقولها:

(أصرخ: أحبك

فتخرج المدينة برجالها ونسائها ..

وشيوخها وأطفالها ..

لاستقبالك .

وتنطلق الحمائم

وتعزف موسيقى الجيش

وتمتلئ راحات الأولاد

بأكياس الحلوى ..

وتضيء المآذن

وتقرع أجراس الكنائس.

معلنة تتويجك

ملكاً على قلبي)[٢]

ومن ذلك قولها:

(أصبح شاي الساعة الخامسة

ناقوساً يضرب في ضلوعي

وعبادة يومية أثابر عليها

ويوم لا يبقى من العبادات سوى أنت ..

ولا يبقى من المعابد سوى صدرك ..)[٣].

---

(١) ديوان في البدء كانت الأنثى (٢٨).

(٢) ديوان في البدء كانت الأنثى (١١٨).

(٣) ديوان فتافيت امرأة (١١٧).

والناقوس ـ كما نعلم ـ هو من شعارات النصارى الظاهرة، حيث يدقونه تنبيها للناس ليحضروا إلى الكنيسة.

ويؤكد هذا ما جاء في حديث ابن عمر ـ ﷺ ـ في الصحيحين في حديث بدء الأذان قال: "كان المسلمون حينما قدموا المدينة يجتمعون فيتحينون الصلاة ليس ينادى لها، فتكلموا يوماً في ذلك، فقال بعضهم: اتخذوا ناقوساً مثل ناقوس النصارى، وقال بعضهم: بل بوقاً مثل قرن اليهود، فقال عمر ـ ﷺ ـ: أولا تبعثون رجلاً ينادي بالصلاة؟ فقال ـ ﷺ ـ: قم يا بلال فناد بالصلاة"[1].

قلت: وقد وقعت الدكتورة في هذا المقطع في زلة عظيمة وانحراف فاحش حين زعمت أنها تعبد حبيبها! وأن صدره أصبح كالمعبد الذي لم يبق سواه!.

والعبادة كما نعلم لا ينبغي أن تكون إلا لله وحده لا شريك له. ولكن الدكتورة كما سلف كثيراً تتابع في هذا شياطين الحداثة في بلادنا، الذين ابتذلوا مصطلح (العبادة) كثيراً، فعبدوا غير الله في قصائدهم.

فمن ذلك ـ مثلاً ـ قول نزار قباني الذي تأثرت به الشاعرة كثيراً![2] :

---

(١) أخرجه البخاري (٥٩٧)، ومسلم (٧٨٨).

(٢) حاولت الشاعرة نفي هذا التأثر بنزار، كما في المجلة العربية (عدد ١٢٦) و(عدد ١٣٣) ثم عادت لتقول في (العدد ١٣٧): (إن نزار مدرسة، ونصف الشعراء العرب نزاريون)! وقد رد عليها هذا التذبذب في الرأي الأستاذ أيمن ميدان في (العدد ١٤٣) بقوله: (إن القراءة النقدية الواعية لشعرها ترفض هذه النظرة التوافقية، وتقرر أن الشاعرة الكويتية سعاد الصباح ليست إلا عازف كمان في تخت نزار قباني الشعري)!.=

إنــــي أعبــد عينيـــك فــلا تنبئـــي بهـــذا الخبـــر[١]

وقوله عن نفسه:

مارســـــت كـــــل عبـــــادة وعبـــــادة

فوجـــــدت أفـــضلها عبـــادة ذاتـــي[٢]!

ومن ذلك قولها:

(الأوربيون أحرار في اختيار قديسيهم

وأنا حرة في اختيار قديسي.

هم يمارسون عبادتهم على طريقتهم

وأنا أمارس عبادتي على طريقتي

هم مقتنعون بكرامات أوليائهم

وأنا مقتنعة بكراماتك..

هذا يوم قديسي الحب .. فالنتاين[٣]

وسأذهب إلى معبدك أنت

لأقدم نذوري..

وأحرق بخوري..)[٤].

= **قلت:** وهذا ما يوضح سبب كثرة الحديث عن العلاقة بين الرجل والمـــرأة في دواوينـــها! وإن كانت على استحياء لم يفعله نزار.

(١) الأعمال الشعرية له (١/٢٦٦).

(٢) المصدر السابق (١/٤٢٣).

(٣) وهو ما يُسمى (عيد الحب)، وقد افتتن به بعض المسلمين ــ هداهم الله ــ. انظر لمعرفة تــاريخ هذا العيد وحكمه في الإسلام نشرة صادرة عن دار ابن خزيمة بالرياض (عام ١٤٢١هــ) عــن هــذا العيد من تأليف الأخ الفاضل الشيخ إبراهيم بن محمد الحقيل ــ وفقه الله ــ.

(٤) ديوان قصائد حب (١٣٨).

وقولها:

(وتشهد روحي مصلوبة.. وذاتي مهيأة للفناء

فللحب عشت، وللحب مت،وللحب هان عليّ الفداء)[(١)].

قولها :

(وإذا القلب كعصفور جريح في الضلوع

صلبت آماله الحيرى على مرأى الجموع .

فبدا من يأسه يحمل آلام يسوع)[(٢)].

وقولها على لسان حبيبها واصفاً ريق ثغرها! أو نافورتها كما تقول!:

(لو رنا الورد إلى أنفاسها الحرى تبخر

أو دنا الراهب منها .. نسي الدير ليسكر)[(٣)].

انحرافات متنوعة[(٤)]:

١ - من ذلك قول الدكتورة:

(لماذا كلما ذهبت إلى (خان الخليلي)

أشتري لك كل التعاويذ الفرعونية

وكل الحجابات الشعبية..

التي ترد عنك

---

(١) ديوان أمنية (٧٤) .

(٢) المصدر السابق (١١٤).

(٣) المصدر السابق (٨٠).

(٤) أما ديوانها (أمنية) فقد أجاد الكاتب حمد القاضي في بيان ما فيه من انحرافات كثيرة، وذلك في مقاله عن الشاعرة في المجلة العربية (عدد شهر صفر ١٤١٤هـ) فليراجع.

زمهرير الشتاء
وصقيع الأعين الزرقاء؟..)[1]

قلت: لا يرد زمهرير الشتاء ولا صقيع الأعين الزرقاء! سوى الله ـ جل جلاله ـ القائل: ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ﴾[2].

أما (التعاويذ الفرعونية) و(الحاجابات الشعبية) فهي أفعال شركية ابتدعها من آثر الدنيا على الآخرة ليبتز بها أموال الجهلة من الذين لا يفرقون بين الأسباب الشرعية لدفع الشر، كتلاوة القرآن أو الرقية، وبين الأسباب الشركية؛ كهذه التعاويذ والتمائم.

وقد قال ـ ﷺ ـ: "إن الرقى والتمائم والتِوَلة[3] شرك"[4].

٢- ومن ذلك: قولها عن حبيبها:

و(تعاليمك ـ يا مولاي ـ أحلى ما قرأت كل أوراقي التي أحملها في سفري)[5].

قلت: بل كتاب الله ـ عز وجل ـ، ثم ذكره، هو أحلى وألذ ما يقرأه المسلم، وقد أمر الله المسلمين بتلاوة كتابه بقوله: ﴿ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلاً ﴾[6].

---

(١) أما ديوانها (أمنية) فقد أجاد الكاتب حمد القاضي في بيان ما فيه من انحرافات كثيرة، وذلك في مقاله عن الشاعرة في المجلة العربية (عدد شهر صفر ١٤١٤هـ) فليراجع.

(٢) سورة الأنعام الآية رقم ١٧.

(٣) قال ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ راوي الحديث ـ في آخره ـ: (التولة شيء يصنعونه يزعمون أنه يحبب المرأة إلى زوجها والزوج إلى امرأته).

(٤) صحيح الترغيب والترهيب للألباني (٣٤٥٧).

(٥) ديوان فتافيت امرأة (٣٩).

(٦) سورة المزمل، الآية: ٤.

وأثنى سبحانه على: ﴿ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ ﴾ [(١)]، وأمر بذكره في أشد الساعات كربا، وهي ساعة الحرب فقال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [(٢)].

٣- ومن ذلك: قولها:

(يا حبيبي:
إنني دائخة عشقاً
فلملمني بحق الأنبياء) [(٣)].

قلت: إن كانت الدكتورة تعني بقولها (بحق الأنبياء) الحلف، فهو لا يجوز، لأنه حلف بغير الله تعالى، وقد قال ـ ﷺ ـ: "من حلف بغير الله فقد أشرك" [(٤)].

وقال: "من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت" [(٥)].

وإن كانت الدكتورة تقصد التوسل بحقهم وجاههم ـ عليهم السلام ـ عند الله تعالى فهو ـ أيضاً ـ لا يجوز.

(فالتوسل بجاه النبي ـ ﷺ ـ أو بجاه الأنبياء، أو بحق النبي، أو بجاه فلان، أو بجاه علي، أو بجاه أهل البيت كل هذا من البدع، والواجب ترك ذلك لكن ليس بشرك، وإنما هو من وسائل الشرك فلا يكون

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٩١.
(٢) سورة الأنفال. الآية: ٤٥.
(٣) ديوان فتافيت امرأة (١٢٥).
(٤) أخرجه الترمذي، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢٩٥٢).
(٥) متفق عليه .

صاحبه مشركاً، ولكن أتى ببدعة تنقص الإيمان وتضعف الإيمان عند جمهور أهل العلم، لأن الوسائل في الدعاء توقيفية، فالمسلم يتوسل بأسماء الله وصفاته كما قال الله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴾[1]. ويتوسل بالتوحيد والإيمان كما جاء في الحديث عنه ـ ﷺ ـ أنه قال: "اللهم إني أسألك باني أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت الأحد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد". فهذا توسل بتوحيد الله. وهكذا التوسل بالأعمال الصالحات كما في حديث أصحاب الغار الذين انطبقت عليهم صخرة لما دخلوا الغار من أجل المطر أو المبيت فانطبقت عليهم صخرة عظيمة فلم يستطيعوا دفعها، فقال بعضهم لبعض: إنه لن ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم، فدعوا الله بصالح أعمالهم، فتوسل أحدهم ببره لوالديه فانفرجت الصخرة بعض الشيء، ثم توسل الآخر بعفته عن الزنا وأنه كان له بنت عم يحبها كثيراً فأرادها لنفسه فأبت عليه ثم إنها ألمت بها سنة وحاجة، فجاءت إليه تطلبه العون فقال: إلا أن تمكنيني من نفسك فوافقت على أن يعطيها مائة وعشرين ديناراً من الذهب، فلما جلس بين رجليها قالت: اتق الله ولا تفض الخاتم إلا بحقه، فخاف من الله سبحانه وقام عنها ولم يأت الفاحشة وترك لها الذهب وقال: اللهم إن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه فانفرجت الصخرة بعض الشيء ولكن لا يستطيعون الخروج. ثم توسل الثالث بأدائه الأمانة وقال: إنه كانت عنده أمانة لبعض العمال تركها

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٨٠.

عنده فنماها وعمل فيها حتى صارت مالاً كثيراً من الإبل والبقر والغنم والرقيق فلما جاء صاحبها أداها إليه كلها كاملة فقال: يا ربي إن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه فانفرجت الصخرة وخرجوا) وهذا يدل على أن التوسل بالأعمال الصالحات من أسباب الإجابة.

أما التوسل بجاه محمد ـ ﷺ ـ أو بجاه فلان، أو بجاه الصديق، أو بجاه عمر، أو بجاه علي، أو بجاه أهل البيت، أو ما أشبه ذلك فهذا ليس له أصل بل هو بدعة، وإنما التوسل الشرعي أن يتوسل المسلم بأسماء الله وصفاته أو بإيمانه بالله فيقول: اللهم إني أتوسل إليك بإيماني بلك أو بإيماني بنبيك، أو بمحبتي لك، أو بمحبتي لنبيك ـ عليه الصلاة والسلام ـ فهذا طيب وهذه وسيلة شرعية طيبة، أو يتوسل بالتوحيد بأن يقول: اللهم إني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت الواحد الأحد. كل هذا طيب، أو يتوسل إلى الله ببره لوالديه، أو بمحافظته على الصلوات، أو بعفته عن الفواحش، كل هذه وسائل طيبة بأعمال صالحة، هذا هو الذي قرره أهل العلم وأهل التحقيق من أهل البصيرة، أما التوسل بجاه النبي، أو بجاه فلان، أو بحق فلان فهذا بدعة كما تقدم بيان ذلك والذي عليه جمهور أهل العلم أنه غير مشروع، والله ولي التوفيق)[1].

٤- ومن ذلك قولها:

(أعطني سيفا

وخذ مني دواوين جميع الشعراء

---

(١) مجموع فتاوى الشيخ ابن باز ــ رحمه الله ــ (٧/١٢٩-١٣١). نشر دار القاسم بالرياض.

أعطني عدلا..
وخذ مني تعاليم جميع الأنبياء.
أعطني خبزا..
فما يشبعني خبز السماء)[١].

قلت: نعوذ بالله من الضلال !

فالدكتورة تطالب محدثها بأن يعطيها (العدل) ويأخذ منها (تعاليم جميع الأنبياء)، أي أن الدكتورة حينما تحصل على (العدل) الذي تتصوره ـ ولو في غير تعاليم الأنبياء ـ سوف تأخذ وتستغني عن تلك التعاليم كلها!! لأنها حصلت على ما تريد، وهو (العدل).

وأي عدل يكون إن لم يكن مأخوذاً من تعاليم الأنبياء[٢] ـ عليهم السلام ـ التي أوحى بها إليهم خالق البشر الذي يعلم ما يكون به صلاحهم!!

قال سبحانه: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ ﴾[٣].

فهو سبحانه قد أرسل رسله وأنزل كتبه لينشروا العدل بين الناس، قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ في تفسير هذه الآية: يقول تعالى ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ ﴾أي بالمعجزات،والحجج الباهرات،والدلائل القاطعات:

---

(١) ديوان قتافيت امرأة (١٥٨).

(٢) أقول (تعاليم الأنبياء) محاكاة لعبارة الدكتورة، وإلا فالمسلم يعلم أن تعاليم الأنبياء عليهم السلام إن هي إلا وحي يوحى من الله ـ عز وجل ـ.

(٣) سورة الحديد، الآية: ٢٥.

﴿ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ وهو النقل الصادق:﴿ وَٱلْمِيزَانَ ﴾ ، وهو العدل، قاله مجاهد وقتادة وغيرهما،

وهو الحق الذي تشهد به العقول الصحيحة المستقيمة المخالفة للآراء السقيمة)[١].

وقد أخبر سبحانه بأن العدل يكون منه فهو تعالى: ﴿ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا ﴾[٢]، وقد "حرم الظلم على نفسه"[٣].

٥- ومن ذلك قول الدكتورة عن حبيبها:

(لست أفكر في تعليمك فن الحب
فأنت نبي الحب)[٤]!

وفي هذا ابتذال وامتهان لكلمة (النبي) التي لا تطلق إلا على أنبياء الله ـ عليهم السلام ـ.

ولعل الدكتورة عندما رأت أن اليونان قد جعلوا إلهًا للحب أرادت هي أن تحاكيهم فتجعل للحب نبيا!

أو أنه أصابها شيء من لوثات الحداثيين الذين ابتذلوا لفظ (النبي) في أشعارهم، فصاروا يصفون به من يتميز بالشعر عندهم[٥].

---

(١) تفسير ابن كثير (٤/٣١٥).
(٢) سورة يونس، الآية: ٤٤.
(٣) كما في قوله ـ ﷺ ـ حاكياً عن ربه ـ عز وجل ـ: "يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته محرماً بينكم" (أخرجه مسلم ٦٥٢٤).
(٤) ديوان في البدء كانت الأنثى (٣٧).
(٥) يقول أحد هؤلاء الحداثيين ـ وهو جمال باروت ـ واصفاً (مجلة الشعر ٦٩) الحداثية بأنه (تحول معها الشاعر إلى نمط آخر من الأنبياء)! (الحداثة الأولى ص ٢٢٢).
ويقول كاهن الحداثة أدونيس عن ديوانه (أغاني مهيار الدمشقي): (أخاله نبوياً)! (انظر كتاب: رأيهم في الإسلام ص ٣٣ طبع دار الساقي).

٦- ومن ذلك قولها لحبيبها:

(يا ملك الملوك..

يا أكثر من حبيبي)[١]!

وملك الملوك هو الله ـ عَجَلَّ ـ؛ لأنه ملك الدنيا والآخرة، قال سبحانه عن نفسه في سورة الفاتحة: ﴿ مَلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾[٢].

وقال ـ ﷺ ـ: "إن أخنع[٣] اسم عند الله رجل يسمى ملك الأملاك، لا مالك إلا الله"[٤].

قال الشيخ سليمان بن عبد الله آل الشيخ ـ رحمه الله ـ: (الذي تسمى ملك الأملاك أو ملك الملوك قد بلغ الغاية في الكفر والكذب)[٥].

٧- ومن ذلك قولها عن حبيبها:

(وأنا أصلي كي تظل حبيبي

فاقبل صلاتي)[٦].

وقولها: (أعش للصلاة بين يديك)[٧].

قلت: بعد أن عبدت الدكتورة حبيبها ها هي تصلي له!

---

(١) ديوان في البدء كانت الأنثى (٢٥).

(٢) هي قراءة صحيحة ـ أيضاً- انظر صفة صلاة النبي ـ ﷺ ـ للألباني (ص٧٧).

(٣) أخنع أي أوضع

(٤) أخرجه البخاري ومسلم .

(٥) تيسير العزيز الحميد (ص ٥٤٨).

(٦) ديوان فتافيت امرأة (١٢).

(٧) ديوان أمنية (١١٠).

والصلاة لا تجوز إلا لله، وهذا لا أظنه يغيب عن ذهن الدكتورة، ولكنها تجاوزات الشعراء الذين لا يلقون بالاً للضوابط الشرعية في أشعارهم، إنما هم يهيمون في كل واد وبكل لفظ، متبعة بذلك أبالسة الحداثة الذين امتهنوا لفظ (الصلاة) حتى تعبدوا به للمخلوقين[(١)].

٨- ومن ذلك قولها في رثاء ولدها:

(إن هذا الحب لي أقرب من حبل الوتين
وله فيض حناني وله فرط يمني
وهو بعد الله ربي وهو بعد الدين ديني)[(٢)].

٩- ومن ذلك:اعتراضها على تقدير الله ـ ﷻ ـ موت ولدها، بقولها:

(يا رب هذا قدر ظالم يا ليتنا نملك رد القدر)[(٣)]!

وكل مؤمن يعلم أن الإيمان بالقدر من أركان الإيمان التي لا يتم إيمان العبد إلا بها، قال سبحانه: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾[(٤)] وقال: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ

(١) من ذلك قول كاهن الحداثة: أدونيس: (أريد أن أصلي للكوكب المنشود)! (الأعمال الشعرية لأدونيس ١/٩٧). وقول البياتي الهالك: (أكلت برتقالة الشمس وفي دمي توضأت وصليت إلى الصحراء)! (ديوانه ٢/٢٥٤).

(٢) ديوان أمنية (٥٥).

(٣) ديوان أمنية (٥٥).

(٤) سورة الحديد، الآية ٢٢.

قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾[(١)].

وقال ـ ﷺ ـ: "إن عظم الجزاء مع عظم البلاء، وإن الله تعالى إذا أحب قوماً ابتلاهم، فمن رضي فله الرضا ومن سخط فله السخط"[(٢)].

فكان الأولى بالدكتورة أن ترضى وتسلم لأقدار اله ولا تتسخطها فيكون جزاؤها عند الله السخط[(٣)].

١٠- ومن ذلك: قول الشاعرة مخاطبة (حبيبها):

(أمثقف؟؟

ويقول في وأد النساء..

فأي ثقافة هذي.. وأي مثقفين؟

أمثقف ؟؟

ويريد أن يبقي حبيبته بسرداب السنين؟

أتقدمي في كتابته؟

ورجعي بنظراته إلى الأنثى

فإن ضحكت له امرأة .

يخاف عذاب رب العالمين !)[(٤)]!!

فالشاعرة تريد من حبيبها أن يكون (تقدميا) في أفعاله، غير (رجعي).

---

(١) سورة التغابن الآية ١١.

(٢) صحيح الترغيب والترهيب للألباني (٣٤٠٧).

(٣) ليت الدكتورة تراجع (باب: من الإيمان بالله الصبر على أقدار الله) من كتاب (تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد) للشيخ سليمان بن عبد الله آل الشيخ ــ رحمه الله ــ لتعلم خطورة ما فاهت به ــ هداها الله ــ.

(٤) ديوان فتافيت امرأة (٧٣).

والتقدمي في نظرها هو الذي لا يئد النساء ولا يخاف عذاب رب العالمين إذا ضحكت له امرأة!.

والرجعي بخلاف هذا

قلت: أما وأد النساء فقد حرمه الإسلام منذ أن أشرقت بنوره أرض الجزيرة - ولله الحمد - بل عنف وأزرى بمن يفعله، وأنه موقوف يوم القيامة ومساءل عن فعلته الشنعاء هذه .

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ﴾[1].

وقال سبحانه مزريا على أهل الجاهلية صنيع أحدهم عندما يبشر بالبنت: ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾[2].

فهذا حكم الله في وأد البنات ﴿ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ فالمسلم الحق بريئ من هذا (الوأد).

وأما خوف الرجل من عذاب رب العالمين عندما تضحك له امرأة أجنبية لا تحل له، فهذا مما يحمد لا مما يذم! لأن هذا الفعل لا يحل لها ولا له، والله قد أمر النساء عندما يخاطبن الرجال أن لا يخضعن بالقول، قال سبحانه: ﴿ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ ﴾[3] فما ظنك بالضحك؟!

---

(١) سورة التكوير، الآية: ٨.

(٢) سورة النحل، الآية : ٥٨-٥٩.

(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٣٢.

الحاصل: أن خوف هذا الرجل من عذاب رب العالمين عندما تضحك له امرأة أجنبية هو مما يشكر عليه لا مما يقدح فيه، ولو سمته الدكتورة (رجعية)! فإن (الرجوع) إلى الحق خير من (التقدم) إلى الباطل. والله الموفق.

١١- ومن ذلك قولها:

(لا أحد يعرف شيئاً عن قبر الحلاج فنصف القتلى في تاريخ الفكر، بلا أسماء)[١].

قلت: (الحلاج) زنديق من كبار الزنادقة الذين مروا بعالمنا الإسلامي، وقد قتل على هذه الزندقة بعد أن كفره علماء عصره[٢]، وقالوا عن مقالته: (إنها محض الكفر)[٣].

فكيف ترضى الدكتورة لنفسها أن تجعله ـ بعد هذا ـ من أهل الفكر المظلوم؟!

أم تراها اغترت بصنيع أحد كهان الحداثة، وهو الشاعر صلاح عبد الصبور في مسرحيته (الحلاج)[٤]! حيث امتدح فيها أفكار الحلاج الزنديق وأنه كان يقف مواقف نضالية في صف الكادحين حتى تعرض للقتل[٥]!

---

(١) ديوان حذني إلى حدود لشمس (١٢٥).

(٢) انظر هذا في ترجمته في: (تاريخ بغداد) (١١٢/٨) و(البداية والنهاية) (١٣٢/١) و(السير) للذهبي (٣١٣/١٤).

(٣) (السير) للذهبي (٣٥١/١٤).

(٤) أول من لفت النظر إلى (الحلاج) محاولاً بعثه: هو المستشرق (ماسنيون) في حديثه عن ما سماه (مأساة الحلاج)!

(٥) انظر: ديوانه (٤٤٥-٦٠٩) وليعلم أن بعث الحركات والشخصيات المنحرفة في تراثنا هو من أهداف الحداثيين في بلادنا، لصرف الناس عن الحق وتلويثهم بالزيغ، وتوافقهم مع أولئك، كما قال =

هذا ما أظنه! لأنني اعتقد أن الدكتورة مجرد متابع ومردد لما ينعق به أساطين الحداثة، لعلها تحظى بشرف الانضمام إليهم، ولو على حساب دينها! هداها الله.

١٢- ومن ذلك قولها:

(مشكلتك الكبرى يا صديقي

أنك تختزن في ذاكرتك كل الأفكار السلفية

وكل الكلمات المأثورة

وكل ما ورثته عن أجدادك

من نزعات التملك ..

والسيادة ..

والتعددية النسائية..)[١].

وفي هذا المقطع أبانت الدكتورة عما يكنه صدرها تجاه من يتخذ الكتاب والسنة مرجعاً له في كل أموره، وهم (السلفيون)، فلمزت (حبيبها)! بأنه لا يزال منهم! يؤمن (بكل الكلمات المأثورة) و(كل ما ورثه عن أجداده) ولم تبين لنا ما هي هذه الكلمات المأثورة والميراث الذي ورثه (السلفي)، إن لم يكن هو قول الله تعالى وقول رسوله - ﷺ -.

ويشهد لهذا انتقادها وتعريضها بجواز تعدد الزوجات الذي نزل به القرآن ولكنه لم يوافق هواها، وذلك بقولها: (والتعددية النسائية)، وفي

= سبحانه: (**تشابهت قلوبهم قد بينا الآيات لقوم يوقنون**)، ومن أبرزهم في هذا المجال: الباطني الخبيث أدونيس الذي حاول بعث الملاحدة والزنادقة من أمثال ابن الراوندي ومهيار الديلمي وحركة الزنج وغيرها، كما في رسالته (الثابت والمتحول).

(١) ديوان في البدء كانت الأنثى (٥٣).

هذا رد لحكم الله تعالى الذي أباح ذلك للرجال في قوله: ﴿ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ﴾[١].

ولكنه الهوى وسوء الظن بحكم الله تعالى الذي لا زال يعشش في ذهن الدكتورة.

١٣- ومن ذلك قولها الشنيع:

(أريد أن أكتب لك..

أو لغيرك ..

أو لأي رجل في المطلق

ما لا أستطيع قوله للآخرين..

فالآخرون.

منذ خمسة عشر قرنا

يتآمرون ضد الأنوثة..)[٢]!!

قلت: فمن تعني بالآخرين الذين يتآمرون على الأنوثة منذ خمسة عشر قرناً، إن لم تكن تعني بذلك الإسلام وشريعة الله ـ ﷻ ـ التي أنزلها في ذلك الزمان، لتخرج الناس من الظلمات إلى النور، وتنشر الحق والعدل بين الخافقين؟!

ومن ـ سوى الإسلام ـ أنصف المرأة وكرمها، بعد أن كانت مهانة في الديانات السماوية (المحرفة) أو الديانات والأفكار الأرضية؟!

فشريعة الله التي تلمزها الدكتورة زورا وبهتانا بأنها تآمرت ضد

---

(١) سورة النساء، الآية: ٣.

(٢) ديوان قصائد حب (٢٨).

الأنوثة هي التي ساوت بين الذكر والأنثى المؤمنين في استحقاق الحياة الطيبة في الدنيا وفي الفلاح والفوز بالجنات عند الله سبحانه، فلم تفرق بين أي منهم لجنسه، إنما هو الإيمان والعمل الصالح، قال سبحانه: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾[(١)].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴾[(٢)].

وقال تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾[(٣)].

وقال سبحانه: ﴿ فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ﴾[(٤)].

فشريعة الرحمن ساوت بين الرجل والمرأة إذا تحقق منهم الإيمان والعمل الصالح في أمرين مهمين:

١- الحياة الطيبة الهنيئة في الدنيا .

٢- الفوز بجنات النعيم في الآخرة.

---

(١) سورة النحل، الآية : ٩٧.

(٢) سورة النساء، الآية: ١٢٤.

(٣) سورة غافر، الآية: ٤٠.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٩٥.

أما الأحكام المتعلقة بجنس الرجل وجنس المرأة في الدنيا إنما تتفاوت لتفاوت ما بين الجنسين في الخَلق ولا دخل لهذا كله بالفضل عند الله تعالى ـ كما سبق ـ.

فأين الامتهان المزعوم يا دكتورة ؟!!

أو أن المساواة في نظرك ـ وفي نظر المتحررات من أمثالك ـ لا تكون إلا بأن تتمرد المرأة على شريعة ربها وتشارك الرجل في خصائصه المتعلقة بجنسه، وتلهث جارية خلف زيف الغرب وسرابه الموهوم، ولو أداها إلى الحياة التعيسة في الدنيا وصِلي النار في الآخرة!

فهذه مساواة قاصري النظر، ممن لا يسيره سوى شهواته وأهوائه.

الحاصل: أن الدكتورة أساءت لنفسها بهذا القول، وهو قول (كفري) إن كانت تقصد به أن الإسلام امتهن المرأة، عليها التوبة منه والاستغفار، قبل أن تلاقي ربها بظن السوء. نسأل الله لها الهداية.

١٤- ومن ذلك: تأييدها للطاغوت الهالك جمال عبد الناصر الذي رفع من شأن القومية العربية على حساب الإسلام، وآذى عباد الله من الدعاة والصالحين في تجربة ثورية خاسرة، لم تجن منها الأمة سوى زيادة الانقسامات والتحزبات والبغضاء بين أفراد الأمة ودولها.

تقول الدكتورة في قصيدة لها بعنوان: (من امرأة ناصرية إلى جمال عبد الناصر) ممجدة الطاغوت الهالك، ومنزلة له المحل الأسمى في قلبها وعواطفها، بلغة تكاد ترفعه عن مستوى البشر! تقول:

(كنا كباراً معه في كتب الزمان
كنا خيولاً تشعل الآفاق عنفوان
كان هو النسر الخرافي الذي يشيلنا

على جناحيه، إلى شواطئ الأمان.
كان كبيراً كالمسافات،
مضيئاً كالمنارات،
جديداً كالنبوات،
عميق الصوت كالكهان.
وكان في عينيه برق دائم
يشبه ما تقوله النيران للنيران
كنا شموساً معه.
توزع الضوء على مساحة الأكوان.
كنا جبالاً معه. من حجر الصوان
وكان يحمينا من الركوع والهوان
كنا نسمى باسمه ..
إذا نسينا مرة أسماءنا ..
كنا نناديه جميعاً، يا أبي
إذا أضعنا مرةً آباءنا ..
فهو الذي أطلقنا من رقنا
وهو الذي حررنا من خوفنا
وهو الذي
أيقظ في أعماقنا الإنسان ..
كان هو الأجمل في تاريخنا
والنخلة الأطول في صحرائنا
كان هو الحلم الذي يورق في أهدابنا

كان هو الشعر الذي يولد مثل البرق في شفاهنا ..
كان بنا يطير.. فوق جغرافية المكان
مستهزئاً من هذه الحواجز المصطنعة ..
من هذه الممالك المخترعة
من هذه الملابس الضيقة، المضحكة..
المرقعة ..
من هذه البيارق الباهتة الألوان .
كان على صورتنا ..
كنا على صورته
كان يرى التاريخ في نظرتنا
كنا نرى المستقبل الجميل في نظرته..
جبهتنا مرفوعة
تستلهم الشموخ من جبهته
قبضتنا قوية
تستلهم القوة من قبضته
أولادنا قد رضعوا الحليب من ثورته
كان هو القوة في أعماقنا
واللهب الأزرق في أحداقنا
والريح، والإعصار، والطوفان.
كان هو المهدي في خيالنا
وكان في معطفه يخبئ الأمطار
وكان إذا ينفخ في مزماره ..

تتبعه الأشجار
وكان في جبينه سنابل وحنطة ..
وفي رنين صوته ما يشبه الأذان[١].
وكان في قدرته أن يطلع السنابل
ويجمع القبائل
ويستثير نخوة الفرسان
ويرجع الملك إلى بيت بني عدنان..
كان هو النجمة في أسفارنا
والجملة الخضراء في تراثنا
كان هو المسيح في اعتقادنا[٢]
فهو الذي عَمَّدنا[٣]
وهو الذي وحدنا
وهو الذي علمنا
أن الشعوب تسجن السجان
وأنها حين تجوع،
تأكل القضبان ..
يا ناصر البعيد قد أوجعنا الغياب
نمد أيدينا إليك لما ..
حاصرنا الصقيع والضباب ..

---

(١) !! !!.

(٢) !! !!.

(٣) هذا مثال آخر على استخدام الشاعرة للمصطلحات النصرانية.

نبحث عن عينيك في الليل..
ولا نمسك إلا الوهم والسراب
يا ناصر العظيم ..
أين أنت .. أين أنت
بعدك لا شعر، ولا نثر، ولا فكر، ولا كتاب
بعدك نام السيف في قرابه
واستنسر الذباب ..
يا ناصر العظيم..
هل تقرأ في منفاك أخبار الوطن ؟
فبعضه مغتصب ..
وبعضه مؤجر ..
وبعضه مقطع ..
وبعضه مرقع..
وبعضه مطبع ..
وبعضه منغلق ..
وبعضه منفتح ..
وبعضه مسالم..
وبعضه مستسلم ..
وبعضه ليس له سقف .. ولا أبواب ..
يا ناصر العظيم،
لا تسأل عن الأعراب
فإنهم قد أتقنوا صناعة السباب

وواصلوا الحوار بالظفر والأنياب
وحاصروا شعوبهم بالنار والحراب .
يا ناصر العظيم..
سامحني .. فما لدي ما أقوله
في زمن الخراب)[١] .

١٥- ومن ذلك أيضاً: تمجيدها الطويل لطاغوت العراق صدام حسين الذي تأملت فيه أن يكون خير موحد للعرب بعد جمال الهالك، متغافلة عن كونه ينتمي إلى (حزب البعث) الكافر[٢]، ولكنها سرعان ما انقلبت عليه عندما (توحد) مع بلادها الكويت!!

تقول الدكتورة في مقدمة كتابها (هل تسمحون لي أن أحب وطني): (لم يغن أحد لمجد العراق كما غنيت أنا، ولم يسق أحد مياه دجلة بدموعه كما سقيتها أنا.

ولم يرشق أحد جنوده بالورود والريحان، كما رشقتهم أنا.

وأخيراً، لم تتمن امرأة عربية أن يكون جسدها (نخلة تشرب من شط العرب) إلا أنا..

لقد كنت دائماً متهمة بأنني عراقية الهوى، وأن كتاباتي، شعراً ونثراً، مبللة بأمطار العراق، ورطوبة أنهاره، ونضارة بساتينه.

وكنت دائماً أفاخر بهذه التهمة الجميلة، لأنني كنت أعتبر العراق الجناح العربي القومي الذي يغطينا، ويحمينا، ويدافع عن مستقبلنا

---

(١) ديوان فتافيت امرأة (١٣٥-١٤٤) ولها قصيدة أخرى شبيهة بها في ديوان أمنية (١٢٠١٤).

(٢) لمعرفة شيء من كفريات هذا الحزب: انظر: (حزب البعث) للشيخ سعيد الغامدي، و(الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة) من إعداد الندوة العالمية للشباب الإسلامي (٤٧٤/١).

ومستقبل أولادنا.

وبكلمة أخرى، فإن التزامي بالخط العراقي، كان التزاماً بالخط القومي الوحدوي.

كان العراق يمثل لي، تلك القوى الصاعدة، الواعدة، التي افتقدناها في السبعينات، كما كنت أرى فيه البديل القومي والاستراتيجي الذي سيصحح ميزان القوى بيننا وبين إسرائيل، وينهي حالة الهوان، والتخاذل والتشرذم والانفلات التي عصفت بدول المنطقة.. إلخ)[١].

أسأل الله أن يهدي الشاعرة، وأن يوفقها للتوبة النصوح.

والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين

---

(١) هل تسمحون لي أن أحب وطني (٩-١٠).



نظرة شرعية
في فكر
هشام جعيط



انحرافات المفكر التونسي: هشام جعيّط

هو أحد المفكرين التونسيين المعاصرين المختصين بالدراسات التاريخية، ولد عام ١٩٣٥م، يكتب أبحاثه باللغة الفرنسية!

أهم مؤلفاته:

١- أوروبا والإسلام: صدام الثقافة أو الحداثة، دار الطليعة، بيروت ١٩٩٥م.

٢- الفتنة: جدلية الدين والسياسة في الإسلام المبكر، دار الطليعة، ١٩٩٢م.

٣- الكوفة: نشأة المدينة العربية الإسلامية، دار الطليعة، ط٢، ١٩٩٣م.

٤- الشخصية العربية والإسلامية والمصير العربي، دار الطليعة، ط٢، ١٩٩٠م.

انحرافات:

يعد هشام جعيط من أنصار الفكر العلماني (الصريح) وعزل الإسلام عن شئون الحياة في بلاد المسلمين، ويجاهر بهذا في كتبه، وإليك شيئاً من أقواله[١]:

١- يقول في كتابه (أوربا والإسلام): "إن الإسلام لم يصبح عالمياً إلا بعد أن امحت خصوصية السياسي فيه"! (ص٨٦)

٢- ويقول مطالباً الحد من سلطة الإسلام على المجتمع!: "إن تخليص المجتمع من سيطرة الدين، أو بالأحرى من المحتوى المؤسساتي الإسلامي

---

(١) نقلاً عن كتاب "مدارس الفكر العربي الإسلامي المعاصر" للدكتور عبدالرزاق قسوم، مع إضافات من عندي.

المرتبط بعصر مضى وتحديد علمانيته جديدة في أسلوبها تلك هي المهمة العاجلة الفردية"، (الشخصية العربية .. ، ص ١٠).

٣- ويقول مبيناً أن علمانية تحترم الإسلام كدين له تاريخه!: "يجب على الإسلام البقاء كدين للدولة، بمعنى أن الدولة تعترف به تاريخياً وتهبه حمايتها وضمانها؛ لأن الدولة أساساً هي وعي التاريخ تجاه قوى النسيان، فليس للدولة أن تكون علمانية؛ بمعنى أنها لا تهتم بمصير الدين، معتبرة إياه مسألة خاصة" (السابق، ص ١١٨).

٤- ويرى أن دولته العلمانية المنشودة ينبغي أن توفر الحماية والضمانات لمن يريد الارتداد عن دين الإسلام!، يقول : "ستسمح الدولة بحرية الضمير وتضمنها داخل المجموعة الإسلامية ذاتها، وتضمن الخروج من الإسلام [بمعنى الردة] من حيث المعتقد خروجًا حرًا..." (السابق، ص ١١٨).

٥- بل إنه يذهب إلى أبعد من هذا ولا يمانع بسبب تجويزه للردة في دولته العلمانية المنشودة إلى أن "من الممكن أن يصبح الإسلام يوماً ما أقلية في مجتمعه" !! (السابق، ص١١٨) ويستشهد بقوله ـ ﷺ ـ: "بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ.. الحديث" !!

٦- ويقول جعيط بصراحة: "نحن لا نقبل أن يكون الإسلام الأس الوحيد للأخلاق والمجتمع، والمحرك الأساسي الفعلي للحياة الاجتماعية، فارضاً قواعده الدينية وما يرتبط بها من فروض في العادات والقضاء، كما كان الأمر في الدولة الخاضعة للحكم الإلهي..."! (السابق، ص١٠٣).

٧- ويزعم أن الإسلام : "ورث ... أغلب التقاليد اليهودية النصرانية، فيتضمن القرآن الملائكة، ورؤساهم، وإبليس وجيشه من

الشياطين والجن، ويظهر أن هؤلاء اقتبسوا من الخرافات المحلية" ! (السابق، ص١٢٤). أي أن القرآن ـ والعياذ بالله ـ يحتوي على خرافات محلية لم يصدق بها عقل هذا العلماني.

٨- ويقول لامزًا القرآن: "نجد في القرآن تصورًا معيناً للجنسين البشري قد لا يقبله العلم..." (السابق، ص ١٢٤).

٩- ويصرح الرجل بإلحاده! في قوله : "ولكن التفكير المتسلح يمكنه التقدم خطوات أخرى، فيتساءل: كيف يقبل العقل الناقد العذاب الأبدي فضلاً عن كونه جسدياً بالنسبة لغير المؤمنين؟ وكيف للنزعة الإنسانية الكونية لعصرنا أن تسمح بذلك؟ أين يكمن الحل للتناقض بين الحرية ومسؤلية الإنسان التي يتضمنها مفهوم الحساب، وبين قدرة الله وظلمه أو يكاد، التي يترجم عنها القضاء والقدر؟ وهذا الإله ذاته الشخصي والمتعالي، أي لعبة يلعب؟ لماذا كان متخفياً؟ أولا ينكشف مرة واحدة وبوضوح للإنسان؟" !! (السابق، ص١٢٤) ــ تعالى الله عن قوله علواً كبيرًا ـ

يقول الدكتور عبد الرزاق قسوم معلقاً: "إن من يقرأ مثل هذه الأحكام ويحلل مثل هذه الأفكار لا يخالجه شك في أن صاحبها يترجم بها عن قناعات علمانية إلحادية..." (مدارس الفكر العربي الإسلامي المعاصر، ص ٢٣٢).

ويقول: "يذهب.. هشام جعيط إلى تبني العلمانية كمنهج وحيد لتجاوز ما يسميه بأزمة التدين وأزمة التخلف الناتجة عن ذلك" ! (المرجع السابق، ص ٢٣٠).

قلت: لقد قامت تركيا ـ مثلاً ـ بتبني العلمانية قولاً وعملاً بما لا

يحلم به جعيط وأمثاله من العلمانيين العرب، ومع هذا ارتكست في التخلف الدنيوي والتبعية الذليلة للغرب، فضلاً عن خسارتها لدينها. أفلا يكفي أن تكون تجربتها عبرة للعلمانيين العرب؟! أم أن الأمر لا يعدو أن يكون اتباعاً للشهوات والشبهات، وبغضاً لشرع الله ودينه الحنيف ؟!

١٠- ويقول جعيط ـ أخزاه الله ـ: "بما أن الدين مرتبط بالماضي، فإن عناصر كثيرة يتضمنها أو يتشكل منها لا يقبلها العقل إطلاقاً، ولا الفكر وحتى ذهنية الإنسان الحديث، فقد أبرز العلم والفلسفة والنقد التاريخي بديهيات تهاجم النواة الدينية ذاتها، أو على الأقل كساءها الأسطوري" (الشخصية العربية الإسلامية والمصير العربي، ص ١٠٨)

١١- ويقول ـ فُض فوه ـ طاعناً في رسول الله ـ ﷺ ـ ! بكلام لا يشك مسلم في كفر قائله: "إن جريمة النبي لا تكمن فقط في استغلاله لسذاجة الجماهير، ولكنها تكمن أيضاً في تجسيده من خلال سيرته الذاتية مثالاً للشهوانية والعنف وعدم الأخلاق، هذه الخصائص التي طبع بها كل الشعوب التي اتبعته" !! (انظر: مدارس الفكر العربي الإسلامي المعاصر، ص٢٣٨).

قلت: فتأمل بشاعة هذا القول الذي يُخرج صاحبه من الملة بلا شك ويُقتل صاحبه بلا استتابه؛ لطعنه في رسول الله ـ ﷺ ـ. (انظر: الصارم المسلول لشيخ الإسلام).

١٢- أما أمهات المؤمنين ـ رضي الله عنهن ـ، وصحابة رسول رب العالمين ـ ﷺ ـ فلم يسلموا ـ أيضاً ـ من طعن هذا المفكر العلماني. (انظر المرجع السابق، ص ٢٣٩).

١٣- وكذا طعن في الأحكام الشرعية، وأنها لا تناسب العصر؛ كتعدد الزوجات (السابق، ص ٢٤٠). يقول الفاجر: "ينبغي تركيز الجهد على ميدان قانون الأحوال الشخصية الشاسع والذي ما زال خاضعاً لطبقة عنيفة وتنصيعات قرآنية، فينبغي تخليص ما يُعرف بقانون الميراث وتشريع الزواج، وحتى التشريع الجنسي من عبء الفقه، وإخضاعه لمقولات العقل العالمي" !! (الشخصية العربية...، ص١١٥) ولا أدري ما هو هذا (العقل العالمي) الذي يريد إخضاع أحكام الشريعة له؟! لعله عقل أسياده الفرنسيين والغربيين.

١٤- أما عن موقفه من بلاد التوحيد؛ فإليك ما يقوله فيها : "إن البلدان النفطية الصرف ـ وأعني بها بالتخصيص العربية السعودية وإمارات الخليج ـ هي هامشية في حياة المجموعة العربية بحيث إن ما أتيح لها من ثروات هائلة تبدو كأنها انتقام من القدر[1]. هي بلدان متأخرة وصمها عمق التأثير الديني، وهي قليلة التفتح على نداء الحداثة لأنها لم تعش استعماراً حقيقياً، ولا تملك وسائل ببشرية ولا قاعدة بيئية كافية لتحرير القوى المنتجة ولن تظهر ما تقدمه لإفادة التنمية العامة للعالم العربي إلا ضمن منظور مستقبل مدمج حيث تقوم بدور المناطق النفطية. أما حالياً فإنها في حاجة قبل كل شيء إلى تكوين الفنيين وتطوير التعليم والقيام بدفع قوي للزراعات السقوية على الصعيد الاقتصادي بفضل وسائلها المالية تحديداً. وتجتهد عدة دول نفطية حقيقية في مساعدة الدول الأخرى التي لم تجاملها الطبيعة[1]. لكن الملاحظ بالخصوص أن أموالها مودعة في البنوك الغربية دون أي نفع لها أو

(١) !!.

لأشقائها العرب، علماً أن الطبقة المحظوظة تتجول بشهواتها في العالم الأجنبي، وترتع في النعيم واللذة فتمدد في بقاء صورة المشرق المحتقر الداعر. وعلى هذا فمن الضروري توزيع المداخيل من جديد باتجاه التخفيف من الفوارق. وبما أن الدولة هي التي تملك المنة النفطية فالواجب أن يقع إصلاحها قبل غيرها. لكن القاعدة العامة أنه على هذه الأقطار أن تخرج من العهد الوسيط القاتم والفاقد للثراء الفكري والبشري.أما على الصعيد المادي، وبسبب امتلاكها موارد استثنائية، ولأنها بلدان قليلة السكان، فلا يوجد حقاً وضع يتطلب حلاً عاجلاً. بل يكفي لحكومة متبصرة أن تضع حداً للتبذيرات وتنشئ مؤسسات ذات أغراض اجتماعية (الضمان الاجتماعي والضمان على المرض، الخ)، وتنمي إلى أقصى حد التجهيزات الجماعية، وتحد من نشاط المضاربين ورجال الأعمال، لكي تتحسن الأمور في العشرية القادمة. فلا حاجة إذا القيام بدعوة للثورة الكلامية وألا يتم شيء في واقع الحال، بل الأحسن خلافاً لذلك أن تحقق إصلاحات محدودة تقدر عليها الدولة النفطية التي حبتها العناية الإلهية، حتى يخرج المجال الصحراوي العربي من سباته" (الشخصية العربية....، ١٩١-١٩٢).

قلت: فهذا العلماني يقطر حقدًا على بلاد التوحيد "المتخلفة" في نظره! ويغيظه جدًا ما حباها الله به من ثروات ـ وله الحمد والمنة ـ معترضاً على قضاء الله وقدره.

والطريف هو قوله عنها ـ متأسفاً! ـ: "لم تعش استعمارًا حقيقياً" !! فأصبح الاستعمار الكافر لبلاد المسلمين في نظر هذا العلماني مما يُفرح به ويُتأسف على فقده! نعوذ بالله من الذل والهوان:

ولا يقيم على ذلٍ يراد به إلا الأذلان عَيْر الحي والوتد !

وخلاصة القول: ـ كما يقول الدكتور عبد الرزاق قسوم ـ (ص٢٤٦) : "أن هشام جعيط.. أقرب في طروحاته هذه إلى العلمانية الملحدة" .

وقال الدكتور مفرح القوسي في رسالته: " المنهج السلفي والموقف المعاصر منه في البلاد العربية"[١] (٢/ ٦٥٤-٦٥٦): "الدكتور هشام جعيط[٢]: وهو من أبرز المعادين للمنهج السلفي، والمتحمسين لتطبيق المبادئ العلمانية في البلاد الإسلامية، قدم ـ في سبيل ذلك ـ أفكاراً وطروحات عديدة، فنراه يقول ـ كاشفاً عن حقيقة انتمائه الفكري العقدي ـ: "نحن ندعي العلمانية؛ بمعنى أننا نعتقد ضرورة الفصل الجذري بين التشريع الديني والمؤسسات الاجتماعية والقانون والأخلاقية الممارسة"[٣]، ويقول ـ داعياً إلى إقصاء الشريعة الإسلامية وإيقاف العمل بها في بلاد المسلمين ـ: "ينبغي على البلدان المتخلفة اللحاق في ميدان التشريع بالبلدان المتطورة، وأن يتوقف العمل بالتشريع غير الملائم القاسي المعروف بإقامة الحدود، والذي تخلى عنه الأمويون منذ ثلاثة عشر قرناً خلت...، وينبغي أن يُركز الجهد على ميدان قانون الأحوال الشخصية الشاسع، والذي ما زال خاضعاً لصبغة عتيقة

---

(١) طُبعت أثناء إعدادي لهذا البحث المختصر عن دار الفضيلة بالرياض عام ١٤٢٣هـ. وأنا أنقل من أصل الرسالة المحفوظ بمكتبة الملك فهد الوطنية.

(٢) باحث ومفكر تونسي معاصر، مختص بالدراسات التاريخية، من مؤلفاته: (الكوفة ـ نشأة المدينة العربية الإسلامية) نشرته مؤسسة الكويت للتقدم العلمي سنة ١٩٨٦م، وكتاب (الشخصية العربية الإسلامية والمصير العربي) نشرته دار الطليعة في بيروت سنة ١٩٩٠م.

(٣) الشخصية العربية الإسلامية والمصير العربي ص ١١٢، ط الثانية ١٩٩٠م، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت ـ لبنان .

وتنصيعات قرآنية، فينبغي تخليص ما يُعرف بقوانين الميراث وتشريع الزواج وحتى التشريع الجنسي من عبء الفقه وإخضاعه لمقولات العقل العالمي.. ويجب قبل كل شيء أن ينتهي العمل في كل مكان بطلاق المرأة حسب شهوة الرجل، وأن تُضمن لها المساواة في حقوق الإرث، وأن يقع العدول عن تعدد الزوجات، ويرتبط بهذه الأمور تدخل العقلنة في تشريع المواريث، حيث يجب القضاء على العناصر المتعلقة بالقبلية؛ بصفتها مخلفات للمجتمع العربي القديم"[(١)].

ويقول ـ مبرراً الدعوة إلى الانفصال بين الدين والدولة في الإسلام ـ: "كان لنزعة الإسلام الماضية إلى التدخل في نسق الكائن البشري ما يبرره، وهو منطق ديني صارم وطموح مثالي عميق. وبما أن هذا العمل التربوي التوحيدي قد تم، وحيث أن على الطبقة التحتية الماورائية الدينية أيضاً أن تتخلى عن احتكار الحقيقة على الأقل، فإن هذا الانفصال ممكن وضروري في آن واحد. وبذا يحافظ التشريع الديني في مثل هذا الأفق على كامل قيمته الإمكانية، أما المجتمع فإنه سينمو طبق مقاييسه الخاصة في المرحلة الراهنة من مصيره، لا عملاً برؤية مسبقة لآخرة تكون هي الحياة الحق"[(٢)]، ليس هذا فحسب بل يرى أنه "ينبغي أن يشمل هذا الانفصال ميادين أخرى من الحياة الاجتماعية كالأخلاق... فلابد من الوصول إلى تحرير الأخلاق الملموسة من وطأة الأخلاق الدينية؛ من حيث ضيقها وتشددها"[(٣)]. ويرى "أن الرسول

---

(١) المرجع السابق ص ١١٥.

(٢) المرجع السابق ص ١١٥ - ١١٦.

(٣) المرجع السابق ص ١١٦.

جمع في شخصه بين سلطة الرسالة وسلطة الدولة، لكن الخلافة الراشدة تطورت بعد موته إلى ملوكية عادية"[١].

ويدعي أن "السلفية" تحصر مفهوم "العلم" في العلم الشرعي فقط وتنكر ما عداه؛ ولا سيما العلم المادي الحديث الذي تُدينه وترفضه، لأنه ـ في نظرها ـ غير يقيني ويقود إلى الإلحاد، كما يدعي أنها ترى اشتمال القرآن على كل علم، وتقديم الدين إذا ما تعارض مع العلم. فنراه يقول مصوراً موقف السلفية ـ الماثل الآن في الصحوة الإسلامية ـ من العلم: "من منطلق إسلامي بما أن المتعالي وهوالله تجلى في التاريخ، وبما أنه يعلو على العالم المادي الذي هو زائل وفان وليس بذي قيمة في ذاته، فإن العلم الوحيد الحقيقي هو العلم بالله وبكلام الله وبسنة نبيه التي تكمله وتتممه، وإذا كانت هناك قوانين تسير العالم المادي فالله وحده يعلمها، وهو الذي سطرها ويطبقها، ولا حاجة للمؤمن بأن يهتم إذن باستكشافها؛ إذ العالم ليس إلا مجالاً لنشاط الله المستمر ولنشاط الإنسان المتعبد والذي خُلق لكي يعبد الله، ويجب التأكيد على أن مفهوم (العلم) كان يعني في القرنين الأول والثاني العلم بصفة نقلية بالنصوص المقدسة؛ أي بالقرآن والسنة وأكثر فأكثر بالسنة خاصة، وهو مفهوم يتجابه مع مفهوم الفقه الذي كان يعني جانباً من ممارسة (الرأي)، فعندما يتكلم ابن سعد في (الطبقات) عن فلان واصفاً إياه بأنه (غزير العلم)، فقد كان قطعاً يريد إشعارنا بأنه غزير المعرفة بالحديث الصحيح. ثم تطور المفهوم إلى أن أصبح يستوعب العلم بكل جوانب

---

(١) المرجع السابق ص ١١٩.

الشريعة من قرآن وحديث وفقه، ولا يضم غيرها من فروع المعرفة"[١].

ويقول أيضاً: "إن الإسلام الأولي الصافي لم يشأ أن يهتم لا بالحكمة ولا حتى بغيرها من أصناف المعرفة، وإن كان حقاً أن أصحاب الصحوة الإسلامية إنما مطمحهم الرجوع إلى إسلام القرن الأول، فمن حقهم أن يعتبروا أن لا وجود لعلم إسلامي غير علم الشريعة"[٢]، ويقول كذلك: "في خصوص العلم المادي الغربي الصحوة الإسلامية تدينه لكونه علماً مادياً يجسر إلى الإلحاد وأنه علم غير يقيني، وعلى كل حال فالقرآن يحوي كل علم، وإذا ما تغرب العلم والدين فكلام الله يعلو عليه"[٣].

---

(١) بحث (الصحوة الإسلامية والثقافة المعاصرة) ص ٢٨٦-٢٨٧ بتصرف يسير، وهو بحث قدمه هشام جعيط إلى ندوة (الصحوة الإسلامية وهموم الوطن العربي) التي عقدها منتدى الفكر العربي بعمان بالأردن عام ١٩٨٧م، ط الأولى ١٩٨٨م.

(٢) المرجع السابق ص ٢٨٧ بتصرف يسير.

(٣) المرجع السابق ص ٢٨٧.

نظرة شرعية
في أدب
فدوى طوقان



نظرة شرعية في أدب فدوى طوقان

ترجمتها[1]:

● ولدت في نابلس في فلسطين، عام ١٩١٧م.

● تلقت تعليمها الابتدائي في نابلس، لكنها لم تتم تعليمها الثانوي، ولم تدرس دراسة أكاديمية لظروف اجتماعية، فتعهدها شقيقها إبراهيم بالرعاية والتثقيف الذاتي.

● التحقت عام ١٩٦٢ـ١٩٦٣م بدورات تعليم اللغة الإنجليزية والأدب الإنجليزي، في أكسفورد بإنجلترا.

● شاركت في عدد من المؤتمرات الأدبية، والمهرجانات الشعرية في الوطن العربي والخارج، مثل: مؤتمر السلام العالمي، ستوكهولم ـ السويد، مؤتمر الكتاب الإفريقيين الآسيويين، بيروت ـ لبنان.

● عضو مجلس أمناء جامعة النجاح في نابلس، وهي التي وضعت نشيدها الرسمي.

آثارها الشعرية:

١- ديوان "وحدي مع الأيام" دار النشر للجامعيين ـ القاهرة ١٩٥٢م.

٢- ديوان "وجدتها" ـ دار الآداب ـ بيروت ١٩٥٧م .

---

(١) مستفادة باختصار من : "أعلام الأدب العربي المعاصر" لكامبل (٨٤٨-٨٥١). و" موسوعة أعلام المبدعين العرب" للدكتور خليل أحمد خليل (٧١٧/٢-٧٢٢). وكتاب " فدوى طوقان: شاعرة أم بركان" لهيام الدردنجي (ص ٤٣ وما بعدها). وكتاب "فدوى طوقان: نقد الذات، قراءة السيرة" لريم العيساوي (ص ١١٥-١١٧).

٣- ديوان "أعطنا حبًا" ـ دار الآداب ـ بيروت ١٩٦٠م .

٤- ديوان "أمام الباب المغلق" ـ دار الآداب ـ بيروت ١٩٦٧م.

٥- ديوان "الليل والفرسان" ـ دار الآداب ـ بيروت ١٩٦٩م.

٦- ديوان "على قمة الدنيا وحيدًا" ـ دار الآداب ـ بيروت ١٩٧٣م.

٧- ديوان "تموز والشيء الآخر" ـ دار الشروق ـ عمّان ١٩٨٩م.

- ترجمت منتخبات من شعرها إلى اللغات الأخرى، كالإنجليزية، والفارسية، فقد ترجم لها الدكتور "إبراهيم داود" إلى الإنجليزية تحت عنوان: Selected Poems of Fadwa Tuqan، منشورات جامعة اليرموك الأردنية، ١٩٩٤م، وترجم "علي رضا نوري" بعض قصائدها إلى الفارسية في كتابه "حماسة فلسطين" ـ (طهران ١٣٤٩هـ)، وترجم الدكتور "غلام حسين يوسفي"، والدكتور "يوسف بكّار" قصيدة "وجدتها" إلى الفارسية في كتاب "مزيده أي أثر شعر عربي معاصر"، (مختارات من الشعر العربي الحديث) ـ منشورات سبرك ـ طهران ١٩٩١م.

آثارها العلمية والنثرية:

١- أخي إبراهيم (نشرته أولاً بالمكتبة العصرية في يافا عام ١٩٤٦م، ثم أعيد نشره كتصدير لديوان إبراهيم بطبعاته المختلفة) .

٢- رحلة جبلية.. رحلة صعبة: سيرة ذاتية (نشر دار الأسوار ـ عكا، ١٩٨٥م، ونشرته دار الشروق، عمّان ١٩٨٥م)، وترجم إلى الإنجليزية.

٣- الرحلة الأصعب: سيرة ذاتية ـ دار الشروق ـ عمّان، ١٩٩٣م.

انحرافاتها:

تعد فدوى طوقان واحدة من رؤوس المتحررات في بلاد الشام؛

حيث سخرت قلمها في سبيل الثورة على أحكام الشريعة التي تسميها مخادعة "بالعادات والتقاليد" كشأن أمثالها من المتمردين والمتمردات .

فأبرز ما يطالعه القارئ في حياتها هو تململها من حال المرأة المسلمة، وتذمرها من الأحكام الشرعية المتعلقة بها، مع الخلط بينها وبين العادات الجائرة التي ما أنزل الله بها من سلطان، حيث سلطت على الجميع نقدها وثورتها.

وليتها اكتفت بنقد العادات المخالفة لشريعة الإسلام مما كان يعج به العالم العربي زمن شبابها، لكانت أحسنت وأجادت، ولكنها لتشبعها بروح التمرد ثارت على الصالح والطالح، وأقحمت شرائع الإسلام بتقاليد وعادات أهل ذاك الزمان.

وحال فدوى طوقان ليس ببعيد عن حال أقرانها من الكتاب والأدباء الذين حين تفتحت أذهانهم بالعلم والثقافة وجدوا مَنْ حولهم غارقًا في الخرافة والجهل؛ حيث كان التصوف ضاربًا أطنابه في ديار الإسلام، صادًا للنبهاء والمثقفين عن الدين الحق، بما يمارسه أتباعه من شعوذات ودجل واستغلال لعامة الناس، فانصرفوا بسببهم عن كل ما يمت للدين بصلة، واستعاضوا عن ذلك بتبنيهم للأفكار القومية والثورية التحررية.

وأنا لا أقول هذا اعتذارًا لهم؛ لأن المسلم مطالب باتباع الكتاب والسنة أينما كان، لا يصرفه عن ذلك جهل من حوله وابتداعهم.

الحاصل: أن فدوى طوقان كانت من هذه الفئة التي انصرفت عن الدين لما رأت سلوك وجهل من يدعي التدين من أفراد أسرتها؛ كجدتها الصوفية! .

ولنستمع إلى شيء من أقوالها التي ذكرتها في سيرتها الذاتية "رحلة جبلية.. رحلة صعبة" تشهد بما ذكرته من تذمرها من حال المرأة، وبغضها لمن تسبب في كبتها ـ كما تزعم ـ.

أقوالها عن أسرتها وحياتها الأولى:

- تقول عن أمها: "ليس لي مكان في ذاكرتها .. هنا كنت أشعر بشعور غير مريح، ولكنني لم أكن أستطيع توضيحه" (ص٢١).

وتقول عنها مدعية أنها تعيش حالة من الشقاء: "حين كبرت عرفت مصدر ذلك الشقاء الخفي؛ إنه الحصار والقهر الاجتماعي المفروض على المرأة" (ص ٢٥).

وتقول عن جدتها: "كانت عندها مقاييس الحلال والحرام، اللائق وغير اللائق، عجيبة غريبة. لقد كانت تصرخ في وجهي إذا رأتني مرتدية ثوباً قصيرًا: هيا.. شمري عن فخذيك أكثر.. ستدخلين جهنم أنت وأمك التي خاطت لك هذه الملابس المشينة!

وكان هذا يشوش صفاء طفولتي وبساطتها. كما كان يبلبل عقلي الصغير.. أمن أجل ثوب قصير يدخلني الله جهنم مع أمي؟ وأتخيل الله ربًا قاسياً رهيبًا لا يرحم" !! (ص ٣٧).

وتقول عن أبيها: "لم أكن أحمل لأبي عاطفة قوية، بل ظل شعوري تجاهه أقرب ما يكون إلى الحيادية ...الخ" (ص ١٣٥).

وتقول عن أخيها لما رآها تغازل !: "أصدر حكمه القاضي بالإقامة الجبرية في البيت حتى يوم مماتي، كما هددني بالقتل إذا أنا تخطيت عتبة المنزل" (ص٥٥) .

وتقول عن أبيها الذي اكتشفها وهي تدخن!: "العاصفة الغاضبة

التي أثارها في وجهي ساعة دخل الغرفة ذات يوم ووجدني متلبسة بجرم تدخين السجائر" (ص ١٢٩).

أما تذمرها من حالها فتقول: "في الفترة ما بين الثلاثينات والأربعينات لم يكن يُسمح لي بالخروج من المنزل إلا بصحبة بعض أهلي ـ أمي مثلاً أو عمتي وأخواتي وبنات عمي ـ لم يكن هناك من متنفس غير الزيارات. ولم يكن هذا الجو يستهويني على الإطلاق" (ص ١١٤).

"لقد كنت معزولة عزلة تامة عن الحياة الخارجية" (ص ١٣٢).

"كان والواقع المعاش في ذلك (القمقم الحريمي) مذلاً مهينًا، حيث تعيش الإناث وجودها الهزيل القاتم" (ص ١٢٩).

"في هذا البيت وبين جدرانه العالية التي تحجب كل العالم الخارجي عن جماعة (الحريم) المؤودة فيه انسحقت طفولتي وصباي وجزء غير قليل من شبابي" (ص ٤٠).

"هذا العالم الذي كنت أعيش فيه ظل شديد الوطأة على نفسي، حتى لقد سيطر علي الشعور بالعبودية والقسر" (ص ٩٥).

"إن المرأة القروية كانت تملك حرية الحركة بشكل أفضل وأكثر فعالية؛ بفضل سفورها..."! (ص١٣٣).

"ظل العزف والغناء بالنسبة لي تعبيرًا ومخرجًا رمزيًا لحاجاتي العاطفية المكبوتة... كنت أجد في الموسيقى والغناء ـ سواء في الاستماع إليها أو في ممارستها ـ تنفيسًا للتوتر الذي أعانيه" (ص ٣٨).

"ظلت الموسيقى حتى اليوم تشعرني بالصفاء الروحي" (ص ٦٧).

"عكفت على العزف على العود والغناء" (ص ٨١)، وفيها أيضاً أنها

كانت تعزف العود بتشجيع من أخيها إبراهيم!

حياتها بعد التحرر:

تقول عن حياتها في القدس بعيدة عن أهلها: "كنت فرحة بعالمي الجديد، سعيدة ببعدي عن نظام الأسرة الصارم... إلى جانب هذا كله كانت هناك المكتبات العامرة، ودور السينما، والحفلات الغنائية العامة.. الخ" (ص ١٢٢).

"كان المجتمع المحيط بي مجتمعًا متحررًا" (ص١٢٢).

"النادي الثقافي المختلط الذي أسسه الدكتور وليد قمحاوي مع بعض الشباب الواعي (!) ... كنت واحدة من أعضاء النادي" (ص ١٤٣).

مدحها للإنجليز وبلادهم:

ومما يحزن المسلم أن هؤلاء الإنجليز الذين تمدحهم فدوى هم من تولى كبر التمكين لليهود في بلادها !!.

تقول فدوى: "ليس هناك أجمل من الشعور بالحرية والتحرر من المنغصات المحيطة، تلك المنغصات التي يستحيل الفكاك من براثنها إلا بالبعد الجغرافي. لقد عرفت في إنكلترا فرحة السجين بلحظة الخروج إلى الفضاء والنور".

وتقول (ص ١٩٤): "كان أكثر ما أحببته: ذلك الطابع الإنكليزي المتجسد في الصوت الخفيض في أثناء الحديث، وفي الصمت المخيم في الأماكن العامة؛ كالحافلات وصفوف الانتظار..أما الحب فعلى قارعة الطريق، في الحدائق، في السينما، في كل مكان، والقبلة بين الجنسين سهلة التناول.." !! الخ مديحها لمن احتلوا ديارها وأهانوا أهلها

وإخوانها، فالحمد لله على نعمة الإسلام والاعتزاز به.

نظرتها للدين وشيء من أفكارها:

- تقول الباحثة هيام الدردنجي: "ظلت فدوى تنظر إلى الدين كمجموعة من الطقوس، ولم نر أي أثر للإيمان الديني في أشعارها"[(١)].

وتقول فدوى عن نفسها : "لست متدينة، ولا أهتم بالطقوس. صلتي بأمور الدين وكتبه ليست متينة الروابط" (ص ٢١٩).

"إن قوى الشر؛ سواء أكانت غيبية أم اجتماعية أم سياسية تقف دائماً ضد الإنسان وتعمل على تحطيمه" (ص ١٠).

"انجذبت بطبيعتي التشاؤمية إلى الشخصيات القلقة المتشككة"(ص ١٥٤).

"كان كتاب (العهد القديم) من الكتب التي أعود إليها بين حين وآخر" (ص١٥٥).

"كان سلامة موسى والعقاد والمازني من الكتاب الذين فتحوا ذهني وعلموني ما لم أعلم.." (ص ١٥٣).

"مع سقوط أنظمة الحكم الرجعية في مصر وسوريا تنامت الحركات الشعبية في مصر والعراق، وبدأ الفكر الاشتراكي والماركسي يوغل في ضمير الشعوب العربية موجهًا كفاح الإنسان العربي ضد السيطرة الاستعمارية من جهة، وضد مفاهيم المجتمع التقليدي من جهة أخرى" (ص ١٤٢).

"الرجعية العربية تزداد قوة يومًا بعد يوم بفضل انبثاق الثروة في بقع

---

(١) فدوى طوقان: شاعرة أم بركان؟، (ص ٦٢).

من الرمال... والتقدمية العربية (!) لم تزل طفلة تفتقر للأسلوب والنظام" (ص٢٣٢).

- وأخيرًا تقول فدوى : "أحس بعبث الحياة وانعدام غايتها" (ص٢١٧).

"بدت لي الحياة اعتباطية" (ص٢١٣).

"لم أكن يومًا راضية عن حياتي أو سعيدة بها" (ص ٩) .

ولهذا فقد حاولت الانتحار مرتين ! (انظر: ص ٥٧ و١٣٥ من سيرتها).

وصدق الله القائل: ﴿ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾[١].

انحرافات متنوعة في ديوانها[٢]:

١- اعتراضها على القدر:

تقول (ص٣٢):

أرحمة الله بعليا سماه ... تقول أن يكتظ جوف الثرى؟

ويحرم المعوز قوت الحياة ... في عيشه المضطرب الأعسر

وتقول (ص٣٣):

أليس في قدرته القادرة ... أن يمسح البؤس ويمحو الشقاء!

أليس في قوته القادرة ... أن يغمر الأرض بعدل السماء!

وتقول (ص ٥٦):

النور أين النور هل قطرة ... تسيل منه في دجى يأسها

(١) سورة النور الآية ٤٠.

(٢) الصادر عن دار العودة ببيروت .

من أين والأقدار قد جففت   منابع الأضواء من نفسها

وتقول (ص ٢٦١):

عام قريب، كانت حياتي قبله، شبحًا يدب على جديب، متعثرا بالصخر، بالأشواك، بالقدر الرهيب..

٢- تأثرها بالمصطلحات النصرانية:

وقد بينت في بحث سابق تأثر أدباء الحداثة بالرموز النصرانية؛ نظرًا للفراغ الروحي الذي يعيشونه بسبب انصرافهم عن الإسلام وضعف تأثيره في نفوسهم؛ إضافة إلى اتخاذهم من أدباء الغرب النصارى قدوة لهم.

تقول فدوى (ص١٧٣):

وراحت تعانق جرح الحمى   حمانا المسمَّر فوق الصليب

وتقول (ص ٣٥٩):

هناك وراء الوراء بأعماق ذاتي   هنالك يرسب شيء خفي

يظل خفيًا ولا شكل له   يظل قويًا ولا لون له

يوجه سيري يخط دروبي   ويرفع بين يديّ صليبة

وتنشئ قصيدة تسميها (إلى السيد المسيح في عيده) (ص٤٩٩-٥٠١) تتوسل فيها إلى المسيح ـ ﷺ ـ أن يحل قضية فلسطين !!

٣- التشاؤم:

تقول (ص ١٣١):

ماذا أرى؟ هذاك بوم غريب   منطلق، جهم المحيا، وقاح

يحوم في الروضة حومًا مريب   غدوّه متهم .. والرواح

٤- امتهانها للفظ العبادة:

تقول (ص٤٦٠):

فمن أي الكهوف بزغتَ

يا وجهًا عبدناه ..

٥- تأثرها بالقومية وبعرابها الهالك جمال (الخاسر) الذي دبجت في رثائه قصيدة طويلة سمتها: "مرثية الفارس" (ص ٦٠٢-٦٠٥).

ألفاظ وقصائد كفرية:

١- تقول فدوى في إحدى قصائدها (ص ٥٨٩):

وتلعلع في طيات السحب الرعدية

ضحكات الرب!

٢- وتقول عن ممدوحها (ص ٣٦١):

اسمك لي

يا كلمة ماتني

تجاور اسم الله في قلبي !

٣- وتكتب قصيدة بعنوان: "الإله الذي مات" ! (ص٣٩١-٣٩٤).

٤- وتكتب قصيدة أخرى بعنوان "الباب المغلق" (ص ٤٤١-٤٥٠) تملؤها بالألفاظ الشنيعة التي تخاطب بها الله - ﷻ -، موحية إلى القارئ بأنه تعالى لا يستجيب لها، وأنه "مغلق أبوابه" أمامها، فلا جدوى من عبادته حينئذٍ!! إن لم يكن في نظرها خرافة! وقد حق فيها قوله تعالى: ﴿ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ﴾ [1].

---

(١) سورة التوبة الآية ٦٧.

فتأمل بعض كلمات قصيدتها القبيحة لتعلم ما سبق: تقول:

يا ملك الدنيا والناس

فسّر لي معنى أفعالك

كنت حبيبي، ملكي الأوحد

لا ألزم إلاَّ أعتابكَ

لا غير رحابك لي معبد

كنت حبيبي في قلبي

أحضن وجهك كل مساء

فإذا رفَّ على عينيَّ جناح الصبحْ

ألفيتك تملأ في قلبي تجويف القلب

تغمره بالدهشة، بالفرحْ

لكن أنت تغيّرتْ

لكن أنت تغيّرتْ

فاهتزَّت أعمدة المعبد

وانهارت قبب الأجراس

مات الملك

هوى، هوى عرش الملك

ومات في أنقاضه الملك

ليسقط الملك

ليسقط الملك (!!)

إلى أن تقول:

هل تسمعُني يا ربَّ البيت

أنا بعد ضياعي في الفلوات
بعيداً عنك أعود إليك
لكنَّ رحابك مغلقةٌ
في وجهي، غارقة في الصمتْ
لكنْ رحابك كاسية
بتراب الموت
إن كنت هنا فافتح لي بابك لا ـ
تحجب وجهك عني
وانظر يتمي وضياعي بينْ ـ
خرائب عالمي المنهار
وعلى كتفي أحزان الأرضِ ـ
وأهوال القدر الجبار
لا شيء هنا
عبثاً، لا رجع صدى لا صوت
عودي. لا شيء هنا غير الوحشة ـ
والصمتِ وظلّ الموت"

وبعد هذه الجولة في انحرافات هذه الشاعرة الحداثية المتحررة أيليق بإحدى الباحثات المسلمات أن تقول عنها:

"لقد أضاءت فدوى دروب الحياة للناس، وقدمت أنموذجًا كيف يمكن للذات أن تتجاوز العقبات والتحديات"[1] !!

---

(١) "فدوى طوقان: نقد الذات، قراءة السيرة" لباحثة ريم العيساوي ـ هداها الله ـ طبع: أندية الفتيات بالشارقة!!

لقد أساءت هذه الباحثة لنفسها، ولبست على الفتيات المسلمات وغررت بهن بترويج هذا النموذج المتحرر بينهن، وكان لها في الصالحات وعلى رأسهن أمهات المؤمنين غنية. وصدق الله تعالى: ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ﴾ [1]؟

أسأل الله الهداية والتوفيق لنساء المسلمين، وأن يصرف عنهن كيد الأشرار، وأن يسلك بهن سبيل الأبرار.

والله أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

---

(١) سورة البقرة الآية ٦١.

نظرات شرعية

في فكر منحرف

سليمان بن صالح الخراشي

الجزء الثاني

روافد للطباعة والنشر والتوزيع

لبنان – بيروت - خلوي / ٠٠٩٦١٣٢٦٥١٢٦

الطبعة الأولي ١٤٢٩ _ ٢٠٠٨

البريد الالكتروني : rawafed@libnan.cc-STConline

نظرة شرعية

في ثلاثية

تركي الحمد

نظرة شرعية في ثلاثية تركي الحمد

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده :

كنت قد كتبت قبل حوالي ثلاث سنوات رسالة مطولة عن فكر وأدب تركي الحمد، ولكن لم يتيسر طبعها في حينه، إنما وجدتْ الانتشار ـ ولله الحمد ـ على شبكة الإنترنت بناء على طلبٍ من إخوة كرام رأوا في ذلك حلاً مؤقتاً للتصدي لانحرافات هذا الرجل. ثم بعد ذلك اقترح البعض أن تُختصر تلك الدراسة ويُكتفى منها بما ذكرته عن "ثلاثيته" لسببين وجيهين؛ هما:

١- أن "ثلاثيته" هي سبب شهرته بين الناس، ولولاها لما راح ولا جاء.

٢- أن تأثير القصص في الناس أشد من تأثير المقالات الفكرية التي يعسر فهمها على كثيرين.

لهذا قمت بالاقتصار في هذه الرسالة على الحديث عن "الثلاثية" وما فيها من مضامين خطيرة يُستغرب صدروها من رجل يدعي الإسلام.

أما فكر الرجل ففي ظني أنه لا يستحق مزيدًا من الاهتمام؛ لعدم ثباته على مبدأ واحد، بل هو يتقلب تقلب الليل والنهار! فبينا تراه بعثياً يعلي قيمة الفكر الاشتراكي، إذا بك تجده بعدها مفكرًا قومياً، ثم تفاجأ به عن قريب قد انقلب كاتباً ليبرالياً ! ثم رابعةً كاتباً نفعيًا يدور مع مصلحته الخاصة.. وهكذا؛ فهو كما قيل:

يوماً يمانٍ إذا لاقيت ذا يمن   وإن لقيت معدياً فعدناني!

والله يقول عن أصحاب هذا التلون والتردد: "مذبذبين" لا يثبتون على رأي بل يدورون مع أهوائهم.

والملاحظ في كتابات الدكتور تركي الحمد ـ هداه الله ـ استكباره عن الحق، ومراغمته لأهله، ورضاه بأن يتقلب بين تلك المذاهب والمبادئ دون أن يكون لدعوة الكتاب والسنة نصيب من ذلك.

ومن يتأمل تلك الكتابات يجدها تدور حول هذه الأفكار التي تتردد عنده كثيراً:

أولها: تشنيعه على العاملين للإسلام في هذا الزمان، وتسميتهم ـ ظلماً وزورًا ـ "بالإسلامويين"، ومحاولة إقامة الحاجز بينهم وبين عامة المسلمين. وتصويرهم بأنهم لا يمثلون الإسلام الصحيح. وكان الأولى به أن يعترف بفضلهم وبجهودهم ويشكرها لهم، ويقبل ما عندهم من الحق. أما ما خالفوا فيه الكتاب والسنة فيُرَدُّ عليهم.

ثانيها: ادعاؤه المتكرر بأن الحق المطلق لا يمتلكه أحد! وهذا ـ في ظني ـ من تأثير "الذبذبة" التي لازمت مواقفه. لأن هذا التنقل بين أهواء البشر أورثه شكاً فيها جميعاً، بعد أن خبرها وعرف المآخذ عليها. ثم نظر إلى دعوة الكتاب والسنة نظرته لتلك الأهواء[1]!

ثالثها: أنه يخلط بين أمر "الدين" وأمر "الدنيا"، فمن كان متقدمًا في أموره "الدنيوية" كان عند الحمد المقدَّم في جميع الأمور ! وأصبحت "ثقافته" أو "حضارته" أولى بأن تحتذى من الآخرين.

---

(١) مقولة "الحق المطلق لا يمتلكه أحد" هي من المقولات "الكفرية" المعاصرة التي تسربت إلى عقول بعض المسلمين من مفكري الغرب، وقد وضحت ذلك في: حلقة من حلقات " ثقافة التلبيس " المنشورة بموقع صيد الفوائد على الشبكة العنكبوتية.

وهذا الخلط جعله يهوي في دركات الضلال عندما فضل الثقافات الأخرى على دين "الإسلام" وإن كان يستر هذا الأمر العظيم بعدم استعماله كلمة "الإسلام" عند المفاضلة !

معارضاً بهذا حكم الله تعالى في قوله: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾[(١)] أنه تعالى قد ارتضى هذا الدين لعباده. وختم رسله بمحمد ـ ﷺ ـ وكتبه بالقرآن فمن ارتضى غير ذلك فهو لا شك من أكفر الكافرين.

أما تخلف المسلمين في أمر الدنيا فلا شأن للإسلام به، إنما هو من عند أنفسهم عندما انصرفوا عن الأخذ بأسباب العلم والقوة وغرقوا في الخرافات والخزعبلات؛ حتى فاتهم الدين الصحيح والدنيا المتقدمة، إلا من رحم الله.

فأمر الدنيا كلأ مباح لجميع البشر؛ كما قال تعالى: ﴿ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴾[(٢)]. فمن بذل أسبابها حصّلها بإذن الله، ولهذا تجد المتقدمين دنيوياً في عالمنا أصحاب أديان ومشارب شتى لا يختص الأمر بدين أو ثقافة محددة.

وليعلم الحمد بعد هذا أن التقدم الدنيوي لا يغني عند الله شيئاً ما لم يقترن ذلك بالدين الصحيح، وقد أهلك سبحانه كثيرًا من الأمم السابقة التي أعرضت عن الحق وكفرت به مع إخباره عنها بأنها قد بلغت شأناً عظيماً في أمور الدنيا. قال سبحانه لنبيه ـ ﷺ ـ : ﴿ وَكَأَيِّن مِّن

---

(١) سورة آل عمران الآية ٨٥.

(٢) سورة الإسراء الآية ٢٠.

قَرۡيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرۡيَتِكَ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَتۡكَ أَهۡلَكۡنَٰهُمۡ ﴾[1].

الخلاصة: أن من أراد دراسة فكر الرجل ورغب في الرد عليه فلعله لا يغفل عن هذه الأمور الثلاثة التي ذكرتها، وهي ما يمثل معالم فكره.

والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه (أجمعين).

(١) سورة محمد الآية ١٣.

تعريف بتركي الحمد:[١]

هو: تركي حمد التركي الحمد، المشهور بـ(تركي الحمد) من أسرة قصيمية انتقلت إلى المنطقة الشرقية ، وسكنت الدمام ، وكان والده يعمل في شركة (أرامكو) .

- من مواليد ١٠ / ٣/ ١٩٥٢م الأردن، الكرك " العقيلات ".
- درس الابتدائية والمتوسطة والثانوية في مدينة الدمام.
- حصل على البكالوريوس في الاقتصاد والعلوم السياسية من جامعة الرياض عام ١٩٧٥م:
- ثم سافر إلى الولايات المتحدة لمدة عشر سنوات كاملة ! حصل منها على الماجستير في العلوم السياسية من جامعة (كلورادو) عام ١٩٧٩م.
- ثم حصل على الدكتوراه في العلوم السياسية - أيضاً - عام ١٩٨٥م ، من جامعة جنوب كاليفورنيا.
- عمل أستاذاً للعلوم السياسية بجامعة الملك سعود منذ عام ١٩٨٥م إلى عام ١٩٩٥م.
- ثم طلب التقاعد المبكر ليتفرغ للكتابة. ![٢].

---

(١) نقلاً عن المقابلة التي أجرتها معه قناة اقرأ الفضائية في يوم ١٤١٩/٨/١٣هـ ، ومجلة "فواصل "(العدد ٥٠) وقد وصفته هذه المجلة ـ هدى الله القائمين عليها ـ بأنه " أحد الذين بنور أفكارهم تستضيئ العقول ، وأحد الذين بلمعان جواهرهم تنير الآفاق " !!! ومن كتب هذا الكلام حريّ به أن يقرأ هذا الكتاب الذي يبين له حقيقة هذا المفكر المنير للعقول ! لعله يتراجع عن مدحه السابق امتثالاً لقوله تعالى : { لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوآدون من حآد الله ورسوله }

(٢) سألت مجلة "فواصل " تركي الحمد عن سبب طلبه للتقاعد المبكر من الجامعة وتفرغه للكتابة ، فقال : "لأني شعرت أنني أستطيع أن أنتج فكرياً خارج الجامعة أكثر مما لو بقيت داخل الجامعة ، وأنا أقول لكم بصراحة شديدة جداً: إن الجامعات العربية بشكل عام تحولت إلى نوع من القيد على الفكر ... " !! فما هو هذا (الفكر المقيد) الذي يريد تركي التفرغ له ونشره بين الناس !؟ هذا ما ستعرفه ـ إن شاء الله ـ.

مؤلفاته:

١- الحركات الثورية المقارنة عام ١٩٨٦م.

٢- دراسات أيدلوجية في الحالة العربية عام ١٩٩٢م.

٣- الثقافة العربية أمام تحديات التغيير عام ١٩٩٣م.

٤- عن الإنسان أتحدث ١٩٩٥م.

٥- رواية ثلاثية بعنوان (أطياف الأزقة المهجورة).

أ - العدامة.

ب - الشميسي.

ج - الكراديب.

٦- كتاب (الثقافة العربية في عصر العولمة).

٧- رواية بعنوان (شرق الوادي)[١].

٨- السياسة بين الحلال والحرام، (مجموعة مقالات).

- له العديد من المشاركات الصحفية عبر المقالات ، كمقالاته الأسبوعية في جريدة الشرق الأوسط ، أو مقالاته في جريدة الحياة ، أو مجلة الاتصال، وغيرها من المجلات السعودية وغير السعودية.

ثلاثية تركي الحمد

تسمى (أطياف الأزقة المهجورة) وهي من ثلاث حلقات متسلسلة تحكي قصة بطل واحد هو (هشام العابر).

الحلقة الأولى: بعنوان (العدامة)[٢]

---

(١) صدرت قريباً وهي رواية رمزية مغرقة في الغموض، ولأجل هذا لم يستطع الدكتور غازي القصيبي نفسه فهمها! كما صرح بذلك للمجلة العربية .

(٢) وسأعتمد على الطبعة الثانية الصادرة عام (١٩٩٨م) عن دار الساقي بلبنان . والعدامة حي مشهور من أحياء مدينة الدمام.

الحلقة الثانية : بعنوان (الشميسي)[١]
الحلقة الثالثة: بعنوان (الكراديب)[٢]

١ ـ العدامة:

بطل هذه الثلاثية هو (هشام بن إبراهيم العابر) شاب صغير السن يعيش مع والديه في مدينة الدمام في فترة الثمانينات الهجرية. وأما أصلهم فيعود إلى القصيم!.

وكان هذا الفتى الصغير مولعًا بالقراءة ومتابعة مايدور حوله من أحداث وأفكار في تلك الفترة الصاخبة بالشعارات ، فاعتنق لأجل هذا الفكر القومي الماركسي الذي كان متوهجاً ساحراً لكل متفتح على الحياة ، لا سيما بعد نجاح هذا الفكر (على اختلاف درجاته) في الاستيلاء على البلاد العربية، مما زاد من رصيد معتنقيه الذين رأوا فيه خير موحد للأمة العربية التي مزقها الاستعمار.

لهذا: اعتنق هشام هذا الفكر وآمن به، ثم استطاع أفراد تنظيم (حزب البعث بالسعودية !!) أن يضموه إليهم كعضو جديد في الحزب بعدما أعجبوا به وبأفكاره.

استمر هشام يحضر اجتماعات الحزب (السرية) ، ويشارك في نقاشاتهم وفي إعداد التقارير لهم عن الأحوال السياسية الجارية.

كما أنه استطاع أن يضم صديقه (عدنان العلي) إلى هذا الحزب، إلا أنه برغم كل هذا يود التخلص من الارتباط بعضوية الحزب ، مع

---

(١) وسأعتمد على الطبعة الأولى ، الصادرة عام (١٩٩٧م)عن دار الساقي بلبنان . والشميسي شارع وحي مشهور في مدينة الرياض .

(٢) وسأعتمد على الطبعة الأولى ، الصادرة عام (١٩٩٨م) عن دار الساقي بلبنان ، والكراديب رمز للسجن .

البقاء على أفكاره دون أن يشعر بأي تقييد.

سافر هشام إلى الرياض لتقديم أوراقه إلى كلية التجارة مؤملاً أن يدرس شيئاً عن الأفكار والأنظمة السياسية المختلفة . فاضطر للسكن في بيت خاله (المتدين).

كان أولاد خاله يختلفون عنه كثيراً في أسلوب حياتهم وطريقة عيشهم، حيث كانوا مقبلين على اللهو والتمتع بالحياة، ولم تكن الأفكار الفلسفية والأحداث السياسية تستهويهم لا سيما (عبدالرحمن) الذي تميز عنهم بحبه للمغامرات النسائية مع شربه للخمر (أو العَرَق).

تغيرت أحوال هشام بسبب ابن خاله عبدالرحمن الذي أغراه بالتمتع بشبابه ومعاقرة الخمر والنساء، فانساق هشام معه تدريجياً إلى أن سقطت جميع المثل التي كان يراها في السابق من عينيه بفضل رعاية والديه له في الدمام. فأقبل على حياته الجديدة بنهم شديد وبعلاقات نسائية متتالية.

كان هشام قد سافر من قبل مع أهله إلى بلدهم الأصلي (القصيم) لزيارة جده وجدته.

وهناك تعرف هشام على (عبد المحسن التغيري) الذي عرَّف هشاماً على بقية زملائه من خلال (كشتات) البر. وهم (محمد الغبيرة) و(دعيس الدعيس) و(سليم السنور) و (صالح الطرثوث) و(مهنا الطعيري) وكانوا جميعاً من المهووسين بجمال عبد الناصر وبقوميته لا سيما (مهنا الطعيري).

عاد هشام إلى الدمام مواصلاً ترقب أخبار الاعتقالات التي حدثت لأفراد الحزب والأحزاب والتنظيمات الأخرى المعارضة (للحكومة

السعودية) ومواصلاً أيضاً غزله المتباذل مع بنت الجيران (نورة).

وبهذا انتهت الرواية الأولى من ثلاثية تركي الحمد.

لتبدأ بعدها أحداث الرواية الثانية (الشميسي).

٢ ـ الشميسي:

تكاد تكون أحداث رواية الشميسي مخصصة لحال هشام في مدينة الرياض، وهذا مايوحي به اسمها (الشميسي) الذي هو اسم شارع شهير في مدينة الرياض.

سجل هشام في كلية التجارة وانتقل إلى السكن عند خاله في الرياض، وكثرت ملابسته للمحرمات من شراب ونساء بواسطة (عبد الرحمن) ابن خاله.

ثم ارتبط بعلاقة غير شرعية مع جارة خاله (سارة) أو (سوير) وأصبح يتردد عليها).

تفاجأ هشام بالتزام صديقه عدنان ، الذي اختار سبيل الخير مسلكاً له وارتبط مع شباب صالحين أثناء قدومه للدراسة الجامعية في الرياض ـ أيضاً ـ.

انتقل هشام للسكن في عزبة مع (عبد المحسن التغيري) الذي قدم الرياض من القصيم لكي يأخذ ـ أي هشام ـ حريته الكافية التي كانت مقيدة نوعاً ما في منزل خاله.

انتهت امتحانات نصف العام فذهب هشام إلى الدمام لزيارة أهله مواصلاً علاقته العاطفية مع (نورة) بنت الجيران بعد أن علم بزواجها.

رجع هشام إلى الرياض مواصلاً ـ أيضاً ـ مغامراته النسائية لا سيما

مع (سوير) التي حملت منه !

جاء والده فجأة لزيارة الرياض لإخباره بأنه مطلوب من قبل رجال الأمن (المباحث).

وبعد أخذ ورد قرر الوالد إخفاءه عن أعين الأمن عند أحد زملائه إلى حين استصدار جواز مزور له لكي يتمكن من الهرب إلى بيروت[١] عن طريق البحرين ، ولكن رجال الأمن كانوا له بالمرصاد حيث قبضوا عليه وحققوا معه ثم قرروا ترحيله إلى جدة لمواصلة التحقيق (الجاد !) معه.

بهذا الحدث انتهت رواية الشميسي وهي الحلقة الثانية من ثلاثية تركي الحمد ، لتبدأ بعدها أحداث الحلقة الأخيرة من الثلاثية وهي رواية (الكراديب).

٣ـ الكراديب:

هذه الرواية مخصصة لبيان أحوال هشام في السجن في جدة بعد أن حُقق معه ولكنه أبى الاعتراف بانتسابه إلى تنظيم (حزب البعث) ، فقرروا أن يلبث في السجن إلى حين ، حيث تعرف من خلال السجن على الشيوعي (عارف)، فبدأت بينهما نقاشات حول أفكار بعضهما مع شد وجذب ، لأن كل واحد منهما يؤيد فكرته لتصحيح الأوضاع.

اعترف هشام بما يريده السجانون فنقلوه من مكانه إلى مكان آخر أفضل منه. حيث تعرف ـ أيضاً ـ على (وليد) الذي يؤمن بالقومية كحل لأفراد الأمة ، و (عبد الله) الذي ينتمي إلى (الجبهة الديمقراطية) وهي جبهة منفصلة عن حزب البعث ، (ولقمان) الذي ينتسب إلى

---

(١) كانت ملجأ لمعارضين ذاك الزمان.

الإخوان المسلمين!.

استمرت النقاشات بين هؤلاء الأربعة، وكلٌ منهم يحاول أن يبين صحة نظرة واختياره هذا المسلك الذي سلكه، وارتضاه دون غيره.

بعد مدة من الزمن تم الإفراج عن هشام الذي عاد فوراً إلى الدمام، ولكنه وجد كل شيء حوله قد تغير ولم يعد يحمل ذكرى الماضي لا سيما وأبوه قد انتقل إلى بيتٍ جديد بدل بيتهم القديم الذي عاش فيه سنيه الأولى.

بعد أخذ ورد قرر أهله أن يعود إلى مواصلة دراسته في الرياض، فعاد إليها مندهشاً لمدى تغيرها عن عهده القديم بها، في مبانيها وفي أفرادها (وهو ينظر بعينين فقدتا بريقهما ، إلى أزقة كانت مأهولة، فلم تعد إلا أزقة مهجورة تجوبها أطياف لا حياة فيها ، ولكنها لا تريد أن تموت)[1]، وبهذا انتهت أحداث الحلقة الأخيرة من ثلاثية تركي الحمد.

ملامح بطل الثلاثية: هشام العابر:

لنتبين ملامح (هشام العابر ـ أو تركي الحمد (في هذه الرواية سأقتطف بعض العبارات من الثلاثية تُكون لنا صورة متكاملة لشخصيته (صفاته وطموحاته):

١ـ هو شاب يحب القراءة: لاسيما قراءة الكتب (المحرَّمة) الفلسفية والماركسية .

(لقد خرج إلى الدنيا وهو لا يعرف إلا هواية واحدة ، ولذة واحدة هي القراءة، ويقرأ أي شيء ، وكل شيء تقع عليه يده)[2].

---

(١) الكراديب (ص٢٨٨).

(٢) العدامة (ص٩).

(أخذت القراءات الفلسفية والسياسية تجذبه كثيراً منذ أن أهداه أحد أصدقاء والده كتاب "طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد " لعبد الرحمن الكواكبي ، حتى أنه كان يقضي ليالي بطولها في قراءة النصوص الماركسية والقومية والوجودية وغيرها من التيارات الفلسفية والسياسية مما تقع عليه يده في المكتبات المحلية ، أو يحصل عليه مما هو غير متاح في المكتبات)[١].

(في المرحلة الثانوية أهمل الدراسة إهمالاً تاماً ، ولولا خشيته من جرح كبرياء والده وقلب أمه لما درس إطلاقاً ، وتفرغ لعالمه الجديد من القراءة واكتشاف النصوص المحرمة)[٢].

(لم تعد الكتب المتوفرة في المكتبات المحلية ترضي شغفه بالعالم الجديد الذي اكتشف ، فكان في كل رحلة مع والديه إلى الدول المجاورة ، الأردن أو سوريا ولبنان يجلب معه بعضاً من تلك الكتب الممنوعة والمحرمة ، والتي تكون زاده المعرفي طوال الفترة اللاحقة)[٣].

(كان ينفق كل مصروفه على الكتب الماركسية غير المتاحة في بلده، وخاصة مؤلفات آرنستوتشي غيفارا ، وريجس دوبريه ، وفرانز فانون، بالإضافة إلى مؤلفات ماركس وانجلز وبليخانوف ولينين وترو تسكي وستالين، التي تشكل الزاد الفكري الرئيسي. أما ما كان يهزه من الداخل فعلاً ، فقد كانت مؤلفات غيفارا التي كانت تدغدغ شيئاً ما داخل ذاته. كانت هذه الكتب، بالإضافة إلى الأعمال الأدبية والروائية

---

(١) العدامة (ص٩).

(٢) العدامة (ص١٠).

(٣) العدامة (ص١٢)

العالمية الخالدة، تباع بأرخص الأسعار على أرصفة الشوراع في عمان ودمشق وبيروت، وعلى عربات أشبه بعربات الخضار. التهم خلال رحلاته ، وبعد العودة ، كل روايات مكسيم غوركي خاصة، وأهم الروايات الخالدة في الأدب الروسي عامة. قرأ " آنا كرنينا " و " البعث " لليو تولستوي، " والجريمة والعقاب " "والأخوة كارامازوف " لفيدور دوستويفسكي، و"الدون الهادىء" لميخائيل تشولوكوف. وقد أثارت فيه رواية " الأم " لغوركي أحاسيس وانفعالات عنيفة متداخلة، من الغضب إلى الحماس إلى البكاء إلى العطف إلى القسوة إلى الرقة، مما جعله يعيد قراءتها مرات ومرات. بكى عدة مرات مع العم توم في كوخه، وعاش مع لانغ وزوجته في أرضهما الطيبة، وتعاطف كثيراً مع مدام بوفاري بنفس القدر الذي حنق فيه على سكارليت أوهايرا. وكان يختلس لحظات طويلة يقرأ فيها ألبرتو مورافيا وبلزاك واميل زولا، لا حباً في ذات هذه الأعمال دائماً، ولكن بحثاً عن مشهد جنسي هنا، أو وصف لعلاقة حميمة هناك ويتصور في لحظة حلم يقظة أنه البطل في كل هذه العلاقات. أما ذلك الوصف الأخاذ للحياة الاجتماعية في هذه الأعمال، فلم يكن يهمه كثيراً، إذ كان يعتقد أن الأدب الروسي لا يعلى عليه في هذا المجال كما قرأ بعض روايات تشارلز ديكنز، وأعجبته خاصة " قصة مدينتين "، التي اعتبراها، مع " الأم " أفضل أعمال يمكن كتابتها . كان ينفق مصروفه على هذه الكتب)[1].

٢ـ هو يريد أن يكون مفكراً طليقاً، لا يتقيد بأي دين أو مذهب سوى (العلم!).

---

(١) العدامة (١٢-١٣) .

(يذكر ذات مرة أنه دخل في مجادلة مع مدرس الدين حول نظرية النشوء والارتقاء لداروين ، حين شتم هذا المدرس النظرية واصفاً إياها بالفكر والإلحاد، وشتم صاحبها واصفاً إياه باليهودية والمؤامرة اليهودية على الإسلام والمسلمين. يذكر يومها أنه قال للمدرس إن هذه النظرية إنتاج علمي ، والعلم هو سيد العصر شئنا أم أبينا. قد يخطىء داروين وقد يصيب بشأن أصل الإنسان وأصل الأنواع ولكن التطور حقيقة تفرض نفسها، كما أن داروين ليس يهودياً لا أباً ولا أماً. يومها اتخذ منه مدرس الدين موقفاً عدائياً ، وأصبح لا يناديه إلا بالفاسق. ولكن ذلك لم يكن يهمه كثيراً بل لم يكن يهمه على الإطلاق،مع ذلك الحماس وذلك الانطلاق الذي وجده في عالمه الجديد)[1].

(أريد أن أكون مفكراً طليقاً ،لا مناضلاً سياسياً في تنظيم)[2].

٣ـ هو ماركسي المذهب ، ليس كالماركسيين ، بل يحب المزج بين الماركسية والقومية العربية:

(أعجبته كتابات ياسين الحافظ وكذلك المنطلقات، إذ وجد فيها مزيجاً أخاذاً ومثيراً من الماركسية والقومية. وجد فيها شيئاً كان يشعر أنه ينقص الكتابات الماركسية التي قرأ، وكذلك الكتابات القومية على اختلافها . فقد سبق له أن قرأ " في سبيل البعث" لميشيل عفلق، وبعض كتابات منيف الرزاز وصلاح البيطار ، والكتابات الناصرية القليلة مثل فلسفة الثورة، لجمال عبد الناصر، وكتابات أنور السادات حول ثورة يوليو وعبد الناصر ، وكذلك " بصراحة " محمد حسنين هيكل التي

(١) العدامة (ص ١٤-١٥) .

(٢) العدامة (ص٢٦) .

ينشرها في جريدة الأهرام كل يوم جمعة ، ويستمع إليها من خلال إذاعة "صوت العرب " من القاهرة، فقد كانت الأهرام ممنوعة من الدخول في بلده. كانت الكتابات الماركسية تركز على المسألة الاجتماعية والأممية، وبقدر ما كان متحمساً للمسألة الاجتماعية ومؤمناً بها، بقدر ما كان متردداً بشأن المسألة الأممية .إنه يشعر أنه قومي حتى النخاع، والقومية تسري في عروقه. وتهزه خطابات جمال عبد الناصر ، وتثمله الشعارات القومية التي يطلقها البعثيون والناصريون والقوميون العرب. لكن رغم ذلك، كان يحس أن هنالك شيئاً ناقصاً، كان يشعر أن هؤلاء لم يعطوا المسألة الاجتماعية حقها من الاهتمام، وخاصة قضايا مثل الصراع الطبقي والاشتراكية العلمية والحتمية التاريخية. ولذلك اعتقد أن الفكر الماركسي، رغم بعض التحفظات ، هو الذي من الممكن أن ينير الطريق ويعطي فلسفة متكاملة للحياة . أعجبته كتابات الحافظ والمنطلقات لأنها تمزج المسألة القومية بالاجتماعية. جامعة ما يشعر بميل إليه في فلسفة واحدة)[١].

(لا تعجبني أفكار عفلق والبيطار والرزاز. أعتقد أنها عاطفية أكثر من اللزوم ، رغم إيماني بإطارها العام. نحن بحاجة إلى فلسفة متكاملة. وأعتقد أن الماركسية هي الحل رغم النواقص التي من الممكن إكمالها)[٢].

(إذا كان ما في المنطلقات هو فكر البعث ، فإني أجد نفسي فيه، فهو يمزج القومية بالماركسية . . . وهذه هي قناعاتي)[٣].

---

(١) العدامة (٦١-٦٢) .

(٢) العدامة (٦٣).

(٣) العدامة (ص٦٤) .

(أحس بالهلع والنفور من كل ما يمت إلى التنظيم وفكره بصلة . وبقيت علاقته الحميمية بالماركسية)[١].

هو يتبنى فكراً ماركسياً لا يعتقد بدور البطل في التاريخ ، بل هي التناقضات المادية والاجتماعية التحتية، وانعكاساتها الفوقية السياسية والثقافية)[٢].

(الماركسية . . . هي الفكر العلمي الشامل القادر على منحنا مفاتيح التاريخ والمجتمع والسياسة ، ومن لديه هذه المفاتيح لا خوف عليه ولا هو يحزن)[٣].

(الحقيقة أني ميال إلى الفكر الماركسي)[٤].

(سوف يتعلم الماركسية على أصولها)[٥].

(من قال لك إني شيوعي ؟ . . . أنا اشتراكي)[٦] .

(أنا أميل إلى الماركسية ، ولكني لست شيوعياً)[٧].

ولكن هشاماً برغم هذا الحسم (الماركسي) لتوجهه إلا أنه بقي متردداً متحيراً في أمره تصارعه أفكار شتى حول هذا الكون ، وخالقه ، وأحداثه ، مما لم يستطع أن يستوعبه فأصبح ينادي بتفاهة هذه الحياة وأهلها ، وعبثية أحداثها وأقدارها ، مع ترقب وتوجس لهجوم الموت

---

(١) العدامة (ص ٢٢٤).

(٢) العدامة (ص ٢٧٨).

(٣) العدامة (٢٨٣).

(٤) العدامة (ص ٥٧).

(٥) العدامة (ص١٠٥).

(٦) الشميسي (ص١٢٣) .

(٧) الشميسي (ص٢٤) .

(الغادر!) عليه:

(ليست الحياة إلا حفلة ماجنة يُدخن فيها الحشيش ويؤكل الخبز مغموساً بالنبيذ والعرق الراشح من أجساد أدمنت الجنس، وأدماها الهوى ، ومزقت نفسها بوحشة أخلاقية. نحاول أن نضفي المثال والجمال على هذه الحفلة العابثة ، ولكن كل شيء ينكشف ولو بعد حين ، وتقف الحقيقة عارية من جديد ، كما ولدت عارية من قديم ... العدم يقف بالمرصاد ، والمجهول يتربص من بعيد ، والعجز يقيد المجتمع)[1].

(الموت قادم لا محالة .. إنه مصير ملموس ، وليس كمصير الأمة أو الطبقة، مشكوك فيه بقدر ما هو مشكوك في الأمة والطبقة ذاتهما . فلماذا الاحتياط ، ولماذا الخوف ؟ ... ولماذا هذه اللعبة السمجة ، لعبة القط والفأر ... ما نحن إلا ممثلون في مسرحية ، وسواء طال دور أحدنا في هذه المسرحية أم قصر ، فإنه لا يلبث أن ينتهي ، وتنتهي كل المسرحية في النهاية ...ثم بعد تردد طفيف.

- ولو كان لي من الأمر شيئاً [2]في البداية ، لما اخترت الاشتراك في المسرحية من الأساس)[3].

(هل ما يجري هو حكمة خافية لاندريها ، أو أنه مجرد عبث اعتدنا عليه فأصبح نظاماً ، أم هو مزيج منهما ، أم لا هذا ولا ذاك ؟ أين المعنى في كل ذلك وما هو النظام؟ لا أحد يدري، ولن يدري أحد)[4].

---

(١) الكراديب (ص١٨٦).

(٢) هكذا ! والصحيح : شيءٌ .

(٣) الكراديب (ص١٩٣) .

(٤) الكراديب (ص٢١٥) .

(ياهذا الموت الجبان الغادر ... إنه يأخذ أجمل ما في الحياة ويضحك ويهجرنا حين نريده، ويحل ضيفاً ثقيلاً حين لا نريده ... ليت موسى لم يفقأ عين عزرائيل حين أتى لقبض روحه، ولكنه قصم ظهره أو دق عنقه ... ولكن حتى لو مات عزرائيل، هل يموت الموت؟ ويقلع عن أفكاره هذه ويقتنع بأهمية الموت لاستمرار الحياة، ولكنه يكرهه، ولا زال يعتقد بجبنه وغدره)[١].

(عليك الرحمة يا ابن آدم. ظننت نفسك أكرم الكائنات، الذي طرد من أجله عابد الأزل من الرحمة والملكوت، فاكتشفت أنك أتفه من ذبابة وأحقر من بعوضة، يا لك من معتوه يا ابن آدم، أردت أن تكون إنساناً كما أراد لك من أنسنك، ولكنك وجدت نفسك في عالم تداس فيه كصرصار تائه، وتسحق فيه كذبابة وقحة)[٢].

قلت: هذه أبرز ملامح (هشام العابر): فهو يحب القراءة منذ صغره في الكتب (المحرّمة) الفلسفية والماركسية، التي كانت ممنوعة ـ لضررها ـ في بلاده (السعودية) ولهذا كان يحرص على تحصيلها من عدة منافذ.

ولأجل قراءته هذه فقد تعلق قلبه بالفكر الماركسي والفكر القومي الذي كان عالياً صوته شديداً هيجانه في تلك الفترة، فحاول أن يمزج بين (القومية والماركسية) متأثراً ببعض قيادات ومنظري (حزب البعث).

ولأجل هذا انضم (هشام) ـ على كرهٍ وتمنع ـ إلى هذا الحزب، لأنه يود أن يكون مفكراً طليقاً، بدلاً من حصره في صرامة التنظيمات.

وكانت نظرته إلى الحياة سوداوية تشاؤمية، لأنه لم يعرف لها هدفاً،

---

(١) الكراديب (٢٤٢) . وسيأتي خطأ تسمية ملك الموت بعزرائيل .

(٢) الكراديب ، (٢٥٢) .

ولم يفقه حكمة الله من خلقها، وجعل الخلق يتوارثونها، لم يعد يرى منها سوى أنها حياة لا قيمة لها، تجري أحداثها وأقدارها بعبثٍ لا حكمة فيه.

ويتضح بعد هذا الموجز عن هشام العابر(أو تركي الحمد!) وأفكاره أن الحديث ـ دون تطويل ـ سيكون حول:

٦ ـــ بيان تنقص الحمد في ثلاثيته:

أ- الله.

ب- وملائكته.

ج- وكتبه.

د- ورسله.

ه- ودينه.

و- وعباده الصالحين.

٧ ـــ مباحث أخرى.

تركي الحمد يتنقص في ثلاثيته : الله وملائكته وكتبه ورسله ودينه وعباده الصالحين

تنقص الحمد لله ـــ ﷻ ـــ:

لم يقدر تركي الحمد الله ـ ﷻ ـ حق قدره ولم يعظمه كما يعظمه عباده المؤمنون ، بل تحدث عنه في روايته وكأنه يتحدث عن بشرٍ مثلِه حديث الند للند بعبارة مملوءة بالتحدي والسخرية ـــ والعياذ بالله ـــ ، وإن كان قد أخفى أشدها بالأسلوب الرمزي الذي عهدناه من هذا الصنف من البشر عندما يخوضون في مثل هذه الأمور.

فالحمد جاء في روايته بلهجة غريبة شاذة عن أهل هذا المجتمع في

حديثهم عن ربهم ـ ﷻ ـ حيث تجرأ في ذلك بصورة وقحة فاجرة.

وهو مشابه في هذه الجرأة لتيار الحداثة في ديار المسلمين الذين كانوا أول من ترددت هذه الظاهرة (الكفرية) في أشعارهم وأحاديثهم، حيث لم يتورعوا عن الحديث عن الله ـ ﷻ ـ بألفاظ سوقية بشرية، فمن ذلك على سبيل المثال:

قول صلاح عبد الصبور في قصيدته (الناس في بلادي)

(يا أيها الإله،

كم أنت قاسٍ موحش

يا أيها الإله)[1]

وقول الشاعر (الماركسي) البياتي:

(الله في مدينتي يبيعه اليهود

الله في مدينتي مشرّد طريد)[2]!!

وقول معين بسيسو:

(وطرقت جميع الأبواب

أخفتني عاهرة

ووشى بي قديس

كان الله معي

لكن الله هناك

يدلي بشهادته .. في مركز بوليس)[3]!!

---

(١) ديوانه (ص٣٠ــ٣١) .

(٢) ديوانه (ص ٥٢٦).

(٣) ديوان (ص ٤٤٠) .

وقول توفيق زياد:

(ومداخن الأفران

قائمة .. كآلهة المنايا)[١]!!

وقول محمود دريش:

(نرسم القدس

إلهً يتعرى فوق خطٍ داكن الخضرة

أشباه عصافير تهاجر)[٢]!!

وهكذا .. في عبارات (كفرية) كثيرة تتناثر في أشعارهم القذرة[٣].

وفي ظني أن هذه الظاهرة السيئة قد وفدت إلى ديار المسلمين عبر شعراء اليهود والنصارى وكتابهم ، الذين تُرجمت أشعارهم وعباراتهم وكانت مصدراً رئيساً لشعراء المسلمين.

وأولئك اليهود والنصارى ـ كما هو معلوم ـ لا يعظمون الله حق تعظيمه ، ولا ينزهون اسمه عن لغوهم وباطلهم.

وسبب ذلك ـ والعلم عند الله ـ هو تأثرهم بما جاء في كتبهم الدينية المحرّفة (لا سيما التوراة) عند الحديث عن الله ـ ﷻ ـ وصفاته حيث تتحدث تلكم الكتب (المقدسة !) عن الله وصفاته كحديثها عن الخلق وصفاتهم، فجعلوا (المولى ـ ﷻ ـ في صورة بشر حقود، سريع الغضب، كثير الندم)[٤].

---

(١) ديوانه (ص١٨٤) .

(٢) ديوانه (ص٣٩٨) .

(٣) انظر لفضح شعراء الحداثة كتاب (الحداثة : مناقشة هادئة لقضية ساخنة) للدكتور محمد خضر عريف . وكتاب (الحداثة في ميزان الإسلام) للشيخ عوض القرني .

(٤) ((الله جل جلاله والأنبياء عليهم السلام في التوراة والعهد القديم)) للدكتور محمد البار. (ص٥) .

فمن ذلك قولهم في (سفر التكوين ، الإصحاح الثاني) عن الله ـ ﷻ ـ: (وفرغ الله في اليوم السابع من عمله الذي عمل ، فاستراح في اليوم السابع من جميع عمله الذي عمله ...)[١]!

ومن ذلك إخبارهم عن الله ـ ﷻ ـ بأن اليهود عندما تاهوا نزل الله ـ ﷻ ـ فهداهم إلى طريق الخروج ! (جاء في سفر الخروج "وارتحلوا من سكوت ، ونزلوا في إيثام في طرف البرية . وكان الرب يسير أمامهم نهاراً في عمود سحاب ليهديهم في الطريق ، وليلاً في عمود نار ليضيء لهم ...)[٢]

ومن ذلك زعمهم أن الله يبكي ويلطم وجهه ـ تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ـ [٣]وأنه ـ تعالى ـ يصارع يعقوب ـ عليه السلام ـ[٤]!! وأنه ـ تعالى ـ اعترف بخطئه أمام كبير الأحبار[٥]!! وأنه ـ تعالى ـ يندم ويحزن وينسى[٦]!!

إلى آخر تلك الصفات السيئة التي ألصقها اليهود ـ لعنهم الله ـ برب العالمين ـ ﷻ ـ.

يقول الدكتور محمد البار بعد أن ذكر هذه الافتراءات:

(ومما تقدم نخلص إلى أن صفات الله ـ ﷻ ـ في التوراة والتلمود، لا يمكن أن تكون صفات الله خالق الأكوان ومدبرها .. بل لا يمكن أن

---

(١) المصدر السابق (ص٢١) .

(٢) المصدر السابق (ص٢٣) .

(٣) المصدر السابق (٢٧) .

(٤) المصدر السابق (٢٧) .

(٥) المصدر السابق (٣٠).

(٦) المصدر السابق (٣١) .

تكون إلا من صفات أراذل البشر.

هذا قليل من كثير من هذه الافتراءات والغثاء والكذب ، والتجديف في وصف المولى ـ ﷻ ـ .. والتوارة والعهد القديم والتلمود كلها مليئة بهذه الأوصاف المنكرة والسجايا الخبيثة التي لا يمكن أن يوصف بها إلا أحط البشر وأراذلهم ، فكيف يمكن أن يوصف بها المولى ـ ﷻ ـ؟!)[١] .

وقال الدكتور سعود الخلف ـ حفظه الله ـ بعد أن أورد شيئاً من تلكم الأكاذيب:

(فهذه الأمثلة من أوضح الأدلة على التحريف، فإن الله ـ ﷻ ـ موصوف بصفات الكمال المطلق وكل ما يشعر بالنقص فالله ـ ﷻ ـ منزه عنه، فتضمين اليهود كتابهم صفات تشعر بوصف الله بصفات لا تليق بمقام الألوهية والربوبية والكمال المطلق ، دليل واضح على التحريف والتبديل إذ لا يمكن أن يتضمن الكتاب الذي نزل من عند الله ما يطعن فيه ـ جل وعلا ـ.

وبأمثال هذه الافتراءات من قبل متقدميهم تجرأ متأخروهم على الافتراء على الله ، واعتقادهم أنهم أبناء الله وأحباؤه ، وأن الله لا يعذبهم، وفي هذا يقول الله ـ ﷻ ـ: ﴿ قَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ وَغَرَّهُمْ فِى دِينِهِم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴾[٢])[٣].

قلت: فهذه العقيدة الفاسدة قد أخذها كتاب وشعراء أهل الكتاب

---

(١) المصدر السابق (٤١).

(٢) سورة آل عمران ، الآية ٢٤.

(٣) دراسات في الأديان : اليهودية والنصرانية (ص٩٣) .

من كتبهم (المحرفة) فأضحوا يرددونها في نثرهم وأشعارهم دون أي خوف أو خجل من رب العالمين، لأن كتبهم (المقدسة!) قد جرأتهم على نقل وترديد هذا الاستخفاف والطعن بربهم ـ ﷻ ـ وأسقطت هيبته من نفوسهم.

ثم جاء من بعدهم (نصارى) العرب[١] فنقلوا تلك العقيدة في كتاباتهم ونظمهم.

وعن هؤلاء الكفرة أخذها كتابنا وشعراؤنا الذين (يدعون) الإسلام، فخاضوا فيها تقليدا لأولئك دون أن يعصمهم عن هذا الخوض المنكر رهبة من الله ـ ﷻ ـ.

فأصبحنا نسمع ونقرأ عبارات لبعض الشعراء (المسلمين!) تضاهي في كفرها عبارات اليهود والنصارى، ويندى لها جبين المسلم الموحد، ويأسى على حال إخوانه الذين تابعوا الكافرين في طعنهم برب العالمين، مصداقاً لقوله ـ ﷺ ـ في هذا الصنف " لتتبعن سنن الذين كانوا قبلكم حذو القذة بالقذة . حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه " قيل: اليهود والنصارى ؟ قال ـ ﷺ ـ" فمن ؟ "[٢] أي ليس إلا هم.

وقد دخل شرذمة من كتابنا وشعرائنا هذا الجحر الذي أخبر عنه الرسول ـ ﷺ ـ بل زادوا عليه بأن طعنوا في خالقهم ـ ﷻ ـ متابعة لمن هم شر البرية ـ كما سبق ـ.

يقول الدكتور أنس داود في كتابه (الأسطورة في الشعر العربي الحديث):

---

(١) كيوسف الخال . وجورج شحاده ، وجبرا إبراهيم جبرا، وإيليا حاوي وغيرهم .

(٢) أخرجه البخاري ومسلم .

(لجأ شعراؤنا إلى الكتب المقدسة وبخاصة التوراة والإنجيل وقلما استفادوا من القرآن في هذا السبيل ، ربما لأنهم يعيشون في أمة إسلامية لا تستسيغ مثل هذه النظرة الفنية إلى أقدس مقدساتها الدينية ، ولأن الكتاب المقدس كان مصدر استلهام فني في الشعر الأوربي بمثل ما استلهم هؤلاء الشعراء أساطير الأقدمين. ولأن ثمة نسباً ـ كما نرى ـ بين كتاب كالتوراة ومجموعات الأساطير المتوارثة في قوة تصويرها لنوازع الإنسان، وتجسيدها للأهواء البشرية حتى حين تتحدث عن الأنبياء لا تتحدث عنهم هذا الحديث المتطهر الذي تجده في القرآن، بل نجد لديهم فيضاً من الغرائز، وغلبة للشهوات أحياناً ولجوءً إلى الحيل والخديعة، وغير ذلك مما نجده في الحديث عن داود وعن سليمان وغيرهما من الأنبياء مما يقربهم من الشخصيات الأسطورية في نوازعها الجارفة وسلوكها كل مسلك).

قلت: ثم جاء (الحمد) منضماً إلى هذا الركب ومتحدثاً في ثلاثيته عن ربه ـ ﷻ ـ بعبارات بشعة لا تصدر عن مؤمن فمن ذلك:

قوله على لسان هشام: (أراد أن يتحدث مع عارف ، لكنه فقد الرغبة في الحديث. الله ، الحتمية ، الجبرية ، العلم .. كلها أشياء يتعلق بقشة منها . يريد الخروج ، فمن يوفر له ذلك ، فهو الله)[1].

وقوله عنه: (يحس أنه هنا منذ أن حشر الإله الروح في جسد آدم)[2].

وقوله: (دائماً المستقبل الذي لا يجئ ، والتاريخ الذي لا نعيه، والله

---

(١) الكراديب (ص١٥٤) .

(٢) الكراديب (٢١٣).

الذي لا نراه، يقفون وراء كل شيء، ويبررون كل شيء)[1].

وقوله: (واستسلم لحلم يقظة جميل ... تصور نفسه من بني إسرائيل أو سام، وود لو كان أسيره إلى الأبد. تصور أنه يوشع نفسه، أو سوبرمان ذاته. قادر على إيقاف الزمن ذاته . لا شيخوخة ولا موت ولا ألم ولا... تحقيق. تصور أنه الله ذاته... ولم لا... ما فرقه عن الحلاج والسهروردي وابن العربي؟[2] نحن الله والله نحن... كانت تلك رسالة موسى والمسيح ومحمد، ولكن أكثر الناس لا يدركون، فجعلوه ابن الله إنه ذات الله الآن ، فماذا يفعل؟ هل يجعل الكون أكثر راحة، وينشر السعادة بين البشر؟ ولكن... ما هي السعادة؟! سعادة سقراط أم أفلاطون أم أرسطوا أم ديوجين أم أبقور أم زينون أم كونفيشيوس أم بوذا أم وأم ، وأم ... جملة أمّات لا نهاية لها. كالحياة ذاتها. ثم لو نشر السعادة وقضى على الألم، فهل يكون للسعادة نقيض الشقاء أو نقيض الألم، فكيف يمكن إدراك السعادة إذا اختفى الألم ؟ حتى الجنة بدت له عديمة اللذة في تلك اللحظة كما بدت جهنم عديمة الألم. الخمرة لا تسكر ذاتها، والجمرة لا تحرق نفسها...البراز لا يتأذى من رائحة نفسه ، والفل لا يستمتع بريح ذاته. لابد من البراز لاكتشاف لذة الفلة ، ولا بد من الفلة لاكتشاف قذارة البراز. ولذلك كان هناك جنة ونار معاً، الله وشيطان، نبي وفرعون، وكل في قدر يسبحون... تحقيق السعادة وحدها، يعني توحيد الألوان. وعندما تتوحد الألوان ، تختفي ... المعنى في

---

(١) الكراديب (ص ١٣٠).

(٢) الصواب (ابن عربي) بدون (أ ل) وهو الصوفي الملحد المشهور، أما (ابن العربي) فهو الفقيه المالكي صاحب كتاب " العواصم " .

الاختلاف، والعماء في التجانس. مشكلة ... وجود الحياة بشكلها الحالي مشكلة ... وجعلها أجمل وأحلى وأعدل مشكلة، لم لا تكون ذات الحياة هي المشكلة ؟ لو كان ذات الله، لألغى الحياة ذاتها. لألغى هذه المسرحية المملة، وصرف ممثليها وألغى تلك الأدوار المقررة المعروفة . لا حرية مع الوجود ، فكل الحرية في العدم ...)[1].

وقوله: (الله أعلم ! مسكينٌ أنت يا الله ... دائماً نُحَملك مانقوم به من أخطاء)[2].

وقوله على لسان (الشيوعي) عارف: (إن الانتحار هو تحد للإله نفسه.

ثم وهو يضحك بسرعة:

ـ هذا إن كان هناك إله الانتحار يا صديقي يعني أني قد اخترت الجحيم ورفضت النعيم بملء إرادتي ... فالنعيم الحق هو ما أختاره أنا ، لا ما يختاره لي ما ليس أنا الجحيم هو النعيم حين أختاره أنا ، والنعيم هو الجحيم حينما يختاره غيري لي أنا.

ويضحك عارف مرة أخرى ، ثم يعتدل في جلسته، وقد اتسعت عيناه، وبرقت عينه السليمة، وقال وهو ينظر إلى هشام وقد اكتسى وجهه بعلامات نصر ما:

ـ الانتحار نصر على الله. ففي الانتحار تفوت الفرصة على الله أن يختار لك مصيرك. فأنت تدخل النار بإرادتك حين تنتحر وتعلم أن مصيرك هو النار. ليس الله هو من أدخلك النار ، بل أنت من فعل ...

---

(١) الكراديب (ص١٣٧ــ ١٣٨) .

(٢) الكراديب (ص٦٢) .

وابتسم هشام وهو يقول:

ـ ولكن افرض أن الله أدخلك الجنة بالرغم من انتحارك، ألا يكون قد فوت عليك الفرصة واختار لك بالرغم منك؟

وضحك عارف بجبور وهو يقول:

ـ كلا فإذا دخلت النار فبإرادتي، وإذا أدخلني الله الجنة فأكون قد فرضت إرادتي عليه ... لقد توعدني بالنار فيما لو انتحرت، ولكنه أدخلني الجنة برغم الوعيد. لقد فرضت إرادتي عليه، وجعلته يغير وعيده، لقد أصبحت نداً له. أبعد هذا الانتصار انتصارا؟ ...

ـ ولماذا لا يكون هو قَدَّر عليك الاختيار منذ البدء؟

ـ أكون قد فضحت اللعبة كلها حينذاك.

وعاد عارف إلى الاسترخاء وهو يردد:

ـ الانتحار هو النصر النهائي على كافة أشكال السلطة وأنواعها)[1].

الحمد يصرف (العبادة) لغير الله:

ومن تنقصه لخالقه ـ ﷻ ـ أنه امتهن لفظ (العبادة) وجعلها في غير موضعها، وهو عبادة الله وحده لا شريك له، وإنما جعلها في عبادة البشر بعضهم لبعض.

حيث قال على لسان (عشيقته!) سويّر:

(أنا أعبدك يا هشام، والعبد لا يشرك مع معبوده شيئاً.

وبدون هدف أو غاية أوقصد قال بشيء من المزاح، وقد أحس بالزهو يسيطر عليه من الداخل:

---

(١) الكراديب (ص ٧٨ـ ٧٩) .

ـ ولكن الشرك لا يكون إلا بالله. هو المعبود الوحيد.

وكنمرة متوحشة، نظرت إليه بعينيها المبللتين، وقد زادتا اتساعاً على اتساعهما، وهي تقول:

ـ إذا أنت ربي ... ترحمني وتعذبني. وكل شيء منك مقبول ومحمود.

ولم يستطع الاحتمال فعلاً، فقال بتلقائية:

ـ استغفر الله العظيم ... استغفر الله العظيم.

ردّد ذلك وشعور من الزهو وشيء لا يعرفه، أشبه ما يكون بالذنب، يمتزجان في داخله. كانت يدها قابضة على يده، فمدَّ يده الأخرى وأخذ يربت على خدها ويتحسسه بلذَّة، فيما ارتمت هي في أحضانه بعنف، وأخذت تشمه بصوت مسموع، وهي تردد:

ـ أحبُك ... أحبُك يا هشام ... أعشقك ... أعبدك)[١].

تنقص عظيم:

ومن تنقصه لله ـ ﷻ ـ

قوله متحدثاً عن هشام وهو يحلم في منامه:

(وأخذ يسير على غير هدى في الصحراء، وقشعريرة البرد تستولي عليه. كل شيء يوحي أنه لا يسير، رغم أنه يسير. النجوم هي النجوم، والصحراء والظلام عديمة الأبعاد لا يريد أن تنجلي، واختفت البداية، وتلاشت النهاية، فلا يدري أهو يسير أم يهيأ له أنه يسير. ولاح له بصيص نور من بعيد، وأحس بالفرح الغامر رغم أنه يعلم أنه يحلم. وأخذ يغذ السير، فيما النور يزداد سطوعاً وتتعدد ألونه، أخضر وأحمر

---

(١) الشميسي (ص١٦٩) .

وأصفر، ويتخللها لون أزرق باهت.

وأخيراً وصل إلى حيث النور، ثم فجأة أشرقت الشمس وهي تضحك بشكل هستيري لم تكن ذات الشمس التي يعرف، فقد كانت شديدة الحرارة عديمة النور، فرغم سطوعها، إلا أن الظلام الحالك ما زال سائداً. وأخذ دماغه يغلي من الحرارة الشديدة، إلا أن جسمه كان يرتعش برداً، وأخذت النجوم ترسل سهاماً فضية في كل مكان، حيث تتكسر بصوت أقرب إلى الرنين على صخور لا يراها، ولكنه يعلم أنها هناك.

وفي خضم كل ذلك، كانت نسمات هواء منعش تأتي من واحة وارفة الظلال تنبعث منها تلك الأضواء التي رآها من بعيد .كانت محاطة بأسلاك شائكة من كل جوانبها، فلم يستطع الدخول. وأخذ يحوم حولها، حتى تبين له الباب من بعيد. اتجه إليه ، وأراد الدخول بعجلة، إلا أنه في اللحظة تلك، برز له شخص من حيث لا يدري، يحمل سوطاً طويلاً، وملامح غريبة، فقد كان له وجه ثور، في رأس وجسم بشريين، له مخالب في يديه ورجليه أشبه بمخالب الكلب، وفي مؤخرته يبرز ذيل لولبي أشبه بذيل الخنزير، استوقفه هذا الكائن وهو يخور قائلاً:

ـ إلى أين أيها الإنسان ؟

ـ أريد المأوى والطعام والسلام ... هل هذا كثير ؟

ـ وهل تعتقد أن الدخول بهذه البساطة ؟... الواحة واحتي، ولا يدخلها إلا من يدفع الثمن. وثمنها بخس جداً... قبول شروطي.

ـ واحتك ؟ ... شروطك ؟ ... من أعطاك إياها ؟

ـ قوتي هي من أعطاني إياها ... إنها لي وحدي.

ـ القوة لا تصنع حقاً.

ـ الحاجة أساس الحق.

ـ ونخر الكائن الغريب ، ثم قال بنفاد صبر:

ـ قوتي هي الحق هنا، وإن كنت في شك من ذلك، فحاول الدخول رغماً عني.

ولم يجد بداً من الاستسلام، فقد كانت الحرارة والبرودة والظلام والصحراء لا تطاق، فقال:

ـ حسنا... وما هي شروطك ؟

وافتر وجه الكائن عن بسمة رضا واسعة، وأخذ اللعاب اللزج يسيل من بين أسنانه الضخمة، فيما تحول أنفه إلى اللون الأرجواني وهو يقول:

ـ الآن أصبحت عاقلاً وحكيماً.

ثم استطرد:

ـ ليس لي إلا شرط واحد لا غير ... أن تطيعني في كل ما آمرك به، ولك أن تتمتع بالماء والهواء والثمار والسلام.

ـ ياله من سعر باهظ !

ـ ويالها من ثمار طيبة !

ـ وإن رفضتُ؟

ـ ليس لك إلا الصحراء والجوع والعطش وكلاب الطريق.

ـ ولكني لا أستغني عن الحرية ...

ـ ونخر الكائن مرة أخرى وهو يقول:

ـ الحرية ... ماهي الحرية ؟ مجرد كلمة.

ـ ولكن في البدء كان الكلمة.

ـ وما نفع الكلمة مع الجوع والقلق.

ـ وما نفع الشبع والسكينة مع العبودية ؟

وأخذ الكائن ينخر ويهز سوطه في الهواء، وهو يقول:

ـ دعك من هرائك هذا ... أمامك خياران، إما أن تقبل شرطي وتدخل واحتي، أو أن تعود إلى الضياع في الصحراء.

وأخذ يفكر في الخيارين وهو يختلس النظرات إلى داخل الواحة لقد كانت مظلمة مثل الصحراء حوله، رغم الألوان التي كانت تحيط بها، وتلك الأضواء التي يراها من هو بعيد، ولكنها تختفي حالما يصلها أحدهم. ومن الداخل كانت تتراءى أشباح أهل الواحة رغم الظلام ... وجوه حمراء، وكروش منتفخه، وأعين فقدت بريق الحياة، وهم يأكلون طوال الوقت. وهيئ له أن وجوههم قد بدأت تتحول إلى شيء أقرب إلى وجه الكائن الذي يقف أمامه.

ـ ولكن قل لي ...

قال هشام موجها حديثه للكائن:

ـ لماذا الظلام دامس في الواحة رغم الألوان والأنوار التي تتراءى من بعيد ؟

وضحك الكائن، وهو يمتص بعض لعاب سال من جانب فمه، قال:

ـ الظلام في كل مكان، ولكن الطعام هنا فقط.

ـ ولكني أرى بصيص نور في الأفق يوحي بانبلاج الفجر في الصحراء، ولا أرى ذلك البصيص في الواحة!

ـ النور مزعج للعين، ونحن لا نحبه هنا فهو مفسد للسكينة والطمأنينة. ليس ألذ وأجمل من هدوء الليل، وصمت الظلام.

ـ لم لا تقول إنك أنت من يكره النور، كي لا يرى أحد وجهك المسخ.

وهناك ثار الكائن، وأخذ ينخر بشدة، ورفع السوط في الهواء يريد أن يهوي به على جسد هشام، الذي فر من أمامه وهو يقول:

ـ سأضرب في الصحراء غير آبه بالشقاء ... فلابد للصحراء من نهاية، ولا بد لليل من فجر، ولا بد أني واجد واحتي مهما طال الزمان واحتي سوف تكون بلا سياج ولا ظلام، ولا أمساخ بشر وإن مت قبل ذلك، فسوف أموت وأنا حر.

وتابع طريقه إلى عمق الصحراء فيما الشمس توقفت عن ضحكها، وانكفأت على نفسها، والكائن يضحك من بعيد ويقول بصوت كالرعد:

ـ لن تجد أفضل من واحتي هذه، كل الواحات مثل واحتي ... سوف تعود إلي مهما طال بكل التجوال، طالباً الصفح والغفران، مستجدياً أن أقبلك عبداً من عبيدي، وساعتئذ ... ستعرف من أنا.

وصاح هشام من بعيد:

ـ كلا ... كلا لن أعود إلى واحتك إلا بعد أن يشرق فيها النور ويخلع السياج وتعود إلى الناس وجوههم.

وابتلعته الصحراء، وقهقهة الكائن تدوي وراءه كالرعد، والشمس عادت إلى ضحكها وحرقتها، ولكنه يسير وهو يرى خيوط الفجر من

بعيد)[1].

قلت: تأمل ـ أخي المسلم ـ هذا الحلم الذي صاغه الحمد على لسان هشام جيداً، ثم تساءل معي كما تساءلت:

ـ ما هي هذه الواحة المحاطة بالأسلاك الشائكة ؟

ـ من هو هذا الشخص (البشع !) الذي ساومه هشام على دخول الواحة ؟

لقد صاغ الحمد فكرته التي يريد إيصالها للقارئ بأسلوب رمزي شأنه في ذلك شأن أهل الرمزية الذين يروجون لفكرهم بتلك العبارات الغامضة خوفاً من عاقبة التصريح (بالكفر) لا سيما في ديار التوحيد. وقد تابع الحمد هنا (شيخه) نجيب محفوظ في كفره عندما تحدث في روايته الشهيرة (أولاد حارتنا) عن الله ـ ﷻ ـ وعن أنبيائه بأسلوب رمزي[2] قاء من خلاله بما يحمله قلبه من كفر وحقد تجاه رب العالمين ـ تبارك وتعالى ـ وتجاه أنبيائه ـ عليهم الصلاة والسلام ـ .

فجاء الحمد يهرع من ورائه مستعرضاً قدراته في (تمرير) كفرياته في مثل هذا الحلم .

فالشخص البشع في نظر الحمد ـ هو الله ـ ﷻ ـ ـ وتعالى عن قول الحمد علواً كبيراً ـ . !!

---

(١) الكراديب (ص٢٢ــ ٢٦) .

(٢) حيث رمز إلى الله ــ ﷻ ــ بالجبلاوي ، وإلى آدم ــ عليه السلام ــ بأدهم ، وإلى موسى ــ عليه السلام ــ بجبل ، وإلى عيسى ــ عليه السلام ــ برفاعة ، وإلى محمد ﷺ بقاسم ، إلى (العلم) الذي يدعو إليه نجيب محفوظ بديلاً عن الدين ! بعرفة . انظر : (دراسة المضمون الروائي في أولاد حارتنا) لعبد الله المهنا .

والواحة المحاطة بالأسلاك الشائكة هي الجنة وما فيها من سعادة واطمئنان.

فالحمد يريد أن يقول لنا بأن من أراد دخول الجنة فليلتزم بعبودية الله ـ ﷻ ـ وطاعة أوامره، وأما من أنف من هذه العبودية واختار الحرية ! كما يزعم الحمد فلا بد أن يزهد في هذه الجنة (أو الواحة) ويضرب في أعماق الصحراء لعله يجد مصدراً آخر للسعادة لا تكون ضريبته فقدان الحرية !

وقد اختار الحمد الطريق الثاني وهو الاستنكاف عن عبادته ـ ﷻ ـ وقد قال تعالى في كتابه الحكيم عن هذا الصنف من البشر: ﴿ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْتَنكَفُوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ (١).

فمن استنكف عن عبادة الله وفرَّ منها طالباً الحرية كما يزعم ! فإنه لن يجد من دون الله ولياً ولا نصيراً ، فالمرد ـ وإن طال الزمان ـ إلى الله الذي: ﴿ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ (٢)

ونحن نقول للحمد: من لم يرض بعبادة الله ـ ﷻ ـ فإنه لا شك سيعبد غيره؛ لأن الإنسان لا يخرج عن العبودية بأي حال . فمن لم يعبد

---

(١) سورة النساء الآية ١٧٢-١٧٣.

(٢) سورة الأنعام الآية ٧٢.

الرحمن عبد الهوى والشيطان، ولذلك قال تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ ﴾ [١].

قال ابن كثير: (أي إنما يأتمر بهواه، فما رآه حسناً فعله، وما رآه قبيحاً تركه)[٢].

فهو وإن ادعى أنه قد ترفع عن (عبودية) الله المستحق لها فإنه قد جعل تلك العبودية في غير محلها باتخاذه إلهه هواه.

وقال تعالى:﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَـٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾[٣] .

فمن لم يعبد الله عبد الشيطان، وعبادته ـ أي الشيطان ـ تكون باتخاذ الشيطان نفسه إلها [٤]، أو بعبادة ما يزين عبادته من الأصنام والأحجار والصور و... الخ ، حتى وصل بأتباع الشيطان أن يعبدوا فرج المرأة ـ والعياذ بالله ـ.

الحاصل: أن من تكبر عن عبادة الله أذله الله بأن صيره عبداً لهوىً أو شيطان أو مخلوق مثله .

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ: (وكذلك من رفه بدنه وعرضه وآثر راحته على التعب لله وفي سبيله ، أتعبه الله سبحانه أضعاف ذلك في غير سبيله ومرضاته ، وهذا أمر يعرفه الناس بالتجارب .

---

(١) سورة الجاثية الآية ٢٣.

(٢) تفسير ابن كثير (٤/ ١٦٢).

(٣) سورة يس الآية ٦٠.

(٤) كعبدة الشيطان الذين ظهر أمرهم قريباً.

قال أبو حازم: " لما يلقى الذي لا يتقي الله من معالجة الخلق أعظم مما يلقى الذي يتقي الله من معالجة التقوى " .

واعتبر ذلك بحال إبليس. فإنه امتنع من السجود لآدم فراراً أن يخضع له ويذل، وطلب إعزاز نفسه، فصيره الله أذل الأذلين، وجعله خادماً لأهل الفسوق والفجور من ذريته، فلم يرض بالسجود له، ورضي أن يخدم هو وبنوه فساق ذريته.

وكذلك عباد الأصنام، أنفوا أن يتبعوا رسولاً من البشر، وأن يعبدوا إلهاً واحداً سبحانه، ورضوا أن يعبدوا آلهة من الأحجار.

وكذلك كل من امتنع أن يذل لله، أو يبذل ماله في مرضاته، أو يتعب نفسه وبدنه في طاعته، لابد أن يذل لمن لا يسوى، ويبذل له ماله، ويتعب نفسه وبدنه في طاعته ومرضاته، عقوبة له، كما قال بعض السلف " من امتنع أن يمشي مع أخيه خطوات في حاجته أمشاه الله تعالى أكثر منها في غير طاعته")[1].

وقال - رحمه الله - مبيناً أهمية عبادة الله وحده للعبد:

(اعلم أن حاجة العبد أن يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً في محبته ولا في خوفه ولا في رجائه، ولا في التوكل عليه ، ولا في العمل له، ولا في الحلف به، ولا في النذر له، ولا في الخضوع له، ولا في التذلل والتعظيم والسجود والتقرب؛ أعظم من حاجة الجسد إلى روحه والعين إلى نورها بل ليس لهذه الحاجة نظير تقاس به، فإن حقيقة العبد روحه

(١) إغاثة اللهفان (٢/ ١٩٤ــ ١٩٥) وقد قال ــ رحمه الله ــ في نونيته عن مدعي الحرية !

فروا من الرق الذي خلقوا له

وبلوا برق النفس والشيطان

وقلبه ولا صلاح لها إلا بإلهها الذي لا إله إلا هو، فلا تطمئن في الدنيا إلا بذكره ، وهي كادحة إليه كدحاً فملاقيته، ولا بد لها من لقائه، ولا صلاح لها إلا بمحبتها وعبوديتها له ورضاه وإكرامه لها ، ولو حصل للعبد من اللذات والسرور بغير الله ما حصل لم يدم له ذلك، بل ينتقل من نوع إلى نوع ومن شخص إلى شخص ويتنعم بهذا في وقت ثم يعذب ولا بد في وقت آخر، وكثيراً ما يكون ذلك الذي يتنعم به ويلتذ به غير منعم له ولا ملذ بل قد يؤذيه اتصاله به ووجوده عنده ويضره ذلك. وإنما يحصل له بملابسته من جنس ما يحصل للجرب من لذة الأظفار التي تحكه ، فهي تدمي الجلد وتخرقه وتزيد في ضرره ، وهو يؤثر ذلك لما له في حكها من اللذة ، وهكذا ما يتعذب به القلب من محبة غير الله هو عذاب عليه ومضرة وألم في الحقيقة لا تزيد لذته على لذة حك الجرب، والعقل يوازن بين الأمرين ويؤثر أرجحهما وأنفعهما، والله الموفق المعين، وله الحجة البالغة كما له النعمة السابغة)[1].

وقال شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ مفصلاً هذا المعنى:

(" العبادة " هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه: من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة، فالصلاة والزكاة، والصيام ، والحج، وصدق الحديث، وأداء الأمانة ، وبر الوالدين، وصلة الأرحام، والوفاء بالعهود، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. والجهاد للكفار والمنافقين، والإحسان إلى الجار واليتيم والمسكين وابن السبيل والمملوك من الآدميين والبهائم. والدعاء والذكر والقراءة ، وأمثال ذلك من العبادة.

---

(١) طريق الهجرتين (ص١٠٣ــ ١٠٤).

وكذلك حب الله ورسوله، وخشية الله والإنابة إليه وإخلاص الدين له والصبر لحكمه، والشكر لنعمه، والرضا بقضائه، والتوكل عليه، والرجاء لرحمته، والخوف لعذابه، وأمثال ذلك هي من العبادة لله.

وذلك أن العبادة لله هي الغاية المحبوبة له والمرضية له، التي خلق الخلق لها، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾(١) وبها أرسل جميع الرسل كما قال نوح لقومه: ﴿ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ﴾(٢).

وكذلك قال هود وصالح وشعيب وغيرهم لقومهم وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ﴾(٣) وقال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالاً نُّوحِىٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ ﴾(٤).

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴾(٥) كما قال في الآية الأخرى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾(٦) جعل ذلك لازماً لرسوله إلى الموت كما قال:﴿ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ

---

(١) سورة الذاريات، الآية ٥٦.
(٢)سورة الأعراف، الآية ٥٩.
(٣)سورة النحل، الآية ٣٦.
(٤)سورة يوسف، الآية : ١٠٩
(٥)سورة الأنبياء، الآية : ٩٢.
(٦)سورة المؤمنون، الآية ٥١.

حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴾[(1)].

وبذلك وصف ملائكته وأنبياءه فقال تعالى: ﴿ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴾[(2)].

وقال: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ﴾[(3)].

وذم المستكبرين عنها بقوله: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾[(4)].

ونعت صفوة خلقه بالعبودية له فقال تعالى: ﴿ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴾[(5)].

وقال:﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا ﴾[(6)] لآيات ولما قال الشيطان:﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾[(7)].

---

(١) سورة الحجر ، الآية ٩٩.

(٢) سورة الأنبياء الآية ١٩-٢٠.

(٣) سورة الأعراف الآية ٢٠٦.

(٤) سورة غافر الآية ٦٠.

(٥) سورة الإنسان الآية ٦.

(٦) سورة الفرقان الآية ٦٣.

(٧) سورة الحجر الآية ٣٩.

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴾[1].

وقال في وصف الملائكة بذلك:﴿ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴾[2]. وقال تعالى : ﴿ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴾[3].

وقال تعالى عن المسيح ـ الذي ادعيت فيه الإلهية والنبوة: ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾[4]، ولهذا قال النبي ـ ﷺ ـ في الحديث الصحيح: (لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم فإنما أنا عبد فقولوا: عبد الله ورسوله)[5].

---

(١) سورة الحجر الآية ٤٠.
(٢) سورة الأنبياء، الآية ٢٦ ــ ٢٨.
(٣) سورة مريم ، الآيات ٨٨ ــ ٩٥.
(٤) سورة الزخرف الآية ٥٩.
(٥) أخرجه البخاري ومسلم .

وقد نعته الله " بالعبودية " في أكمل أحواله فقال في الإسراء: ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا ﴾[١].

قال في الإيحاء: ﴿ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴾[٢] وقال في الدعوة: ﴿ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴾[٣].

وقال في التحدي: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ ﴾[٤].

فالدين كله داخل في العبادة .

وقد ثبت في الصحيح [٥] أن جبريل لما جاء إلى النبي - ﷺ - في صورة أعرابي وسأله عن الإسلام قال: " أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً". قال: فما الإيمان ؟ قال: " أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت وتؤمن بالقدر خيره وشره ". قال: فما الإحسان ؟ قال: " أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك " ثم قال في آخر الحديث " هذا جبريل جاءكم يعلمكم دينكم " فجعل هذا كله من الدين.

" والدين " يتضمن معنى الخضوع والذل. يقال: دنته فدان أي:

---

(١) سورة الإسراء الآية ١.

(٢) سورة النجم الآية ١٠.

(٣) سورة الجن الآية ١٩.

(٤) سورة البقرة الآية ٢٣ .

(٥) أخرجه البخاري ومسلم .

ذللته فذل ويقال يدين الله ، ويدين لله أي: يعبد الله ويطيعه ويخشع لـه، فدين الله عبادته وطاعته والخضوع له.

و" العبادة " أصل معناها الذل أيضاً ، يقال طريق معبد إذا كان مذللاً قد وطئته الأقدام.

لكن العبادة المأمور بها تتضمن معنى الذل ومعنى الحب، فهي تتضمن غاية الذل لله بغاية المحبة له، فإن آخر مراتب الحب هو " التتيم " وأوله " العلاقة " لتعلق القلب بالمحبوب، ثم " الصبابة " لانصباب القلب إليه، ثم " الغرام " وهو الحب اللازم للقلب، ثم " العشق " وآخرها " التتيم " يقال: تيم الله أي: عبد الله، فالمتيم المعبد لمحبوبه.

ومن خضع لإنسان مع بغضه له لا يكون عابداً له، ولو أحب شيئاً ولم يخضع له لم يكن عابداً له ، كما قد يحب ولده وصديقه، ولهذا لا يكفي أحدهما في عبادة الله تعالى، بل يجب أن يكون الله أحب إلى العبد من كل شيء، وأن يكون الله أعظم عنده من كل شيء، بل لا يستحق المحبة والذل التام إلا الله.

وكل ما أُحب لغير الله فمحبته فاسدة ، وما عُظم بغير أمر الله كان تعظيمه باطلاً، قال الله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾[1]، فجنس المحبة تكون لله ورسوله، كالطاعة فإن الطاعة

(١) سورة التوبة الآية ٢٤.

لله ورسوله)[١].

قلت: وأما ادعاء الحمد بأن عبودية الله وجنته ليس فيها نور، وإنما النور والفجر ! في حريته (المزعومة) فهو من تلبيس الشيطان عليه، ومن انتكاس قلبه حتى أصبح يبصر الأشياء على خلاف حقيقتها فغدا النور عنده ظلاماً، والظلمة نوراً، وهذا حال أهل الباطل الذين يرون باطلهم حقاً والحق باطلاً منذ العهود القديمة. ولا أملك أن أقول للحمد في هذا المقام إلا ما قاله ابن القيم ـ رحمه الله ـ: (فأهل الأرض كلهم في ظلمات الجهل والبغي إلا من أشرق عليه نور النبوة ، كما في المسند وغيره من حديث عبد الله بن عمرو عن النبي - ﷺ - قال: " إن الله خلق خلقه في ظلمة وألقى عليهم من نوره فمن أصابه من ذلك النور اهتدى ومن أخطأه ضل "[٢] فكذلك أقول: ولذلك بعث الله رسله ليخرجوا الناس من الظلمات إلى النور ، فمن أجابهم خرج إلى الفضاء والنور، ومن لم يجبهم بقي في الضيق والظلمة التي خلق فيها، وهي ظلمة الطبع وظلمة الجهل والهوى وظلمة الغفلة عن نفسه وكمالها وما تسعد به في معاشها ومعادها.

فهذه كلها ظلمات، خلق فيها العبد ، فبعث الله رسله لإخراجه منها إلى نور العلم والمعرفة والإيمان والهدى الذي لا سعادة للنفس بدونه البته. فمن أخطأه هذا النور أخطأه حظه وكماله وسعادته، وصار يتقلب في ظلمات بعضها فوق بعض، فمدخله ظلمة ومخرجه ظلمة وقوله ظلمة وعمله ظلمة وقصده ظلمة، وهو متخبط في ظلمات طبعه

---

(١) الفتاوي (١٠/ ١٤٩ــ ١٥٣) .

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده : (٢/١٧٦ ــ ١٩٧)، وأخرجه الترمذي في كتاب الإيمان: (ص١٨) .

وهواه وجهله، ووجهه مظلم وقلبه مظلم، لأنه مبقى على الظلمة الأصلية، ولا يناسبه من الأقوال والأعمال والإرادات والعقائد إلا ظلماتها، فلو أشرق له شيء من نور النبوة لكان بمنزلة إشراق الشمس على بصائر الخفاش.

بصائر غشاها النهار بضوئه ولاء مها قطع من الليل مظلم

يكاد نور النبوة يلمع تلك الأبصار، ويخطفها لشدته وضعفها، فتهرب إلى الظلمات لموافقتها لها، وملاءمتها إياها.

والمؤمن علمه نور وقوله نور، ومدخله نور ومخرجه نور وقصده نور، فهو يتقلب في النور في جميع أحواله، قال الله تعالى:﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾[1])[2].

الحلف بغير الله في روايته:

ومن تنقصه لله ـ ﷻ ـ أنه استهان بالحلف بغيره ـ ﷻ ـ فذكره في روايته متغافلاً عن قدحه في عقيدة الإنسان وأنه من الشرك الأصغر[3]،

---

(١) سورة النور الآية ٣٥.

(٢) هداية الحيارى (ص٥٩١ ــ ٥٩٣) .

(٣) قال الشيخ ابن باز ــ رحمه الله ــ: "الحلف بغير الله من الشرك الأصغر .. ، وقد يكون شركاً أكبر إذا قام بقلب الحالف أن هذا المحلوف به يستحق التعظيم كما يستحقه الله" . (فتاوى ابن باز ــ ٢/ ٧٢٧ ــ ط دار الوطن .

مصداقاً لقوله – ﷺ -: "من حلف بغير الله فقد أشرك "[١] وقال – ﷺ -: " من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت"[٢].

قال الحمد على لسان عبد الرحمن مخاطباً ابن عمته هشام: (أخبره أن ما يشعر به شيء طبيعي لشخص يشرب لأول مرة ، وأنه سوف يعتاد الشراب ولن يفعل به شيئاً بعد ذلك .إلا أن هشام صاح: " أول وآخر مرة وراس أبوك ...")[٣].

الحمد يعتقد أن الله في كل مكان !!!

ومن طوام تركي الحمد في روايته أنه ـــ وهو الذي درس عقيدة السلف في بلاد التوحيد ـ يعتقد عقيدة الأشاعرة في أن الله موجود في كل مكان ! ! ! وهذا من أغرب الأمور التي مرت علي أثناء دراستي لثلاثيته . مما جعلني أتفكر كثيراً في كيفية تسرب هذه البدعة الغريبة على بلادنا إلى ذهن الحمد وروايته ، ثم اكتشفت أنه قد نقلها ـ بغباء ـــ من ثلاثية نجيب محفوظ ، دون أي تفكير بمدى صحتها !!! وهذا من الأدلة على أن الحمد مجرد ببغاء لنجيب محفوظ يردد ما يقوله في ثلاثيته ولو كان مخالفاً للنقل والعقل كهذه المسألة

قال الحمد متحدثاً عن والد هشام:

(وضحك أبوه إحدى ضحكاته النادرة، ثم عاد إلى وقاره وهدوئه المعتادين وهو يقول بحزم: اسمع يا ولدي ... إن الله موجود في كل مكان، والتقوى في النية الطيبة والسلوك الطيب مع الناس ، ...)[٤].

---

(١) خرجه أبو داود والترمذي . قال الشيخ ابن باز في فتواه السابقة "بإسناد صحيح" .

(٢) أخرجه البخاري ومسلم .

(٣) الشميسي (ص٤٥) .

(٤) الشميسي (ص ١٣٦).

قلت: هذه عقيدة باطلة يدين بها متأخرو الأشاعرة ، والذي عليه سلف الأمة أن الله مستوٍ على عرشه فوق سماواته ، كما قال تعالى: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾[١] وقال: ﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ ﴾[٢] وقال: ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾[٣]...والأدلة على هذا كثيرة ليس هذا موضع التوسع فيها. فانظرها في كتاب (العلو) للذهبي و(مختصره) اللألباني، و(علو الله على خلقه) للدكتور موسى الدويش ، و(إثبات علو الله ...) للشيخ حمود التويجري ـ رحمه الله ـ، و(الرحمن على العرش استوى) للشيخ عبد الله السبت، و(الرحمن على العرش استوى بين التنـزيه والتشويه) للدكتور عوض منصور.

أما أن الحمد قد أخذ هذه العقيدة البدعية من نجيب محفوظ فلأن هذا الآخر قد ذكرها في ثلاثيته ـ التي هي عمدة الحمد ـ على لسان أحمد عبد الجواد.

حيث قال له الحمزاوي: (ربنا موجود) فرد عليه أحمد عبد الجواد: (نعم! ـ ومشيراً إلى الجهات الأربع ـ في كل مكان)[٤].

الحمد يرى أن عبودية الله كالأغلال !!

من تنقص الحمد لله ـ ﷻ ـ أنه لم يرض بعبوديته، وإنما آثر عليها

---

(١) سورة طه الآية ٥.

(٢) سورة الملك الآية ١٦.

(٣) سورة النحل الآية ٥٠.

(٤) بين القصرين (ص٤٤٨).

(الحرية) كما يدعي ! وهي في حقيقتها ليست (حرية) وإنما (عبودية) من نوع آخر، إما للهوى أو الشيطان ـ كما سبق ـ.

يقول الحمد متحدثاً عن هشام: (وطافت في ذهنه تجربته الدينية العميقة حين ذهب إلى المسجد مع ا لفجر، وصلى بعمق غريب ولذيذ لأول مرة في حياته ، بعد تجربته الجسدية مع رقية فقد كانت صلواته السابقة مجرد حركات جسدية لا روح فيها ، ومجاملات اجتماعية بعض الأحيان. ورغم أنه يشعر بالضآلة حين يجامل في مثل هذه الأمور، إلا أنه لا يستطيع إلا أن يجامل ، فالله غفور رحيم ، ولكن عباده لا يعرفون الرحمة والغفران ، لقد أحس بعد تلك التجربة العنيفة بتمزق لم يستطع احتماله ، فكان بحاجة إلى أب رؤوف رؤوف يلقي بحمله عليه ... أب ليس ككل الآباء. أب يسامح على الخطأ والخطيئة ، ويأخذ بيده إلى الراحة بعد العذاب ، والصفاء بعد القلق وذاك الوخز المؤلم في الداخل ... ولكن شتان بين حاله مع رقية ، وهذا الانقلاب العجيب في حال عدنان ... كل إنسان يبحث عن أب رحيم قادر ، وأم حنون في الأزمات والملمات، والكل يبحث عن كتف عطوف قوي يبكي عليه ويلقي عليه بأحماله، ولكن القليل هو من يريد أن يبقى باكياً على ذلك الكتف ، فهو لذيذ حقاً، ولكن الألذ منه أن تخطئ وتصيب، فاللذة في وجود نقيضها وليس في مجرد وجودها. شيء لذيذ وجميل أن تجد من يكون مسؤولاً عنك طوال الوقت، ولكن السعر باهظ جداً ... إنه الحرية ذاتها. الطفل وحده من يدفع هذا السعر بالرغم منه ، ولكن من يريد أن يبقى طفلاً طوال الوقت ؟! الكل يجد الدفء في حضن الأم، والقوة في الأب ، ولكن قلةً من يريدون البقاء في ذلك الحضن وعلى

الكتف ... ويبدو أن عدنان واحد من هؤلاء)[١].

قلت: ومقصوده واضح لا يحتاج إلى إعمال ذهن، وهو دليل استكباره عن عبادة ربه ـ كما سبق ـ وقد قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾[٢].

تنقصه للملائكة الكرام:

أما تنقص الحمد واستخفافه بالملائكة المكرمين؛ فمن ذلك قوله متحدثاً عن هشام في السجن:

(ثم نظر إلى النافذة ، وتلك النجوم التي تتبدى من ورائها على استحياء ، وهو يتصور أن يأتي ملاك رحمة من هنا أو هناك فينقله على جناحيه إلى حيث نسمة هواء طليقة . ولكن حتى الملائكة اختفت في هذه اللحظة ، ويبدو أنها نفسها تخاف الدخول إلى هذا المكان ، وليس إلا الرعب والسكون والانتظار)[٣]!!.

قلت: كيف تخاف الملائكة الدخول في هذا المكان أو غيره، وهي معك أينما سرت. قال تعالى عن الإنسان: ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾[٤].وقال سبحانه:﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ

---

(١) الشميسي (ص٧٠ ـــ ٧١).

(٢) سورة غافر الآية ٦٠.

(٣) الكراديب (ص١٩).

(٤) سورة ق الآية ١٨.

﴾[١]. وقال تعالى: ﴿ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴾[٢].

فالملائكة المكرمون قد خُصَّ بعضهم بأنه لا يفارق الإنسان في جميع أحواله ـ كما سبق ـ ولكن الحمد لا يفقه هذا بعد أن اعتاد لسانه على الجرأة عند حديثه عن كل شيء مقدس، متأثراً بالكفرة الفجرة ـ ولا حول ولا قوة إلا بالله ـ.

تنقص الحمد للقرآن:

أما سخريته بالقرآن ، وبآيات الله ، فهو أنه يضعها في غير موضعها، بأسلوب هازل .

فمن ذلك قوله:

(حانت التفاتة من عبد الرحمن نحو الكيس الذي يحمله هشام ويشد عليه بقوة ، فقال وهو يضحك: " ما تلك بيمينك يا هشام؟ " وابتسم هشام ...)[٣] فهو يشير إلى قوله تعالى لموسى ـ عليه السلام ـ ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَىٰ ﴾[٤].

وقوله: (وهز هشام رأسه وهو يبتسم محيياً ، فيما أخذ الآخرون يتضاحكون ويتغامزون فيما بينهم ويقولون: "شرَّفت الكراديب " "وما منكم إلا واردها ")[٥].

---

(١) سورة الرعد الآية ١١.
(٢) سورة الزخرف الآية ٨٠.
(٣) الشميسي (ص٣٩).
(٤) سورة طه الآية ١٧.
(٥) الكراديب (ص ٣٧).

وهو يشير إلى قوله تعالى عن النار: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾[١].

قلت: لا يجوز أن يُنزل القرآن في غير منزله الذي أراده الله له، وأن يُستدل به بهذه السخرية[٢].

وقد سئلت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء عن (استعمال بعض آيات القرآن في المزاح ما بين الأصدقاء ؟) فأجابت بأنه (لا يجوز استعمال آيات القرآن في المزاح)[٣].

بغضه للقرآن :

يقول الحمد متحدثاً عن ذكريات هشام ، وصديقه عدنان: (كانا في الصف الرابع الابتدائي، وكانت مادتي القرآن الكريم والتجويد أصعب وأبغض المواد عند التلاميذ)[٤]!!

قلت: أما (أصعب) فقد قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾[٥].

وأما (أبغض) فهذه التي يريد الحمد! والسؤال : لماذا كان كلام الله الذي فيه الهدى والنور أبغض المواد!؟ وكان الحب كله للكتب الفلسفية والماركسية و(المحرَّمة)؟!.

---

(١) سورة مريم الآية ٧١.

(٢) للسيوطي رسالتان حول هذا الموضوع بعنوان (تنزيه الأغبياء عن تسفيه الأنبياء) و(رفع البأس وكشف الالتباس في ضرب المثل من القرآن والاقتباس) انظرها في (الحاوي) (٣٠٩/١) و(٣٤٤/١). وهي في من اقتبس من القرآن جاداً لا هازلاً.

(٣) فتاوى اللجنة (٤/ ٥٦) .

(٤) الشميسي (ص(٦٨) .

(٥) سورة القمر الآية ١٧.

وصدق الله إذ يقول: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾[١].

تنقصه للأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ:

لقد أسرف الحمد على نفسه كثيراً واقتحم لجة الكفر والضلال عندما تعرض لأنبياء الله تعالى ـ عليهم الصلاة والسلام ـ واصفاً إياهم بكل منقصة جرياً وراء أكاذيب اليهود والنصارى التي استولت على ذهنه عند حديثه عنهم ـ عليهم السلام ـ فقد نسخت قراءاته لكتب اليهود والنصارى والملاحدة كل تعظيم غرسه القرآن في صدره حول الأنبياء والرسل .

ولنستمع إلى (هرائه) مع التعليق عليه بما تيسر.

قال الحمد على لسان هشام:

(قتل قابيل هابيل من أجل المرأة، وخرج آدم من الجنة من أجل المرأة ، وأذنب من أجل المرأة ، وسخر سليمان الجن من أجل المرأة، وقال رسولنا الكريم[٢]:" حُبب إليَّ من دنياكم الطيب والنساء وجُعلت الصلاة قرة عيني " ومزامير داود كلها عن المرأة ، وسكر لوط في التوراة من أجل المرأة ، وأبطل المسيح حد اليهود من أجل مريم المجدلية ، وخاف إبراهيم من فرعون مصر من أجل المرأة ، وكانت المرأة وراء مباركة يعقوب بدلاً من عيسو ...)[٣].

قلت: لقد تضمن هذا النص من الحمد عدة افتراءات على أنبياء الله

---

(١) سورة الإسراء الآية ٨٢.

(٢) لا لزوم لهذه المخادعة بعد الذي خطته يمينك !

(٣) الكراديب (ص١٢٢) .

ـ عليهم السلام ـ حيث لم يتورع ـ هداه الله ـ عن متابعة اليهود والنصارى في تلفيق التهم والنقائص لخير البشر ـ عليهم السلام ـ ولتفنيد ذلك أقول:

ـ أما قابيل وهابيل فإنهما لم يكونا من الأنبياء، هم بشر كغيرهم ، فلا شأن لنا بهما. ومع هذا فإن تركي الحمد لم يذكر إلا قولاً واحداً في قصتهما ولم يذكر القول الثاني.

فهو ألمح إلى القول الأول الذي يفيد بأن قابيل قتل أخاه هابيل بسبب المرأة فقررا أن يتقربا إلى الله بقربان فمن تقبل منه كانت المرأة من نصيبه فتقبل من هابيل ولم يُتقبل من قابيل ، فقام قابيل بقتل هابيل.

والقول الثاني الذي لم يذكره الحمد هو أنهما قررا أن يقوما بتقديم قربان إلى الله ـ ﷻ ـ فعمد قابيل إلى أسوأ ماله فقدمه قرباناً، وعمد هابيل إلى أحسن ماله فقدمه، فتقبل منه ولم يتقبل من أخاه قابيل، فحسده قابيل وقام بقتله.

وفي هذا يقول ابن جرير الطبري ـ رحمه الله ـ: (عن ابن عباس قال: كان من شأنهما أنه لم يكن مسكين يتصدق عليه وإنما كان القربان يقربه الرجل، فبينما ابنا آدم قاعدان إذ قالا: لو قربنا قرباناً ! وكان الرجل إذا قرب قرباناً فرضيه الله ـ ﷻ ـ أرسل إليه ناراً فأكلته ، وإن لم يكن رضيه خبت النار، فقربا قرباناً. وكان أحدهما راعياً وكان الآخر حراثاً، وإن صاحب الغنم قرب خير غنمه وأسمنها. وقرب الآخر أبغض زرعه، فجاءت النار فنزلت بينهما ، فأكلت الشاة وتركت الزرع. وإن ابن آدم قال لأخيه: أتمشي في الناس وقد علموا أنك قربت قرباناً فتقبل منك ورد عليّ ؟ فلا والله لاتنظر الناس إلي وإليك وأنت خير

مني فقال: لأقتلنك ! فقال أخوه: ماذنبي؟ إنما يتقبل الله من المتقين)[١] .

قلت: فهذا القول الثاني لم يشر إليه الحمد هو الذي يشهد له القرآن العظيم عندما تحدث عن قصة ابني آدم حيث قال تعالى: ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْأَخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَىَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴾[٢] .

ولذا قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ بعد سياقه الأثر السابق عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: (فهذا الأثر يقتضي أن تقريب القربان كان لاعن سبب ولا عن تدارئ في امرأة كما تقدم عن جماعة ممن تقدم ذكرهم ، وهو ظاهر القرآن)[٣] .

فالحمد لم يسق إلا القول الذي يتماشى مع هواه، علماً بأن هذه الروايات جميعها لم تصح مرفوعة إلى النبي - ﷺ -، وإنما هي تنقل عن

---

(١) تفسير الطبري (١٠ / ٢٠٣ شاكر) .

(٢) سورة المائدة الآية ٢٧-٣١.

(٣) تفسير ابن كثير (٢/ ٤٥) .

أهل الكتاب الذين أمرنا بعدم تصديقهم أو تكذيبهم إلا ما عارض شرعنا فإننا نكذبهم فيه ـ ولا كرامة ـ.

بل إن القرآن والسنة الصحيحة لم تذكر (قابيل وهابيل) وإنما ذكرت بأن القصة حدثت لابني آدم فقط دون تفصيلات . كما في سورة المائدة، وكما في قوله - ﷺ - في الصحيحين: " لا تُقتل نفس ظلماً إلا كان على ابن آدم الأول كِفْل من دمها، لأنه أول من سنَّ القتل ".

ـ أما قول الحمد بأن آدم ـ ؈ ـ قد خرج من الجنة من أجل المرأة فالذي في القرآن أن (الشيطان) قد وسوس لآدم وحواء جميعاً بالأكل من الشجرة، وفي آيات أخرى يخبر الله بأن الشيطان قد وسوس لآدم بذلك دون ذكر لحواء.

قال تعالى: ﴿ وَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ۝ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَـٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَـٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾[1]. وقال سبحانه: ﴿ قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا ۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ۝ وَيَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾[2].

وقال ـ ﷻ ـ: ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ

(١) سورة البقرة الآية ٣٥، ٣٦.

(٢) سورة الأعراف الآية ١٨-١٩.

عَزۡمٗا ۝ وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ ﴾[1].فهذه الآيات فيها أن الشيطان وسوس لهما جميعاً ﴿ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ ﴾[2].

﴿ فَوَسۡوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ ﴾؛ وفي سورة طه أنه وسوس لآدم أولاً ﴿ فَوَسۡوَسَ إِلَيۡهِ ٱلشَّيۡطَٰنُ ﴾. فهي تشهد لمن قال بأن الوسوسة كانت لهما جميعاً حيث أغراهما الشيطان بنيل الخلد في الجنة وأن يكونا كسائر الملائكة. ولم يذكر فيها أن حواء هي التي أغرت آدم على الأكل من الشجرة كما تقول ذلك الروايات الإسرائيلية. ولهذا قال الشيخ أحمد شاكر ـ رحمه الله ـ: (دأب الكتاب والأدباء في عصرنا هذا على فرية أن آدم عليه السلام خدعته حواء حتى أكل من الشجرة ، يصطنعون قول الكاذبين المفترين من أهل الكتاب ، بما حرفوا وكذبوا)[3].

قلت: ولكن من يقول بأن حواء أكلت من الشجرة قبل آدم، أو أنها سهلت له الأكل منها يستشهد بحديث رواه البخاري في صحيحه ويحمله على هذه القصة، وهو أنه – ﷺ - قال: " لولا حواء لم تخن أنثى زوجها " . قال الحافظ ابن حجر في شرحه لهذا الحديث: (وقوله " لم تخن أنثى زوجها " فيه إشارة إلى ما وقع من حواء في تزيينها لآدم الأكل من الشجرة حتى وقع في ذلك ، فمعنى خيانتها أنها قبلت ما زين لها إبليس حتى زينته لآدم، ولما كانت هي أم بنات آدم أشبهنها بالولادة ونزع

---

(١) سورة طه ١١٥، ١١٦.

(٢) سورة البقرة الآية ٣٦.

(٣) عمدة التفسير (١/ ١٣٦) .

العرق فلا تكاد امرأة تسلم من خيانة زوجها بالفعل أو بالقول وليس المراد بالخيانة هنا ارتكاب الفواحش حاشا وكلا ولكن لما مالت إلى شهوة النفس من أكل الشجرة وحسنت ذلك لآدم عد ذلك خيانة له، وأما من جاء بعدها من النساء فخيانة كل واحدة منهن بحسبها، وقريب من هذا الحديث " جحد آدم فجحدت ذريته " وفي الحديث إشارة إلى تسلية الرجال فيما يقع لهم من نسائهم بما وقع من أمهن الكبرى، وأن ذلك من طبعهن فلا يفرط في لوم من وقع منها شيء من غير قصد إليه أو على سبيل الندور، وينبغي لهن أن لا يتمكن بهذا في الاسترسال في هذا النوع بل يضبطن أنفسهن ويجاهدن هواهن، والله المستعان)[1].

وقال ابن كثير ـ رحمه الله ـ: (وكانت حواء أكلت من الشجرة قبل آدم وهي التي حدته على أكلها، والله أعلم ، وعليه يحمل الحديث الذي رواه البخاري ...) ثم ذكر الحديث السابق[2].

قلت: ومع هذا فلا يحسن أن يقال بأن آدم خرج من الجنة بسبب المرأة ، وإنما يقال بأنه ـ عليه السلام ـ خرج من الجنة بسبب مخالفته لنهي الله ـ عز وجل ـ بوسوسة من الشيطان مما ترتب عليه ابتلاؤه وذريته من بعده. وكان هذا قبل أن يتوب الله عليه، ويصطفيه كأول نبي على وجه الأرض.

ـ أما قول الحمد بأن داود ـ عليه السلام ـ أذنب من أجل المرأة فهذا من افترائه متابعة لأشياخه اليهود الذين افتروا على داود ـ عليه السلام ـ في توراتهم المحرفة بأنه ـ عليه السلام ـ قتل أحد قواده بواسطة الخدعة حيث جعله

---

(١) فتح الباري (٦/ ٤٢٤).

(٢) البداية والنهاية (١/ ٧٨).

في مقدمة الجيش لكي يتزوج بامرأته التي أعجب بها داود ـ عليه السلام ـ بعد أن رآها عريانة !!! كما جاء في (سفر صموئيل الثاني، الإصحاح ١١).

وقد تسللت هذه الكذبة الشنيعة من اليهود إلى تفاسير المسلمين عبر الإسرائيليات التي أخذوها منهم دون تمحيص لها.

حيث تذكر هذه القصة المكذوبة في تفسير قوله تعالى:

﴿ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴾[١].

وقد أجاد ابن كثير ـ رحمه الله ـ عندما قال عند هذه الآية: (قد ذكر المفسرون ها هنا قصة أكثرها مأخوذ من الإسرائيليات، ولم يثبت فيها عن المعصوم حديث يجب إتباعه)[٢] ثم ضعف القصة السابقة بأن في سندها (يزيداً الرقاشي) أحد الضعفاء في الحديث عند الأئمة.

وقبله قال شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ:

(قد عرف كلام اليهود في الأنبياء وغضهم منهم، كما قالوا في سليمان ما قالوا، وفي داود ما قالوا)[٣].

وقال القاضي عياض: (لا تلتفت إلى ما سطره الإخباريون من أهل الكتاب، الذين بدلوا وغيروا، ونقله بعض المفسرين ولم ينص الله تعالى على شيء من ذلك في كتابه، ولا ورد في حديث صحيح) قال: (وليس في قصة داود وأوريا خبر ثابت)[٤].

وقال الشيخ محمد أبو شهبه في كتابه (الإسرائيليات والموضوعات

---

(١) سورة ص الآية ٢٤.

(٢) تفسير ابن كثير (٤/ ٣٤).

(٣) الفتاوى (١٥ ١٤٩).

(٤) الشفا (٢/١٥٨).

في كتب التفسير): (والمحققون ذهبوا إلى ما ذهب إليه القاضي. قال الداودي: ليس في قصة داود وأوريا خبر يثبت، ولا يظن بنبي محبة قتل مسلم)[(١)].

وقال الدكتور البار بعد أن ذكر هذه القصة المكذوبة: (يالها من جريمة بشعة حقيرة تزعم التوراة (المحرفة) أن داود ـ عليه السلام ـ ارتكبها، وهو لاريب منها بريء)[(٢)].

قلت: شتان بين هذه القصة التي تصف نبي الله داود ـ عليه السلام ـ بالقتل والمخادعة في سبيل امرأة، وبين قول الله تعالى عنه: ﴿ ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً ۖ كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴾[(٣)].

فقد وصفه تعالى بالقوة في العلم والعمل وأبان ذلك ـ ﷺ ـ بقوله عنه بأنه " كان يصوم يوماً ويفطر يوماً ، ولا يفر إذا لاقى "[(٤)]. وقال عنه " أحب الصلاة إلى الله صلاة داود ، كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه، وينام سدسه "[(٥)].

فأين هذا الوصف العالي من و صف التوراة المحرفة التي استساغ الحمد أن يتأثر بها وينقلها تشويهاً لصورة نبي الله ـ عليه السلام ـ !؟

---

(١) ص ٢٦٨.
(٢) الله ـ جل جلاله ـ والأنبياء ـ عليهم السلام ـ في التوراة (ص٣٦١).
(٣) سورة ص الآية ١٧-٢٠.
(٤) أخرجه البخاري (٣٤١٩) .
(٥) أخرجه البخاري (٣٤٢٠) .

ـ أما قول الحمد بأن سليمان ـ عليه السلام ـ قد سخَّر الجن من أجل المرأة، فهذا من كذبه الذي يعرفه صغار المسلمين الذي يقرأون القرآن.

فسليمان ـ عليه السلام ـ لم يسخر الجن بنفسه، وإنما الذي سخرها الله ـ عز وجل ـ.

قال تعالى عن سليمان: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَـٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَـٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴾[١].

وأما قصته ـ عليه السلام ـ مع (بلقيس) ملكة اليمن التي يلمح إليها الحمد فهي أن سليمان غضب منها ومن قومها عندما أرسلوا له المال والهدايا لعله يكف عنهم. فأمر من حوله من الجن والإنس بأن يحضروا له عرش بلقيس الذي لا يكاد يوجد مثله في عظمته ، فقال: ﴿ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ﴾[٢] ولكن سليمان لم يقنع بهذا، فقال: ﴿ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ ﴾[٣] وهو كاتبه آصف بن برخيا كما يُروى عن ابن عباس: ﴿ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ﴾[٤] أي: أن تنظر مد

---

(١) سورة ص الآية ٣٥-٤٠.
(٢) سورة ص الآية ٣٩.
(٣) سورة النمل الآية ٤٠.
(٤) سورة النمل الآية ٤٠.

بصرك فلا تكل إلا والعرش عندك: ﴿ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ ﴾ أي سليمان: ﴿ قَالَ هَـٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴾[1].

أما سبب إحضار العرش فليس لأجل المرأة كما يزعم الحمد ـ كذباً وافتراءً ـ وإنما لأجل أن يظهر سليمان عظمة ملكه لها، وأنه نبي من عند الله، قد سخر له الإنس والجن فتستجيب لدعوته لها إلى دين التوحيد بعد أن كانت تسجد هي وقومها للشمس.

قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ: (إن سليمان أراد بإحضار هذا السرير إظهار عظمة ما وهب الله له من الملك وما سخر له من الجنود الذي لم يعطه أحد قبله ولا يكون لأحد من بعده وليتخذ ذلك حجة على نبوته عند بلقيس وقومها لأن هذا فارق عظيم أن يأتي بعرشها كما هو من بلادها قبل أن يقدموا عليه)[2].

ـ أما قول الحمد بأن نبينا قد حُبب إليه النساء ، فهذا صحيح، وقد ورد في هذا قوله: ((حبب إليّ من دنياكم النساء والطيب وجعلت قرة عيني الصلاة))[3].

وليس معنى هذا ما قد يظنه الحمد أو غيره من الجهلة أن هذه المحبة لأي امرأة ولو لم تحل له ـ والعياذ بالله ـ وإنما هذا خاص بزوجاته وما ملكت يمينه، وليس في هذا أي نقص لمرتبته ـ عليه الصلاة والسلام ـ بل هو بيان لكمال رجولته.

---

(١) سورة النمل الآية ٣٩-٤٠.

(٢) تفسير ابن كثير (٣/٣٧٦) .

(٣) أخرجه أحمد والنسائي ، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣١٢٤) .

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ: (أما محبة الزوجات فلا لوم فيها، بل هي من كماله، وقد امتن سبحانه على عباده فقال: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[١]. فجعل المرأة سكناً للرجل يسكن قلبه إليها، وجعل بينهما خالص الحب، وهو المودة المقرونه بالرحمة) قال: (ولا ريب أن النبي ـ ﷺ ـ قد حُبب إليه النساء، كما في الصحيح عن أنس عن النبي: "حبب إلي من دنياكم النساء والطيب، وجعلت قرة عيني في الصلاة" قال: (فمحبة النساء من كمال الإنسان، قال ابن عباس: خير هذه الأمة أكثرها نساء) قال: (فعشق النساء ثلاثة أقسام: قسم هو قُربة وطاعة، وهو عشق امرأته وجاريته ، وهذا العشق عشق نافع، فإنه أدعى إلى المقاصد التي شرع الله لها النكاح، وأكف للبصر والقلب عن التطلع إلى غير أهله، ولهذا يُحمد هذا العاشق عند الله، وعند الناس)[٢].

ـ أما قول الحمد بأن مزامير داود ـ عليه السلام ـ كلها عن المرأة، فهذا كذب منه، يريد به التهويل. قال الدكتور محمد البار ـ حفظه الله ـ وهو ممن اعتنى بدراسة المزامير:

(تنسب المزامير إلى مجموعة من أنبياء بني اسرائيل وأدبائهم وشعرائهم، وتشتمل على ١٥٠ مزموراً، منها ٧٣ منسوبة إلى داود ـ عليه السلام ـ، والأخرى منسوبة إلى موسى وسليمان ـ عليهما السلام ـ وإلى

---

(١) سورة الروم الآية ٢١.

(٢) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (ص٣٩٣ـ٣٩٥ ـ ٣٩٩) .

آساف وبني قورع وراجح وهيمان وأتيان ويدوتون).

وقال: (رغم أنه لم تثبت نسبة أي من هذه المزامير الموجودة لداود أو غيره، إلا أنها أصبحت جزءً من الفولكلور الشعبي اليهودي)[١].

وقال: (تُقسم المزامير إلى ثلاث مجموعات أساسية تندرج تحتها مجموعات أصغر. وهذه المجموعات الثلاث هي:

١ ـ مجموعة التسابيح .

٢ ـ مجموعة صلوات الاستغاثة .

٣ ـ مجموعة التعليم)[٢] .

قلت: يتضح من هذا أن المزامير كلها عن دين اليهود وتسابيحهم وصلواتهم، وليست كما يزعم الحمد بأنها (كلها عن المرأة)!!!.

والذي نعتقده ـ كمسلمين ـ هو ماجاء في القرآن الكريم أن الله قد آتى داود ـ عليه السلام ـ كتاباً مقدساً هو (الزبور) قال تعالى: ﴿ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴾[٣].

ونعتقد أن داود ـ عليه السلام ـ قد وهبه الله صوتاً جميلاً يترنم به عند تسبيحه الله فتردد الجبال والطير معه .

قال تعالى: ﴿ إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴾[٤]، وقال: ﴿ يَـٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ﴾[٥]، وأما قوله لأبي موسى

---

(١) المصدر السابق (ص٣٨٦) .

(٢) المصدر السابق (ص٣٨٨ ـ ٣٩٢) .

(٣) سورة الإسراء الآية ٥٥.

(٤) سورة ص الآية ١٨ .

(٥) سورة سبأ الآية ١٠ .

الأشعري ـ ﷺ ـ: "يا أبا موسى، لقد أوتيت مزماراً من مزامير آل داود"[(١)].

فقد قال الخطابي: (قوله (آل داود) يريد داود نفسه، لأنه لم ينقل أن أحداً من أولاد داود ولا من أقاربه كان أعطي من حسن الصوت ما أعطي)[(٢)] وقال الحافظ ابن حج: (المراد بالمزمار الصوت الحسن ، وأصله الآلة، أطلق اسمه على الصوت للمشابهة)[(٣)].

ـ أما قول الحمد (وسكر لوط في التوراة من أجل المرأة)!!.

فهذا من أقبح تشنيعاته على أنبياء الله، والتعريض بهم بخُبثٍ وسوء طوية، حيث لم يُعقب على هذا الكذب بما يبينه، وإنما ساقه متأثرًا به متابعةً لأحفاد القردة.

ثم أعاده في موضع آخر من روايته مبيناً قصده ، حيث قال على لسان هشام ـ كما سيأتي ـ (وزنت بنات لوط مع أبيهم)!!

وهذا الكذب الفاحش قد أخذه الحمد من التوراة (المحرّفة) حيث جاء فيها ـ كما في سفر التكوين ، الإصحاح ١٩: ٣٠ ــ ٣٨ ـ أن ابنتي لوط ـ عليه السلام ـ قامتا بإسقائه خمراً حتى سكر ، ثم اضطجعتا معه، فحبلتا منه !!!

وهذه الكذبة لا يُستغرب صدورها من قوم قد قال الله ـ تعالى ـ عنهم:(﴿ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا

---

(١) أخرجه البخاري (٥٠٤٨) .

(٢) فتح الباري (٨/ ٧١١) .

(٣) فتح الباري (٨/ ٧١٢) .

كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾[١] فمن كذب بعض الرسل وقتل بعضهم الآخر لا يستغرب عليه أن يفتري الكذب عليهم.

قال ابن حزم ـ رحمه الله ـ بعد أن ذكر هـذه القـصة المفـتراة: (هـذه فضائح الأبـد، وتوليـد الزنادقـة والمبـالغين في الاسـتخفاف بـالله تعـالى وبرسله ـ عليهم السلام ـ)[٢].

وقال ابن القيم رحمه الله ـ:

(ومن قدحهم[٣] في الأنبيـاء: مـا نـسبوه إلى نـص التـوراة، أنـه لمـا أهلك الله أمة لوط لفـسادها، ونجـى لوطـاً بابنتيـه فقـط، ظـن ابنتـاه أن الأرض قد خلت ممن يستبقين منه تسلاً. فقالـت الـصغرى للكـبرى: إن أبانا شيخ، ولم يبق في الأرض إنسان يأتينا كسبيل البـشر، فهلمـي نـسقي أبانا خمراً ونضاجعه، لنستبقي من أبينا نسلاً، ففعلتا ـ بـزعمهم ـ فنـسبوا لوطـاً الـنبي ـ عليه السلام ـ إلى أنـه سـكر حتـى لم يعـرف ابنتيـه ثـم وطئهمـا وأحبلهما وهو لا يعرفهما ...)[٤].

ـ أما قول الحمد بأن المسيح ـ عليه السلام ـ أبطل حد اليهود من أجل مريم المجدلية ، فلعله يشير إلى اتهام اليهود لمريم ـ رضي الله عنها ـ بالزنا من أجل حملها بعيسى ـ عليه السلام ـ دون زوج ، ومن ثمّ تكلم عيسى في المهد مبرئاً أمه من هذه التهمة الشنيعة التي وبخ الله اليهود لأجلها بقوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَـٰنًا عَظِيمًا ﴾[٥] فما دخل

---

(١) سورة البقرة الآية ٨٧.

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل (١/ ٢٢٤) .

(٣) أي اليهود عليهم لعنة الله .

(٤) إغاثة اللهفان (٢/ ٣٤٢ـــ ٣٤٣) .

(٥) سورة النساء الآية ١٥٦.

هذه الحادثة بما يتحدث عنه الحمد ؟!.

ـ أما قول الحمد (وخاف إبراهيم من فرعون مصر من أجل المرأة) فيشير إلى ما ما أخرجه البخاري في صحيحه عن النبي - ﷺ - متحدثاً عن إبراهيم ـ عليه السلام ـ: ((بينما هو ذات يوم وسارة إذ أتى إلى جبار من الجبابرة، فقيل له: إن ها هنا رجلاً معه امرأة من أحسن الناس، فأرسل إليه فسأله عنها فقال: من هذه ؟ قال: أختي . فأتى سارة قال: ياسارة ليس على وجه الأرض مؤمن غيري وغيرك، وإن هذا سألني عنك فأخبرته أنك أختي، فلا تكذبيني. فأرسل إليها، فلما دخلت عليه ذهب يتناولها بيده فأُخذ: فقال: ادعي الله لي ولا أضرك، فدعت الله فأطلق. ثم تناولها الثانية فأُخذ مثلها أو أشد ، فقال: ادعي الله لي ولا أضرك ، فدعت فأطلق . فدعا بعض حجبته فقال: إنكم لم تأتوني بإنسان ، إنما أتيتوني بشيطان ، فأخدمها هاجر. فأتته وهو قائم يصلي، فأومأ بيده: مهيم ؟ قالت: رد كيد الكافر ــ أو الفاجر ــ في نحره ، وأخدم هاجر))[1].

قلت: وفي هذا الحديث بيان عصمة الله لإبراهيم وزوجه أن تمسهما يد ظالم ، حيث كف سبحانه كيد هذا الملك عنهما.

ـ أما قول الحمد بأن المرأة كانت (وراء مباركة يعقوب بدلاً من عيسو) فيشير إلى ما جاء في الإسرائيليات التي دخلت علينا من أهل الكتاب وقد ذكرها المؤرخون في قصة يعقوب ـ عليه السلام ـ.

قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ في البداية والنهاية:(ذكر أهل الكتاب أن اسحق لما تزوج رفقا بنت بتواييل في حياة أبيه كان عمره أربعين سنة

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣٥٨) .

وأنها كانت عاقراً فدعا الله لها فحملت فولدت غلامين توأمين أولهما سموه عيصو وهو الذي تسميه العرب العيص وهو والد الروم، والثاني خرج وهو آخذ بعقب أخيه فسموه يعقوب وهو إسرائيل الذي ينتسب إليه بنو إسرائيل.

قالوا: وكان اسحق يحب العيصو أكثر من يعقوب لأنه بكره وكانت أمهما رفقا تحب يعقوب أكثر لأنه الأصغر.

قالوا: فلما كبر اسحق وضعف بصره اشتهى على ابنه العيص طعاماً وأمره أن يذهب فيصطاد له صيداً ويطحنه له ليبارك عليه ويدعو له، وكان العيص صاحب صيد فذهب يبتغي ذلك فأمرت رفقا ابنها يعقوب أن يذبح جديين من خيار غنمه ويصنع منهما طعاماً كما اشتهاه أبوه ويأتي إليه به قبل أخيه ليدعو له، فقامت فألبسته ثياب أخيه وجعلت على ذراعيه وعنقه من جلد الجديين لأن العيص كان أشعر الجلد ويعقوب ليس كذلك ، فلما جاء به وقربه قال: من أنت ؟ قال: ولدك. فضمه إلى وجهه وجعل يقول: أما الصوت فصوت يعقوب وأما الجس والثياب فالعيص، فلما أكل وفرغ دعا له أن يكون أكبر إخوته قدراً وكلمته عليهم وعلى الشعوب بعده وأن يكثر رزقه وولده.

فلما خرج من عنده جاء أخوه العيص بما أمره به والده فقربه إليه فقال له: ما هذا يا بني ؟ قال: هذا الطعام الذي اشتهيته فقال: أما جئتني به قبل الساعة وأكلتُ منه ودعوتُ لك ؟ فقال: لا والله . وعرف أن أخاه قد سبقه إلى ذلك)[١].

قلت: فهذه من أحاديث أهل الكتاب، لاتصدق ولا تكذب، وإن

---

(١) البداية والنهاية (١/١٩٤) .

صحت ففيها بيان محبة الأم لابنها وحرصها على أن يكون محظياً عند والده، ولاحرج في هذا.

تنقصات أخرى:

وقال الحمد في موضع آخر من روايته: (رحماك يارب الكون... لماذا خلقت حام طالما أن سام هو الحبيب؟ ولماذا فضلت سام وصببت اللعنة على حام ؟ ما ذنبه إذا سكر نوح، وزنت بنات لوط مع أبيهم، في كتاب يقولون إنه كلماتك وإرادتك ؟)[1].

وفي قول الحمد مخاطباً ربه (لماذا خلقت حام؟) سوء أدب، ووقاحة، وعدم تعظيم له سبحانه ، حيث وجه إليه سؤاله تعنتاً وإعراضاً، وقد قال تعالى: ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴾[2].

وهو يشير بقوله: (لماذا فضلت سام وصببت اللعنة على حام ؟ ما ذنبه إذا سكر نوح ؟) إلى ما ورد في التوراة (المحرّفة)[3] التي هي عمدة الحمد في قدحه بأنبياء الله ! من أن نوحاً ـ عليه السلام ـ شرب من الخمر فسكر وتعرى داخل خبائه، فأبصره ابنه حام (أبو كنعان)، وأخبر أخويه (سام ويافث)، فأخذ (سام ويافث) الرداء وسترا عورة أبيهما دون أن ينظرا إليها ، فلما أفاق نوح وعلم بذلك لعن حاماً وابنه كنعان، ودعا أن يكون عبداً لأخويه، ودعا لسام بالبركة من الله.

هذه إحدى كذبات اليهود وتشويههم لصورة الأنبياء في كتبهم المحرفة، التي نقل منها الحمد دون تورع أو خجل، ولكن بمكرٍ وخبث،

---

(١) الكراديب (ص١٣٧) .

(٢) سورة الأنبياء الآية ٢٣ .

(٣) (سفر التكوين ـ الإصحاح ٩ : ٢٠ ـ ٢٧)، وانظر (الفِصَل ...) لابن حزم (١/ ٢١١).

ومحاولة منه لإسقاط المثل والرموز ـ كما سبق ـ بأسلوب حقير يناسب طبعه وعقليته التي لا تقيم وزناً لأي شيء مقدس ـ كما يحاول أن يدّعي ـ!.

قال الدكتور سعود الخلف ـ حفظه الله ـ بعد إيراده هذه القصة المكذوبة على نوح ـ عليه السلام ـ: (وهذا محض كذب وافتراء، فإن الله ـ عز وجل ـ قد وصف عبده نوحاً في كتابه المهيمن بقوله: ﴿ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴾[1])[2].

ـ وأما قوله القبيح (وزنت بنات لوطٍ مع أبيهم) فقد بينت كذبه ـ فيما سبق ـ وأنه مُتلقىً عن أبناء القردة، من الذين جعلهم الحمد قدوته، واتبع آثارهم في تعريضه بأنبياء الله ـ عليهم السلام ـ دون خوف من الله ـ عز وجل ـ الذي قال عن أنبيائه ـ عليهم السلام ـ ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ﴾[3].

ـ وقال الحمد على لسان هشام في السجن: (يحس أنه هنا منذ أن حشر الإله الروح في جسد آدم. إنه يحس في داخله أنه كان معاصراً لقابيل وهو يقتل أخاه ، ولنوح وهو يصارع أمواج الطوفان، وليونس وهو يصيح في بطن الحوت، ولأيوب والدود ينخره، وليوسف في الجب، والمسيح هو يصيح مصلوباً، والنبي الأمي وهو يشكو)[4].

---

(١) سورة الإسراء ، الآية : ٣ .

(٢) دراسات في الأديان : اليهودية والنصرانية (ص٩٤).

(٣) سورة الأنعام الآية ٩٠.

(٤) الكراديب (ص٢١٣) .

قوله: (حشر الإله الروح في جسد آدم) هو من سوء أدبه مع ربه، وفيه اعتراض خفي على خلق آدم ـ عليه السلام ـ وكان الأولى به أن يقول: (نفخ الإلة الروح في آدم) كما أخبر القرآن: ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ۝ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴾[1].

الحمد يعتقد صلب المسيح ـ عليه السلام ـ !!!

وكل هذا يهون أمام الطامة العظمى التي فاه بها الحمد، وهي قوله: (والمسيح وهو يصيح مصلوباً)!!! فهو يخالف بقوله هذا نصوص الشريعة وإجماع المسلمين من أن المسيح ـ عليه السلام ـ لم يصلب بل رفعه الله إليه وألقى شبهه على غيره ممن صلب ، قال تعالى: ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ﴾[2].

والذي دعا الحمد إلى هذه الزلة العظيمة هو ـ كما سبق ـ متابعته لليهود والنصارى الذين يزعمون أن المسيح ـ عليه السلام ـ قد صلب ، وقد رد الله عليهم قولهم هذا في القرآن الذي يفترض أن يكون الحمد قد قرأه وآمن به! قال تعالى عن اليهود: ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ﴾[3]. وهذه العقيدة وهي عدم صلب المسيح ـ لا يخالف فيها أي مسلم ، عامياً كان او عالماً،

---

(١) سورة ص الآية ٧١، ٧٢ .

(٢) سورة النساء الآية ١٥٧ .

(٣) سورة النساء الآية ١٥٧ .

وإنما خلاف بعضهم في أنه هل رفع ـ عليه السلام ـ بجسده كما عليه الجمهور وهو الصحيح لأنه موافق لقوله تعالى: ﴿ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ﴾[(١)].

أم أنه تعالى توفاه بالنوم ثم قبض روحه كما يقبض أرواح البشر، كما يختاره بعض العقلانيين من أمثال محمد عبده ومدرسته[(٢)].

أما أنه ـ عليه السلام ـ قد صلب فهذا لم يفه به سوى المغضوب عليهم والضالين (وأذنابهم!) لأنه مصادم لما علم بالضرورة من دين الإسلام، وهو تكذيب لله ـ عز وجل ـ.

فهل يعي الحمد خطورة قوله هذا ؟! أم يتمادى في تجاوزه كل ما هو قطعي تحت دعاوى (الحرية !)؟ عندها نقول له: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ﴾[(٣)].

تنقص آخر لأنبياء الله:

قال الحمد على لسان هشام:

(نحن نحاول أن نفهم سر ما يجري ، ولكننا ننتهي إلى صخرة سيزيف ، ويبقى السر طلسماً قاتلاً من طلاسم سليمان الحكيم ، وتعويذات وزيره آصف بن برخيا العابثة ...)[(٤)].

قلت: أما صخرة سيزيف فهي أسطورة يونانية لا شأن لنا به ولا

---

(١) سورة النساء الآية ١٥٨ .

(٢) انظر: تفسير المنار (٦/ ١٨) .

(٣) سورة المائدة الآية ٤١ .

(٤) الكراديب (ص٢١٤).

بصخرته التي يحاول الصعود بها.

ـ أما قوله: (ويبقى السر طلسماً قاتلاً من طلاسم سليمان الحكيم) ! فهو افتراء منه تابع فيه اليهود الذين اتخذهم قائده ودليله في روايته، فالقول ما قالوا، والرأي ما رأوا، والرواية مارووا، وإن كان فيها تنقص أو شتيمة لأنبياء الله ورسله، فكل هذا لا يهم (التوراتي) تركي الحمد ! الذي شابه قلبه قلوبهم في حملها الغل على أكرم الخلق فأصبح يهذي بما تهذي به يهود.

ومن ذلك متابعته لهم في اتهام سليمان ـ عليه السلام ـ بأنه ساحر !!! وقد رد الله هذا الكفر بقوله تعالى مدافعاً عن نبيه سليمان: ﴿ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ ﴾[1].

قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ: (إن سحرة اليهود ـ فيما ذكر ـ كانت تزعم أن الله أنزل السحر على لسان جبريل وميكائيل إلى سليمان بن داود ، فأكذبهم الله بذلك واخبر نبيه محمداً ـ ﷺ ـ أن جبريل وميكائيل لم ينزلا بسحر، وبرأ سليمان ـ عليه السلام ـ مما نحلوه من السحر ، وأخبرهم أن السحر من عمل الشياطين)[2].

ـ وأما قوله(وتعويذات وزيره آصف بن برخيا العابثة) ! فلا أدري ما الداعي لكلمة (العابثة) ! أم أن الحمد أصبح لا يرى في كل شيء إلا العبث ؟

والذي ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ

---

(١) سورة البقرة ، الآية : ١٠٢ .

(٢) تفسير ابن كثير (١/ ١٤١) .

ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ﴾[١]. أن آصف ابن برخيا وكان يعلم اسم الله الأعظم دعا الله به فاستجاب دعاءه، وليس ذلك تعويذات عابثة كما يزعم (العابث) تركي الحمد.

سخرية الحمد وتنقصه شعائر الإسلام:

أما سخريته بشعائر الدين ، وتهوينه من أمرها؛ فمن ذلك أنه أخبر عن هشام بأنه (صلى الفجر مع خاله دون اغتسال)[٢]!!.

وقوله مهوناً أمر الصلاة: (حتى والده لم يكن يؤدي الفروض في المسجد أكثر الأحيان، كأكثر أهل الدمام، بل كان يؤديها في المنزل غالباً، وذلك على عكس أهل الرياض والقصيم ..)[٣].

وقوله: (وبقي هشام وحيداً لا يدري ما يفعل، هل يلحق خاله إلى المسجد، أم يواصل النوم مثل أبناء خاله .. وأخيراً عزم على مواصلة النوم، فلا ريب أن الأبناء أدرى بحال الدار، واستلقى على فراشه، وأخذ النسيم البارد ورطوبة السحر يداعبان أجفانه. وعندما كان المؤذن يناد: " الصلاة خير من النوم ... الصلاة خير من النوم "، كان قد أغفى تماماً)[٤].

وقوله: (إنه لا يحب القصيم كثيراً. ففي الدمام أصحابه والأجواء التي اعتاد عليها والبحر، وفي القصيم لا أصداء ولا بحر، وفوق كل ذلك صلاة الفجر التي لا بد أن يؤديها جماعة في المسجد مع جده. عندما يلذ

---

(١) سورة النمل الآية ٤٠ .

(٢) الشميسي (ص ٤٤) .

(٣) الشميسي (ص ١٣٦).

(٤) العدامة (ص٩٣) .

للعين الرقاد)[١].

سخريته وتنقصه أحاديث النبي - ﷺ -:

فمن ذلك قوله على لسان وليد مخاطباً هشاماً:

(أنت تتحدث عن الموت وكأنه كائن مجسد، وليس حادثه أو حالاً.

وضحك هشام باقتضاب وهو يقول:

- وما أدراك أنه ليس كائناً ؟ .. ألا يقولون إن الملاك عزرائيل هو قابض الأرواح ؟ أوليس ذاك الهيكل العظمي الأسود هو الموت بعينه؟ ألا يقولون إنه بعد انتهاء الحساب يوم القيامة يؤتى بالموت على شكل خروف فيذبح على الحدود بين الجنة والنار؟

ثم وهو يضحك:

- لقد ذكرتني بنزار وقصائده المتوحشة.

ثم وهو يعتدل في جلسته:

- ولكن أتدري ما يحيرني يا وليد ... هل يمكن للموت أن يموت ؟ كيف يموت من هو ميت أصلاً ؟ وإذا كان الموت يميتنا، فمن يميت الموت ؟... الله ؟.. هو الحياة ذاتها فكيف يمكن للحياة أن تميت ؟ .. حقاً يا لها من حيرة)[٢].

قلت: أما تسميته ملك الموت بعزرائيل فهو من جهله، لأنه لم تصح هذه التسمية في أي من الأحاديث الصحيحة [٣]، و الله - ﷻ - سماه في

---

(١) العدامة (ص ٢٥٢) .

(٢) الكراديب (ص١٩٢) .

(٣) قال الشيخ الألباني في (أحكام الجنائز ــ ص١٥٦) : "أما تسميته ــ أي ملك الموت ــ بعزرائيل فمما لا أصل له ، خلافاً لما هو المشهور عند الناس ، ولعله من الإسرائيليات !" وقال الشيخ بكر أبو زيد في (معجم المناهي اللفظية ــ ص٢٣٨) : "لا يصح في تسمية ملك الموت بعزرائيل حديث".

القرآن ملك الموت ولم يذكر له اسماً غيره.

قال تعالى: ﴿ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ﴾[(١)].

وأما قوله: (ألا يقولون إنه بعد انتهاء الحساب يؤتى بالموت على شكل خروف...الخ) فهو من سخريته بأحاديث النبي - ﷺ -، وإلا فإنه يعلم أنهم لا يقولون، وإنما القائل هو محمد - ﷺ -[(٢)]، الذي قال في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري ومسلم: " يجاء بالموت كأنه كبش أملح، فيوقف بين الجنة والنار فيقال: يا أهل الجنة! هل تعرفون هذا ؟ فيشرئبون وينظرون ويقولون: نعم ، هذا الموت . ثم يقال: يا أهل النار! هل تعرفون هذا ؟ فيشرئبون وينظرون ويقولون: نعم هذا الموت. قال: فيؤمر به فيذبح، ثم يقال: يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت " ثم قرأ رسول الله - ﷺ -: ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾[(٣)].

أما تحيره: كيف يموت الموت ؟ فقد أجاب عنه العلامة ابن القيم ـ رحمه الله ـ بقوله تعليقاً على الحديث السابق: (وهذا الكبش والإضجاع والذبح ومعاينة الفريقين ذلك حقيقة لا خيال ولا تمثيل ، كما أخطأ فيه بعض الناس خطأ قبيحاً وقال: الموت عرض والعرض لا يتجسم، فضلاً عن أن يذبح.

---

(١) سورة السجدة الآية ١١.

(٢) ومن جهله بحديث النبي ﷺ أنه يعزو إليه حديثاً لا أصل له وهو قوله: " السلام سنة ورده واجب " !!! وهذا من أقوال (بعض) الفقهاء، وليس هو من حديث النبي ﷺ كما يتوهم الحمد!

(٣) سورة مريم الآية ٣٩ .

وهذا لا يصح، فإن الله ـ سبحانه ـ ينشئ من الموت صورة كبش يذبح، كما ينشئ من الأعمال صوراً معاينة يثاب بها ويعاقب، والله ينشئ من الأعراض أعراضاً ومن الأجسام أجساماً، فالأقسام الأربعة ممكنة مقدورة للرب تعالى، ولا يستلزم جمعاً بين النقيضين ولا شيئاً من المحال، ولا حاجة إلى تكلف من قال: إن الذبح لملك الموت! فهذا كله من الاستدراك الفاسد على الله ورسوله والتأويل الباطل الذي لا يوجبه عقل ولا نقل، وسببه قلة الفهم لمراد الرسول - ﷺ - من كلامه، فظن هذا القائل أن لفظ الحديث يدل على أن نفس العرض يذبح، وظن غالط آخر أن العرض يعدم ويزول ويصير مكانه جسم يذبح، ولم يهتد الفريقان إلى هذا القول الذي ذكرناه، وأن الله سبحانه ينشئ من الأعراض أجساماً ويجعلها مادة لها، كما في الصحيح عنه - ﷺ - " تجيء البقرة وآل عمران يوم القيامة كأنهما غمامتان " الحديث ، فهذه هي القراءة التي ينشئها الله سبحانه غمامتين)[1].

بغض الحمد لعباد الله الصالحين:

كما أن الحمد أبغض ربه ــ ﷻ ــ وملائكته، وأنبياءه وكتبه، وشرائعه، فإنه حتماً سيبغض عباده الصالحين، وسيبغض ما يصدر عنهم من أقوال أو كتابات.

وإليك ما يشهد لهذا:

يقول الحمد متحدثاً عن هشام:

(أخذ يقلب الكتاب الذي أعطاه إياه عدنان، " المنقذ من الضلال "

---

(١) حادي الأرواح (ص٣٤٤ــ ٣٤٥) .

للغزالي كان لا يحب هذا النوع من الكتب)[١] .

وهذا النوع من الكتب يعني به الكتب الإسلامية التي تقربه من الخير، وتباعده من الشر فهو لا يطيقها، ولا يحبها، بل يهرع إلى كتب أحبابه من الفلاسفة والماركسيين الذين يجد عندهم ما يروي ظمأه، ويوافق طبعه فالطيور على أشكالها تقع.

ويقول الحمد على لسان مهنا:

(أرجو أن لا تتحدث عن البعثيين أو القوميين العرب أو حتى الدراويش من الإخوان المسلمين ... كل هؤلاء سذج ومزيفون)[٢].

ويقول على لسان والد هشام متحدثاً مع ابنه:

(ولكن ما لقيت إلا البعثيين كي تصبح منهم ... أطقع ناس ... ولا أخرط منهم إلا الشيوعيين والإخوان)[٣]!!

ويقول عن (الإخواني) لقمان:

(يا لك من منافق يالقمان ... تخدم ألف إله وإله، ثم تقول لا إله إلا الله ... قاتل الله الحياة ، فهي النفاق بعينه قاتل الله الحياة فهي التي تجعلنا عبيداً دون أن نريد، وأسياداً ونحن نريد ولا نريد . قاتل الله حياة تذلنا فيها لقمة، وتأسرنا كلمة، وتستعبدنا شهوة، ويموت فيها الطيبون..

---

(١) الشميسي (ص٦٦) .

وليعلم أن كتب الغزالي عليها مؤاخذات كثيرة من إسراف في علم الكلام، وترغيب في التصوف، واستشهاد بالضعيف . وقد بين هذا العلماء المحققون، (انظر: أبو حامد الغزالي لعبد الرحمن دمشقية، والعقيدة السلفية في مسيرتها التاريخية للشيخ محمد المغراوي)، والحمد لا يفرق في بغضه للكتب الإسلامية بين الغث والسمين، فهو يعمم حكمه ذلك دون أي تفريق كما قد يفهم (البعض) .

(٢) العدامة (ص٢٨٣) .

(٣) الشميسي (ص٣٨٥ــ ٣٨٦) .

ثم نقول لا إله إلا الله)[١].

قلت: جماعة الإخوان إحدى الجماعات الإسلامية الشهيرة التي يعرفها معظم الناس، نشأت في مصر ثم امتدت إلى معظم بلاد العالم. وهي جماعة عليها مؤاخذات كثيرة من عدم اهتمام بنشر العقيدة السلفية ، أو تعليم للعلم الشرعي النافع، وإنما همها (التجميع) والوصول إلى الحكم بأي طريقة[٢].

ومع هذا فلا نؤيد (الماركسي) (البعثي) تركي الحمد في طعنه بها، فشتان بين جماعة إسلامية (مقصرة) وبين جماعات ومذاهب (كافرة) عدوة للإسلام والمسلمين.

هذا عن نقده واستهزائه بجماعة الإخوان المسلمين، أما غيرهم من عباد الله (الملتزمين) فقد نالهم ما نال أولئك من سخرية لاذعة بأسلوب مبطن. يقول الحمد عن (عدنان العلي) صديق هشام: (لم يكن عدنان يأتي إلى المقصف وحده، فغالباً ما كان يرافقه زميلان من ذوي اللحى المتروكة وشأنها دون تهذيب، وبعض الأحيان يزدادون إلى خمسة ، يشربون الشاي ويتحدثون بهمس لا يكاد يسمع، وكان أكثر ما أثار استغراب هشام هو أنهم لا يبتسمون أبداً ، وإذا حدث ذلك من أحدهم، غطى فمه بطرف غترته وكأنه يعتذر، ثم يعود إلى تلك الملامح التي لا توحي بشيء)[٣].

---

(١) الكراديب (ص١٨٤) .

(٢) انظر للزيادة : (دعوة الإخوان المسلمين في ميزان الإسلام) لفريد التبيت، ووقفات مع كتاب للدعاة فقط) لمحمد العجمي و (حوار هادئ مع إخواني) لأحمد الشحي .

(٣) الشميسي (ص٧٣) .

قلت: تأمل هذه السخرية المتكلفة التي أراد الحمد إيصالها إلى ذهن قارئه، بأن كل من التزم بدين الله، فهو لا شك سيكون متجهماً لا يبتسم، وإذا ابتسم فإنه سيعتذر من ابتسامته !! ونسي أن هؤلاء الملتزمين هم أول من يعمل بحديث النبي - ﷺ -، " تبسمك في وجه أخيك لك صدقه"[١] ولا يجدون غضاضة في هذا التبسم لأنه سنة نبيهم محمد - ﷺ -، فلماذا تعمد الحمد قلب الحقائق، الأجل أنهم لم يتبسموا في وجه (ماركسي) (بعثي) !؟ أم أنه الحقد الذي يحمله في صدره على كل (ملتزم) فأراد تفريغ بعضه في روايته هذه عبر هذا الأسلوب المبطن ؟ ثم تأمل ــ أخي القارئ ــ سخريته بسنة محمد - ﷺ - (اللحية) بهذا الأسلوب الحقير(اللحى المتروكة وشأنها دون تهذيب)!! وهو تهويل منه ومبالغة، لأن الجميع لا يكاد يجد مثل هذا الصنف المتخيل، فلماذا تقليل الكثير وتكثير القليل يا تركي !؟ ولم يكتف الحمد بهذه السخرية السابقة باللحية لأنها لم تشف غيظه من أهل الإسلام، فرددها مرة أخرى عندما قال متحدثاً عن هشام:

(ثم فتح الباب عن وجه أحد زملاء عدنان بلحيته الكثه، ورأسه الحليقة تماماً)[٢].

فزاد على سخريته باللحية اتهام الصالحين بأنهم يرون السنة حلق الرأس ، ولهذا هم يحلقون رؤوسهم اتباعاً لها، وهذا كذب عليهم وهو اتهام قديم قال به أعداء دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ـ رحمه الله ــ عندما اتهموه وأتباع دعوته بأنهم يحلقون رؤوسهم، ويأمرون من اتبعهم

---

(١) أخرجه الترمذي (١/ ٣٥٤) وصححه الألباني في الصحيحة (٥٧٢) .

(٢) الشميسي (ص١٩٤) .

بحلق رأسه!، ولهذا فهم من الخوارج الذين قال فيهم النبي - ﷺ -: "سيماهم التحليق "[1]! ثم جاء الحمد مردداً هذه التهمة الباطلة متابعة منه لأعداء الدعوة التي شرق بها العلمانيون والملحدون.

وهذا الاتهام باطل، لأن الشيخ محمد بن عبد الوهاب وعلماء الدعوة وأتباعها يتبعون في هذه المسألة أحاديث النبي - ﷺ - التي تجعل أمر الشعر من أمور العادات التي يتبع فيها المرء عادة بلده في إبقاء الشعر أو حلقه. وإنما ينهى عن القزع، وهو حلق بعض الشعر وترك بعضه لنهي النبي - ﷺ - عن ذلك .

قال الشيخ عبد الله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب ـ رحمه الله ـ راداً على من ادعى بأن علماء الدعوة يكفرون من لم يحلق شعر رأسه !!: (إن هذا كذب وافتراء علينا، ولا يفعل هذا من يؤمن بالله واليوم الآخر ، فإن والردة لا تكون إلا بإنكار ما علم بالضرورة من دين الإسلام، وأنواع الكفر والردة من الأقوال والأفعال معلومة عند أهل العلم ، وليس عدم الحلق منها ، بل ولم نقل أن الحلق مسنون ، فضلاً عن أن يكون واجباً ، فضلاً عن أن يكون تركه ردة عن الإسلام!.

والذي وردت السنة بالنهي عنه هو القزع، وهو: حلق بعض الرأس وترك بعضه، وهذا الذي نهينا عنه، ونؤدب فاعله)[2].

مباحث أخرى

ـ تنقص الحمد قبيلة النبي - ﷺ -.

ـ حقده على حكومة المملكة العربية السعودية.

---

(١) أخرجه مسلم.

(٢) الدرر السنية (١٠/٢٧٥ـ ٢٧٦) ط ٥.

- محبته للرافضة.
- المواقف الجنسية في ثلاثيته.
- العبارات الوقحة.

تنقص الحمد قبيلة النبي - ﷺ -:

لم تسلم قبيلة قريش - وهي أفضل القبائل - من لمز الحمد في روايته حيث قال على لسان عارف:

(طز في قريش يا صاحبي ... ولماذا يجعل نزار قريشاً مثلاً أعلى؟.. ألا أنها قبيلة النبي؟... والنعم بأبي القاسم ولكن قريشاً لا.. لقد جعلوا كل تاريخنا تاريخاً لقريش. ألم يكن هناك غير قريش في الساحة؟)(١).

قلت: قبحك الله وأخزاك ! فقبيلة قريش التي تطعن فيها هي قبيلة محمد - ﷺ - (الذي تدعي الفخر به !!)(٢) هي القبيلة التي كان منها أفضل الخلق بعد الأنبياء - عليه السلام - وهم صحابة رسول الله - ﷺ -، من أمثال أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وسعد وطلحة وعبد الرحمن والزبير... وغيرهم - رضي الله عنه - وهي القبيلة التي قال فيها - ﷺ -: "إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشاً من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم "(٣).

وأما ادعاؤك بأنهم جعلوا تاريخنا تاريخاً لقريش، فكأنك تعرض بتوليهم أمر الأمة منذ الخلفاء الراشدين مروراً بالدولة الأموية وانتهاء بالعباسيين، وهذا ليس مغمزاً فيهم وإنما فخر لهم أن قادوا الأمة،

---

(١) الكراديب (ص١٢٥).

(٢) ولولا الخوف لطعن فيه !!!

(٣) أخرجه مسلم (٢٢٧٦) .

ونشروا الإسلام ـ على تفاوت بينهم في ذلك ـ متبعين قول الرسول - ﷺ -: " إن هذا الأمر في قريش، لا يعاديهم إلا كبه الله على وجهه ، ما أقاموا الدين "[١].

قال الإمام أبو عمرو الداني حاكياً أقوال أهل السنة:

(ومن قولهم إن الإمامة في قريش مقصورة عليهم دون غيرهم من سائر العرب والعجم، لقوله - ﷺ -: " الأئمة من قريش، ولا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي في الناس اثنان " ولإجماع المسلمين بعده - ﷺ - على أن ولوا قريشاً)[٢].

أي ما أقاموا الدين كما في الحديث الذي قبله.

حقد الحمد على حكومة المملكة العربية السعودية:

لم يعد خافياً على أحد أن التيارات الماركسية والشيوعية وما سار في ركبها هي جميعها حاقدة على الدولة السعودية المسلمة، حيث كانوا يعدونها ـ في زمن الشعارات ـ أم الدول المتخلفة الرجعية !! لأنها لا زالت تحكم بالإسلام. فكانوا يُسَخرون كل طاقاتهم في سبيل محاربتها أو تغيير حكومتها إن استطاعوا . ولذا فقد سخروا إعلامهم للنيل منها، والسخرية بها وبحكامها، وسخروا كوادرهم لمحاولة تجنيد عملاء لهم فيها (كهشام العابر!!) لعلهم يقومون بانقلاب فيها ويسقطون حكومتها، كما فعلوا في بعض الدول العربية.

كل هذا فعلوه لكن الله ـ ﷻ ــ رد كيدهم في نحرهم ، وأرجعهم خائبين خاسرين بفضله تعالى ثم بفضل جهود الملك فيصل ـ رحمه الله ــ

---

(١) أخرجه البخاري (٣٥٠٠) .

(٢) الرسالة الوافية لمذهب أهل السنة .. (ص ١٣٤) .

وإخوانه الذين حاربوا (شراذم) الشيوعيين والبعثيين والقوميين، وشردوهم، ومزقوهم شرَّ ممزق، واستماتوا في سبيل حماية دينهم وبلادهم من عبث العابثين وإن غلفوا ذلك بدعوى (التقدم) و(التحضر).

ثم دار الزمان دورته، فإذا بهذه الدولة (الرجعية) ـ عند هؤلاء المنحرفين ـ أعني السعودية ـ تصبح أعز دولة في عالمنا ديناً ودنيا، حيث جمعت بين الدين الصحيح وهو (الدعوة السلفية) وبين التطور الدنيوي (المتواصل)[١].

أما تلكم الدول (التقدمية)! ـ في نظر الحمد ـ فإنها حين أفاقت من سكرة الشعارات، وجدت نفسها بلا دين (صحيح) ولا دنيا (متقدمة)، فدينها التقليد والخرافة[٢]، ودنياها البؤس، والشقاء. كما هو مشاهد لكل أحد. فبدأ الذين أساؤا للسعودية يعيدون النظر في حساباتهم ويتراجعون عن مواقفهم الخاطئة معها بعد أن انقشعت غشاوة الغوغاء والشعارات عنهم.

ولم يبق منهم على طريقته الأولى سوى (حزب البعث) الذي لا زال يعيش أسيراً لتلك الفترة السابقة ، ولا زال يحاول النيل بما استطاع من الدولة السعودية: ﴿ حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ﴾[٣].

---

(١) ونسأل الله أن يستمر هذا الجمع بين (الدين والدنيا) وهو سهل على من اتقى الله . وأن نتخلص مما يخالف شرع الله ــ ولو كان قليلاً ــ ليستمر تألقنا.

(٢) إلا بقية من المخلصين في تلك البلاد الذين ساروا على طريقة السلف الصالح في دينهم، وهم الآن في ازدياد ــ بحمد الله ــ

(٣) سورة البقرة الآية ١٠٩ .

كل هذا أقوله مقدمة لما جاء في ثلاثية الحمد من نيل من الدولة السعودية، حيث صاغ كيده بأسلوب غير مباشر لأنه يعلم أنه لا يستطيع (المواجهة!).

يقول الحمد متحدثاً عن أحد اجتماعات (حزب البعث) في السعودية!.

(ثم فجأة قال منصور بهدوء ودون أن ينظر إليه:

ـ ما رأيك في الحكومة يا هشام ...؟

سؤال مباغت لم يكن يتوقعه، مثل قنبلة ألقيت فجأة. لم يحر جواباً، أحسّ بالاضطراب، ولاذ بالصمت. غير أن منصور عاود إلقاء قنابله، موجهاً عينيه الثاقبتين إلى عين هشام مباشرة وهو يقول:

ـ لا داعي للإجابة . . . أنا أجيب عنك . . . إنها حكومة فاسدة لا هم لها إلا مصلحتها ، ونهب خيرات الشعب الذي لا حقوق له . . . إن الشعب مجرد عبيد أو رعايا على أفضل الأحوال ليس إلا . . .)[١].

قلت: لا يستطيع الحمد أن يطعن في (الحكومة السعودية) صراحة، ولذا فقد صاغ طعنه ـ بهدف إيصاله إلى القراء ـ على لسان منصور (البعثى).

فحكومتنا عند الحمد (حكومة فاسدة لا هم لها إلا مصلحتها، ونهب خيرات الشعب الذي لا حقوق له .. إن الشعب مجرد عبيد أو رعايا على أفضل الأحوال) !.

ولهذا فالمطلوب ليس مناصحتها، إنما إسقاطها واستلام (حزب البعث) للسلطة بدلاً منها، حيث سيقوم هذا الحزب (العادل !)

---

(١) العدامة (ص٢٣) .

بإقامة حكومة (ديمقراطية !) تساوي بين الناس دون نظر إلى (أديانهم!)، وتوزيع الثروة بينهم بالتساوي!!.

وسوريا والعراق خير شاهد على هذا !!!.

وقال الحمد في روايته على لسان (الرفيق حديجان!):

(يا رفيق فهد ... لقد تحدثنا عن الأمة كثيراً، ولكن ماذا بشأن قطرنا هذا، كيف السبيل إلى تحرره ؟)[(١)].

فالهدف هو تحرير (السعودية) وإسقاط راية التوحيد، ورفع راية (البعث) بدلاً منها ! ﴿تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ﴾[(٢)].

محبة الحمد للرافضة:

من أغرب الأمور في ثلاثية الحمد أنه يدعي أن الشيعة (الرافضة) كانوا على الحق! ويوافق الروافض - الذين تربى في أحضانهم - في زعمهم أن أبا بكر وعمر عثمان - ﷺ - قد غصبوا الخلافة من على - ﷺ -!! رغم أنه - كما يقول - لا يهتم بهذه المسألة التاريخية.

يقول الحمد: (قال منصور وهو يضحك بعصبية، ثم أضاف: على فكرة! ما رأيك في مسألة السنة والشيعة ؟

وبدون تردد أجاب: الحقيقة لا تهمني المسألة كثيراً ، ولا حتى قليلاً، أنا أعتقد أنها شيء من مخلفات الماضي. مالنا ولعلي وعثمان ومعاوية. نحن أبناء اليوم، ولدينا من الهموم ما يكفي)[(٣)].

ويقول في موضع آخر: (نظر إلى راشد قائلاً:

---

(١) العدامة (ص١٢٠) .

(٢) سورة البقرة الآية ١١١ .

(٣) العدامة (ص٣٧ ـ ٣٨) .

ـ على فكرة يا أستاذ راشد ... هل أنت شيعي ؟

وانتفض راشد، وكأن ماساً كهربائياً أصابه، قائلاً بحدة :

ـ كلا. كلا، لماذا ؟

ـ لاشيء. لا شيء. أرجو المعذرة ...

وندم على طرحه مثل هذا السؤال ، وحاول الاعتذار مرة أخرى قائلاً:

ـ أرجو ألا تفهمني خطأ. لا فرق عندي بين هذا المذهب أو ذاك. بل إني لا أهتم بكل المذاهب الدينية)[١].

ويقول على لسان (الشيوعي) عارف:

(كان الشيعة مع الحق. كانوا مع علي بن أبي طالب، في مواجهة عمر وأبي بكر وعبيدة، أصحاب المؤامرة لنزع الحق من أهله. عليك بمناقشات السقيفة وأنت تعلم أين الحق.

ـ معك حق.

قال هشام:

ـ معك حق من الناحية التاريخية)[٢]!!.

فالحمد لا يهتم بمسألة الخلاف بين السنة والشيعة، وإن تحدث فيها فإنه سيؤيد (الرافضة)!

فما أجمل أن نقول له: (الصمت حكمة)!![٣].

---

(١) العدامة (ص ٥١) .

(٢) الكراديب (ص١٢٥ـــ ١٢٦) .

(٣) الكتب التي تحدثت عن بطلان مذهب (الرافضة) كثيرة جداً . من أبرزها كتاب (منهاج السنة) لشيخ الإسلام ابن تيمية، الذي فند شبهاتهم العقدية و(التاريخية) المزعومة، التي يرددها المعاصرون منهم وممن وافقهم!

وأنا لم أطل في دحض هذه المقولة من الحمد ، لأنه يكفي ذكرها للناس لبيان بطلانها ، وبيان ما يكنه الحمد نحونا (أهل السنة) من شنآن.

المواقف الجنسية:

من الأمور التي تلفت الأنظار في ثلاثية تركي الحمد هو طغيان المواقف (الجنسية) فيها، فهي تزكم أنف القارئ بتكرارها وتتاليها ، بل وتكلفها الواضح من قبل الحمد ، ولهذا فقد أخذت حيزاً كبيراً من الثلاثية ! فمن ذلك:

١ـ إبراز موقف (عبد الرحمن) ابن خال (هشام) وكأنه لا هم له في الدنيا إلا شرب الخمر والزنا بالمومسات وعلى رأسهن المومس (رقية). حيث تكررت أحاديث عبد الرحمن مع هشام حول مغامراته معهن هادفاً استدراجه إلى الوقوع في شباكهن كما وقع هو، وهذا ما حدث.

٢ـ قيام (عبد المحسن التغيري) رفيق هشام في العزبة بالزنا بإحدى جاراته واكتشاف هشام لهذا الحدث بعد مراقبته للعزبة حيث رأى إحدى النساء تخرج من عند عبد المحسن، وتدخل (أحد المنازل المقابلة)[1] .

٣ـ تصوير هشام في الرياض بعد وقوعه في المحرمات وكأنه (زير) نساء، فهو قد زنا برقية، ثم أتبعها بإحدى جارات خاله وهي سارة أو سويَّر! ثم مثلثاً ببنت جيرانهم في الدمام: نورة!! وهذه المواقف مع تفاصيلها الدقيقة! قد استهلكت صفحات كثيرة من رواية الشميسي.

---

(١) الشميسي (ص٣٤) .

٤ـ تصوير علاقة هشام ببنت خاله (موضي) بأنها علاقة إعجاب من جانبها ثم نفاجأ بأن موضي المتحجبة، العاقلة، الرصينة .... الخ الصفات المثالية تقوم بحركة (غريبة) مع ابن عمتها بعد أن علمت بعلاقته مع سويِّر، بعد أن قرر الذهاب إلى الدمام، فلنستمع إلى الحمد وهو يقول متحدثاً عن موضي:

(ثم نهضت وهي تمسح عينيها بطرف غدفتها، واتجهت إلى الباب وهي تقول: " المهم أن تعود إلينا سالماً ... ليحفظك الله ..."، وأسرعت في الخروج. ولكنها ما لبثت أن عادت مرة ثانية، ووقفت عن الباب وهي تقول:

ـ هشام... هل لو كشفت لك وجهي أكون قد تجاوزت حدودي ؟.

ـ ليس بيننا حدود يا موضي ... ستبقين موضي العزيزة سواء تحجَّبت أو كشفت ...

وبحركة مفاجئة، أزالت موضي غدفتها كاشفة عن وجهها، ثم تقدمت منه، وطبعت قبلة سريعة على خدِّه، ونظرت إليه بعينين حمراوين مبتلتين، وغادرت بخطوات مرتبكة)[1].

قلت: فحتى موضي التي صُورت في الثلاثية وكأنها محافظة وابنة عائلة تسقط في مقدمات الرذيلة مع ابن عمتها، حيث كشفت له عن وجهها، ثم تجرأت ـ (لاحظ: هي لا هو!!) بتقبيله! ولا نعلم ماذا سيحدث لو بقي هشام ... أو تبعها !!.

٥ـ الوصف الدقيق منه للمواقف (ا لجنسية) السابقة بشكل مقزز،

(١) الشميسي (ص٢٠٢ــ ٢٠٣) .

كما في وصفه لزنا عبد الرحمن وهشام بالمومس (رقية) في طريق خريص!

وكما في وصفه لرؤية هشام لعليان زوج سوير وهو يجامعها!

٦ـ تصويره لأفراد شلته بأنهم أصحاب تمرس بالعلاقات النسائية، يقول تركي عنهم: (كانوا يتحدثون عن مزنة وبدرية وهيلة وعائشة وعواطف وابتسام ومنى، وهو لا يجد ما يقول ... كان يود الحديث عن نورة وعن رقية ، وقصص عن موضي يؤلفها ...ولكن شيئاً كانت يمنعه ، فكان يصمت ، ويغرق نفسه في مبادئ القانون والاقتصاد ، حتى أصبح يسمى بفأر الكتب، أبو أربع عيون ... ورغم الوصف الذي كان يضايقه، فقد كان محل ثقة الجميع وحبهم . كانوا يقصدونه لفهم ما استغلق عليهم فهمه من مواد، أو في حل مشاكلهم العاطفية، وكانوا يستشيرونه في جمال فتياتهم وهم يجلبون صورهن في الجيوب ...)[1].

٧ـ وصفه لنساء شارع (الحب) في الدمام ، حيث يقول: (ولفت نظره إحداهن، كانت تسير الهوينا وقد التفت بعباءتها، ووضعت حجاباً رقيقاً على وجهها لا يستر شيئاً منه. لم تكن جميلة الوجه، ولكنها كانت ممتلئة إلى حد البدانة، بردفين ضخمين يفرِّق بينهما فج واضح وعميق، يجعلهما في حالة من التأرجح الدائم. وأثار منظر عجيزتها المترجرجة جوارح هشام، وارتفعت حرارته وأخذ ينظر إليها بشبق، وهو يدخن سيجارة بعمق، وأحست المرأة بنظراته، فنظرت إليه بدورها وابتسمت بإغراء، ولكنه عدل عن مغازلتها في آخر لحظة، وسار في طريقه على عجل . لكم غيرته الرياض ... لقد عاش في الدمام طوال حياته، وجاء

(١) الشميسي (ص ٧٢) .

إلى شارع الحب أكثر من مرة، ولكنه لم يلاحظ ما لا حظه اليوم، ولم يدر في خلده ما دار)(١).

٨ ـ قوله في وصف رؤية هشام لموضي ابنة خاله:

(وعادت موضي مرددة: " زين ... زين ... اتبعني " وأخذت في صعود درجات السلم المقابل للمجلس وهو يتبعها ... لم يستطع إلا ملاحظة استدارة عجيزتها وهي تصعد الدرج أمامه ... أثاره المنظر ولكنه أشاح بوجهه عن ردفيها اللذين كانا في حالة اهتزاز شديد مع كل درجة تصعدها، فحاول تشتيت ذهنه)(٢).

قلت: فهذه المواقف (الجنسية) الكثيرة، مع محاولة تضخيمها وتكلفها (أحياناً) توحي للقارئ بأحد أمرين متلازمين:

الأمر الأول: أن تركي الحمد يتكلم عن واقع عاشه أو رآه خلال حياته الماضية فانطبع في ذهنه ومخيلته فارتبط كل حديث عن الماضي بتلك الأحداث والمغامرات (الجنسية) لأن الإنسان لا يستطيع مهما فعل أن ينفصل كلياً عن ماضيه بل تبقى صور كثيرة (يراها مهمة) تتخايل بين عينيه عند كل ذكرى ماضية.

فإذا قلنا بهذا الأمر فإن الحمد لم يعد يرى أثناء دراسته في الرياض سوى هذه المواقف (الجنسية) التي أثرت فيه، واستهلكت منه وقتاً (وجهداً!).

الأمر الثاني: الذي يهدف إليه الحمد من خلال تضخيم هذه المواقف، وإبرازها، وتكلف بعضها ـ كما سبق ـ هو محاولةٌ لإسقاط

---

(١) الشميسي (ص ١٢٩) .

(٢) العدامة (ص١٠٧) .

جميع المثل التي يعتقدها الناس، وأن الإنسان مهما ادعى الصلاح أو المثالية فإنه مجرد حيوان يجري خلف شهواته مهما حاول إضفاء هالة الشرف والعفة على شخصيته، وما هذه الهالات المفتعلة التي يعيشها الناس مع بعضهم إلا ستار وقناع يخفون وراءه ألواناً عديدة من الآثام والسقوط، فلو تأملنا الثلاثية جيداً للمحنا فيها هذا الهدف الذي يسعى إليه الحمد، بل تجرأ فيه كثيراً.

نلمح ذلك في التالي:

١ـ سقوط هشام في الإثم خلال عيشته بالرياض بعد أن كان يعيش مثاليات زائفة في الدمام مع والديه.

٢ـ سقوط سوير زوجة عليان في الرذيلة مع هشام .

٣ـ سقوط نورة ابنة جيرانهم في الدمام في الرذيلة معه.

٤ـ سقوط موضي ابنة خاله في أول درجات الرذيلة.

٥ـ عبارات كثيرة يطلقها الحمد في ثلاثيته تنبئ عن هذا الهدف، ومن ذلك:

أ ـ قول الحمد على لسان عبد الرحمن ابن خال هشام بعد أن وصف له زناه بإحدى النساء: (من قال لك إن كل من تسكن عند أهلها عذراء)[١].

ب ـ قوله واصفاً حال هشام في الرياض: (وفي الرياض سقطت باقي المثل التي زرعتها أمه في ذاته)[٢].

ج ـ قوله واصفاً مدينة الرياض على لسان عبد الرحمن: (كل شيء

---

(١) العدامة (ص٧٩) .

(٢) العدامة (ص١٦٧).

ممكن في الرياض)[1] بعد أن قال هشام: (كنت أظن أن الخمر غير موجود في الرياض).

د ـ قوله ـ على لسان عبد الرحمن موجهاً خطابه إلى هشام: (سأجعلك تكتشف الرياض كما لم تكتشفها من قبل. سأريك رياضاً غير الرياض)[2].

هـ ـ قوله ـ أيضاً ـ: (في الرياض كل شيء ممنوع، وكل شيء مباح)[3].

و ـ وقوله ـ أيضاً ـ على لسان عبد الرحمن: (ديرة عجيبة فعلاً ... كل شيء حرام وممنوع. وكل شيء مباح بشكل لا يتصور)[4].

ز ـ قوله على لسان هشام متحدثاً مع نفسه: (عليك الرحمة يا ابن آدم . ظننت نفسك أكرم الكائنات، الذي طرد من أجله عابد الأزل من الرحمة والملكوت، فاكتشفت أنك أتفه من ذبابة ، وأحقر من بعوضة)[5].

ح ـ قوله: (لقد مات أبوك آدم ، ولم يبق إلا إبليس ذو الصولجان، كلهم اليوم لإبليس ساجدون، ومن أجله يسعون)[6].

إذن فتركي الحمد يريد أن يقول لنا بأن جميع البشر سقطة منحرفون فاسدون فلا نغتر بالمثاليات الزائفة والأقنعة المخترعة يخفون وراءها حقيقتهم ، فهو يريد منا أن لا نتمسك بأي فضائل أو مثاليات .

---

(١) العدامة (ص٨٨) .

(٢) العدامة (ص ١٠٠) .

(٣) العدامة (ص١٦٩) .

(٤) الشميسي (٣٩) .

(٥) الكراديب (ص٢٥٢) .

(٦) الكراديب (ص٢٥٣) .

فهي فلسفة (معرّية)[1] شابه بها رهين المحبسين حينما يقول:

وزهــدني في الخلــق معــرفتي بهــم
وعلمـــي بـــأن العالمـــين هبـــاء

فالفكرة واحدة وهي عدم الاغترار بأي فضيلة أو مثاليات يتنكر الناس وراءها ، لأننا إذا دققنا في الأمر لم نجد إلا شياطين وأبالسة في مسوح بشر، مما ينتج عنه أن تسقط من أعيننا كل الصور الجميلة والمثالية والشريفة والعالية التي رسمناها في مخيلتنا عن أفضل البشر سواء أكانوا من الأنبياء أم من أفضل القرون بعدهم، أي الصحابة ـ ﷺ ـ وأخزى من أبغضهم! ـ

فإذا سقطت صور الأفراد المثالية من أعيننا سقطت تبعاً لها مجتمعاتهم التي كنا نظنها فاضلة !! حتى جاء الدكتور الفيلسوف ليحذرنا من الاغترار بهذا الوهم، ويبين لنا أن لا فضيلة ترجى من (بني آدم)! فهم ما داموا من أبناء آدم لا شك مخادعون منافقون يخفون حقيقتهم خلف حجاب من الفضيلة والمثالية المزيفة.

إذن: لا تطالبونا بأن نترسم خطى القرون الثلاثة المفضلة التي أثنى عليها رسول الله - ﷺ - ولا تنخدعوا بمظاهر الصلاح التي يبديها بعض الناس لكم سواء أكانوا من العلماء أو الدعاة أو الصالحين ، فإنها قد تتكشف عن انحرافات ومفاسد لا تتخيلونها .

ومما يثير العجب تركيزه على إظهار مدينة (الرياض) وكأنها من مدن الفجور والفاحشة أمثال: بانكوك أو .. أو .. من المدن التي يعرفها

---

(١) نسبة إلى أبي العلاء المعري أعمى القلب والبصر ! الذي ألح على هذه المسألة في أشعاره التشاؤمية.

أهل الفساد! وكأنه يقول لنا بأن هذه المدينة التي هي قاعدة بلادنا وعاصمتها ومنبع الخير فيها بما تضمه بين جنباتها من رجال ونساء صالحين إن هي إلا مدينة كغيرها من المدن (الفاسدة) التي يعرفها الناس ويزدرونها .

فكما أسقط الحمد الرموز البشرية من أفراد ومجتمعات من مخيلتنا فهو سيتبع ذلك بإسقاط مثاليات المكان ... ليخبرنا بأن لا مكان مقدّس أو مطهّر . ويضرب لذلك مثلاً بمدينة الرياض، التي نحسن الظن فيها وفي أهلها .

قد يقول قائل بأن سياق الثلاثية هو الذي اضطر الحمد إلى ذلك، لأن هشاماً لم يتعرف على حياة المعصية إلا في الرياض، فهو في الدمام صغير، وفي جدة في السجن، فلم يبق إلا الرياض.

قلت: قد قال هذا فنعذر الحمد لو كان موقفاً واحداً أو عبارة واحدة ذم فيها الرياض. أما وهو قد كرر هذا الذم وألح عليه بشكل غريب ومفتعل فإن وراء الأكمه ما وراءها، وحق لمدينة الرياض أن تقول له:

ولو كان سهماً واحداً لا تقيته
ولكنه سهمان ثانٍ وثالث

الحاصل: أن الحمد قد هوّن جانب الانحراف، والسقوط في الرذيلة، وجعله يهيمن على أبرز شخصيات ثلاثيته، شأنه في ذلك شأن نجيب محفوظ في ثلاثيته ـ كما سبق ـ[1] لأنهما جميعاً يصدران من مصدر واحد

---

(١) مع فارق واحد بينهما ، هو أن محفوظاً يتعذر عن مومساته، بأن الظروف الاقتصادية أجبرتهم على ذلك ، فلا تلوموهنَّ ، شأنه في ذلك شأن الماركسيين الأقحاح !.

هو مصدر (الماركسية!) الذي لا يقيم معتنقوها أي وزن للأخلاق، بل يسعون إلى هدمها في نفوس الناس ، حتى يتساوى ـ في نظرهم الزنا بالنكاح ـ والفضيلة بالرذيلة. يقول الشيخ عبد القادر شيبة الحمد: (الخُلُق الوحيد الذي آمن به الشيوعيون هو وجوب مخالفة سائر الأنظمة الأخلاقية، ومحاربة عموم أنواع الآداب المرعية في المجتمعات الإنسانية، وبخاصة ما كان منها نتيجة للأوامر الإلهية، وقد قادهم هذا الشذوذ الخلقي إلى هتك الأسرة، ومحاربة ناموس الزواج، ورأوا أن هدم ذلك من أقوى دعائم الشيوعية فتساوي الزواج والزنا في نظامهم)[١].

نسأل الله العفو والعافية، أن لا يجعلنا ممن قال فيهم: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾[٢].

العبارات الوقحة:

استخدم الحمد في ثلاثيته عبارات (وقحة) لم تتعود آذاننا على سماعها ممن تأدب بآدبنا.

فمن ذلك أنه يتحدث عن مخلوقات الله ـ وهي الشمس ـ واصفاً إياها بالوقاحة! وهو أولى بهذا الوصف ، لأن الشمس مخلوق مسخَّر في جو السماء يسير بانتظام ويدل على عظمة الخالق ـ سبحانه ـ فكان الأحرى بالحمد أن يتفكر في خلقها، ويستدل به على عظمة ربه، لا أن يتفاحش بهذا الكلام البذيء.

---

(١) مقال بعنوان (الشيوعية) في مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة السنة الثانية (عدد٣) .

(٢) سورة النور الآية ١٩ .

يقول الحمد:

(عندما كانوا يهبطون طلعة ديراب على خط الحجاز، كانت الشمس قد بدأت تبزغ على استحياء ، وعندما وصلوا إلى مرات كانت قد بدأت في ممارسة وقاحتها وإرسال تلك الأشعة النارية الرهيبة)[١]!.

ويقول:

(وأخذت الشمس في ممارسة وقاحتها ، وتتحول إلى جحيم لا يُطاق)[٢]!

ومن وقاحة الحمد أنه تحدث عن أمه (أي أم هشام !) في روايته بحديث لا يصدر عن عاقل .. فتأمله وتعجب من سخافته حين يقول: (وصب هشام ربع البيالة عَرَقاً، ثم أضاف إليه الكولا، وأخذ رشفة سريعة استطعمها في فمه، ثم تجرع ربع البيالة تقريباً، ولم يحس إلا وقد اشتعل حلقه بالنار انتقلت إلى جوفه، وأخذ اللعاب ينساب بشدة في فمه ، والرغبة في التقيؤ، ولكنه تمالك نفسه، وازداد إفراز اللعاب في فمه، ثم أحس ببعض الراحة في جوفه، ودوار في غاية اللذة يغزو رأسه من الداخل. وشرب ربعاً آخر فأحس أن نهراً يجري في فمه، لم يكن الحريق بالشدة الأولى. دفع البيالة إلى عبد الرحمن، ولكنه رفض قائلاً: " السجائر أقصى ما يمكن أن أصل إليه " فتجرع هشام بقية البيالة، دون أن يحس بأي حريق هذه المرة، وأخذ ينظر إلى رقية . لقد كانت في غاية الجمال والفتنة، بل كان كل شيء في غاية الجمال. ذهب الذنب وأحاسيسه المؤلمة، وانتفى الخجل، وكان وجه أمه يبدو له واضحاً،

---

(١) العدامة (ص ٢٥٤).

(٢) العدامة (ص٢٥٨) .

ولكنه كان ينظر إليها ببلادة ولا مبالاة، وكان يود لو كان قادراً على صفعها، لكنه يشعر بمغص في الداخل، فيزيح صورتها ويغرق في رقية)[١]!!.

فهل يقول عاقل عن أمه ـ ولو كان على سبيل القصص ـ مثل هذا الكلام البذيء الذي يدل على تمردٍ دفين في نفس الكاتب على كل من يستحق (الطاعة) ولو كان أمه !؟.

نسأل الله العافية .

أوجه التشابه بين ثلاثية تركي الحمد و ثلاثية نجيب محفوظ

عندما تطلق (الثلاثية) في الرواية العربية فإنها تنصرف حتماً إلى ثلاثية نجيب محفوظ المشهور (بين القصرين ـ قصر الشوق ــ السكرية) فقد أصبحت علماً عليها، وهي ـ تقريباً ــ التي شهرته على مستوى العالم، وعرفتهم به، نظراً لتفردها وتميزها عن رواياته الأولى.

وعندما أصدر تركي الحمد ثلاثيته انصرفت الأنظار والأذهان إلى المقارنة بين الثلاثيتين لمعرفة أوجه التشابه والتمايز بينهما. وكنت أحد هؤلاء الذين اهتموا بهذا الأمر عند دراستي لفكر تركي الحمد، فعدت إلى أوراقي القديمة التي دونت فيها الخطوط الرئيسة لثلاثية نجيب محفوظ لمقارنتها بثلاثية الحمد ، لمعرفة هل جاء بجديد عليها ، أم أنه يقول مكرراً من القول؟

فاتضح لي بالمقارنة أن الحمد قد سار في ثلاثيته مقتفياً أثر نجيب محفوظ في أمور رئيسة وجزئية من الثلاثية ، نظراً لتشابه فكريهما ــ كما سيأتي ـ ومما أكد لي هذا أن الحمد قد أكثر من ذكر قصص نجيب محفوظ

---

(١) الشميسي (ص٤٢) .

في ثلاثيته، وجعلها جزءً من ثقافة هشام العابر .. فمن ذلك:

١ـ أنه ذكر ثلاثية نجيب محفوظ نفسها في قوله عن أحلام هشام: (يأتيه صوت سي السيد أحمد عبد الجواد زاجراً وزبيدة تقهقه أمامه، وكمال يرقص بينهما، فيما ياسين يعض أرداف ذنوبه)[١] .

ومعلوم أن هذه الأسماء هي الشخصيات الرئيسة لثلاثية محفوظ .

٢ـ قوله عن هشام: (هو الفتى المثقف الذي يقرأ لماركس وماوتسي تونغ ودوستوفيسكي ونجيب محفوظ ...)[٢].

٣ـ قوله عن هشام: (كان يذاكر ذات يوم هو وعدنان كعادتهما كل عام قبل الامتحانات بفترة ، ويختلس بعض اللحظات ليقرأ فيها رواية نجيب محفوظ الجديدة " أولاد حارتنا)[٣].

٤ـ قوله عن هشام عند سفره إلى الدمام: (وعندما تحرك القطار أخيراً، كان بدأ في قراءة " الطريق " لنجيب محفوظ)[٤].

٥ـ قوله عن هشام في السجن: (أخذ ينظر إلى حركة الأشباح من حوله وهو يفكر ولا يفكر. وطاف بذهنه جحيم دانتي وأبي العلاء. وباربوس، وغريب كامو، وذباب سارتر، وشحاذ محفوظ) [٥].

ولكي نعرف مدى التشابه بين الثلاثيتين وكيفية استفادة الحمد من محفوظ لابد من عرض موجز لأحداث ثلاثية نجيب محفوظ ثم ذكر نقاط التشابه بينهما، لكي يتضح أن الحمد قد صاغ ثلاثية محفوظ بنفس

---

(١) العدامة (ص٩٠) .

(٢) العدامة (ص١٠٦).

(٣) العدامة (٢٢٤) .

(٤) الشميسي (ص١٢٢).

(٥) الكراديب (ص١٨١) .

مناسب لبلادنا ـ كما سيأتي ـ.

أحداث ثلاثية نجيب محفوظ.

١ـ بين القصرين:

- يعيش أحمد عبد الجواد في بيته بشخصية قوية متسلطة ـ كما سبق ـ أمام زوجته الضعيفة (أمينة) وأولاده، ولكنه خارج البيت يمارس أنواع المحرمات من شرب خمر وزنا دون أن يعلم أولاده، بحيث تبقى هيبته بينهم . يذهب أحمد عبدالجواد لدكانه الذي يشرف عليه وكيله (الحمزاوي) فيأتيه الشيخ الصوفي ! (متولي عبد الصمد) صاحب الكرامات !! الذي يعمل الحجب والتمائم للناس، لينصحه عن ولعه بالنساء .

ـ كمال يدرس ويحب درس (الديانة) الذي يشارك فيه لأنه يراجع الدروس مع أمه، الذي يلتقي معها في حب (الحسين) .

ـ فهمي يحب بنت الجيران (مريم)، يتفرج عليها من السطح .

ـ ياسين يدور في الشوارع ويلتهم النساء بنظراته الشهوانية يتفرج على العالمة زبيدة وربيبتها زنوبة ويتأمل محاسنها ويتذكر خيانة أمه لأبيه مع (الفاكهاني) !.

ـ أحمد عبد الجواد يتأمل جسد (زبيدة) العالمة عندما جاءته إلى الدكان. يحاول استدراجها ،ثم لا يدعها تدفع (الحساب) وفي المساء ذهب لزيارتها مع رفاقه.

ـ أحمد عبد الجواد يخبر ابنه ياسين بأن أمه ـ أي أم ياسين ـ ستتزوج من صاحب مخبز صغير السن . يغضب ياسين ، لأنه يطمع في فلوسها، ذهب ياسين إليها ولامها وغضب عليها.

- فهمي يريد الزواج من (مريم) لكن والده يرفض بشدة.

- عائشة تغازل أحد الضباط من النافذة فتراها خديجة، فتطلب منها عائشة أن لا تخبر أحدًا.

- (حسن أفندى) ضابط الجمالية يخطب عائشة ، فيرفض الأب!.

- سافر أحمد عبد الجواد إلى (بور سعيد) في مهمة عمل، فاستغل أهل البيت الفرصة ليتمتعوا بالحرية قليلاً، خرجوا بأمهم لزيارة (الحسين) الذي تهيم به، صدمتها سيارة ، فعادوا بها.

- عندما عاد أحمد عبد الجواد اعترفت له زوجته بما حصل بعد أن ألح عليها فطردها من المنزل، فذهبت لبيت أمها.

- أم مريم تقوم بزيارة العائلة لتتشفع في إرجاع (أمينه)، فيشعر أحمد عبد الجواد بأنها تهواه وتستدرجه لإقامة علاقة معها.

- حرم (شوكت) تزور أحمد عبد الجواد وتخطب عائشة لابنها، فيوافق.

- عادت (أمينة) إلى البيت بعد أن عفا عنها زوجها.

- ياسين يقيم علاقة (غير شرعية) مع (زنوبة) فلما دخل عندها أخبرته بأن هناك رجلاً مع (زبيدة) هو أحمد عبد الجواد !فتفاجأ ياسين لهذا الخبر، وقد كان عهده بأبيه أنه جاد وصارم.

- ذهبت العائلة إلى بيت (آل شوكت) لزواج عائشة. (جليلة) العالمة تحضر الحفل وتسلم على أحمد عبد الجواد مع تضايقه منها خشية انكشاف علاقته السابقة بها. ياسين يخبر فهمي بحال أبيه، فيندهش فهمي.

- ياسين يحاول اغتصاب (أم حنفي) الشغالة وهو سكران،

فيغضب أبوه عليه، ثم يقرر أن يزوجه.

ـ زواج ياسين من (زينب).

ـ آل شوكت يخطبون (خديجة) لابنهم (إبراهيم) فيوافق أحمد عبد الجواد.

ـ مات (محمد رضوان) والد (مريم) فعزاهم أحمد عبد الجواد.

ـ أحمد عبد الجواد يتحدث مع رفاقه في الدكان عن (سعد زغلول) زعيم الأمة! وجهوده ضد الاحتلال.

ـ ياسين يعود للخمر والنساء.

ـ أم مريم تزور أحمد عبد الجواد في الدكان لتستشيره.

ـ فهمي يشارك في (المظاهرات) ضد الانجليز المحتلين لمصر.

ـ ياسين يقيم علاقة (غير شرعية) مع الخادمة السوداء (نور) !التي تعمل عند زوجته . فتكتشفهما الزوجة وتغضب وتهجره.

ـ أحمد عبد الجواد ينصح فهمي بعدم الاشتراك في المظاهرات، أو توزيع المنشورات. خوفاً عليه.

ـ أم ياسين تتوفى.

ـ أحمد عبد الجواد يعود من بيت (أم مريم) فيوقفه جندي انجليزي فيجعله يساعد المصريين المسخرين لردم الحفر التي يحفرها المتظاهرون، فتكون إهانة قاسية له.

ـ عائشة تنجب.

ـ فهمي يشارك في مظاهرة (سلمية)، ولكنه يقتل برصاص الانجليز.

بهذا الحدث، وهو موت فهمي انتهت أحداث الحلقة الأولى من

حلقات ثلاثية نجيب محفوظ.

٢ـ قصر الشوق[1]:

ـ كمال يصاحب (فؤاد الحمزاوي) ابن وكيل والده، مع شعوره بالاستعلاء عليه .

ـ كمال يقيم علاقة غير شرعية مع (قمر) ابنة (أبو سريع) صاحب المقلى! مع شعوره بتأنيب الضمير.

ـ أحمد عبد الجواد يعود إلى اللهو بعد موت ابنه (فهمي)، ويقيم علاقة مع (زنوبة) التي تستعلي عليه.

ـ ياسين يقرر الزواج من (مريم).

ياسين يقيم علاقة غير شرعية مع أم مريم!!

ـ الحمزاوي ينصح أحمد عبد الجواد بعدم تبذير أمواله على اللهو.

ـ كمال يحب (عايدة) أخت زميله (حسين شداد) وهي من طبقة عالية متحررة ، ويغلو في حبها إلى حد العبادة!

ـ ياسين يتزوج مريم .

ـ (بهيجة) تتزوج (بيومي الشربتلي)، ثم تموت بعد أسبوع !.

ـ خديجة تسبب مشاكل لأهل زوجها ، فيصلح بينهم أحمد عبد الجواد .

ـ عائشة تنساق مع حياة زوجها المتحررة ، فتدخن .

ـ (عايدة) يخطبها أحد زملاء أخيها (حسين) واسمه (حسن) فيتفاجأ كمال بهذا الخبر!

ـ ياسين يطلق (مريم) بعد أن اكتشفت علاقته بزنوبة .

---

(١) وهو اسم الشارع الذي يسكنه ياسين بعد زواجه.

ـ زنوبة تطلب الزواج من أحمد عبد الجواد، فيرفض أن يتزوج من عاهرة!.

ـ كمال يحضر حفل زواج عايدة.

ـ ياسين يتزوج زنوبة ، فيطلب منه أبوه أن يطلقها.

ـ كمال يغرق في الخمر والنساء.

ـ أحمد عبد الجواد يحاول إقناع ياسين بطلاق زنوبة فيخبره ياسين بأنها حامل منه.

ـ زوج عائشة وولدها يصيبهم المرض.

ـ موت سعد زغلول .

وبهذا الحدث انتهت الحلقة الثانية من ثلاثية نجيب محفوظ .

٣ـ السكرية[١]:

ـ كمال يحب القراءة في الفلسفة، ومجتهد في دروسه.

ـ الحمزاوي يطلب اعفاءه من العمل مع أحمد عبد الجواد لأنه تعب.

ـ زبيدة تدمن الكوكايين ، وتفتقر بعد العز!.

ـ متولي عبد الصمد يصبح شيخاً رثاً وسخاً يدور على الناس.

ـ فؤاد يرغب الزواج من نعيمة ابنة عائشة .

ـ أحمد عبد الجواد هجر الخمر بسبب نصيحة الطبيب.

ـ شداد أفلس ثم انتحر.

ـ ياسين مستمر على عادته في الخمر والنساء.

ـ احمد ابن خديجة يعتنق الماركسية، وأما أخوه عبد المنعم فهو من

---

(١) وهو اسم الشارع الذي يسكنه آل شوكت.

جماعة (الإخوان المسلمين)! وتحصل بينهما مناقشات ومشادات. برغم أنهما جميعاً لا يحبان (الطغاة!).

ـ عبد المنعم (الإخواني!) يقع في الزنا بجارته!!

ـ أحمد يشارك في تحرير مجلة (الإنسان الجديد) ، ويحب السكرتيرة في المجلة (سوسن حماد).

ـ أحمد يتعرف على الكاتب (رياض قلدس) الذي يوافقه في الميول.

ـ كمال مستمر في الشهوات.

ـ عبد المنعم يتزوج نعيمة ابنة عائشة .

ـ حوارات فكرية وسياسية بين أحمد وخاله كمال، لتوافقهما في الهوى!.

ـ أحمد عبد الجواد يبيع دكانه.

ـ حوارات فكرية بين كمال وقلدس.

ـ نعيمة تموت.

ـ احمد يخطب (علوية صبري) فتطالبه بمصروف يومي، فيرفض مشروع الخطبة.

ـ رفاق أحمد عبد الجواد يموتون واحداً إثر الآخر، وهو يتفكر في حال الدنيا.

ـ موت أحمد عبد الجواد.

ـ عبد المنعم يخطب كريمة ابنة ياسين مع معارضة والدته خديجة لأن كريمة تكون ابنة زنوبة.

ـ زبيدة تتحول إلى شحاذة، بعد العز!.

ـ أحمد يتزوج سكرتيرة المجلة (سوسن حماد).

ـ عبد المنعم يتزوج كريمة ويجعل من بيته بيتاً إسلامياً.

ـ كمال يعلم بموت (عايدة).

ـ القبض على أحمد (الماركسي)، وأخوه عبد المنعم (الإخواني) ووضعهم في السجن بتهمة المعارضة.

ـ أمينة تصاب بالشلل فتنتظر الوفاة.

وبهذا الحدث انتهت الحفلة الثالثة من ثلاثية نجيب محفوظ.

شخصيات ثلاثية نجيب محفوظ:

١ـ احمد عبد الجواد: أحد أفراد الطبقة المتوسطة يتميز بشخصية متسلطة داخل بيته، ويد حديدية يحكم بها أسرته. مع تدين تقليدي يحافظ من خلاله على أداء الصلوات في (البيت!)، دون أن يؤثر هذا (التدين!) على سلوكه الخارجي، أو أن ينهى زوجته عن الانجراف وراء البدع والشركيات ـ كما سيأتي ـ.

وهو في الجانب الآخر، أي خارج بيته، يتصف بصفة أوصفات أخرى تختلف عن تلك الأولى، فهو يحب اللهو والشهوات، والسهرة مع الغواني والمومسات، في جلسات طرب وأنس.

ولكن هذا التناقض وإخفاء الشخصية الأخرى عن أولاده سرعان ما انكشف، ولكنه لم يؤثر في سقوط هيبته الأولى.

أسرة (أحمد عبد الجواد) تتكون من:

١ـ زوجته (أمينه) الخاضعة له، التي هي على النقيض من زوجها، حيث تتميز بالسماحة والطيبة مع أولادها، ولكنها غارقة حتى أذنيها في البدع والشركيات التي تعتقدها ديناً!، حيث أدمنت على زيارة قبر

الحسين (المزعوم!) في القاهرة [١] ودعائه من دون الله[٢]، بل والطواف بقبره[٣]!!.

وقولها لابنتها عائشة: (تعالي معي إلى الحسين، ضعي يدك على الضريح واتلي الفاتحة، تتحول نارك إلى برد وسلام كنار سيدنا إبراهيم)[٤]!!

وكانت تلقن كل هذا ابنها الصغير (كمال) بطل الرواية.

وأما أبناؤه فهم:

١ـ ياسين: وهو الابن الأكبر من زوجة سابقة ، انتقل إلى العيش مع أبيه وزوجة أبيه (أمينة)، وقد ورث عن أبيه ولعه بالملذات والشهوات، ولكنه لم يستطع أن يكون كأبيه يعب من تلك الملذات ويحظى باحترام الناس!! مثلما كان أبوه.

٢ ـ فهمي: الابن الأوسط لأحمد عبدالجواد، وهو طالب بمدرسة الحقوق، يجمع بين خصال أمه من رقة ومودة ورحمة لذويه، إلى جانب وطنيته وثوريته ، التي انتهت به إلى الموت في مظاهرة وطنية .

٣ ـ عائشة: الابنة الصغرى لأحمد عبد الجواد، تتميز بجمال ورقة ومودة، مما حببها إلى ذويها. بعد زواجها انساقت مع حياة زوجها المتحررة، وبعد وفاة زوجها وابنيها ساءت أحوالها وأصبحت تُكثر من الاعتراض على القدر.

---

(١) بين القصرين (ص٣٦).

(٢) بين القصرين (ص١٦٢).

(٣) السكرية (ص١١).

(٤) السكرية (ص١٩٧).

فمن ذلك: قولها عند وفاة ابنتها (نعيمة): (ما هذا يا ربي ؟ ما هذا الذي تفعله ؟ لماذا ؟ لماذا ؟ أريد أن أفهم)[١].

أو قولها عندما تذكرت أولادها: (الرحمة! أين الرحمة أين؟)[٢].

٤ ـ خديجة: الابنة الكبرى لأحمد عبدالجواد، وكان حظها من الجمال ضئيلا، وقد ورثت عن أبيها سلاطة لسانه وقوة شخصيته. كثيرة المتاعب مع زوجها، وكان لأولادها نصيبهم الأكبر من أحداث الرواية.

٥ ـ كمال: وهو (بطل الثلاثية)، الابن الأصغر لأحمد عبدالجواد، عاش في أحضان أمه، التي لقنته البدع والخرافات والشركيات منذ صغره، حيث لم يتعرف على الدين إلا من خلال أحاديثها وقصصها، فانطبع الدين في ذهنه بتلك الخرافات.

فهو ـ مثلاً ـ يقول عن ضريح الحسن: (كم وقف حيال الضريح حالماً مفكراً، ويود لو ينفذ ببصره إلى الأعماق ليطلع على الوجه الجميل الذي أكدت له أمه أنه قاوم غِيَر الدهر بسره الإلهي، فاحتفظ بنضارته ورونقه، حيث يضيء ظلمة المثوى بنور غرته، ولما يجد إلى تحقيق أمنيته سبيلاً قنع بمناجاته في وقفات طويلة، مفصحاً عن حبه، شاكياً إليه متاعبه الناشئة من تصوراته عن العفاريت وخوفه من تهديد أبيه، مستنجداً به على الامتحانات التي تلاحقه كل ثلاثة أشهر، ثم خاتماً مناجاته عادة بالتوسل إليه أن يكرمه بالزيارة في منامه)[٣]!!

---

(١) السكرية (ص١٥٩).

(٢) السكرية (ص١٩٧) .

(٣) بين القصرين (ص٤٩).

نشأ كمال متحيراً كثير الاضطراب الفكري، لم يستقر على قرار ثابت، كان وفدياً[١] ثم ما لبث أن مال ميلاً شديد إلى (الماركسية) التي تقتلع الطبقات التي أبغضها عندما أحب (عايدة) التي تنتمي إلى طبقة عليا.

تكثر في أحاديثه الشكوك والطعن في الدين وعبارات الإلحاد والادعاء بأن (العلم) سوف يحل مشاكلنا جميعاً. ولهذا كان من أقرب الناس إلى ابن أخته (أحمد) الذي كان (ماركسياً) متحمساً .

فمن أقواله ـ على سبيل المثال ـ:

ـ (إن مطلبي الأول الحقيقة: ما الله ؟ ما الإنسان ؟ ما الروح ؟ ما المادة ؟ الفلسفة هي التي تجمع كل أولئك في وحدة منطقية مضيئة كما عرفت أخيراً)[٢].

قوله: (لفه شعور بأنه ضحية اعتداء منكر تآمر به عليه القدر وقانون الوراثة ونظام الطبقات)[٣].

(طالما نازعته النفس إلى النقيضين وكر الشهوات والتصوف، ولكنه لم يكن ليطيق حياة خالصة للدعة والشهوات، ومن ناحية أخرى كان ثمة شيء في أعماقه ينفر من فكرة السلبية والهروب)[٤].

---

(١) حزب الوفد الذي أنشأه سعد زغلول ، حزب علماني لا يقوم على الإسلام ، يدعو إلى مساواة المسلم بالكافر، والدعوة إلى انسياق البلاد الإسلامية نحو تقليد الغرب الكافر (في كل شيء) ، وخاصة في مجال (تحرير المرأة)، انظر (الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة) للندوة العالمية للشباب الإسلامي (١/ ٤٥٤).

(٢) قصر الشوق (ص٢٤٢).

(٣) قصر الشوق (ص٣٦٩).

(٤) السكرية (ص١٩٤) .

٦ـ عبد المنعم ابن خديجة:

من جماعة الإخوان المسلمين، يحمل أفكارهم وينافح عنها أمام أخيه أحمد (الماركسي) ولكنه يتسم بالعنف في الجدال!! وهكذا أراد له نجيب محفوظ أن يكون!! فمن ذلك أنه قال لأخيه: (صه يازنديق)[1]!! وقال له أيضاً (يا عدو الله)[2].

ولكنه برغم هذا (الإيمان) و (الحماس) يقيم ـ كما سبق علاقة غير شرعية مع بنت الجيران!! وهذا من التناقض المفتعل لتشويه جماعة الإخوان المسلمين من نجيب محفوظ ـ هداه الله ـ.

٧ـ أحمد ابن خديجة:

شاب متحمس للماركسية، يدخل مع أخوه (الإخواني) عبد المنعم في مجادلات متتالية دون نتيجة .

من أقواله التي تدل على توجهه:

ـ أنه بعد أن تزوج سأله خاله كمال هازئاً: (هل تزوجت على سنة الله ورسوله ؟) قال: (طبعاً، الزواج والدفن على سنن ديننا القديم، أما الحياة فعلى دين ماركس)[1]!!.

ـ قوله في التحقيق: (إني اشتراكي)[2].

أوجه التشابه بين الثلاثيتين:

١ـ أن الثلاثيتين كلتيهما تتكونان من ثلاثة أجزاء أو حلقات

---

(١) السكرية (ص٣٢) .

(٢) السكرية (ص ٧٦) .

(٣) السكرية (ص٢٧١).

(٤) السكرية (ص٣٢٠).

بأسماء مختلفة (بين القصرين ـ قصر الشوق ـ السكرية)، (العدامة ـ الشميسي ـ الكراديب).

٢ـ أن البطل في الثلاثية شخص واحد تدور الأحداث من حوله. ففي ثلاثية محفوظ تدور الأحداث حول (كمال) وفي ثلاثية الحمد تدور حول (هشام).

٣ـ أن (كمال عبد الجواد) هو نفسه مؤلف الثلاثية، أي هو نجيب محفوظ، وهذا أمر لا ينكره نجيب محفوظ الذي يردد دائماً: "أنا كمال عبد الجواد في الثلاثية"[١] ويقول: "الأزمة الخاصة بكمال هي أزمتي"[٢].

أما تركي الحمد فقد اعترف بهذا في مقابلة له مع جريدة اليوم[٣] عندما قال عن ثلاثيته بأنها " فيها الكثير مني ... فالبطل أنا من صنعه وأنا من وضع له العواطف والتجارب ".

وقد أكد الدكتور غازي القصيبي أستاذ الحمد في الجامعة! هذه الحقيقة. فقال في كتابه (حياة في الإدارة): (كان المفكر السعودي البارز (!!) الدكتور تركي الحمد أحد طلبتي. وعلى الذين يرغبون أن يعرفوا رأي الطلبة فيَّ أن يعودوا إلى رواية تركي (الشميسي)، ماكتبه عن (الدكتور محارب الخيزراني)[٤].

فهذا تأكيد من غازي أن هشام العابر لم يكن إلا تركي الحمد.

---

(١) المنتمي، للنصراني ! غالي شكري (ص١٧).

(٢) أتحدث إليكم، نجيب محفوظ (ص٣٤).

(٣) بتاريخ ٨/ ٨/ ١٤١٩هـ.

(٤) ص (٥٣) من الطبعة الثانية: وعند عودتنا لكلام تركي في (الدكتور محارب) وجدناه يكيل له المديح ، فعلمنا سر هذه الإحالة !

وليس معنى أن كمال عبد الجواد هو نجيب محفوظ وأن هشام العابر هو تركي الحمد أن يكون كلاً منهما قد نقل (جميع) تفاصيل حياته بجميع أشخاصها إلى القراء دون نقص أو زيادة، فهذا مالا يقوله عاقل، بل المقصود أن كلاً منهما كان يحكي عن ماضيه، وتفكيره، وتطلعاته، وآماله، وآلامه، وبعضاً ممن عاصروه في اختلاف توجهاتهم. ولكن تبقى الفكرة الرئيسة التي تدور حولها الثلاثية هي ما كانت تقلق بال مؤلفها في فترة مضت، أولا زالت!، كالحيرة والاضطراب، أو إعلاء شأن الماركسية، وهكذا.

٤ـ أن كلاً من (كمال عبد الجواد) و(هشام العابر) ماركسي التوجه، أو يميل إليها على أقل تقدير ـ.

٥ـ أن كلاً منهما ـ برغم هذا الميل ـ متردد، متحير، مذبذب. يقول رياض قلدس أحد أصدقاء كمال في الثلاثية عن كمال بأنه: (الذي دار حول نفسه كثيراً حتى أصابه الدوار)[1].

ويقول هشام العابر عن نفسه بعد أن ذكر توجهات زملاء السجن: (أما هشام فلم يعد يدري ما هو)[2].

٦ ـ تكثر الطعون في الله ـ ﷻ ـ وملائكته وكتبه ورسله وعباده الصالحين في كلا الثلاثيتين، ولعل للتوجه الماركسي لصاحبيها دوراً في ذلك ، حيث لا ترى الماركسية في الأديان والمقدسات إلا أفيوناً للشعوب يجب أن يهدم، وإن لم نستطع الهدم فلا أقل من اللمز والسخرية وإسقاط هيبة الدين ومحتوياته (أي الإسلام !) من نفوس

---

(١) السكرية (ص١٩١).

(٢) الكراديب (ص ١٨٠).

الناس. ولا حول ولا قوة إلا بالله .

أما طعون الحمد فقد قرأناها سابقاً، وأما طعون نجيب محفوظ فإليك شيئاً منها بالأرقام، لكي لا أطيل ولكي لا أتهم بالتجني عليه: (بين القصرين: ص ١٢٢، ٢٢٧) (قصر الشوق: ٩٠، ٩١، ١١٩، ١٥٣، ٢١٦، ٢٢٩، ٢٣٦، ٢٦٠، ٢٩٤، ٣١٤، ٤٢٨، ٤٣٤) (السكرية: ٨٨، ٢٥٣ ، ٢٦٠، ٢٧٥، ٢٨٠).

٧ـ تكثر في الثلاثيتين ألفاظ ومعاني الاعتراض على القدر ، واتهام الحياة والموت والقدر بالعبث.

أما في ثلاثية الحمد فقد علمنا ذلك سابقاً، وأما في ثلاثية نجيب محفوظ، فهذه بعض المواقف والعبارات تؤكد هذا:

ـ اعتراض خديجة على زواج عائشة قبلها: (إني أحافظ على الصلاة أما هي فلم تُطق المحافظة عليها ...) [١]أي: لماذا تتزوج قبلي ؟

ـ اعتراض عائشة على وفاة زوجها وأبنائها. وقولها ـ مثلاً ـ: (ما هذا يا ربي ؟ ما هذا الذي تفعله ؟) [٢].

ـ قول كمال عن نفسه: (لفه شعور بأنه ضحية اعتداء منكر تآمر به عليه القدر)[٣].

ـ قوله: (هذا الموت عبث)[٤].

٨ـ تكثر في الثلاثيتين المواقف الجنسية بكافة أنواعها! أما الحمد فقد علمنا شيئاً من مواقفه (البطولية !!).

وأما نجيب محفوظ فيكفينا من ثلاثيته شخصية أحمد عبد الجواد،

---

(١) بين القصرين (ص ٢٣٠).

(٢) السكرية (ص١٥٩).

(٣) قصر الشوق (ص٣٦٩).

(٤) قصر الشوق (ص٤٨٥).

والغواني، وشخصية ياسين.

وهاهنا ملاحظة: هي أن تركي الحمد اقتصر في مواقفه الجنسية على (الزنا) وتوابعه، أما نجيب محفوظ فقد تجاوز ذلك إلى (اللواط)!!

كما في علاقة (رضوان بن ياسين) مع عبد الرحمن باشا عيسى[١].

وسبب ذلك ـ والله أعلم ـ أن محفوظاً تميز في ثلاثيته بالجرأة أكثر من الحمد، الذي لا زال يحمل بقية من الحياء!.

٩ـ أن المتمسكين بأحكام الإسلام في الثلاثيتين:

إما مخرف ساذج، أو من الإخوان المسلمين، ولا ثالث لهما .

فالدين عند محفوظ: إما أن يتمثل في شخصية (متولي عبد الصمد) الصوفي، المخرف، الوسخ !، صاحب البدع والشركيات، أو في شخصية (عبد المنعم) الإخواني.

والدين عند الحمد:

إما أن يتمثل في شخصية خال هشام المتدين الساذج الذي يقول عنه ابنه:

(خالك لا يشك بوجود الخمر أصلاً في هذا البلد، فكيف في بيته وابنه .. حتى لو رأى حمد مترنحاً فهو لن يشك بمثل هذه الأمور)[٢].

ويقول عنه هشام:(ياله من رجل طيب تخدعه المظاهر)[٣].

ولم يجعله الحمد مخرفاً كمتولي عبدالصمد لأنه يعلم أن لا مكان للخرافة في بلاد التوحيد ـ ولله الحمد ـ.

---

(١) السكرية (ص ٦٦) .

(٢) العدامة (ص ٩٩).

(٣) الشميسي (ص٥١).

أو في شخصية (لقمان) الإخواني[1].

فإن كان محفوظ معذوراً في تجسيد شخصية (الإخواني) التي كان يعج بها مجتمع مصر تلك الأيام، فكانت آراؤهم مطروحة في الساحة المصرية، ولم تكن خافية على أحد.

فالحمد لا يعذر في تجسيده لهذه الشخصية الغريبة على مجتمعنا، إلا أن تكون ـ وهو ما أراه ـ تقليداً لمحفوظ، كما تعودنا من الحمد!.

قد تقول: ولكن الإخوان موجودون في السعودية، وقد وفدوها بعد اضطهادهم في دولهم.

فأقول: نعم هم موجودون، وقد يكون قلائل من السعوديين تأثروا بهم، ولكن هذا لا يجيز للحمد أن يصور بلادنا بهذه الصورة الحزبية التي عرفتها مصر وغيرها من الدول العربية.

ثم يجعل (الإخوان) هم الممثلين للتيار الإسلامي! وكأننا في بلد علماني النزعة لا يمثلنا فيه سوى الإخوان!!.

فهل نسي الحمد أننا ـ بحمد الله ـ نعيش في دولة إسلامية سلفية منذ نشأتها [1]، لم تعرف الأحزاب يوماً ما ؟ وهل من العقل أن يُجْعل أفراد قلائل مستخفون هم الممثلين للتيار الإسلامي ؟! وننسى الكثرة الغالبة من أهل البلاد الذين لا يعرفون سوى الإسلام ديناً لهم، على تفاوت بينهم في الالتزام به.

أقول: إن كان محفوظ معذوراً، فالحمد لا يعذر في هذا، لأنه كثر

---

(١) وزاد الحمد نوعية ثالثة للملتزمين وهي شخصية أصدقاء زميله عدنان، حيث اللحى غير المسرحة والرؤوس المحلوقة!!.

(٢) والكمال لله وحده، وكل تقصير يزول بالتناصح.

القليل وقلل الكثير.

وأنا لا أقول هذا بخساً لجهود جماعة الإخوان المسلمين في العالم العربي والإسلامي، فهي جماعة قد اجتهدت في الدعوة إلى الإسلام، ولكن شاب جهودها شيء من الأخطاء، منها:

١ـ أنها جماعة تعنى بالتجميع كيفما كان، فتجد فيها البدعي والسني جنباً إلى جنب.

٢ـ وهي جماعة لا تحرص على نشر عقيدة السلف الصالح بل تجد من أفرادها الكثير ممن يعتقد عقيدة الأشاعرة، ويزعم أنها عقيدة السلف!.

٣ـ وهي جماعة حرصت على الدولة أكثر من حرصها على التربية والدعوة.

٤ـ وهي جماعة يقل فيها الالتزام بالسنن النبوية الظاهرة.

٥ـ وهي جماعة لا تراجع نفسها، بل ظلت مأسورة في شخصية (حسن البنا) ـ رحمه الله ـ الذي كانت شخصيته تطغى على غيره من الإخوان، ولا زالت!.

٦ـ أخيراً: هي جماعة لا مبرر لقيامها في بلادنا (السعودية) لأننا ـ ولله الحمد ـ مسلمون قبل قيامها، فالذي نحتاجه هو الجد في نشر الدعوة، والالتزام الصادق بالإسلام[١].

إذن: أخطأ الحمد خطأً فاحشاً عندما لم يـر في الملتزمين بالإسلام سوى:

---

(١) انظر لبيان هذا: (الدعوة إلى الله في جزيرة العرب) للشيخ الحصين و(حكم الانتماء) للشيخ بكر أبو زيد .

١ـ الرجل الساذج.

٢ـ الإخواني.

٣ـ المتشدد.

وبقي صنف رابع لم يذكره، أو لم يرد أن يذكره!، وهو الشاب المسلم الملتزم بدينه، صاحب العقيدة السلفية، والخلق الحسن في التعامل، والمبرز في دراسته الشرعية أو العلمية، قاصداً خدمة بلاده الإسلامية ورفعتها من هذا التخلف الذي تعيش فيه.

فبالعقيدة السلفية نرفع التخلف (الديني) ــ بدعاً وشركيات ــ الذي يعج في أوطاننا، ويفرق بيننا ويضيع كثيراً من طاقاتنا.

وبالعلم الدنيوي النافع نرفع من شأن بلاد الإسلام ونجعلها تنافس الآخرين، بل تفوقهم، وما ذلك على الله بعزيز.

كنت أود للحمد لكي يكون عادلاً أن يذكر هذا الصنف في ثلاثيته، ولكن ﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ﴾[1].

١٠ ـ يبرز في الثلاثيتين جانب خبيث؛ هو محاولة إفحام الدين، أو التشكيك في بعض مسائله بأسلوب ماكر، كما في تحير هشام في مسألة: كيف يموت الموت؟.

أما نجيب محفوظ فقد صاغ تشكيكه وتحيره على هيئة سؤال وجهه كمال إلى مدرسه، حيث يقول عن الجن (وسألت الشيخ: هل يدخل المسلمون منهم الجنة ؟ فقال: نعم. فسألته مرة أخرى: كيف يدخلونها بأجسام من نار !؟ فأجابني بحدة قائلاً: أن الله قادر على كل

---

(١) سورة البقرة الآية ١٤٨

شيء)[1] ولا حظ قوله (بجدة)! تفهم مقصده. مع أن جواب شيخه مقنع، وهو أن الذي خلقهم ـ سبحانه ـ قادر على أن يجعل مسلميهم يدخلون الجنة، إما بطبيعتهم أو بطبيعة أخرى، كما أنه سبحانه قد أخبر عن النار بأن فيها شجرة الزقوم، فهل يقول: كيف لا تحرقها النار؟ فهل هذا إلا سؤال متعنت، يحاكم ربه بعقله القاصر. كما كان مشركو الجاهلية يفعلون مع محمد - ﷺ -.

ولهذا جعل الله ـ سبحانه ـ الإيمان بالغيب أحد الصفات الرئيسة للمؤمنين فقال: ﴿ الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾[2].

لأنه سبحانه يعلم أن مسائل الغيب قد لايستوعبها عقل الإنسان في الدنيا، فلهذا جعل الفارق بين المؤمنين والمذبذبين المرتابين هو الإيمان بالغيب، فعلى المسلم إذا جاءه الدليل من القرآن أو السنة الصحيحة بأمر من أمور الغيب أن يؤمن ويسلم دون اعتراض أو تشكيك كما فعل (تركي) أو (نجيب) !

١١ـ يكثر الحلف بغير الله في الروايتين، أما في ثلاثية تركي فقد مضي التدليل عليه. وأما ثلاثية محفوظ فإليك المثال:

ـ (ورسول الله) (بين القصرين ص ٢٥٣).

ـ (ورأس أمي) (بين القصرين ص ٢٥٧).

ـ (حلفتك بالحسين) (بين القصرين ص٢٥٧).

---

(١) بين القصرين (ص٦٤).

(٢) سورة البقرة الآية ١-٣.

- (وحياة أمك) (بين القصرين ص ٢٦٨).
- (وحياتك) (بين القصرين ص ٤٣٥).
- (والنبي) (بين القصرين ص ٤٣٩).

أخيراً: ما سبق هو أبرز المتشابهات في ثلاثيتي (محفوظ والحمد) وهي تبين أن الحمد قد بني ثلاثيته على أعمدة سابقة كان قد أقامها نجيب محفوظ، فلم يكن له في ثلاثيته سوى صياغتها لتناسب طبيعة وظروف الشاب السعودي بدلاً من المصري.

وإلا فإنهما قد اجتمعا على:

- الماركسية.
- والاجتراء على الله ـ عز وجل ـ وملائكته وكتبه ورسله وعباده الصالحين.
- والاعتراض على القدر، وتصويره في صورة العدو المتربص أو العابث.
- والنظر إلى الحياة والموت بنظرة عبائة.
- والإغراق في الجنس.
- والشك والحيرة والاضطراب.

فكلاهما ـ ثلاثية محفوظ والحمد ـ مجرد رواية (هدم) لا (بناء)، و(تشكيك) لا (يقين)، فمن قرأها ثم فرغ منها لم يحصل سوى الحيرة التي لا تقود إلى ثبات واطمئنان.

ثم يكتشف أن راويها لم يقدم له أي بديل لما قد تم هدمه في هذه الثلاثية. فهي شبيهة بأدب الحداثيين الذين حملوا معاولهم لهدم الإسلام والمعاني السامية دون أن يقدموا لها بديلاً سوى الحيرة والشكوك

والبؤس والشقاء، زاعمين أنهم سوف يقدمون لبني قومهم كل جميل، وكل مبهج، ولكن بعد أن يفرغوا من هدمهم!.

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾[1].، وقال سبحانه: ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ﴾[2].

وقد أصلح الله بلادنا بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ـ رحمه الله ـ التي ناصرها آل سعود ، فلا مستقر فيها لكل مفسد هادم مهما غلّف هدمه ذاك بشعارات (التطور) و(التحضر) و(التقدم)... الخ زخارف الشيطان:

وليتق الله ربه وليتب من (هدمه)، وليشارك إخوانه في (البناء) فإن خير الخطآئين التوابون .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾[3].

خاتمة موجزة:

بعد هذه الجولة العجلى في أبرز مؤلفات تركي الحمد وفي ثلاثيته يتبين لنا:

١ ـ أن الحمد يدعو إلى " الشك " و " الريبة " في كل شيء، ولو كان نصاً من الكتاب أو السنة الصحيحة [4]، وهو لم يبين لقرائه ما هو

---

(١) سورة البقرة الآية ١١.

(٢) سورة الأعراف الآية ٥٦.

(٣) سورة التوبة الآية ١١٩.

(٤) وهو لا يستطيع التصريح بهذا (بحرفية) كما قد يتوهم حسنوا النية، فكتاباته الماضية خير شاهد لهذا عند عقلاء الناس.

الميزان الذي سيحتكم إليه بعد أن " يشك " و " يرتاب " ليقضي لنا بصحة القضية المطروحة أو بطلانها ، هل هو " عقله " أم " عقلي " أم " عقل فلان من البشر " أم ماذا ؟ كما سبق.

٢ـ أنه عندما " شك " و" ارتاب " ودعا المسلمين إلى هذا، لم يقدم لهم أي بديل واقعي (واضح) يأخذون به بعد أن يهدموا (كل شيء حولهم) بالشك والريب. ففكر الحمد (هدمي) ليس (بنائياً) ـ كما سبق ـ لأنه يهدم ويهدم ويهدم تحت دعوى (الشك) و(الارتياب) الذي يدعو إليه ، دون أن نجد عنده ما يبنى أو يشيد لنفع أمته[1].

٣ـ أن الحمد يتظاهر في كتبه (بالعقلانية) التي تخفي وراءها نفساً طافحة بالشهوات الحقيرة ـ كما رأينا ذلك في ثلاثيته التي تعبر عن شخصه[2] ـ

٤ ـ أن شخصية الحمد ـ كما يظهر من مؤلفاته وثلاثيته ـ شخصية قلقة مضطربة لا تريد أن تركن إلى شيء يسندها في هذه الحياة، وهي شخصية (شاكة) (مرتابه) تحقد على كل من لم يكن مثلها في شكها وحيرتها وارتيابها، كما قد رأينا في حقده وحمله الظغينة على رسل الله ـ عليهم السلام ـ وعباده الصالحين، وبلاد التوحيد (السعودية) .... الخ .

٥ ـ أن الحمد يدعو إلى عدم ثبات الحق، فما كان بالأمس حقاً قد يصبح اليوم باطلاً، وما يحمله فلان من الحق قد ينقلب باطلاً في حق فلان . . . في دائرة لا تنتهي، تهرباً من قيام الحجة عليه، أو توهمه أنه بهذه الدعوى يُفحم أهل الحق .

---

(١) بل لنفع نفسه التي أشرفت على الرحيل.

(٢) وراء (الفكر) و (العقلنة).

٦ ــ أن الحمد يدعو إلى مساواة (الإسلام) بغير من الأديان والثقافات الأخرى، بل هو يُفضلها عليه ـ والعياذ بالله ــ، وهذا من أعظم (الكفر) الذي يُستتاب صاحبه، فإن تاب وإلا ضُربت عنقه[١].

٧ ـ أنه من دعاة (تحرير)[٢] المرأة في بلادنا ، وذلك بدعوته إلى سفرها ، واختلاطها بالرجال في الدراسة والعمل، وقيادتها للسيارة ... الخ جزئيات هذه الدعوة التي تجرعت مرارتها المجتمعات الإسلامية الأخرى، فنبتت عندنا نابتة ـ من ضمنهم الحمد ـ يرددون في بلادنا ما ردده شياطين هذه الفكرة الغربية في البلاد الأخرى في مقالات وكلمات متكررة بين الحين والآخر من دعاة وداعيات (الشهوة) و(نبذ حكم الإسلام).

فنسأل الله أن يقضي على هذه الفتنة في مهدها، كما قد قضى على غيرها، وأن يسلط ولاة أمر هذه البلاد لاجتثاث عروق الفساد من وسائل إعلامنا لكي لا تتجذر هذه الدعوة المفسدة في بلاد التوحيد.

٨ ـ أنه عدو لدود للحكم السعودي الذي قام على تحكيم شرع الله، والدفاع عنه ضد أعدائه من أصحاب التيارات (الكافرة) من ديمقراطيين وشيوعيين ومنحلين. وقد سبق نقل ما يُكنه صدره ضد ولاة أمرنا.

٩ ـ أنه يسرق جُلَّ أفكاره من كتابات وجهود الآخرين عرباً كانوا

---

(١) كما نص على ذلك علماء الإسلام فيمن لم يكفر الكافر أو شك في كفره أو فضل دينه على دين الإسلام، انظر: مجلة البحوث (العدد ٤٩، ص١٢٦).

(٢) بل تدمير المرأة، وقد صرَّح بذلك ــ على حذر ــ في مقابلته مع قناة (اقرأ)، وفي مقاله الشهير " وخلق الله المرأة".

أم عجماً. كما في ثلاثيته التي بناها على ثلاثية نجيب محفوظ، وكما في (عقلانيته) التي اكتسب أفكارها من الجابري والعروي.

١٠ـ أنه بعد هذا البيان عن الفكر (الهدمي) للدين والدولة من هذا الرجل؛ فإنه لا يجوز شرعاً لوسائل إعلامنا أن تحتفي به، أو أن تُسهل له مهمة بث هذا الهدم بين المسلمين، عبر مقالات أو برامج مسموعة أو مرئية؛ لأن الشريعة قد جاءت بالحجر على السفهاء، فكيف بمن يكيدون لدين الله وللفضائل ولهذه الدولة المسلمة !؟

ختاماً: أسأل الله أن يحمي بلادنا من شرور الحاسدين والحاقدين الذين لا يرتضون لها أن ترفع راية لا إلة إلا الله محمد رسول الله في هذا الزمان، والذين يتربصون بها الدوائر ممن ارتضوا ما في زبالات الغرب بديلاً للهدى والنور الذي جاءهم به خير الرسل محمد ـ ﷺ ـ وأسأله تعالى أن يُعجل بكبتهم وتشريدهم وتمزيقهم كلَّ ممزق، وأن يوفق ولاة أمرنا للقضاء عليهم كما هو دأب حكام المسلمين على مرّ الأزمان[1]،فإن الله قال في هذه الشرذمة من رجال ونساء ﴿ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ ﴾[2]

وصلى الله على نبينا محمد.

---

(١) اقرأ إن شئت سيرة من رفع الله ذكرهم من حكام المسلمين؛ كهارون الرشيد أو المعتصم أو المتوكل أو محمود بن سبكتكين أو يوسف بن تاشفين وابنه أو المهدي العباسي الذي جعل رجلاً مسؤلاً عن أمر الزنادقة يتتبعهم ويقوم بتنفيذ حكم الله فيهم، تعظيماً لشرع الله، وحفاظاً على وحدة المسلمين و((أمنهم الفكري)) . . . لتعلم كيف كانت سيرة ولاة الأمور مع (الزنادقة) و (مبغضي) شرع الله .

(٢) سورة المنافقون الآية ٤.

قاسم أمين في كتابه

" تحرير المرأة "

و

دعاة التحرير في هذا العصر

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، قصة هذا البحث بدأت أثناء كتابتي لرسالة (قصص لا تثبت)؛ وذلك أنني اطلعت من ضمن القصص غير الثابتة على قصة مكذوبة على عمر بن الخطاب ـ ﷺ ـ[1] استشهد بها أحد دعاة تحرير المرأة في بلادنا، محتجاً بها ـ زعم ـ على مشروعية السفور والاختلاط المحرم!

ثم أحال في الهامش على أحد أجزاء تاريخ الطبري. فتعجبت أشد العجب من اطلاع مثل هذا المتحرر على هذا المصدر الإسلامي واستخراجه لهذه القصة منه بعد تنقيبه؛ لعلمي بأن مراجع القوم غير مراجعنا! وأن غاية أحدهم إذا استدل على فساده أن يستدل بكتاب (الأغاني) للأصفهاني أو كتب الجاحظ ونحوها من كتب الأدب.

ثم حدث أني كنت أثناءها أطالع وأتأمل كتاب "تحرير المرأة" لقاسم أمين، فتفاجأت بعثوري فيه على هذه القصة ـ كما هي ـ منقولة من تاريخ الطبري!! فعندها بطل العجب لمعرفة السبب!

فأخذت بعدها أقارن ما أقرأه من كتابات المتحررين والمتحررات بكتاب قاسم أمين، فاكتشفت ـ ولست مبالغاً ـ أن القوم يصدرون عن هذا الكتاب في كل صغيرة وكبيرة، بل إنهم لا زالوا يرددون إلى اليوم ـ كما سيأتي ـ ما ردده من أفكار وأساليب وأحاديث موضوعة وآثار ضعيفة وقصص مكذوبة، دون زيادة أو نقصان!

فعلمت حينها أن جميع طرق أهل التحرير تؤدي إلى قاسم!

عندها فكرت بعمل رسالة تُلخص ما استقاه المتحررون من كتاب

---

(١) انظر: (قصص لا تثبت) الجزء السادس (ص٧٥-٨٤).

قاسم عمدتهم الأولى في هذا الباب؛ من أفكار وأساليب لا زالوا يستخدمونها في كتاباتهم إلى اليوم؛ لنعلم بعدها أن مدعي (التقدم) هم من أغرق الناس في (الماضوية) التي يحاربونها، وأنهم أصحاب عقول ضحلة تقتات على غيرها، وينقل لاحقهم عن سابقهم ضلاله القديم فيبعثه بيننا من جديد، ليشتركوا في الوزر والمأثم، مصداقاً لقوله تعالى عن أهل النار ﴿ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ ۖ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ وَقَالَتْ أُولَىٰهُمْ لِأُخْرَىٰهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴾[1] نسأل الله أن يجيرنا من النار.

هذا، وقد صغت ما استقاه المتحررون من كتاب قاسم في (٢٧) فكرة أو وسيلة، دللت عليها من كلام قاسم، ثم علقت عليها بما يبين أن المتحررين لا يزالون يستعملونها في دعوتهم إلى اليوم.

وقبل هذا قدمت بتعريف لقاسم أمين ولكتابه، وببعض ما أثير حوله.

أسأل الله أن يجعل من هذا البحث المتواضع تبصرة لكل غافل مخدوع بطرق أهل الفساد، معيناً لأهل الحق على دعاة الباطل وأهله.

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم .

---

(١) الأعراف ٣٨ : ٣٩.

لمحة عن قاسم أمين[١]:

- ولد قاسم أمين عام ١٨٦٣م لأب تركي عثماني، وأم مصرية من صعيد مصر.. فوالده محمد بك أمين قدم إلى مصر في بداية حكم الخديوي إسماعيل.

- قضى قاسم أمين سنواته الأولى في الإسكندرية، وحصل على الشهادة الابتدائية من مدرسة (رأس التين) .

- انتقلت أسرته إلى القاهرة، فالتحق قاسم بالمدرسة التجهيزية (الثانوية)، القسم الفرنسي.

- ثم التحق بمدرسة الحقوق والإدارة، وهي مدرسة عليا كانت البديل لكلية الحقوق، فحصل على الليسانس وهو في العشرين من عمره سنة ١٨٨١م.

- اتجه قاسم بعد تخرجه إلى العمل بالمحاماة فترة يسيرة.

- سافر في نفس العام ١٨٨١م في بعثة دراسية إلى فرنسا، منتظماً في جامعة "مونبلييه"، وبعد دراسة استمر فيها أربع سنوات أنهى دراسته القانونية بتفوق في سنة ١٨٨٥م.

- التقى بالشيخ محمد عبده في باريس، فكان المترجم له.

- أقام علاقة غزلية بفتاة فرنسية اسمها ((سلافاً)).

- عاد إلى القاهرة عام ١٨٨٥م.

- تعين في القضاء حال عودته.

---

(١) ملخصة من مقدمة أعماله الكاملة، للدكتور محمد عمارة. ومن كتاب (قاسم أمين) للدكتور ماهر فهمي، ومن مجلة الهلال (يونيو ١٩٠٨م).

- بعد شهور من عودته توفي والده محمد بك أمين.
- في عام ١٨٨٩م رقي إلى منصب رئيس نيابة "بني سويف" بصعيد مصر.
- في عام ١٨٩١م تعين نائب قاضٍ في محكمة الاستئناف، ثم رقي إلى منصب مستشار.
- كان خلال فترة عمله الرسمي يمارس الكتابة في الصحف والمجلات المختلفة.
- في عام ١٨٩٤م أصدر كتابه (المصريون) بالفرنسية يرد به على هجوم الدوق الفرنسي "دار كور" على المصريين.
- أصدر كتابه الشهير "تحرير المرأة" عام ١٨٩٩م، وكتابه "المرأة الجديدة" عام ١٩٠٠م.
- ساهم في الدعوة إلى إقامة الجامعة المصرية.
- توفي في ليلة ٢٣ إبريل عام ١٩٠٨م عن عمر يناهز الخامسة والأربعين.

ذكاء قاسم أمين:

كان قاسم أمين ـ كما يقول الشيخ محمد قطب ـ "فيه ذكاء غير عادي، حصل على ليسانس الحقوق الفرنسية من القاهرة وهو في سن العشرين، بينما كان هناك في عصره من يحصل على الشهادة الابتدائية في سن الخامسة والعشرين!"[(١)].

قلت: ومن يقرأ كتابيه : (تحرير المرأة) و(المرأة الجديدة) يتيقن هذا

---

(١) واقعنا المعاصر (ص٢٥٠).

الذكاء الذي امتاز به قاسم، ولكنه ـ للأسف ـ سخره للدعوة إلى إفساد المرأة المسلمة.

فهو ـ في كتابيه ـ يجيد بث الشبهات وإقناع القارئ بها، والإجابة عن ما يعارضها مما يجول بذهن القارئ، بعبارة سلسلة ماكرة.

الشخصية الأولى لقاسم !:

- قام الفرنسي (الدوق داركور) وهو ممن زار مصر عدة مرات بإصدار كتاب في عام ١٨٩٣م سماه (سر تأخر المصريين) حمل فيه على أهل مصر، مركزاً حملته على نساء مصر، ساخراً من حجابهن وقرارهن في البيوت، مهاجماً المثقفين المصريين لسكوتهم وعدم تمردهم على هذه الأوضاع.

فلما قرأ قاسم أمين كتاب (داركور) تألم أشد الألم، حتى قال عن نفسه "حين قرأت كتاب دوق داركور مرضت عشرة أيام"(١)، وقام بالرد على كتاب (داركور) للدفاع عن المصريين؛ لا سيما النساء.

فمن أبرز ما جاء في رده هذا مما يهمنا:

١- دفاعه عن الحجاب وعدم الاختلاط: يقول قاسم: "أن ديننا...أوصى بأن يكون للرجال مجتمعهم الذي لا تدخله امرأة واحدة، وأن يجتمع النساء دون أن يقبل بينهن رجل واحد، لقد أراد بذلك حماية الرجل والمرأة مما ينطوي عليه صدرهما من ضعف، والقضاء الجذري على مصدر الشر"(٢).

---

(١) كتاب (المصريون)، ضمن أعماله الكاملة، تحقيق الدكتور محمد عمارة (ص٣٠٣). وكل ماسيأتي في الهوامش من قولي (السابق) فأقصد به هذه الأعمال التي جمعت كل ما كتب قاسم.

(٢) السابق (ص ٥٦).

ويقول "إننا نحس جميعاً أن لنا نظاماً يرسخ من الاتحاد بين الزوجين، فلا نعرف نساءً غير نسائنا، كما لا تعرف زوجاتنا رجالاً غيرنا، وهذا ما يجعلنا أزواجاً متفاهمين..."(١).

٢- دفاعه عن تعدد الزوجات: يقول: "نستطيع أن نخلص ـ كما رأينا ـ إلى أن تعدد الزوجات قد أقر ليضمن المأوى للمرأة والأبوة الأكيدة الدائمة للأبناء..."(٢).

٣- دفاعه عن نظام الطلاق : يقول : "إن حرية الطلاق شيء حسن، وإنها توثق روابط الزواج بدلاً من إضعافها..."(٣).

٤- نقده للنصرانية: يقول: "إن الإسلام يحرز كل يوم تقدماً... ويحدث هذا دون استخدام أسلحة، ودون توزيع نقود، ودون إرسال مبشرين، في حين أن الدين المسيحي الذي زيفه قسسكم، وطعن في وطنه باسم العلم والسياسة، يحاول الآن عبثاً أن يأخذ ثأراً متواضعاً..."(٤).

٥- هجومه على أوربا ونسائها:

يقول: ((المرأة الفرنسية حين تتزوج تصبح كائناً ناقصاً، وترتد إلى الطفولة ثانياً....))(٥).

ويقول: ((إن عادات بعض الطبقات الأوربية ساهمت ـ كما لو

---

(١) السابق (ص ٢٦١).

(٢) السابق (ص ٢٥٤).

(٣) السابق (ص ٢٥٧).

(٤) السابق (ص ٢٧٢) .

(٥) السابق (ص ٢٥٠).

كان ذلك عن قصد ـ في زيادة الفرص التي تيسر السقوط...))[١].

ويقول: ((تكشف الإحصاءات الفرنسية عن أن نسبة واحد وأربعين في المائة من نساء الهوى المعروفات رسمياً قاصرات، وأن أكثر من ربع المواليد المعروفين أبناء غير شرعيين، وأن المجتمع يفقد كل عام مائة وخمسين ألف طفل يُقتلون ساعة ولادتهم أو خلال الحمل...))[٢].

ويقول : ((إن ما هو القاعدة في أوربا ـ بخاصة فيما يتعلق بخيانة الأزواج ـ ليس في مصر إلا الاستثناء))[٣].

ويقول : ((إن في أوربا شراً كبيراً))[٤].

٦- مدحه للإسلام وأخلاقه:

يقول: ((إن الدين الإسلامي ـ في إيجاز ـ ينطوي على أنقى خلق عرفه الناس حتى اليوم، والقرآن كتاب يجمع أحسن الأخلاق))[٥].

ويقول: ((إن الأخلاق الإسلامية تخلق رجالاً طاهري الذيل، قادرين على تخطي أقسى التجارب دون تخاذل، كما أنه يمنحنا زوجات فضليات يضعن شرفهن كله في دعم بيت الزوجية وحسن إدارته))[٦].

٧- أنه حمل فيه على النساء المصريات المتأثرات بالغربيات، ومن ذلك قوله: ((إنني لا أرى الفائدة التي يمكن أن يجنيها النساء بممارسة

(١) السابق (ص ٢٦٠).

(٢) السابق (ص ٢٧٤).

(٣) السابق (ص ٢٦٢).

(٤) السابق (ص ٢٧٥).

(٥) السابق (ص ٢٧٩).

(٦) السابق (ص ٢٨٠).

حرف الرجال...إن مشهد الأم المتفانية يملؤني حناناً، كما يحرك شعوري مشهد الزوجة التي تعنى ببيتها، في حين أني لا أشعر بأية عاطفة حين أرى امرأة تهل على خطى الرجال، ممسكة كتاباً في يدها، وتهز ذراعي في عنف، وهي تصيح بي: كيف حالك يا عزيزي؟ بل لعلي أشعر بشيء غير بعيد عن النفور))[1].

وقوله عنهن: ((إنني أحتقر إدعاء النساء وتحذلقهن))[2].

وهذه الحملة على المصريات المتفرنجات هي سبب غضب إحدى الأميرات عليه ـ كما سيأتي ـ.

ولكن: ـ رغم هذا ـ يكتشف القارئ لرد قاسم على داركور!

١- أن قاسماً ألف كتابه هذا في لحظة غضب، حمية لأبناء وطنه الذين انتقدهم هذا الدوق الفرنسي، ولم يكن رده منبعثاً عن (اقتناع كامل) بجميع ما قاله! ويشهد لهذا:

٢- أن رده قد اتسم بالخنوع والذلة وعدم الثقة بما لديه في مقابل الخصم. ولهذا نجده :

- يقول عن خصمه: "صدقني يا سيدي دوق داركور..."[3].

- ويقول في مقدمة كتابه: "إنني استميح أصدقائي الأوربيين عذراً إذا كنت قد تحاملت أحياناً على أوربا، مؤكداً لهم أن هذا لا يقلل من حبي لهم))[4]!!.

---

(١) السابق (ص ٢٤٩).

(٢) السابق (ص ٢٤٩).

(٣) السابق (ص ٢٨٩).

(٤) السابق (ص ٢٢١).

- ويقول: "ألا يجدر بأوربا أن تعاملنا بحدب الأخت الكبرى؟ لماذا يا إلهي هذه الكراهية الحمقاء المتبادلة بين الجانبين"[(١)]!.

- ويقول: "يجب أن نحمل إنجلترا مسئولية مستقبل مصر، ما دامت تمسك بمصيرها بين يديها"[(٢)]!.

- ويقول: "لعل أوربا تقدر لمصر مسيرتها، ولعلها ترد لها بعض هذا الود الكبير الذي تكنه لها مصر"![(٣)].

٣- أنه يقرر في كتابه هذا ـ بفخر! ـ أن بلاده سوف تتابع خطى أوربا، ولكن لا تعجلوا علينا! أو تسخروا منا! .

- يقول قاسم: "ولهذا كان أمامها ـ أي مصر ـ طريقان: العودة إلى تقاليد الإسلام، أو محاكاة أوربا. وقد اختارت الطريق الثاني"[(٤)]!.

- "إن مصر تتحول إلى بلد أوربي بطريقة تثير الدهشة..."[(٥)].

- "لقد أخذ تأثير أوربا يتزايد في مصر منذ عصر سعيد حتى أصبح له في عصر إسماعيل سيطرة حقيقية علينا؛ إذ باتت كل أفعالنا ولفتاتنا خاضعة للأوامر الصادرة من مجلس وزراء باريس ولندن وبرلين، وأضحى وزراؤنا يميلون مرة إلى اليمين ومرة إلى اليسار، خاضعين دائماً لأوربا"[(٦)]!.

---

(١) السابق (ص ٣٠٢).

(٢) السابق (ص ٣٠٤).

(٣) السابق (ص ٢٣٢).

(٤) السابق (ص ٢٣٢).

(٥) السابق (ص ٢٣٢).

(٦) السابق (ص ٣٠٠).

٤- أنه تصدر منه بعض الفلتات تؤكد أن دفاعه عن الحجاب أو عدم الاختلاط إنما هو حمِيّة (لعادات) أبناء وطنه، وليس عن اقتناع شرعي بهما.

- فمن ذلك قوله عن المجتمع الأوربي: "يضم المجتمع الأوربي الرجال والنساء دائماً، فيسهل الاتصال بينهم، وتنشأ فيما بينهم علاقات آلفة وصداقة وحب، وهذا الاختلاط بين الجنسين في الاجتماعات يُسبغ، عليها عذوبة ورقة، فالسحر الذي تشيعه المرأة في كل مكان توجد فيه شيء ممتع ونفاذ كعطر الزهور. وفي مثل هذه الاجتماعات ينعم المرء دائماً بالمرح، وغالباً ما يتودد للغير، ويخرج في النهاية مفعم القلب بالرضا!"(١)!!.

فهل يقول مثل هذا الكلام من هو (مقتنع) بمفاسد الاختلاط بين الجنسين؟! أم أن الأمر لا يعود حمية وطنية سرعان ما تخبو ـ كما سيأتي ـ؟!

انتقال قاسم أمين إلى صف دعاة التحرير!

لما قرأت الأميرة (نازلي فاضل!)(٢) ـ وهي حفيدة إبراهيم باشا ـ

---

(١) السابق (ص ٢٥٨).

(٢) هي ابنة الأمير مصطفى فاضل باشا نجل إبراهيم باشا ابن محمد علي باشا. كان والدها يرى أنه أحق بعرش مصر من أخيه الخديوي إسماعيل، ومن هنا كانت نازلي تعلن الحرب على خديوي عصرها عباس، وتميل إلى الانجليز وتدعم المتعاونين معهم؛ من أمثال حزب الأمة. لا سيما وقد عادت إلى مصر بعد الاحتلال الإنجليزي! مما يبعث الريبة في سر هذا التوافق. اعتادت على حياة التحرر والصالونات المختلطة أثناء عيشها في الغرب فأرادت نقل ذلك لمصر. قال عنها محمد فريد في مذكراته: (كان لها شغف خصوصي بضباط الإنجليز وكانت تقابل الرجال على العادة الأوربية، وتحيي ليالي موسيقية في دارها، وتكثر من شرب الخمر..) انظر: (سعد زغلول: دوره في السياسة المصرية) لعبد الخالق لاشين (ص ٣٥).

=

كتاب قاسم أمين ولمزه للمصريات المتفرنجات علمت أنه لا يعني غيرها! لأنها كانت الوحيدة من نساء مصر التي تختلط بالرجال وتجالسهم في صالونها الذي افتتحته آنذاك ليكون مركزاً تبث منه الدعوة إلى التغريب عامة وإلى "تحرير المرأة" خاصة فغضبت منه أشد الغضب، وتهددت وتوعدت.

- قام الشيخ محمد عبده وسعد زغلول بتعنيف صاحبهما قاسم أمين، وطالبوه بالاعتذار من الأميرة! بعد أن أحضروه إلى صالونها.

يقول عبد العزيز البشري في احتفال بذكرى قاسم أمين : "إن قاسماً كان في مبدأ حياته من الرجعيين[1]، حتى إنه لما رد على الدوق (داركور) دافع عن الحجاب واستنكر السفور، فظنت الأميرة (نازلي فاضل) أنه يقصدها، فغضبت لذلك، ولكن سعداً قدم صديقه إليها، ولما رأى شدة عقلها ورجاحة حلمها ووثاقة فضلها! انقلب عن رأيه، وأخذ يطالب بتحرير المرأة"[2].

هذا ما يقوله البشري! ولعل الأقرب للصواب أن قاسماً في رده على (داركور) لم يصدر عن عقيدة راسخة في مواضيع المرأة ولا عن

= تنبيه: ذكر الشيخ: محمد بن إسماعيل في كتابه (عودة الحجاب ١/٢٨، ٣٨-٣٩) أن نازلي فاضل هذه هي زوجة الملك فؤاد وأم الملك فاروق، وأنها تنصرت هي وابنتها فتحية ! ـــ نسأل الله العافية ـــ. والصواب أن نازلي هذه غير تلك. فزوجة الملك فؤاد التي تنصرت [illegible] ابنتها هي: نازلي عبد الرحيم صبري باشا. انظر: (في أعقاب ثورة سنة ١٩١٩م) للمؤرخ المصري عبد الرحمن الرافعي. وانظر قصة تنصر ابنتها في كتاب (فضائح فاروق) لمحمد سعد (ص ٩٠-٩١).

(١) يقصد هذا السفيه بقوله (الرجعيين) من يتمسك بالشرع.

(٢) مذكرات هدى شعراوي (ص ٤٠٠)، دار الهلال.

تدين، وإنما كان يصدر عن حمية وطنية ـ كما سبق ـ ولهذا سهل عليه مناقضة رده بكتابه (تحرير المرأة) رغم الفارق الزمني اليسير بين الكتابين، لاسيما وقد واجهته ضغوط شديدة من شيخه محمد عبده، ومن صاحبه سعد زغلول غيرت موقفه إلى النقيض. وهكذا المسلم الذي لا تكون أساساته متينة، سرعان ما ينهار أمام الفتن والشبهات.

– بعد هذا أصدر قاسم كتابه (تحرير المرأة) إرضاءً للأميرة نازلي ومن معها واستجابة لرغباتهم، ودعا في هذا الكتاب إلى ما كان يدعو إليه (داركور) الذي سبق لقاسم أن رد عليه قبل خمس سنوات تقريباً!! فاللهم يا مقلب القلوب والأبصار ثبت قلوبنا على دينك. فصار حال قاسم:

يوماً يمانٍ إذا لاقيت ذا يمن وإن لقيتُ معدّياً فعدناني!

– ولتسهيل مهمة قاسم في تأليف كتابه (تحرير المرأة) فقد قام شيخ العصرانيين محمد عبده بمساعدته في كتابة بعض فصوله؛ لا سيما المتعلقة بالأمور الشرعية التي يجهلها قاسم أمين.

ولقد أثبت الباحث الدكتور محمد عمارة[1] بأن كتاب (تحرير المرأة) (إنما جاء ثمرة لعمل مشترك بين كل من الشيخ محمد عبده وقاسم أمين.. وأن في هذا الكتاب عدة فصول قد كتبها الأستاذ الإمام! وحده، وعدة فصول قد كتبها الإمام! وحده، وعدة فصول أخرى كتبها قاسم أمين)

(١) في مقدمته للأعمال الكاملة لقاسم أمين (ص ١٢٤ وما بعدها).

ثم ساق أدلته على ذلك. وأثبت أن (فصول "الحجاب الشرعي"، و"الزواج"، و"تعدد الزوجات" و"الطلاق" في كتاب تحرير المرأة إنما هي فكر خالص، وصياغة خالصة للأستاذ الإمام!....) أي محمد عبده.[(١)]

وأما سبب عدم مجاهرة محمد عبده بهذه الآراء التي جاهر بها قاسم أمين فهو أنه كان يخشى الحرج واستنكار العلماء والناس عليه؛ لأنه يعد من جملة الشيوخ المتخرجين من الأزهر، الذين لن يتقبل الناس منهم بسهولة مثل هذه الآراء المتحررة.

قاسم أمين لم يكن أول من دعا لتحرير المرأة[(٢)]:

فقد سبقه آخرون، ومهدوا له طريق التغريب، إضافة إلى أن الأحوال الاجتماعية في بلاده كانت مهيأة لمثل هذه الدعوة فقد سبقه إلى

---

(١) ويذهب بعض الباحثين؛ كالدكتور سيد أحمد فرج في كتابه (المؤامرة على المرأة المسلمة، تاريخ ووثائق) (ص ٧٦-٧٧) إلى أن قاسم أمين صاغ في كتابه أفكار شيخه محمد عبده، لا أن الشيخ كتبها بيده، والأمر ــ في نظري ــ سيان؛ لأن النتيجة واحدة، وهي أن هذه الأفكار التحررية خرجت من تحت عباءة الشيخ العصراني.

وقد ذكر أحمد لطفي السيد في مذكراته (ص ٣٧) أنه كان في جنيف عام ١٨٩٧، فجاءه (الشيخ محمد عبده، وسعد زغلول وقاسم أمين، وكان قاسم أمين وقتئذٍ يؤلف كتاب "تحرير المرأة" فقرأ علينا فصولاً منه مدة إقامته بيننا).

قلت: أما الدكتور مختار التهامي في كتابه (ثلاث معارك فكرية) فيرى أن كتاب "تحرير المرأة" كان عبارة عن مقالات متفرقة كان ينشرها قاسم في صحيفة "المؤيد" ابتداء من ٢٠/ مارس/ ١٨٩٩م. فليحرر.

(٢) ألخصها من كتاب (المرأة المصرية بين التطور والتحرر) للدكتور يونان لبيب رزق، وكتاب (الهلال: مائة عام من التحديث) لأحمد الطماوي، وكتاب (عودة الحجاب) للشيخ محمد بن إسماعيل، ومن بحث الدكتور محمد الرميحي المقدم لمؤتمر إشكالية المرأة المعاصرة في المجتمعات العربية والإسلامية، المنعقد في الكويت ما بين (٢٢-٢٦ ذو الحجة ١٤٢١هـ)، صادر عن جامعة الكويت.

هذا - على سبيل المثال -:

١- رفاعة الطهطاوي (ت ١٨٧٣م) في كتابه "تلخيص الإبريز في تلخيص باريز" (عام ١٨٣٤م)، وكتابه الآخر "المنهج الأمين لتعليم البنات والبنين" (عام ١٨٧٣م). وإن كانت دعوته أهدأ صوتاً من قاسم نظراً لخلفيته الشرعية.

٢- فارس الشدياق في كتابه "الساق على الساق.." المطبوع عام ١٨٥٥م.

٣- صدرت أول مجلة نسائية تحت عنوان "الفتاة" في نوفمبر عام (١٨٩٢م)، أي قبل ٧ سنوات من صدور كتاب "تحرير المرأة" لقاسم.

٤- مرقص فهمي الذي ألف كتابه "المرأة في الشرق" (عام ١٨٩٤م) داعياً فيه صراحة إلى القضاء على الحجاب الشرعي وغيره من الأفكار التي دعا إليها قاسم بعده. ولعله لم يلاق ما لاقاه قاسم من ردة فعل نظراً لكونه من أبناء النصارى الذين لا يستغرب المسلمون تحررهم، بخلاف (المسلم!) قاسم أمين.

٥- ذكر محمد طلعت حرب[١] في رده على قاسم أمين أن هناك من سبق قاسماً إلى الدعوة إلى مثل أفكاره؛ كأحد الأتراك في كتاب سماه (الرحلة الأصمعية)، وأمير علي أحد علماء الهند. ويشكك حرب في أن قاسماً ربما نقل أفكارهما إلى مصر بعد اطلاعه على كتابتهما[٢].

---

(١) أحد الوطنيين المصريين. كان موقفه في موضوع المرأة شرعياً، لكنه أساء في موضوع الاقتصاد؛ حيث كان أول من أنشأ بمصر (بنكاً) ربوياً !! فتتابع المسلمون (أفراداً ودولاً!) مقلدين له.

(٢) انظر: تربية المرأة والحجاب، لطلعت حرب (ص ٩-١٠ من التقريب الذي طبعته دار أضواء السلف، عام ١٤١٩هـ).

الخلاصة أن دعوة قاسم أمين "حدثت نتيجة تطورات اقتصادية واجتماعية وفكرية"[١]، يأتي في مقدمتها ـ في نظري ـ:

١- ضعف المسلمين وتسلط الأعداء عليهم (الاحتلال الإنجليزي لمصر الذي كان يؤيد مثل هذه الدعوات ـ كما سيأتي ـ).

٢- وجود من يعيش في مصر من غير المسلمين؛ كالنصارى واليهود الذين تحررت نساؤهم مبكراً، فمهدن لضعيفات الدين والعقول من بنات المسلمين أن يقلدنهن.

٣- وجود أنواع من الظلم والاحتقار كانت تقع على المرأة المسلمة، ولم يأت بها الشرع؛ كحرمانها من الميراث مثلاً، أو أنها لا تأكل مع زوجها... وهكذا. كل هذا أدى إلى انفلات بعض النساء المسلمات إلى الطرف المقابل وهو التحرير هرباً من هذا الظلم.. فكن كمن يستجير من الرمضاء بالنار.

٤- أن وسائل التأثير والإعلام كانت بيد أعداء الله من كفار ومنافقين؛ فاستغلوها في تمهيد المجتمع لتقبل دعوة التحرير.

إذن فدعوة التحرير قد سبقت قاسم أمين بسنين؛ لكنها عرفت به فكان (إمامها)[٢] بسبب تركيزه عليها، وقصر جهوده وكتاباته في سبيلها؛ إضافة إلى تسميته كتابه بهذا الاسم المثير "تحرير المرأة" الملاصق للفكرة.

قاسم أمين والخطوات المتدرجة:

عمد قاسم أمين إلى اتباع التدرج في دعوته إلى تحرير المرأة المسلمة،

---

(١) جريدة الحياة (العدد ١٤٢٤٧) مقال لنادية سعد بعنوان (قاسم أمين ليس رائد تحريرها).

(٢) مصداقاً لقوله تعالى: ﴿يوم ندعو كل أناس بإمامهم﴾.

والسير بخطوات شيطانية متزايدة نحو هذا الهدف.

فكان ـ كما يقول الدكتور سيد فرج ـ يخفي (شيئاً عن الناس في كتاب "تحرير المرأة" عزم على كشفه في كتابه "المرأة الجديدة". يقول قاسم أمين في أول صفحات الكتاب ـ أي تحرير المرأة ـ: إني لست ممن يطمع في تحقيق آماله في وقت قريب...)[1]

قلت: ويشهد لهذا هذه المقارنة بين الكتابين:

١- بينما كان قاسم أمين في كتابه (تحرير المرأة) يُكثر من الاستشهاد بالنصوص الشرعية، ويدعي الوقوف عندها والرضى بها! نجده في كتابه (المرأة الجديدة) لا يحفل بهذه النصوص الشرعية، وإنما يستبدلها بأقوال الغربيين!؛ كبول دروزيه، وسيملس، وشيلر، وروسو، وفنلون، ولامارتين، واستوارت ميل، وسبنسر، وأدمون ديمولان، وغيرهم! فهم الحجة وإليهم المرجع في شأن المرأة المسلمة!

يقول الأستاذ محمد محمد حسين ـ رحمه الله ـ: (غلب المنهج الغربي الحديث على كتابه الثاني "المرأة الجديدة")[2].

٢- بينما كان قاسم أمين في كتابه (تحرير المرأة) يزعم أنه يدافع عن الحجاب، ويكتفي فقط بالدعوة إلى كشف الوجه واليدين، نجده في كتابه (المرأة الجديدة) يشن حرباً ضد الحجاب الإسلامي، ويصفه بأبشع الصفات.

يقول قاسم في (تحرير المرأة): (إنني لا أزال أدافع عن الحجاب،

---

(١) المؤامرة على المرأة المسلمة (ص ٦٥).

(٢) الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر (١/ ٢٩٤).

واعتبره أصلاً من أصول الآداب التي يلزم التمسك بها)[١].

أما في (المرأة الجديدة) فيقول:

- (إن إلزام النساء بالحجاب هو أقسى وأفضع أشكال الاستعباد)[٢]

- (أما الحجاب فضرره أنه يحرم المرأة من حريتها الفطرية)[٣].

- (الحجاب عادة لا يليق استعمالها في عصرنا)[٤].

- (الكل متفقون على أن حجاب النساء هو سبب انحطاط الشرق)[٥] الكل: أي أسياده الغربيين !!.

- وأخيراً يقول : (أول عمل يعد خطوة في سبيل حرية المرأة هو تمزيق الحجاب)[٦]!!

وصدق الله: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلنَّارِۖ وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ وَٱلۡمَغۡفِرَةِ بِإِذۡنِهِۦ ﴾[٧].

٣- بينما كان قاسم أمين في كتابه (تحرير المرأة) يمدح النساء الغربيات على استحياء، نجده في كتابه (المرأة الجديدة) يجعلهن القدوة والنموذج للمرأة المسلمة! يكتب هذا بلغة صريحة جريئة.

---

(١) تحرير المرأة ، ضمن الأعمال الكاملة (ص ٣٥٠).

(٢) السابق (ص ٤٤١).

(٣) السابق (ص ٤٥٠).

(٤) السابق (ص ٤٩٩).

(٥) السابق (ص ٥٠٨).

(٦) السابق (ص ٤٤٢).

(٧) سورة البقرة الآية ٢٢١.

يقول قاسم: (دخلت المرأة الغربية في طور جديد، وأخذت في تثقيف عقلها وتهذيب أخلاقها شيئاً فشيئاً، ونالت حقوقها واحداً بعد الآخر، واشتركت مع الرجال في شئون الحياة البشرية، وشاركتهم في طلب العلم في المدرسة، وسماع الوعظ في الكنيسة، وجالستهم في منتديات الأدب، وحضرت في الجمعيات العلمية، وساحت في البلاد... هذا التحويل هو كل ما نقصده، غاية ما نسعى إليه هو أن تصل المرأة المصرية إلى هذا المقام الرفيع)[1].

ويقول: (ليس من الممكن أن تصل المرأة إلى هذه المنزلة الأدبية ما دامت في الحجاب، ولكن من السهل جداً أن تصل إليها بالحرية، تصل إليها كما وصلت إليها غيرها من النساء الغربيات. فإنا نرى أنه كلما زيد في حرية المرأة الغربية زاد عندها الشعور بالاحترام لنفسها ولزوجها ولعائلتها)[2]!!.

وينقل ـ مؤيداً ـ عن أحد الغربيين أنه أثنى على (كمال عفة النساء الإنكليزيات والإميركانيات والألمانيات)[3]!!

٤- بينما كان قاسم أمين في كتاب (تحرير المرأة) يمدح الإسلام ويثني على شرائعه، ويفضله على غيره، نجده في كتابه (المرأة الجديدة) يصف الإسلام بأبشع الصفات! ويفضل غيره عليه! ولو كان تراث اليونان!، وهو عندما يريد الطعن في دين الإسلام فإنه يسميه (التمدن الإسلامي)

---

(١) السابق (ص ٤٢٠-٤٢١).

(٢) السابق (ص ٤٥١).

(٣) السابق (ص ٤٥٢).

تلبيساً وحرجاً من عدم قبول المسلمين لمطاعنه تلك.

يقول عدو المرأة عن شرائع الإسلام: (أين هذه الفوضى من النظامات والقوانين التي وضعها الأوربيون لتأكيد روابط الزوجية وعلاقات الأهلية؟ بل أين هي من القوانين اليونانية الرومانية...)[١]! .

ويقول : (من الغريب أن المسلمين في جميع أزمان تمدنهم لم يبلغوا مبلغ الأمة اليونانية)[٢]! .

ويقول لامزاً الإسلام بأنه غير كامل!: (الكمال البشري لا يجب أن نبحث عنه في الماضي، بل إن أراد الله أن يمن على عباده فلا يكون إلا في المستقبل البعيد جداً)[٣]!.

ويقول معرضاً بأن الإسلام استعبد المرأة !: (عاشت المرأة حرة في العصور الأولى، حيث كانت الإنسانية لم تزل في مهدها، ثم بعد تشكيل العائلة وقعت في الاستعباد الحقيقي)[٤].

إذاً: فقد كان كتاب (تحرير المرأة) تمهيداً لما بعده، وخطوة أولى في طريق تدمير المرأة المسلمة، ثم جاء الكتاب الثاني (المرأة الجديدة) مكملاً له، مع جرأة في الطرح، وآمال تغريبية أكبر. وهكذا هي (خطوات الشيطان) تسلخ المرء عن شرع الله شيئاً فشيئاً وهو يظن أنه يتطور إلى الأفضل والأحسن، ﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا ﴾[٥].

---

(١) السابق (ص ٤٩٧).

(٢) السابق (٤٩٦).

(٣) السابق (ص ٤٩٨).

(٤) السابق (ص ٤٣٢).

(٥) سورة فاطر الآية ٨.

إلى ماذا كان يدعو في كتابه ؟! وماذا كان يخفي ؟ !

كما ذكرت سابقاً فقد كان قاسم في كتابه (تحرير المرأة) ينسج على منوال الشيطان في خطواته، فهو كشأن أي مفسد أو منحرف يريد نشر فساده وانحرافه بين الأمة لابد له أن (يقولب) هذا الفساد والانحراف في قالب إسلامي، ليضمن قبول الناس له، ثم بعد أن يثبت الخطوة الأولى للفساد والانحراف تبدأ عقبها الخطوات الأخرى بسهولة أكثر.

ولو تأمل متأمل في تاريخنا كله لوجد ضرر هذه الطائفة (المنافقة) على الأمة أشد كثيراً من ضرر أعدائها، ولهذا جاءت النصوص الشرعية تحذر منهم، وتصفهم بأنهم: ﴿ هُمُ ٱلْعَدُوُّ ﴾ ، وتأمر بالحذر منهم والإرصاد لهم.

ولكنها في المقابل أخبرت بأن في الأمة من يسمع لهم: ﴿ وَفِيكُمْ سَمَّـٰعُونَ لَهُمْ ﴾[1] ، وأنهم: ﴿ وَإِن يَقُولُواْ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ﴾[2]، وأنهم لا يُعْرفون إلا: ﴿ فِي لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ﴾، كل هذا الخفاء بسبب أنهم يمزجون انحرافاتهم وفسادهم بمزيج شرعي يوصلهم إلى أهدافهم.

فالفرق بين المصلح والمفسد في معظم الأفكار التي تطرح لتطوير المجتمعات الإسلامية فرق يسير في الظاهر وفي الحال، ولكنه كبير في الباطن وفي المآل.

وما مثال المصلح من المفسد في هذه القضايا المطروحة في مجتمعات

---

(١) سورة التوبة الآية ٤٧.

(٢) سورة المنافقون الآية ٤.

المسلمين إلا كمثل رجلين رأيا شجرة مثمرة حولها بعض الحشائش الضارة، وينقصها بعض السماد والماء ليدوم خيرها ويتبارك نماؤها. أما الأول (وهو المصلح) فقد قام بسقيها وتسميدها وقلع الحشائش الضارة من حولها (فآتت أكلها ضعفين).

وأما الثاني: (وهو المفسد)، فهو قد زعم للناس بأنه سيخلصها من الحشائش الضارة التي أفسدت عليها نموها، وقام متظاهراً بقلع هذه الحشائش طالباً نجدة الناس له في مهمته تلك، إلا أنه أخذ يقلع الشجرة غصناً غصناً مع هذه الحشائش. فإن لم يدركه العقلاء، وإلا خسروا هذه الشجرة المباركة.

هذا مثل مناسب لحال هؤلاء المفسدين الذين يزعمون أنهم في دعواتهم وأفكارهم يخدمون الأمة ويقودونها نحو التقدم، ويخلصونها من الأضرار التي تعوقها.

وهكذا كان قاسم أمين في كتابه "تحرير المرأة"، فهو قد طرح في هذا الكتاب أفكاراً (باطنها فيه الرحمة وظاهرها من قبله العذاب) ، كانت بمثابة الخطوة الأولى نحو سفور المرأة المسلمة وتقليدها للكافرات في كل أمورها ـ والعياذ بالله ـ.

فهو قد اقتصر في هذا الكتاب على هذه الأفكار:

١- الدعوة إلى تعليم المرأة ولو كان التعليم الابتدائي مؤقتاً.

وهذا ـ كما هو معلوم ـ مطلب شرعي تؤيده النصوص ولا تعارضه.

ولكن الفرق بين (المصلح) و(المفسد) في هذا الموضوع يكمن في

أمرين:

١- ماذا تتعلم المرأة؟

٢- كيف تتعلم؟

وكلاهما لم يوضحه قاسم!! ولكن من تأمل و(تلمح) في كتابه يجده قد ألمح أن هذا التعليم سيكون كتعليم الغربيات ! مع تحسينه (للاختلاط) في هذا التعليم[1]!

يقول قاسم: (من المشاهد التي لا جدال فيه! أن نساء أمريكا هن أكثر نساء الأرض تمتعاً بالحرية، وهن أكثرهن اختلاطاً بالرجال، حتى أن البنات في صباهن يتعلمن مع الصبيان في مدرسة واحدة، فتقعد البنت بجانب الصبي لتلقي العلوم، ومع هذا يقول المطلعون على أحوال أمريكا أن نساءها أحفظ للأعراض وأقوم أخلاقاً من غيرهن)[2]!!

إذن: لو قيل لقاسم: لا مانع لدينا أن تتعلم المرأة ؛ لأن هذا ما أتت به شريعة الرحمن، ولكننا سنعلمها الأمور التي تنفعها في دينها، وفي دنياها الملائمة لطبيعتها، وسيكون تعليمها دون اختلاط.

هل تراه يوافق؟!

لا ! لأن (الهدف) هو غير التعليم! وهكذا شأن المفسدين في (جميع) القضايا المتعلقة بالمرأة .

٢- الدعوة بأن تسفر المرأة عن وجهها؛ زاعماً بأن هذا هو الحجاب

---

(١) ومما يشهد لهذا أن صاحبه أحمد لطفي السيد هو صاحب فكرة (الاختلاط) في الجامعة المصرية، وقد نفذ هذه الفكرة فعلياً بمؤامرة مع صاحبه (طه حسين). انظر تفاصيل ذلك في كتاب (أحمد لطفي السيد) للدكتور حسين النجار (ص ٣١٧ وما بعدها). ومذكرات هدى شعراوي (ص ٤٢٧).

(٢) السابق (ص ٣٦٤).

الشرعي؛ ولهذا فهو متحمس لرد الناس إليه !!

ما أشد ورعك يا قاسم!

لو كانت دعوتك هذه في محيط متبرج قد ولى ظهره للفضيلة متهاوياً في دركات الرذيلة، لقلنا لعلها خطوة أولى تعيدهم إلى جادة الصواب.

أما أن تأتي إلى مجتمع قد تدثر نساؤه بدثار الفضيلة، والتزم حكم الله في إسباله الحجاب على وجوه نسائه ثم تطالبهم بالسفور!، فهذا ما يجعل العقلاء يحكمون على دعوتك بأنها دعوة إلى الفساد، وخطوة أولى نحو تدمير المرأة وتهتكها بعد أن تهتك حجابها .

ثم تفتري بأن تغطية الوجه لم يأت بها الشرع! فهذا من أشد العجب، ومما يشهد بأن هدفك الإفساد لا الإصلاح.

فانظر إلى وقاحة وجرأة هذا المفتون وادعائه الورع الكاذب في قوله: (لو أن في الشريعة الإسلامية نصوصاً تقضي بالحجاب على ما هو معروف الآن عند بعض المسلمين لوجب عليّ اجتناب البحث فيه، ولما كتبت حرفاً يخالف تلك النصوص مهما كانت)[1]!!

٣- الهجوم على تعدد الزوجات وتضييقه : فهو يرى أن التعدد يعد (احتقاراً شديداً للمرأة)[2]

وأنه يجب أن لا يسمح بالتعدد إلا في حالتين:

أ- أن تكون الزوجة مريضة.

ب- أو أن تكون لا تنجب[3].

---

(١) السابق (ص ٣٥٢).

(٢) السابق (ص ٣٩٣).

(٣) السابق (ص ٣٩٥).

قلت: وفي هذا تقبيح لما ارتضاه الله، وتحجير لما وسعه على عباده؛ لأن التعدد أمر شرعي، لا حرج منه، مع لزوم العدل بين الزوجات، ومن حاف أو ظلم فليتحمل وزره يوم القيامة. ولكن حيف بعض الرجال وظلمهم لنسائهم لا يسوغ لنا أن نقيد ما أطلقه الله، أو أن نضيق ما وسعه، فنشرع لأنفسنا ما لم يشرعه الله ـ ﷻ ـ.

٤- تقييد الطلاق: وقد خلط لأجل هذا الأمر بين أشياء حسنة وأخرى سيئة. فمن الحسن مثلاً: أنه يرى أن الحاكم يجب أن تحكم بأن الطلاق الثلاث في مجلس واحد لا يقع إلا واحدة[1]، كما هو القول الصحيح.

ومن الأشياء السيئة: أنه يعتد بأقوال أهل البدع؛ كالرافضة، أو زعمه بأن الشهادة على الطلاق شرط لصحة وقوعه، أو إلزامه المطلق بأن يطلق زوجته أمام القاضي! ونحو هذه التحكمات[2] التي يظنها تقيد الطلاق وتنصر المرأة، وهو يخالف بها شرع الله الذي يريد بنا اليسر لا العسر.

هذه الأمور الأربعة هي التي يدور عليها كتاب "تحرير المرأة"، وهي التي ارتضاها قاسم ومن وراءه! مؤقتاً لتكون منطلقاً إلى غيرها من خطوات (التحرير) إذا ما تقبلها المجتمع المصري المسلم.

---

(١) السابق (ص ٤٠٣).

(٢) السابق (ص ٤٠٣). ويرى الدكتور محمد محمد حسين ــ رحمه الله ــ في كتابه (الاتجاهات الوطنية ١/٣٠٠) أن تصور قاسم لهذا الأمر (مستمد من العادات الغربية والقوانين الكنسية)؛ أي لأنه يضيق أمر الطلاق حتى يشابه تشريع النصارى.

الأفكار والأساليب التي استفادها المتحررون من كتاب قاسم:

لقد ذكرت في مقدمة الكتاب بأن أهل التحرير قد اتخذوا من كتاب قاسم أمين "تحرير المرأة" كتاباً مقدساً يصدرون عنه في أقوالهم؛ لاسيما في المجتمعات المسلمة التي لم تخط خطواتها الأولى نحو "التحرير" ! وفي ظني أن السبب الذي جعل هؤلاء المتحررين والمتحررات يخضعون لكتاب قاسم هو ما اوتيه الرجل من ذكاء ومعرفة بأساليب التغيير وبث الشبهات، وقدرة فائقة على إقناع السذج، يعرف هذا من خبر كتابه؛ حيث كفى القوم في هذا الأمر، حبكاً للشبهات، وصياغة لها.

ولهذا نجد هؤلاء المتحررين والمتحررات ـ عند تأمل كتاباتهم ـ مجرد صدى لصوت قاسم في كتاب "تحرير المرأة" .

وفيما يلي سأسرد أبرز الشبهات والأساليب الماكرة التي ذكرها قاسم في كتابه لإقناع الناس بأفكاره المفسدة، وذلك من خلال عرض أقواله ـ كما هي ـ، حيث ستجدها لا زالت تردد في كتابات أهل التحرير إلى يومنا هذا مع تغييرات طفيفة في بعضها لزوم العصر!:

١ –التفريق بين الدين والعادات:

يقول قاسم: (ليس في أحكام الديانة الإسلامية ولا فيما ترمي إليه من مقاصدها ما يمكن أن يُنسب إليه انحطاط المرأة المسلمة. بل الأمر بالعكس فإنها أكسبتها مقاماً رفيعاً في الهيئة الاجتماعية .

لكن، وآسفاه! قد تغلبت على هذا الدين الجميل أخلاق سيئة ورثناها عن الأمم التي انتشر فيها الإسلام ودخلت فيه حاملة لما كانت عليه من عوائد وأوهام، ولم يكن العرفان قد بلغ بتلك الأمم حداً يصل

بالمرأة إلى المقام الذي أحلتها الشريعة فيه)[١].

ويقول: (لو كانت عوائدنا فيما يتعلق بالنساء لها أساس في شريعتنا لكان في ميلنا إلى المحافظة عليها ما يشفع لنا. أما وقد برهنا على أن كل ما عرضناه من أوجه الإصلاح يتفق تمام الاتفاق مع أحكام الشريعة ومقاصدها. فلم يبق لنا عذر في التمسك بها سوى أنها قد تقدست بمرور الزمان الطويل)[٢].

ويقول: (سيقول قوم إن ما أنشره اليوم بدعة. فأقول: نعم أتيت ببدعة ولكنها ليست في الإسلام، بل في العوائد وطرق المعاملة التي يُحمد طلب الكمال فيها)[٣].

تعليق: يعمد أهل التحرر إلى إيهام المسلمين بأنهم إنما يحاربون (العادات) أو(التقاليد) لا (الإسلام) أو (الشريعة)؛ لكي يتقبل المسلمون دعوتهم، ولكي لا يواجهوا بردة فعل منهم. ولو تأملت في (عاداتهم) و(تقاليدهم) التي يحاربونها لوجدتها أموراً شرعية، بل من الثوابت أحياناً! ولكنه التلبيس والمكر ـ عافانا الله من ذلك ـ.

٢- مدح الإسلام بألفاظ عامة:

يقول قاسم: (سبق الشرع الإسلامي كل شريعة سواه في تقرير مساواة المرأة للرجل، فأعلن حريتها واستقلالها يوم كانت في حضيض الانحطاط عند جميع الأمم...الخ)[٤].

---

(١) السابق (ص ٣٢٦).

(٢) السابق (ص ٤١٢).

(٣) السابق (ص ٣٢٣).

(٤) السابق (ص ٣٢٥).

ويقول: (ذهب جمهور الأوروباويين وتبعهم قسم عظيم من نخبة المسلمين، إلى أن الدين هو السبب الوحيد في انحطاط المسلمين وتأخرهم عن غيرهم، حتى الذين يشاركونهم في الإقليم ويساكنونهم في البلد الواحد. ولم يقصد أحد منهم، خصوصاً أفاضل المسلمين المشتغلين بأحوال الأمم الإسلامية، أن يتهم الدين الإسلامي الحقيقي بأنه السبب في انحطاط المسلمين، فإن كل من عرف هذا الدين من الأجانب، فضلاً عن أبنائه المنتسبين إليه، يجل قدره ويحترمه ويعترف أن آثاره الماضية في الأمم التي انتشر بينها برهنت على أنه وسيلة من أفضل الوسائل، وعامل من أقوى العوامل التي تسوق الإنسان في طريق الترقي والتقدم إلى غايات السعادة)[١].

تعليق: يمدح المتحررون الإسلام والشريعة بألفاظ عامة توهم السذج بأنهم راضون بدين الله. وما دروا أن القوم يخفون من وراء هذا المديح الزائف أهدافاً إفسادية. وسبب المديح ـ كما سبق ـ أن يتقبل الناس دعوتهم، وأن يظنوهم إنما يحاربون (العادات) و(التقاليد) الضارة لا الإسلام الذي يمدحونه بهذه العموميات الجوفاء. وصدق الله القائل عن أسلافهم: ﴿ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ لَكَـٰذِبُونَ ﴾[٢]ولو كان مديحهم صادقاً لارتضوا أحكام هذا الدين العظيم والتزموها وكفوا عن محاربتها أو إبداء الكراهية لها ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ

(١) السابق (ص ٢٧٦-٢٧٧).

(٢) سورة المنافقون الآية ١.

خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴾

٣- التضجر من اعتزاز المسلمين بدينهم، وأن الله قد أكمله وارتضاه لهم:

يقول قاسم: (العار أن نظن في أنفسنا الكمال وننكر نقائصنا، وندعي أن عوائدنا هي أحسن العوائد في كل زمان ومكان)[1].

تعليق: كثيراً ما يتأفف المتحررون من فخر المسلمين بدينهم وبأحكام شريعتهم اتباعاً لقوله تعالى: ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ ﴾[2]. ولكن هذا يضايق المتحررين؛ لأنه يشكل حاجزاً أمام إفسادهم؛ لعلمهم بأن المسلمين مهما ضعفوا لن يرضوا بغير أحكام ربهم (التي يصفها المتحررون بالعادات والتقاليد تلبيساً!) لن يرضوا بغيرها بديلاً.

وتلمس هذا من التضجر المستمر لأفراخ المتحررين عندنا من ما يسمونه تلبيساً (خصوصيتنا) أو (خصوصية المجتمع)! وما هي إلا (أحكام الشريعة) التي لا زالت سائدة لدينا ـ ولله الحمد ـ وتقف أمام مخططاتهم وإفسادهم.

٤- التدرج في التحرر:

يقول قاسم: (في رأيي أن المرأة لا يمكنها أن تدبر منزلها إلا بعد تحصيل مقدار معلوم من المعارف العقلية والأدبية؛ فيجب أن تتعلم كل

---

(١) السابق (ص ٣٢٠).

(٢) سورة يونس الآية ٥٨.

ما ينبغي أن يتعلمه الرجل من التعليم الابتدائي على الأقل)[(١)].

ويقول: (لست ممن يطلب المساواة بين المرأة والرجل في التعليم فذلك غير ضروري، وإنما أطلب الآن ولا أتردد في الطلب أن توجد هذه المساواة في التعليم الابتدائي على الأقل)[(٢)].

ويقول: (إن الإطلاق الذي نطالب به هو محدود يحظر الخلوة مع الأجنبي، وفي هذا الحظر ما يكفي لاتقاء المفاسد التي لا تتولد إلا من الخلوة)[(٣)].

ويقول: (أنا لا أقصد رفع الحجاب الآن دفعة واحدة)[(٤)].

تعليق: يلجأ المتحررون في دعوتهم إلى اتباع أسلوب التدرج في الخطوات كشأن شيخهم إبليس؛ وذلك ليتم تقبل المجتمع المسلم لفسادهم.

فعلى سبيل المثال: يتظاهر قاسم أمين بأنه لا يريد سوى أن تتعلم المرأة التعليم الابتدائي، وتكشف وجهها ويديها فقط، ولا تخلو بالأجانب. ولكنه ـ كما سبق ـ يرجئ الخطوات الأخرى إلى مرحلة لاحقة بعد تقبل المجتمع لأفكاره الأولى. وهذا ما حدث للأسف، فقد انخدع كثير من الناس بدعوته حتى تدرج بهم في دركات الفساد؛ من سفور واختلاط ونبذ لأحكام الشريعة.

وهكذا يفعل المتحررون بعده؛ يبدأون بخطوة أولى ينخدع بها

---

(١) السابق (ص ٣٢٩).

(٢) السابق (ص ٣٤٤).

(٣) السابق (ص ٣٦٩).

(٤) السابق (ص ٣٧٣).

البسطاء، ثم تتوالى الخطوات.. (قارن ذلك بإلحاحهم على إصدار بطاقة للمرأة تحمل صورتها؛ حتى إذا اعتادت على السفور بواسطة الصورة، انتقلوا إلى السفور على أرض الواقع).

٥- الحجاب عادة وليس عبادة:

يقول قاسم: (إن الحجاب الموجود عندنا ليس خاصاً بنا، ولا أن المسلمين هم الذين استحدثوه، ولكنه عادة، معروفة عند كل الأمم تقريباً) [١].

ويقول: (الحق أن الانتقاب والتبرقع ليسا من المشروعات الإسلامية؛ لا للتعبد ولا للأدب، بل هما من العادات القديمة السابقة على الإسلام) [٢].

ويقول: (لا نجد نصاً في الشريعة يوجب الحجاب على هذه الطريقة المعهودة، وإنما هي عادة عرضت عليهم من مخالطة بعض الأمم فاستحسنوها وأخذوا بها، وبالغوا فيها، وألبسوها لباس الدين؛ كسائر العادات الضارة التي تمكنت في الناس باسم الدين والدين براء منها) [٣].

تعليق: سبق أن المتحررين يعلنون دائماً أنهم ضد العادات وليسوا ضد الإسلام، وهم كذبة؛ لأنهم يجعلون شعائر الإسلام ضمن العادات التي يحاربونها.

مثال ذلك: تركيزهم على أن الحجاب (أي ستر الوجه) من

---

(١) السابق (ص ٣٥١).

(٢) السابق (ص ٣٥٧).

(٣) السابق (ص ٣٥٢).

العادات لا من العبادات، وهم يعلمون أن الشريعة قد جاءت بالأمر به، لكنهم يخشون الاعتراف بهذا؛ لأنه يحبط كيدهم.

٦- الهجوم على الحجاب وتشويهه:

يقول قاسم: (إن الحجاب على ما آلفناه مانع عظيم يحول بين المرأة وارتقائها، وبذلك يحول بين الأمة وتقدمها)[1].

ويقول: (إن الضرر في الحجاب عظيم)[2].

تعليق: يحاول المتحررون تقبيح الحجاب الشرعي بشتى الأساليب، ووصفه بأبشع الصفات؛ تنفيراً للمسلمات منه، لكي يضطروهن للسفور. ويتفاوت هذا الهجوم بين مجتمع وآخر بحسب مقياس التدين بين أفراده!

٧- تزيين السفور وتوابعه:

يقول قاسم: (إن المرأة التي تحافظ على شرفها وعفتها وتصون نفسها عما يوجب العار وهي مطلقة غير محجوبة لها من الفضل والأجر أضعاف ما يكون للمرأة المحجوبة؛ فإن عفة هذه قهرية أما عفة الأخرى فهي اختيارية، والفرق كبير بينهما)[3].

ويقول: (إن المرأة التي تخالط الرجال تكون أبعد عن الأفكار السيئة من المرأة المحجوبة)[4].

---

(١) السابق (ص ٣٦٠).

(٢) السابق (ص ٣٦٢).

(٣) السابق (ص ٣٦٦).

(٤) السابق (ص ١٦٥).

تعليق: بعد أن يقبح المتحررون الحجاب الشرعي يبدأون في مدح مقابله وهو السفور والتحرر، ويصفونه بأحسن الصفات؛ قلباً للحقائق، مصداقاً لقوله تعالى عن المنافقين بأنهم: ﴿ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ ﴾[1]، وهكذا هم أصحاب القلوب المنكوسة يرون حسناً ما ليس بالحسن.

٨- نصف الأمة معطل!

يقول قاسم: (إن النساء في كل بلد يقدرن نصف سكانه على الأقل فبقاؤهن في الجهل حرمان من الانتفاع بأعمال نصف عدد الأمة)[2].

تعليق: هذا الأمر لا تكاد تخلو منه كتابات المتحررين؛ وهو الزعم بأن (نصف الأمة معطل)، وهم النساء إذا التزمن أحكام الشريعة، أو قولهم (المجتمع يتنفس برئة واحدة!)، أو (يطير بجناح واحد!)، ونحو هذه العبارات المخادعة التي توهم السذج بأن النساء إذا لم يخرجن ويتحررن فإنهن يبقين معطلات في البيوت[3]، ونسي هؤلاء المفسدون بأن المرأة تنتج أكثر من الرجل من خلال رعايتها لبيتها وتربيتها لأولادها، ولكن ﴿ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ﴾ ، فللرجل أعماله المناسبة له، كما للمرأة ذلك.

وهكذا خلق الله الجنسين في توافق وتكامل.

---

(١) سورة التوبة الآية ٦٧.

(٢) السابق (ص ٣٣٠).

(٣) للأستاذين محمود الجوهري ومحمد عبد الحكيم خيال رد جميل على هذه المقولة في كتابهما (الأخوات المسلمات وبناء الأسرة القرآنية).

٩- تضخيم واستغلال الظلم الواقع على بعض النساء:

يقول قاسم: (نرى النساء كل يوم في اضطرار إلى تسليم أموالهن إلى قريب أو أجنبي، ونرى وكلاءهن يشتغلون بشئون أنفسهم أكثر مما يشتغلون بشئون موكلاتهم، فلا يمضي زمن قليل إلا وقد اغتنى الوكيل وافتقر الأصلي)[١].

ويقول: (نرى النساء يضعن أختامهن على حساب أو مستند أو عقد يجهلن موضوعه أو قيمته؛ لعدم إدراكهن كل ما يحتوي عليه، أو عدم كفاءتهن لفهم ما أودعه فتجرد الواحدة منهن عن حقوقها الثابتة بتزوير أو غش أو اختلاس يرتكبه زوجها أو أحد أقاربها أو وكيلها. فهل كان يقع ذلك لو كانت المرأة متعلمة؟)[٢].

ويقول: (ومن غريب وسائل التحقيق أن تحضر المرأة مغلفة من رأسها إلى قدميها، أو تقف من وراء ستار أو باب ويقال للرجل: هاهي فلانة التي تريد أن تبيعك دارها أو تقيمك وكيلاً في زواجها مثلاً، فتقول المرأة: بعت، أو وكلت. ويكفي بشهادة شاهدين من الأقارب أو الأجانب على أنها هي التي باعت أو وكلت، والحال أنه ليس في هذه الأعمال ضمانة يطمئن لها أحد، وكثيراً ما أظهرت الوقائع القضائية سهولة استعمال الغش والتزوير في مثل هذه الأموال...الخ)[٣].

تعليق: يلجأ المتحررون إلى تضخيم ما يقع على بعض النساء من

---

(١) السابق (ص ٣٣٢).

(٢) السابق (ص ٣٣٢).

(٣) السابق (ص ٣٥٤).

ظلم واستغلال، لا سيما والإعلام اليوم بيدهم في معظم الدول، ثم يستغلون هذا الظلم الذي لا تخلو منه المجتمعات سواء على المرأة أو على غيرها! في محاولة تمرير أفكارهم أو اقتراح حلول مخالفة للشريعة قد يتقبلها بعض السذج فراراً إليها من الظلم؛ فيكونون كالمستجير من الرمضاء بالنار. (قارن ببطاقة المرأة التي يشترطون لها الصورة! مع إمكانية حفظ حقوق المرأة بوسائل متقدمة أخرى، ولكن الهدف ليس رفع الظلم، إنما الإفساد!).

١٠- استغلال احتقار المرأة في بعض المجتمعات:

يقول قاسم: (من احتقار الرجل المرأة أن يملأ بيته بجوار بيض أو سود أو بزوجات متعددة، يهوي إلى أيهن شاء، مقاداً إلى الشهوة مسوقاً بباعث الترف وحب استيفاء اللذة، غير مبال بما فرضه عليه الدين من حسن القصد فيما يعمل، ولا بما أوجبه عليه من العدل فيما يأتي.

من احتقار المرأة أن يطلق الرجل زوجته بلا سبب.

من احتقار المرأة أن يقعد الرجل على مائدة الطعام وحده ثم تجتمع النساء، من أم وأخت وزوجة، ويأكلن ما فضل منه...

من احتقار المرأة أن يسجنها في منزل ويفتخر بأنها لا تخرج منه إلا محمولة على النعش إلى القبر.

من احتقار المرأة أن يعلن الرجال أن النساء لسن محلاً للثقة والأمانة)[1].

تعليق: يلجأ المتحررون إلى استغلال ما يقع من احتقار للمرأة في

---

(١) السابق (ص ٣٢٧)

بعض المجتمعات الإسلامية لا يقره الشرع، ولكنهم يستغلون ذلك في إقحام أمور شرعية مع تلك العادات الجاهلية بدعوى أن فيها احتقاراً للمرأة! تلبيساً على الناس. ولو أنهم اقتصروا في دعوتهم على محاربة العادات الجاهلية المحقرة للمرأة التي لم ينزل الله بها سلطاناً لوجدوا أن أهل الإسلام أول من يعينهم. ولكنهم لا يستطيعون ذلك ! لأن الهدف هو محاربة أحكام الشريعة أولاً ثم العادات الجاهلية ثانياً!

١١- استغلال عواطف الناس (لاسيما النساء!):

يقول قاسم: (أي نفس حساسة ترضى بالمعيشة في قفص مقصوصة الجناح مطأطئة الرأس مغمضة العينين، وهذا الفضاء الواسع الذي لا نهاية له أمامها، السماء فوقها، والنجوم تلعب ببصرها، وأرواح الكون تناجيها وتوحي إليها الآمال والرغائب في فتح أسرارها؟)[١] .

ويقول: (جرنا حبنا لحجاب النساء إلى إفساد صحتهن؛ فألزمناهن القعود في المساكن، وحرمناهن الهواء والشمس وسائر أنواع الرياضة البدنية والعقلية)[٢].

تعليق: يستخدم المتحررون في دعوتهم أسلوب (تهيج العواطف)، لكسب أصوات الناس في صفهم؛ لأن الإنسان مجبول بطبعه على كراهية الظلم والسجن، فيستغل هؤلاء الأبالسة هذه الصفة (لاسيما عند النساء) باستخدام عبارات تبالغ في وصف النساء المظلومات المسجونات مكسورات الجناح....الخ في لغة متباكية حزينة! حتى يتم

---

(١) السابق (ص ٣٣٢).

(٢) السابق (ص ٣٦٤).

استدراج القراء وتهيئتهم للحل الوحيد لرفع هذا الظلم، وهو التحرر! فيصدق فيهم المثل الشهير: "لا تنظر إلى بكاء عينيه ولكن انظر إلى صنيع يديه" !

وتأمل قوله: (وحرمناهن الهواء والشمس) !!! لتعلم مدى كيد الرجل وكذبه واستغلاله للعواطف.

وأما قوله: (وسائر أنواع الرياضة البدنية) فهو ما يدندن عليه المتحررون عندنا عندما يطالبون بالرياضة في مدارس البنات! ألم أقل لكم بأن القوم أتباع لإمامهم في الضلالة في كل صغيرة وكبيرة ؟!.

١٢- الغلو في مدح الغرب ونسائه والخضوع لهم:

يقول قاسم: (تدخل بيت الغربي من أهل الطبقة الوسطى فتجده أتم نظاماً وأكمل ترتيباً وأجمل أثاثاً من بيت الشرقي من أهل طبقته)[١].

ويقول: (إننا نرى أن تربية المرأة في البلاد الغربية تفوق تربية الرجال...)[٢].

يقول: (من المشاهد التي لا جدال فيها أن نساء أمريكا هن أكثر نساء الأرض تمتعاً بالحرية، وهن أكثر اختلاطاً بالرجال، حتى أن البنات في صباهن يتعلمن مع الصبيان في مدرسة واحد، فتقعد البنت بجانب الصبي لتلقي العلوم، ومع هذا يقول المطلعون على أحوال أمريكا: إن نساءها أحفظ للأعراض وأقوم أخلاقاً من غيرهن، وينسبون صلاحهن إلى شدة الاختلاط بين الصنفين من الرجال والنساء في جميع أدوار

---

(١) السابق (ص ٣٧١).

(٢) السابق (ص ٣٤٣).

الحياة)[١]!!

ويقول عابد الغرب: (هل يظن المصريون أن رجال أوروبا، مع أنهم بلغو من كمال العقل والشعور مبلغاً مكنهم من اكتشاف قوة البخار والكهرباء واستخدامها على ما نشاهده بأعيننا، وأن تلك النفوس التي تخاطر في كل يوم بحياتها في طلب العلم والمعالي وتفضل الشرف على لذة الحياة، هل يظنون أن تلك العقول وتلك النفوس التي نعجب بآثارها يمكن أن يغيب عنها معرفة الوسائل لصيانة المرأة وحفظ عفتها؟! هل يظنون أن أولئك القوم يتركون الحجاب بعد تمكنه عندهم لو رأوا خيراً فيه؟ كلا!. وإنما الإفراط في الحجاب من الوسائل التي تبادر عقول السذج وتركن إليها نفوسهم ولكنها يمجها كل عقل مهذب وكل شعور رقيق)[٢]!.

تعليق: الغرب برجاله ونسائه وجميع ما فيه هو قبلة المتحررين وقدوتهم، إليه يتوجهون، وبأوامره يأتمرون، وبنواهيه ينتهون، وهو المحلل عندهم والمحرم، وهو المحسِّن والمقبح .

ولا تعجب من ذلك ! فهكذا شأن العبد مع سيده . وهؤلاء المتحررون ما هم إلا عبيد لهذا الغربي الكافر.

فتنهم بمعرفته (ظاهر الحياة الدنيا) فأسلموه قيادتهم، ونبذوا دينهم لأجل ذلك، فصدق فيهم قوله ـ ﷺ ـ: **"لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه".**

---

(١) السابق (ص ٣٦٤).

(٢) السابق (ص ٣٧١).

وقد دخل المتحررون جحر الضب! كما ترى ذلك في كتاباتهم الممجدة للغرب وما عنده.

وليتهم إذ قلدوا الغرب قلدوه في (دنياه) و(تقنيته) التي حازها وسبق غيره إليها[1]، لكنا إذاً معهم، ولكنهم جلبوا لنا سيئاته ومخلفاته تحت دعاوى (التقدم) و(التطوير)، فضلوا وأضلوا (وأحلوا قومهم دار البوار).

١٣- ماذا سيقول الغرب عنا ؟

يقول قاسم: (آن الوقت ـ على ما أظن ـ لتربية نفوسنا تربية صحيحة متينة علمية، تربية تنشئ رجالاً أولي علم وأصالة رأي، يجمعون بين المعارف والأخلاق والعلم والعمل، تربية تنقذنا من جميع العيوب التي يقذفنا بها الأجنبي في كل يوم)[2].

تعليق: هذه الفقرة مرتبطة بما قبلها. فعندما خضع المتحررون للغرب واتخذوه قدوة لهم؛ فإنهم أصبحوا يخشون نقده لما لا يعجبه في مجتمعاتهم. فكم قرأنا في كتاباتهم مثل هذه العبارات: ماذا سيقول الغرب عنا. وليتهم حرصوا على رضا ربهم قبل رضا الغرب الكافر الذي لن يرضيه إلا أن يتبع المتحررون ملته! ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾[3].

---

(١) وهي ليست حكراً عليه، وإنما من فعل أسبابها حصلها. ولهذا نجد أن الواصلين إلى هـذا التقـدم (الدنيوي) في عالمنا مشاربهم وثقافاتهم شتى.

(٢) السابق (ص ٣٤٤).

(٣) سورة البقرة الآية ١٢٠.

١٤- تضخيم موضوع المرأة:

يقول قاسم: (إن إقامة التمدن الحديث من البناء الشامخ وما وضعه من الأصول الثابتة إنما شيد على حجر أساسي واحد هو المرأة)[١].

تعليق: المواضيع التي تهم الأمة كثيرة، ولكن المتحررين يصرون على تضخيم موضوع المرأة وعدم الالتفات لغيره، فهو ما عليه يدندنون وإليه يسعون، ويوهمون المتلقي بأن هذا الموضوع لو انحل بحسب ما يريدون لحلت جميع مشاكل الأمة! وهم مهما تحدثوا عن أي أمر من الأمور فإنهم ـ ولابد ـ سيقحمون فيه موضوع المرأة ولو كان لا مناسبة له في هذا الأمر[٢]!

١٥- التركيز على وجوب أن نثق بالمرأة:

يقول قاسم: (إننا نعمل عمل من يعتقد أن النساء عندنا لسن أهلاً للعفة. أليس من الغريب ألا يوجد رجل فينا يثق بامرأة أبداً مهما اختبرها ومهما عاشت معه؟ أليس من العار أن نتصور أن أمهاتنا وبناتنا وزوجاتنا لا يعرفن صيانة أنفسهن؟ أيليق ألا نثق بهؤلاء العزيزات المحبوبات الطاهرات، وأن نسيء الظن بهن إلى هذا الحد؟)[٣].

تعليق: سبق أن ذكرت بأن المتحررين يستخدمون الأساليب العاطفية لكسب الأصوات لدعوتهم المفسدة، ومن هذه الأساليب

---

(١) السابق (ص ٣٧١).

(٢) مثال ذلك: أسئلتهم (الممجوجة) التي يطرحونها مراراً وتكراراً على المسئولين من ولاة الأمر عن بطاقة المرأة أو قيادتها للسيارة بأساليب (غثة) لا تناسب المقام في أكثر الأحيان.

(٣) السابق (ص ٣٦٦).

العاطفية التي تكثر في حديثهم وكتاباتهم الادعاء أن المرأة إذا التزمت أحكام الشرع فإننا بلا شك نكون غير واثقين منها. أما إذا تحررت فإنها ستكون محلاً للثقة. وهذا قلب للحقائق؛ لأنهم يعلمون أن الله - ﷻ - بحكمته، قد جعل هناك ميلاً متبادلاً بين الجنسين لتدوم الحياة، وشرع الطريق الحلال للاستمتاع بهذا الميل، وأغلق طرق الشر والاستمتاع المحرم، فمن يطالب بتحرير المرأة وسفورها بدعوى إعطائها الثقة يخالف حكم الله، ويعرض الجنسين للفتنة، والمجتمع للفساد المتلاحق.

وما حال هؤلاء إلا كحال من يلقي بشخص في النار بدعوى أننا يجب أن نعطيه الثقة، وأنه لن يحترق!. والله يقول: ﴿ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ﴾[٢].

١٦- التظاهر بالورع!

يقول قاسم: (إننا نتمسك بعوائدنا الإسلامية ونحترمها)[١].

ويقول: (لو كانت عوائدنا فيما يتعلق بالنساء لها أساس في شريعتنا لكان في ميلنا إلى المحافظة عليها ما يشفع لنا...)[٢].

ويقول: (لو أن في الشريعة الإسلامية نصوصاً تقضي بالحجاب على ما هو معروف الآن عند بعض المسلمين؛ لوجب عليّ اجتناب البحث فيه، ولما كتبت حرفاً يخالف تلك النصوص مهما كانت مضرة في ظاهر الأمر؛ لأن الأوامر الإلهية يجب الإذعان لها بدون بحث ولا

---

(١) سورة البقرة الآية ١٩٥.

(٢) السابق (ص ٣٥٩).

(٣) السابق (ص ٤١٢).

مناقشة)[١].

تعليق: يقول المثل: كاد المريب أن يقول خذوني ! فالمتحررون يشعرون بأن المؤمنين مطلعون على خبثهم وكيدهم وبغضهم للإسلام وأهله، ولهذا تجدهم يتظاهرون في كتاباتهم بالورع، والتزام أحكام الإسلام؛ والرضا بها؛ لعل مكرهم يخفى على الناس وينخدعوا بمسوح الورع الذي لبسوه كذباً .

وقد قال الله عن أسلافهم: ﴿ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ لَكَـٰذِبُونَ ۝ ٱتَّخَذُوٓاْ أَيْمَـٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾[٢] فهذا الورع الكاذب إنما هو جنة يستترون خلفها ليصدوا عن سبيل الله.

١٧- الاحتجاج ببعض الكتاب:

عقد قاسم أمين بحثاً كاملاً عن الحجاب في كتابه[٣] وساق فيه بعض نصوص القرآن والسنة التي يظنها تشهد لرأيه تاركاً ـ عن عمد ـ ما يخالف رأيه من النصوص الشرعية الصحيحة الصريحة[٤].

تعليق: وهذا شأن أهل التحرير؛ فإنهم يسوقون النصوص الشرعية التي يظنونها تؤيد دعوتهم، ويكفرون بما يناقضها من النصوص؛ مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَـٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾[٥] وقوله

---

(١) السابق (ص ٣٥٢).
(٢) سورة المنافقون الآية ١-٢.
(٣) السابق (ص ٣٥٠ — ٣٥٩).
(٤) انظرها في كتاب (حراسة الفضيلة) للشيخ بكر أبو زيد ـــ حفظه الله ـــ.
(٥) سورة البقرة الآية ٨٥.

سبحانه عن أجناسهم من المنافقين: ﴿ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓاْ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴾[1].

١٨- الاحتجاج بالأحاديث الضعيفة والموضوعة:

يقول قاسم: (نجد في هدي نبينا محمد ـ ﷺ ـ ما يشير إلى ذلك؛ بل كان يجب أن يعد أصلاً من الأصول التي نركن إليها في بناء أمورنا الملية، حيث قال في شأن عائشة ـ رضي الله عنها ـ: "خذوا نصف دينكم عن هذه الحميراء")[2].

وقال: (فالعفة التي تكلف بها النساء يجب أن تكون من كسبهن ومما يقع تحت اختيارهن لا أن يكن مستكرهات عليها، وإلا فلا ثواب لهن في مجرد الكف عن المنكر. ولذلك قال ـ ﷺ ـ :"من عشق فعف فكتم فمات فهو شهيد")[3]!.

تعليق: أهل التحرير لا يهتمون بتحقيق الأحاديث التي يحتجون بها؛ لأنهم ليسوا أهلاً لذلك. فما وجدوا من الأحاديث ما يفيدهم في دعوتهم احتجوا به مهما كانت درجته في الضعف؛ لأنهم يعلمون أن المجتمع المسلم لن يتقبل دعوتهم بسهولة إلا إذا حليت بهذه النصوص الشرعية!. ولو تأملت كتاباتهم لوجدت ما يشهد لهذا الأمر من احتجاجهم بالضعيف والموضوع؛ لاسيما الحديث الأول الذي ذكره قاسم: "خذوا نصف دينكم من هذه الحميراء"[4] !! الذي لا زالوا

---

(١) سورة النور الآية ٤٩.

(٢) السابق (ص ٣٤٣).

(٣) السابق (ص ٣٦٦).

(٤) أما الأثر فقد ذكره قاسم أمين في كتابه الآخر "المرأة الجديدة" (السابق، ص ٤٢٣)، وهو أن عمر ـ رضي الله عنه ـ قد ولى إحدى الصحابيات واسمها الشفاء أمر الحسبة على السوق!،وهذا الأثر كثيراً =

يرددونه في كتاباتهم تبعاً لصاحب كتاب "تحرير المرأة". مما يشهد على أنهم لا زالوا عالة عليه، حتى في الأحاديث والآثار والقصص التي ذكرها في كتابه !!

١٩- الاحتجاج بالآثار[1] والقصص الضعيفة والموضوعة:

يقول قاسم: (بعث سلمة بن قيس برجل من قومه يخبر عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ بواقعة حربية فلما وصل ذلك الرجل إلى بيت عمر قال:.. فاستأذنت، وسلمت، فأذن لي، فدخلت عليه، فإذا هو جالس على مسح متكئ على وسادتين من أدم محشوتين ليفاً، فنبذ إليّ بإحداهما فجلست عليها، وإذا بهو في صفة فيها بيت عليه ستير فقال: "يا أم كلثوم غداءنا، فأخرجت إليه خبزة بزيت في عرضها ملح لم يدق. فقال: "يا أم كلثوم، ألا تخرجين إلينا تأكلين معنا من هذا؟ قالت: "إني أستمع عندك حس رجل". قال: "نعم ولا أراه من أهل البلد". قالت: "فذلك حين عرفت أنه لم يعرفني ولكن لو أردت أن أخرج إلى الرجال لكسوتني كما كسا ابن جعفر امرأته وكما كسا الزبير امرأته وكما كسا طلحة امرأته"! قال: "أو ما يكفيك أن يقال: أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب وامرأة أمير المؤمنين عمر؟!. فقال: كل، فلو كانت راضية لأطعمتك أطيب من هذا")[2]!!.

= ما يردده دعاة تحرير المرأة؛ لأنه يخدم دعوتهم في أن تتولى المرأة جميع الأعمال. وأذكر أني رددت على أحدهم احتجاجه بهذا الأثر في جريدة الرياض، وأيضاً إحداهن! في جريدة الوطن.

(١) أما الأثر فقد ذكره قاسم أمين في كتابه الآخر "المرأة الجديدة" (السابق، ص ٤٢٣)، وهو أن عمر ـ رضي الله عنه ـ قد ولى إحدى الصحابيات واسمها الشفاء أمر الحسبة على السوق! ، وهذا الأثر كثيراً ما يردده دعاة تحرير المرأة؛ لأنه يخدم دعوتهم في أن تتولى المرأة جميع الأعمال. وأذكر أني رددت على أحدهم احتجاجه بهذا الأثر في جريدة الرياض، وأيضاً إحداهن! في جريدة الوطن.

(٢) السابق (ص ٣٥٩).

تعليق: مثلما لم يبالِ المتحررون بالاحتجاج بالأحاديث الضعيفة والموضوعة كذلك فإنهم لا يبالون أن يحتجوا بالقصص المكذوبة ما دامت تؤيد فكرتهم. وتراهم ينقبون عن مثل هذه القصص الغريبة والموضوعة بين بطون الكتب المختلفة ويبحثون عنها كبحث شحيح ضاع في الترب خاتمه!.

وهذه القصة التي ذكرها قاسم ثم تابعه في الترويج لها أتباعه من المتحررين هي قصة موضوعةِ لا تصح عن هذا الصحابي الجليل عمر - ﷺ - الذي كانت غيرته سبباً في نزل آيات الحجاب!.

وقد ذكرت من ضعفها في رسالة (قصص لا تثبت) - كما سبق -.

ثم رأيت الشيخ محمد بن أحمد البولاقي في رده على قاسم أمين "الجليس الأنيس في التحذير عما في كتاب تحرير المرأة من التلبيس"[(١)] قد أطال الكلام في ردها وتضعيفها، وبين أنها (أكذوبة من الأكذوبات، وفرية ما فيها مرية، وخرافة من الخرافات)، فراجعه إن شئت.

• ٢٠- انتقاد قاعدة (درء المفسدة):

يقول قاسم: (وأما خوف الفتنة الذي نراه يطوف في كل سطر مما يكتب في هذه المسألة تقريباً، فهو أمر يتعلق بقلوب الخائفين من الرجال، وليس على النساء تقديره، ولا هن مطالبات بمعرفته، وعلى من يخاف الفتنة من الرجال أن يغض بصره...)[(٢)] !.

تعليق: يتضجر المتحررون كثيراً من القاعدة الفقهية المعروفة (درء المفسدة مقدم على جلب المصلحة)؛ لأنها تقف سداً أمام أهوائهم،

---

(١) (ص ٥٨-٦٠).

(٢) السابق (ص ٣٥٦).

ولهذا تجدهم في كتاباتهم ينتقدونها ويسفهون من يعمل بها، ويتهمونه بأنه يحرم الأمة من أنواع من التقدم بسبب تمسكه بهذه القاعدة[١].

٢١- قلب الحجج السليمة:

يقول قاسم: (إن البرقع والنقاب يزيدان في خوف الفتنة؛ لأن هذا النقاب الأبيض الرقيق الذي تبدو من ورائه المحاسن وتختفي من خلفه العيوب، والبرقع الذي يختفي تحته طرف الأنف والفم والشدقان ويظهر منه الجبين والحواجب والعيون والأصداغ وصفحات العنَق، هذان الساتران يعدان في الحقيقة من الزينة التي تحث رغبة الناظر وتحمله على اكتشاف قليل خفي بعد الافتتان بكثير ظهر! ولو أن المرأة كانت مكشوفة الوجه لكان في مجموع خلقها ما يرد في الغالب البصر عنها)[٢].

ويقول: (إن القول بأن الحجاب موجب العفة، وعدمه مجلبة الفساد قول لا يمكن الاستدلال عليه؛ لأنه لم يقم أحد إلى الآن بإحصاء عام يمكن أن يعرف به عدد وقائع الفحش بالضبط والدقة في البلاد التي تعيش فيها النساء تحت الحجاب وفي البلاد الأخرى التي تتمتع فيها بحريتهن، ولو فرض وقوع مثل هذا الإحصاء لما قام دليلاً على الإثبات أو النفي في المسألة؛ لأن ازدياد الفساد في البلاد ونقصه مما يرتبط بأمور كثيرة ليس الحجاب أهمها)[٣].

---

(١) ولتعلم أهمية هذه القاعدة الشرعية وأدلتها الكثيرة التي لا يجحدها عاقل، انظر كتاب (الاعتصام) للشاطبي ــ رحمه الله ــ (٢/٣٣٤ – ٣٣٨ الطبعة الجديدة)، ومجلة البحوث الإسلامية (العدد ١٥، ص ١٩-٣٢).

(٢) السابق (ص ٣٥٦-٣٥٧).

(٣) السابق (ص ٣٦٤).

تعليق: لأن المتحررين يعلمون ضعف شبهاتهم أمام حجج أهل الحق فإنهم يلجؤون إلى أسلوب غريب ومكيدة عجيبة بأن يقلبوا حجة أهل الحق، ويوهمونهم بأنها تؤدي إلى المفسدة التي يفرون منها، وبالتالي فالحل في نظرهم أن يتبع أهل الحق أهواءهم ليسلموا من هذه المفسدة!

مثال ذلك: ما فعله قاسم ويفعله مقلدوه من اتهام النقاب بأنه سبب من أسباب الفتنة؛ لأنه يزيد المرأة جمالاً مصطنعاً. والحل في نظره ونظرهم أن تخلع المرأة النقاب وتكشف وجهها!! وقس على ذلك في المسائل الأخرى.

وكان الأولى بهؤلاء لو كانوا يريدون الخير لأمتهم ولمجتمعهم أن يدعوا ويطالبوا أن تلتزم النساء بالنقاب الشرعي الذي لا يفتن، لا أن يزيدوا في حطب نار الفتنة ويأمروها بكشف وجهها!! ولكنها القلوب المنكوسة التي أركست في الفتنة، وأرادت لغيرها أن يرتكس معها.

٢٢- الهجوم على تعدد الزوجات:

يقول قاسم: (إن في تعدد الزوجات احتقاراً شديداً للمرأة)[١].

تعليق: لم يحظ حكم من الأحكام الشرعية المتعلقة بالمرأة ـ بعد حكم الحجاب ـ ما حظي به حكم تعدد الزوجات من تسلط المتحررين عليه بالنقد والهجوم والتسفيه والتشويه .

ولأنهم يعلمون مجيئه في القرآن والسنة فإنهم حاولوا التملص منه بطرق شتى لا تخفى على المتابع.

والتعدد حكم شرعه الله تعالى لحكم عديدة بينها العلماء ولكنها

---

(١) السابق (ص ٣٩٣).

تخفى على الجهلة أنصار (تدمير) المرأة، ويجب على الرجل عند تعديده للنساء أن يعدل بينهن، ومن لم يعدل فليتحمل وزر ذلك عند الله، ولكن لا تغير أحكام الشريعة بسبب هذا الظلم الواقع من بعض الرجال.

٢٣- ترشيد الإنفاق!

يقول قاسم: (انظر إلى الواحد منا نجد مسكنه لابد أن يكون قسمين قسم للرجال وآخر للنساء، فإن أراد أن يبني بيتاً فعليه أن يهيئ ما يكفي لبناء بيتين في الحقيقة، وإذا استأجر بيتاً فهو إنما يستأجر في الواقع بيتين، ويتبع ذلك ما يلزم لكل منهما من الأثاث والفرش، ولابد له من فريقين من الخدم، فريق يخدم الرجال في القسم المختص به، والآخر يختص بخدمة النساء داخل البيت، وهو مضطر لأن يزيد في النفقة للطعام؛ لأنه إذا أتى ضيف واحد، رجلاً كان أو امرأة، وجب تحضير مائدتين بدل واحدة كانت تكفي، وهكذا ترى نفقات ضائعة وثمرات كسب مستهلكة ولا سبب لها إلا تشديد الحجاب على النساء)[1]!.

تعليق: من شبهات المتحررين التي يرددونها بين الحين والآخر ـ تبعاً لشيخهم قاسم! ـ هي أن الفصل بين الجنسين ـ سواء في التعليم أو في نطاق العمل ـ يكلف الدولة الكثير من المال؛ لأنها تحتاج إلى الإنفاق المزدوج، والحل في نظرهم أن يختلط الحابل بالنابل!! ومبدؤهم: لا بارك الله في العرض والأخلاق إذا سلم المال!!

هذه الشبهة (المتكررة) قد ينخدع بها ضعيف الدين وقليل الغيرة

(١) السابق (ص ٣٧١ - ٣٧٢).

ممن إلهه درهمه وديناره؛ فلأجلها قد يفرط في أمور عظيمة ليحصل على هذا (الإرشاد) المزعوم.

والعجيب أن هذا (الإرشاد) لا نحس له خبراً إلا عندما يكون الأمر متعلقاً بصيانة المرأة والمحافظة عليها! فلا نكاد نراه في هذا الإسراف الهائل والهدر الموجع في مجالات أقل أحوالها أن تكون تحسينية إن لم تكن مكروهة أو محرمة .

أحرام على بلابله الدوح حلال للطير من كل جنس؟!

ولو أردنا أن نقلب هذه الشبهة على أصحابها لقلنا:

هذه شبهة من لا ضابط شرعي عنده للإرشاد؛ إنما هو فقط ما يوفر المال دون نظر إلى حله أو حرمته.

إذن: فنحن سنقترح عليهم اقتراحات (ترشيدية!) من جنس أفكاركم، فنقول:

لماذا يا هؤلاء لا تجتمع عدة عوائل منكم في سكن واحد ترشيداً للإنفاق؟!

ولماذا لا يجتمع رجالكم (أو ذكوركم!) في سيارة واحدة في تنقلاتهم ترشيداً للإنفاق؟! ولماذا لا تكتفي نساؤكم بثوب واحد أو ثوبين؟! ولماذا ... ولماذا ...

وقل مثل هذا في شأن الدول.

إن قلتم: في هذا (حرج) علينا ، وتضييق لما وسعه الله.

قلنا: وفي (ترشيد) قاسمكم ! تحليل لما حرمه الله!

فأي الأمرين أحق بالرعاية والترشيد؟! ما فيه ضيق مؤقت عليكم، أم ما فيه تحليل لما حرمه الله وفتح لأبواب الفتنة والفساد؟!.

فالأمر (بخلاصة): إما أن نلتزم أحكام الله، أو نلتزم أهواءنا.

٢٤- حسب تقاليدنا الإسلامية السمحة !!

يقول قاسم مبيناً مطالبه بأن منها:

(السعي لدى الحكومة في إصدار القوانين التي تضمن للمرأة حقوقها؛ بشرط أن لا تخرج في شيء من ذلك عن الحدود الشرعية)[1].

تعليق: ما أكثر ما نرى مثل هذه العبارات في كتابات المتحررين عندما يطالبون بأمر من الأمور:

- حسب عاداتنا وتقاليدنا !
- مع مراعاة أحكام الشريعة السمحة !
- وفق تعاليم عقيدتنا !

فقد أصبحت هذه العبارات وأمثالها (كليشة) جاهزة تختم بها جميع كتاباتهم ومطالباتهم ذراً للرماد في عيون المسلمين، وإيهامهم بأن مطالبهم لا تخرج عن حدود الشريعة. حتى أصبح العقلاء يرتابون عندما يرون مثل هذه العبارات !؛ لأنهم يتوقعون أن يأتي معها أو عقبها ما يناقض أحكام الشريعة في أمور النساء!.

فحذار حذار من الانخداع بهذه العبارات ، وزن أقوالهم ومطالبهم بميزان الكتاب والسنة.

٢٥- يقول المطلعون !

يقول قاسم: (يقول المطلعون على أحوال أمريكا أن نساءها أحفظ للأعراض وأقوم أخلاقاً من غيرهن...)[2]!

---

(١) السابق (ص ٤١٥).

(٢) السابق (ص ٣٦٤).

تعليق: يلجأ المتحررون في كتاباتهم إلى مقولة: (يقول المطلعون) أو (ذكرت الإحصاءات)! أو (في دراسة أجريت)! للتهويل والتلبيس على ناقصي العقول؛ لكي يقبل أقوالهم فوراً ودون تمحيص أو تدقيق! ما دامت موثقة بمطلعين و إحصاءات ودراسات!.

ولكنه لو تأمل: فلن يجد أي ذكر للمطلعين أو مصدر للإحصاءات أو الدراسات، وإنما هو الكذب والتلفيق والجعجعة الفارغة .

فتنبه لكيدهم، وطالبهم بتوثيق أقوالهم وعزو مصادرهم .

٢٦- تتبع المذاهب!

يقول قاسم: (لم لا يأخذ مريد الإصلاح بمذهب الإمامية)[1]!! أي الرافضة!.

تعليق: كما أن المتحررين لا يبالون بالاحتجاج بالأحاديث الموضوعة والقصص المكذوبة ؛ كذلك فإنهم لا مانع عندهم من التنقل بين المذاهب المختلفة ولو كانت بدعية ما دامت تؤيد فسادهم.

مثلاً: تجدهم يتابعون اليوم شيخ الإسلام ابن تيمية العالم (السلفي) في اختياره أن الطلاق الثلاث يقع واحدة اتباعاً للحديث الصحيح، يتابعونه ليس لأجل حجته إنما لأن اختياره وافق أهواءهم.

ثم تجدهم في الغد يتابعون مذهب مالك، ثم الشافعي، ثم ينتقلون إلى مذاهب المبتدعة من زيدية ورافضة وإباضية، يدورون مع أهوائهم أينما دارت.

فحال أحدهم يقول:

---

(١) السابق (ص ٤٠٣).

تمذهبت للنعمان بعد ابن حنبلٍ
وذلك لما أعوزتك المآكل
وما اخترت رأي الشافعي ديانة
ولكن لأن تهوى الذي منه حاصل
وعما قليل أنت لا شك صائر
إلى مالك، فافطن لما أنا قائل[1]

وقديماً قال علماء السنة: "من تتبع الرخص فقد تزندق" وقال آخر: "لو أخذت برخصة كل عِالم اجتمع فيك الشر كله"[2]!.

٢٧- استخدام ورقة السلطان !

يقول قاسم معدداً مطالبه بأن منها: (السعي لدى الحكومة في إصدار القوانين التي تضمن للمرأة حقوقها)[3].

تعليق: يلجأ المتحررون في دعوتهم إلى أسلوبين:

الأول: أسلوب تغيير المجتمع المسلم بواسطة وسائل الإعلام المتنوعة التي يسيطرون عليها ـ للأسف ـ.

فيبدأون بالدعوة المتكررة إلى أفكارهم بالتنسيق بين أفرادهم! فهذا يطرح الفكرة اليوم، وذاك يؤيدها غداً، وتلك تنشرها بعد غد...

---

(١) جزيل المواهب في اختلاف المذاهب، للسيوطي (ص ٤٦).

(٢) انظر للمزيد: رسالة (زجر السفهاء عن تتبع رخص الفقهاء) للشيخ جاسم الفهيد الدوسري ـ حفظه الله ـ.

(٣) السابق (ص ٤١٥).

وهكذا.

فإن لم ينجح هذا الأسلوب في مجتمع من المجتمعات ! فإنهم يلجؤون إلى الأسلوب الثاني، وهو الإلحاح على السلطان وولاة الأمور بأن يتدخلوا بقرارات حازمة! تغير المجتمع وتحقق أهدافهم وأفكارهم؛ لأنهم يعلمون بأن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بغيره!.

فيبدأون يزينون للسلطان أفكارهم ويعددون عليه منافعها (وجدواها الاقتصادية!)، ويهيجونه للمسارعة باتخاذ القرارات الحاسمة؛ لأن الزمن ـ كما يقولون ـ يمضي ولما يتقدم المجتمع! ونحن في زمن التقدم والتطور.... الخ هرائهم.

وهذا الأسلوب ـ في نظر ي أخطر من الأسلوب الأول؛ لأنه يُصادم بين السلطان وولاة الأمر وبين المجتمع المسلم، ويحقق للمفسدين أفكارهم ـ أو بعضها ـ في زمن يسير لم يكونوا ليحققوه لو استمروا على أسلوبهم الأول العقيم الذي لن يأبه به أحد، بل سيلقى صدوداً ونفوراً ومواجهة من المصلحين.

إذن: فالسلطان ورقة رابحة في يد أهل الخير لو عرفوا كيف يتعاملون معه، كما أنه ورقة رابحة بيد أهل الشر لو استطاعوا أن يميلوه معهم.

ولكنه ـ بلا شك ـ لو مال للمفسدين سيعيش بعدها في حال انفصام وقطيعة مع رعيته، غير ما ينتظره من عذاب الله الدنيوي بتسليط الأعداء، وسقوط هيبته من القلوب ، وتجرؤ الناس عليه، ﴿ وَلَعَذَابُ ٱلْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴾[1].

---

(١) سورة طه الآية ١٢٧.

نسأل الله أن يوفق ولاة أمور المسلمين للخير، وأن يجعلهم ظهيراً للإسلام وأهله، حرباً على المفسدين، مبعدين لهم غير مقربين.

وبهذه الفقرة (٢٧) ينتهي ما أردت جمعه من مشابهة بين قاسم أمين وغيره من المتحررين ممن جاءوا عقبة، ولعل من تأمل أكثر يجد غيرها.

ما زاده المتحررون على أساليب قاسم:

لقد وجدت أسلوبين فعلهما دعاة تحرير المرأة لم يتعرض لهما قاسم في كتابه فأحببت أن يطلع عليهما القارئ:

الأول: أسلوب (المظاهرات) النسائية: والمتحررون ـ كما هو معلوم ـ قد استعملوا هذا الأسلوب في مصر منطلق دعوة التحرير؛ حيث خرجت النساء في مظاهرة ـ كما يزعمون ـ للتعبير عن رفضهن للاحتلال الإنجليزي!

وذلك عام ١٩١٩م أثناء الثورة[(١)].

ولكنهن استثمرن هذه المظاهرة للبدء بعملية التحرير والسفور من

---

(١) انظر تفاصيل هذه المظاهرة في مذكرات قائدتها! هدى شعراوي (ص ١٨٧ وما بعدها)، و(المرأة المصرية) لدرية شفيق (ص ١١٩ وما بعدها)، و(عودة الحجاب) (١/١٥٨)، وانظر صور المظاهرة في كتاب (٥٠ عاماً على ثورة ١٩١٩) (ص ١٩٧) إصدار جريدة الأهرام. وترى أميرة خوسك في كتابها (معركة المرأة المصرية..) (ص ١٩٤) أن لا دلائل على أن المرأة المصرية قد نزعت حجابها في هذه المظاهرة، ومما يشهد لقولها ما ذكرته المتحررة درية شفيق في كتابها (المرأة المصرية) (ص ١٣٤-١٣٨) أن أول من مزق الحجاب! هدى شعراوي عند عودتها من أول مؤتمر نسائي شاركت به!، وانظر (نساء رائدات)! لإملي نصر الله (١/١٧٨). أما الدكتورة المتحررة آمال السبكي فترى في كتابها (الحركة النسائية في مصر ما بين الثورتين..) (ص ١٤٢-١٤٣) أن صفية زغلول زوجة سعد زغلول هي أول من نزع الحجاب لما عادت مع زوجها من منفاه. أما هدى شعراوي فهي (أول سيدة أعلنت السفور بعد صفية زغلول).

الحجاب الذي ألقاه بعضهن؛ لأن (جو) المظاهرات يساعد على هذا الاستثمار؛ حيث (العقل الجمعي) الذي يقود المتظاهرين! دون ضابطٍ من شرع أو خلق.

وفي سنة ١٩٥١م انطلقت مظاهرة نسائية (تحريرية) في القاهرة من مقر (الجامعة الأمريكية!!!) بقيادة متحررة سافرة هي درية شفيق[١].

وفي سوريا أيضاً انطلقت مظاهرة نسائية[٢]...

فالمظاهرات وسيلة المتحررين والمتحررات[٣] الذين يفيدهم الجو الغوغائي الذي يصاحب ذلك كله، قد استقوا هذه الوسيلة وتدربوا عليها عن طريق أساتذتهم الغربيين، ولُيعلم أنهم لا يقيمون مثل هذه المظاهرات التحررية إلا في جوٍ ملبد بالغيوم، ووسط (أزمة) تمر بالأمة التي تكون مشغولة بهمومها عن إفسادهم؛ لأن الأمة في وادٍ وهؤلاء الفئران في وادٍ آخر، لا هم لهم إلا تحقيق شهواتهم ومفاسدهم.

فالحذر.. الحذر.. واليقظة اليقظة.. والثبات الثبات... فالقوم قد جاؤوكم من فوقكم ومن أسفل منكم، ومن خلفهم عباد الصليب وأحفاد القردة والخنازير. رد الله كيدهم في نحورهم، وكفانا شرورهم.

---

(١) انظر تفاصيلها في مجلة الفتح (السنة الأولى، ٦٤). وانظر صور هذه المظاهرة في كتاب (مكتب عنبر) لظافر القاسمي (ص١١٣-١١٧).

(٢) انظر تفاصيلها في مجلة الفتح (السنة الأولى، ٦٤). وانظر صور هذه المظاهرة في كتاب (مكتب عنبر) لظافر القاسمي (ص١١٣-١١٧).

(٣) وهي وسيلة محرمة كما بين ذلك سماحة الشيخ ابن باز ــ رحمه الله ــ في رده على عبد الرحمن عبد الخالق. ويكفي لتحريمها أنها قد أصبحت مطية للمفسدين لتحقيق أهدافهم.. فكما ستتظاهر أنت، هم سيتظاهرون عقبك. فما أولانا بغلق هذا الباب الذي لا يأتي منه إلا الشر على أمتنا. والوسائل الشرعية للتعبير كثيرة.

الثاني: من الأساليب التي استعملها المتحررون والمتحررات بعد قاسم: أسلوب (إقامة المؤتمرات والندوات) التي تُعقد داخلياً أو خارجياً للترويج لهذه الحركة في أوساط البلاد الإسلامية.

وتمتاز المؤتمرات الخارجية برعاية الكفرة لها والتخطيط لأعضائها، أما النسوة (المتمسلمات) فإنهن يشاركن في هذه المؤتمرات الخارجية ـ كما يزعمن ـ لعل نظرة الغرب إلى نسائنا تتحسن!!!.

تقول إحدى هؤلاء المتحررات ـ وهي الدكتورة إجلال خليفة في كتابها: الحركة النسائية، ص ٢٤٩ ـ: (أعتقد أن المؤتمرات النسائية المصرية للخارج والبعثات العلمية النسائية هما المظهران البارزان للحركة النسائية في المجال الخارجي، وكان لهما أثر كبير في تغيير نظرة مجتمعات الغرب إلى المرأة المصرية، فقد كانت المرأة الأوربية تعتقد أن المرأة المصرية ما زالت تعيش في مجتمع يشبه إلى حد كبير ما قبل التاريخ، إذ كانت المرأة الأوربية تبدي عجبها الممزوج بالدهشة لرؤيتها فتياتنا المبعوثات في إنجلترا يرتدين مثل النساء في أوربا، وكانت تصيح في دهشة في وجوه الفتاة المصرية: أحقاً عندكن أحذية مثل البشر؟!! وتعرفن كيف تلبسنها؟!!... وغير ذلك من أسئلة عجيبة)!!.

قلت: فانظر ما أشد هذه الذلة وهذا الخضوع للكفار! (أيبتغون عندهم العزة؟ فإن العزة لله جميعاً).

بقي أمران:

الأول: أن حركة تحرير المرأة المسلمة (يدعمها) الغرب الكافر لإفساد ديار الإسلام وإشغالهم عن قضاياهم الكبرى:

يقول المستشرق الإنجليزي برنارد لويس المختص بشئون العالم الإسلام وقد طُلب منه أن يكتب رأيه في مستقبل ما يسمى بالشرق الأوسط[(١)]: (سنحسم التغريب في الشرق الأوسط من خلال ثلاثة عوامل: إسرائيل، وتركيا، والمرأة)[(٢)]!.

فالهدف: تغريب المسلمين وسلخهم عن دينهم، والوسيلة: المرأة التي سيحاولون بشتى الطرق خديعتها، وإيهامها بأنهم أنصارها عبر وكلائهم من الطابور الخامس الذي يعيش بيننا، المتسمي بأسمائنا، ولكنه قد بدل دينه ـ والعياذ بالله ـ بأفكار التغريب المتنوعة.

ويقول الأستاذ حسين محمد يوسف في بحثه القيم (الحركات النسائية وصلتها بالاستعمار): (منذ أن احتل الإنجليز مصر وهم يعملون على إضعافها بشتى الوسائل، تارة؛ بمحاربة اللغة العربية، وأخرى بنشر الآفات الاجتماعية الهدامة..)[(٣)].

والغرب الكافر حين يقوم بهذا (الدعم) للحركات النسائية لدى المسلمين فإنه يقوم به بوسائل شتى؛ أذكر من أهمها:

١- الدعم المالي للمؤتمرات النسائية المشبوهة، وللمجلات والكتب المشجعة لهذا التحرير[(٤)].

---

(١) تسمية ماكرة لبلاد الإسلام؛ لكي تتربى الأجيال على هذه المسميات الأرضية، وتنسى المسميات الشرعية.

(٢) نقلاً عن بحث الأستاذ غازي التوبة المقدم إلى مؤتمر إشكالية المرأة المعاصرة في المجتمعات العربية والإسلامية، المنعقد في الكويت ما بين ٢٢ - ٢٦ /١٢/١٤٢١هـ، إصدار جامعة الكويت.

(٣) (ص ٧١).

(٤) اعترفت مديرة معهد الدراسات النسائية في العالم العربي ومقره بيروت بأن المعهد أسس بمنحة من مؤسسة فورد (اليهودية)!! انظر: كتاب (أضواء على الحركة النسائية المعاصرة) لـروز غريب (ص ٤٢١).

٢- الضغوط المتنوعة على حكام المسلمين لتأييد مثل هذه الأفكار التحريرية؛ ومما يذكر هنا أن الخديوي إسماعيل[١] حين أراد أن ينفصل بمصر عن الدولة العثمانية وعد ملوك أوربا ـ إن هم أيدوه ـ أن يفصل الدين عن السياسة، وأن يُطلق الحرية للنساء بحيث تسير المرأة المسلمة في إثر المرأة الغربية[٢].

٣- استغلال احتلالهم لبلاد المسلمين لترويج هذه الدعوة المفسدة؛ حيث أنهم قريبون من أذنابهم! ويكفي أن تعلم بأن هذه الحركة ما نشأت في بلاد المسلمين واشتد عودها إلا بعد احتلالهم لمصر مفتاح العالم الإسلامي.

---

(١) من أحفاد محمد علي باشا، وكان من أسوأ حكام مصر إسرافاً وتبذيراً على شهواته وطموحاته؛ حتى أغرق مصر بالديون المتراكمة التي كانت ممهدة للاحتلال الإنجليزي لبلاده بعد أن خلع من الحكم! يقول الأستاذ عبد القادر حمزة في تمهيده لكتاب (التاريخ السري لاحتلال إنجلترا مصر) عن عهد إسماعيل: (كان بدء النكبات التي توالت على هذه البلاد بعد ذلك حتى رمت بها بين براثن الاحتلال) (ص١١) وقال عن ديون إسماعيل واقتراضه من دول الكفر: (كانت الباب الذي تسرب منه النفوذ الأجنبي إلى سلطة الحكومة المصرية، ودخلت منه إنجلترا حتى وضعت يدها على مصر) (ص ٢١)

ولعل هذا من العقوبات العاجلة من الله لهذا الحاكم الخائن؛ لأنه رضي أن يركن إلى الذين كفروا، في سبيل تحقيق شهواته وملاذه، فكانت عاقبته: الخلع من الحكم، وتسلط الكفار على بلاده، نعوذ بالله من الخذلان.

وانظر للمزيد عن ما جناه هذا الحاكم الفاشل على مصر: كتاب (عصر إسماعيل) لعبد الرحمن الرافعي (خاصة ص ٤-٥)، وكتاب (تراجم مصرية وغربية) لمحمد حسين هيكل.

وانظر نماذج من إسرافه وبذخه في كتاب (مذكراتي في نصف قرن) لأحمد شفيق (١/٢٤-٢٨).

(٢) ذكر هذا محمد طلعت حرب في رده على قاسم أمين. (ص ٦-١٠ من التقريب).

٤- الدعم الإعلامي المتنوع لحركة التحرير: من خلال تأييدها في وسائل إعلامهم العالمية، وتلميع صورة القائمين عليها من المنافقين، وأنهم مضطهدون مظلومون.. الخ، وممارسة الضغط على الدول الإسلامية للتسهيل لهم، وفتح الأبواب المغلقة لحركتهم التحررية في البلاد.

ويحضرني في هذا: ما ذكره المذيع البريطاني (ناتريك سميث) من أن درية شفيق إحدى رموز التحرير في مصر طلبت منه أن تقوم الصحف البريطانية بمؤازرتها وحزبها النسائي؛ لكي تحقق الحركة النسائية بمصر أهدافها. فقام بذلك خير قيام![1]

هل من معتبر؟! هذا رأي الغرب في أذنابه!

يعد (كرومر) وكيل الإنجليز لإدارة شئون مصر أثناء احتلالهم لها! من أخبث وأمكر الناس الذين ابتليت بهم الأمة، فقد أفسد هذا العجوز بلاد مصر، ومهد للتغريب وأهله وأيدهم، وأثنى عليهم، ومكن لهم، وكانوا ينقادون لأمره ويعظمونه أيما تعظيم؛ لأنه راعي (نعمتهم)!، فاستمع ـ أعزك الله ـ لما يقوله هذا النصراني عن المنافقين والمنافقات الذين سارعوا إلى كسب رضاه والتعاون معه.

وهو قول خبير بهم، ويعبر عن ما يكنه الغرب تجاه أذنابه.

يقول كرومر: (إن المصري المتحرر يسبق الأوربي المتحرر في التنور، وحرية الفكر والحيرة، إنه يجد نفسه في بحر هائج لا يجد فيه سكاناً ولا رباناً لسفينته، فلا ماضيه يضبطه، ولا حاضره يفرض عليه الحواجز

---

(١) انظر: الحركات النسائية وصلتها بالاستعمار، (ص ٩٦).

الخلقية، إنه يشاهد أن الجمهور من مواطنيه يعتقدون أن الدين يعارض (الإصلاحات) التي يراها جديرة كل الجدارة بالنفاذ، إن ذلك يثير فيه السخط، والكراهية الشديدة للدين الذي يؤدي إلى مثل هذه النتيجة، فيدوسه بقدمه وينبذه بالعراء، إنه إذا قطع الصلة عن دينه وتعاليمه فلا يحجزه عن التورط في المزالق الخلقية إلا مصلحته الشخصية السافرة، مع أن الأوربي الذي يحرس على تقليده، لا يزال متقيداً بشرائع أمته الخلقية. إن المجتمع الذي يتكون من مثل هؤلاء الأفراد المتحررين في مصر، لا ينكر على الكذب والخديعة إنكاراً شديداً، ولا يمنعه من ارتكاب الرذائل خوف سوء الأحدوثة في المجتمع، إنه إذا رفض دين آبائه، فإنه لا يلق عليه نظرة عابرة، إنه لا يرفضه فحسب، بل يرفسه ويركله برجله، إنه يترامى في أحضان الحضارة الغربية متعامياً عن كل حقيقة، ويغيب عنه أن الجانب الزاهر البراق للحضارة الغربية ليس إلا الجانب الخارجي من جوانب هذه الحضارة، إن الحقيقة أن القوة الخلقية التي تنبع من التعاليم المسيحية هي التي تضبط سفينة الحضارة الغربية وتمنعها من الاضطراب الزائد في البحر الهائج، ولما كانت هذه القوة قوة باطنية، فإنها تتوارى في غالب الأحيان عن أنظار المتشبهين الزائفين بأبنائها الحقيقيين، إنه يحلف ويقول: إنه نبذ التعصب الديني، وأنه يحتقر تعاليم آبائه. إنه يقول لزميله الأوربي: إننا أصبحنا نملك الخط الحديدي، وقد أسسنا في بلادنا مدارس عصرية، وأنشأنا الجرائد والمحاكم، ومظاهر الحياة الحديثة، والمدنية العصرية التي تتكون منها حضارتكم، فكيف نُعتبر متخلفين عنكم وأحط شأناً منكم؟ إنه يجهل أنه لا يستطيع أن يجاري زميله الغربي ويكون نداً له، فإن المسيحي المتحضر وإن لم يكن

راسخاً في دينه، ولكنه إلى حد كبير نتاج المسيحية، فإن لم تكن المسيحية التي مضى عليها ألف وتسع مائة سنة رصيده وسنده، لم يكن قط حيث هو الآن)[1].

فهل يعتبر المتحررون والمتحررات بمثل هذا الكلام الذي يعرفهم نظرة الغربي الكافر الحقيقية لهم بعد أن نبذوا دينهم وتابعوا السراب الذي يحمله؟! وصدق الله: ﴿ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ﴾[2].

ختاماً: أسأل الله أن يهدي ضال المسلمين، وأن يحبط مخططات الأعداء، ويرد كيدهم في نحرهم، وأن لا يسلط علينا بذنوبنا من يفسد بلادنا ونساءنا، وأن يوفق ولاة أمورنا للثبات على الحق وعدم التنازل عنه، وأن يُشغل أعداءهم من اليهود والنصارى بأنفسهم، وأن يحقق فيهم قوله تعالى: ﴿ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ﴾[3].

والله أعلم، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

---

(١) مصر الحديثة، لكرومر (٢ ـــ ٢٣٢).

(٢) سورة الحج الآية ١٨.

(٣) سورة الأحزاب الآية ٢٥.

انتحار ملحد

انتحار ملحد!

في مساء الثالث والعشرين من شهر يوليو عام ١٩٤٠م وجدت جثة "إسماعيل أدهم" طافية على مياه البحر المتوسط، "وقد عثر البوليس في معطفه على كتاب منه إلى رئيس النيابة يخبره بأنه انتحر لزهده في الحياة وكراهيته لها، وأنه يوصي بعدم دفن جثته في مقبرة المسلمين ويطلب إحراقها"[(١)]!! فمن هو إسماعيل هذا الذي آثر هذه النهاية المروعة ؟!

يقول عنه صاحب الأعلام: "إسماعيل بن أحمد بن إسماعيل ابن إبراهيم باشا أدهم: عارف بالرياضيات، له اشتغال بالتاريخ، ولد بالإسكندرية وتعلم بها، ثم أحرز الدكتوراه في العلوم من جامعة موسكو عام ١٩٣١، وعين مدرساً للرياضيات في جامعة سان بطرنسبرج، ثم انتقل إلى تركيا فكان مدرساً للرياضيات في معهد أتاتورك ! بأنقرة، وعاد إلى مصر سنة ١٩٣٦ فنشر كتاباً وضعه في "الإلحاد" وكتب في مجلاتها، أغرق نفسه بالإسكندرية منتحراً"[(٢)].

قلت: تأثر إسماعيل أوهم بالمد الشيوعي الإلحادي بسبب إدمانه قراءة إنتاج القوم حتى علقت أفكارهم بعقله وتمكنت من قبله؛ فألف إثر ذلك ـ كما سبق ـ رسالة سماها "لماذا أنا ملحد؟"[(٣)]! جاء فيها: قوله عن نفسه: "أسست جماعة لنشر الإلحاد بتركيا، وكانت لنا مطبوعات

---

(١) مجلة الرسالة : السنة الثامنة، المجلد الثاني، ص ١٢٤١، والأعلام الشرقية (ص ٨٦٠) .

(٢) الأعلام للزركلي (١/٣١٠ بتصرف) . وله ترجمة في الأعلام الشرقية لزكي مجاهد (ص ٨٥٨-٨٦٠)، وفي تراجم عربية، لمحمد عبد الغني حسن .

(٣) نشرها الدكتور أحمد الهواري ضمن الأعمال الكاملة لإسماعيل أدهم (٣/٨٠) وتراجم عربية، ص ١٨٩. وذيل الملل والنحل، لسيد كيلاني، ص ٩١.

صغيرة أذكر منها: ماهية الدين، وقصة تطور الدين ونشأته... وبعد هذا فكرنا في الاتصال بجمعية نشر الإلحاد الأمريكية، وكانت نتيجة ذلك تحويل اسم جماعتنا إلى المجمع الشرقي لنشر الإلحاد"(١).

وقد رد على رسالته هذه: الدكتور أحمد زكي أبو شادي برسالة عنوانها: "لماذا أنا مؤمن؟"(٢). ورد عليها: محمد فريد وجدي بمقالة عنوانها "لماذا هو ملحد؟"(٣).

انتحر إسماعيل أدهم وله من العمر تسعة وعشرون سنة؛ أي في ريعان شبابه، فكانت نهايته نهاية مأساوية لشاب مسلم موهوب، قال عنه الأستاذ أحمد حسن الزيات: "كان شديد الذكاء.. واسع الثقافة"،(٤) وقال عنه الأستاذ محمد عبد الغني حسن بأنه صاحب "ذهن متوقد لامع"(٥) كان الأول على دفعته في البكالوريا(٦)، ثم حاز الدكتوراه وألّف مؤلفات كثيرة، ودرّس، وكان يحسن التحدث بست لغات(٧)، كل هذا وهو في هذا العمر الصغير.. إلا أنه بعدها اختار الكفر على الإيمان، وتدرج في مهاوي الضلال إلى أن وصل إلى آخر دركاته وهي الإلحاد ـ والعياذ بالله ـ لتكون خاتمته في تكلم الجثة الطافية على مياه البحر آيةً

---

(١) ذيل الملل والنحل، لسيد كيلاني، ص ٩١.

(٢) مجلة الرسالة، ٥ أغسطس ١٩٤٠م، وانظر: الإسلام والغرب، لمحمد الخير عبد القادر، ص ٦١، وهوامش على دفتر التنوير، لجابر عصفور، ص١٣٦. وقد ذكر أن أبا شادي نشرها في مجلة "الإمام" (سبتمبر ١٩٣٧م).

(٣) نشرها الدكتور أحمد الهواري عقب رسالة إسماعيل مظهر، ضمن الأعمال الكاملة له (٣/٩٢).

(٤) وحي الرسالة (٢/٢١٨).

(٥) تراجم عربية (ص ١٩٨) .

(٦) الأعلام الشرقية (ص ٨٥٨) .

(٧) السابق (ص ٨٥٩-٨٦٠).

لمن خلفه من شباب الإسلام النابهين أن لا يفتروا بـذكائهم ومـواهبهم، فيخوضوا ـ لأجلها ـ ذات اليمين وذات الشمال واثقين ـ زعموا! ـ مـن أنفسهم، معرضيها للفتن والإنسلاخ من الدين؛ إما بإدمـانهم العكـوف على كتب أهل الضلال والحـيرة والـشك كـشأن أدهـم، أو بمـصاحبتهم وألفتهم ومن يشككهم في دينهم ويهون عليهم الطعن فيه أو التحير مـن بعض شرائعه، مجانبين في ذلك أهـل الإيمـان سـاخرين مـن نـصائحهم، لازمينهم بالتحجر وضيق الأفق!، ومبتعدين رويداً رويداً عـن الـصراط المستقيم؛ خشية أن يقول قائلهم ـ ولو بعد حين ـ: "لقـد خـضت البحـر الخضم، وخليت أهل الإسلام وعلومهم، ودخلت في الذين نهوني عنه، والآن فإن لم يتداركني ربي برحمته فالويل لي.."[1]!.

وإسماعيل أدهم مجرد أنموذج سقته للإعتبار بحاله حيث ارتـد على دبره بعدما جاءه الهدى واستبدل الذي هو أدنـى بالـذي هـو خـير، وإلا فإن الأمثلة من تاريخنا القديم والحديث معلومة مشهورة .

فمن القديم مثلاً: ابن الراونـدي الملحـد الـذي انتهـى حالـه إلى أن ألف كتاباً سماه "الدافع" يزعم أنه يـدفع بـه القـرآن!! دمغـه الله. فهـذا الرجل ذكر المؤرخون عنه أنـه "كـان في أول أمـره حـسن الـسيرة، كـثير الحياء، ثم انسلخ من ذلك"[2] وذكروا ـ أيضاً ـ شيئاً مـن ذكائـه وعقلـه، ولكن كما قال الذهبي في ترجمته "لعن الله الذكاء بلا إيمـان، ورضـي الله

---

(١) القائل هو أبو المعالي الجويني ــ غفر الله له ــ وهو من هو ذكاء وتمرساً في علوم الكلام، ثم ختم ذلك بقوله : "وها أنذا أموت على عقيدة أمي" ! فهل من معتبر ؟ ! . (انظر: شرح الطحاويـــة، ص ٢٤٥، ط التركي والأرنؤوط).

(٢) سير أعلام النبلاء (٦١/١٤).

عن البلادة من التقوى"[١]!

والذي يهمنا في ترجمته هو قول الذهبي عنه: "كان يلازم الرافضة والملاحة، فإذا عوتب قال: إنما أريد أن أعرف أقوالهم"[٢] !! فكان نهاية هذا التهاون في الجلوس مع المبتدعة والملحدين أن أصبح واحدًا منهم، بل أجرأ على حرمات الله.

ومن الأمثلة المعاصرة: عبد الله القصيمي، وحاله معلومة للكثيرين.

ومنها: الشاعر الكويتي فهد العسكر. فقد ذكر صاحبه عبد الله الأنصاري عنه أنه: "شب متديناً، يؤدي الصلاة مع والده في المسجد، ويحافظ على أدائها مع والده في كل فرض من الفروض، حتى صلاة الفجر، فقد كان والده يأخذه معه إلى المسجد وهو صغير السن؛ إلى أن تشرب الدين في عروقه ودمه"[٣] ثم أصبح مؤذناً بعد ذلك[٤]. لكنه بعدها ـ كما يقول صاحبه الأنصاري ـ "أغرق في القراءة، واستمر في الإطلاع على مختلف الآراء والأفكار الأدبية والاجتماعية والسياسية... إلى أن تحول تحولاً كليًا في تكفيره، وفي نظرته إلى الحياة، وإلى بعض التقاليد والعادات الموروثة[٥]؛ ثم أخذ يتعاطى الخمرة التي تغزل بها كثيرًا في شعره، وهكذا، إلى أن أصبح منعزلاً في أفكاره وآرائه عن بيئته المتدنية، وعن المجتمع المحافظ"[٦].

---

(١) السابق (٦٢/١٤).

(٢) السابق (٥٩/١٤).

(٣) فهد العسكر، حياته وشعره، لصاحبه عبد الله الأنصاري، ص ٥٤. مع التنبه إلى أن صاحبه هذا يعتذر له كثيرًا ويتهجم على معارضوه من أهل الإسلام.

(٤) السابق، ص ٢٥.

(٥) بل أحكام الشريعة ! ولكنها المدافعة بالباطل !

(٦) السابق، ص ٥٦.

قلت: فنصحه أهله وأقاربه وزجروه عن هذا المسلك المهلك، ولكنه أبى واستكبر، فهجروه واعتزلوه ونبذوه، فلزم العزلة والانزواء ومعاقرة الخمر مع هم على (مشربه) إلى أن أصابه الله بالعمى وهلك غير مأسوف عليه. وبعد وفاته لم يصل عليه أحدٌ من أهله[١]، وقاموا بحرق ما وجدوا من أشعاره التي تنضح بالكفر والاعتراض على شرع الله والاستخفاف بشعائره[٢].

وسأورد أبياتًا له تدل على ذلك؛ لتعلم حال الرجل، وتعذر أهله وأقاربه على ما قاموا به . يقول العسكر[٣]:

ليلة ذكرياته ملء ذهني
وهي في ظلمة الأسى قنديلي
ليلة لا كليلة القدر بل
خير وخيرٌ والله من ألف جيل
أنا ديني الهوى ودمعي نبيي
حين أصبو ووحيه إنجيلي

هذه كما قلت مجرد أمثلة للناكصين على أعقابهم بعد أن أبصروا الطريق، ممن قال الله فيهم: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ ﴾[٤] وقال: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّوا

---

(١) السابق، ص ٨٤.

(٢) السابق، ص ٧٥.

(٣) السابق ، ص ١٤٨.

(٤) سورة التوبة الآية ١١٥.

عَلَىٰٓ أَدۡبَٰرِهِم مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡهُدَى ٱلشَّيۡطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمۡ وَأَمۡلَىٰ لَهُمۡ ﴾(١).

ومعرفة أسباب هذا الزيغ الذي يصيب قلوب البعض يحتاج إلى دراسة متعمقة تفور في تلك النماذج وما يماثلها لتستخرج أسبابًا مشتركة بينها؛ لكي توجد الحلول المناسبة الواقية من ذلك ـ بإذن الله ـ فلعل الله ييسر من يقوم بذلك؛ لأهميته القصوى، لاسيما في زماننا هذا زمان المتغيرات. ويحضرني من ذلك على عجالةٍ: أنني تلمحت في أحوال كثير من الزائفين ممن يمر بي ذكرهم فوجدتهم لا يخطئون واحدة من هذه الصفات:

١- الذكاء غير المنضبط بضوابط الشرع مما يجعل صاحبه يقتحم المهالك بدعوى الثقة في النفس!

٢- الكِبر والإعجاب بالنفس، فنجد (الأنا) متضخمة عند هذا الصنف من الناس قبل زيغه. ومما يذكر عن القصيمي مثلاً أنه كان إذا ألف كتابًا ابتدأه بقصيدة له يثني فيها على نفسه وقدراته!.

٣- الشذوذ ومحبة تتبع الغرائب والنوادر قبل زيغه، كل هذا طلبًا (للشهرة) و(التميز).

٤- التهاون في الجلوس مع المنحرفين فكرياً، بدعوى "الاستفادة" أو "الإطلاع"! و"الصاحب ساحب" كما قيل. ورحم الله الأوزاعي لما قيل له إن فلاناً يقول: أنا أجالس أهل السنة وأجالس أهل البدع. قال: هذا رجل يريد أن يساوي بين الحق والباطل"(٢).

---

(١) سورة محمد الآية ٢٥.

(٢) الإبانة لابن بطة (٢/٤٥٦).

٥- عدم إخلاص النية في سلوك طريق الهداية، وإنما كان السلوك مشوباً بالمقاصد الدنيوية أو المجاملات التي سرعان ما تختفي مع طول الطريق الذي لن يصبر عليه إلا المخلصون.

٦- عدم اتباع سنة النبي - ﷺ - في الإكثار من قول "اللهم يا مقلب القلوب والأبصار ثبت قلبي على دينك".

السياج الذي أقامه السلف:

لقد تنبه السلف لخطورة هذا الأمر الذي يُفسد قلوب ناشئة المسلمين، فلهذا جعلوا بينهم وبينه سياجاً واقياً استنبطوه من النصوص الشرعية[1]، يتضمن النهي عن مخالطة أهل البدع والانحراف والبعد عن شبهاتهم وإنتاجهم؛ خشية أن يعلق شيء منها بقلب ضعيف فيتأثر به ويتشربه، فأعادوا وأكثروا حول هذا الموضوع في مصنفاتهم ومروياتهم نصحاً لأبناء المسلمين، فلا تكاد تجد مؤلفاً في العقيدة السلفية إلا ويتضمن فصولاً أو أبواباً في التحذير من أهل الزيغ والتنفير منهم ومن مسلكهم وإعراضهم عن الكتاب والسنة إلى زبالات البشر[2].

فمن ذلك: قول ابن عباس - رضي الله عنهما -: "لا تجالس أهل الأهواء؛ فإن مجالستهم ممرضة للقلب"[3].

ومن ذلك: قول عمرو بن قيس الملائي: " كان يُقال: لا تجالس

---

(١) انظرها في رسالة "موقف أهل السنة والجماعة من أهل الأهواء والبدع" للدكتور إبراهيم الرحيلي (٢/٥٢٩-٥٦٣).

(٢) انظر على سبيل المثال: "الشريعة" للآجري (٣/٥٧٤ وما بعدها)، و"أصول اعتقاد أهل السنة" للآلكائي (٢/١١٤ وما بعدها)، و"الإبانة" لابن بطة (٢/٤٢٩ وما بعدها)، و"السنة" لعبد الله بن أحمد. (١/١٣٧ وما بعدها) و"البدع والنهي عنها" لابن وضاح، وغيرها.

(٣) الإبانة، لابن بطة (٢/٤٣٨).

صاحب زيغ فيزيغ قلبك"[١].

ومن ذلك: قول الإمام أحمد وقد ذُكر عنده أهل البدع: "لا أحب لأحد أن يجالسهم ولا يخالطهم ولا يانس بهم، وكل من أحب الكلام لم يكن آخر أمره إلا إلى بدعة؛ لأن الكلام لا يدعو إلى خير، عليكم بالسنن والفقه الذي تنتفعون به، ودعوا الجدال وكلام أهل البدع والمراء"[٢] وذكر في مسنده ـ رحمه الله ـ حديث الدجال وقول النبي ـ ﷺ ـ عنه: "من سمع بالدجال فلينأ عنه، فإن الرجل يأتيه وهو يحسب أنه مؤمن، فما يزال به بما معه من الشُبه حتى يتبعه"[٣] فقس هذا ـ رعاك الله ـ بحال من يجالس أهل البدع والزيغ وينتفع من كتبهم مدعياً أنه يثق بنفسه!! ساخرًا من تحذيرات أهل الإسلام.

نسأل الله أن لا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا، وأن يثبتنا على الحق إلى أن نلقاه، وأن يهب لمتفوقي المسلمين الزكاء بعد أن من عليهم بالذكاء، فيكونوا قرة عين لأمتهم، والله الموفق لكل خير.

---

(١) السابق، (٢/٤٣٦).

(٢) الآداب الشرعية، لابن مفلح (١/٢٢٠).

(٣) أخرج أبو داود (٩/٤٣)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود.

ســـــرقات

حسن المـالكي

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه (أجمعين).

أما بعد: فهذا بحث موجز في بيان (سرقات) المدعو حسن المالكي. كنت أجمع لنفسي ما يعرض لي منها، حتى تكاثرت وتنوعت وأصبحت سمة لاصقة بالرجل، الذي لا زال (يسرق) حتى قيل عنه (سارق)! فأضحت (اللصوصية) علماً على أبحاثه التي ينشرها أو يسربها بين الحين والآخر، (والسطو) على أفكار الآخرين مهنة يتقنها جداً، ويبحث بها عن (الشهرة) لنفسه، والترويج لأفكار أهل البدع والضلال بعد أن يُلبسها ـ زوراً ـ ثوب التحقيق والبحث المتجرد !! تلبيساً على الأغمار والجهلة.

ولقد تنبه كثير من العقلاء (لسرقات) المالكي منذ أن نشرها، وعرفوا مصدرها، وواجهوا المالكي بها، إلا أنه استمر في (غيه) وواصل (سرقاته) غير عابئ بهم؛ لأنها تحقق هوى في نفسه.

وستجد ـ رعاك الله ـ أن معظم (سرقات) هذا الرجل من الروافض (إماميهم وزيديهم[1]!)، وهذا ما يبين لك أن الرجل يريد تمرير أفكارهم وحقدهم بين شبابنا بعد أن يجري عليها التعديلات اللازمة المناسبة لمجتمعنا!.

والمالكي يعترف بأنه من أسرة (زيدية) قد رضع مذهبها منذ الصغر

---

(١) قال العلامة إسماعيل الأكوع في كتابه (المدخل إلى معرفة هجر العلم ومعاقله) (ص ٦٢ – ٦٣): (علماء الزيدية المتأخرون لا يقولون بإمامة المفضول، لذلك فقد لقب كثير منهم بالرافضة أو الجارودية، لأن هؤلاء تناولوا الخلفاء الراشدين بالسب). **قلت:** وما تراه مني في هذه المذكرة من وصم المالكي بأنه رافضي، فهو لأجل هذا السبب.

حتى تفتقت أمعاؤه، فأنى له الفكاك من هـذا الإرث مهمـا حـاول؟ إلا أن يشاء الله .

فهو قد حصر نفسه في (اجترار) مقولات أسلافه، و(تجديـدها) بـين الناس، لعلها تحظى بقبولهم[١]، وما علم المسكين أن الأمة (بأكملها) قـد بـدأت في النهـوض مـن غفوتهـا، وآثـرت الرجـوع إلى دعـوة الكتـاب والسنة، ونبذ البدعة وأهلها، وواقع بلاد أهل البدع يشهد بهذا.

ولكن المالكي عمي عن هذا كله، وتمنى أن يعيد التاريخ نفسه، وأن تقوم للمبتدعة قائمة.

من كان مرعي عزمه وهمومـه روض الأماني لم يزل مهـزولا

فالرجل يصدر مـن عقيـدة مخالفـة للكتـاب والـسنة، حاقـدة علـى صحابة رسول الله ـ ﷺ ـ، حاسدة لمن اختصهم الله بالنعم.

فقـد اجتمـع في قلبـه: عقيـدة فاسـدة، وحـسد لأصـحاب الـدعوة السلفية وحقد عليهم، وكل هذا يفيض من أبحاثه، ولا يحتاج كثير تأمل.

وأنا في هذا المبحث لـن أعنـى بـالرد علـى شـبهات المـالكي، فقـد تولاها غيري مـن الفـضلاء[٢]، وإنمـا سـأعنى بتبـيين (سـرقاته)، لـيعلم

---

(١) يعتقد البعض خطأ أن المالكي من (العصرانيين)، ومن يقرأ أبحاثه وما بين سطورها يعلم يقينـاً أن الرجل رافضي متستر قد اتخذ العصرانيين (حميراً) للوصول إلى أهدافه هو ومن وراءه من بني جلدتـه. فهو يذكرني بالأفغاني الرافضي الذي تسلق على أكتاف جماعة من العقلانيين السذج، على رأسـهم محمد عبده ومدرسته.

(٢) كالشيخ سليمان العودة، والدكتور العزام، والدكتور الفريح، والشيخ عبد الكريم الحميد، والشيخ سعود العقيلي، والأخ سليمان البهيجي، والشيخ سليمان العلوان، والشيخ عبد الله السعد، والـشيخ ربيع المدخلي، والشيخ عبدالمحسن العباد، والشيخ عبد العزيز الراجحي وغيرهم كثير، فجزاهم الله خير الجزاء. وتجد صفحة خاصة في موقع (صيد الفوائد) (saaid.net) على الشبكة العنكبوتية للـرد على المالكي .

الجميع حال ديانة وعلم الرجل، الذي استمرأ هذا الأمر ـ كما سبق ـ وأنه مجرد (ناقل) عن غيره، متشبع بما لم يُعط.

وليت هذا المخذول إذ سولت له نفسه السرقة، سرق شيئاً ذا قيمة، إذاً لهان الأمر قليلاً، ولكنه ـ كبته الله ـ اقتات من (مزابل) أهل البدع والضلال، ثم قاء ذلك كله في أبحاثه الموجهة لأهل السنة، فكان كما قيل:

فكان اللوم لو (سرقوا) وفازوا فكيف بهم وقد (سرقوا) وخابوا؟

وسأقوم بذكر الفكرة المسروقة من كلام المالكي أولاً، ثم أعقبها بذكر من قال بها ـ ممن اطلعت على كلامهم ـ، وقد أستطرد قليلاً في بعضها، لتوضيح أمر، أورد عاجل.

وأتمنى من إخواني الكرام أن يزودوني بما لديهم عن سرقات هذا الرجل حتى يكتمل البحث، وأنا لهم من الشاكرين.

وليعلم أن السرقات التي استطعت إثباتها على المالكي هي عشر سرقات كاملة، ولعل من تقصى ودقق النظر في رسائله وجد غيرها الكثير؛ لأن الرجل مجرد صدى لغيره ـ كما سبق ـ.

أسال الله العزيز أن يكبت هذا المبتدع، وأن يكفينا شره (ومن وراءه)، وأن يسلط ولاة أمرنا عليه، ليجتثوا باطله، فيكون عبرة لإخوانه المتربصين بنا الدوائر، فإن (معظم النار من مستصغر الشرر)[1].

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

---

(١) ومن اطلع على بداية فتنة (ابن تومرت) في المغرب علم أن (التساهل) في مثل هذا الأمر (تحت أي مسوغ!) مما يجلب الشر لهذه البلاد، اللهم قد بلغت، اللهم فاشهد.

السرقة الأولى

تشكيك المالكي في وجود ابن سبأ، أو إنكار دوره في الفتنة: بناء على تضعيف سيف بن عمر:

وهذه الأمور كلها قد اشتهر وجاهر بها المالكي في مقالاته بجريدة الرياض (وانظر أيضاً: قراءة في كتب العقائد: ص ٥٩، ٦٠، وأحال على كتاب له لم يطبع! بعنوان "عبد الله بن سبأ بين الحقيقة والأسطورة"، وانظر أيضاً: نحو إنقاذ! التاريخ الإسلامي: ص ٤٣ وما بعدها).

وقال في مذكرة العقائد (ص ١٣٥) عن ابن سبأ: "أما دوره المزعوم في الفتنة فأجزم ببطلانه ، وأما وجود ابن سبأ من حيث الوجود فمحتمل ...".

وهذا التكذيب بوجود ابن سبأ أو التشكيك في دوره[1]، قد سرقه الزيدي المالكي من أسلافه الروافض وممن تابعهم من أذناب المستشرقين.

وممن اشتهر بهذا التكذيب وصنف فيه: الرافضي مرتضى العسكري في كتابه (عبد الله بن سبأ وأساطير أخرى)[2] والدكتور عبد العزيز الهلابي ـ هداه الله ـ الذي أهدى له المالكي كتابه (نحو إنقاذ! التاريخ) ! حيث نشر بحثاً بعنوان (عبد الله بن سبأ دراسة للمرويات

---

(١) ويدخل ضمن التشكيك ــ بلاشك ! ــ الاعتراف بوجود ابن سبأ ولكن الإدعاء بأنه عمار بن ياسر ــ ﷺ ــ !! كما صنع النشار في كتابه (نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام ، ٣٩/٢) ، وعلي الوردي في كتابه (وعاظ السلاطين، ص ١٧٧ وما بعدها). وأما الرافضي محمد المعلم فقد زعم في كتابه (عبد الله بن سبأ الحقيقة المجهولة) أن ابن سبأ رجلان! الأول ممدوح والثاني مذموم!(ص ٧٠).

(٢) الطبعة الرابعة ، مطبعة دار الكتب ، بيروت ١٩٧٣م.

التاريخية عن دوره في الفتنة)[1] قال في خاتمته (ص ٧٣): "والذي نخلص إليه في بحثنا هذا أن ابن سبأ شخصية وهمية لم يكن لها وجود"!!

وقبلهم أنكر عبد الله بن سبأ: برنارد لويس في (أصول الإسماعيليين والإسماعيلية)، وفلهوزن في (الخوارج والشيعة)، وصاحب كتاب (التشيع ظاهرة طبيعية في إطار الدعوة الإسلامية)،ومحمد كامل حسين في (آداب مصر الفاطمية) ومحمد جواد مغنية في كتابه التشيع)[2].

وقال طه حسين ـ سلف المالكي في تشكيكه بابن سبأ! ـ في كتابه (الفتنة الكبرى، عثمان) (ص ١٣٢ – ١٣٤):

"ولست أدري أكان لابن سبأ خطر أيام عثمان أم لم يكن، ولكني أقطع أن خطره، إن كان له خطر، ليس ذا شأن. وما كان المسلمون في عصر عثمان ليعبث بعقولهم وآرائهم وسلطانهم طارئ من أهل الكتاب أسلم أيام عثمان، ولم يكد يسلم حتى انتدب لنشر الفتنة وإذاعة الكيد في جميع الأقطار.

وأكبر الظن أن عبد الله بن سبأ هذا ـ إن كان ما يروى عنه صحيحاً ـ إنما قال ما قال ودعا ما دعا إليه بعد أن كانت الفتنة وعظم الخلاف، فهو قد استغل الفتنة ولم يثرها ..."

وقد رد على هؤلاء جمع من المحققين، من أبرزهم: الشيخ سليمان العودة في رسالته (عبد الله بن سبأ وأثره في إحداث الفتنة في صدر الإسلام)، ثم في تعقيبه على المالكي المنشور بعنوان (الإنقاذ من دعاوى

---

(١) الحولية الثامنة لكلية الآداب – بجامعة الكويت ، الرسالة ٤٥.

(٢) انظر: (كتب حذر منها العلماء) للشيخ مشهور حسن سليمان (٢/٣٨٧-٣٨٨).

الإنقاذ).

وكذا الأستاذ سعدي الهاشمي في كتابه (ابن سبأ حقيقة لا خيال)[(١)] وكذا الشيخ سعود العقيلي في كتابه (رسائل العدل والإنصاف).

ومن العجائب أن أحد الرافضة المعاصرين وهو محمد علي المعلم، قد قام بالرد على مرتضى العسكري الرافضي، مفنداً دعاويه في إنكاره لابن سبأ! وذلك في كتابه (عبد الله بن سبأ الحقيقة المجهولة)[(٢)] قال في مقدمته: "وقد حاول السيد! مرتضى العسكري ـ ولا ندري بأي دافع[(٣)] ـ أن يثبت أن عبد الله بن سبأ شخصية خرافية وأسطورة لا حقيقة لها صنعها خيال أحد الرواة وهو سيف بن عمر التميمي" (ص ٤).

ثم قام الرافضي بإثبات وجود ابن سبأ من خلال وروده في كتب الرافضة أنفسهم.

فعجباً للمالكي! كيف يأنف من شيء لم يأنف منه أسلافه الرافضة؟!

قلت: وأنا لست بصدد الرد على المالكي في هذه المسألة، إنما أحب أن أبين للقارئ أن المالكي مجرد ناقل للآراء السقيمة عن غيره، ومنها هذا الرأي حول ابن سبأ.

وقد أثبت هذا جماعة ممن تحاوروا مع المالكي، قال الأستاذ حسن الهويمل: "وظاهرة الانتحال في الشعر العربي التي التقطها مرجليوث حين حقق كتاب الحموي تعيد نفسها بشكل آخر مع حسن المالكي،

---

(١) نُشر قديماً في مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة (العدد ٤٦).

(٢) طبع دار الهادي بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ.

(٣) قلت: بدافع الدفاع عن قومه الرافضة! أن يكونوا ألعوبة بيد هذا اليهودي ، وقد كانوا!

ومع سلفه الذين أمدوه بالمادة والمنهج"

وقال عن المالكي بأنه "لم ينفرد بشيء"، وأنكر على الهلابي والمالكي بأنهما "يعيدان ما قاله غيرهما من إنكار لهذه الشخصيات، أما كان يكفيهما الإشارة إلى هذه النتائج والاشتغال بما هو أهدى وأجدى؟" (جريدة الرياض، عدد ١٠٦٠٦).

قلت: قد يصدق هذا على الهلابي، أما المالكي فإنه يصدر عن عقيدة توافقها مثل هذه الأبحاث التي يرى أنها لن تقبل لدينا لو جاءت من رافضي (واضح)، بخلاف هذا المستتر بالسلفية!!.

وقال الدكتور محمد العزام في رده على أفكار المالكي: "إنها أفكار العسكري، وبخاصة دعوى أن القعقاع من مخترعات سيف، فلو رآها لقال: أهلاً وسهلاً! بضاعتنا ردت إلينا".

وقال أيضاً: "الحقيقة أن هذه الأفكار منشورة منذ سنة ١٣٧٥هـ وكان ينبغي أن تنسب إلى صاحبها بالعبارة الصريحة والتوثيق اللازم، هذا مع أن كلامه ـ أي المالكي ـ في الثناء على أبحاث المستشرقين والمبتدعة يدل على أنه وجد الأفكار لديهم ناضجة متكاملة. وهذا هو الواقع، فكثير مما لديه يوجد في كتب مرتضى العسكري الذي قتل هذا القضايا بحثاً وأفرد لها عدة كتب، ولم أجده يخالفه في شيء أو يرد عليه! فهذا تناقض واضح بين الثناء على البحوث وإنكار الاعتماد عليها".

وقال أيضاً: "وكثير من الأفكار التاريخية التي ينشرها الأخ!! المالكي موجود في هذا الكتاب المذهبي ـ أي كتاب العسكري ـ مع الإقرار باختلاف طريقة العرض والاستدلال، وبعض الإضافات".

وقال أيضاً: "وجدت في كتابات الأستاذ! كثيراً من أساليب التعتيم

على العسكري، فتراه يذكر اسمه دون كتابه، أو كتابه دون اسمه ويقول: "توصل إلى النتائج نفسها التي توصل إليها الدكتور الهلابي!! كأن الأبحاث متزامنة! مع أنه قد توصل إليها منذ خمسين عاماً، ونشرها منذ ثلاثة وأربعين عاماً"!

ولما حاول المالكي التعمية على مصدره وأنه الرافضي مرتضى العسكري قال له الدكتور العزام:

"ولقد بذل الأستاذ! غاية جهده في هذا الكلام للتعمية على العسكري مرة أخرى، فأنكر الاعتماد على الكتب المطبوعة، وأدرج اسمه بين باحثين أكثرهم من هذه البلاد، ولم يذكر اسمه كاملاً ولا أسماء كتبه التي اطلع عليها، وجعل الأمر من باب الاطلاع المعتاد. وهو لا يخفى عليه بالطبع تواريخ صدور الكتب ولا المقارنة بين الأفكار ومعرفة صاحب النظرية من بينهم".

ولما اكتشف الأستاذ عبد الحميد فقيهي حقيقة سرقة المالكي، رد عليه المالكي بأن "هذا الربط لو صح لما ضر البحث شيئاً، فالحكمة ضالة المؤمن"! قال العزام "قوله "لو صح" فيه تهرب واضح لأنه لا يدل على إقرار ولا إنكار".

أخيراً: نعى الدكتور العزام على المالكي الذي يتبجح في أبحاثه مُعَرِّضاً بالآخرين بأنهم ليسوا أصحاب أمانة[1]! وينسى هذا اللص نفسه!

﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ ﴾

يا أيها الرجل المعلم غيره هلا لنفسك كان ذا التعليم!

---

(١) انظر رد الدكتور العزام على المالكي في جريدة الرياض على ثلاث حلقات (الأعداد: ١٠٦٣٣، ١٠٦٣٤، ١٠٦٣٥).

السرقة الثانية

الطعن في سيف بن عمر، وإنكار القعقاع بن عمرو التميمي:

وقضية الطعن في سيف بن عمر وإنكار القعقاع بن عمرو تلحق بسابقتها ، فقد (سرقها) المالكي من مرتضى العسكري ـ أيضاً ـ!، وذلك من كتابه الشهير (مائة وخمسون صحابي مختلق) الذي أنكر فيه وجود القعقاع بن عمرو ، بسبب مجيئه من طريق سيف بن عمر فقط.

وكذا من الهلابي الذي تابعه في حكمه على سيف بن عمر.

وقد بين هذا الفضلاء الذين ردوا على المالكي ؛ كالعودة والفريح والعزام وغيرهم.

قال الدكتور عبد الرحمن الفريح: "يبدو لي أن حسن بن فرحان المالكي لم يكن لديه من الشجاعة ما يجعله يقول: بأنه يعتمد على كتاب مطبوع يعرفه أهل الاختصاص، وربما غيرهم ،والإعتماد على كتاب (الصحابة المختلقون) من قبل المالكي يُسقط دعواه بأنه يطرق موضوعاً جديداً، أو أنه صاحب معالجة تاريخية لم يُسبق إليها" (جريدة الرياض ، العدد ١٠٦٠٢).

ولمناقشة رأي العسكري وتابعه المالكي! في سيف بن عمر انظر كتاب الشيخ سعود العقيلي (رسائل العدل والإنصاف).

وللعلم: فقد قال الرافضي الآخر محمد علي المعلم في كتابه (عبد الله بن سبأ الحقيقة المجهولة) عن كتاب العسكري (مائة وخمسون صحابي مختلق) بأن العسكري اعتمد فيه "منهجاً غير دقيق" (ص ٥). فشهد شاهد من أهلها.

السرقة الثالثة

تقسيم الصحبة إلى شرعية وعامة ، وأن ما ورد في فضائل الصحابة إنما يختص بالمهاجرين والأنصار دون غيرهم(١) !!

وقد أقام مذكرته في الصحابة لأجل تقرير هذه الفكرة الفاسدة.

يقول المالكي: "أصحاب النبي ـ ﷺ ـ الصحبة الشرعية ـ ليسوا إلا المهاجرين والأنصار" (الصحابة بين الصحبة اللغوية والصحبة الشرعية، ص٢٥).

وقد رد عليه هذا الرأي الفاسد الذي يخالف إجماع الأمة وتعريفها للصحابة الشيخ الفاضل عبد الله السعد في مقدمته لكتاب (الإبانة لما للصحابة من المنزلة والمكانة) للأخ عبد العزيز الحميدي، وكذا رد عليه الشيخ الفاضل سليمان العلوان في رسالته (الإستنفار للذب عن الصحابة الأخيار) (مجلة الحكمة ، العدد ٢٢) .

وقد حاول المالكي ـ بدهاء ! ـ لما سئل: من سبقه إلى هذا التعريف الغريب للصحابة أن يُعمّي على مصدره الحقيقي ، وهو كتب الزيود ومن شايعهم من أسلافه ، وقال للسائل: "قد سبقني لكن بألفاظ مقاربة بعض العلماء ، منهم إبراهيم النخعي وابن عبد البر" !! (ص ٥٨ من رسالته السابقة).

قلت: بل سبقك بهذا شيوخك الروافض ـ كما سيأتي ـ!!ولكنك تحاول(ترويج)مذهبك الفاسد بالتمسح بعلماء أهل السنة ـ رحمهم الله -.

أما النخعي فلم تذكر سوى قوله: " من فضل علياً على أبي بكر

(١) كل هذا التخبط وقلب الحقائق لأجل أن يُخرج معاوية ـــ رضي الله عنه ـــ من الصحابة !! فرضي الله عن عدو الزيود معاوية! الذي لازال يغيظهم ويحنقهم إلى اليوم.

وعمر فقد أزرى على أصحاب رسول الله - ﷺ - المهاجرين والأنصار" وأحلت على كتاب (فضائل الصحابة لأحمد ١/ ٢٤٩) ، وقلت: "سنده جيد" !! (مذكرة الصحابة ، ص ٥٢).

قلت: أولاً: لا أدري كيف عمي بصرك يا مدعي التحقيق ومنهج المحدثين !! عن قول المحقق تحت الأثر السابق الذي نقلته: " إسناده ضعيف لضعف الوليد بن بكير وهو التميمي الطهوي أبو جناب الكوفي" ؟! ونقل قول الدارقطني في الوليد هذا بأنه "متروك"! وقول ابن حجر فيه " لين الحديث"!

ثانياً: على فرض ثبوت هذا الأثر فأي حجة فيه على تقسيمك المزعوم؟! والنخعي إنما يسفه رأي من فضل علياً على أبي بكر وعمر، وهم شيوخك الروافض ! ، وأنهم بفعلهم هذا يزرون على كبار الصحابة وأفاضلهم فضلاً عمن دونهم.

ثالثاً: قد جاء نحوٌ من هذه العبارة عن غير النخعي ، مما يدل على أنها عبارة متداولة بين السلف يزرون بها على الشيعة والرافضة في تقديمهم علياً على أبي بكر وعمر - رضي الله عن الجميع - . فقد ذكر محقق (فضائل الصحابة) في الموضع السابق أن نحو هذه العبارة قد ورد عن عمار - رضي الله عنه - كما عند الطبراني في الأوسط (انظر مجمع الزوائد ٩/ ٥٤) ، ووردت أيضاً عن سفيان الثوري كما عند الفسوي في تاريخه (٣/ ٤٦٧).

أما ابن عبد البر فلم تذكر له شيئاً يدل على هذا التقسيم المزعوم !! ولو كان عندك ما يدل عليه ولو بشتى التكلفات لبادرت بإظهاره !

وكيف يقول ابن عبد البر بهذا التقسيم المزعوم الذي خالفت به

إجماع الأمة، وهو الذي صنف كتاباً جليلاً في صحابة رسول الله - ﷺ - وهو كتابه (الاستيعاب) ؟!

وقال في مقدمته: " الصحابة - ﷺ - قد كفينا البحث عن أحوالهم لإجماع أهل الحق من المسلمين، وهم أهل السنة والجماعة، على أنهم (كلهم) عدول، فواجب الوقوف على أسمائهم ، والبحث عن سيرهم وأحوالهم ؛ ليهتدى بهديهم ..." (الاستيعاب بهامش الإصابة لابن حجر ١/ ٣٧-٣٨).

وقال - أيضاً -: " ثبتت عدالة (جميعهم) بثناء الله - ﷻ - عليهم، وثناء رسوله - ﷺ -، ولا أعدل ممن ارتضاه الله لصحبة نبيه ونصرته، ولا تزكية أفضل من ذلك، ولا تعديل أكمل منه ..." (المرجع السابق ١/ ٤-٥).

قلت: فتأمل قوله: (كلهم) وقوله: (جميعهم)، فهي مما يشهد بكذب المالكي على ابن عبد البر - رحمه الله - ! وافترائه عليه بأنه يقول بتقسيم الصحبة إلى شرعية وعامة !! ولا تعجب من هذا الكذب المالكي؛ فإن الرجل لم يخالف أسلافه في طباعه! والشيء إذا جاء من معدنه لايُستغرب !.

أما الذين سبقوا المالكي إلى هذا التقسيم المبتدع فهم أسلافه كما سبق. يقول الزيدي صارم الدين! إبراهيم بن محمد الوزير في مقدمة كتابه (الفلك الدوار في علوم الحديث والفقه والآثار) (ص ١٠) بعد أن صلى على النبي - ﷺ - وعلى أهل بيته (بالتفصيل!): "ورضي الله عن أصحاب رسول الله الأخيار، السابقين الأبرار، الذين اتبعوه ساعة العسرة من المهاجرين والأنصار ..." ولم يذكر غيرهم من الصحابة! بل

انتقل الزيدي إلى ما يوافق هواه قائلاً (ص ١١): "وعن أنصار أمير المؤمنين، في يوم الجمل والنهروان وصفين، وأعوان الحسن والحسين ..." الخ.

فالقوم لا يترضون إلا عن المهاجرين والأنصار، فهم الصحابة عندهم، وأما غيرهم فلا. وقد تابع المالكي شيوخ مذهبه في هذا الأمر ـ كما سبق ـ.

وقال الحضرمي ابن عقيل (العلوي المتشيع)[١] ـ الذي يقتات منه المالكي كثيراً ـ في كتابه (العتب الجميل على أهل الجرح والتعديل) لما نقل تعديل الإمام البخاري لأحد الصحابه: " أقول: البخاري ـ ككثير غيره ـ يزعمون عدالة كل من سموه صحابياً بحسب اصطلاحهم الذي أحدثوه"! (ص ٦٩).

وممن زل في هذا الموضوع، وزعم أن ما جاء في فضل الصحابة ـ ﷺ ـ مخصوص بمن طالت صحبته للنبي ـ ﷺ ـ مُعَرِّضاً بمعاوية وعمرو وغيرهما ممن تبغضهم الشيعة (على اختلاف طوائفهم): الصنعاني في كتابه (ثمرات النظر). فقد قال: "وأما الصحابة ـ ﷺ ـ فلهم شأن جليل، وشأو نبيل، ومقام رفيع، وحجاب منيع ... الخ" (ص ١٠٥) ثم تعقب ذلك قائلاً: "إلا أن تفسير الصحابي بمن لقيه ـ ﷺ ـ أو بمن رآه، وتنزيل تلك المدائح عليه فيه بُعد يأباه الإنصاف، ولا يُقال لرعية الملك:

---

(١) توفي عام ١٣٤٩هـ، وله ترجمة في كتاب (أعلام الفكر الإسلامي في العصر الحديث) لأحمد تيمور باشا (ص ٣٥٠-٣٥٤)، وللمالكي ولع غريب بأفكار هذا العلوي المتشيع، الذي يصدق فيه ما قاله الشوكاني في كتابه أدب الطلب (ص ٤٠) عن العلوية ـ وهو خبير بهم ـ: (وغالب العلوية شيعة)!

أصحاب الملك، وإن رأوه ورآهم ولقوه ولقيهم، بل أصحابه من لهم به اختصاص ... " الخ شبهاته (ص ١٠٦ وما بعدها). ثم زعم أن لمعاوية ـ ﷺ ـ "فواقر"! (ص ١١٣) وأنه غير معذور في بغيه! (ص ١١٣)، ثم قال (ص ١١٤) ـ عامله الله بعدله ـ: "وأحسن من قال:

قالوا النواصب قد أخطا معاوية
في الاجتهاد وأخطا فيه صاحبه
والعفو في ذاك مرجو لفاعله
وفي أعالي جنان الخلد راكبه
قلنا كذبتم فِلمْ قال النبي لنا
في النار قاتل عمار وسالبه"

قلت: القائل هم أهل السنة لا النواصب!! ولكن الزيود يصمون بالنصب كل من ترضى عن معاوية ـ ﷺ ـ أو قال بأنه قد اجتهد وأخطأ في بغيه ـ كما هو معتقد أهل السنة[1] ـ، ولا يرضون بغير السب له والتبرؤ منه ـ نعوذ بالله من حالهم ـ.

تنبيه: ما سبق نقله عن الصنعاني يشهد بأنه قد بقيت فيه بقية من مذهبه الزيدي، لا كما يتوهم البعض بأنه (سلفي) العقيدة!، بل ذهب بعض العلماء؛ كالشيخ ابن بسام في (علماء نجد) إلى أن الرجل باق على

---

(١) قال الشيخ ابن باز ـ رحمه الله ـ في مجموع فتاواه (١٨/٤٣٥): "ومن هذا الباب ما جرى بين علي ومعاوية ـ رضي الله عنهما ـ، فإن المصيب عند أهل السنة هو علي، وهو مجتهد وله أجران، ومعاوية ومن معه مخطئون وبغاة عليه، لكنهم مجتهدون طالبون للحق ، فلهم أجر واحد، رضي الله عن الجميع".

قلت: ومما يشهد لمذهب أهل السنة قوله ـ ﷺ ـ عن الخوارج "يقتلها أقرب الطائفتين من الحق" أخرجه مسلم، فالجميع يريد الحق.

زيديته، وذكر شواهد لذلك، فلتراجع في ترجمة الصنعاني (٦/ ٤١٨) وفي(٢/ ٥٤٧). وانظر أيضاً: مجلة المنهل (بتاريخ ٢٨/ ٥/ ١٣٨٦هـ) ففيها رد على ما جاء في الطبعة الأولى من ديوان الصنعاني من شعرٍ له يلعن فيه معاوية ـ ﷺ ـ!!

السرقة الرابعة

ذم معاوية ـ ﷺ ـ!

ذم المالكي ـ أخزاه الله ـ لمعاوية ـ ﷺ ـ كثير جداً ـ والعياذ بالله[٢]، وأكتفي بعبارة واحدة له، وأحيل على بقية عباراته صيانة لأبصارنا أن ترى ذم أحد من الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ.

يقول المالكي مهوناً من شأن لعن معاوية ـ ﷺ ـ!!: "وقد ذهب إلى جواز لعنه ـ أي معاوية ـ ﷺ ـ!! ـ من العلماء المتأخرين محمد بن عقيل (وهو عالم سني)!! في كتابه: النصائح الكافية"(مذكرته في الصحابة ، ص ٥١).

وانظر: (مذكرة العقائد: ص ٦٤ ، ٧٠ ، ٧٣ ، ٧٥ ، ونحو إنقاذ! التاريخ الإسلامي: ص ٧١ ، ٧٢ ، ١٤٨ ، ١٦٧ ، ٢٤٠ ، ٢٧٩ ، ٢٨٧ ، ٣٣١).

قلت: وهذه البدعة الشنيعة قد (سرقها) المالكي من إخوانه الروافض (إماميهم وزيديهم!)، فهم أبرز من اشتهر بهذا الأمر، وكتبهم طافحة به، يعرفها كل مسلم، وقد تابعهم كثير من المبتدعة من غيرهم على هذه البدعة ـ ولا حول ولا قوة إلا بالله ـ.

وقد أجاد الشوكاني في قوله[٢]:

---

(١) يقول البعض بأنه ـ أرداه الله ـ يتدين بلعن معاوية ـ ﷺ ـ! اتباعاً لإخوانه الروافض ومن تابعهم كابن عقيل، وهذه لم يظهرها بعد!.

(٢) ديوانه (ص ٢٩٣).

لا قـــدس الله أرواح الـــروافض مـــا
تبسّم البرق بين العـارض الهطـل
قـــومٌ إذا قلـــت ملعـــونٌ معاويـــةٌ
ويـــا لـــسرٌ أميـــر المؤمنيـــن علـــي
فأنـــت عنـدهم العـدل الرضـــي وإن
رفضت شرع رسـول الله عـن كَمَـل

فممن طعن في معاوية ـ ﷺ ـ من الزيود أسلاف المالكي: صالح المقبلي في كتابه (العلم الشامخ) متهماً معاوية بأنه "طالب ملك اقتحم فيه كل داهية"! (ص ٤٥٤) (وانظر: ص ٣٨٥ ، ٤١٧).

وممن طعن في معاوية ـ ﷺ ـ وأجاز لعنه وسبه!! ممن اطلع على كتبهم المالكي ونقل منها كما سبق ـ المدعو محمد بن عقيل الحضرمي، حيث ألف كتابين لأجل هذا الطعن! الأول: (النصائح الكافية لمن يتولى معاوية) حشاه بالكذب والبهتان، وسيأتي ذكر من رد عليه، والثاني: (تقوية الإيمان في رد تزكية ابن أبي سفيان).

وكذا طعن فيه في مواضع من كتابه (العتب الجميل على أهل الجرح والتعديل)، حيث سمى معاوية ـ ﷺ ـ "كهف المنافقين"!! (ص ٧) وأنه من "الطواغيت"! (ص ٤٧ ، ٦٢) ، وأنه "عجل النواصب"! (ص ٦٣).

وقد رد الشيخ جمال الدين القاسمي ـ رحمه الله ـ على هذا العلوي الرافضي بكتاب سماه (نقد النصائح الكافية) قال في مقدمته (ص ٢) واصفاً كتاب الرافضي بأنه أيد فيه "مذهب من جرح معاوية ورهطه، وزعم أن تعديلهم زلة وغلطة، وبنى عليه جواز لعن معاوية وسبه"، ثم

فند كلام الرافضي، وبين عقيدة السلف في الصحابة ـ ﷺ ـ، واعتذر لمعاوية، وأفحم الرافضي بتنازل الحسن له، وعدم قيام الحسين بالثورة عليه ... الخ ما ذكر، فليراجع.

وممن طعن في معاوية ـ ﷺ ـ من مبتدعة هذا العصر، زعيمهم: زاهد الكوثري في عدة مواضع من كتبه ومقالاته (انظر على سبيل المثال: تعليقه على كتاب الأسماء والصفات، ص ٤٢١ – ٤٢٣، وكتاب تبديد الظلام، ص ٩٤ – ٩٦، ومقالاته، ص ٣٤٩) (وانظر للرد عليه: مخالفة الكوثري لاعتقاد السلف، للدكتور محمد الخميّس، ص ٦١ – ٦٢).

وممن طعن في معاوية ـ ﷺ ـ من المبتدعة المعاصرين: عبد الله الحبشي، المبتدع الشهير، زعيم فرقة الأحباش، وذلك في كتابه (صريح البيان) (ص ٢٢٧ وما بعدها).

وانظر للرد عليه: (الرد على عبد الله الحبشي) للشيخ عبد الله الشامي (ص ١١ وما بعدها)، و(الحبشي شذوذه وأخطاؤه) للشيخ عبد الرحمن دمشقية (ص ٩١ وما بعدها).

وممن طعن في معاوية ـ ﷺ ـ من المبتدعة المعاصرين: حسن السقاف، وذلك في تعليقه على كتاب ابن الجوزي (دفع شبه التشبيه) (ص ١٠٢، ٢٣٦).

(وانظر للرد عليه كتاب الشيخ سليمان العلوان: إتحاف أهل الفضل والإنصاف بنقض كتاب ابن الجوزي دفع شبه التشبيه وتعليقات السقاف، ص ٤٧ وما بعدها).

قلت: والطاعنون فيه ـ ﷺ ـ من أهل البدع ومن شايعهم كثير،

وقد ذكرت جماعة منهم في مقدمة (مختصر تطهير الجنان في النهي عن الخوض والتفوه بثلب معاوية بن أبي سفيان) للهيتمي، حتى أتى الدور إلى المالكي الذي تابع أسلافه ، وناصب معاوية ـ ﷺ ـ العداء.

السرقة الخامسة

نقد أهل السنة ـ والمحدثين منهم على وجه الخصوص ـ بأنهم يتشددون في طعن من يتظاهر بمحبة علي ـ ﷺ ـ! ويتهاونون مع المنحرفين عنه من الخوارج والنواصب !!

وهذا الأمر كثيراً ما يدندن حوله المالكي، ويريد من خلاله (تمرير) رسالة خفية إلى قارئ مذكراته بأن من يسمون أهل السنة (السلفيين) هم في الحقيقة (نواصب)!

يقول المالكي: ــ بعد إيراده لبعض فضائل الصحابة ـ ﷺ ـ: " الغريب أن بعضهم كابن تيمية سامحه الله يورد مثل هذه النصوص العامة، ويعتبرون القادح في الصحابة قادح (كذا !) في الكتاب والسنة ، ويقصدون بالصحابة غالباً المتأخرين منهم ، كمعاوية وعمرو وأمثالهم ، بينما يسكتون عن طعن النواصب في علي ولعنهم له " !! (مذكرته في الصحابة ، ص ٧٩-٨٠). (وانظر: مذكرة العقائد: ص ٦٣ ، ١٢٧ ، ١٧٠ وما بعدها ، ١٣٦ ، ونحو إنقاذ! التاريخ الإسلامي ، ص ٤١ ، ٢١١).

قلت: وهذا التشكي والهمز لأهل السنة قد (سرقه) المالكي من الرافضة ـ والزيود منهم خصوصاً ــ ومن تابعهم في بدعتهم، التي من لم يوافقهم عليها اتهموه بالنصب.

عقد الزيدي صارم الدين! إبراهيم بن محمد الوزير خاتمه لكتابه (الفلك الدوار في علوم الحديث والفقه والآثار) (ص ٢٢٠ وما بعدها)

سماها (خاتمة في عتاب أهل الجرح والتعديل)، وانتقد فيها المحدثين في طعنهم بالشيعة الروافض وعدم روايتهم عنهم، يقول هذا الزيدي: " إن جمهور الخصوم لما قطعوا بإمامة الثلاثة بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم قبل علي - عليه السلام -[(١)] وفضلوهم عليه وجعلوه رابعاً، وقدحوا في كل من قطع بإمامته بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم دونهم، ومن خَطَّأهم في التقديم عليه وجزم بتفضيله عليهم، فمعتمد جرحهم لأكثر الشيعة إنما هو لذلك، فمن روى خلاف معتقدهم - ولو سنياً - بَدَّعوه وكَذَّبوه وسَمَّوْه رافضياً، وتركوا الأخذ منه ونهوا عن الكتابة عنه، وهجروه، وإن عظم محله عندهم قالوا: منكر الحديث، يتفرد بغرايب لا يتابع عليها. ونحو ذلك، وأعانهم على هذا خلفاء الدولتين، ومن طالع الأخبار وعلوم الرجال عرف ذلك ضرورة.

وقالوا: تفضيل علي على عثمان أول عقد من الرفض، فأما تفضيله على الشيخين فرفض كامل"!.

وقال هذا الزيدي - أيضاً -(ص ٢٢٣): " واعلم أن أهل الجرح والتعديل قد نالوا من الشيعة والعدلية[(٢)] منالاً عظيماً ، وسموهم رافضة وقدرية، فالله حسيبهم"!.

قلت: الله حسيبك أنت عندما تنافح عن أسلافك من الروافض أعداء صحابة نبيك - ﷺ -، قبحهم الله.

---

(١) الأولى أن يقال: رضي الله عنه.

(٢) أي المعتزلة! لأنهم يقولون بما يسمونه العدل، وهو أن الإنسان يخلق أفعاله، وتغلب مشيئته مشيئة الله! والعياذ بالله. (انظر : المعتزلة وأصولهم الخمسة، للدكتور عواد المعتق)، وانظر: رسالة (تأثير المعتزلة في الخوارج والشيعة) لعبد اللطيف الحفظي، لتعلم كيف أثر المعتزلة في الزيود! فأصبحوا ينتسبون لمذهبهم (أهل العدل).

وأما المقبلي الزيدي فقد تشكى كثيراً في كتابه (العلم الشامخ) من المحدثين، واتهمهم - زوراً - بأنهم يحيفون على علي وآل البيت - ﷺ -! ويميلون إلى التهاون مع أهل النَصْب!، فمما قال: " العجب من المحدثين تراهم يجرحون بمثل قول شريك القاضي وقد قيل عنده: معاوية حليم، فقال: ليس بحليم من سفه الحق وحارب علياً. وبقوله وقد قيل له: ألا تزور أخاك؟ فقال: ليس بأخ لي من أزرى على علي وعمار. فليت شعري كيف الجمع بالنقم بين هذين الأمرين، ثم لم ترهم يبالون بلعن علي فوق المنابر، وبمعاداة من عاداه" ! (ص ٣٨٥). (وانظر: ص ٤١٧ ، ٤٥٤).

قلت: كذب المقبلي! فأهل السنة - كما سيأتي - يطعنون في الرافضة كما يطعنون في النواصب.

وأما الحضرمي الصوفي المتشيع ابن عقيل فقد ألف - كما سبق - كتاباً بعنوان (العتب الجميل على أهل الجرح والتعديل)[1] قال في مقدمته (ص ٣) داعياً الله: " أن يحفظنا من مضلات الفتن، ومن موالاة المحادين والقاسطين والمارقين، ويعيذنا من الغلو والشطط، ويجعلنا من خير أهل الإنصاف من الأمة الوسط " فقال الشيخ ابن مانع - رحمه الله - تعليقاً على هذا الدعاء من المؤلف: " هذا دعاءٌ لم يُستجب، فقد غلا

(١) وأعتمد هنا على طبعة عام ١٣٤٢هـ الخاصة بالشيخ محمد بن مانع - رحمه الله - وهي محفوظة في مكتبته الخاصة بمكتبة الملك فهد بالرياض. وعليها تعليقات موجزة للشيخ يرد فيها على دعاوى هذا الحضرمي، ومنها أنقل. ومن الطريف أن ابن عقيل هذا قد ذم الإباضية في كتابه وتهجم عليهم بأشد العبارات، مما حدا شيخهم إبراهيم اطفيش أن يؤلف رداً على كتاب ابن عقيل سماه (النقد الجليل للعتب الجميل)، فتحقق فيهما قول الله تعالى: (وكذلك نولي بعض الظالمين بعضاً بما كانوا يكسبون) !

في الرفض غلواً شديداً "!!.

يعتب هذا الحضرمي المتشيع على أهل الجرح والتعديل من أهل السنة، كأحمد ويحيى وغيرهم بأنهم يبالغون في نقد الشيعة، ويذمونهم لأدنى سبب! وفي المقابل يزكون النواصب أعداء علي ـ ﷺ ـ!! وهو عين ما ردده المالكي ـ كما سبق ـ!

فإليك شيئاً من أقوال ابن عقيل، وقارنها بأقوال خلفه المالكي، يتبين لك لصوصية هذا الرجل، وتطفله على المزابل !

يقول ابن عقيل: تعليقاً على كلام للحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ يقول فيه " والتشيع محبة علي وتقديمه على الصحابة فمن قدمه على أبي بكر وعمر فهو غالٍ في تشيعه ويُطلق عليه رافضي، وإلا فشيعي".

قال ابن عقيل: " ولا يخفى أن معنى كلامه هذا أن جميع محبي علي المقدمين له على الشيخين روافض، وأن محبيه المقدمين له على من سوى الشيخين شيعة، وكلا الطائفتين مجروح العدالة. على هذا فجملة كبيرة من الصحابة الكرام كالمقداد وزيد بن أرقم وسلمان وأبي ذر وخباب وأيوب وسهل بن حنيف وعثمان بن حنيف وأبي الهيثم بن التيهان وخزيمة بن ثابت وقيس بن سعد وأبي الطفيل عامر بن واثلة والعباس ابن عبد المطلب وبنيه وبني هاشم كافة وبني المطلب كافة وكثير غيرهم كلهم روافض لتفضيلهم علياً على الشيخين ومحبتهم له، ويلحق بهؤلاء من التابعين وتابعي التابعين من أكابر الأئمة وصفوة الأمة من لا يحصى عددهم، وفيهم قرناء الكتاب، وجرح عدالة هؤلاء هو والله قاصمة الظهر".

ولما بين ابن حجر ـ رحمه الله ـ وهو يرد على الرافضة احتجاجهم بحديث " لا يحب علياً إلا مؤمن ولا يبغضه إلا منافق" أن الأنصار قد ثبت لهم مثل هذا، حيث قال عنهم ـ ﷺ ـ في الصحيحين: " حب الأنصار إيمان وبغضهم نفاق " فأنتم ببغضهم أصبحتم منافقين! قال ابن عقيل ـ الذي لم يعجبه إحراج ابن حجر لإخوانه الرافضة - (ص ٢٠-٢١): " أقول: اعتاد بعض من يكمن في سويداء قلبه بغض مولى المؤمنين علي عليه السلام أن يتبع ذكر كل منقبة من مناقب علي لا يستطيع جحدها بما يشوهها أو يوهم مساواة غيره لها حسداً من عند أنفسهم، ولو بأن يكذبوا ويخترعوا وينقلوا ما يعرفون بطلانه أو ضعفه. كثر هذا حتى صار من ليس مثلهم في مرض القلب يتبعهم في صنيعهم هذا هيبة للإنفراد، أو احتراساً عن أن ينبز بالرفض، أو انقياداً للتقليد، أو بلهاً أو غفلة "!

قلت: فانظر إلى هذا الخبيث كيف استساغ الطعن في الحافظ ابن حجر واتهامه بالنَصْب وبغض علي ـ رضي الله عنه ـ[1] لأنه لم يوافق هواه، ولأنه أحرج أشياخه الرافضة.

ويقول ابن عقيل ـ أيضا ـ (ص٤٩): "يشتد عجبي من صنيع العلماء وضيق صدورهم من ذكر فضائل مولى المؤمنين فيتطلبون

(١) ومن العجائب ــ والعجائب جمة ــ أن المالكي يستدل كثيراً بأقوال الحافظ ابن حجر ــ رحمه الله ــ على أن شيخ الإسلام ابن تيمية فيه انحراف عن علي ــ رضي الله عنه ــ!! فكيف يكون هذا؟ وابن حجر ــ أيضاً ــ ناصبي على قول شيخك ابن عقيل!! وهذا من تخبطات القوم وغلوهم في البدعة، فكل من لم يوافقهم على ذلك رموه بالنصب! وقائمتهم في هذا طويلة جداً ، ولعلي أذكر بعض من رموه بذلك في مقام آخر ــ إن شاء الله ــ.

توهينها وردها بكل حيلة ولو كان فساد ما يتطلبونه ظاهراً بيناً كما مر بك. وقد استحكم هذا الداء وورثه خلفهم عن سلفهم فيثقل على قلوبهم المريضة سماعهم مناقب أمير المؤمنين عليه السلام وفضائله كذكره بالسيادة كما في الحديث السابق سياقه فتغلي مراجل حسدهم في صدورهم وتسودّ الدنيا في عيونهم ويتخبطهم شيطان النصب وتنتفخ أوداجهم من الغيظ ﴿ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ ﴾. وقد أسخن الله عيونهم بما وصل إلينا من مناقب سيدنا ومولانا صنو نبينا عليهما وآلهما الصلاة والسلام وما أخرجه الله بقدرته من بين الكتمين كتم الحسد وكتم الخوف على النفس وهذا من خوارق معجزات نبينا محمد صلى الله عليه وسلم قد جرت العادة بأن ما اعتمد أهل الدولة ستره أو تكاتف علماء الدين على إخفائه قلما يظهر ويتواتر ، وهنا جاء الأمر بالعكس رغماً عن جد الفراعنة في طمسه وشياطين العلماء في إلقاء الشبه وبث الأضاليل في سبيل ظهوره ".

قلت: هذا من تهويلات هذا الرافضي الخبيث ، وإلا فإن أهل السنة هم أكثر من يروي فضائل علي ـ ﷺ ـ ويفرحون بها، كما يفرحون بغيرها من فضائل غيره من الصحابة ـ ﷺأجمعين ـ، ولكن الرجل يتوهم أن من لم يتابعه في غلوه في علي وأهل البيت فهو ناصبي.

ولهذا قال الشيخ ابن مانع ـ رحمه الله ـ معلقاً على هذه الفرية:" ما أدري من عنى بهذا؟ أما أهل السنة فكلهم موالون لعلي، ويعترفون بفضله وسيادته وأنه رابع الخلفاء الراشدين، وأما أهل البدع من الخوارج فكلامهم في علي مثل كلام الروافض في الشيخين وسائر

الصحابة، باطل عاطل ".

وقال ابن عقيل - أيضاً - (ص ٥٧) معلقاً على قول الإمام أبي حاتم - رحمه الله - في أحد الرواة الشيعة بأنه غالٍ في التشيع:" أقول ليفرخ روع القارئ، فإن الغلو في التشيع كالرفض، لهم فيه تفاسير تقدمت، والمتيقن من ذلك حب علي وتفضيله على الأمة، وقد تقدم أن ذلك إجماع العشرة وقول جمع من كبار الصحابة وخيارهم وجم غفير من تابعيهم بإحسان"!

قلت: ففي قوله مدح للرفض!؛ لأنه عنده مجرد حب علي وتقديمه على الصحابة!! فأين السب وأين التكفير؟!

ولذا فقد تعقبه الشيخ ابن مانع - رحمه الله - قائلاً: " حب علي مذهب أهل السنة، وهو الحق " قال:" ومرادهم بالتشيع والرفض سب أصحاب النبي - ﷺ - وذم أم المؤمنين".

ولكن: هل يفهم مثل هذا الكلام من كان في قلبه دغل على صحابة نبينا محمد - ﷺ -؟! لا أظن ذلك.

وانظر أيضاً أقوالاً أخرى لابن عقيل هذا في (ص ٦٧، ٨٣، ٩١من كتابه) وكلها اتهامات لأهل السنة بأنهم منحرفون عن علي - رضي الله عنه - طاعنون في شيعته، مادحون لشانئيه ... الخ أباطيله، التي يعلم كل عاقل أنها مجرد افتراءات على أهل السنة، الذين أنزلوا علياً - رضي الله عنه - مكانته اللائقة به، متجنبين غلو الروافض، وشطط النواصب، قبح الله الطائفتين وأخزاهما.

وقد نقلت لك المواضع السابقة من كتاب ابن عقيل هذا لتتيقن أن المالكي مجرد ناقل لأفكاره السابقة، بعد أن يغير ألفاظها، كما نقل عنه

أيضاً، طعنه في معاوية ـ ﷺ ـ، ورأيه في الصحابة، وذمه للقسري ـ كما سيأتي ـ.

وقد أجاد الصنعاني في كتابه (توضيح الأفكار) عندما دافع عن المحدثين، ورد اتهام الزيود والروافض لهم بأنهم غير عادلين، إنما يحابون النواصب، إن لم يكونوا منهم ! فقال تعليقاً على عبارة ابن الوزير صاحب (تنقيح الأنظار): " وهم ـ أي أئمة الحديث ـ يعرفون فسق الفاسق وجرحه، والنهي عن قبوله، وهم يسوون في ذلك بين المنحرفين عن علي عليه السلام، وعن عمر، وعن أبي بكر[1]" قال الصنعاني: " فليس لهم عصبية تحملهم على خلاف هذا، فإنهم كما يقدحون بالغلو في الرفض يقدحون بالنصب. والرفض: محبة علي وتقديمه على الصحابة، وسب الشيخين. والنصب: بغض علي عليه السلام ! وتقديم غيره عليه، كما صرح بهذا الحافظ ابن حجر في مقدمة فتح الباري، فالمنحرف عن علي عليه السلام! هو الناصبي، والمنحرف عن الشيخين هو الغالي في الرفض، وقد سوّوا في الجرح بكل واحدة من الصفتين" (٢/ ٤٤٣).

قلت: فهل يعي هذا المالكي وأسلافه؟! لا أظن! لأن القوم أشربوا حب البدعة ونشأوا عليها، فمن لم يوافقهم فيها طعنوا فيه واتهموه بالنصب، والعياذ بالله.

السرقة السادسة

نقض كتاب (كشف الشبهات) للإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب:

وقد ألف المالكي لأجل ذلك مذكرته الشهيرة (نقض!! كشف

(١) رضي الله عنهم !!

الشبهات)، مدافعاً فيها عن القبوريين، مشنعاً على داعية التوحيد الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب ـ رحمه الله ـ.

قلت: وهذه (الفكرة) قد (سرقها) المالكي أيضاً من شيوخه الزيود!

فإنه لما صدرت فتوى الشيخ عبد العزيز بن باز ـ رحمه الله ـ في حكم الصلاة خلف الزيود، وقال فيها: " أما الصلاة خلف الزيدية فلا أرى صحتها خلفهم؛ لأن الغالب عليهم الغلو في أهل البيت بأنواع من الشرك، مع سبهم لبعض الصحابة، وإظهارهم بعض البدع ..."[١]

ضج الزيود بعدها وتصايحوا من أقطار عديدة للرد على هذه الفتوى التي فضحت مذهبهم، فألفوا الرسائل في هذا، دون فرق بين زيديّهم أو رافضيّهم أو نصيريّهم[٢]، بل الجميع تكاتف لصد هذه الفتوى والتشويش عليها، خشية أن تصل إلى أبناء مذهبهم فيتأثروا بها ويبدؤا بالبحث عن أصل مذهبهم وحقيقته، وهل هو موافق للكتاب والسنة أم لا؟ ومثل هذا الأسئلة تقلق طالب الحق وطالب الآخرة، ولهذا فقد حاول شيوخ الشيعة (بمختلف طوائفهم) حجب هذه الفتوى أن تصل إلى العقول المتطلعة للحق من أتباعهم.

المهم: قام أحد مشايخ الزيود ـ وحسن المالكي منهم ! ـ في اليمن واسمه بدر الدين! بن أمير الدين! بن الحسين الحوثي بتأليف كتاب سماه (الإيجاز في الرد على فتاوى الحجاز)[٣]! زاعماً فيه الرد على

---

(١) فتوى رقم ٢١٤٣ بتاريخ ١٣٩٥/٩/٣هـ.

(٢) ممن رد على الفتوى النصيري السوري الهالك عبد الرحمن الخير في كتابه (الرد على ابن باز) ! وقد قدم له الزيدي اليمني عبد الرحمن الإرياني ﴿تشابهت قلوبهم﴾.

(٣) طبع مكتبة اليمن الكبرى ، دون تاريخ.

السلفيين وقد عقد فصلاً كاملاً في كتابه سماه (الجواب الوجيز) (ص ٢٣ - ٣٨) يرد فيه على كتاب الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب (كشف الشبهات)!!!

فعرفنا حينها من أين استقى المالكي الزيدي كتابه السابق (نقض كشف الشبهات)!

يقول الحوثي الزيدي في مقدمة فصله: " بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على عبده ورسوله سيدنا محمد الأمين، وعلى آله الطاهرين. وبعد: فإنا اطلعنا على الكتاب المسمى (كشف الشبهات) فوجدنا فيه العبارات المجملات التي إذا تقبلها الجاهلون على إجمالها كانت سبباً لفساد عظيم لرمي المسلمين بالشرك مع المشركين ..." الخ (ص ٢٣).

ثم قام الزيدي بالدفاع عن أحبابه القبوريين المشركين وتلمس المعاذير لهم والتشنيع على دعاة التوحيد، واتهامهم بالغلو والتكفير، وقد تابعه الزيدي المالكي في مذكرته السقيمة في هذا كله حذو القذة بالقذة!

﴿ أَتَوَاصَوْا بِهِۦۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴾!

السرقة السابعة

الطعن في كتاب (السنة) لعبد الله بن الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ

ولأجل نقده ألف المالكي رسالته (قراءة في كتب العقائد) وجعل كتاب (السنة) أنموذجاً لكتب الحنابلة !

وهذا الطعن في كتاب (السنة) لعبد الله بن أحمد (سرقه) المالكي كعادته من أهل البدع، كالكوثري والسقاف وغيرهما. وسبب طعنهم ما جاء فيه من إثبات الصفات لله كما وردت في الكتاب والسنة، دون

تمثيل أو تعطيل، وهو ما لا يريده هؤلاء الجهمية. وهكذا المالكي (المتجهم)[١] تابعهم في هذا الأمر.

ولوعقل هذا السفيه لعلم أن عبد الله ـ رحمه الله ـ إنما يروي في كتابه ما بلغه بالسند، فلا تثريب عليه، فإن كان ما رواه ضعيفاً ـ وهو قليل في كتابه ـ رددناه دون تشنيع أو تهويل، فهذا شأن طلاب الحق، لا أن نتخذ من هذا الأمر متكئاً للطعن في عقائد أهل السنة، كما يفعل المالكي وأحزابه من المبتدعة.

وليتبين لك مسلك أهل السنة في نظرتهم لكتاب (السنة)، انظر مقدمة الدكتور محمد سعيد القحطاني للكتاب.

أما طعن الكوثري الهالك رأس الضلال في هذا العصر في كتاب (السنة) لعبد الله بن أحمد ـ رحمه الله ـ فقد ردده في كثير من مقالاته وتعليقاته على الكتب، حيث قال عنه: " كتاب الزيغ والتجسيم والتشبيه"! وقال ـ أيضاً ـ: "ولعل هذا القدر من النصوص التي سقناها من كتاب السنة يكفي لمعرفة ما وراء الأكمة، ولا أظن بمسلم نشأ نشأة إسلامية أن يميل لتصديق تلك الأساطير الوثنية"! (انظر مقالاته: ص ٣٢٤، ٣٢٠ ، ٣٠١ ، ٣٠٧ ، ٣٢٥ ، ٣٢٩ ، ٣٣٢ ، ٣٣٨ وانظر: بيان مخالفة الكوثري لاعتقاد السلف ، للدكتور محمد الخميّس، (ص ٥٨-٥٩).

وأما حسن السقاف فقد تابع سلفه الكوثري الهالك فطعن في كتاب (السنة) لعبد الله بن أحمد، وزعم أن فيه " بلايا وطامات"! (تعليقه على كتاب ابن الجوزي: دفع شبه التشبيه، ص ١٨٤ تعليق رقم ١٢١)[٢].

---

(١) انظر رد الشيخ عبد الكريم الحميد على المالكي، فقد بين جهمية الرجل.

(٢) بل تجاوز هذا الأفاك إلى الطعن في سند كتاب (السنة) مدعياً أنه (مركّب مفتعل)! (تعليقه على كتاب ابن الجوزي ، ص ١٨٥) (وقد رد عليه الشيخ سليمان العلوان في الكشاف، ص ٣١ وما بعدها).

(وانظر الرد عليه في كتاب الشيخ سليمان العلوان "الكشاف عن ضلالات حسن السقاف" ، ص ٣٠-٣٢).

السرقة الثامنة

مدح الجهمية ورموزها، والتماس المعاذير لهم، والدفاع عن عقائدهم! وذم من قتلهم، وأنه لم يقتلهم إلا بسبب السياسة !

وقد حشى المالكي رسالته (قراءة في كتب العقائد) بهذه الأمور.

يقول المالكي: " قد تناقضت الآراء عن الجعد بن درهم وأكثر ما دون من آرائه كان من طريق خصومه " (مذكرة العقائد، ص ٨٩). ويقول: " كل التيارات التي نصمها بالبدعة، كالجهمية والقدرية والمعتزلة والشيعة والزيدية! وغيرهم، كل هؤلاء كانوا من الدعاة إلى تحكيم كتاب الله " !! (المرجع السابق ص ٩٠). ويقول مبرراً حماسه في الدفاع عنهم: " وحرارة هذا القول مني كان أسفاً مني على سنوات أضعتها في بغض ولعن الجهمية والقدرية، ولم أنتبه لبراءتهما من أكثر ما نسب إليهما... " ! (المرجع السابق ، ص ٩١). (وانظر: ص ٩٤ ، ٩٧ ، ٢٦ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ١٤٣، ففيها يمدح المالكي طوائف المبتدعة). ويقول المالكي عن خالد القسري الذي قتل الجعد رأس الجهمية: " كان هذا الأمير ـ أي القسري ـ مشهوراً بالظلم والفجور " (مذكرة العقائد ، ص ٨٩ وانظر ص ٨٣) ويقول: " بدعته أعظم من بدعة الجعد بن درهم " !!! (المرجع السابق ، ص ٨٤) (وانظر: ص ٩٨).

ويقول عن الجعد " قتل قتلاً سياسياً" (المرجع السابق ، ص ٨٩).

وأما عن الجهم فيقول: " كذلك قتلهم للجهم بن صفوان كان قتلاً سياسياً بحتاً" (المرجع السابق ، ص ٨٩).

قلت: وهذه الضلالة، وهي الثناء على الجهمية، ورؤسائها، والاعتذار عن كفرياتهم، قد استفادها المالكي ممن قبله، ممن ذهب هذا المذهب القبيح في التعامل من أهل الضلال، وآثر ملاينتهم.

ومن أبرزهم: الشيخ جمال الدين القاسمي في كتابه (الجهمية والمعتزلة)[1]، والنشار في كتابه (نشأة الفكر الفلسفي)، وخالد العلي في رسالته (جهم بن صفوان ومكانته في الفكر الإسلامي).

أما القاسمي ـ غفر الله له ـ فقد بالغ في الثناء على الجهم والجهمية ، ملتمساً لهم المعاذير ، ظاناً أنه بهذه الطريقة يجمع الأمة !، فالجهمية عنده " فرقة من المسلمين" (ص ٩). والجهم كان حريصاً على إقامة أحكام الكتاب والسنة! (ص ١٦)، وقال عنه: "كان الجهم داعية للكتاب والسنة، ناقماً على من انحرف عنهما، مجتهداً في أبواب من مسائل الصفات" ! (ص ١٨) وأما الجعد بن درهم فكان قتله سياسياً (ص ٣٨).

وشكك في قبول ما صدر عنهم من كفريات وضلالات (ص ٣٠-٣٤)، ووضع عنواناً يقول: " بيان أن الجهمية والمعتزلة لهم ما للمجتهدين " ! (ص ٧٧) وأنهم معذورون في قولهم بخلق القرآن (ص ٧٧ – ٨٠).

وكل هذا تلبيس من القاسمي ـ عفا الله عنه ـ وستر لكفريات وضلال هذه الفرق التي أجمع على ذمها علماء السنة، كل هذا بدعوى التقريب، ناسياً أن التقريب بين الأمة لا يكون إلا بجمعها على الحق، لا خلط الحق بالباطل، والمداهنة لأهله.

(١) وقد أشار المالكي لهذا الكتاب في مذكرته عن العقائد (٨٩-٩٠).

وأما النشار فقد قال عن الجهم في كتابه (نشأة الفكر الفلسفي): " الجهم بن صفوان شخصية من أكبر شخصيات الإسلام" ! (١/ ٣٣٣)، وقال: " الجهم بن صفوان كان مفكراً مسلماً " (١/ ٣٣٥)، وقال: " لا شك أن للجهم بن صفوان فضلاً كثيراً على الإسلام " (١/ ٣٣٦)، وقال: " كان للرجل.. فضل كبير أيضاً في تاريخ الفكر الإسلامي..." (١/ ٣٣٧)، وقال في مدح الجهمية: " الجهمية والمعتزلة هما الطائفتان اللتان تمثلان ثورة المجتمع الإسلامي على بني أمية " (١/ ٢٥).

وأن القدرية " أصحاب الإرادة الحرة " (١/ ٣١٤)، وأما غيلان الدمشقي فهو" الشهيد الثالث لمذهب الإرادة الحرة، والمثل الأعلى للدفاع عن عقيدته، والثبات عليها في وجه عتاه بني أمية" (١/ ٣٢١)، وأنه " كان من أعظم الشخصيات الإسلامية " (١/ ٣٢٤).

وأما الجعد فكان " أول رواد التفسير العقلي في الإسلام" (١/ ٣٣٢)، وأن قتله كان سياسياً (١/ ٣٣١)

ولعل عذر النشار في هذا الدفاع الحار عن الجهيمة ورؤوسها كونهم مصدر مذهبه الأشعري الذي يتعصب له كثيراً !

وانظر للرد عليه: كتاب (الإعلام بنقد كتاب نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام) للدكتور محمد سعيد القحطاني.

وأما خالد العلي فيقول عن الجهم " أحد الأفذاذ الكبار" ! (ص ١٠) (وانظر، ص ٢٠٨). وشكك في مصادرنا عن مذهبهم (ص ١٦-١٧، ٢٠).

قلت: وقد رد أباطيل القوم وتزكيتهم للجهم المبتدع الضال، الشيخ عبد العزيز العبد اللطيف ـ حفظه الله ـ في كتابه (مقالات في المذاهب

والفرق، ص ٥٤ - ٧٦) ونقل أقوال أهل السنة ـ رحمهم الله ـ في تضليل الجهم وتبيينهم ما في مقالاته من كفر وزندقة وإلحاد، فليراجع[١].

وقال في مقدمة بحثه(ص٥٤-٥٦): " الجهم بن صفوان: حقائق وأباطيل، يقول الله تعالى:﴿ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾[٢]، ولعل هذه المقالة الآتية عن شخصية" الجهم بن صفوان "، تحقق شيئاً من تلك " الاستبانة " لسبيل المجرمين الضالين .. وأمر آخر دفعني إلى الكتابة عن الجهم ، وهو أن هذا "الجهم" الذي وصفه أحد أسلافنا ـ رحمة الله عليهم ـ وهو الذهبي ـ فقال عنه "أسُّ الضلالة ورأس الجهمية"[٣] وأنه" زرع شرا عظيماً"[٤].. فمع ما تضمنته مقالات الجهم من كفر وزندقة وإلحاد، وما خلفه من فتنة وفساد وشر، مع هذا كله فإننا نجد من بعض الباحثين من يدافع عنه، ويحاول أن يوجد للجهم مسوغاً ومبرراً في انحرافه وإفساده، ويظهر ـ جلياً ـ تحامل هؤلاء الباحثين، بل طعنهم على أئمة السلف وأهل الحديث ممن تصدوا للذود عن العقيدة الصحيحة والذبّ عنها.

وبين يدي ثلاثة كتب تدافع عن الجهم وتتعاطف معه .. فأما أولها فهو "تاريخ الجهيمة والمعتزلة" لجمال الدين القاسمي[٥] الذي عُرف

---

(١) وكذا ليراجع كتاب الدكتور محمد سعيد القحطاني ــ وفقه الله ــ (الإعلام بنقد كتاب نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، ص ٤١-٤٤) للرد على أباطيل النشار حول هذا الموضوع.

(٢) سورة الأنعام ، آية ٥٥.

(٣) سير أعلام النبلاء ٦/٢٦.

(٤) ميزان الاعتدال ١/٤٢٦.

(٥) يقول الشيخ عبد العزيز العبد اللطيف: "حاول بعض الباحثين التشكيك في نسبة كتاب تاريخ الجهمية للمؤلف، ولكن الباحث إبراهيم الحسن في رسالته للماجستير (القاسمي ومنهجه في التفسير)=

بعقيدة صحيحة واستقامة ظاهرة وهو يدافع عن الجهم باسم الموضوعية والإنصاف! ـ كما سيأتي إن شاء الله ـ، ولكن لكل جواد كبوة ولكل عالم هفوة، وعفا الله عن القاسمي.

وأما الكتاب الآخر فهو "نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام" الجزء الأول للدكتور علي سامي النشار حيث دافع النشار عن الجهم وشيخه الجعد بن درهم، ثم تحامل وطعن في علماء أهل الحديث.

وأما الكتاب الثالث فهو " الجهم بن صفوان ومكانته في الفكر الإسلامي" لخالد العلي أحد الباحثين من بلاد العراق، حيث نافح عن الجهم متأثراً بمن سبق"

قلت: هؤلاء ثلاثة دافعوا عن الجهم، ورابعهم مالكيّهم! الذي استحسن فكرة القوم في الدفاع عن هذا المبتدع، ووافقت هوىً في نفسه، فقام بسرقتها كعادته، وأضحى يرددها في كتاباته.

وأما طعن المالكي في خالد القسري فقد (سرقه) من الرافضة ومن تابعهم في هذه القضية ؛ لأن القسري كان لأسلافهم بالمرصاد، وكان ـ غفر الله له ـ متميزاً بتعقب الزنادقة وقتلهم.

فكان من الطاعنين عليه: الرافضة ـ كما سيأتي في كلام ابن كثير ـ، ومن تابعهم من المبتدعة، كالكوثري ـ كما سيأتي في كلام المعلمي اليماني ـ رحمه الله ـ.

وقد تورط القاسمي ـ رحمه الله ـ بمتابعة هؤلاء المبتدعة وطعن في

= بجامعة الإمام/ كلية أصول الدين ـــ أثبت صحة نسبة الكتاب للقاسمي، وذكر أن هذا الكتاب نشر في مجلة المنار في حياة المؤلف، وربما أن حب القاسمي للتقريب والاتحاد بين الفرق الإسلامية هو الـذي دفعه إلى ذلك، لكنه أخطأ في سلوك هذا المسلك فغفر الله له"

القسري في كتابه (تاريخ الجهمية والمعتزلة) (ص ٣٨-٤٢) . واتهم القسري بأنه لم يقتل الجعد إلا لأجل السياسة ! (ص ١٦-١٨) وأنعم بها من سياسة!

وكذا قال النشار في كتابه " نشأة الفكر الفلسفي" (١/ ٣٣١) . فجاء المالكي بعدهم يردد افتراءاتهم .

ولتتبين لك حقيقة القسري هذا الذي افترى عليه الرافضة ارجع إلى ترجمته في البداية والنهاية لابن كثير ـ رحمه الله ـ قال في خاتمتها بعد أن نقل شيئاً من أكاذيبهم عليه: " الذي يظهر أن هذا لا يصح عنه، فإنه كان قائماً في إطفاء الضلال والبدع كما قدمنا من قتله للجعد بن درهم وغيره من أهل الإلحاد، وقد نسب إليه صاحب العقد أشياء لا تصح؛ لأن صاحب العقد كان فيه تشيع شنيع ومغالاة في أهل البيت" (١٠/ ٢٢).

وقال العلامة عبد الرحمن المعلمي ـ رحمه الله ـ في كتابه (التنكيل) رداً على الكوثري الذي طعن في القسري لأجل أبي حنيفة:" أقول: كان خالد أميراً مسلماً خلط عملاً صالحاً كإقامة الحدود، وآخر سيئاً الله أعلم ما يصح عنه منه . وقد جاء عن جماعة من الأئمة كما في (التأنيب) نفسه أن أبا حنيفة استتيب في الكفر مرتين، فإن كان خالد هو الذي استتابه في إحداهما، وقد شهد أولئك أنها استتابة عن الكفر فأي معنى للطعن في خالد ؟ هبه كان كافراً! أيجوز أن يحنق عليه مسلم لأنه رفع إليه إنسان يقول قولاً شهد علماء المسلمين أنه كفر فاستتابه منه؟ وكان خالد يماني النسب وكان له منافسون على الإمارة من المُضريين وأعداء كثير يحرصون على إساءة سمعته، وكان القصاصون ولا سيما بعد أن

نكب خالد يتقربون إلى أعدائه بوضع الحكايات الشنيعة في ثلبه، ولا ندري ما يصح من ذلك" (١/ ٢٥٥).

ثم فند ـ رحمه الله ـ ما قيل عنه من أن أمه نصرانية! أو أنه ضحى بالجعد بدلاً من الأضاحي الشرعية!! فليراجع.

السرقة التاسعة

اتهام شيخ الإسلام ابن تيمية بأنه ناصبي

يقول المالكي في مذكرته عن الصحابة (ص ٧٤): " ابن تيمية مع فضله وعلمه إلا أنه يجب أن نعرف أنه شامي، وأهل الشام فيهم انحراف في الجملة على علي بن أبي طالب وميل لمعاوية" (وانظر: نحو إنقاذ ! التاريخ الإسلامي، ص ٣٥).

قلت: هذه الفرية والاتهام العظيم لشيخ الإسلام استفاده المالكي من أعداء الشيخ قديماً وحديثاً ـ وما أكثرهم ـ وقد ذكرت أقوالهم، ورددت على هذه الفرية من كلام شيخ الإسلام ـ نفسه ـ في كتابي (شيخ الإسلام ابن تيمية لم يكن ناصبياً)، ولكن كما قيل:

بكل تداوينا فلم يشف ما بنا
لأن الذي نهواه ليس بذي ودًا!

من أبرز المتهمين لشيخ الإسلام بهذه التهمة التي (سرقها) منهم المالكي وأضحى يرددها:

ابن حجر الهيتمي[1] في (فتاواه الحديثية، ص ١١٤)، وزاهد

---

(١) العجيب أن الهيتمي هذا كان من أشد أعداء الرافضة!وألف في فضل معاوية ـ رضي الله عنه ـ رسالته (تطهير الجنان واللسان). ومع هذا فلم يستفد منه المالكي سوى طعنه في شيخ الإسلام!! فالمالكي كالذباب لا يقع إلا على القيح والصديد! والعياذ بالله.

الكوثري في (الحاوي في سيرة الطحاوي، ص ٢٦) وفي (مقالاته ص ٤٧٠)، وعبد الله الغماري في (الرسائل الغمارية، ص ١١٤) و(جزء في الرد على الألباني، ص ٦٠) ، وعبد الله الحبشي في (المقالات السنية، ص ٣٠٧) وحسن السقاف في (التنبيه والرد، ص ٧)، وغيرهم من أهل البدع ـ لا كثرهم الله ـ.

فجاء المالكي بعدهم فأصبح يردد ما رددوه عن شيخ الإسلام؛ لأن هذه الفرية قد وافقت عقيدته الفاسدة التي نقضها شيخ الإسلام. فالله حسيبه.

السرقة العاشرة

اتهام ابن حزم بأنه ناصبي !

قال المالكي: " ابن حزم رغم كثرة علمه وفضله إلا أن له انفرادات لا يعوَّل عليها ... أضف إلى ذلك أنه متهم بالنصب، وهو الانحراف عن أمير المؤمنين علي ـ ﷺ ـ وموالاة بني أمية" (نحو إنقاذ ! التاريخ الإسلامي، ص ١٣٦) (وانظر المصدر السابق، ص ٢٨٨ – ٢٨٩، وبيعة علي، ص ٢٧٣-٢٧٤).

قلت: هذه الفرية سرقها المالكي من أسلافه الشيعة، الذين يلصقونها بكل عالم (سني) يخالف أهواءهم ولا يغلو في علي ـ ﷺ ـ غلوهم البغيض.

لكن المالكي احتاط لنفسه وأوهم أنه استقى هذه الفرية من "سير أعلام النبلاء" للذهبي!!

قال المالكي في كتابه (بيعة علي) (ص ٢٧٣-٢٧٤) عن ابن حزم: " متهم بالنصب وهو الانحراف عن أمير المؤمنين علي ـ ﷺ ـ، وموالاة

بني أمية، والدفاع عن ماضيهم وحاضرهم" ثم قال في الهامش: " طالع ترجمته في سير أعلام النبلاء"!

قلت: وأنا لست بصدد دفع هذه الفرية عن ابن حزم - رحمه الله - فلذلك مقام آخر[1] إنما أبين هنا بأن المالكي لم يستفد هذه الفرية من الذهبي ولا غيره من أهل السنة - كما يزعم -، لأن كلامهم في ابن حزم لا يفيد هذا، كيف وهم يعلمون - يقيناً - من كتب ابن حزم المشهورة ثناءه على علي - ﷺ -، وذمه للخوارج الذين يبغضونه، والذهبي - رحمه الله - إنما نقل كلمة لأبي حيان يخبر فيها بأن ابن حزم يتشيع لأمراء بني أمية في الأندلس!! فكان ماذا؟ وأي دليل فيها يا مالكي على نَصْب ابن حزم - رحمه الله -؟! أم أنها أحقاد دفينة على ابن حزم الذي أجاد في فضح شيوخك الرافضة ؟

بقي أن تعلم بأن المالكي قد سرق هذه الفرية من الرافضة الذين (يصرحون) بها في كتبهم، ومن أبرزهم علي الوردي في كتابه (وعاظ السلاطين) حيث قال: " واتخذ البحث الديني في الأندلس وجهة أخرى - هي تمجيد الأسرة الأموية وذكر فضائل السلف الأول منها. وهذه نتيجة طبيعية للظروف السياسية التي كانت سائدة هناك، حيث كان الخلفاء ينتسبون للبيت الأموي ويتعصبون له.

---

(١) وذلك في رسالتي (ابن حزم لم يكن ناصبياً) ، وقد قدم لها أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري بمقدمة مسهبة، ولم تطبع بعد، وقد ذكرت فيها كثيراً من أقواله - رحمه الله - تنقض هذه الفرية، ومن أصرحها قوله في كتابه (الفِصَل في الملل والأهواء والنِحَل ٤/٢١٤): " فإنا غير مُتَّهَمين على حط أحدٍ من الصحابة - ﷺ - عن مرتبته، ولا على رفعه فوق مرتبته، **لأننا لو انحرفنا عن علي - ﷺ - ونعوذ بالله من ذلك**، لذهبنا فيه مذهب الخوارج، وقد نزهنا الله - ﷻ - عن هذا الضلال في التعصب، ولو غلونا فيه لذهبنا فيه مذهب الشيعة، وقد أعاذنا الله تعالى من هذا الإفك في التعصب، فصار غيرنا من المنحرفين عنه، أو الغالين فيه هم المتهمون فيه، إما له وإما عليه".

إن ذم الأمويين صار سنة عند الفقهاء الأولين في المشرق ـ كما رأينا ـ. أما لدى فقهاء الأندلس فقد انقلبت القيم، إذ ارتفع ذكر الأمويين عندهم وهبطت قيمة العلويين. ولو درسنا مؤلفات ابن حزم وأبي بكر بن العربي، اللذين يعدان أعظم فقهاء الأندلس في ذلك العهد، لوجدناهما يميلان ميلاً ظاهراً نحو الأمويين وينفران من علي وأولاده" (ص ٢٤٣-٢٤٤).

وبهذه السرقة العاشرة ينتهي ما أردت جمعه من سرقات هذا الرجل؛ نصحًا لشباب الأمة أن ينخدعوا به، ويغتروا بكثرة ادعاءاته للتحقيق والتجديد، وهو لمن دقق في أبحاثه عريٌ عن هذا كله، إنما (يجتر) أفكار أهل الضلال بعد أن يعزوها لنفسه؛ ظانًا أن الباحثين في غفلة عن مصادره، مهما حاول تعميتها.

ولعل من تحصلت لديه كتب الزيود والرافضة يجد أضعاف ما وجدت من السرقات.

وإني لآسى على قلة من شبابنا ممن انخدعوا ببريق (العصرانية) الخادع كيف انساقوا خلف هذا (المشبوه) الذي يذكرني بحال أمثاله من (المشبوهين) الذين مروا بتاريخنا؛ كالبدوي والأفغاني ونحوهم، وتنكبوا لأجله طريق الكتاب والسنة بعد أن مشوا في نورهما زمنًا ليس بالقليل، وعادوا لأجله إخوانهم من دعاة الكتاب والسنة ؟

أسأل الله تعالى لي ولهم الهداية والتوفيق، وأن يردهم إلى الحق ردًا جميلاً، وأن يكفينا شر كل ذي شر، ويسلط عليه ولاة أمورنا ليجتثوا باطله؛ فإن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن .

والله أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه (أجمعين).

ملحق

رسالة (سرقات حسن المالكي)

تحتوي على :

١- من هو (ابن عقيل) الذي سرق منه المالكي أكثر أفكاره؟

٢- مقارنة بين ما جاء في كتبه وما جاء في أبحاث المالكي .

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.. كنت قد كتبت رسالة قبل مدة بعنوان (سرقات حسن المالكي) ونشرتها على شبكة الإنترنت مساهمة مني في التصدي لرجل طالما لبَّسَ على شباب هذه البلاد ومثقفيها بدعاوى النقد العلمي وإنقاذ التاريخ الإسلامي مما علق به من أكاذيب وأباطيل، فراجت دعوته تلك بين البعض انخداعاً بأول أمره حيث ولج عليهم من باب أهل الحديث والتثبت! لكن الله ـ ﷻ ـ لم يمهله طويلاً بل كشف لنا خبيئته وأبان عن ضغينته لأهل السنة مصداقاً لقوله: ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَـٰنَهُمْ ﴾[1] فسقط القناع عن وجهه المتخفي؛ فإذا به أحد الشيعة الزيود المتسترين بيننا، ممن أشربت قلوبهم حب البدعة ونشأوا عليها، فصعب عليهم الإنفكاك منها، لا سيما إذا صاحب ذلك عقد نفسية أو اجتماعية تذكي تلك البدعة وتزيد من أوارها.

عندما قرأ بعض المحبين تلك الرسالة وما جاء فيها من ترديد المالكي لأفكار المدعو (ابن عقيل) تساءلوا كثيراً عن هـذا الرجـل (ابـن عقيـل) الذي لم يعرفه أكثرهم إلا قريباً وودوا لو يعرفون شيئاً عن تاريخه وكتبـه، لا سيما وهو ـ كما ثبت لديّ يقيناً ـ عمدة المـالكي الأولى في مـا يـردده من أفكار يتلقفها ثم يعيد صياغتها وطرحها بما يناسب عصرنا .

لهذا أحببت أن أعود لتلك الرسالة وأزيد فيها ما استجد لـديّ مما يتعلق بموضوعها (سرقات المالكي) مع تعريف أكثر بـابن عقيـل وشـيء

---

(١) سورة محمد الآية ٢٩.

من كتبه وأفكاره التي يتابعه عليها ظله المالكي. ورأيت نشر هذه الزيادات كملحق أو تتمة لرسالة (السرقات) .

أسأل الله أن ينفع بما كتبت، وأن يهدي ضال المسلمين ويردهم إلى الحق، ويجعلهم من أنصار دينه، وما ذلك على الله بعزيز. والله أعلم، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم .

- ذكر الأستاذ أحمد تيمور باشا ترجمة لابن عقيل في كتابه (أعلام الفكر الإسلامي في العصر الحديث)[1] قال في أولها بأنه وقف عليها بخط ابن عقيل. فلنستمع لما يقوله ابن عقيل عن نفسه، ثم لنر ما قاله فيه غيره .

قال أحمد تيمور: " هو محمد بن عقيل بن عبد الله صاحب البقرة، ابن عمر بن أبي بكر بن طه بن محمد بن شيخ بن أحمد بن يحيى بن حسن الأحمر، ابن علي العناز بن علوي ابن محمد مولى الدويلة، ابن علي بن علوي بن محمد الفقيه المقدم، ابن علي بن محمد صاحب مرباط، ابن علي خالع قسم، ابن علوي بن محمد بن علوي بن عبد الله ابن المهاجر أحمد، بن عيسى بن محمد بن علي العريضي، ابن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب.

وأحمد بن عيسى هو أول من سكن حضرموت من العلويين، هاجر إليها من البصرة سنة ٣١٧هـ وترجمته وترجمة المذكورين من آباء المعرف به مشهورة، وكثير من أمهاتهم وأمهاتهن معروفة أنسابهن، واللاتي تعرف سلسلة اتصالهن بالزهراء منهن نحو سبعمائة، رحمهم الله تعالى.

---

(١) (ص ٣٥٠ – ٣٥٤) .

ولد محمد بن عقيل بحضرموت بقرية مسيلة آل شيخ، ونشأ بها. وكانت ولادته ضحى يوم الأربعاء ليومين بقيا من شهر شعبان سنة ١٢٧٩هـ الموافق ١٨ فيبرواري (فبراير سنة ١٨٦٣م). وكان والده السيد عقيل من أشهر أعيان حضرموت نفوذاً وعلماً، وأكثرهم سعياً في إصلاحها، وبنفوذه ونقوده وجده تم ما ابتدأ فيه والده السيد عبد الله من طرد يافع من قلب حضرموت وتأمير آل كثير عليها، وكسر الجيوش التي جلبها يافع من الهند واليمن لأخذ الثار. وقد بدأ إقامة سد مهم لري قسم كبير من حضرموت، فمات قبل إتمامه، وأجرى عيوناً بجوار قرية ساة، واقتنى كتباً جمة جلها مخطوطة وبعضها من أقدم ما طبع، ولم تزل محفوظة في مكتبته الحافلة بشتى العلوم والفنون والآداب.

ووالد السيد عقيل هذا هو السيد عبد الله المشهور في الحجاز واليمن والهند وجاوة بصاحب البقرة. وقد ترجم له أكثر من واحد، وهو أحد الأعلام الجامعين بين العلم والعمل الساعين في إصلاح البلاد، وله عدة رسائل وفتاوى معتمدة نافعة، وجمع مكتبة مخطوطة لم تزل بقيتها أكبر مكتبة معروفة بحضرموت.

ووالدة محمد المذكور هي الزهراء بنت العلامة السيد عبد الله بن الحسين ابن طاهر، وإليه وإلى أخيه أمير المؤمنين بحضرموت (ولم يدع بهذا اللقب بحضرموت غيره) وإلى ابن شقيقتهما السيد عبد الله صاحب البقرة ينتهي إسناد الحضارمة في العلوم الشرعية.

وبعد بلوغ محمد هذا ست سنين، جلب له والده من يعلمه القراءة والكتابة في بيته حفظاً له من الاختلاط بالناس، وفي بضعة أشهر ختم قراءة القرآن الكريم في المصحف. ثم حفظ عدداً من مختصرات المتون

في العربية وغيرها، مع أكثر من ربع كتاب الإرشاد في الفقه، والملحة، ونظم القواعد الفقهية، وبعض دواوين الشعر وأكثر مقامات الحريري وغير ذلك. وقد لازم والده إلى وفاته، وقرأ عليه وانتفع به، وحضر دروس عمه السيد محمد بن عبد الله نحو سنة، وانتفع كثيراً من العلامة الأوحد الجليل السيد أبي بكر بن عبد الرحمن بن شهاب الدين، في أوقات متفرقة قضاها في رعايته بحضرموت وجاوه والهند.

وقد احتاج للرحلة عن وطنه صغيراً لوفاة والده السيد عقيل سحر ليلة الأربعاء لثلاث بقين من صفر سنة ١٢٩٤هـ عن أقل من ٤٥ عاماً. فسافر في صفر سنة ١٢٩٦هـ من وطنه بعد أن تزوج فيه بنت السيد عثمان بن عبد الله بن عقيل بن يحيى العلوي أكبر علماء جاوه ومفتيها الأكبر، فوصل سينغافورة منتصف ربيع الأول سنة ١٢٩٦هـ، ودخل جزيرة جاوى، واشتغل في بعض نواحيها وفيما جاورها بالتجارة وبالزراعة وبالتصدير، فكانت له صلات تجارية واسعة الأطراف، بجهات متعددة في الصين واليابان وجزائر الفلبين وسومطرة وغينيا الجديدة والهند والسند وبرما وسيلان واليمن والحجاز ومصر والشام والعراق والآستانة والأناضول وبعض أوربا. وله معارف ببعض تلك النواحي وأصحاب. ورحل وساح في الكثير من هذه الأصقاع، وكرر زيارة بعضها، وأقام مدداً في بعضها كالصين واليابان والحجاز والهند وسومطرة وبعض عواصم أوربا. وحضر معرض باريس سنة ١٩٠٠م. ثم عاد إليها بعد ذلك. ولم تكن له معرفة بغير اللغة العربية ولغة ملايو، ويفهم قليلاً من لغة أردو الهندية، وما لا يذكر من لغات أخرى، وقيد فوائد متعلقة بتلك السياحات في مدة أكثر من أربعين سنة في مسودات

لم تبيض ضاع بعضها.

ثم طاف في حضرموت وغيرها منقباً عن آثار الأقدمين. وعرف كثيراً من أمراء جزيرة العرب، وكبرائها وعلمائها، ومن جهات أخرى. وانتفع بكثير من العلماء والصالحين، وحضر دروس معظمهم، وقرأ على بعضهم رسائل ومختصرات وأوائل كتب كالأمهات، وأجازه كثير منهم بمروياتهم، كما أجازه بعض من لم يتيسر له ملاقاته، كالشيخ البركة محمد العرب نزيل المدينة، وأرسل له لباساً مع الإجازة، ومنهم الحافظ الجليل محدث اليمن الشيخ حسين بن محمد السبعي اليمني نزيل بهوبال بالهند، وقد ذكر طرقه وأسانيده في إجازاته.

وممن أجازه مشافهة العلامة الصوفي السيد المحسن بن علوي بن سقاف السقاف، وبقية السلف السيد محمد بن إبراهيم بلفقيه، والمعمر الصالح العابد السيد شيخ بن عمر السقاف، والجهبذ العلامة السيد أحمد بن محمد المحضار، والبارع المحقق المتفنن علامة العصر السيد أبو بكر بن عبد الرحمن بن شهاب الدين، والحافظ الجليل الإمام السيد أحمد بن حسن العطاس الضرير، والعلامة البركة السيد علي بن محمد الحبشي، وأنموذج الأسلاف شريف الأوصاف الورع الزاهد العلامة السيد عيدروس بن عمر الحبشي، والصالح البركة السيد أحمد بن عمر العيدروس نزيل سورات بالهند، والعابد الناسك السيد المحسن بن عمر العطاس نزيل باروده بالهند، وقد ألبسه كل هؤلاء خرقة الصوفية (!!).

وممن أجازه وألبسه خرقة التصوف علامة المدينة الشيخ حبيب الرحمن الدكني الهندي، وممن أجازه العلامة المحدث السيد محمد مظهر المدني.

وحصلت بينه وبين كثير من الفضلاء محبة ومكاتبة، ومباحثة ومراجعة، وحبب إليه ربه المطالعة في الكتب النافعة، فكانت هي السمير والرفيق، والتقط من بحرها فرائد فوائد أورد كثيراً منها فيما جمعه من الرسائل والكتب التي يشتغل بكتابتها في ساعات الراحة.

وكان جل إقامته وتجارته في جزيرة سينغافورة. وفي سنة ١٣٣٨هـ أرسل بعض أفراد أسرته إلى مكة المكرمة، ثم في سنة ١٣٣٩م أرسل من بقي منهم مع حاشيته، ثم لحق بهم فيها، وأقام بها ستة أشهر، ثم رحل بجميع أهله ومن معه من الحجاز في صفر سنة ١٣٤٠هـ إلى المكلا أسكلة حضرموت، وهو الآن[1] بها، وفقه الله لما به يرضى عنه، بمنه وكرمه. والحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله". ا هـ

وذكر المؤرخ صالح بن حامد العلوي الحضرمي في كتابه " تاريخ حضرموت ، ١/٣٢٣: «أن أحمد بن عيسى المهاجر الذي يُنسب إليه العلويون الحضارمة كان إمامي المذهب مع أن الغالبية ممن يُنسب إليه قد تمذهبوا بمذهب الشافعي؛ وهو المذهب السائد في حضرموت؛ إلا أنه بقي فيهم من يعتنق المذهب الإمامي إلى اليوم، ومن هؤلاء في عصرنا: الشاعر أبو بكر بن عبدالرحمن بن شهاب المتوفى سنة ١٣٤١هـ ومحمد بن عقيل بن يحيى المتوفى بالحديدة سنة ١٣٥٠هـ صاحب كتاب النصائح الكافية»[2].

وقال عنه صاحب: (الأعلام الشرقية في المائة الرابعة عشرة الهجرية) "السيد !! محمد بن عقيل بن عبد الله بن عمر العلوي الحسيني

(١) وكتب المحقق أحمد تيمور باشا بخطه بآخر هذه الترجمة ما نصه: (حضر السيد ابن عقيل لمصر سنة ١٣٤١هـ وهو مسافر إلى الحج، والتقيت به في القاهرة) .

(٢) هجر العلم ومعاقله في اليمن؛ للأكوع، (٣ / ١٦٩٨).

الحضرمي.

ولد سنة ١٢٧٩هـ ـ١٨٦٣م في حضرموت. أخذ عن كثير من علماء عصره منهم السيد أبو بكر بن شهاب، والسيد علوي بن طاهر الحداد، والسيد عيدروس، وسافر إلى اليمن، وزار شيخ الإسلام الحسين العمري، واستجاز منه فأجازه، وهو أول من أسس مدرسة عربية في جاوه. هاجر من وطنه إلى جاوه سنة ١٢٩٦هـ.

وكان عارفاً بفنون كثيرة، مطلعاً على أحوال الدول والشعوب، وزار كثيراً من البلاد العربية .

توفي سنة ١٣٥٠هـ ـ١٩٣١م بالحديدة .

مؤلفاته :

١- النصائح الكافية لمن تولى معاوية .
٢- العتب الجميل على علماء الجرح والتعديل .
٣- ثمرات المطالعة .
٤- أحاديث المختار في معالي الكرار .
٥- تقوية الإيمان برد تزكية ابن أبي سفيان .
٦- الحاكم في النزاع والتخاصم بين بني أمية وبني هاشم.
٧- الهداية إلى الحق في الخلافة والوصاية .
٨- رسالة في الرد على منهاج السنة .
٩- رسالة في تحقيق مقام الخضرية .
١٠- رسالة في إيمان أبوي النبي .
١١- مذكرات علمية في (٧) أجزاء .

وله مؤلفات أخرى غير ذلك .

المصادر: تحفة الإخوان في سيرة شيخ الإسلام الحسين بن علي العمري". ا هـ

-**وقال عنه جمال الدين القاسمي ـ رحمه الله ـ:** "محمد بن يحيى بن عقيل أحد المقيمين في سنغافورة للاتجار والاشتغال بالعلم، وهو حضرمي علوي، إلا أنه يتشيع بغلو، مع أنه على مذهب الشافعي"[(١)]!.

- **وقال عنه الأستاذ محمد بن ناصر العجمي ـ وفقه الله ـ:** "هو محمد بن عقيل، من الزيدية، مع تشيع ظاهر، وعدوان سافر على الصحابي كاتب الوحي وخال المؤمنين معاوية بن أبي سفيان. وقد حاول أن يظهر ويدعي الإنصاف، وأنه من محبي الأثر مصانعة للشيخ جمال الدين القاسمي وغيره من علماء العصر، وهو مؤلف "العتب الجميل على أهل الجرح والتعديل" الذي خالف فيه السبيل، كما كان يرى إسلام أبي طالب عم النبي ـ ﷺ ـ وأنه صحابي! إلى غير ذلك من الآراء، مع صحبته لأحد كبار الشيعة، وهو محسن الأمين[(٢)]. توفي سنة (١٣٥٠هـ) ". ا هـ[(٣)]

---

(١) الرسائل المتبادلة بين جمال الدين القاسمي ومحمود شكري الألوسي، ص ١٢٢، تحقيق : محمد ابن ناصر العجمي.

(٢) انظر تعليقه على الرسائل المتبادلة بين القاسمي والألوسي، هامش ص ٢١١.

(٣) ولهذا رثاه هذا الرافضي بقصيدة يقول فيها:

سالت دموع العين كل مسيل ... حزناً لرزء (محمد بن عقيل)

إن (النصائح) منك (كافية) غدت ... بسماعها إن قوبلت بقبول

أظهرت (بالعتب الجميل) وما حوى ... هفوات أهل الجرح والتعديل !

انظر مقدمة (النصائح الكافية). وللرافضة ولع بابن عقيل هذا؛ لأنه أرضاهم بالطعن في معاوية ـ رضي الله عنه ـ، ولهذا فإنهم يذكرونه كثيراً في كتبهم ويعدون مصنفاته مصنفات شيعية .

- وقال عنه الدكتور يعقوب الحجي: "نشأ أول أمره على المذهب الشافعي، لكنه تركه بعد ذلك وأخذ بمذهب العترة أو آل البيت، أو مذهب الزيدية. ولقد حاول إقناع شريف مكة الملك حسين بالعمل على نشر هذا المذهب في الحجاز، كما يذكر السيد رشيد رضا، ولكنه لم يفلح في ذلك. كما حاول السعي لتقرير هذا المذهب في الأزهر فلم يقبل ذلك منه. ولقد دفعه تعصبه لآل البيت إلى نشر كتابه المشهور "النصائح الكافية"). اهـ[1]

إذاً فابن عقيل (العلوي)! كان يدعي الانتساب لمذهب الشافعي ثم تركه ولحق بمذهب (الزيود) المتأخرين ممن لا يتورعون عن التهجم على الصحابة وسبهم، وفي مقابل ذلك يغلون في علي - رضي الله عنه - ويفضلونه على الشيخين - رضي الله عنهما -. ولهذا نعلم سرَّ تهالك المالكي على كتب هذا الرجل وإعجابه بها، فقد وافق شن طبقه! والتقى الاثنان على الزيدية والترويج لها بين السنة. ذاك بين الشافعية، وهذا بين من يسميهم الحنابلة[2].

- اشتهر الزيدي المخذول (ابن عقيل) بتأليف ثلاثة كتب أثارت

---

(١) الشيخ عبد العزيز الرشيد ـ سيرة حياته. للدكتور يعقوب الحجي، ص ٢٦١.

(٢) ولترويج بدعته الشيعية فقد كذب ابن عقيل على الشافعي وادعى أنه ـ رحمه الله ـ كان شيعياً! يفضل علياً على الشيخين ـ رضي الله عنهم ـ ولكنه يسر ذلك !! ونحله أشعاراً مكذوبة يزعم أنها تؤيد دعواه. (انظر : ص ٢٠٤ من كتابه النصائح..).

ولتعلم كذب وافتراء هذا الشيعي على الإمام الشافعي انظر رسالة: (منهج الإمام الشافعي في إثبات العقيدة) للدكتور محمد العقيل، حيث ذكر وفقه الله كثيراً من أقوال الشافعي في ذم الشيعة وفي معتقده في الصحابة كما هو معتقد أهل السنة.ومن ذلك قوله:"أفضل الناس= بعد رسول الله ـ ﷺ ـ أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضوان الله عليهم" (ذكره البيهقي في مناقب الشافعي(١/٤٣٣). إلى غير ذلك من الأقوال الصريحة الصحيحة عنه ـ رحمه الله-. وانظر أيضاً رسالة (اتهامات لا تثبت) لصاحب هذه الرسالة.

ضجة عليه من قبل العلماء؛ لأنه جنح فيها عن مذهب أهل السنة إلى مذهب أعداء الصحابة من الزيود والروافض.

الكتاب الأول: "العتب الجميل على أهل الجرح والتعديل"

وملخصه: الحمل على أهل الحديث واتهامهم بالنصب، وأنهم متحاملون على من يسميهم شيعة أهل البيت، يجرحونهم لأدنى سبب، ويتهمونهم بالبدعة، بخلاف موقفهم من الرواة الآخرين من غيرهم !

وقد نقلت شيئاً من أقواله التي تدل على هذا في رسالة (سرقات حسن المالكي)[١]؛ لأن المالكي (كالمعتاد!) قلده في هذا الاتهام لأهل الحديث، انتصاراً منهما لمذهبهما الزيدي الذي من خالفه يرميانه بالنصب ودعوى بغض أهل البيت.

الكتاب الثاني: "النصائح الكافية لمن يتولى معاوية" وهو من أقبح كتبه، زعم الضال فيه أنه يرد على من يترضى عن معاوية ـ ﷺ ـ أو يتوقف في جواز لعنه !!

قال الدكتور يعقوب الحجي: "وهو كتاب أثار ضجة؛ لما فيه من دعوة صريحة للتشيع والفتوى بجواز لعن معاوية".[٢]

- لما ألف الزيدي ابن عقيل كتابه (النصائح الكافية) ضج العلماء (سنيهم وأشعريهم) من صنيعه هذا، وقام بعضهم بالرد عليه وتفنيد شبهاته. وممن رد عليه:

---

(١) واعتمدت على نسخة الشيخ محمد بن مانع ــ رحمه الله- المحفوظة بمكتبة الملك فهد بالرياض، وعليها تعليقات نفيسة للشيخ ابن مانع في تعقب انحرافات ابن عقيل، ذكرت شيئاً من ذلك في (السرقات) .

(٢) الشيخ عبد العزيز الرشيد ــ سيرة حياته، ص ٢٦١.

١- أحد الحضارم؛ واسمه حسن بن علوي بن شهاب بكتاب سماه (الرقية الشافية من مضار النصائح الكافية).[١]

٢- الشيخ جمال الدين القاسمي في كتابه (نقد النصائح الكافية) الذي طبعه الوجيه السلفي محمد نصيف عام ١٣٢٨هـ في مطبعة الفيحاء بدمشق.

قال الألوسي عن هذا النقد: "رأيته نقد ناقد بصير، وتعقب معقب خبير، فيه شفاء الصدور، ونفثه المصدور".[٢]

وقد أجاد القاسمي ـ رحمه الله ـ في نقده للنصائح، إلا أنني أراه قد ألان الجانب مع هذا الزيدي، وتلطف معه كثيراً، وأوهم القارئ بأن مسألة لعن معاوية ـ رضي الله عنه ـ فيها خلاف!! محتجاً بأقوال ابن أبي الحديد في نهج البلاغة وغيره من أهل البدع! (انظر ص ٤ من كتابه وما بعدها).

٣- الشيخ عبد العزيز الرشيد، مؤرخ الكويت الشهير، حيث ألف رداً على (النصائح) بلغ ـ كما يقول ـ "نحواً من ثلاثة وخمسين كراساً".[٣]

لكن قال الأستاذ عدنان الرومي عن هذا الكتاب بأنه: "ظل مخطوطاً إلى أن فقد"!.[٤]

وذكر الدكتور يعقوب الحجي[٥] أن الشيخ عبد العزيز الرشيد قد

---

(١) المرجع السابق (ص ٢٦٢).

(٢) الرسائل المتبادلة بين القاسمي والألوسي، ص ١٣٦.

(٣) الشيخ عبد العزيز الرشيد، سيرة حياته، ص ٦٣.

(٤) علماء الكويت وأعلامها خلال ثلاثة قرون، ص ٢٨٤. وانظر:(علماء الكويت) لخليل أبوملال(ص ١٣٨).

(٥) في كتابه (الشيخ عبد العزيز الرشيد ـ سيرة حياته، ص ٣٧٤- ٣٧٥).

نشر حلقة واحدة من كتابه في العدد التاسع من مجلته (الكويت والعراقي). وكان قد نشر في العدد الثامن من المجلة قوله:

فضائح جاءت في كتاب النصائح
ولابن عقيل (أجر) تلك الفضائح
ألم تره قد قام يدعو بهمة
إلى خطة محفوفة بالقبائح

٤- تبرأ بعض العلويين الحضارم من كتاب ابن عقيل؛ كما ذكر ذلك الشيخ عبد العزيز الرشيد؛ كإبراهيم السقاف، وعبد الرحمن الكاف، وغيرهما.[1]

٥- كان صاحب جريدة (الهدى) بسنغافورة: الجيلاني، يصف ابن عقيل بعد إصدار كتابه بأنه "مجوسي وملحد ورافضي"![2].

ملخص هذا الكتاب: متابعة المؤلف لأسلافه من الروافض في الطعن في الصحابي الجليل معاوية بن أبي سفيان ـ ﷺ ـ مع ذكر ـ كما يقول المخذول ـ "بوائقه العظيمة المدخلة له في زمرة من استحق لعنة الله والملائكة والناس أجمعين" !!! (ص ١٥). والرد على ما يسميه شبهات من يترضى عنه أو يتوقف في لعنه!

ولما أورد عليه بعضهم أن معاوية وعمراً وغيرهم ممن اختلف مع علي ـ ﷺ، جميعاً ـ لهم عبادات وصلوات، قال متألياً على الله: "لا أخال أنه ينفعهم شيء من ذلك" !! (ص ٨٠)، أسأل الله أن يغفر لهم ويُحبط عملك! مصداقاً لحديث المتألي على الله ـ ﷻ ـ.

---

(١) المرجع السابق (ص ٣٧٥) .

(٢) المرجع السابق (ص ٣٦٧) .

- من أشنع ما ذكره هذا (الرافضي) في كتابه هذا غير لعن معاوية ـ ﷺ ـ: اتهامه الصحابية هند بنت عتبة أم معاوية ـ ﷺـا ـ بالزنـا!!! ولمزه لمعاوية ـ ﷺ ـ بأنه ولد زنا !!! والعياذ بـالله (انظـر : ص ٨٢-٨٣ و١١٠ مـن كتابه) وعمدته في هذا القذف أبيات زعم الرواة أن حسان بن ثابـت ـ ﷺ ـ قالها في هجاء هند يوم أحد قبل أن تسلم. وهذه الأبيـات ذكرهـا ابـن اسحق في سيرته (نقلاً عن سيرة ابن هشام ٣/ ٩٢-٩٣) بـسند منقطـع، قال: حدثني صالح بن كيسان أنه حُدث أن عمر بن الخطاب قال لحـسان بن ثابت: يابن الفريعة لو سمعت ما تقـول هنـد ورأيـت أشـرها قائمـة على صخرة ترتجز بنا وتذكر مـا صـنعت بحمـزة... " الخ، يغريـه علـى هجائها، فقال تلك الأبيات المزعومة. وهذا كما تراه سند منقطع لا أظنه يخفى على من يدعي إنقاذ التاريخ الإسلامي من الروايات الساقطة !!

وعن ابن اسحق نقلها (الشيعي) الآخر: أبـو الفـرج الأصـبهاني في كتابه الأغاني (١٥/ ١٥٤).

فانظر مبلغ الفجور في الخصومة ورقة الدين، والحقد الأعمـى علـى صحابة خير البشر ـ ﷺ ـ، حيث لا يبالي معه بقذف المحصنات الغافلات المؤمنات.

فهل يليق بمسلم يخشى الله أن يقذف مسلمة (فضلاً عن صحابية) بمثل هذه الحكايات والأشعار؟! إلا أن يكون صاحب هوى وحامل غل ومروج إفك؟! متغافلاً عن قوله تعالى في أمثاله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُواْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾

يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴾[١].

أولم يدر هذا الرافضي أن هنداً ـ ﵂ ـ هي صاحبة الكلمة الشهيرة التي أصبحت شعاراً لمن أتى بعدها من الصالحات: "أو تزني الحرة يا رسول الله" ؟![٢].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ عن هند ـ ﵂ ـ: "كان النبي ـ ﷺ ـ يكرمها، والإسلام يجب ما قبله" (منهاج السنة ٤/ ٤٧٤).

وقد أخرج البخاري (٣٨٢٥) واللفظ له ومسلم (١٢/ ٩ بشرح النووي) قولها للنبي ـ ﷺ ـ : "يا رسول الله ما كان على ظهر الأرض أهل خباء أحب إلي من أن يذلوا من أهل خبائك. ثم ما أصبح اليوم على ظهر الأرض أهل خباء أحب إليّ أن يعزوا من أهل خبائك" فقال لها ـ ﷺ ـ: "وأيضاً والذي نفسي بيده". قال النووي "أما قوله ـ ﷺ ـ: وأيضاً والذي نفسي بيده، فمعناه: وستزيدين من ذلك ويتمكن الإيمان من قلبك، ويزيد حبك لله ولرسوله ـ ﷺ ـ، ويقوى رجوعك عن بغضه" (شرح مسلم ١٢/ ٩).

وقال الحافظ ابن حجر تعليقاً على الحديث السابق: "وفي الحديث دلالة على وفور عقل هند وحسن تأتيها في المخاطبة، ويؤخذ منه أن صاحب الحاجة يستحب له أن يقدم بين يدي نجواه اعتذاراً إذا كان في نفس الذي يخاطبه عليه موجدة، وأن المعتذر يستحب له أن يقدم ما يتأكد به صدقه عند من يعتذر إليه؛ لأن هنداً قدمت الاعتراف بذكر ما

---

(١) سورة النور الآية ٢٣،٢٥.

(٢) انظر تخريجها في تلخيص الحبير لابن حجر (٤/٥٩)، وصب العذاب للألوسي (هامش ص ٤٠٥).

كانت عليه من البغض؛ ليعلم صدقها فيما ادعته من المحبة، وقد كانت هند في منزلة أمهات نساء النبي ـ ﷺ ـ؛ لأن أم حبيبة إحدى زوجاته بنت زوجها أبي سفيان". (فتح الباري ٧/ ١٧٥-١٧٦)

- بقي أن تعرف أيها القارئ أن هذا العلوي المتشيع (ابن عقيل) قد استقى قذفه لهند ـ رضي الله عنها ـ بالزنا من إخوانه الرافضة الذين ارتضى مذهبهم، وهم الذي يقول قائلهم محمد باقر الحائري ـ قبحه الله ـ:

فما ادعوا في ابن البغي هند   من أنه تاب فغير مجد

قال محمود شكري الألوسي ـ رحمه الله ـ رداً على هذا البيت الشنيع: "اخسأ يا عدو الله ورسوله، أنت وإخوانك الشياطين، فقد بؤتم بغضب الله ومقته وخرجتم من طريقة المسلمين:

ماذا تقول من الخنا وتردد   والمرء يولع بالذي يتعود

أتظن يالعين، يا حطب سجين، أن كل الناس كالروافض أولاد متعة وزنا، ومنشؤهم من الفواحش والخنا ؟! كلا ما شارككم في ذلك أحد، ولا ضاهاكم فيما هنالك إلا من كفر وجحد.....الخ" (صب العذاب على من سب الأصحاب، ص٤٠٣-٤٠٤) .

فلا أدري بعد هذا: هل يتابع المالكي شيخه ابن عقيل في هذا الافتراء، والقذف، أم يخالفه؟! ذلك ما ستبديه لنا الأيام:

ومهما تكن عند امرئ من خليقة
وإن خالها تخفى على الناس تعلم!

وهذا ما عودنا عليه المالكي في تدرجاته ! أو تدركاته !

ما الذي أخذه المالكي من هذا الكتاب ؟

فيما يلي أعرض لأبرز الأفكار التي أخذها المالكي من كتاب

(النصائح الكافية) لشيخه ابن عقيل، ثم أصبح يرددها في أبحاثه وكأنه السابق إليها.

١- الطعن في الصحابي الجليل معاوية بن أبي سفيان ـ ﷺ ـ. وهذا ما خط ابن عقيل كتابه لأجله، وهو ما يردده المالكي في أبحاثه. وقد ذكرت بعض نقولاته في السرقات.

يقول المالكي في (هامش ص ٥١ من مذكرة الصحابة، وهي محذوفة من المطبوع!): "وقد ذهب إلى جواز لعنه ـ أي معاوية ﷺ ـ من العلماء المتأخرين: محمد بن عقيل، وهو عالم سني! في كتابه: النصائح الكافية)

ولعل المالكي بهذا يمهد للتصريح بجواز لعنه! وهو ما يتناقله البعض عنه ولما يصرح به بعدُ. وإن غداً لناظره قريب!.

٢- لا يمل المالكي من اللمز في أبي سفيان ـ ﷺ ـ والد معاوية! وأنه مشكوك في إسلامه !! وأن النبي ـ ﷺ ـ لم يطمئن لقلبه!!

يقول المالكي: "أبو سفيان لم يكن من أعداء علي بن أبي طالب، وإنما كان من أعداء النبي ـ ﷺ ـ قبل أن يسلم أو يتظاهر بالإسلام" (مقالاته عن النواصب في موقع الواسطية). (وانظر: الصحبة والصحابة: ص ١٩٣).

كل هذا لأجل أنه والد معاوية ـ ﷺ ـ!

أما ابن عقيل فقد شكك في إسلام أبي سفيان ثم ختم تشكيكه بقوله: "ومن هنا تعلم أن أعمال أبي سفيان كلها ناشئة عن ضغائن جاهلية، وأحقاد أموية، وأوتار شركية" ! (ص ٨١ وما قبلها).

وقارن يا محب الصحابة هذه الأقوال الحاقدة على أبي سفيان ـ ﷺ ـ بقول شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ في رده على الرافضي ابن

المنجس الذي ذم أبا سفيان وزوجه بما عملاه في الجاهلية!! فقال شيخ الإسلام: "كان هذا قبل إسلامهم، ثم بعد ذلك أسلموا وحسن إسلامهم وإسلام هند، وكان النبي ـ ﷺ ـ يكرمها، والإسلام يجب ما قبله، وقد قال الله تعالى:﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾"[١] (منهاج السنة ٤/ ٤٧٤).

ويشهد لهذا ما أخرجه ابن سعد (قال الحافظ في الإصابة ٥/ ١٢٩ بإسناد صحيح): "عن سعيد بن المسيب عن أبيه قال: فقدت الأصوات يوم اليرموك إلا صوت رجل يقول: يا نصر الله اقترب. قال: فنظرت فإذا هو أبو سفيان تحت راية ابنه يزيد".

فكيف يتعلق ابن عقيل وتابعه المالكي في سبيل الطعن بهذا الصحابي بالروايات الساقطة المكذوبة المنقولة عن كتب منحولة أو لا قيمة لها؛ كالأغاني والإمامة والسياسة ونحوها ويدعان هذه الرواية الصحيحة ؟! ولكن: لهوى النفوس سريرة لا تعلم.

٣- كثيراً ما يردد المالكي في أبحاثه بأنه يريد للمسلم أن يكون وسطاً بين من يسميهم غلاة أهل السنة من النواصب! وغلاة الشيعة، ففي ظنه أن الأولين انحرفوا عن أهل البيت، والآخرين انحرفوا عن المهاجرين والأنصار: (انظر مثلاً:قراءة في كتب العقائد ،ص ١٧١).

والحل في نظره أن تعتدل الطائفتان، ويجتمعان على حب أهل البيت وحب المهاجرين والأنصار. ويتفقان على بغض معاوية ـ ﷺ ـ ومن معه!!!.

---

(١) سورة الأنفال الآية ٣٨.

فهو بكل وضوح ـ كما سبق ـ يقول للرافضة ولأهل السنة كونوا زيدية مثلي ومثل ابن عقيل ليتحقق فيكم العدل والإنصاف!! أما بغير هذا فأنتم مجرد غلاة.

أما ابن عقيل فاسمع قوله الشبيه بما يردده تلميذه (الروحي) المالكي. يقول ابن عقيل: "يقول أقوام: الخوض في هذا المقام يوجب التفريق بين أهل القبلة ويورث العداوة والبغضاء بينهم. وأقول إن التمويه والمخالطة بوضع الباطل موضع الحق هو الموجب للتفريق، والإنصاف والإذعان للحق بادلته الواضحة هو من موجبات التوفيق فإن كل مؤمن بل وكل عاقل يجب أن يكون ضالته الحق حيث كان، إنا لم نكتب ما كتبناه عن حالات معاوية وأشياعه وأتباعه في هذه العجالة إلا بياناً للحق وتذرعاً إلى التوفيق بين الفرق المتضاغنة من الأمة المحمدية المختلفة في المشرب والذاهب بكل منها تعصبه لفرقته في البعد عن الأخرى شوطاً بعيداً، فإذا تقهقر أصحابنا أهل السنة عن ما توغلوا فيه حتى تجاوزوا الحد من تعظيم من ليس حقه التعظيم وتبرئة من براءته من الفسق تكاد تكون كذباً صراحاً وافتياتا على الله وإظهار مودة من حاد الله ورسوله من المسيئين صحبة رسول الله ـ ﷺ ـ والمحدثين الأحداث القبيحة بعده إلى الاعتراف بأنهم ظالمون فساق بغاة قاسطون كما ذكر الله يستحقون ما يستحقه الفسقة من الرفض والبغض والمقت، وتقهقر غلاة الشيعة عن توغلهم وغلوهم في الطرف الآخر من ذم وسب من لا يستحق إلا المدح والإجلال والتوقير والتعظيم من كبار أصحاب نبيهم ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ واعترفوا بسوابقهم الحسنة وفضائلهم؛ لاتفقنا نحن وإياهم في نقطة هي والله مركز الحق ومداره،

ونزع من الطائفتين وغر القلوب وغل الصدور وذهبت نزغات الشيطان من بينهم وتحققت فيهم بأكمل معانيها أخوة الإيمان، ولكن الآفة كل الآفة والمصيبة كل المصيبة هو التعصب المذهبي والتقليد الصرف فإنه هو الذي يعمي البصائر عن الاستضاءة بأنوار الأدلة الواضحة ويصم الآذان عن استماعها". فتأمل المشابهة!.

٤- أقام المالكي بحثه (الصحبة والصحابة) للتفريق بين ما يسميه الصحبة الشرعية والصحبة اللغوية (وكل هذا اللف والدوران ليخرج معاوية ـ رضي الله عنه ـ من الصحابة !! ليسهل عليه بعد ذلك دعوة الناس للعنه ! وهو ما لم يصرح به إلى الآن كما سبق). وكثيراً ما يردد المالكي بأن معاوية ـ رضي الله عنه ـ ولو ثبتت صحبته، فإنه من التابعين (بغير) إحسان!.

وقد نقلت أقواله في (السرقات)، وذكرت أن ابن عقيل أحد من ردد هذا التفريق المزعوم في رسالته (العتب الجميل).

وأما هنا: فوجدت ابن عقيل يردد (بوضوح) نفس الفكرة في كتابه (النصائح الكافية). فإليك إياه لتقارن بينه وبين أقوال المالكي: يقول ابن عقيل ذاكراً ما يسميه شبهات من يترضى عن معاوية ـ رضي الله عنه ـ:

"**الشبهة الأولى**: وهي أعظم الشبه القائمة عند تلك الفرق المتوقفة عن القول بجواز لعنه وسبه ووجوب بغضه، وربما استحسنت بسببها تسويده والترضي عنه تعظيماً له، وهي الأمر الذي دندن حوله أنصار معاوية وبنوا عليه العلالي والقصور، وزاد الطنبور نغمة والطين بلة اصطلاح أكثر المحدثين والأصوليين على أن الصحابي هو من اجتمع بالنبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ مؤمناً ومات على الإيمان، وقول الكثير منهم بعدالة من سموه بهذا المعنى صحابياً ولو شرب الخمر

وقتل النفس وزنى وسرق وأكل أموال الناس بالباطل وحاد الله ورسوله وعاث في الأرض فساداً وارتكب كل كبيرة، وأوجبوا تأويل سيئاتهم وحملها على محمل حسن

إذا قلت فاعلم ما تقول ولا تكن
كحاطب ليل يجمع الدق والجزلا

وها أنا أبين لك معنى الصحبة لغة وعرفاً وأذكر ما يترتب عليها من فضل وحكم وأقرر من كتاب الله تعالى وحديث نبيه ـ عليه وآله الصلاة والسلام ـ بطلان ما عللوا به تعديلهم من ارتكب الكبائر ممن سموه صحابياً، وأكشف لك الغطاء عما ستره الكثير من أن معاوية عار عن الفضائل الواردة عن الله تعالى ورسوله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ في فضل أصحاب محمد ـ عليه وعلى آله أفضل الصلاة والسلام ـ حتى يعرف الحق طالبه.

فأقول: الصحبة لغة هي المعاشرة قال في القاموس .... ـ إلى أن قال ـ: ويعلم مما ذكرنا أن مجرد الصحبة لغة لا يختص بمسلم ولا بكافر وأن الربح والخسران للمسلم في صحبة النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ إنما هو في إحسان الصحبة وإساءتها، والصحبة النافعة ما قارنها التعظيم والانقياد له ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ والحب والاتباع كصحبة العشرة المبشرة والسابقين الأولين من المهاجرين والأنصار وأهل بدر وأهل بيعة الرضوان ومن أحسن إحسانهم" (النصائح الكافية، ص ١٢٦-١٢٧).

وقال في (ص ١٣٠): "أما ما ذكره أكثر المحدثين والأصوليين من اشتراط الإيمان في اسم الصحابي وموته عليه فذاك اصطلاح خاص

لهم.."!

٥- دائماً ما يردد المالكي أن أهل السنة (أهل الحديث خاصة) متحاملون على علي - ﷺ - وعلى أهل البيت! وقد ذكرت شيئاً من أقواله في (السرقات). وهو نفس ما يردده ابن عقيل في (العتب الجميل)وفي كتابه هذا؛ ﴿تَشَـٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ﴾[1].

يقول ابن عقيل (ص ١٩٠ وما بعدها) متشكياً وكاذباً على أهل السنة: "يدعي أقوام كثيرون حب أهل البيت - عليهم السلام - وامتثال أمر النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - فيما أوصاهم به في حقهم ويتظاهرون بذلك وربما كتبوا فيه ما كتبوا، ثم تراهم يتهافتون تهافت الفراش على استخراج وتأييد ما أمكنهم أن يستنتجوا منه غمطا لفضيلة أو غضاً في منقبة جاءت في حق أحد من أهل البيت الطاهر؛ إما بإنكار الصحة أو تأويل معنى أو ادعاء وجود معارض أو ترجيح مرجوح أو دعوى إجماع لم يقع أو بلا مستند ونحو ذلك، تجد هذا كله في أكثر ما جاء في حقهم - عليهم السلام -. تأمل كل حديث ورد في فضل علي - عليه السلام - ولو كان بأعلى مراتب الصحة تجد التعليقات عليه والتأويلات لمعناه بما لا يطابق ظاهره في الغالب لكي يطابق ويوافق ما رسخ في أذهانهم مما اعتقدوه وجمدوا عليه، هذا إن سلم من دعوى وضعه أو ضعفه ولا تجد شيئاً من هذا في شيء من الأحاديث الواردة في حق غيره بل تجد الأمر بالعكس...إلى آخر ما قال وافترى".

٦- بما أن المالكي زيدي المذهب فإنه يفضل علياً - ﷺ - على أبي

---

(١) سورة البقرة الآية ١١٨.

بكر وعمر وعثمان ـ ﷺ ـ متابعة منه لمذهبه. ولكن لكونه يعيش في وسط سني سلفي فإنه لم يشأ (إلى الآن!) أن يجهر بهذا التفضيل بين أهل السنة الذين سيستنكرون ذلك منه وتنكشف شيعيته بينهم، لذا لجأ إلى التمهيد لذلك (كما يمهد للعن معاوية ـ ﷺ ـ!)، فهو يقول تعليقاً على قول إبراهيم النخعي: "من فضل علياً على أبي بكر وعمر فقد أزرى على أصحاب رسول الله ـ ﷺ ـ المهاجرين والأنصار"[١] يقول المالكي : ".. مع التحفظ على تشنيعه على من فضل علياً عليهما؛ فإن هذا قد فعله بعض السابقين من المهاجرين والأنصار..." (مذكرة الصحابة، ص ٥٢. وقد حذفه من المطبوع!! لأنه يناقض قوله).

أما ابن عقيل (وهو ـ كما سيأتي ـ يدعي أنه أشعري!) يمهد لهذا التفضيل بقوله: "لا أخالك تجهل ما وقع من الخلاف بين الصحابة ثم التابعين ثم من بعدهم في الأفضلية بين أبي بكر وعمر[٢] وعلي ـ ﷺ ـ بعد النبي ـ ﷺ ـ ولسنا الآن ـ سواء كان معتقدنا هذا أو ذاك ـ بصدد تلك الأقوال أو نقدها، أورد كل منها إلى دليله..." (النصائح الكافية، ص ١٩٢) (ويزعم كذباً في هامش ص ٢٠٤ أن هذا مذهب الشافعي ـ رحمه الله ـ !!!)

ونحن بانتظار جهر المالكي بهذا التفصيل متابعة منه لمذهبه الزيدي، وأظن ذلك من يتأخر كثيراً، لأن الرجل قد تململ من التقية!

٧- يقول ابن عقيل في كتابه ـ والتعجب مني ـ (ص ١٩٤): "إننا

---

(١) وقد ثبت بسند صحيح كما يقول الألباني عن سفيان الثوري ـ رحمه الله ـ قال: من زعم أن علياً كان أحق بالولاية منهما، فقد خطأ أبا بكر وعمر والمهاجرين والأنصار، وما أراه يرتفع له مع هذا عمل إلى السماء" (صحيح أبي داود ٨٧٦/٣).

(٢) لم يذكر عثمان !! لأن تفضيل علي عليه مفروغ منه عندهم ! وإنما هم يحومون حول الشيخين.

أهل السنة ! نطالب غيرنا بالإنصاف، والمطالبة به من شأن طلاب الحق. فينبغي لنا أن نتحلى به تماماً حتى تقبل منا المطالبة به".

ألا يذكرك هذا بأقوال المالكي الكثيرة في ادعائه الانتساب لأهل السنة، وأنه يطالب بالاعتدال بين غلو من يسميهم النواصب وغلو الروافض؟!

٨- يدعي ابن عقيل أنه من الأشاعرة، ويقول عنهم "أصحابنا" (ص ١٧٣). ومع هذا نجده يخالف عقيدة الأشاعرة في مسائل الصحابة والتفضيل بينهم. فالأشاعرة ـ كما هو معلوم عنهم ـ يترضون عن جميع الصحابة بمن فيهم معاوية ـ ﷺ ـ[1]، ولا يفضلون علياً على الخلفاء الراشدين. يقول الشيخ عبد الرحمن المحمود في خاتمة رسالته (موقف ابن تيمية من الأشاعرة) (٣/ ١٣٨٣): "والأشاعرة موافقون لأهل السنة فيما يتعلق بالسمعيات؛ كالمعاد والحشر والحوض والصراط والجنة والنار وعذاب القبر ونحو ذلك، وكذلك في الإمامة والتفضيل وما يتعلق بهما".

وليس هذا موضع ذكر أقوالهم. فلما علم ابن عقيل أن هذا مذهب من يسميهم (أصحابه) هل تراه التزم به وأقلع عن ذنبه أم أنه تمادى في غيه ولم يرض بهذا المذهب الذي لا يوافق زيديته وتشيعه؟! للأسف فإنه قد اختار المنحى الثاني، حتى لو أداه ذلك إلى الطعن في مذهب أصحابه!! الذي يمنعه من سب معاوية ـ ﷺ ـ ! بل وصل به الحال إلى

---

(١) وقد ثبت بسند صحيح كما يقول الألباني عن سفيان الثوري ـــ رحمه الله ـــ قال: من زعم أن علياً كان أحق بالولاية منهما، فقد خطأ أبا بكر وعمر والمهاجرين والأنصار، وما أراه يرتفع له مع هذا عمل إلى السماء" (صحيح أبي داود ٣/٨٧٦).

الطعن في صاحب المذهب أبي الحسن الأشعري ـ رحمه الله ـ! والطعن في أسلافه؛ كالصحابي أبي بردة الأشعري!!.

يقول المخذول (ص ٢٠٥) عن مشايخه بأنهم: "أشعريون؛ بمعنى أن عقيدتهم في الغالب موافقة لما قرره أبو الحسن الأشعري ـ رحمه الله ـ في كتبه الكلامية، اللهم إلا في مسائل قليلة، وفي هنات جاءت عن الأشعري عفا الله عنه في حق علي ومعاوية، وما هي ببدع من الأشعريين" !ثم قال في الهامش نقلاً عن المؤرخ الشيعي المسعودي: "عن ابن عباس المتوف قال: رأيت أبا بردة الأشعري قال لأبي الغادية الجهني قاتل عمار بن ياسر: أأنت قتلت عماراً؟ قال: نعم، قال: ناولني يدك. فقبلها وقال: لا تمسك النار أبداً"!!.

وهذه رواية ساقطة لا عبرة بها، يكفي أنها من طريق المسعودي الذي قال عنه الحافظ ابن حجر: "كتبه طافحة بأنه كان شيعياً"[١].

ولقد شابه ابنَ عقيل في صنيعه هذا المبتدع الآخر عبد الله الحبشي الذي يدعي كابن عقيل بأنه أشعري العقيدة ثم تجده يخالف مذهبه في مسائل الصحابة! ولقد أجاد الدكتور سعد الشهراني في رسالته (فرقة الأحباش) عندما ألزم الحبشي بهذا التناقض "ليعلم مخالفة الأحباش لمن يزعمون الانتماء إليهم" (٢/ ٨١٤-٨١٥ وما بعدها).

وفي ظني أن الذي سهل للاثنين (ابن عقيل والحبشي) هذه المخالفة لمذهب الأشاعرة في مسائل الصحابة ولحاقهما بمذهب الرافضة هو أنهما

---

(١) لسان الميزان (٤/٢٢٥). وانظر رسالة (المسعودي ومنهجه في كتابه التاريخ) للدكتور سليمان السويكت. ورسالة: (أثر التشيع على الروايات التاريخية في القرن الأول الهجري) للدكتور عبد العزيز محمد نور ولي (ص٢٤٣ وما بعدها) .

قد تلبسا بالتصوف، ومعلوم ما بين التصوف والتشيع من رابطة قوية لا تخفى على من تأمل تاريخ الفرقتين[(١)].

أما المالكي فقد قال في مذكرته عن النواصب التي ينشرها في موقع الوسطية: "إنني أتهم أبا الحسن الأشعري بشيء من النصب"!.

فقد تلاقى الثلاثة (ابن عقيل والحبشي والمالكي) في اتهام المذهب الأشعري بالنصب ـ إما تصريحاً أو تلميحاً ـ كل هذا لأجل أنه وقف عثرة أمام أهوائهم الشيعية.

٩- يقول ابن عقيل في (ص ١٩٢) من كتابه : "لم يُنقل عن النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ولا عن أحد من أصحابه ـ ﷺ ـ أنه صلى على الصحب تبعاً للصلاة عليه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ أو أمر بها، لا في الصلاة ولا خارجها، وإنما قاسها من بعدهم على الصلاة على الآل، والقياس الذي ذكروه فاسد...الخ"

وقال المالكي في مقالاته عن النواصب في منتدى الوسطية: "لا يجد [هكذا، ولعلها يوجد] دليل واحد صحيح على شرعية الصلاة على الصحابة، فهذا من خصائص أهل البيت التي عممناها في الأمة...الخ" فتأمل!.

(**فائدة**): يقول المالكي في مقالاته عن النصب في موقع الوسطية: "من دلائل النصب أننا نمسك عما شجر بين علي ومعاوية؛ لأن الأدلة والحق مع علي، بينما لا نمسك عما جرى بين عثمان والثوار، وفيهم

(١) من ذلك أن الصوفية يرجعون فرقتهم إلى علي بن أبي طالب –رضي الله عنه– ومنها: أن غلاتهم ورؤساءهم كالبدوي والرفاعي وغيرهم ينسبون أنفسهم إلى آل البيت؛ انظر للزيادة رسالة (الصلة بين التصوف والتشيع) لكامل الشيبي.

صحابة أيضاً، بل نذم هؤلاء ونعتبرهم سبئية".

ويقول الرافضي محمد باقر الحائري عن قتال معاوية لعلي ـ رضي الله عنهما ـ:

ومـن يقـل عـن اجتهـاد كانـا لم لا يقـل في قـاتلي عثمانـا!

(تشابهت قلوبهم)!

(انظر: صب العذاب على من سب الأصحاب، للألوسي ـ رحمه الله ـ ص ٤١٣ وما بعدها. وقد أجاب عن هذه الشبهة الرافضية الزيدية!).

الكتاب الثالث من كتب ابن عقيل التي أثارت ضجة: (تقوية الإيمان برد تزكية معاوية بن أبي سفيان) وقد ألفه ـ كما يزعم ـ رداً على من دافع عن الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ ومن ضمنهم معاوية ـ رضي الله عنه ـ. وردد فيه أفكاره التي كان أعلنها في كتابه (النصائح الكافية)، وهي:

١- الطعن في معاوية ـ رضي الله عنه ـ (ولأجل هذا صنف كتابه).

٢- التفرقة بين الصحابة؛ من أحسن منهم ومن أساء (ص ١٧ وما بعدها).

٣- أن تفضيل علي على الشيخين ـ رضي الله عنهم ـ مختلف فيه! (ص ٥٧-٥٩).

٤- نقد علماء المذهب الأشعري الذي يدعي الانتماء إليه، وعلى رأسهم ابن حجر الهيتمي صاحب (تطهير الجنان) لأن أقوالهم تحجزه عن سب الصحابة.

تنبيه: كنت ذكرت في السرقات بأن المالكي تابع في اتهامه شيخ الإسلام ابن تيمية بالنصب الكوثري والغماري والسقاف. لأنني لم أكن قد اطلعت على كتاب (تقوية الإيمان) بعدُ، فلما اطلعت عليه علمت أن المالكي لم يعدُ شيخه في هذا الاتهام ! لأنه تابع أمين له. فقد اتهم ابن

عقيل شيخ الإسلام بالنصب صراحة في كتابه هذا وأنه "من كبار نواصب أهل السنة، !! كما يقول (ص ٧١). بل إنه عنده "شيخ النصب"! (ص ١٠١). وهذا عين ما يردده المالكي في أبحاثه؛ من ذلك مثلاً ما ذكره في كتابه السقيم (قراءة في كتب العقائد، ص ١٧٦) عن شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ قال: "اتهموه بالنصب وأصابوا في كثير من ذلك" !!

وهذا لم يكن يصرح به المالكي في بداية أمره، إنما كان يخفيه ويمهد له، كعادته في معظم أفكاره.

بل من العجائب ما جاء في كتابه (بيعة علي بن أبي طالب[1]، (ص٧٦) في التعليق على استدلال شيخ الإسلام بحديث: "تقتل عماراً الفئة الباغية" على صحة خلافة علي ـ رضي الله عنه ـ: "وكلام ابن تيمية هذا فيه رد على من يزعم أن ابن تيمية ـ رحمه الله ـ منحرف عن علي ـ رضي الله عنه ـ كما يتهمه بذلك بعض علماء المغرب والأردن والعلامة المقبلي، بل وبعض علماء عصره" !!! فما هذا التناقض يا حسن ؟ !!

- ثم وجدت الرافضي محسن المعلم في كتابه (النصب والنواصب)[2] يتهم شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ بالنصب، وينقل هذا الاتهام عن بعض المبتدعة، ومن ضمنهم الشيعي ابن عقيل سالف الذكر! (انظر: ص ٢٧٢ وما بعدها).

(وانظر نقولاته عن ابن:ص٥٤٦،٢٩٧،٢٢٠،٢٠٦،١٣٩، ٥٦٨).

---

(١) هكذا! لم يترض المالكي عن علي ـ رضي الله عنه ـ. ولو كنا (موسوسين) مثله لاتهمناه بالنصب!! ولكن أهل السنة أهل عدل مع خصومهم ـ ولله الحمد والمنة ـ.

(٢) الطبعة الأولى ١٤١٨هـ، دار الهادي، بيروت. ولعل متابعة مقالات المالكي عن النواصب تبين إن كان قد سرق جل بحثه من هذا الرافضي أم لا ؟!

(فائدة أخيرة): جاء في ذكر مؤلفات ابن عقيل أن لـه كتاباً في الـرد على "منهاج السنة" لشيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ والمـالكي يعـدنا كـثيراً بإخراج رسالة عن كتاب "منهاج السنة". فلعلك بهذا تعلم مصدره!

وبهذا انتهى ما أردت إلحاقه برسالة (سرقات المـالكي)، ولعلـي إن وجدت فوائد تتعلق بموضوع الرسالة ألحقتها فيما بعد ـ إن شاء الله ـ.

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك.

انحرافات

خالص جلبي

شيخ (العصرانيين) في القصيم !!

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد: فلا زالت بلادنا ـ حفظها الله وثبتها على الحق ـ ملاذاً آمناً لكل من يريد إقامة دينه ودنياه من أبناء المسلمين على اختلاف هوياتهم، وملتقى لهم بما خصها الله به من وجود الحرمين الشريفين على أراضيها. وقد أمَّها الكثير منهم، ما بين كبير وصغير، وعالم وجهل، فعاد فئام إلى أهاليهم وقد استقامت أحوالهم الدينية ـ ولله الحمد ـ بعد أن تبصروا وتفقهوا في أحوالهم الدينية وفق ما جاء في الكتاب والسنة وهو ما لم يجده كثير منهم في بلاده نظراً للظروف التي مرت بالعالم الإسلامي، مما لا يجهله أحد.

ولكن بقي فئات قدمت إلى هذه البلاد (متشربة) بالبدعة ومخالفة الكتاب والسنة، راضية بما هي عليه من انحراف، قد انكست فطرتها، فرأت المعروف منكراً والمنكر معروفاً.

أتت وقد تشبعت قلوبها من أئمة الضلال بنفي دعوة الكتاب والسنة التي تقوم عليها بلادنا ـ ولله الحمد ـ، فلم ترضى أن تتنازل عن ما هي عليه من باطل.

وهذه الفئة صنفان:

١- صنف أتى لهذه البلاد طالباً للعيش، وجوار الحرمين الشريفين، غير ساعٍ في نشر بدعته وانحرافه بين أهلها، إما خوفاً[1] أو عدم حماس لها، مما جعله يتستر عليها ولا يُسر بها إلا لخواصه الأدبية، جاعلاً شعاره

---

(١) ولتعلم صدق هذا : انظر إلى حالة بعد خروجه من هذه البلاد، كيف ينقلب! **(من اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فإنما يضلُ عليها)**.

قوله المتنبي:

ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى
عدواً له ما من صداقته بدُ !

وهذا الصنف قد كفانا مؤنة الرد عليه وفضحه، لما هو عليه من تستر وتحفظ من نشر بدعته وانحرافه، فهو (مبتدع) غير داعية إلى بدعته.

فمثل هذا يناصح برفق، ولا يرد عليه علناً، لكي لا تشتهر بدعته، أو تأخذه الحمية في نصرتها.

٢- والصنف الآخر: كالأول تماماً في بدعته وانحرافه، لكنه لم يخضع كما خضع الأول! ولم يستتر كاستتاره، بل جاهر ببدعته وانحرافه، مستعملاً كل أسلوب متاح لترويجها بين شباب هذه البلاد؛ لكي يصرفهم عن دعوة الكتاب والسنة إلى ما يوافق مشربه.

فهو لأجل ذلك يُصنف الكتب، ويكتب في الصحف والمجلات، ويشارك في الندوات.

وهؤلاء يختلفون في بدعهم ومشاربهم؛ فمنهم الأشعري الخَلَفي، والصوفي الخرافي، والمعتزلي العقلاني.. الخ

إنما يجمعهم كلهم: (بعض دعوة الكتاب والسنة) ومحاولة صرف الشباب عنها إلى أهوائهم.

فهذا الصنف يجب على دعاة الكتاب والسنة أن يتصدوا له، وأن يفضحوه بين الناس، ويُشهّروا به في الآفاق؛ حتى يدع بدعته أو يكف عن بثها ونشرها.

والطبيب خالص جلبي من هذا الصنف! فهو قد قدم إلى هذه البلاد منذ عشرات السنين مستقراً في بلاد القصيم! ليعمل في أحد

مستشفياتها.

قدم وقد تشربته نفسه انحرافات عديدة ظنها حقاً يجب أن يبشر به الناس حوله.

قدم وفي نفسه (أشياء) من دعوة الكتاب والسنة التي لم يجد فيها بغيته! ولم تُرض طموحه! لهذا فما أن ألقى عصاه في بلاد القصيم وطاب له المقام فيها، حتى شمر عن ساعديه في نشر انحرافاته وأفكاره التي استولت على نفسه. فبدأ يؤلف الكتب، وينشر مقالاته في مختلف الصحف، ويجتمع بالآخرين لينقل إليهم ما عنده؛ هادفاً من هذا إلى تجميع الشباب حول أفكاره التي آمن بها ورضيها، ولا زال على هذا الحال!

قد يقول قائل ممن يعرف ما عند الدكتور: يا فلان لقد ضخَّمت القضية، فالرجل ليس عنده سوى مذهب (السِّلم ونبذ العنف) الذي آمن بجدواه بعد أن جرَّب غيره، في بلاده، وهذا المذهب (السلمي) الخانع مع أعداء الأمة لن يؤمن به الشباب مهما حاول الدكتور؛ نظراً لمخالفته للفطرة ولطبائع البشر قبل مخالفته لشريعة رب العالمين ـ كما سيأتي ـ.

فأقول: نعم ، فكرة الدكتور الكبرى وهي الدعوة إلى السِّلم مع الجميع!) لن تشد أحداً من الشباب إليها كما قلت ، بل سيتخذها بعضهم سخرياً في زمنٍ لا يؤمن إلا بمبدأ واحد هو القوة، ولو تعامى الدكتور عن ذلك.

لذا فأنا لا أخاف على الشباب من هذه الفكرة الخيالية الحالمة، إنما أخاف عليهم من حواشيها! ومتطلباتها! ؛ لأن الدكتور ـ كما سيأتي ـ

جعل لنجاح هذه الفكرة شروطاً ينبغي أن تتحقق في المؤمنين بها، وهو ما أخافني منه على الشباب!؛ فهو يرى أن العالم ينبغي أن يعيش في سلم عام، يتحقق له عن طريق:

١- احترام وجهات النظر والرأي الآخر مهما كان !

٢- حرية الإنسان في الدعوة إلى ما يعتقده في كل مكان!

٣- حرية الإنسان في التنقل بين العقائد والأديان!!

٤- إلغاء ما يعارض ذلك، وهو حد الردة !!

٥- أن الحقيقة المطلقة لا يملكها أحد من البشر!!

إلى غير ذلك من الشروط والحواشي الخطيرة!، وهي ما نجح الدكتور في بثها في عقول بعض الشباب ممن يسمون (بالعصرانيين)، وساعده على ذلك أن هذه الحواشي والأفكار الفرعية تلائم عصر العولمة! وترضخ للضغوط المعاصرة التي لا يجهلها أحد، إضافة إلى أنها تريح النفوس البطالة التي تعبت من الدعوة إلى دين الله الحق وأصابها (طول الأمد) والملل!.

فجاء الدكتور يستثمر هذا كله، ويستفيد منه في نقل أفكاره إلى عقول بعض شبابنا ممن نراهم يدندنون كما ما يدندن الدكتور.

أما فكرته الكبرى (وهي الدعوة إلى مذهب السلم) فلا أظنها تلقى الرواج والقبول عن الشباب، كما لقيته هذه الأفكار الفرعية.

لهذا كله: كان لابد من عرض أفكار الدكتور ـ ولو بإيجاز ـ تحت مجهر الكتاب والسنة؛ ليتبين للشباب ما عند الرجل من انحرافات، لتكون هذه الرسالة عوناً لهم تركها أو الحذر منها.

ولعل الشباب الذي تأثر بدعاوى (العصرنة) و (التمييع) يراجع

نفسه، ويجدد نفسه، ويجدد حياته .

والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه (أجمعين)

تعريف بالدكتور خالص جلبي[1]:

- هو الدكتور خالص مجيب جلبي كنجو من مواليد القامشلي، سورية ١٩٤٥م، تخرج من كلية الطب، جامعة دمشق ١٩٧١م، وتخرج من كلية الشريعة، جامعة دمشق ١٩٧٤م، وحصل على الزمالة الألمانية (تخصص جراحة) من ألمانيا الغربية ١٩٨٢م.

يعمل حالياً رئيساً لوحدة جراحة الأوعية الدموية في مستشفى الملك فهد التخصصي بالقصيم.

من مؤلفاته:

١- الطب محراب الإيمان (جزءان).

٢- ظاهرة المحنة.

٣- النقد الذاتي .

٤- الإيدز الطاعون الجديد.

٥- عندما بزغت الشمس مرتين: قصة السلاح النووي.

٦- أين يقف العلم اليوم .

٧- ثلاث مقالات، أبحاث في العلم والسلم.

٨- مخطط الانحدار.

٩- سيكولوجية العنف واستراتيجية الحل السلمي.

١٠-العصر الجديد للطب.

---

(١) نقلاً عن مجلة " الفيصل" (العدد ٢٢٥، وغلاف كتابه "جدلية القوة والفكر والتاريخ "، مع إضافات يسيرة.

١١-جدلية القوة والفكر والتاريخ.

- يكتب الدكتور مقالاته في صحف ومجلات متنوعة، أبرزها جريدة الشرق الأوسط، ومجلة الفيصل، وزاويته بجريدة الاقتصادية .

- الدكتور متزوج من ليلى سعيد أخت المفكر (المادي) المشهور جودت سعيد، الذي كان له أثر كبير في فكر خالص جلبي ـ كما سيأتي ـ، وكما يعترف الدكتور نفسه.

خالص جلبي متأثر بجودت سعيد:

لكي نفهم خالص جلبي لابد أن نفهم (أخ زوجته) جودت سعيد، فالدكتور متأثر به جداً، ويكاد أن يكون رجع صدى لصوته بصورة شكلية مغايرة. والدكتور لا يخفي هذا الأمر بل يفخر به، فهاهو يهدي كتابه (في النقد الذاتي) إليه قائلاً ((إلى أخي المفكر جودت سعيد، فهو الذي غرس النباتات الأولى لهذا الإتجاه عندي)) (ص٧).

ويقول في نفس الكتاب: ((لابد من ذكر فضل خالص للأستاذ جودت سعيد في إثارة هذا الجانب العقلي ودفعه للنمو)) (ص١١).

ويثني في كتابه (سيكولوجية العنف) (ص١٢) على كتاب (شيخه) جودت (حتى يغيروا ما بأنفسهم) ويرى أنه "جدير بالمراجعة والتأمل"

يقول الأستاذ عادل التل بعد أن عرض لمجموعة من أفكار جودت سعيد: ((يتابع جودت على هذه الأفكار: خالص جلبي وزوجته ليلى سعيد...)) (النزعة المادية في العالم الإسلامي ، ص ٨٣). (وانظر أيضاً ص ٦٩ و ص٩٩).

قلت: ولكي نفهم جودت سعيد لابد من قراءة كتبه ومقالاته التي ينشرها بين المسلمين، وكذا قراءة كتاب الأستاذ عادل التل (النزعة

المادية في العالم الإسلامي: نقد كتابات جودت سعيد، محمد إقبال، محمد شحرور، على ضوء الكتاب والسنة) وقد قمت بهذا ولخصت كتاب الأستاذ التل مع بعض الزيادات في بحث بعنوان (**انحرافات جودت سعيد**) سأنشره قريباً ـ إن شاء الله ـ.

وأوجزه في نقاط:

١- يعد جودت سعيد أبرز دعاة مذهب (السّلم) ونبذ ما يسميه (بالعنف)، فهو يدعو إلى هذا بكل ما أوتي من استطاعة، وقد خصص له جلَّ كتبه ومقالاته، وعلى رأسها كتيبه الشهير (مذهب ابن آدم الأول).

٢- يرى أن هذا المذهب (مذهب السلم) هو الأنجح في حل قضايانا، وتحقيق أهدافنا، بخلاف غيره، ولو كان الجهاد!.

٣- يرى أن (الوحي) و(النبوة) قد انتهى دورهما !! وأن لنا أن نستبدل ذلك (بقراءة التاريخ والسنن الكونية) !، ولهذا نجده لا يُعظم حديث رسول الله ـ ﷺ ـ أو يجعله مرجعاً له. بل ـ والعياذ بالله ـ يرى أن الرجوع إلى الكتاب والسنة مما يزيدنا فرقة واختلافاً!!

٤- يتابع الفلاسفة (أهل التخييل) في أمور الغيب !.

٥- يمجد الفلاسفة والكفرة ويُعظم أفكارهم؛ من أمثال سقراط وغاندي وماركس وكونت وغيرهم، لاسيما إذا كانوا يخدمون فكرته.

٦- يحرف المعاني الشرعية؛ كمعنى الشرك ومعنى العبادة...، بمعانٍ مخترعة من عنده.

٧- يطعن في صحابة رسول الله ـ ﷺ ـ.

٨- يؤمن بفكرة (النشوء والارتقاء) البائدة !.

٩- يُحرف آيات القرآن الكريم بما يخدم أفكاره.

قلت: هذه بعض انحرافات جودت سعيد، ولتوثيقها ومعرفة المزيد عنه، مع تفنيد هذه الانحرافات، انظر: (انحرافات جودت سعيد).

التلميذ يتابع شيخه:

تابع خالص جلبي شيخه جودت سعيد في أفكاره السابقة كلها، وعلى رأسها (الدعوة لمذهب السلم) الذي استحوذ على معظم كتاباته ـ كما سيأتي ـ وفي ظني أن الذي دعاه لهذا أمران:

١- قربه من جودت سعيد، فهو متزوج من أخته ـ كما سبق ـ ومعلومٌ أن القرين بالمقارن يقتدي، وأن الصاحب ساحب، ولهذا نعلم حكمة (النهي عن مجالسة المبتدعة) الذين يلقون الشبه في ذهن المرء فيشككونه في أمر دينه، حتى يرى المنكر معروفاً والمعروف منكراً. مهما ادعى المرء أنه ذو حصانة من هذا التأثر، أو أن مبدأ (النهي عن مجالسة المبتدعة) ينبئ عن عدم ثقة بما لدى الإنسان من حق .. الخ ما يردده (العصرانيون) في زماننا.

٢- أنه اتخذ مبدأ (العنف) و (العمل السري) في مطلع حياته، فلما لم يثمر هذا المبدأ سوى التعرض للسجن والتنكيل من قبل السلطة الحاكمة في بلاده، انقلب الرجل إلى الضد من ذلك، و (كفر) بما كان يؤمن به سابقاً من جدوى (العنف) و(العمل المسلح)، وأصبح لفعله الأول ردة فعل عليه بعد خروجه من السجن قادته إلى (تطرف) آخر على الجهة المقابلة، وهو الدعوة إلى (مذهب السِّلم) ونبذ كافة أنواع (العنف) ولو كان من ضمنها الجهاد المشروع !

بل قاده ذلك إلى تقبل (الآخر) والدفاع عن معتقداته وحريته في

نشر تلكم المعتقدات مهما كانت! بدعوى (الحرية) و (الحوار) و (قبول وجهات النظر) و (الآراء المختلفة) ... الخ ما يدندن حوله عصرانيو اليوم.

يقول خالص في مقدمة كتابه (سيكولوجية العنف واستراتيجية الحل السلمي) ـ الذي خصصه للدعوة إلى مذهب السلم ـ: ((منذ ظروف المعتقل في عام ١٩٧٤م ما زال هذا البحث ينمو عندي ويترسخ)) (ص ٢٤).

ويقول ـ أيضاً ـ: ((ثم سجلت خطة العمل المستقبلية في كتابي (ظاهرة المحنة) مؤكداً على ضرورة تطهير ساحة العمل من (العنف) و (التنظيمات السرية) (المرجع السابق، ص ٢٥).

فالرجل قد عالج الخطأ بخطأ آخر أعظم منه. فهو في مطلع شبابه لم يلتزم منهج السلف أهل السنة والجماعة في التعامل مع الحكام، من حيث الصبر على جَوْرهم وظلمهم مع الاستمرار في الدعوة إلى الحق إلى أن يقضي الله أمره، استجابة للأحاديث الكثيرة عن رسول الله ـ ﷺ ـ الآمرة بذلك، مع عدم الالتفات إلى دعاوى (التثبيط) أو الاتهام بالخوف أو التخاذل إلى آخر دعاوى المتحمسين أو المبتدعة من الخوارج أو المعتزلة.

ولكن الدكتور آثر مذهب (الخروج) على الحاكم والتأليب عليه، والانخراط في الأعمال السرية للإطاحة به، مما أدى به إلى السجن؛ لأن الحاكم سيدافع حتماً بما أوتي من قوة عن سلطته ولن يفرط فيها بسهولة، كما قد يتوهم البعض.

فلما علم الدكتور ـ بعد حين ـ خطأ مسلكه الأول، لم يصححه

بالتزام مذهب السلف أهل السنة والجماعة في عقيدته ودعوته، بل ارتد إلى الطرف الآخر وهو نبذ (العنف) بكافة ألوانه والتنفير منه، والدعوة إلى (مذهب السلم) الذي ظن بجهله اتباعاً لشيخه جودت أنه سيسود العالم في يومٍ ما !! ـ كما سيأتي ـ.

فقاده هذا (التطرف) تجاه الجهة المقابلة إلى عدة انحرافات خطيرة سترى شيئاً منها فيما يلي ـ إن شاء الله ـ. فكان كما قيل:

إذا استشفيتَ من داء بداء فأقتل ما أعلك ما شفاك!

وأنا لن أتهم الدكتور ـ وكذا شيخه ـ كما فعل البعض، بأنهما مجردُ صنيعتين من صنائع أعداء الأمة (من اليهود والنصارى)، استخدموهما لترويج مذهب (السلم) بين أفراد الأمة وشبابها لإماتة روح الجهاد التي تقلق الأعداء ـ كما هو معلوم ـ.

أنا لن أفعل هذا؛ لأنه لا دليل مؤكد عليه حتى الآن، بل سأتعامل معهما كمنحرفَيْن من مئات المنحرفين الذين مروا على أمة الإسلام، هادفاً التحذير من أطروحاتهما التي قد تروج على البعض؛ نظراً لتماشيها مع ضغط الواقع المعاصر!.

فإلى انحرافات الدكتور:

الانحراف الأول: دعوته إلى مذهب "السِّلم" أو "السلام"، ونبذه لجميع أنواع ما يسميه "بالعنف" دون تفريق بين حقٍ وباطل. وحصره مفهوم الجهاد الشرعي في الدفاع عن البشر المظلومين (أياً كان دينهم) المكرهين على تغيير آرائهم واعتقاداتهم، وذلك بعد قيام الدولة الإسلامية بواسطة الطريق السلمي، أما قبل قيامها فلا يجوز أيُّ نوع من أنواع الجهاد (المسلح)!.

وإليك شيئاً من أقواله تبين هذا، ثم التعقيب عليها:

- يقول الدكتور تحت عنوان (أنظمة فكرية أربعة في كيفية استعمال العنف): ((توجد أربعة أنظمة فكرية، أو أربع لغات في جواز استخدام العنف ومشروعيته من حرمته وعدم جواز استخدامه:

١- **فاللغة الأولى هي شريعة الغاب**: القوي فيها يأكل الضعيف ولا يوجد أي ظل لأي قانون ضمن الدولة الواحدة أو بين الدول، وهي مرحلة مشى فيها الجنس البشري، وهو يودعها تقريباً الآن، وقد يعترض من يقول: لا، إن الوضع لم يتغير، وهذا ينسف كل إمكانية أو تحقيق أي تطور عن الإنسان والجنس البشري عموماً، وهو تصور غير صحيح، في ضوء إنجازات الجنس البشري حتى الآن، من نظام الأمم المتحدة، ومحكمة لاهاي للعدل الدولي، ومنظمات حقوق الإنسان، ومعاهدة جنيف لأسرى الحرب، ومنظمة الهلال والصليب الأحمر الدوليين... الخ . وهذا لا يعني الكمال في الإنجاز، ولكنها خطوة متواضعة، في طريق تحقيق الكمال الإنساني، والدولة العالمية الواحدة، لتأمين الخبز، ودحر المجاعات، واحتكار السلاح، وإيقاف الحروب.

٢- **واللغة الثانية هي لغة الديموقراطيات الغربية**: وتؤمن بالعنف لإطاحة الحكومات الظالمة المستبدة، وتحرم العنف بعده، ويصب معهم في الاتجاه نفسه تيار (الخوارج) من التاريخ الإسلامي، الذين لم يؤمنوا باستقراطية الحكام (أن يكونوا من قريش مثلاً)، فالإنسان الأسود (كونه من الشرائح المستضعفة في قاع المجتمع) يمكن أن يتولى منصب الرئاسة، كما هو الحال في نيلسون مندلا، في جنوب أفريقيا الآن، وهذا التصور كان مستحيلاً في تلك الأيام، كما آمنوا بالثورة المسلحة، لتغيير الحاكم المنحرف (وهو ما تفعله جماعات الإسلام السياسي في الوقت الحاضر،

حيث أحيت مذهب الخوارج من جديد)، فالخوارج رأوا في الحكم الأموي، أنه غير إسلامي وظالم؛ فوجب الإطاحة به، على كل حال هم يُكَفِّرون مرتكب الكبيرة، ولقد كفَّروا عليّاً واستباحوا دمه، ثم قتلوه في النهاية، وقد استنفدوا طاقتهم في الصراع مع الأمويين، وجعلوا الدولة الأموية تنزف حتى الموت، وسقطت كالتفاحة الناضجة ليست بأيديهم، ولا بأيدي آل البيت المنتظرين بفارغ الصبر، بل بيد العبّاسيِّين المحنَّكين، المختبئين في الظلام المجهولين!.

٣- **واللغة الثالثة هي لغة الأنبياء:** الذين حَرّموا صناعة الحكم بالقوة المسلحة وبالعنف، من خلال الانقضاض على الحكومات القائمة، حتى لو كان مجيئها إلى السلطة بالسيف وبالعنف، فاللاشرعية لا تزال باللاشرعية، بل بالشرعية، والخطأ لا يزال بالخطأ، بل يُقَوم بالعمل الصحيح، وهذا ما فعل الرسول ـ ﷺ ـ الذي غيّر المجتمع بالفكر وسلمياً، فحين فشل في اختراق مجتمع مكة والطائف، نجح في نشر دعوته في أهل يثرب، التي ستأخذ اسم مدينة الرسول ـ ﷺ ـ بعد ذلك (المدينة المنورة)، حتى تفشى الإسلام في مجتمع المدينة، فلم يذهب إليهم على ظهر الدبابات بانقلاب عسكري، بل خرجوا لاستقباله، في مظاهرة ضخمة، ضمت أهل المدينة من الرجال والنساء، في مشاركة رائعة، مع فرقة موسيقية كاملة،(١) والكل ينشد: طلع البدر علينا،(٢) معلنين خضوع مجتمع المدينة للفكرة الجديدة، دون سفك قطرة دم واحدة، وهذا

---

(١) !!.

(٢) ذكر ابن القيم في الزاد (٣/٥٥١) : أن هذا كان عند مقدمه ـ ﷺ ـ من تبوك وقال: ((بعض الرواة يهم في هذا ويقول: إنما كان ذلك عند مقدمه إلى المدينة من مكة، وهذا وهم ظاهر؛ لأن ثنيات الوداع إنما هي من ناحية الشام، لا يراها القادم من مكة إلى المدينة، ولا يمر بها إلا إذا توجه إلى الشام)).

التحول المدهش، في مجتمع المدينة المنورة سابقاً وبهذه الطريقة السلمية، غاب عن أعين المسلمين منذ ذلك الوقت، وعطلوا سنة عظيمة من سُنن الإسلام، في كيفية بناء المجتمع أو معالجته حين الانحراف، وتبخر الحكم الراشدي تحت حرارة العنف ودمويته، وانزلق المجتمع الإسلامي، إلى ليل التاريخ، حيث المغامرون والانقلابيون يتناوبون قنص السلطة الدموي دون رحمة، ولم يخلص العالم الإسلامي من هذا المرض حتى اليوم، وأعيد مذهب الخوارج، بكل عنفوانه وقوته مرة أخرى، في مناطحة الحكومات، واستنفاد الجهود في معارك مدمرة، بحيث توقفت عملية نقل السلطة السلمي، وتحول المجتمع إلى شرائح، لا يثق بعضها ببعض، وتوقف الحوار، وأضمرت النفوس الحقد والتآمر، وسُفِكت الدماء غزيرة.

٤- **وأما اللغة الرابعة**: فهي بعد قيام الحكم الشرعي، فإذا صار الحكم شرعياً، استطاع وسُمح له بالجهاد المسلّح، بعد أن بنى مجتمع (اللاإكراه).

عند ذلك، من لا يريد أن يدخل في السلم، ويريد أن يُكره الناس على أي دين ومبدأ وفكرة، فهذا يتصدى له المجتمع الإسلامي (مجتمع لا إكراه في الدين)، فهذا هو مجال الجهاد، أي حماية الناس من الفتنة (الإكراه)[1] ﴿ وَقَـٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ ﴾[2]، ﴿ وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ ﴾[3]، وهذا يتولد منه مجموعة هامة من المعاني: الجهاد هو لحماية

---

(١) الفتنة: الشرك، ولكن هذا من تحريفات الدكتور للآيات حتى توافق هواه! ـ كما سيأتي ـ.

(٢) سورة البقرة الآية ١٩٣.

(٣) سورة البقرة الآية ١٩١.

المخالف، والجهاد أداة واحتكار للعنف بيد السلطة، والسلطة أي سلطة، لا يسمى ما تفعله جهاداً، حتى يتم وصولها إلى الحكم برضا الناس، فالجهاد هو ذو جانبين في المجاهِد (بكسر الهاء) والمجاهَد (بفتح الهاء) ضدّه، فلا جهاد إلا بيد سلطة وصلت إلى الحكم برضا الناس، ولا جهاد إلا ضدّ من يمارس الظلم على الآخرين بإخراجهم من ديارهم وأديانهم بالقوة المسلحة ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَـٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ﴾[1][2].

قلت: هذا المقطع الطويل يوجز لنا الفكرة التي يدندن حولها الدكتور في كثير من كتاباته.

فالتغيير (أي تغيير السلطة الظالمة) يكون سلمياً دون (عنف) أو (استخدام سلاح)، وبعد الوصول إلى السلطة من قبل (السلميين) يجوز استخدام (الجهاد) أو (السلاح) أو (العنف) لا لنشر الإسلام وحماية الدولة الإسلامية !! إنما لحماية المكرهين على تغيير آرائهم ومعتقداتهم فقط!!.

وهذا فيه تلبيس عجيب من الدكتور الذي لو تابع مذهب السلف أهل السنة والجماعة بعد نبذه للعمل السري الحربي المسلح لأراح نفسه وجنبها تحريف الحقائق الشرعية وتزويرها - هداه الله -.

فنصوص السنة تفصل في هذه المسألة التي أرقت الدكتور حتى جعلته يصنف كتابه هذا، وتخبر بأن الحاكم (المسلم) الظالم الجائر لا يجوز الخروج عليه بالسلاح، وعلى هذا استقر مذهب السلف. أما إذا ارتكب

---

(١) سورة الممتحنة الآية ٨.

(٢) سيكولوجية العنف ... (ص ١٢٣-١٢٦).

هذا الحاكم كفراً بواحاً ظاهراً فإنه يجوز الخروج عليه بالسلاح وتغييره إذا كان المسلمون لديهم القدرة على ذلك، وأقواله ـ ﷺ ـ كثيرة مشهورة في تقرير هذا؛ من أوضحها ما رواه عوف بن مالك ـ رضي الله عنه ـ عن رسول الله ـ ﷺ ـ: **((خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم، وتصلون عليهم ويصلون عليكم، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم وتلعنونهم ويلعنونكم))، قال: قلت: يا رسول الله ! أفلا ننابذهم عند ذلك؟ قال: ((لا، ما أقاموا فيكم الصلاة))** اخرجه مسلم .

وقوله ـ ﷺ ـ: **((ستكون بعدي أمراء، فتعرفون وتنكرون، فمن عرف برئ، ومن أنكر فقد سلم، ولكن من رضي وتابع)) قالوا: أفلا نقاتلهم؟ قال: ((لا، ما صلوا))** اخرجه مسلم[1].

فالجهاد أو ما يسميه الدكتور (بالعنف!) يجوز استخدامه من قبل المسلمين قبل الوصول للسلطة ـ لا كما يزعم الدكتور ـ وذلك في الحالة السابقة، وأقواله ـ ﷺ ـ تشهد بهذا، وهي لا تخالف سيرته ـ ﷺ ـ التي حاول الدكتور أن يوهمنا أنها تعارض هذا، لأنه هو نفسه الآمر بذلك الجهاد أو (الخروج) الشرعي.

انحرافات أخرى للدكتور تفرعت عن انحرافه الأول:

قلت: فترتب على (غلو الدكتور في هذا المذهب الغريب مذهب السِّلم وعدم العنف انحرافات كثيرة، سأذكرها مع مقولة أو أكثر للدكتور تشهد لكل واحدة منها، ثم أعقب عليها بإيجاز بما يبين للقارئ بطلانها:

---

(١) وانظر للزيادة: كتاب "الورد المقطوف في وجوب طاعة ولاة أمر المسلمين بالمعروف " للأخ فوزي الأثري، تقديم الشيخ صالح الفوزان.

١- الدكتور يؤمن بأن الحروب ستنتهي!

يقول الدكتور: " كانت الحروب قديماً تؤدي دوراً من الغنائم والأسلاب والرقيق، واليوم فات وقتها، فكما تم إلغاء الرق فالعالم في طريقه لإلغاء مؤسسة الحرب" (سيكولوجية العنف، ص١٤٣).

قلت: هذا مقولة إنسان خيالي يسبح عقله في ما يتخيله مثالياً، لا أساس لها من الواقع.

وهي ـ أيضاً ـ مقولة إنسان لا يؤمن بحكمة مشروعية الجهاد في الإسلام! حيث ارتبطت الحروب عنده فقط بالغنائم والأسلاب والرقيق والأمور (المادية) التي تناسب تفكيره (المادي)! التي متى ما استغنى الناس عنها ـ كما يزعم الدكتور ـ سيتوقف (القتال)!![1] متغافلاً عن أن الجهاد في الإسلام لا تأتي هذه الأمور (المادية) إلا تبعاً لحِكَمِهِ العالية ومقاصده الشريفة؛ وعلى رأسها (إعلاء كلمة الله في الأرض)، ونشر دينه، واكتساب المجاهدين الأجر العظيم الوارد فيمن جاهد لأجل ذلك، وغير ذلك من المقاصد الشريفة[2].

فليست مقاصد الجهاد في الإسلام هي مجرد الغنائم والرقيق كما

---

(١) **قلت:** وهذا الافتراء في أن غايات الجهاد اقتصادية تلقفه جلي من المستشرقين وأذنابهم، الذين نشروا هذه الفكرة الخبيثة محاولين تشويه الجهاد الإسلامي. يقول صاحب كتاب (تاريخ العرب المطول) (ص١٩٥): ((لم تكن الحماسة الدينية بل الحاجة الاقتصادية هي التي دفعت بمعاشر البدو الذين تكونت منهم أكثر جيوش الفتح إلى ما وراء تخوم البادية..))! وانظر في الرد عليه: رسالة (افتراءات فيليب حتي وكارل بروكلمان على التاريخ الإسلامي) للأستاذ عبدالكريم علي باز (ص ٥٣ وما بعدها)، وكذا انظر كتاب (افتراءات حول غايات الجهاد) للأستاذ محمد نعيم ياسين.

(٢) يقول الشيخ علي بن نفيع العلياني في أهداف الجهاد في الإسلام: (الهدف الرئيسي هو تعبيد الناس لله وحده، وإخراجهم من العبودية للعباد إلى العبودية لرب العباد، وإزالة الطواغيت كلها من الأرض جميعاً) (ص١٥٨)، ثم ذكر أهدافاً أخرى .

يزعم جلبي الذي ينظر للأمور بتفكير (مادي).

وأيضاً: ففي كلامه هذا مصادمة لنصوص الشريعة (الآمرة) بالجهاد والمخبرة عن استمراره إلى يوم القيامة؛ كما في قوله ـ ﷺ ـ ((القتال ماضٍ إلى يوم القيامة)) وقوله ـ ﷺ ـ في الصحيحين: ((الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة)).

بل هذا من جملة عقائد أهل السنة الثابتة عندهم دون شك، قال الطحاوي ـ رحمه الله ـ في عقيدته: ((والحج والجهاد ماضيان مع أولي الأمر من المسلمين، برهم وفاجرهم إلى قيام الساعة، لا يبطلهما شيء ولا ينقضهما))[1].

ويقول الشيخ علي العلياني في كتابه (أهمية الجهاد، ص ١٨٦): "لا ينتهي جهاد الكفار إلا إذا أسلموا أو خضعوا لحكم الإسلام ودفعوا الجزية".

وأيضاً: ففي كلامه السابق مصادمة للنصوص الشرعية (المخبرة) عن استمرار القتال (من جميع الأطراف) ! على وجه الأرض إلى أن تقوم القيامة، ومن راجع ما جاء في أشراط الساعة علم هذا، ويأتي على رأس ذلك مقاتلة المسلمين لليهود التي أخبر عنها النبي ـ ﷺ ـ في الحديث الصحيح، وكذا خروج يأجوج ومأجوج، وغير ذلك.

فكلام الدكتور باطل (شرعاً) و(قدراً).

ثم قوله (تم إلغاء الرق) ليس فيه دليل على (تحريم) الرق أو أن الإسلام قد جاء بما يشين ـ كما يوهم كلامه ـ.

---

(١) العقيدة الطحاوية (ص ٣٨٧، بتحقيق الألباني).

بل الرق باقٍ ما بقي الجهاد، ولا حرج منه. وإجماع (العالم) على إلغائه لا يغير من حكمه شيئاً في الإسلام؛ لأن الإسلام يُحتج به ولا يُحتج عليه بالأمور الواقعة. ولو فعلنا هذا لحللنا كثيراً من المحرمات التي (استباحها) أو (أذن بها) العالم اليوم.

يقول الشيخ عبدالله بن يابس ـ رحمه الله ـ في تعقبه على بعض الكتاب: ((وإذا كان القتال ماضياً إلى قيام الساعة، والكفار موجودين في كل زمن فسنة الإسلام جواز الاسترقاق لمن استولوا عليه بطريق الحرب))[1].

ويقول الدكتور علي العلياني راداً على بعضهم ممن يرى رأي الدكتور: ((من الأحكام الإسلامية المتعلقة بالجهاد التي حرفها تلاميذ الاستشراق والاستعمار: حكم الرق، حتى إنا نرى بعض أولئك الضعاف المهازيل من قليلي العلم والتقوى الذين أعجبوا بمبادئ الدول الغربية والشرقية من الدول الكافرة والملحدة يعتذرون عن رب العالمين في تشريعه للجهاد، ويعللون إباحة الإسلام للرق بتعليلات ساقطة من عند أنفسهم، لم يدل عليها دليل من كتاب ولا سنة...))[2].

وقال رداً على من قال: بأن الإسلام لا يتعارض مع إلغاء الرق من العالم اليوم !: ((هذا كذب صراح وافتراء على الإسلام .... وهل يظن هذا الكاتب أن المسلمين منذ عهد الرسول ـ ﷺ ـ إلى عام ١٨٤٢م عندما وُقعت اتفاقية دولية تحرم الرق كانوا يعملون غير مباح؟! نعوذ بالله من هذا التحريف المشين))[3].

---

(١) مجلة المنار (ج ٢ م ٣٤ ص١٤١) .

(٢) أهمية الجهاد في نشر الدعوة الإسلامية (ص ٣٧١) .

(٣) المرجع السابق (ص ٣٧٤).

٢- الدكتور يتمنى قيام دولة عالمية واحدة!!

يقول الدكتور تحت عنوان (الدولة العالمية كمقصد أعلى للبشر): "إن وجود دولة عالمية تحتكر العنف من الدول سيحقق الأمن عالمياً، فندخل العصر الذي تتوقف فيه الحروب" ويقول: "الأمل أن تتحقق الدولة العالمية الواحدة في مدى القرنين القادمين أو ربما أسرع.... عندها تنتهي لعبة الحروب نهائياً، ويلغى عصر الجوع"!! (سيكولوجية العنف..، ص١٥٨).

ويقول في موضع آخر: "الطريق ما زال طويلاً لإقامة الدولة العالمية التي ستحتكر السلاح والخبز، فتلغي الحروب بين الدول، وتنهي عصر المجاعات" (المرجع السابق، ص ٢١٨).

قلت: لا زال الدكتور يحلم ويمني النفس! وليته إذ مارس (حلمه) و (أمنياته) هذه مارس ذلك لوحده أو بين أهله إذاً لكففت القلم عنه وقلت

إذا تمنيتُ بتُّ الليل مغتبطاً   إن المنى رأس أموال المفاليس!

ولكن حلمه هذا تحول إلى فكرة تشغل ذهنه، ثم سوّلت له نفسه نشرها وتكتيل الأنصار حولها، فعندها لزم الرد، وإيقاظ الدكتور من نومه.

أما أن فكرته عبارة عن حلم، فهذا يعرفه كل مسلم،وكل من له عقل، وقد قضى الله (كوناً) هذا الخلاف بين البشر وقدَّره.

يقول ـ سبحانه ـ عن البشر: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾[1].

---

(١) المرجع السابق (ص ٣٧٤).

وليس معنى هذا ـ كما يتوهم البعض ـ أن يرضى المسلم بهذا الاختلاف ويقره ولا يحاول تغييره؛ لأن هذا الأمر مما يحبه الله ولذلك قدره!!.

فهذا قول من لا يفرق بين إرادة الله (الكونية) وإرادته (الشرعية)، ـ كما هو معتقد أهل السنة ـ، ويخلط بينهما، فيظن أن الله إذا قدر وأراد (شيئاً) بإرادته (الكونية) ينبغي للمسلم أن يقر ذلك ويرضاه، وهذا قول شنيع، يلزم منه أن يقر صاحبه الكفر والمعاصي ويرضى بها، ولا يحاول تغييرها! والله تعالى يقول: ﴿ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ﴾[1]، مع أنه واقع في الأرض بإرادته سبحانه (الكونية) لا (الشرعية).

فاختلاف البشر واقع ولا يزال مستمراً، وقد أراده الله بإرادته (الكونية) التي لا يخرج عنها شيء من المقدَّرات، ولكنه لم يرده (شرعاً)، بل أراد لعباده جميعاً أن يعبدوه ويوحدوه، والمسلم مطالب بعدم الرضا بهذا الاختلاف، والسعي لإزالته بما يستطيع، ومحاولة جمعهم على الكتاب والسنة. والله أعلم.

ثم ليت الدكتور حينما خالف هذا الأمر الكوني بحلمه وأمنيته تلك حلم وتمنى بأن يجتمع العالم في دولة (إسلامية) واحدة، تحكم بشريعة الله ـ تبارك وتعالى ـ، وهو حلم كل مسلم.

لكنه لم يفعل هذا، بل تمنى دولة عالمية واحدة تطعمه من الجوع وتؤمنه من الخوف!! مهما كان دينها أو مذهبها!! كل هذا لا يهم عند الدكتور، مادام ينام هانئاً آمناً ممتلئاً بطنه بالخبز والماء البارد، ونعوذ بالله من دناءة المطلب.

---

(١) سورة الزمر الآية ٧.

٣- الدكتور يدعي أن الغرب المتحضر ترك (العنف) و(الحرب)!

يقول الدكتور: "غدت الحرب موضة قديمة يمارسها المتخلفون، وكل بؤر النـزاع والحروب في العالم اليوم هي في معظمها مناطق المتخلفين "!! (المرجع السابق، ص ١٦٤).

قلت: كل متابع للأحداث يعلم بطلان هذا القول ومخالفته للواقع، بل (العنف) و (الحروب) مستمرة ما دام هناك بشر مختلفون، دون تفريق بين (متحضر) و (متخلف) كما يزعم الدكتور.

وشاهد ذلك من الواقع كثير: فهذه زعيمة التحضر (أمريكا) لا تزال تمارس عنجهيتها وعنفها مع المسلمين ؟ كما حدث في السودان وأفغانستان.

وهذه روسيا تفعل ذلك في الشيشان.

وهذه إسرائيل وهي من الدول المتحضرة عندك بلا شك! لامتلاكها للتكنولوجيا والصناعة المتطورة، غارقة في أوحال الحرب مع العرب بين حين وآخر.

إن قال الدكتور: ما يحدث من روسيا وأمريكا ليست حروباً، إنما هي حملات تأديب! أو نحو ذلك. أقول له:

هذه التي تسميها (حملات تأديب) أليست هي عنفاً في نظرك؟! هي كذلك بلا شك، وهذا مما ينقض قولك؛ لأن من مارس (العنف) الجزئي سيمارسه (كلياً) عندما يحتاج إليه ! ويحمى الوطيس.

أيضاً: فقل لي ـ بالله ـ متى خلت البلاد (المتقدمة) من الحروب؟! أليست الحرب العالمية الثانية لم تضع أوزارها إلا قبل خمسين عام تقريباً، فكيف حكمت بهذا الحكم خلال هذه المدة القصيرة ؟! ومثل هذه

الأحكام لا تبنى إلا خلال قرون.

ثم أقول: لقد غاب عنك، أن هذه الدول المذكورة لم تدع (الحروب) في السنوات الأخيرة نظراً (لتقدمها) أو (لتحضرها) كما تزعم بل ودعتها لأنها تعلم أن حروب اليوم لو وقعت لأكلت الأخضر واليابس، ولأحرقت الجميع بنارها؛ نظراً لتطور الأسلحة، فسبب تركهم - إن سلمناه لك - هو خوفهم من الموت ومن الهلاك، ولا علاقة (بالتحضر) في هذا الأمر.

٤- (المتقدم) يحل مشاكله بالحوار لا بالعنف، عند الدكتور!

يقول الدكتور: "العالم اليوم فيه شريحتان: شريحة ودعت الحرب وتحل مشاكلها بالحوار، وشريحة لم تصل إلى هذا المستوى، فتحل مشاكلها بالصدام والسلاح" ! (المرجع السابق، ص١٤٤). (وانظر ص ١٦٤ و٢١٩ وما بعدها).

قلت: وهذه كذبة أخرى للدكتور يؤيد بها (أحلامه)!
ونحن لم نر هذا الحوار في تعامل أمريكا مع السودان أو أفغانستان!
ولم نره في تعاملها مع العراق!
وهكذا لم نره في تعامل الروس مع الشيشان.
ولا في تعامل اليهود مع المسلمين الفلسطينيين.

٥- الصراع بين الناس لا يمكن حله إلا بالسلام!

يقول الدكتور: "هذا الصراع بين الإنسان وأخيه لا يمكن تحويله أو إلغاؤه إلا بالسلام" (المرجع السابق، ص١٨٤) وكثيراً ما يردد الدكتور بأن (العنف لا يحل المشكلة) (سيكولوجية العنف ، ص١٥٢، وانظر : ص١٦٨، ٢١١).

قلت: وهذا ليس على إطلاقه! بل بعض الصراعات تُحل بالسلام وبالصلح، وبعضها ـ وهي الأكثر ـ لا تحل إلا بالقوة والعنف !! وشاهد هذا من التاريخ القديم والمعاصر كثير لا يخفى على عاقل. فرسول الله ـ ﷺ ـ وهو قدوتنا لو تعامل بمنهجك هذا مع الكفار لما استجابوا له، ولما خضد شوكتهم، وكسر هيبتهم، وحل بديارهم.

ولقد أحسن القائل:

دعاء المصطفى دهراً بمكة لم يُجب

وقد لان منه جانبٌ وخطابُ

فلما دعا والسيف صلتٌ بكفه

له أسلموا واستسلموا وأنابوا

وهكذا خلفاؤه لو فعلوا ذلك مع الفرس والروم وغيرهم لما ازدادوا إلا ضعفاً وتراجعاً.

وفي عصرنا الحاضر رأينا السلاح والعنف يحل كثيراً من الأمور والصراعات المستعصية، فعلى سبيل المثال: حادثة توحيد البلاد السعودية لم تتم ـ بعد توفيق الله ـ إلا بهذا، وإلا لكنا شراذم شتى لو طبقنا فكرة الدكتور! وهكذا توحيد اليمن لم تحله المؤتمرات والحوارات، إنما حلته أفواه الرشاشات وأزيز العربات والطائرات ! قال الشاعر:

والشر إن تلقه بالخير ضقت به

وإن تلقه بالشر ينحسم

بل شاهد ذلك من الدول التي يزعم الدكتور أنها (متقدمة) واضح جداً، فهذه الولايات المتحدة لم يتحقق لها هذا الارتفاع الدنيوي في الأرض إلا بسبب خوضها للحروب الطويلة مع مستعمريها من الإنجليز

وغيرهم.

ثم مع جاراتها في سبيل توحيد الولايات إلى أن تحررت، ثم تطورت، ثم سيطرت[1] ولو أخذت بمبدئك هذا لما كان لها هذا الشأن.

والأمثلة كثيرة

لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى
حتى يراق على جوانبه الدم

٦- إلغاء الحروب وقيام هيئة الأمم المتحدة وغيرها من المؤسسات الدولية هو حلم الأنبياء عند الدكتور!!.

يقول:" إن الجنس البشري بلغ من النضج ما يجعله يحقق الحلم النبوي القديم، في إلغاء مؤسسة العنف جملة وتفصيلاً، وكل ما قرب إليها من قول وعمل، والمؤسسات الدولية اليوم هي نطف بدائية لأفكار عظيمة نادى بها الأنبياء" !! (سيكولوجية العنف، ص ١٥١)

قلت: هذا من الافتراء على الأنبياء ـ عليهم السلام ـ الذين كان حلمهم ودعوتهم بنص القرآن هو أن يعبد الناس رب العالمين وحده، ولا يشركوا به شيئاً، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّـٰغُوتَ ﴾[2].

وما من نبي إلا وقد مارس (القتال) وأمر به لتحقيق هذا الحلم والهدف، لا كما يُلبّس الدكتور. قال سبحانه: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَـٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسْتَكَانُواْ ﴾[3]،

---

(١) انظر نماذج لحروبها في كتاب (تاريخ الأمريكيتين) للدكتور عبد الفتاح أبو علية.

(٢) سورة النحل الآية ٣٦.

(٣) سورة آل عمران الآية ١٤٦.

وهذه سيرهم - عليهم السلام - حافلة بذلك.

أما المؤسسات الدولية فحاشا الأنبياء أن تكون هي أحلامهم! وما هي إلا مؤسسات صليبية متسترة، قامت لأجل خدمة مصالح دول الكفر - أخزاها الله - وهذا مما قد تبين صراحة لكل عاقل يتدبر مواقفها المخزية في العالم.[١]

٧- الإسلام (سلمي) عند الدكتور!

يقول الدكتور: محاولاً تقرير فكرته (الباطلة) بإلصاقها بالإسلام " التربية (السلمية) تنطلق من روح الإسلام، التي تريد المحافظة على الإنسان وليس قتله وتدميره" (المرجع السابق،ص١٩٩).

قلت: بل التربية (الجهادية) هي التي تنطلق من روح الإسلام التي تريد أن تكون كلمة الله هي العليا في الأرض، وتقتل كل من (يعترض) ذلك، وآيات الكتاب العزيز وأحاديث المصطفى - ﷺ - تشهد لهذا، وهي مما يعلمه كل مسلم يقرأ القرآن، فلا نحتاج لبسطها للدكتور الذي لا تخفاه! ولكنه يتابع هواه!

٨- الدكتور يطالبنا بعدم رد الأذى!

يطالب الدكتور قراءه كثيراً بـ(عدم رد الأذى بالأذى) اتباعاً لمنهجه السلمي (المرجع السابق، ص٥٢).

قلت: وهذا معارض للقرآن الكريم! يقول الله تعالى: ﴿ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ ﴾[٢] ويقول: ﴿

---

(١) وليتك تراجع كتاب (مفتريات اليونسكو على الإسلام) لمحمد السمان، لتعلم حقيقة هذه المؤسسات .

(٢) سورة البقرة الآية ١٩٤.

وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَا ﴾[(١)]

فرد الأذى بالأذى لا حرج منه، بل هو مطلوب أحياناً؛ إذا كان الأذى المقابل لا يندفع إلا به، كما سبق.

ومع ذلك فالصفح والعفو (في محله) أفضل، قال سبحانه: ﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٤٠ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعۡدَ ظُلۡمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيۡهِم مِّن سَبِيلٍ ۝٤١ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظۡلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ۝٤٢ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴾[(٢)]. فهل بعد قول الله من قول؟!.

٩- الجهاد ليس لنشر الإسلام عند الدكتور!

يقول الدكتور:" الجهاد ليس لنشر الإسلام، بل لحماية الرأي الآخر، ولتطبيق مبدأ "لا إكراه في الدين" أي دين أو مذهب أو عقيدة، تركاً أو اعتناقاً، فالجهاد هو لحماية التعددية داخل المجتمع الإسلامي" !! (سيكولوجية العنف، ص١٢-١٣) (وانظر: ص ١٥٥،١٢٨) .

وفي: (ص ١٦٣) يفتري الدكتور على شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ بأنه يرى بأن الجهاد في الإسلام دفاعي وليس هجومياً ! بل زاد في الافتراء زاعماً بأن الشيخ يرى أن الجهاد هو للدفاع (عن المظلوم) !.

---

(١) سورة الشورى الآية ٤٠.

(٢) سورة الشورى الآية ٤٠،٤٣.

يقول هذا المفتري: " وقرر هذا الإمام ابن تيمية، وهو أن الجهاد لم يُشرع لنشر الإسلام، بل للدفاع عن المظلوم، ويدخل ضمنه حماية حرية الرأي والعقيدة، والتعبير داخل المجتمع الإسلامي".

قلت: الدكتور لا يستطيع إلغاء الجهاد من الإسلام بالكلية، نظراً للأدلة الصريحة الواضحة الكثيرة الواردة في تقريره، ولو استطاع ذلك لفعله دون تردد!! لأن هذا الجهاد يؤرقه وينقض عليه فكرته الباطلة من الأساس، ويجعلها غريبة على الإسلام والمسلمين.

عندما علم الدكتور ذلك، لجأ إلى طريقة أخرى لإزاحة هذا الجهاد من طريقة، ومحاولة إذابته وتمييعه، وهي أنه وافق إخوانه من المنهزمين بأن الجهاد في الإسلام لم يُشرع إلا للدفاع عن الدولة الإسلامية، لا لنشر الإسلام في الأرض، ثم زاد الدكتور انحرافاً أو لم يرضه صنيع إخوانه، فزعم أن الجهاد إنما هو للدفاع عن المظلومين في الأرض لا للدفاع عن الدولة الإسلامية !! فزاد ضغثاً على إبالة(١).

وقضية الجهاد هل هو دفاعي أم هجومي، هي من القضايا التي أثارها المنهزمون في العصر الحديث استجابة لضغوط الأعداء، وادعوا أن فيها خلافاً، وأن الصواب هو أن يكون الجهاد دفاعياً، كل هذا استحياء من دينهم أن يعلنوه كما هو دون خوف أو مجاملة لأحد، وكأنهم يسترون عورة من العورات! والعياذ بالله.

وقد تصدى علماء المسلمين في هذا الزمان وبعض الكتاب لهذه الفكرة الباطلة (وهي أن الجهاد في الإسلام دفاعي فقط)، وبينوا ما فيها

---

(١) أي بلية على بلية، والضغث هو القبضة من الحشيش، مختلطة الرطب باليابس، والإبالة الحزمة من الحطب. (انظر: مجمع الأمثال للميداني، ١/ ٥٢٣-٥٢٤).

من تلبيس وتمييع للدين، كالشيخ سليمان بن سحمان، والشيخ سليمان ابن حمدان، والشيخ عبدالرحمن الدوسري، والشيخ ابن باز ـ رحمهُ الله ـ والشيخ صالح اللحيدان، والشيخ الجعوان، والشيخ قادري، والشيخ عابد سفياني، وسيد قطب، وأخيه محمد، وعبد الكريم زيدان، وغيرهم.

وخلاصة رأي علماء أهل السنة في هذه المسألة هو ما ذكره الشيخ الألباني ـ يرحمه الله ـ في تعليقه على العقيدة الطحاوية (ص ٤٩)، حيث قال:" اعْلَمْ أن الجهاد على قسمين:

الأول: فرضُ عين، وهو صد العدو المهاجم لبعض بلاد المسلمين، كاليهود الآن الذين احتلوا فلسطين، فالمسلمون جميعاً آثمون حتى يخرجوهم .

والآخر: فرضُ كفاية، إذا قام به البعض سقط عن الباقين، وهو الجهاد في سبيل نقل الدعوة الإسلامية إلى سائر البلاد حتى يحكمها الإسلام، فمن أسلَمَ من أهلها فبها، ومن وقف في طريقها قوتِل حتى تكون كلمةُ الله هي العليا، فهذا الجهاد ماضٍ إلى يوم القيامة، فضلاً عن الأول، ومن المؤسف أن بعض الكتاب اليوم ينكره، وليس هذا فقط، بل إنه يجعل ذلك من مزايا الإسلام!".

أما افتراء الدكتور على شيخ الإسلام بأنه يرى أن الجهاد هو للدفاع، فهو افتراء قديم من المنهزمين الذي طاروا فرحاً برسالة عن القتال منسوبة زوراً إلى الشيخ ـ رحمه الله ـ ذكر فيها هذه الفكرة الباطلة التي تخالف أقوال الشيخ وأفعاله الصريحة في نقضها. ولهذا فما زال العلماء ـ بين حين وآخر ـ يبينون كذب هذه الرسالة المنسوبة لشيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ، وأترك المجال للشيخ علي العلياني ليزيد هذا الأمر

تفصيلاً[١]. قال ـ حفظه الله ـ:

"وزعم أهل الدفاع بأن شيخ الإسلام ابن تيمية المعروف بفضله وعلمه واطلاعه على مذاهب العلماء يوافقهم فيما ذهبوا إليه بأن القتال في الإسلام للدفاع! واعتمدوا في هذا الزعم على رسالة تباع في الأسواق بعنوان (قتال الكفار) طبعت مع مجموعة رسائل لشيخ الإسلام ابن تيمية عام ١٣٦٨هـ وضربوا صفحاً عن أقوال ابن تيمية المتعلقة بالجهاد في سائر كتبه التي قد ثبتت نسبتها إليه يقيناً ككتاب الصارم المسلول على شاتم الرسول وكتاب الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح وكتاب السياسة الشرعية ورسالة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فلم يشيروا ولو من طرف خفي بأن لابن تيمية أقوالاً تخالف ما في رسالة القتال التي يعتمدون عليها ويذيعونها بين الناس، وهكذا الهوى المنحرف يفعل بأصحابه الأفاعيل !! .

ورسالة القتال المنسوبة إلى ابن تيمية لم تصح نسبتها إليه فلم يذكرها أعرف الناس بكتب ابن تيمية وهو تلميذه المحقق ابن القيم ضمن مؤلفات ابن تيمية وقد أفرد لمؤلفات ابن تيمية رسالة خاصة عدد فيها أكثر ما ألفه ابن تيمية من كتب ورسائل وفتاوى فذكر ما يقرب من المائتين ولم يكن من بينها رسالة القتال[٢]، وقد رفض هذه الرسالة الشيخ عبد الرحمن بن قاسم جامع فتاوى ابن تيمية ولم يدخلها ضمن

---

(١) وقد بين هذا ــ أيضاً ــ سماحة الشيخ ابن باز ــ رحمه الله ــ في محاضرته (ليس الجهاد للدفاع) المنشورة ضمن مجموع فتاواه (٣/١٧١ وما بعدها)، وأثنى على رسالة الشيخ ابن حمدان ــ رحمه الله ــ التي ألفها في إبطال نسبة رسالة (القتال) لشيخ الإسلام.

(٢) انظر مؤلفات ابن تيمية لابن القيم بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد ــ دار الكتاب الجديد ــ بيروت.

الفتاوى إذ قال[١] (ولم أضع في هذا المجموع إلا ما أعرفه لشيخ الإسلام وقد أعرضت عن نزر قليل نسب إليه كمنظومة في عقائد ونقل محرف لترك البداءة بقتال الكفار وقد رد عليه الشيخ سليمان بن سحمان وأوضح تحريفاته في عدة كراريس)

قلت: وقد ردّ على هذه الرسالة المنسوبة إلى ابن تيمية العالم المحقق الشيخ سليمان بن عبد الرحمن بن حمدان المدرس بالمسجد الحرام ـ رحمه الله ـ رحمة واسعة وذلك بكتابه القيم (دلالة النصوص والإجماع على فرض القتال للكفر والدفاع) المطبوع في دار الطباعة والنشر في عَمّان، جاء في مقدمته ما يلي:

(أما بعد فقد وقفت على رسالة منسوبة لشيخ الإسلام وعلم الهداة الأعلام تقي الدين أبي العباس أحمد بن تيمية ـ رحمه الله تعالى ورضي عنه ـ مضمونها أن قتال الكفار سببه المقاتلة لا مجرد الكفر وأنهم إذا لم يقاتلونا لم يجز لنا قتالهم وجهادهم على الكفر، وأن هذا القول هو الذي يدل عليه الكتاب والسنة والاعتبار واستدل لما زعمه ببعض آيات شبه بها ولبس، وأولها على غير معناها المراد؛ بها مثل قوله تعالى: ﴿ وَقَـٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ ﴾[٢]الآية وقوله: ﴿ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُواْ عَلَيْهِ ﴾[٣] وقوله: ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ﴾[٤]وحديثين حرفهما لفظا ومعنى وضرب صفحاً عن الآيات المحكمة الصريحة التي لا تحتمل

---

(١) انظر مجموع الفتاوى جـ ٨ ص ٥.

(٢) سورة البقرة الآية ١٩٠.

(٣) سورة البقرة الآية ١٩٤.

(٤) سورة البقرة الآية ٢٥٦.

التأويل والأحاديث الصحيحة التي تكاد تبلغ حد التواتر في الأمر بقتال الكفار والمشركين حتى يتوبوا من كفرهم ويقلعوا عن شركهم، وهذه طريقة أهل الزيغ والضلال يَدعون المحكم ويتبعون المشابة كما أخبر الله عنهم في قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ مِنْهُ ءَايَـٰتٌ مُّحْكَمَـٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَـٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَـٰبِهَـٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَـٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ﴾[1] ولما رآها بعض من ينتسب إلى العلم وليس من أهل الدراية والفهم صادفت هوى في نفسه فطار فرحاً ظاناً أنها الضالة المنشودة وراجت لديه بمجرد نسبتها لشيخ الإسلام فسعى في طبعها ونشرها على كذبها وقشرها.

وما علم المسكين أنه قد استحسن ذا ورم وأنها محض افتراء وتزوير على الشيخ وقد نزه الله شيخ الإسلام عن هذا الخطل الواضح والجهل الفاضح والخوض في شرع الله بغير علم ولا دراية ولا فهم، ولكن الأمر كما قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - ﷺ - للحارث بن الأحوص لما قال له أتظن: أن طلحة والزبير كانا على باطل؟ فقال له (يا حارثه إنه لملبوس عليك إن الحق لا يعرف بالرجال اعرف الحق تعرف أهله. فهذا الذي طبعها ونشرها ممن لا يعرف الحق إلا بالرجال فهو ملبوس عليه كما قال أمير المؤمنين. لأنه لو عرف الحق في هذا الباب لما راجت عنده هذه الرسالة ولقابلها بالإنكار والرد ونبذها نبذ النواة لأنها تتضمن إبطال فريضة دينية هي ذروة سنام الإسلام، ففي الحديث عن النبي - ﷺ - أنه قال: (رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة

---

(١) سورة آل عمران الآية ٧.

وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله)، وقد جاء في حديث مرسل **(أن الله يحب البصر النافذ عند ورود الشبهات والعقل الكامل عند حلول الشهوات)** فبالبصر النافذ تندفع الشبهة وبالعقل الكامل تندفع الشهوة.

وحيث أن ما جاء في هذه الرسالة مخالف لنصوص الكتاب والسنة ولما أجمعت عليه الأمة في الصدر الأول ومخالف أيضاً لما نص عليه شيخ الإسلام نفسه في كتبه المشهورة المتداولة المعروفة لدى الخاص والعام: الجواب الصحيح والصارم المسلول ومنهاج السنة والسياسة الشرعية وغيرها من كتبه التي سنذكر نصه فيها بالحرف ونحيل على الكتاب ليسهل الوقوف عليه لمن أحب ذلك، وليعلم أن هذه الرسالة مزورة عليه ولا تصح نسبتها إليه بوجه من الوجوه وأن من نسبها إليه فقد شارك المفتري في عمله وما يترتب عليه من إثم، وبما أن الله تعالى قد أوجب على أهل العلم البيان وعدم الكتمان في قوله عز من قائل: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَـٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ ﴾[1] ولما لم أر من قام بهذا الواجب ولا أعاره من العناية والأهمية جانباً إلا أنه بلغني أن شيخنا الشيخ سليمان بن سحمان قد رد عليها ولكن أصبح رده غير موجود، وخوفاً من أن يظن أن هذه المسألة من مسائل النـزاع فضلاً عن أن يظن أنها من مسائل الإجماع فيغتر بها جاهل لا تفريق له بين الحق والباطل والحالي والعاطل أو يحتج بها ملحد منافق مجادل مشاقق تصديت لبيان ما فيها من فساد وتحريف وإلحاد.... وقد ارتكب واضع هذه الرسالة ومفتريها بعمله هذا أنواعاً من المحرمات

---

(١) سورة آل عمران الآية ١٨٧.

والعظايم؛ فمنها الفرية على الله تعالى بأن هذا شرعه ودينه الذي شرعه لعباده وقد قال تعالى: ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾[١]، قال قتادة هي لكل مفتر إلى يوم القيامة . ومنها الإلحاد في آيات الله وأحاديث رسوله ـ ﷺ ـ وتأويلها على غير معناها المراد بها. ومنها الكذب على إمام من أئمة المسلمين ونسبة ما لم يقل إليه وقد نقل فيها بعض عبارات من الصارم المسلول وغيره من كتب الشيخ تصرف فيها أسوأ التصرف ليوهم أنها من كلام الشيخ ولكن ركاكة مبانيها وتناقض عباراتها ومعانيها يدل دلالة ظاهرة على أنها لم تصدر من كاتب قدير فضلاً عن عالم نحرير كشيخ الإسلام ـ رحمه الله تعالى ـ إنه لو فرض أن شيخ الإسلام ـ رحمه الله تعالى ـ أو غيره من أهل العلم المقتدى بهم غلط في مسألة من المسائل مع قيام الدليل من الكتاب والسنة على خلاف ما قاله لم يوافق على ذلك لأنه ليس بمعصوم من الخطأ فهو أسوة غيره من المجتهدين الذين يصيبون وقد يخطئون وهم مأجورون على اجتهادهم في الصواب والخطأ فمن أصاب فله أجران أجر على اجتهاده في تحري الحق وأجر على إصابته، ومن أخطأ فله أجر على اجتهاده في تحري الحق وخطؤه مغفور له؛ لما روى عمرو بن العاص ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: (**إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران، وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر**) رواه البخاري.

ولكن هذه المسألة ليست من أفراد المسائل التي ربما يحصل فيها الاشتباه ويقع فيها الخطأ ويكون فيه مجال للاجتهاد بل هي أصل من

---

(١) سورة الأنعام الآية ١٤٤.

أصول الدين وفرض من فروضه ينبني عليها كثير من أحكامه ولا مجال للاجتهاد فيها لوضوح أدلتها من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ[(١)]، وقد اطلعت على الرسالة المذكورة فاتضح لي ما اتضح للشيخ سليمان بن حمدان ـ رحمه الله ـ من أن الرسالة منحولة على الشيخ وفيها عبارات كثيرة مأخوذة من كتبه، ولقد حرص واضعها على عدم ذكر جهاد الابتداء والطلب بينما الناظر في مؤلفات ابن تيمية المشهورة يجد أن قوله في الجهاد لا يخالف إجماع المسلمين بل يوافقهم وقد نقل بنفسه الإجماع كما تقدم قريباً ونص على وجوب جهاد الابتداء والطلب في مواضع من كتبه فقال في كتابه القيم الجواب الصحيح (..... فإذا وجب علينا جهاد الكفار بالسيف ابتداء ودفعاً فلأن يجب علينا بيان الإسلام وإعلامه ابتداء ودفعاً لمن يطعن فيه بطريق الأولى والأحرى ...)[(٢)] وقال في كتابه الصارم المسلول (.... لما نزلت براءة أمر النبي ـ ﷺ ـ أن يبتدئ جميع الكفار بالقتال وثنيهم وكتابيهم سواء كفّوا أم لم يكفوا)[(٣)].

وبهذا تظهر براءة ابن تيمية من تلك الرسالة المخالفة للإجماع ولأقواله هو بنفسه))[(٤)].

١٠- مبالغته في الاستدلال بقصة ابنَي آدم ـ عليه السلام ـ على مذهب شيخه الفاسد:

كما فعل شيخ جلبي: جودت سعيد من الغلو في قصة ابنَي آدم ـ

---

(١) دلالة النصوص والإجماع لابن حمدان ص ١ ــ ٥.

(٢) الجواب الصحيح ١/٧٥ .

(٣) الصارم المسلول ص ١١٢، وانظر كتاب (الجهاد والقتال في السياسة الشرعية) للدكتور محمد خير هيكل (٧٦٨/١) ، حيث ذكر نصوصاً أخرى عن شيخ الإسلام تؤيد هذا

(٤) أهمية الجهاد في نشر الدعوة الإسلامية (ص ٣٤٢ – ٣٤٦) .

ﷺ ـ والاستشهاد بها على مذهبه الفاسد، وبنى على هذه القصة كتابه المشهور (مذهب ابن آدم الأول)، كذلك صنع تلميذه جلبي، فَحَمَّل هذه القصة من المعاني (الباطلة) مالا تحتمله، ومن ذلك قوله: "عندما استخدم القرآن في قصة ولدي آدم كان يهدف إلى تدشين أسلوب جديد في الصراع الإنساني، وحلّ النزاعات، فبعد أن أعلن إبراهيم ـ ﷺ ـ إلغاء القربان الإنساني والتضحية به، حمل مع كل إمكانات الانتقال من العالم العتيق وفكره المتخلف، إلى العالم الجديد في تدشين آليات نفسية جديدة، لحلّ نزاعات الجنس البشري، فولد آدم الأول أراد إزالة فشله، في عدم قبول القربان منه، بالتصفية الجسدية للطرف الآخر، كأسلوب لحل المشكلات (لأقتلنَّك) بالتشديد، ولكن ابن آدم الثاني الذي يمثل حركة انتقال الإنسان من مرحلة الرعي والصيد إلى مجتمع الزراعة والقانون، شرح موقفه بشكل واضح، إنه تخلى عن القوة من طرف واحد، في حركة ذكية لفهم طبيعة التطور الجديدة في مسار الحياة الإنسانية.

في قصة ولدي آدم يجتمع الاتجاهان (الرَّجعي) الذي يريد حلّ مشاكله (بيده) فيقتل، و (التَّقدمي) الذي يرى في تدشين مؤسسة (الدولة) الفرصة التاريخية لأمن المجتمع، ونزع العنف من يد الأفراد، واحتكار الدولة له، وتطبيق القانون، فيقفز الوجود الإنساني إلى عتبة جديدة في تطوير نفسه، في التّخلي عن العنف، داخل مؤسسة الدولة، سواء في مقاومتها، أو الوصول إليها، فلا تزال اللاشرعية باللاشرعية، وهي حركة الأنبياء في التاريخ، (سيكولوجية العنف، ص٢١٦-٢١٧).

قلت: هذا من مبالغاتك وتهويلاتك في سبيل نصرة مذهبك

الفاسد! ويكفي للرد عليك أن يُقال بأن الذي قصَّ هذه القصة علينا، وهو الله سبحانه وتعالى، هو الذي فرض الجهاد وقتال الكفار! فكيف تزعم أن الله أراد بهذه القصة (تدشين أسلوب جديد في الصراع الإنساني وحل النزاعات)؟ أليس هذا من الكذب والتلبيس على القارئ؟! عندما حملت هذه القصة القرآنية على معانٍ باطلة قد استقرت في نفسك، وهذا من التفسير بالهوى.

فابن آدم (المقتول) لم يقتل أخاه بعد أن علم بنيته في قتله تورعاً منه ـ رحمه الله ـ أن يبوء بإثم قتل النفس بغير الحق الأول في تاريخ البشرية ، فتُحمل عليه أوزار من تبعه في هذه السنة السيئة، كما قال ـ ﷺ ـ: **((ما من نفس تُقتل ظلماً إلا كان على ابن آدم الأول كفلٌ من دمها؛ لأنه أول من سن القتل))**[1].

١١- الدكتور يقول: مفاهيمنا ستسود العالم!

يقول الدكتور: "هذه المفاهيم سوف تعم العالم في النهاية؛ لأنها صوت الحفاظ على الجنس البشري" (المرجع السابق ،ص ٩١).

قلت: يقول الله تعالى: ﴿ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ﴾[2]!ويقول:﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ ﴾[3]!.

ويقول الشاعر:

منىً إن تكن حقاً تكن أحسن المنى
وإلا فقد عشنا بها زمناً رغداً

(١) أخرجه البخاري (٣٣٣٥) ومسلم (١٦٧٧) .
(٢) سورة البقرة الآية ١١١.
(٣) سورة النساء الآية ١٢٣.

الانحراف الثاني: تحريفه للآيات والأحاديث والمعاني الشرعية:

وهذا من الانحرافات التي استقاها واستفادها جلبي من شيخه جودت سعيد، حيث أن هذا الأخير قد تميز وتفرد في تحريف معاني النصوص الشرعية بما يوافق هواه، غير عابئ بمعانيها الحقيقية التي أجمع عليها المسلمون، وليس المقام مقام تبيين ذلك من كلام جودت لأن له موعداً لن نخلفه إن شاء الله.

أما تلميذه النجيب فسأذكر لك شيئاً من تحريفه للتفاسير والمعاني الشرعية بما يبين لك مقدار تعظيم هذا الرجل للنصوص، حيث يقوم بمهارة بتحريفها ولي أعناقها زاعماً أنها تشهد للمعنى الفاسد الذي تقرر في ذهنه مسبقاً، وإليك نماذج من ذلك:

أولاً: تحريفه لآيات الكتاب العزيز:

١- مضى تفسيره (الفتنة) في قوله تعالى: ﴿ وَقَـٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ ﴾[١] بأنها الإكراه، وإنما هي الشرك[٢].

٢- ومن ذلك: قوله: (يجب أن نعترف أن الحوار الفعَّال النشط يحتاج دون شك إلى أرضية فكرية خصبة، وطاقة نفسية، وتحرر فكري، وانكسار قيد التقليد، ولكنه مع هذا يبقى مفتاح دخول وتجاوز العقبة ﴿ فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴾[٣])! (سيكولوجية العنف، ص ٩٨).

قلت: (العقبة) فسرها الله بقوله بعدها: ﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾

---

(١) سورة البقرة الآية ١٩٣.

(٢) انظر : زاد المسير (٣٥٧/٣)

(٣) سورة البلد الآية ١١.

فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَـٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴾.[١]

٣- ومن ذلك: قوله: (بقدر نمو الوعي والتراكم المعرفي، والسمو الأخلاقي، تتراجع وتضمر مؤسسة العنف، حتى يتخلص الجنس البشري من العنف كلية ﴿ حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ﴾[٢]! (سيكولوجية العنف، ص ١٢٠).

قلت: آية ﴿ حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ﴾ ليس معناها كما يزعم هذا الضال نهاية الحرب (أو الجهاد) من العالم !! بل معناها يشهد له ما قبلها، قال تعالى: ﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا۟ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ﴾[٣] قال ابن كثير ـ رحمه الله-:(﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ ﴾ ـ أي أهلكتموهم قتلاً ﴿ فَشُدُّوا۟ ٱلْوَثَاقَ﴾ الأسارى الذين تأسرونهم، ثم أنتم بعد انقضاء الحرب وانفصال المعركة مخيرون في أمرهم إن شئتم مننتم عليهم فأطلقتم أساراهم مجاناً، وإن شئتم فاديتموهم بمال تأخذونه منهم وتشارطونهم عليه)[٤]وقال ابن عباس ﴿ حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ﴾: حتى لا يبقى أحد من المشركين[٥] وقال قتادة: حتى لا يكون شرك[٦].

(١) سورة البلد الآية ١١،١٦.
(٢) سورة محمد الآية ٤.
(٣) سورة محمد الآية ٤.
(٤) تفسير ابن كثير (١٧٦/٤) . ط مكتبة العلوم والحكم.
(٥) زاد المسير (٣٩٧/٧) .
(٦) تفسير الطبري (٤٢/١٣) .

قلت: بل جاء في تفسير هذه الآية ما يُكذِّب هذا الفهم الفاسد الذي فهمه الدكتور، فقد قال النواس بن سمعان ـ ﷺ ـ فُتح على رسول الله ـ ﷺ ـ فتحٌ فأتيته فقلت: يا رسول الله ، سُيِّبت الخيل ووضعوا السلاح، فقد وضعت الحرب أوزارها وقالوا: لا قتال، فقال رسول الله ـ ﷺ ـ: **((كذبوا الآن جاء القتال، الآن جاء القتال، إن الله ـ جل وعلا ـ يزيغ قلوب أقوام يقاتلونهم ويرزقهم الله منهم؛ حتى يأتي أمر الله على ذلك، وعقر دار المؤمنين الشام))**[1].

فحق لنا بعد هذا أن نُكذِّب الدكتور على فهمه السقيم!

٤- **ومن ذلك:** قوله تحت عنوان (المغزى العميق لتأسيس المفهوم السلمي في المجتمع): (إن القرآن استخدم كلمات جميلة حينما اعتبر أن الذي يلقي بالسلام يجب عدم اعتباره كافراً ﴿ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا ﴾[2] (سيكولوجية العنف، ص ١٣٣) .

قلت: وما دخل هذا بما تدندن حوله؟! فالآية تطالب المؤمنين بأن يحكموا على الأشخاص بظواهرهم، فمن سلَّم علينا لا يجوز لنا أن نرميه بالكفر قبل أن نتبين ذلك منه. وليس فيها أي دليل أو إشارة إلى ما تردده من مفهوم السلم الذي يلغي الجهاد الشرعي.

٥- **ومن ذلك:** قوله: (ربما لا يوجد كتاب كالقرآن استخدم مصطلح (ظلم النفس)؛ لأن وضع اليد على هذه البؤرة الحساسة يقود إلى حل مشكلة الإنسان والتخلص من علاقات القوة، والعودة إلى العلاقات

---

(١) أخرجه أحمد والنسائي وابن حبان، وصححه الأرنؤط في (الإحسان) (برقم ٧٣٠٧) .

(٢) سورة النساء الآية ٩٤.

الإنسانية، عندما يعتاد الإنسان أن يلغي آلية لوم الآخرين ﴿ بَلِ ٱلْإِنسَـٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ۝ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ﴾[1]) (سيكولوجية العنف، ص ١٨١-١٨٢).

قلت: تفسير الآية هو أن الإنسان شهيد على نفسه بما عمل، وسيشهد عليه سمعه وبصره ويديه ورجليه وجوارحه يوم القيامة، ﴿ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ﴾ - أي ولو جادل واعتذر بباطل فلن يُقبل منه[2].

فليس في الآية ما يحاول أن يوهمنا الدكتور إياه؛ من عدم لوم الآخرين مهما خالفوا الحق وجانبوا الصراط المستقيم!

٦- ومن ذلك: قوله بعد أن تحدث عن أهمية (التعددية الفكرية) في المجتمع! قال بأن ذلك (بداية تأسيس مناخ يسمح للمجتمع بالتعبير والوجود والنمو المتبادل ﴿ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَـٰنًا ﴾[3])!! (سيكولوجية العنف، ص٢٤٤-٢٤٥)، وهذه من أغرب تحريفات الدكتور للآيات ! فكل مسلم يعلم بأن الآية خطاب من الله لموسى - عليه السلام - بأنه سيشد عضده بأخيه هارون، ويمده بالسلطان والحجة لمواجهة فرعون وقومه، والدكتور حرّفها إلى أن الأفكار المتعددة في المجتمع المسلم (مهما كانت !!) يشد بعضها بعضاً!

ألا بعداً لهذا التحريف !

---

(١) سورة القيامة الآية ١٤ـــ ١٥.

(٢) انظر تفسير ابن كثير (٤/٤٤٩) . ط مكتبة العلوم والحكم .

(٣) سورة القصص الآية ٣٥.

قال سبحانه محذراً الدكتور ومن شاكله ممن يحرفون آيات الله ويفسرونها بأهوائهم ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَـٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ ۗ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ ۖ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾[1]. قال ابن عباس: الإلحاد وضع الكلام على غير مواضعه[2].

قلت: ومن صنع هذا الصنيع بكلام الله ـ تعالى ـ فقد شابه اليهود الذين ﴿ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ ﴾[3] فليحذر الدكتور أن يصيبه ما أصابهم.

ثانياً: تحريف الدكتور للسنة.

١- من ذلك: قوله عن حديث:((إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار))[4]: (يظن بعض الناس أن هذا الحديث يخص المسلمين باعتبار أنه قال: إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار. في محاولة لفهم عنصري مغلق ... الخ) (سيكولوجية العنف، ص ١٧٢).

قلت: فالدكتور يرى بأن هذا الحديث عام لكل الناس! فلوا التقى مسلم بكافر بسيفيهما، فالاثنان في النار وإن كان الكافر حربياً!! وهذا ما لم يقل به أحد من المسلمين[5]، وهو من الشذوذات الكثيرة لهذا

---

(١) سورة فصلت الآية ٤٠.

(٢) تفيد ابن كثير (٤/١٠٤) ط مكتبة العلوم والحكم.

(٣) سورة البقرة الآية ٧٥.

(٤) أخرجه البخاري (٣١) ومسلم (٢٨٨٨).

(٥) انظر: فتح الباري (١٣/٣٤) وقد حمل العلماء ((الوعيد المذكور في الحديث على من قاتل ـــ أي من المسلمين ـــ بغير تأويل سائغ، بل بمجرد طلب الملك)). (المرجع السابق).

الرجل.

ثالثاً: تحريفه للمعاني الشرعية.

١- **من ذلك:** قوله (حق الفيتو: الشرك الأكبر، هو الذي يعيق ولادة عالم سليم...) ! (سيكولوجية العنف، ص١٥٩).

فالشرك الأكبر عند الدكتور هو حق الفيتو ! وهذه من آثار (العصرنة) التي قلبت مفاهيم الرجل! ولكنه عند أهل السنة: ((أن يجعل الإنسان لله نداً في ربوبيته أو ألوهيته أو أسمائه وصفاته))[١]

٢- **ومن ذلك:** قوله: (الحج إذن احتشاد تظاهرة الإنسان لإيقاف تقديم القرابين البشرية، وتدشين السلام العالمي) !! (سيكولوجية العنف، ص٢١٠) (وانظر ص٢٢٧).

قلت: انظر ـ وفقك الله ـ كيف تضخمت فكرة (السِّلم) في ذهن الدكتور حتى لم يعد يرى سواها أينما اتجهت به قدماه! وتأمل كيف (جيَّر) الركن الخامس من أركان الإسلام في سبيل دعم هذه الفكرة الباطلة، زاعماً أن الحج إنما فُرض لإيقاف (الحرب)! متغافلاً عن أن من فرض الحج لعبادته قد فرض الجهاد أيضاً! فنعوذ بالله من التلبيس.

الانحراف الثالث: **دعوته إلى ما يسمى (الحرية الفكرية)!**

يقول جلبي معلقاً على قوله تعالى: ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ ﴾[١]: (إن الإسلام ـ بكلمة ثانية ـ سوف يجاهد من أجل أن يسمح للطرف الآخر الذي لا يؤمن به بالبقاء، بل بالمحافظة عليه، بل بحمايته

---

(١) انظر: معارج القبول (٢/٤٨٣) وفتاوى اللجنة (١/٥١٦-٥١٧)، ورسالة (بعض أنواع الشرك الأصغر) للدكتور عواد المعتق (ص٩) .

(٢) سورة البقرة الآية ١٩٣.

من أجل أن يعبر عن رأيه حتى ولو كان معارضاً للإسلام) (سيكولوجية العنف، ص٥٦)، ويقول هازئاً من حد الردة في الإسلام!: (لنتصور سيارة تملك إمكانية المشي للأمام فقط، بدون إمكانية الرجوع للخلف، إن هذا يمنع إمكانية المناورة، بل سيجعل حركة السيارة قريبة من المستحيل...الخ) (المرجع السابق ، ص ١٢٧).

ويقول أيضاً: "المجتمع الإسلامي المكان الوحيد المسموح به بممارسة كل الأفكار، والتقاء كل الثقافات بالتعايش والتعبير" (المرجع السابق، ص٢٣٤).

ويقول أيضاً: "إن صلاح الكون وجماله بالتنوع والتعددية" (المرجع السابق، ص٢٣٩).

ويقول أيضاً: "إن المحافظة على الآخر هي محافظة على الذات" (المرجع السابق، ص٢٤٤).

قلت: هذه بعض عبارات الدكتور في تقرير الحرية الفكرية في المجتمع المسلم، وأن الإسلام يقبل الاختلافات بل يحميها!، وهذا يعني أن الإسلام ـ والعياذ بالله ـ يقبل أن يُعلن الكافر كفره، والمبتدع بدعته دونما حساب أو عقاب !! وهذا لا يقول به مسلم يفقه دينه.

ومشكلة جلبي ومن يرى رأيه ممن يسمون بالمفكرين المسلمين أنهم لا يفرقون بين إرادة ومشيئة الله الكونية وبين إرادته ومشيئته الشرعية. فهم عندما يرون الكفر والبدع والانحرافات واقعة في المجتمع المسلم في زمان ما يظنون ـ بجهلهم ـ أن الله يرضى بهذا وأن الإسلام يُقره، جاهلين أن الأمر قد يقدره الله (كوناً)؛ لأنه لا شيء يخرج عن قدرته سبحانه، ولكنه تعالى لا يرضاه شرعاً؛ كما قال تعالى: ﴿ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ

ٱلْكُفْرَ﴾(١) فالله لا يرضى الكفر (شرعاً)، رغم وقوعه في الأرض بقدرته (الكونية).

فوقوع الكفر والانحراف في الأرض ليس مسوغاً للمسلم أن يرضى به أو يقره أو يفرح به! بل مطلوب منه أن يكافحه بما استطاع.

فهولاء المفكرون عندما يقرؤون التاريخ الإسلامي ويرون أن الفرق المبتدعة؛ كالجهمية والمعتزلة والأشاعرة، بل والفلاسفة، وغيرهم منتشرة في فترة من الفترات، يتخذون من هذا الأمر مدحة للإسلام وأنه يقر الاختلافات الفكرية ـ زعموا ـ !! متغافلين عما سبق ذكره.

ومما يشهد لهذا أنه في زمن الرسول ـ ﷺ ـ وهو القدوة للمسلمين، لم يكن ـ ﷺ ـ يرضى بهذا الذي رضي به المفكرون، بل حذر ـ ﷺ ـ من الاختلافات ومن البدع، وأمر بقتال مشركي العرب، وبقتل المرتد ـ كما سيأتي ـ وبقتال الخوارج ... الخ. فأي حرية فكرية يزعمها الدكتور؟!

ولا يظنن ظان أن هذا مما يُذم به الإسلام ـ والعياذ بالله ـ، بل هذا مما يُمدح به؛ لأنه يقود معتنقيه إلى رضا الله ـ سبحانه ـ ، ويباعدهم عن الكفر ويحذرهم منه، نفعاً لهم، وقبل هذا كله: ينبغي أن يعلم المسلم أن لله الأمر كله، يحكم ما يشاء، ويفعل ما يريد.

أما اليهود والنصارى من أهل الكتاب فإنهم إنما يُقَرون على كفرهم إذا رضوا بدفع الجزية، والتزام عدم دعوة المسلمين لكفرهم، ولهم الحماية بموجب عقد (الذمة) بالشروط التي بينها العلماء، فأي تعبير للرأي المخالف يدعيه الدكتور؟!

---

(١) سورة الزمر الآية ٧.

الانحراف الرابع: **أن الدكتور كثيراً ما يردد: بأن الحق المطلق لا يمتلكه أحد!!**

فمن ذلك قوله:" إن الحقيقة النهائية والمطلقة والشمولية لن يملكها أحد" (سيكولوجية العنف، ص٢٤٣). ويقول:" ليس كل رأي يصدق في قول الحقيقة أو يرويها أو يزعم قنص الحقيقة الحقيقية النهائية المطلقة، أو يحتكر الوصاية على الحقيقة" (المرجع السابق، ص٢٤٠) (وانظر: ص١٠٩،١٠١).

قلت: هذه الفكرة من الأفكار (الكفرية) ـ والعياذ بالله ـ التي تورط بها الدكتور؛ لأنها تساوي بين الحق والباطل، والإسلام والكفر، بدعوى أننا لا ندري في أيٍ تكون (الحقيقة)!!.

فإن كان الدكتور يشك في (إسلامه) ـ والعياذ بالله ـ ويظن أنه قد لا يكون فيه الحق! فنحن ـ ولله الحمد ـ لا نشك في أن الإسلام هو دين الله الحق الذي يجب على كل إنسي وجني أن يدين الله به، ومن لم يعتنقه فهو كافر.

وأما دعوى (نسبية الحقيقة) فهذه دعوة قد تلقفها الدكتور من الغربيين، انظر لردها مقالاً مفيداً للأستاذ غازي التوبة في مجلة المجتمع (عدد ١٣٣٧) بعنوان (بين نسبية الحقيقة والنص القطعي الثبوت والدلالة)[1] جاء فيه قوله:

(والآن أعود إلى نسبية الحقيقة التي تتصادم مع النص القطعي الثبوت القطعي الدلالة الذي يؤدي إلى ثبات الحقيقة، وأتجاوز الظروف

---

(١) انظر رسالة الشيخ ابن باز ـــ رحمه الله ـــ (لا أخوة بين المسلمين والكافرين، ولا دين حق غير دين الإسلام)، في مجموع فتاواه (١٧٣/٢ وما بعدها).

التاريخية التي جعلت نسبية الحقيقة جزءاً أساسياً من ثقافة الغرب، التي تختلف عن ظروفنا التاريخية وأتساءل: هل حقاً ليس هناك ثبات في الحقيقة؟ ومن أين جاء النص القطعي الثبوت القطعي الدلالة في ثقافتنا الإسلامية؟ وما سنده الواقعي في صيرورة الكون؟

إن الإجابة عن الأسئلة السابقة تقتضي أن نقرر أن هناك ثباتاً في الحقيقة، وإلا لما سميت حقيقة، وبشكل أدق جاء الثبات في الحقيقة من ثبات بعض النواميس التي تحكم الكون، ومن الفطرة التي قال الله عنها: ﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ﴾[1].

ومن مظاهر الفطرة الثابتة على مدار التاريخ: التعبد، وحب التملك، والتجاذب بين الذكر والأنثى، وإعلاء قيم الصدق والأمانة، وإسفال قيم الكذب والخيانة.. الخ لذلك جاء النص القطعي الثبوت القطعي الدلالة في الشريعة ليعبر عن تلك الحقائق الثابتة المنغرسة في الفطرة، فكانت أحكام العقيدة وأحكام العبادات ثابتة، لأنها تتعلق بفطرة التعبد، وكانت أحكام فرضية الزكاة وتحريم الربا، وتشريع حد السرقة ثابتة، لأنها تتعلق بفطرة حب التملك، وكانت أحكام الخطبة والزواج والطلاق ثابتة لأنها تتعلق بفطرة التجاذب بين الذكر والأنثى، وكانت أحكام مدح الصادقين وإجزال مثوبتهم ثابتة لأنها تتعلق ببعض الأخلاق الفطرية.

وفي النهاية نقول: طالما أن هناك فطرة ثابتة لا تتغير فهناك حقائق ثابتة لا تتغير، وهذا ما قادت الظروف التاريخية أوروبا لإنكاره، وليس

(١) سورة الروم الآية ٣٠ .

بالضرورة أن يكون الصواب مع أوروبا).

قلت: ومما يشهد لهذا ما حكاه الله عن المشركين الذي كانوا يغيرون الحقائق ويدعون نسبيتها! ويحللون الشهر المحرم عاماً ويحرمونه عاماً آخر، فأنكر الله عليهم ذلك التلاعب بالحقائق، وقال: ﴿ إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ ۖ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا لِّيُوَاطِـُٔوا۟ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّوا۟ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ ۚ زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَـٰلِهِمْ ﴾(١).

والدكتور جلبي قد زُين له سوء عمله، فأصبح يتلاعب بالحقائق، ويشك فيها، فحق لنا بعدها أن نتلو عليه الآيات الربانية التي فيها ذم (الشكاكين)؛ كقوله تعالى عن الكفار: ﴿ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴾(٢) وقوله: ﴿ بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلْمُهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّنْهَا ۖ بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ ﴾(٣)؛ لعله يتنبه إلى خطورة هذه الفكرة التي تورط بها؛ لأجل الدفاع عن أهل الباطل والكفر والضلال.

ونعوذ بالله أن نكون في (شك) من ديننا، أو أن نساوي بين الإسلام والكفر، وبين الحق والباطل.

الانحراف الخامس: **قوله الشنيع بأن النصوص لا تحل المشاكل!!**

يقول جلبي عن معركة صفين: "إن التحاكم القديم إلى النصوص لم

---

(١) سورة التوبة الآية ٣٧.

(٢) سورة هود الآية ١١٠.

(٣) سورة النمل الآية ٦٦.

يحل المشكلة، إن لم يكن قد زادها تعقيداً ؟ "!! (سيكولوجية العنف، ص٤٢).

قلت: نعوذ بالله من (الكفر) و(الضلال)! فما أشنعها من كلمة يا دكتور، كيف تكون نصوص الكتاب والسنة لا تحل المشاكل والله قد أمرنا عند الاختلاف بالرجوع إليها ؟! قال سبحانه: ﴿ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴾(١) "وهذا أمر من الله ـ ﷻ ـ بأن كل شيء تنازع الناس فيه من أصول الدين وفروعه أن يرد التنازع في ذلك إلى الكتابُ والسنة"(٢).

وقوله تعالى: ﴿ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ ﴾(٣) يدل على "أن من لم يتحاكم في محل النزاع إلى الكتاب والسنة ولا يرجع إليهما في ذلك فليس مؤمناً بالله ولا باليوم الآخر"(٤).

قلت: وقد أخبر الله تعالى عن المنافقين بأنهم هم الذين لا يريدون حكم الله وحكم رسوله ـ ﷺ ـ ويفرون منهما، ويلجئون إلى حكم (الطاغوت)، أياً كان هذا الطاغوت: رئيس قبيلة، أو حاكم دولة، أو قانوناً، أو سنناً وتاريخاً ـ كما يردد جلبي! ـ أو غيرها من الطواغيت المختلفة.

---

(١) سورة النساء الآية ٥٩.

(٢) تفسير ابن كثير (٤١٩/١).

(٣) سورة النساء الآية ٥٩.

(٤) المرجع السابق .

قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓاْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴾(١)(٢).

فنعوذ بالله أن نكون من أهل (النفاق).

الانحراف السادس: دعوته إلى الديمقراطية (الكفرية):

(انظر كتابه السابق، ص٥٦،١٢).

قلت: والديمقراطية فكرة جاهلية كافرة، تجعل التشريع بيد البشر، وتقر الكفر وترضى به، وتفرق الأمة... الخ مفاسدها وكفرياتها التي بينها العلماء والكتاب(٣).

الانحراف السابع: ادعاءاته المتكررة تبعاً لشيخه بأن الله قد أمرنا أن نأخذ أحكامنا من النظر في أحوال الماضين والنظر في الكون:

وقوله الشنيع ((بانتهاء النبوة))!! (انظر : ص٤٩ من كتابه السابق).

قلت: هذه الفكرة (المادية) قد استقاها جلبي من شيخه جودت سعيد، الذي ما فتئ يرددها في كتبه، محاولاً صرف الأمة عن (الوحي)

---

(١) سورة النساء ٦٠ــ٦١.

(٢) انظر تفسير الآية، وانظر ما ذكره شراح كتاب (التوحيد) في هذه الآية، في الباب الذي عقده الشيخ محمد بن عبدالوهاب لأجلها.

(٣) انظر على سبيل المثال: (خمسون مفسدة جلية من مفاسد الديمقراطية) لعبد المجيد الريمي، و(الديمقراطية في الميزان) لسعيد عبد العظيم، و (الإسلاميون وسراب الديمقراطية) لعبد الغني الرحال.

إلى (السنن) كما يزعم! وقد ناقشها ـ بما لا مزيد عليه ـ الأستاذ عادل التل في كتابه (النزعة المادية في العالم الإسلامي) فليراجع. وهي فكرة (كفرية) تُحَقر الكتاب والسنة وأنه لا حل فيهما للبشرية الآن، إنما انتهى دورهما !! وبقي دور (السنن) المستمرة!.

فهي فكرة يكفي ذكرها ليتبين بطلانها لكل مسلم، يعظم الكتاب والسنة، ويتبرأ من (الكفر) وأهله.

الانحراف الثامن: غلوه في مدح الغرب.

وزعمه بأن حضارته "ليست حضارة مادية كما يزعم البعض" ! بل يراها جلبي حضارة روحية أيضاً!! وفي مقابل هذا يقول عنا بأننا "لا نملك نحن حضارة روحية" !! (المرجع السابق، ص ٢٤١-٢٤٢).

قلت: حبك الشيء يعمي ويصمّ!

وقارن ما قاله هذا المغرم بالغرب بما قاله الشيخ محمد قطب ـ وفقه الله ـ: " المسلم إذا عرف دينه وعرف تاريخه سينظر إلى الحضارة الغربية نظرة الأجيال الأولى من المسلمين للحضارات الجاهلية التي كانت تحيط بهم، فيها أشياء نافعة يستفيد منها من أجل ترسيخ قدمه في الأرض، وفيها مفاسد ومهاوٍ وموبقات، فيأخذ النافع الذي يستفيد به، ويطوعه لعقائده ولقيمه ولمبادئه ولمفاهيمه، وينظر باستعلاء المؤمن إلى المفاسد والمهاوي والموبقات، فيبتعد عنها ويحاذر أن يقع فيها ... فيكتب له الفلاح في الدنيا والآخرة"[1].

قلت: فقارن بين نظرة الكاتب المسلم المعتز بدينه، ونظرة المعجب بالغرب، الظان بدينه وحضارته ظن السوء.

---

(١) المستشرقون والإسلام (ص ٣٠٥-٣٠٦).

ومفاسد الغرب وتهاويه في الأمور الأخلاقية وأمور القيم لا يحتاج لكثير عناء لإثباته، فهو واضح وضوح الشمس، لكن العيون الرمد تعمى عنه!.

" وعين الرضا عن كل عيب كليلة "

الانحراف التاسع: عدم تأدبه مع نوح ـ عليه السلام ـ.

وذلك بقوله عنه: " نوح ـ عليه السلام ـ فشل في مهمة تغيير المجتمع "!! (في النقد الذاتي،ص ٧١).

قلت: هذه كلمة شنيعة في حق نبي الله نوح ـ عليه السلام ـ، الذي لم يفشل ـ كما يزعم الدكتور ـ، بل عمل ما كلفه الله به؛ وهو تبليغ رسالته إلى قومه، كما قال سبحانه: ﴿ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴾، فهذه هي مهمة الرسل ـ صلوات الله وسلامه عليهم ـ وقد أدوها بنجاح لا فشل فيه، وأما هداية الخلق أو غيرها، فليست من مهماتهم، كما قال سبحانه: ﴿ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾[1].

وأذكر أن بعض العلماء قد كفروا الدكتور الكويتي أحمد البغدادي عندما استخدم هذه العبارة في حق المصطفى ـ ﷺ ـ.

فهل يتعظ الدكتور، ويتورع عن إطلاق هذه العبارة الشنيعة؟!

الانحراف العاشر: دفاع الدكتور عن الزنادقة والملحدين في تاريخنا !.

ومن ذلك: أنه كتب مقالاً في جريدة الشرق الأوسط (عدد ٧٥٣٢) بعنوان (أحرقوا أحياء لآرائهم)، يشنع فيه على خالد القسري لذبحه الزنديق الجعد بن درهم شيخ الجهمية، ويدافع فيه عن السهروردي

---

(١) سورة البقرة الآية ٢٧٢.

الملحد وعن الحلاج!! الذي قال فيه الذهبي ـ رحمه الله ـ:"مقالته نبرأ إلى الله منها؛ فإنها محض الكفر، نسأل الله العفو والعافية، فإنه يعتقد حلول البارئ ـ ﷻ ـ في بعض الأشراف، تعالى الله عن ذلك"(١).

قلت: وهذا الانحراف من الدكتور سببه اقتناعه بفكرة حرية الفكر والتعبير عن الرأي، مهما كان هذا الرأي، كفرياً أو مبتدعاً!! كل هذا لا يهم عند الدكتور ـ كما سبق ـ، ولهذا فهو يدافع عن كل زنديق أو ملحد أظهر زندقته وإلحاده.

وسيأتيك أنه يعارض حد الردة !! نعوذ بالله من الضلال

الانحراف الحادي عشر: **إنكار الدكتور لحد الردة!!**

يقول:" الخطأ يحق له أن يعيش، ولا يُقتل الإنسان من أجل آرائه مهما كانت " !! (سيكولوجية العنف، ص١٤٨).

ويقول معترضاً على حكم الله وحكم رسوله ـ ﷺ ـ بقتل المرتد: ((في المجتمع الإسلامي مجتمع اللاإكراه لا يُقتل الإنسان من أجل آرائه أيا كانت الأفكار، سواءً تركاً أو اعتناقاً ... إلى أن قال: وهذا يفند الاتجاه العام للمفهوم السائد بقتل المرتد؛ لأن المرتد هو الذي يعتنق مبدأ ثم يتركه، فكيف تسمح الحرية الفكرية لاعتناق مبدأ ثم تحبسه فيه ؟! إنه لا حرية فكرية مع هذا الحجر، فهذه المقولة ـ أي قتل المرتد ـ تدشن العصبية الفكرية باتجاه واحد...الخ ما قال " ! (المرجع السابق، ص١٢٦-١٢٧).

قلت: قتل المرتد ليس من المفاهيم السائدة يا دكتور، بل هو حكم

---

(١) السير (١٤/٣٥١).

الله وحكم رسوله ـ ﷺ ـ ولكنك تتبع هواك، فما وافقه أخذت به ولو لم يكن من دين الإسلام، وما عارضه رفضته ولو جاءت به النصوص القطعية والعياذ بالله.

والاعتراض على حكم المرتد شنشنة قديمة نعرفها من العصرانيين الذين يخجلون من أحكام دينهم، ولقد أعجبني ردٌ للشيخ أحمد شاكر ـ رحمه الله ـ على واحدٍ من هؤلاء[1] قد اعترض على هذا الحكم زمن الشيخ، فقال الشيخ:(تحدث المؤلف عن عقوبة الاعتداء على الدين بالردة" حديثاً غريباً، لا ندري ما وجهه! فكان مما قال: "أما العقاب الدنيوي لهذه الجناية، وهو القتل، فيثبته الفقهاء بحديث يروى عن ابن عباس ـ ﷺ ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: من بدل دينه فاقتلوه. وقد تناول العلماء هذا الحديث بالبحث من جهات: هل المراد من بدل دينه من المسلمين فقط، أو هو يشمل من تنصر بعد أن كان يهودياً مثلاً؟" إلى أن قال .. "وقد يتغير وجه النظر في هذه المسألة، إذا لوحظ أن كثيراً من العلماء يرى أن الحدود لا تثبت بحديث الآحاد، وأن الكفر بنفسه ليس مبيحاً للدم، وإنما المبيح للدم هو محاربة المسلمين" إلى آخر ما قال!.

أما أولاً: فإن حديث ((**من بدل دينه فاقتلوه**)) حديث صحيح لا شك في صحته، والراجح عند العلماء أنه فيمن ارتد عن الإسلام فقط. فاختلاف العلماء في فهمه وذهاب بعضهم إلى أنه عام يشمل غير المرتد، ممن خرج من دين غير الإسلام إلى دين آخر غير الإسلام، لا يكون علة للحديث حتى يبطل كل معناه، كما يريد المؤلف أن يذهب. فإن هذا

---

(١) هو محمود شلتوت أحد أبرز شيوخ العصرانيين في هذا الزمان، وأحد تلاميذ مدرسة محمد عبده، قال هذا الرأي الباطل في كتابه (فقه القرآن والسنة: القصاص).

مذهب عجيب في إبطال السنة ونقض دلالتها على الأحكام، فما من حديث إلا اختلف الناس في تأويله وفهمه، فمصيب ومخطئ.

وأما ثانياً: فما أعرف "أن كثيراً من العلماء يرى أن الحدود لا تثبت بأحاديث الآحاد" وما أرى لهذا دليلاً ولا شبه دليل. وإنما يتلاعب بعض المتقدمين ممن يرون نفي السنة كلها، منهم من يصرح، ومنهم من يتحايل بمثل هذه الألفاظ الموهمة. وقد تكفل العلماء بالرد على نفاة الأحاديث، وعلى متأوليها المتلاعبين بها، وعلى من زعم تحكيم اصطلاحات المتكلمين في الشريعة وأدلتها، فيفرقون بين "القطعي" و"الظني" ويزعمون أن الأحاديث كلها من "الظني" وأن "الظن" الذي هو الشك أو نحوه لا يصلح دليلاً. وأنا أعتقد أن الأستاذ المؤلف العلامة يعرف من هذا الشيء الكثير ويعرف أن دلالة الأحاديث الصحيحة دلالة قطعية في مجموعها، وأن اختلاف العلماء على اختلاف الروايات في بعض الشيء منها، لا ينفي حجتها القطعية فيما دل عليه مجموعها، ولا يبطل الاحتجاج بتفاصيلها المختلف فيها في الرواية بعد الاجتهاد في الترجيح. وقد قلت في نحو هذا المعنى في شرحي على "اختصار علوم الحديث" تأليف الحافظ ابن كثير (ص٢٥) "والحق الذي ترجحه الأدلة الصحيحة ما ذهب إليه ابن حزم ومن قال بقوله من أن الحديث الصحيح يفيد العلم القطعي، سواء أكان في أحد الصحيحين أم في غيرهما. وهذا العلم اليقيني علم نظري برهاني، لا يحصل إلا للعالم المتبحر في الحديث، العارف بأحوال الرواة والعلل".

وأما ثالثاً: فإن الأمر بقتل المرتد عن الإسلام لم يثبت بما يسميه المؤلف العلامة "حديث الآحاد"، وإنما هو شيء ثابت بالسنة المتواترة،

معلوم من الدين بالضرورة، لم يختلف فيه العلماء، أعني لم يختلفوا في أن "المرتد يقتل"، أعني أنهم لم يختلفوا فيما يسميه الناس في اصطلاحهم اليوم "المبدأ" وإن اختلفوا في بعض التفصيل، تبعاً لاختلاف النظر في التطبيق، تطبيق "المبدأ" على الفروع، وتطبيقه على الحوادث.

نعم، إن الدستور المصري نص على"حرية الأديان" ففهم الناس أن قصد واضعيه إباحة الردة عن الإسلام لمن شاء وحماية المرتدين، ثم صار هذا كالعقيدة البديهية عندهم، حتى صاروا يرون غيرها منكراً، يعرفون المنكر، وينكرون المعروف، فأظن أن الأستاذ المؤلف، وهو يلقي هذا الكتاب دروساً على خريجي كلية الحقوق (طلبة الليسانس) أراد أن يتألفهم ويقرب إليهم أحكام الشريعة حتى لا ينفروا منها، فغلبه ما أراد من ذلك، ليجمع بين ما ورد من الأحاديث في قتل المرتد، وبين ما قرره الدستور طبقاً لمبادئ "التشريع الحديث" !! التي تأكد ضربها على بلادنا بما جاء في معاهدة "منترو".

وإن الأستاذ المؤلف العلامة لأجلّ في نفسي وأعلم، من أن أظن به أنه لم ير الأحاديث الصحيحة التي وردت في ذلك، ولم يقرأها في مصادرها من دواوين الحديث، فيما تلقى من شيوخه وأساتذته كما تلقينا، وفيما قرأ لطلابه ومريديه كما يقرأ شيوخ العلم وأساطينه. ولكنه حين أراد أن يكتب هذا البحث، وجهه حرصه على تألف طلابه ورغبته في إقناعهم بفضل التشريع الإسلامي وجهة أخرى، أنسته شيئاً كثيراً، وهو العالم الباحث الواسع الاطلاع.

ولقد جاء هو في كتابه (ص١٢٨) في نصوص النهي عن القتل بحديث من الأحاديث الواردة في قتل المرتد، قال: ومن الأحاديث قوله

ـ ﷺ ـ: **((لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة))** وهذا حديث عبدالله بن مسعود في البخاري وغيره.

وقد جاء في معناه أيضاً حديث عثمان بن عفان، حين ثار به الثائرون وحصروه وأرادوا أن يقتلوه، فقال: " وبم يقتلونني؟ إني سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول **((لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث: رجل كفر بعد إسلامه، أو زنى بعد إحصانه، أو قتل نفساً فيقتل بها))**. فوالله ما أحببت أن لي بديني بدلاً منذ هداني الله، ولا زنيت في جاهلية ولا في إسلام قط، ولا قتلت نفساً، فبم يقتلونني؟". وأظن أن هذا صريح وواضح في أن عثمان ومن سمعه من الصحابة، وهم عرب يفهمون كلام العرب على وجهه، وهم الذي حضروا التشريع وفهموا مقاصد رسول الله وأسرار الشريعة: فهموا أن الردة عن الإسلام وحدها موجبة لقتل المرتد، فما يظن واحد منهم أن عثمان كان خارجاً على الدولة محارباً للمسلمين! وهو رئيس الدولة، والذين حرصوا على قتله هم الخارجون المحاربون.

ومن ذلك أيضاً: حديث أبي موسى الأشعري إذ بعثه رسول الله ـ ﷺ ـ والياً على اليمن، ثم أتبعه معاذ بن جبل "فلما قدم عليه قال: انزل، وألقى إليه وسادة، وإذا رجل عنده موثق، قال: ما هذا؟ قال: هذا كان يهودياً فأسلم، ثم راجع دينه فتهوَّد، قال: لا أجلس حتى يُقْتَل، قضاء الله ورسوله، فقال: اجلس ، نعم، قال: لا أجلس حتى يُقْتَل، قضاء الله ورسوله، ثلاث مرات، فأمر به فقتل". وهذا حكم بَيِّن كان في حياة رسول الله ـ ﷺ ـ)[1].

(١) مجلة الكتاب (المجلد الثالث / ص ٢٩٩-٣٠٢).

الانحراف الثاني عشر: مبالغته في ذم الدولة الأموية:

كقوله: " كارثتان دخلتا المجتمع الإسلامي ولم يعاف منهما حتى الآن: الكارثة الأولى في تسلل بني أمية إلى السلطة ..." (في النقد الذاتي، ص٣٠٤) وقد أداه هذا الغلو في ذمهم إلى لمز معاوية ـ ﷺ ـ (كما في كتابه سيكولوجية العنف، ص١٥٧).

وبنو أمية برغم ما قد يقعون فيه من الأخطاء إلا أن دولتهم كانت من أفضل الدول الإسلامية، وانتشر الإسلام فيها انتشاراً لا يجحده إلا مكابر، فكان الأولى بالدكتور أن يحفظ لهم حسناتهم كما أحصى عليهم أخطاءهم.

وأما معاوية ـ ﷺ ـ فيكفيه شرفاً صحبته لرسول الله ـ ﷺ ـ، ولن يضيره حقد أو عداء الرافضة ومن تابعهم من الجهلة.

الانحراف الثالث عشر: إعجابه الشديد ـ كشيخه ـ بغاندي الهندوسي!

بل والإدعاء بأنه أحد "أعلام الإصلاح الاجتماعي " ! (ظاهرة المحنة، ص٩٧-٩٨).

قلت: العجوز (غاندي) كان من أعلام الإصلاح الهندوسي!! وكان حاقداً على المسلمين، وإن ستر هذا الحقد بتقيته المعروفة. يقول الأستاذ محمد المجذوب في كتابه (مشاهداتي في الهند) (ص٥٩):

"وقد بلغني من مصادر موثوقة أن ثمة حواراً جاداً قد ينتهي قريباً إلى تحول مليون من الطبقة المنبوذة إلى الإسلام. وقبل ثلث قرن ظهرت بادرة تاريخية من هؤلاء المنبوذين أوشكت أن تصير بهم إلى المجموعة الإسلامية في تحول جماعي، إلا أن المسلمين لم يحسنوا متابعة الحدث إلى

نهايته فأفلتت الفرصة من أيديهم، وكان لغاندي أثره الكبير في تجميد تلك الحركة أيامئذ إذ فتح للمنبوذين أبواب المعابد التي كانت مغلقة في وجوههم، وتعهد لهم برد الكثير من الاعتبار الإنساني إليهم بعد الاستقلال إذا هم حافظوا على انتمائهم للنحلة الهندوسية، وإنما فعل ذلك خشية أن تزداد بهم قوة المسلمين".

قلت: هذا نموذج واحد لحقده على المسلمين ، ومن تتبع أقواله وأفعاله وجد الكثير.

خاتمة:

وبهذا الانحراف ينتهي ما أردت جمعه من انحرافات هذا الدكتور النازل بأرضنا؛ لعله أن يكون فيها ما يوقظ القلوب الغافلة التي قد تنخدع بكتب الرجل ومقالاته، وتغفل عن انحرافاته التي لا بس (الكفر) شئ غير يسير منها، ولعل من دقق في تلكم المقالات والكتب وجد انحرافات أخرى غيرها.

وإنني لا أستبعد أن يكون الدكتور قد تورط في فكرة (الدعوة إلى وحدة الأديان)!!؛ لأن شيخه قد قال بها ـ كما سيأتي في رسالة (انحرافات جودت سعيد) ـ، ولأنه في كثير من أفكاره وانحرافاته يحوم حولها. فهو مثلاً ـ كما عرفنا ـ لا يفرق بين المسلم والمرتد والكافر، فالجميع له الحق في إبداء رأيه، والجميع يؤمن بحرية الفكر، ورأينا دندنته حول نسبية الحقيقة.

فمن يقرأ كتابات الرجل لأول مرة لا يدري أهو مسلم أم غير مسلم! لأن أفكاره توافق الجميع!! ومصدره ـ كما علمنا ـ ليس هو مصدر المسلمين (الوحي)، بل مصدراً مشتركاً بين البشر؛ هو التاريخ

والسنن !.

فلعل الدكتور إلى الآن لم يجد الفرصة المناسبة للتعبير عن هذه الفكرة الباطلة (وحدة الأديان)!

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم[١].

قال تعالى: ﴿ قُلِ ٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴾[٢].

والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

---

(١) ليتبين لك خطورة هذه الفكرة وتشبعها بالكفر والضلال، انظر رسالة الشيخ بكر أبو زيد (الإبطال لنظرية الخلط بين دين الإسلام وغيره من الأديان).

(٢) سورة الأنعام الآية ١٥٨.



هل خدعهم حسن الصفار؟!

تعليقة على الندوة التي ألقاها حسن الصفار في أحدية راشد المبارك بتاريخ ٥/ صفر/ ١٤٢٢هـ، تحت عنوان: "السِّلم الاجتماعي".



الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده:

يأسف المسلم كثيراً عندما يجد بعض المثقفين المنتسبين لأهل السنة لازالوا منخدعين بقضية التقريب مع الشيعة، متوهمين إمكانية تحقيق هذا التقارب، متجاهلين الجهود القديمة الضائعة التي بذلت لتحقيق هذه الغاية من آخرين غيرهم، لكن دون جدوى.

والسبب أن جميع من ولج هذا الباب وتمنى الأماني من خلاله يغفل عن (عقيدة) راسخة في دين الشيعة؛ هي عقيدة التقيه التي ينقلون عن أئمتهم في تعظيمها قولهم: "لا إيمان لمن لا تقية له"(١)! أو قول أحدهم: "التقية من ديني ودين آبائي"(٢).

والتقية تعني في اصطلاح القوم موافقة أهل السنة في الظاهر ـ عندما تكون الغلبة لهم ـ أي لأهل السنة ـ، ومخالفتهم في الباطن.

ولا زال الخلوف منهم يمارسون هذه العقيدة كما تلقوها من أسلافهم، ولا زال بعض مثقفينا ينخدع بهم ويجري خلف سراب التقارب(٣) رغم افتضاح هذه العقيدة وانكشافها، ورغم المكايد المتتالية

---

(١) الكافي للكليني (٢/٢١٨). نقلاً عن رسالة الدكتور ناصر القفاري: "مسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة" (١/٣٣١).

(٢) السابق (٢/٢١٩).

(٣) وأفكار التقريب مع أهل البدع أو الكفار من اليهود والنصارى وغيرهم هي من الأمور الخيالية التي لا توجد إلا في الأذهان،وهي تسلخ المسلم من دينه رويدًا رويدًا؛حتى يكتشف في= =النهاية أنه كقابض كفيه على الماء. فلا الآخر عاد إلى الحق أو كف عن معاداة أهله، ولا هذا المتنازل سلم له دينه. وانظر رسالة: "الإنسانية في فكر المسلمين المعاصر" للباحث محمد إدريس عبد الصمد، لترى نماذج من الردة المعاصرة عن دين الإسلام التي وقع فيها بعض من يسمون بالمفكرين في سبيل إرضاء اليهود والنصارى والالتقاء معهم على أهداف مشتركة ــ زعموا! ــ، ولكنهم في النهاية خابوا وخسروا، ولم يأبه الكفار لهم، بل واصلوا زحفهم على بلاد المسلمين وعقولهم، واتخذوا من أولئك مطية لهم في هذا الغزو والزحف.

منهم لأهل السنة على مر العصور.

ومن آخر ما اطلعت عليه في هذا المجال الخداع ثلة من مثقفينا بأحد رموز الشيعة المعاصرين في بلادنا؛ وهو المدعو (حسن الصفار)، حيث قام الصفار ـ هداه الله ـ بإلقاء محاضرة عن (السِّلم الاجتماعي) في ندوة راشد المبارك بالرياض في يوم ٥/ صفر ١٤٢٢هـ[١]. ملخصها: أن الإسلام يدعو إلى السِّلم، وأنه لا استقرار ولا أمن إلا بهذا السلم، لكافة أفراد المجتمع مهما كانت دياناتهم أو مذاهبهم! فالواجب ـ في نظره ـ أن يكف كل فريق عن الآخر ولا يفرض عليه مذهبه أو توجهه، إنما يعيش الجميع في وئام وتعاون![٢] ثم يختم محاضرته بقوله: "ولا يصح أبدًا أن تُترك الساحة للجهات الساذجة أو المغرضة لتذكي أوار الفتن والخلافات، وتسمم الأجواء بالكراهية والحقد.."[٣].

وكل هذا الذي سبق لا يهمني الآن!؛ لأن الرجل ما دام يظن أنه وطائفته في مرحلة ضعف في هذه البلاد وأن الغلبة والسلطة ليست لهم فإنهم لابد حينئذٍ سيدندنون حول مفاهيم "السلم" و"التسامح" ..الخ![٤]؛ لأن هذه المفاهيم تمكنهم ـ في حال انتشارها ـ من الحفاظ على مكاسبهم دون مخاوف أو مصاعب[٥] إنما الذي يهمني ولأجله

---

(١) ثم طبعتها دار الساقي في كتاب، ٢٠٠٢م. وعنه أنقل.

(٢) أما الواجب في نظر دعاة الكتاب والسنة فهو أن يرجع أهل البدع إلى دينهم ويتركوا مخالفاتهم ويكونوا صفًا واحدًا مع إخوانهم.

(٣) ص ٧٠.

(٤) كما في كتبه: "التعددية والحرية في الإسلام" ، "الوطن والمواطنة"، "التنوع والتعايش"، "التطلع للوحدة".

(٥) ومن أخطر ما قال: قوله في كتابه "التطلع للوحدة، ص٩": "إذا ما شعر كل المواطنين في أي بلد إسلامي متنوع الانتماءات بالمساواة، وتكافؤ الفرص، وإتاحة المجال للمشاركة السياسية، **والتداول السلمي للسلطة**؛ فإن ذلك سيكون أفضل حماية لوحدة في ذلك البلد"! =

أنشأت مقالي هذا: هو ما جاء في المداخلات التي تلت المحاضرة؛ حيث سئل الصفار عن مسألة سب الشيعة للصحابة - ﷺ -، فأجاب: "لو رجعنا إلى ما ورد في مذهب أهل البيت، الإمام علي في خضم معركة صفين يمر على جماعة من أصحابه يسبون معاوية وأهل الشام، فيقف عليهم ويقول: إني أكره لكم أن تكونوا سبابين ... إلى أن يقول الصفار: والعلماء الواعون المخلصون يحاربون هذا الأمر، ولكن كما في الكثير من المجتمعات غالباً ما يكون أمر الشارع، وأزمة الرأي العام ليسا بأيدي الواعين المخلصين، بل بأيدي من يستفيدون من هذا الأمر لتكريس مواقعهم ونفوذهم. ولكن في العصر الراهن هناك العديد من علماء الشيعة، بل أكثر علماء الشيعة، يصرحون بهذا الأمر، ويدعون أبناء الشيعة إلى تجاوز هذه السلبيات الخاطئة والمفرّقة.

والاحتجاج بما في بعض كتب الشيعة، ليس احتجاجاً تاماً، لأننا نعترف بأن في تراثنا أخطاء وثغرات، ونقاط ضعف. الآن كأمر واقع، هناك ثورة، هناك معارضة لمثل هذه التوجهات، وتنقية لمثل هذه التوجهات، نأمل أن نوفّق جميعاً لتجاوز هذه الأخطاء والثغرات، وأن نستفيد من "أهل البيت" ومن صحابة الرسول - ﷺ -. وبالمناسبة، كتاب الصحيفة السجادية للإمام زين العابدين علي بن الحسين، وهو كتاب

= فالرجل يمهد لطائفته لاستلام السلطة في بلاد التوحيد! ولكن من يضمن لنا أنها ستُتداول بعد ذلك؟!

وقارن حاله بحال النصيريين في سوريا حيث انضموا إلى حزب البعث واستغلوه، وتسلقوا من خلاله إلى الحكم في بلاد الشام؛ ثم كشروا عن أنيابهم بعد ذلك، واتضحت طائفيتهم لكل أحد.

انظر شيئاً من خططهم في سبيل تحقيق هدفهم: كتاب "الصراع على السلطة في سوريا" للدكتور نيقولاوس فان دام، سفير هولندا في مصر.

فاعتبروا يا أولي الأبصار!

معروف ومنتشر بين الشيعة، فيه دعاء من الأدعية حول الصحابة، في الثناء على أصحاب الأنبياء ومدحهم، والصلاة عليهم، والاستغفار لهم، والإقرار بفضائلهم. وهذا هو المنهج السليم الصحيح الذي سار عليه أئمة "أهل البيت" ونأمل أن يوفقنا الله جميعاً للسير على هذا المنهج" انتهى(١).

هذا ما قاله الصفار في ندوة راشد المبارك، واستطاع من خلاله أن يخدع الحاضرين من أهل السنة، ويُظهر نفسه أمامهم بأنه متضايق من هذا الأمر، ويوهمهم بأن هذا الفعل الشنيع ـ وهو سب الصحابة ـ ﷺ ـ مخالف لما يسميه مذهب آل البيت الذين يتابعهم فيه!.

فهل كان الصفار صادقًا في قوله هذا ؟! أم أنها عقيدة (التقية) التي لا زالوا يخدعون بها سُذج أهل السنة مهما بلغت شهاداتهم؟! للأسف فالجواب هو الثاني، حيث لا يعدو الأمر مجرد "تقية" تشربها الرجل من مذهبه، واتخذها منجاة ومهربًا أمام الإحراجات؛ ليظهر بمظهر المثقف المعاصر الراقي الذي لا يتابع العامة في جهالاتهم وبدعهم.

فإذا كان هذا صنيع واحدٍ من مثقفيهم ـ كما يقال ـ، فما ظنك بمتعصبيهم و"أئمتهم" ؟!.

والآن: انظر إلى الوجه الآخر الحقيقي للصفار من خلال مقطعين من بعض محاضراته وندواته بين مريديه ـ هداهم الله ـ حيث عدم الحاجة إلى عقيدة "التقية" !.

يقول الصفار ـ وأنقل كلامه كما هو بلهجته الدارجة ـ: "إذًا أول سمة من سمات التاريخ الشيعي؛ هي سمة العطاء، هي سمة العمل،

---

(١) السابق ، ص ٩١ – ٩٢.

هي سمة النشاط. وكان الشيعة في كل العصور، في عصور الخلفاء، حتى في عصر الخليفة أبي بكر وعمر، لم يكن الشيعة جامدين، وإنما كانوا يعملون؛ حتى استطاعوا أن يفجروا الثورة الكبرى في عهد عثمان، وأن يأخذوا الخلافة والحكم إلى الإمام علي. فيه مشكلة: كثير من الناس لا يعرفون أن الثورة التي حدثت على الخليفة عثمان إنما كانت بتخطيط شيعي، وقد شارك فيها عمار بن ياسر، بل كان هو المخطط لها عمار بن ياسر. إنما لأن معاوية جعل مقتل عثمان كقميص ضد الإمام علي وحارب الإمام علي بتهمة قتل عثمان، الإمام علي بشكل طبيعي ما كان إلَهْ يد مباشرة في العمل في قتل عثمان، كذلك الشيعة يتبرؤون من هذه القضية حتى لا يأخذها السنة مستمسك عليهم، وإلا فالشيعة هم الذين قتلوا عثمان جزاهم الله خيرًا"[1]!!!.

ويقول الصفار في كلام واضح صريح مبيناً عقيدته تجاه بقية الخلفاء الراشدين ـ ﷺ ـ: "ولذلك إحنا الشيعة إذا تشوفوا: نكره أبو بكر وعمر وعثمان. كثير من الشباب يقولوا: وش بينا فيهم، صحابة الرسول، صاحبوا الرسول وماتوا. في الواقع إحنا نحقد عليهم، ونبغضهم، ونلعنهم؛ لأنهم كانوا يعني بداية انحطاط الأمة"[2]!!

قلت: هذا ما فاه به الصفار في حق كبار صحابة نبينا ـ ﷺ ـ ممن زكاهم الله واصطفاهم لصحبة نبيه ـ ﷺ ـ، وهو يذكرنا بقوله تعالى: ﴿

---

(١) استمع إلى كلام الصفار من خلال موقع "البرهان" على شبكة الإنترنت www . Albrhan. Com، قسم "مشاهد وصوتيات".

(٢) لنصدر السابق. وانحطاط الأمة لم يبدأ إلا منذ دخل فيه بقية المجوس وأحدثوا دين الرفض، وجعلوه خنجراً مسموماً في ظهر الأمة، لو كنت تعقل.

أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَٰنَهُمْ ﴾[1] فقد أخرج الله ضغينة هذا الرجل رغم تخفيه خلف شعارات "الوحدة" و"المواطنة" وإنكار بدع قومه.. الخ الأكاذيب. فهل يفيق بعض مثقفينا بعد هذا ويعلمون أن متعصبي الشيعة ومدعي الثقافة بينهم إنما هما وجهان لعملة واحدة، وأنهما يلتقيان جميعاً على العداء لأهل السنة، ولكن الخلاف هو في الوسيلة و"التكتيك" ! وإذا كان ثمة خلافات فهي يسيرة جدًا لا تؤثر في التقاء الفريقين على أهداف واحدة محددة. وأنصح هذه الطائفة المتفائلة بإمكانية التقارب مع الشيعة بقراءة ما كتبه من سلك هذا الطريق قبلهم من أهل السنة ثم عاد بخفي حنين؛ رغم تقديمه كثير من التنازلات، يجدون هذا في كتاب الدكتور القفاري "مسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة".

وأما شباب الشيعة ـ هداهم الله ـ فأنصحهم مخلصاً أن يتبرؤوا من البدع والانحراف الذي وقع فيه أسلافهم، فلا يكونوا ممن قال الله فيهم: ﴿ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴾[2] [3]، وأن يلحقوا بدعوة الكتاب والسنة قبل أن يفجأهم الموت وهم على هذه العقيدة الباطلة التي نسبوها زورًا إلى آل البيت ـ ﷺ ـ وهم منها برآء. وأنا لست بصدد بيان ما هم عليه من انحراف، ولكني ألفت نظرهم إلى

---

(١) سورة محمد الآية ٢٩.

(٢) سورة الزخرف الآية ٢٣.

(٣) وما أجمل ما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: "إن الإنسان ينشأ على دين أبيه أو سيده أو أهل بلده، كما يتبع الطفل في الدين أبويه وسابيه وأهل بلده. ثم إذا بلغ الرجل فعليه أن يقصد طاعة الله ورسوله حيث كانت، ولا يكون ممن (**إذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا**). فكل من عدل عن اتباع الكتاب والسنة وطاعة الله والرسول إلى عادته وعادة أبيه وقومه؛ فهو من أهل الجاهلية المستحقين للوعيد" (الفتاوي ٢٠/٢٢٥).

قضية مهمة قد يغفلون عنها وهي تغنيهم عن كثير من الحوارات والمناظرات، وهي: إن كان عليًا ـ رضي الله عنه ـ يعتقد كفر الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ أو وجوب بغضهم وعداوتهم ـ كما يزعمون ـ فلماذا لم يُصرح بذلك ويبينه للناس، ويتبعه بالعمل؟! ولماذا اختار طاعتهم ومبايعتهم والقتال معهم ـ وهم بحسب زعمكم منافقون؟!

يلزمكم أمران أحلاهما مر:

الأمر الأول: أن عليًا ـ رضي الله عنه ـ كان جبانًا رعديدًا، وحاشاه من ذلك؛ فسيرته تشهد بخلاف هذا. وأنكم لشجاعتكم أقدمتم على ما لم يُقدم عليه. وهذا ينقض كثيرًا من تراثكم في بيان شجاعة علي ـ رضي الله عنه ـ وما نسجتموه عن تلك الشجاعة من أقاصيص وخرافات هو في غنىً عنها.

الأمر الثاني: أنه كان على منهاج واحد هو وإخوانه من صحابة نبينا ـ ﷺ ـ، يحبهم ويحبونه، ويرى طاعة من ولاه الله أمره منهم، وهذا ما يخالف عقيدتكم الباطلة القائمة على الغل لصحابة نبينا ـ ﷺ ـ ممن قال الله تعالى في وصفهم: ﴿ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ﴾[١]. فهل ترضون بأن تكونوا منهم؟!.

أسأل الله أن يهدي شباب الشيعة إلى الحق[٢]، وأن يوفقهم لنبذ انحرافات قومهم، وأن يسخرهم ويستعملهم في نصرة دعوة الكتاب والسنة بين أهاليهم.

والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

---

(١) سورة الفتح الآية ٢٩.

(٢) وقد بدأ كثير منهم ــ ولله الحمد ــ في السنوات القريبة يتبرؤون مما كانوا عليه، ويلتزمون بالدعوة السلفية الصحيحة بعد أن انقشعت عنهم غشاوة الجهل. أسأل الله أن يثبتهم على الحق وأن ينفع بهم.



إسلاميون ولكن !

العصرانية قنطرة العلمانية

بحث مختصر يبين خطر انتشار الأفكار العصرانية

على المجتمع المسلم

صيحة نذير إلى ولاة الأمور ودعاة الإسلام



الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، نبينا محمد وآله وصحبه.. وبعد:

فاعلم ـ علمني الله وإياك ما ينفعنا ـ أني تأملت حال المجتمعات الإسلامية خلال القرن الأخير وكيف غزاها الانحراف والتغريب بواسطة أعداء الإسلام، فوجدتها لا تخلو من حالين:

الحال الأولى: حال المجتمعات التي يكون الغزو فيها مباشراً؛ وهي المجتمعات الإسلامية التي لم تكن لها مرجعية علمية، أو هيئة شرعية تذكر، تقف سدًا منيعاً أمام ذلك الغزو. فهذه سهل اقتحامها واستباحتها من العدو وعملائه اللادينيين.

الحال الثانية: حال المجتمعات التي يكون فيها الغزو من خلال (وسيط) أو (ناقل) يلبس لباس الإسلام. وهي المجتمعات الإسلامية التي تأوي إلى مرجعية علمية أو هيئة شرعية في معظم أمورها أو في النوازل التي تحل بها، مع ارتباط (شرعي) بولاة أمرها. فمثل هذه المجتمعات لم يستطع العدو اقتحامها واستباحتها وخلخلة وحدتها القائمة بين الأمراء والعلماء إلا من خلال ذلك الوسيط؛ نظراً لطبيعتها الدينية الشرعية.

وخير مثال لهذه الحال: مجتمع مصر في القرنين الأخيرين، حيث سلط عليه الأعداء الغزو العسكري[١] والغزو الفكري في سبيل صرفه عن دينه، لكنهم باؤا بالفشل ولم يحققوا نجاحاً يذكر يوازي ما قاموا به من الجهود؛ نظراً لارتباط الشعب المصري بعلمائه الشرعيين الممثلين في

---

(١) كحملة نابليون (الفرنسي)، وحملة فريزر (الإنجليزي)، ثم الاحتلال الإنجليزي الأخير.

الأزهر؛ حيث كانوا حصناً منيعاً أمام جهود الأعداء التغريبية[(١)].

لكن الأعداء لم ييأسوا أو يملوا وهم يرون ضياع جهودهم وفشلهم، وإنما لجئوا إلى خطة أكثر مكراً، وأشد ضررًا، وهي تكرار محاولة الغزو للمجتمع المصري بواجهة إسلامية (مخدوعة) يتقبل الشعب المسلم اطروحاتها وأفكارها التغريبية دون نفرة أو استيحاش؛ يخلخلون بها وحدة المجتمع المصري المسلم؛ بتهييجه على ولاة أمره، إضافة إلى صرفه عن العلماء الكبار الراسخين الذين يصعب تطويعهم. وقد تم لهم ذلك من خلال ما يسمى (بالعصرانيين) أتباع مدرسة الأفغاني ومحمد عبده الذين ظنوا بجهلهم أنهم يخدمون الإسلام والدعوة بصنيعهم هذا، ويوفقون بين أحكام الشريعة ومتطلبات العصر ـ زعموا ! ـ ولكنهم أصبحوا فيما بعد كما قال ألبرت حوراني: "قنطرة للعلمانية عبرت عليها إلى العالم الإسلامي؛ لتحتل المواقع واحداً تلو الآخر"[(٢)]. ثم كان

---

(١) انظر لذلك: "الأزهر في ١٠٠٠ عام" لمحمد عبد المنعم خفاجي، و"كيف دخلت الخيل الأزهر" لمحمد جلال كشك.

تنبيه: رغم جهود الأزهر الواضحة في التصدي لأعداء الإسلام ومخططاتهم؛ إلا أن هذا لا يمنعنا أن نعتب عليهم في تبنيهم للمذهب (الأشعري) المبتدع، وفي ميل كثير من رجالهم ــ وعلى رأسهم بعض شيوخ الأزهر ــ إلى (التصوف) المنحرف. (انظر: السياسة والأزهر، وهي مذكرات لشيخ الأزهر الظواهري، وفيها عجائب وغرائب! ص١٠٨ وما بعدها، وص ٢٣٦ وما بعدها. وانظر أيضاً: صوفيات شيخ الأزهر ــ عبد الحليم محمود ــ لعبد الله السبت).

وكما انتقل الأزهر من المذهب الرافضي إلى المذهب الأشعري، فنأمل أن يوفق الله القائمين عليه للانتقال به من المذهب الأشعري (المبتدع) إلى المذهب السلفي القائم على الكتاب والسنة، مذهب الصحابة والتابعين، وما ذلك على الله بعزيز.

(٢) سيأتي نقله وتوثيقه إن شاء الله.

مصير أفراد هذه الطائفة العصرانية الخاسرة مصير أي وسيلة استخدمت فاستنفذت أغراضها، حيث (تمندل)[١] بهم الأعداء قليلاً ثم رموا بهم. فمنهم من مات بحسرته جراء ما جناه على مجتمعه، ومنهم من انحاز إلى الصف العلماني وكشف عن حقيقته، وقلة منهم أحست بخطورة دورها الذي قامت به فأرادت أن تُكَفّر عن سيئاتها بانحيازها رويدًا رويدًا إلى أهل الإسلام. ولكن بقيت تجربتهم جميعاً عبرة للمعتبرين وآية للمتوسمين.

وبلاد الحرمين ـ حماها الله وصرف كيد الفجار عنها ـ تتشابه في طبيعتها مع طبيعة المجتمع المصري خلال القرنين السابقين، قبل هبوب رياح التغريب عليه؛ فهي تأوي إلى ركن شديد من علمائها الكبار، وارتباط (شرعي) وثيق بولاة أمرها، وتنهل من معين دعوة سلفية شرعية قامت عليها ولأجلها. فلهذا لم يستطع العدو ولله الحمد اقتحامها أو تغريبها مباشرة أو من خلال أذنابه العلمانيين الأقحاح الذين نبذهم المسلمون وباؤوا بفشل ذريع، رغم تكرر محاولاتهم[٢].

ومثلما لم ييأس أعداء الإسلام من اقتحام هذا المجتمع المسلم وتغريبه فإنهم ـ لا شك ـ سيعاودون الكرة عليه، ولكن بواجهة إسلامية (عصرانية) تضفي الشرعية على أفكارهم ومطالبهم، وتحدث شرخاً في وحدته، وتحاول نزع ثقة الناس بعلمائه الكبار، وهي تُستدرج إلى ذلك بمكر وخفاء.

---

(١) أي اتخذوهم منديلاً.

(٢) سواء كانوا شيوعيين أم حداثيين أم غيرهم. اختلفت المسميات والهدف واحد.

وقد بدأت بوادر تنذر بشيء من ذلك ـ للأسف! ـ؛ فتسللت الأفكار العصرانية إلى عقول بعض الشباب عندنا، فأخذوا يرددونها في مقالاتهم وكلماتهم، جهلاً منهم بخطورتها ومآلها على البلاد، وانخداعاً ببهرجها، وظناً منهم بأنها ستُبَلِّغهم أهدافهم ومطامحهم. وفاتهم ـ هداهم الله ـ أن هذه الأفكار ما هي بجديدة في عالم المسلمين، وأن مجتمعاً إسلامياً آخر غير مجتمعنا هو مجتمع مصر قد خبرها وجُرِّبت عليه؛ فلم تنتج سوى النتاج المر الفاسد الذي لا زال يعاني منه إلى اليوم. وقد اكتشف النبهاء من أهله ـ كما سيأتي ـ ولكن بعد فوات الأوان، أن هذه الأفكار البراقة لم تكن سوى أحبولة صنعتها يد المكر الغربي لاستباحة ديار المسلمين وعقولهم واقتصادهم، وأنها لم تحقق للمسلمين إلا مزيداً من الذل والصغار والخضوع للأعداء، فضلاً عن التفريط بمهمات الدين وشرائعه.

وقد كان من حق التجربة (العصرانية) المصرية أن تكون عبرة للمعتبرين، وموعظة للآخرين، وأن لا يُلدغ المؤمنون بعدها من جحر مرتين.

ومن مظاهر تسلل هذه الأفكار بين أهل الإسلام في بلادنا هذه الأمثلة التي وقفت عليها، ولعل غيري قد وقف على مثيلاتها:

١ - أحد الدعاة الأفاضل ممن لهم جهود لا تنكر في نشر الخير ينشئ موقعاً على شبكة الأنترنت لا تجد فيه حساً ولا خبرًا لأحدٍ من كبار العلماء لدينا ! فلماذا هذا ؟! ومعلوم خطورة عزل جيل الشباب عن علمائه الكبار، حيث ينصرف بعدها إلى أناس لا علم عندهم ولا ورع، إنما هي المصالح والتحزبات التي تقود البلاد إلى فرقة وضعف.

٢- أحد الأفاضل من حاملي الدعوة لدينا يقول: بأنه لا مانع من وصف اليهود والنصارى بأنهم (إخوان لنا)!! ويعني بذلك الأخوة الإنسانية ![١].

٣- داعية آخر يدعو إلى (المجتمع المدني)! القائم على الانتخابات والبرلمانات.. الخ. وفاته أن المجتمع المدني في اصطلاح القوم هو المجتمع العلماني الذي لا يرجع إلى شريعة تحكم أفعاله[٢]. وأن في دعوته هذه (تهييجاً) لعامة الناس على ولاة أمرهم بطريقة تفسد ولا تصلح. متغافلاً ـ هداه الله ـ عن الطرق الشرعية.

٤- داعية آخر يكتب مقالاً بعنوان "المرأة إنسان"، يصوغه بلغة حداثية غريبة! يطالب فيه بإعادة النظر في قضايا المرأة!! ويحيل قارئه للفائدة على كتاب "تحرير المرأة في عصر الرسالة" للعصراني عبدالحليم أبو شقة![٣].

٥- كاتب إسلامي آخر يزعم ـ بجهل لا شك ـ أن "الحق المطلق لا يملكه أحد" !!وهذا مصطلح (كفري) يؤدي بصاحبه إلى الشك والحيرة والتذبذب[٤].

---

(١) هذا القول يردده شيخ العصرانية في زماننا : القرضاوي، ويتابعه المتأثرون به. (انظر: القرضاوي في الميزان).

(٢) ولهذا تجد العلمانيين في بلادنا يسعون إلى تحقيقه! لأنه يُعجل بآمالهم، فانظر ما كتبوا حول هذا "المجتمع المدني" في مجلتهم "النص الجديد" (العدد ٩ و ١٠)، حيث أفردوا للحديث عنه ملفاً كاملاً.

(٣) وقد رددت عليه، وكتبت نقدًا لكتاب (أبو شقة) تجده في موقع صيد الفوائد على شبكة الإنترنت. و لم أسمِّ هذا الفاضل في ردي؛ لعله يعيد النظر فيما كتب. وفقه الله وسدد خطاه.

(٤) ثم رأيت إحدى العلمانيات لدينا تردده في مقالة لها بإحدى الصحف! وسيأتيك ـ إن شاء الله ـ توافق الطائفتين: (العصرانية) و(العلمانية).

٦- كاتبة إسلامية مرموقة تكتب عدة مقالات عن المرأة، تردد فيها أفكار العصرانيين والعلمانيين. حتى ليخال للقارئ بأنه يقرأ لإحدى داعيات تحرير المرأة في بلادنا ! فكيف حدث هذا ؟!.

٧- جريدة أسبوعية إسلامية تفتح صفحاتها لكتبة العصرانية من كل مريض وفاشل وطالب شهرة؛ ليلمز ويهمز من خلالها في دعوة الكتاب والسنة ويصفها بأبشع الصفات، ويبث شبهاته وانحرافاته تحت بصر وسمع الفضلاء أصحاب الجريدة ممن لهم تاريخ مشرف في مجال الدعوة والإعلام الإسلامي.

لأجل هذا كله ودرءً للخطر قبل وقوعه؛ فقد أحببت أن أنصح لإخواني دعاة الإسلام وحملته في هذه البلاد ببيان: كيف أصبحت العصرانية في مصر قنطرة للعلمانية عبرت عليها إلى مجتمعهم كما سبق؟ ليأخذوا حذرهم ويتبصروا أمرهم وما يكيده الأعداء لهم، فلا ينساقوا وراء الأفكار العصرانية مهما تزخرفت وتزينت كما انساق غيرهم، فيكون حالهم مع مجتمعهم كحال من:

رام نفعاً فضرَّ من غير قصدٍ ومن البر ما يكون عقوقًا

وتضيع جهودهم السابقة المشكورة في التصدي لأهل العلمنة بهذه النهاية الموجعة ـ لا قدر الله ـ التي يخدمون بها أولئك المفسدين عن غير قصد، فيحق فيهم قول الله تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَـٰثًا ﴾[1]. عندها نقول لهم :

(١) سورة النحل الآية ٩٢.

وإخـوانٍ تخـذتهمو دروعـاً فـكانوها، ولـكن للأعـادي
وخلـتهم سـهاماً صـائبات فكانوهـا، ولكـن في فـؤادي
وقـالوا قـد سـعينا كـل سـعي فقلت نعـم، ولكـن في فسادي)

أسأل الله أن يوفق دعاة الإسلام لأن (يأخذوا حذرهم) فلا يكونوا مطية لغيرهم، وأن يحسن لنا ولهم الخاتمة، ويستعملنا إلى أن نلقاه في طاعته.

مقدمة:

لقد كتب كثير من العلماء والباحثين عن المدرسة العصرانية الحديثة التي نشأت في ديار المسلمين نتيجة التقائهم بالغرب المتقدم مادياً، وأجادوا في بيان انحرافها عن الإسلام بلا مزيد عليه[1]، ولهذا فإنني لن آتي بجديد في هذا الموضوع، ولكني أردت من خلال هذا البحث المختصر التركيز على انحرافٍ واحدٍ من انحرافات تلك المدرسة ـ كما سبق ـ لعله يكون أخطرها، وتوسعت فيه بعض التوسع، ونقلت كلمات مهمة تتعلق به.

نشأة المدرسة العصرانية الحديثة: الأفغاني ومحمد عبده:

تعود نشأة المدرسة العصرانية الحديثة في البلاد العربية إلى جهود

(١) انظر على سبيل المثال: "الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر" و "الإسلام والحضارة الغربية" كلاهما للدكتور محمد محمد حسين ـ رحمه الله ـ، وهما من أجود ما كتب في نقد هذه الطائفة. "دعوة جمال الدين الأفغاني في ميزان الإسلام" لمصطفى غزال. "منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير" للدكتور فهد الرومي. "الفكر الإسلامي المعاصر: دراسة وتقويم" للأستاذ غازي التوبة. "دراسات في السيرة" لمحمد سرور. "اتجاهات الفكر الإسلامي المعاصر في مصر" للدكتور حمد ابن صادق الجمال. "مفهوم تجديد الدين" لبسطامي سعيد.

رجلين اجتمعا زمناً بمصر؛ هما جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده[١].

أما الأفغاني فقد كان غامض الأمر محيرًا للباحثين في حياته وبعد مماته، مما جعلهم يضطربون في مكان نشأته ومذهبه وأهدافه[٢]. إلا أنه بعد نشر كثير من الوثائق والدراسات حوله لم يعد هناك مجالٌ للشك في كونه شيعياً إيرانياً[٣] أخفى ذلك ترويجاً لأفكاره بين أهل السنة الذين لن يجد منهم أي احتفاء لو كشف تلك الحقيقة بينهم .

ولكن الخلاف بعد تقرير أمر شيعيته وإيرانيته سيكون حول حقيقة أفكاره، وماذا كان يريد؟

هناك وجهتا نظر للباحثين كلاهما تمتاز بالقوة[٤]:

---

(١) ترجمتهما مشهورة منشورة. أما الأفغاني فإن ترجمة محمد عبده له المنشورة في مقدمة رسالته "الرد على الدهريين" ثم نشرها رشيد رضا في تاريخ أستاذه كانت مرجعاً لمن بعده من الباحثين، وأصبحت ـ كما يقول الدكتور علي شلش ـ: "عمدة السير" (الأفغاني بين دارسيه، ص٢٨). وأما محمد عبده، فإن لتلميذه رشيد رضا تاريخاً شاملاً عن حياته يقع في ثلاثة مجلدات بعنوان "تاريخ الأستاذ الإمام" كان عمدة لمن بعده، مع ملاحظة ما فيه من غلو في المديح ودفاع عن شيخه بالباطل.

(٢) لمعرفة ما قيل حوله: انظر : "جمال الدين الأفغاني بين دارسيه" للدكتور علي شلش. وهو من أفضل من كتب عن الأفغاني.

(٣) ولهذا: لم يستطع أنصار الأفغاني من بعده أن ينكروا هذه الحقيقة الثابتة بالأدلة القاطعة. ولكنهم لجؤوا إلى التهوين من شأنها! وأن شيعيته ـ كما يقولون ـ لا تضره !. انظر : "جمال الدين الأفغاني المفترى عليه"(ص١٤٥) لمحمد عمارة، و"حقيقة جمال الدين الأفغاني" (ص١٠) للدكتور عبد المنعم حسنين. وانظر ما قاله باحثو الشيعة عن الأفغاني وإثباتهم لشيعيته: مجلة "التوحيد" الشيعية! (العدد ٨١)، دراسة بعنوان: "جمال الدين الأسد بادي الأفغاني، حكيم الشرق وباعث نهضته" لحسن السعيد، ص ١٢٩-١٤٢.

(٤) وهناك وجهة نظر ثالثة تبناها تلاميذه والمستفيدون منه وضخموها حتى انخدع بها من بعدهم وطاروا بها في الآفاق، فلم يعد يُذكر غيرها، وهي أنه كان "مصلحاً إسلامياً" !! وأنى له ذلك، وهو المطعون في دينه وعقيدته وأهدافه؟!

انظر هذه الوجهة في الكتب التالية للمادحين له: "جمال الدين الأفغاني: ذكريات وأحاديث" لعبد القادر المغربي. "جمال الدين الأفغاني: حكيم الشرق"لقدري قلعجي ."جمال الدين الأفغاني" لعلي عبد الحليم محمود. "جمال الدين الأفغاني: باعث نهضة الشرق" لعبدالرحمن الرافعي."جمال الدين الأفغاني: =

١-**الأولى:** أن الأفغاني كان يريد إعادة الدولة الشيعية إلى بلاد مصر، ولهذا اختار المقام فيها على غيرها من البلاد الأخرى. وأنه لأجل هذا كان يخفي شيعيته ويدعي الانتساب لآل البيت؛ ليتمكن من تكوين عصبة حوله تعينه على هذا الأمر إذا ما حانت ساعة الصفر ـ كما يقال ـ وأنه كان لا يفضي بهذا الأمر إلا لخاصته؛ كمحمد عبده. وهذه ليست بغريبة على الشيعة الذين لا زالت قلوبهم تهفو إلى هذه البلاد منذ أن طردوا منها، فقد قاموا بعدة تجارب لأجل هذا الأمر؛ من أهمها تجربة السيد! البدوي الذي أرسله أساطين الرفض في العراق إلى بلاد مصر، فكانت غايته ـ كما يقول الأستاذ محمد فهمي عبد اللطيف ـ: "أن يجمع عصبية في الديار المصرية للعلويين[1]، كتلك العصبيات التي كان يجمعها غيره من الصوفية في أقطار العالم الإسلامي حتى تكون عوناً لهم إذا ما تهيأت الفرصة، ونهضوا لطلب الملك"[2].

ومما يشهد لهذا: الغموض الذي أحاط الأفغاني به نفسه، حيث لم يوضح (بصراحة) حقيقة أفكاره؛ إنما هي أمور عامة يشترك معه فيها غيره.

ومما يشهد لهذا ـ أيضاً ـ أن تلميذه محمد عبده كان كثيراً ما يتمثل

= المصلح المفترى عليه" لمحسن عبد الحميد."جمال الدين الأفغاني: المفترى عليه" لمحمد عمارة. "جمال الدين الأفغاني وأثره في العالم الإسلامي الحديث" لعبد الباسط محمد حسن. "مصلحون ثائرون" لمحمد رجب الزائدي. "رواد الإصلاح" لأحمد أمين. "أعلام النهضة الحديثة: جمال الدين الأفغاني" لعثمان أمين. وغيرها.

(١) أي الشيعة الرافضة. وهم يخدعون العامة بانتسابهم زورًا إلى العلويين.

(٢) السيد ! البدوي ودولة الدراويش بمصر؛ لمحمد فهمي عبد اللطيف، ص ٧٥.

بهذه الأبيات[1]:

ذرنـــي وأشـــياء في نفـــسي مخبـــأة
لألبـــسن لهـــا درعـــاً وجلبابـــا
والله لـــو ظفـــرت نفـــسي بطلبتهـــا
مـا كنـت عـن ضـرب أعنـاق الـورى آبـا
حتـى أطهـر هـذا الكـون مـن دنـس
وأوجـــب الحـــق للـــسادات إيجابـــا
وأمـــلأ الأرض عـــدلاً بعـــدما ملئـــت
ظلمـــاً وأفـــتح للخـــيرات أبوابـــا

فما هي هذه "الحاجات المخبأة في نفسه" ؟! ومن هم "السادات" الذين سيوجب لهم الحق، ويضرب لأجلهم أعناق الناس؟!.

وجهة النظر الثانية: تقول بأن الأفغاني ما كان يحفل بالمذاهب كلها، سنيها وشيعيها، بل ما كان يحفل بالأديان نفسها! فالجميع ـ عنده ـ شيء واحد، فكانت دعوته موجهة نحو إيقاظ (الشرق) المتخلف ـ دون نظر إلى أديانه ـ لمواجهة أطماع (الغرب) المتحضر مادياً، والتحرر من سلطانه وضغوطه، والتخلص كذلك من حكم المستبدين.

فما كان الإسلام عنده إلا ديناً من ضمن الأديان الكثيرة التي يدين بها أبناء الشرق. ويدلل هؤلاء على وجهة نظرهم بعدة أدلة:

أولها: أنه في كثير من مقالاته يصرح بأن دعوته (شرقية) لا إسلامية. فمن ذلك مثلاً: ما جاء في منهج العروة الوثقى وأهدافها بأنها

---

(١) قطرة من مداد لأعلام المتعاصرين والأنداد، لمحمد لطفي جمعة، ص ٣١١-٣١٢.

"ستأتي في خدمة الشرقيين على ما في الإمكان"[١] وقوله عنها: "إنما أنشئت للمدافعة عن حقوق الشرقيين"[٢] ويقول أيضاً مبيناً منهاج جريدته: "الغرض تحذير الشرقيين عموماً والمسلمين خصوصاً من تطاول الأجانب عليهم، والإفساد في بلادهم. وقد نخص المسلمين بالخطاب لأنهم العنصر الغالب في الأقطار التي غدر بها الأجنبيون وأذلوا أهلها أجمعين، واستأثروا بجميع خيراتها"[٣] فسبب تركيز الأفغاني على المسلمين كونهم الأغلب في الشرق، ولو كان غيرهم يغلب عليهم لركز عليهم!.

أما قضية دعوته إلى الجامعة الإسلامية فيقول عنها الأستاذ عثمان أمين:"إن الجامعة التي كان ينشدها الأفغاني ومحمد عبده في أواخر القرن الماضي ليست هي الجامعة الإسلامية كما توهم بعض الكتاب الغربيين، وإنما هي في صميمها: الجامعة الشرقية"[٤].

وقال الدكتور فهد الرومي: "أرى في مقالاته ومقالات تلميذه ما يدل على أنه لا يريد الجامعة الإسلامية بل الجامعة الشرقية التي تجمع دول الشرق: مسلمها وغير مسلمها ضد الاستعمار"[٥].

---

(١) الأعمال الكاملة للأفغاني (٢/٣٤٤).

(٢) السابق (٢/٣٤٧).

(٣) السابق (٢/٣٤٩). وانظر أيضا: "الأفغاني" لأبي رية، ص ١١٢-١١٨.

(٤) مجلة العربي الكويتية، عدد ٤٢، ص ٧٣.

(٥) منهج المدرسة العقلية، ص ٩١. وقد سار تلاميذ مدرسته على هذا الأمر؛ وهو الدعوة إلى نهضة (الشرق). يقول عبد العزيز جاويش: "إن الشرق برمته كتلة واحدة لا يسلم منه جزء إلا بتماسكه هو وغيره.." (عبد العزيز جاويش، لأنور الجندي، ص٧).

ويقول محمود أبو رية: "العروة الوثقى كانت تعمل للشرقيين عامة"[1] ويقول الأستاذ: مصطفى غزال: "لو رجعنا إلى كتابات جمال الدين لوجدنا أن دعوته إلى الجامعة الإسلامية في حقيقتها دعوة إلى جامعة شرقية تضم العالم الإسلامي بما فيه من أديان مختلفة وجنسيات متنوعة"[2].

٢- ومما يشهد لما سبق ـ أيضاً ـ: دخول الأفغاني في الماسونية التي لا تفرق بين الأديان[3].

٣- ومما يشهد لذلك ـ أيضاً ـ: ما يصدر من الأفغاني بين الحين والآخر من كلمات في حق الإسلام، تدل على أنه لا ينظر إليه كخاتم للأديان أو أنه الحق دون ما عداه من الأديان الباطلة، وإنما تدل كلماته على أنه ينظر للإسلام كنظرته لأي دين آخر ظهر في الشرق، لا مانع من مجاملته إذا اقتضى الحال ذلك! ولا مانع ـ أيضاً ـ من نقده!! فمن ذلك مثلاً: أنه في رده على رينان الذين اتهم الإسلام بأنه سبب تخلف المسلمين أيده على هذا! وقال:"في الحقيقة: إن الدين الإسلامي حاول خنق العلم، وسد جميع التطور، ولذلك نجح في سد الحركات الفكرية والفلسفية"[4]وقال: "إن دين المسلمين يعوق من تطور العلم.. إن جميع

---

(١) الأفغاني، لأبي رية ، ص ٤٧.

(٢) دعوة جمال الدين الأفغاني في ميزان الإسلام ، ص ٢٣٨.

(٣) انظر لإثبات هذا الأمر بالأدلة: "دعوة جمال الدين الأفغاني في ميزان الإسلام" (ص ١٦١ وما بعدها).

(٤) مقال: "صلات أرنست رينان مع جمال الدين الأفغاني" للأستاذ محمد حميد الله، نشر في مجلة الفكر الإسلامي، السنة الثانية، العدد الثاني، ذوا الحجة ١٣٩٠هـ .

الأديان لا سماحة عندها أبداً"[(١)] وقال: "لا شك عندما سار الإسلام في البلاد التي تملكها باستعمال الجبر والقهر، ما هو معروف، نقل إليها لغته وعاداته ومعتقداته. وهذه البلاد لم تستطع إلى الآن من الخلاص من مخالبه"[(٢)]! ويقول: "إن هذا الدين ـ أي الإسلام ـ حيثما حل حاول خنق العلوم"![(٣)].

مثال ذلك أيضاً: قوله للمصريين: "إنكم معاشر المصريين قد نشأتم في الاستعباد، وربيتم بحجر الاستبداد، وتوالت عليكم قرون منذ زمن الملوك والرعاة حتى اليوم وأنتم تحملون نير الفاتحين، وتعنون لوطأة الغزاة الظالمين... تناوبتكم أيدي الرعاة ثم اليونان والرومان والفرس ثم العرب والأكراد والمماليك ثم الفرنسيين والمماليك والعلويين[(٤)]، وكلهم يشق جلودكم بمبضع نهمه، ويهيض عظامكم بأداة عسفه"[(٥)] فالمسلمون ـ عند الأفغاني ـ لم يكن فتحهم لمصر في سبيل نشر للإسلام ودعوة العباد إليه، إنما هم مجرد عرب ظالمين كغيرهم من الفاتحين.

٤- ومما يشهد لذلك أيضاً ـ كما يقول الدكتور فهد الرومي ـ:"هذا

---

(١) المرجع السابق .

(٢) المرجع السابق .

(٣) المرجع السابق. والغريب أن الأستاذ محمد حميد الله بعد نقله هذه الأقوال بنصها من المجلة الفرنسية، ادعى أن رينان كذبها على الأفغاني لتشويه صورته !!!. وفاته أن محمد عبده تلميذ الأفغاني قد حرص في خطاب له إلى شيخه على عدم ترجمة رده على رينان بسبب هذه الأقوال الشنيعة التي تدين الأفغاني، بل توقعه في الردة عن الإسلام ـــ والعياذ بالله ـــ. انظر صورة رسالة محمد عبده لشيخه في كتاب الدكتور فهد الرومي، ص١٦٢-١٦٤.

(٤) أي أسرة محمد علي باشا .

(٥) تاريخ الأستاذ الإمام، لرشيد رضا. (١/٤٦-٤٧).

الخليط من اليهود والنصارى الذي يحيط به، سليم نقاش من نصارى الشام وهو ماسوني، ... وأديب إسحاق من أكثر الدعاة إلى الماسونية ... وكان من المحيطين به من النصارى: جورج كوتجي، وطبيبه الخاص هارون يهودي. ولم يحضر وفاته إلا كوتجي النصراني وهارون اليهودي، وعند قدومه إلى مصر يسكن في حارة اليهود"[(١)].

٥- ومما يشهد لذلك أيضاً: إنشاء تلميذه محمد عبده في بيروت "جمعية سياسية دينية سرية هدفها التقريب بين الأديان الثلاثة: الإسلام والمسيحية واليهودية"[(٢)] وقد اشترك معه في ذلك خليط من المسلمين وغير المسلمين.

كل هذه الأدلة تشهد على أن الأفغاني كان من الداعين إلى "الفكرة الشرقية" في مواجهة "الاستعمار الغربي"، وأما أمر الأديان فلم يكن يلقي له بالاً إلا ما يفيده في فكرته هذه.

فملخص دعوته كما يقول أنور الجندي: "الحرية، والدعوة إلى الحكم النيابي والدستور، والتخلص من النفوذ الأجنبي المتمثل في سلطان الدولة الأجنبية المقنع وراء الامتيازات الأجنبية والسيطرة على الاقتصاد والإرساليات، والتحرر من الاستبداد السياسي المتمثل في

---

(١) منهج المدرسة العقلية الحديثة ، ص ١١٢-١١٣.

(٢) السابق، ص ١٣٧. وإنشاء محمد عبده لهذه الجمعية يعد تنفيذًا عملياً لأفكار شيخه الأفغاني الذي يقول عنه الدكتور أحمد القاضي بأنه "أول من جهر بالدعوة إلى التقريب بين الأديان من الإسلاميين في العصر الحديث" (دعوة التقريب بين الأديان: دراسة نقدية في ضوء العقيدة الإسلامية، ٣٩٨/١) ثم نقل الدكتور شيئاً من أقوال الأفغاني الشنيعة في هذا الموضوع. وانظر أيضاً: "الأفغاني" لأبي رية، ص ٧٢-٧٧.

حكم الفرد ونفوذ الخديو وحاشيته"[١].

أما حكم الإسلام لديار المسلمين والتزامهم بشريعته، فهذا لا يأتي في اهتمامات الرجل، بل إنه كما سبق يرى أن الإسلام من الأديان المستبدة الخانقة للحرية!! ويعني بها حرية الكفر التي يسميها: الفلسفة.

هاتان وجهتا نظر في حقيقة الأفغاني وأهدافه، ولعل الثانية منهما أصوب من الأولى نظراً لقوة أدلتها لمن تأمل.

ماذا فعل الأفغاني بأهل مصر؟!

عندما قدم الأفغاني مصر زمن الخديو إسماعيل (١٨٧١م) كانت البلاد تعيش في انسجام وألفة بين الرعية وولاة أمورهم، ولا يمنع ذلك من وجود الانحراف[٢] الذي كان يعالج من خلال النصيحة الشرعية التي يقوم علماء البلاد المتمثلين في شيوخ الأزهر. وكان للبلاد مجلس شورى يتم من خلاله التشاور حول ما يتعلق بالشئون الداخلية والخارجية[٣].

ولكن هذا الوضع (الشرعي) للبلاد لم يُرض الأفغاني (العصراني) (الثوري) الذي رأى فيه ذلاً واستكانةً للحاكم المنحرف، ورأى أن حل مشاكل البلاد لا يكون بما يقوم به شيوخ الأزهر ومناصحاتهم. إنما يكون من خلال الثورة (وتهييج) الناس على ولاة أمرهم. وقد سعى إلى ذلك من خلال دروسه التي كان يلقيها على مريديه[٤]، ومن خلال

---

(١) عبد العزيز جاويش، ص ١٢.

(٢) كان أهم انحراف تعيشه البلاد هو قضية الديون المتراكمة عليها للأجانب بسبب إسراف وفساد الخديوي إسماعيل.

(٣) الأعمال الكاملة لمحمد عبده (١/٤٧٩).

(٤) كقوله لهم ــ كما سبق ــ: "إنكم معاشر المصريين قد نشأتم في الاستعباد، وربيتم بحجر الاستبداد، وتوالت عليكم قرون منذ زمن الملوك الرعاة حتى اليوم وأنتم تحملون عبء نير الفاتحين، =

الصحف والمجلات التي سعى كثيراً إلى إصدارها عبر تلاميذه، وحثهم على نشر أفكاره فيها، وكلها تدور حول الثورة وما يسميه زورًا بالحرية![1].

أحس ولاة الأمر[2] وعلماء البلاد بخطورة ما يقوم به هذا القادم الغريب، مما لمسوه من انتشار أفكاره الثورية بين بعض الأفراد مما يشكل خطراً على أمن البلاد ووحدتها؛ فقرر الحاكم (الخديو توفيق) بمشورة من العلماء نفي الأفغاني وطرده من البلاد لئلا يزداد شره، وذلك عام (١٨٧٩م). أي بعد سبع سنوات من قدومه.

يقول تلميذه محمد عبده متحسراً بأن الخديو "أظهر سروره مما فعل، وتحدث به في محضر جماعة من المشايخ على مائدة الإفطار في رمضان"[3].

لقد طُرد الأفغاني ولكن بعد أن بذر بذرة الفساد في أرض مصر، وبعد أن تلقفت عقول بعض السُذج والحمقى أفكاره معتقده أن فيها

= وتعنون لوطأة الغزاة الظالمين، تسومكم حكوماتكم الحيف والجور.... الخ" (تاريخ الأستاذ الإمام ٤٦/١).

(١) يقول الدكتور محمد الحداد: "عند إقامته في مصر شجع جمال الدين الأفغاني أصحابه على نشر الصحف، وكان هو الساعي لاستصدار تراخيصها (الامتياز)، والموجه لسياستها التحريرية..." (الأفغاني: صفحات مجهولة من حياته، ص٧٥). وانظر أثر الأفغاني في إنشاء كثير من الصحف المصرية عن طريق مريديه: كتاب "الصحافة المصرية وموقفها من الاحتلال الإنجليزي" للدكتور سامي عزيز. ومن تلك الصحف: (التجارة)، (مصر)، (أبو نظارة)، (مرآة الشرق)، وغيرها، مع العلم أن أكثر القائمين عليها نصارى ويهود !!.

(٢) المنحرفون! ـ كما سبق ـ، ولكن هذا الانحراف يعالج بالنصيحة والصبر، لا بالتهييج والثورة التي تُفسد أكثر مما تُصلح كما سيأتي.

(٣) الأعمال الكاملة (٤٩٣/١).

صلاح البلاد، ولكنها ـ كما سيأتي ـ قادتهم إلى الهلاك والخسار بسقوطهم محتلين في يد أعداء الإسلام من الإنجليز الذين كانوا يتحينون الفرصة في شق صف البلد المسلم؛ حتى يسهل عليهم احتلاله.

رحل الأفغاني عن مصر ولكن أفكاره المفسدة بقيت تعمل في العقول إلى أن بلغت نهايتها بقيام الثورة العرابية على الحاكم المسلم بقيادة أحد المتأثرين بالأفغاني (وهو أحمد عرابي) ومعاونة من بقية تلاميذ الأفغاني، وعلى رأسهم محمد عبده وعبد الله النديم (خطيب الثورة!) وغيرهم[١]، فاستغلت بريطانيا الوضع وتدخلت تحت دعوى حماية الأجانب والدفاع عن الحاكم الشرعي!، واحتلت البلاد وقضت على الثورة، ولم تخرج إلا بعد سبعين عاماً تقريباً!!.

فانظر ـ رعاك الله ـ واعتبر بمآل الأفكار الثورية العاطفية.

يقول محمد عبده: "كان السيد! جمال الدين كثير التطلع إلى السياسة، شديد الميل إلى الحرية، قوي الرغبة في إنقاذ المصريين من الذل.."[٢]!.

قلت: بل نقلهم من ذل المسلمين إلى ذل الكافرين!.

وقال سليم العنحوري النصراني تلميذ الأفغاني! في ترجمته لشيخه بعد أن ذكر شيئاً من خطبه الثورية: "وأخذ القوم يشكون من حكومتهم، متململين، ويتطاولون بأعناقهم إلى ما يقول مشرئبين، ومذ ذلك الحين طارت الشرارة الأولى من شرارات الثورة العرابية"[٣].

وقال ـ أيضاً ـ: " كان روح الثورة قد امتد في القطر، بحيث لم يكن

---

(١) انظر أسماءهم في :"تاريخ الأستاذ الإمام" (٤٦/١).
(٢) تاريخ الأستاذ الإمام (٤٠/١).
(٣) المرجع السابق (٤٧/١).

إجلاء الأفغاني إلا ليزيده سرياناً وانتشارًا"[١].

ويقول أبو رية عن الثورة العرابية: "إن هذه الثورة قد شبت من تعاليم جمال الدين"[٢].

ويقول الدكتور عثمان أمين: "ليس هناك شك في أن لجمال الدين يدًا في الحركة العرابية"[٣].

ويقول الدكتور مجدي عبد الحافظ ـ وهو معجب بصنيع الأفغاني! ـ: "إن الثورة العرابية لم تكن إلا غرسًا طيبًا من تعاليم الأفغاني"[٤].

محمد عبده:

أما محمد عبده، فهو أبرز تلميذ للأفغاني، تعرف عليه وهو في عمر صغير يبلغ الثانية والعشرين، فصادفت أفكار الأفغاني قلباً خالياً فتمكنت منه. فأصبح عبده يرددها ويبشر بها من حوله.

يقول الدكتور فهد الرومي: "لئن كان السيد! جمال الدين الأفغاني هو المؤسس لهذه المدرسة، فإن محمد عبده هو الذي أقام صروحها ودعا إليها، ونشرها بين الناس، فكان بحق هو صاحبها وهو أستاذها وإمامها الأول، فكان له من الأثر فيها ما لم يكن لأستاذه"[٥].

وقد فاق عبده شيخه في مسألة تطويع الإسلام وتشكيله بما يوافق حضارة الغرب وثقافته، نظراً لخلفية عبده الدينية التي افتقدها الأفغاني.

---

(١) جمال الدين الأفغاني ، ص ٢٧.

(٢) جمال الدين الأفغاني ، ص ٢٧.

(٣) رائد الفكر المصري: الإمام محمد عبده، ص ٢٢.

(٤) جمال الدين الأفغاني وإشكاليات العصر، ص ٦٧.

(٥) منهج المدرسة العقلية الحديثة ، ص ١٢٤.

محمد عبده (الثوري):

لقد تشرب محمد عبده الأفكار (الثورية) (التهييجية) من شيخه الأفغاني ـ كما سبق ـ وآمن بها، ولم يكن يعارضه فيها، وهذا من المآخذ العظيمة عليه، حيث كان يعلم ـ وهو الشيخ الأزهري ـ عدم شرعية هذه الطريقة[1]؛ وهي تأليب الشعب والعامة على ولاة أمورهم، وتجرئتهم عليه بنشر معايبه، وكان الأولى به أن يقف في وجه انتشار هذه الأفكار الثورية، وأن يسلك الطريق الشرعي الذي سنه الله ورسوله ـ ﷺ ـ في هذا الأمر؛ وهو مناصحة الحاكم فيما أخطأ فيه وانحرف، وتقديم المقترحات النافعة للبلاد لتتخلص من مشاكلها، والصبر على جور الحاكم وأثرته، كما قال ـ ﷺ ـ: "**خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم، ويصلون عليكم وتصلون عليهم، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم، وتلعنونهم ويلعنونكم" قيل: يا رسول الله! أفلا ننابذهم بالسيف؟ قال: لا، ما أقاموا فيكم الصلاة، وإذا رأيتم من ولاتكم شيئاً تكرهونه فاكرهوا عملهم ولا تنزعوا يدًا من طاعة**"[2] وقال ـ ﷺ ـ : "**عليك السمع والطاعة في عُسرك ويُسرك، ومنشطك ومكرهك، وأثرةٍ عليك**"[3].

---

(١) يقول محمد عبده : "إننا سلفيون أشعريون أو ماتريديون" (الأعمال الكاملة،١/٦١٤) (وانظر: الماتريدية، للشمس الأفغاني ١/٣٣٥). ومن المعلوم أن الأشاعرة والماتريدية يوافقون أهل السنة في مسألة الخروج على السلطان. وتنبه إلى أن الأشاعرة والماتريدية ليسوا من أهل السنة ــ كما يزعم محمد عبده ــ إلا فيما وافقوا فيه أهل السنة، فيقال: وافقوا أهل السنة في كذا.

(٢) أخرجه مسلم (٣/١٤٨١).

(٣) أخرجه مسلم (٣/١٤٦٧).

فكان الواجب على محمد عبده الشيخ الأزهري أن لا تأخذه العاطفة فينساق مع تلكم الأفكار الضارة التي لا تزيد الأمر إلا شدة وسوءً وضررًا. كما هي سنة الله الثابتة في هذه القضية على مدار التاريخ الإسلامي. قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: "وقل من خرج على إمام ذي سلطان إلا كان ما تولد على فعله من الشر أعظم مما تولد من الخير"[(١)].

وقال: "إن ما أمر به النبي ـ ﷺ ـ من الصبر على جور الأئمة وترك قتالهم والخروج عليهم هو أصلح الأمور للعباد في المعاش والمعاد، وأن من خالف ذلك متعمدًا أو مخطئاً لم يحصل بفعله صلاح بل فساد.."[(٢)].

المهم: أن محمد عبده سكت عن هذه الأفكار الثورية ولم يساهم في وأدها، بل غض الطرف عنها، وتعاطف معها، إلى أن نمت وتعاظمت، حتى كانت نهايتها قيام جهلة العسكريين بقيادة أحمد عرابي بثورتهم ثم (خروجهم) على ولي أمرهم[(٣)]، الأمر الذي دعاه ـ وهو ضعيف الدين

---

(١) منهاج السنة (٤/٥٢٧-٥٢٨).

(٢) السابق (٤/٥٣١).

(٣) ذكر محمد عبده في مذكراته عن الثورة العرابية أمرًا خطيرًا، وهو أن قنصل فرنسا "أرسل إلى أحمد عرابي وإخوانه يقول لهم: إنه يسره ما يراه من صلابتهم في عزيمتهم، واشتدادهم في المطالبة بالعدل فيهم، فعليهم أن يثبتوا في مطالبهم ولا يُضعفهم ما يُهددون به ..."!! (انظر: الأعمال الكاملة لمحمد عبده ١/٥٢٨ و ٥٣١). وفي هذا دليل على أن الغرب النصراني يسره ويسعده ظهور الأفكار (الثورية) في المجتمع المسلم؛ لأنها تضعفه، وتخالف بين كلمة أهله، وتعطي الغرب مجالاً للتدخل في شئونه. وقارن هذا ــ وفقك الله ــ بدعم الغرب للثوريين والمنشقين الإسلاميين في زماننا هذا؛ لتعلم أن الخطة الصليبية لم تتغير، وأن قومي يُلدغون من الجحر الواحد مرات ومرات!

تنبيه: ذكر بعض الباحثين أن "رياض باشا" كان يهودياً ثم أسلم، ومعلوم أن هذا الرياض هو=

والعقل ـ أن يستعين بعدوه وعدوهم (إنجلترا النصرانية) في سبيل إخماد هذه الثورة والحفاظ على ملكه وكرسيه، فما كان من (إنجلترا) ـ المستعدة لمثل هذا الأمر! ـ إلا أن لبت النداء ونـزلت بجيشها إلى أرض مصر، وقضت على (الثوريين) بقيادة عرابي، ثم طاب لها المقام هناك! فلم تخرج من أرض مصر إلا بعد أكثر من سبعين عاماً!!! فانطبق على محمد عبده وعرابي ومن معهم المثل القائل: (أراد أن يبني قصرا فهدم مصرا)!، فهم أرادوا إنكار ظلم وجور الحاكم بطريقتهم الثورية الخرقاء التي ورطهم بها الأفغاني؛ فتسببوا في ضياع بلادهم وتسليمها لقمة سائغة للنصارى، فكانوا كالمستجير من الرمضاء بالنار. نسأل الله العافية، وأن يجعل من هذه الحادثة عبرة لأبناء الإسلام لكي لا يندفعوا خلف الأفكار الثورية التي تدغدغ العواطف في بداية أمرها، ولكنها سرعان ما تسيل الدماء بدل الدموع في نهايته. ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾[1][2].

=الذي استضاف الأفغاني في مصر. فهل كان أمر قدومه قد دُبِّر بليل، لنشر الأفكار الثورية تمهيدًا للاحتلال ؟! العلم عند الله. وأنا لا أستبعد هذا؛ لأن مكر القوم تكاد تزول منه الجبال. انظر هذا بتوسع في بحثي (كيف احتل الإنجليز مصر؟).

وانظر لبيان يهودية رياض باشا: "تطور الصحافة" لأنور الجندي، ص٣٤، نقلاً عن أديب إسحاق تلميذ الأفغاني. و"دعوة جمال الدين الأفغاني في ميزان الإسلام"، ص١٥٧.

(١) سورة آل عمران الآية ١٣.

(٢) انظر تفاصيل ذلك كله في الكتب التي تتحدث عن الثورة العرابية؛ كـ"الثورة العرابية" لصلاح عيسى، و"الثورة العرابية في ضوء الوثائق المصرية" للدكتور عبد المنعم الجميعي، و"مذكرات الزعيم أحمد عرابي" لمحمد فريد السيد حجاج، و"أحمد عرابي الزعيم المفترى عليه"! لمحمود الخفيف. والكتب التي تتحدث عن تاريخ مصر في العصر الحديث.

نهاية ثورته:

قبض على محمد عبده بعد إخماد ثورة عرابي نظراً لتعاطفه معه ومؤازرته له، فكان نصيبه من الأحكام السجن، ثم النفي خارج البلاد المصرية. وقد نال غيره نصيبهم من الأذى والانتقام.

محمد عبده والانقلاب من (الثورية) إلى (العصرانية):

لقد أصيب محمد عبده بذهول وصدمة شديدة بعد فشل حركة عرابي وقمعها وتمزيقها، مما جعله ـ وقد توحد وتفرد في السجن ـ يعيد النظر في هذا المسلك (الثوري) الخاطئ الذي سار فيه فكانت نهايته موجعة عليه وعلى بلاده. ولكن عبده بدلاً من أن ينتقل من (الثورية) إلى الاعتدال والطريق الوسط القائم على العلم الشرعي ونشره بين الناس وتربيتهم عليه، مع الصبر على جور الحاكم ومناصحته إلى أن يستريح بر أو يستراح من فاجر، بدلاً من هذا ارتد إلى الطرف الآخر المقابل للفكر (الثوري) وهو الاستسلام للواقع والتبشير بالفكر (العصراني) الذي يُطَوع الإسلام وأحكامه بما يوافق العصر، ويجعل ما يسمى "بالتعايش السلمي"[١] مع الكفار هدفاً له، ورأى أن علاج مشاكل المسلمين وضعفهم سيكون في تبني مثل هذا الفكر، إضافة إلى تضخيمه لدور العقل على حساب النصوص الشرعية[٢]؛ فانتقل من

---

(١) وهذا مصطلح كفري خطير لمن عرف مدلولاته، يلغي كثيراً من الثوابت. فالعجب كيف يستخدمه بعض من لا زلنا نظن به الخير متغافلاً عن ما تحته من شرور ؟!

(٢) يقول الأستاذ الفيلسوف! سليمان دنيا في كتابه (الشيخ! محمد عبده بين الفلاسفة والمتكلمين، ص٢٦): "إن الذي لا شك فيه عندي أن الشيخ محمد عبده قد تحيف من حق النصوص، وبالغ في تقدير قيمة العقل". ولبيان انحرافه في هذا الشأن ارجع إلى دراسة الدكتور فهد الرومي: "منهج المدرسة العقلية الحديثة..".

النقيض إلى النقيض، ومن مفسدة إلى أخرى أشد منها ـ كما سيأتي ـ.

ولهذا: فقد أصبحت مهمة محمد عبده بعد أن عاد من المنفى ـ كما يقول الدكتور محمد محمد حسين ـ: "التقريب بين الإسلام وبين الحضارة الغربية، واتخذ اتجاهه هذا أشكالاً مختلفة؛ فظهر أحياناً في صورة مقالات أو مشاريع أو برامج تدعو إلى إدخال العلوم العصرية في الجامع الأزهر. وظهر تارة أخرى في صورة تفسير لنصوص الدين من قرآن أو حديث يخالف ما جرى عليه السلف في تفسيرها، ليقرب بها أقصى ما تحتمله، بل إلى أكثر مما تحتمله في بعض الأحيان من قُرب لقيم الغرب وتفكيره؛ لكي يصل آخر الأمر إلى أن الإسلام يساير حضارة الغرب، ويتفق مع أساليب تفكيره ومذاهبه"[1].

جهود الكفار في نشأة العصرانية وصناعتها:

لقد أذن الإنجليز بعودة محمد عبده من منفاه إلى مصر بعد أن تأكدوا من هجره لأفكاره الثورية السابقة، وتبنيه (الفكر العصراني) المتعاون مع الإنجليز والمهادن لهم. يقول الأستاذ غازي التوبة: "كان الاحتلال الإنجليزي عاملاً أساسياً من عوامل عودة محمد عبده إلى مصر، وقد صرح اللورد كرومر بذلك في كتابه (مصر الحديثة) فقال: "إن العفو صدر عن محمد عبده بسبب الضغط البريطاني.."[2].

لقد كان الإنجليز رغم احتلالهم لمصر يعلمون أن المجتمع المصري لن يقبل بهم وبأفكارهم بسهولة، بل سيظل يجاهدهم ويعمل على الخلاص

(١) الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر (١/٣٣٧) .

(٢) الفكر الإسلامي المعاصر، ص ٣٣. وانظر: تاريخ الأستاذ الإمام ١/٨٩٥.

منهم؛ لأنهم في نظره (كفار) نصارى محتلون لبلاده. فقد كانت الصفوف وقت احتلال الإنجليز لمصر متمايزة: الشعب المصري المسلم ومن خلفه شيوخ الأزهر من جهة، والمحتل الكافر من جهة أخرى.

وهذا التمايز كان يضيق به الإنجليز، ويعلمون أنه يحول بينهم وبين تنفيذ خططهم في (تغريب) البلاد و(علمنتها) وجعلها تتقبل فكرة أن تكون مجرد ولاية تابعة للإمبراطورية البريطانية[١].

والإنجليز ـ أيضاً ـ يعلمون أن الشعب المصري المسلم لم يكن ليتقبل الأفكار العلمانية الصريحة التي ينادي بها المحتل وأعوانه من أقباط مصر أو النصارى العرب القادمين من الشام.

إذاً فالحل هو صنع طائفة جديدة ترتدي المسوح الإسلامية وتقوم بمهمة (تمرير) الأفكار التغريبية العلمانية بين أفراد المجتمع، وخير من سيقوم بهذه المهمة: الشيخ! محمد عبده الذي كان محبطاً من جدوى العمل (الثوري) ـ كما سبق ـ ومن معه من النبهاء أصحاب الطموح السياسي أو أصحاب الشذوذ الفكري[٢]. يقول الدكتور محمد محمد حسين ـ رحمه الله ـ بأن المستعمر الإنجليزي قام لأجل ذلك بـ"تربية جيل من المصريين العصريين الذين يُنشؤن تنشئة خاصة تقربهم من الأوربيين ومن الإنجليز على وجه الخصوص، في طرائق السلوك والتفكير..."[٣]

---

(١) يقول الدكتور محمد محمد حسين: "كان للإنجليز في كل سياستهم هدفٌ واحد، وهو الارتباط مع المصريين بمعاهدة، وإنشاء علاقة مستقرة أساسها الود والتفاهم بين السادة والعبيد" (الاتجاهات الوطنية، ٢/٤٢٦).

(٢) لا يعدو أصحابه هذين الوصفين: فهم إما (طامح) وإما (شاذ). وتأمل حال العصرانيين الجدد تعرف صدق مقولتي!

(٣) الإسلام والحضارة الغربية ، ص ٤٥.

وقال الدكتور مبيناً خطورة المهمة التي قام بها محمد عبده ومدرسته العصرانية: "وخطر التطوير على الإسلام وعلى المجتمع الإسلامي يأتي من وجهين: فهو إفساد للإسلام يُشوّش قيمه ومفاهيمه الأصيلة بإدخال الزيف على الصحيح، ويثبت الغريب الدخيل ويؤكده. فبعد أن كان الناس يشاركون في تصاريف الحياة، وهم يعرفون أن هذا الذي غُلبوا على أمرهم فيه ليس من الإسلام، والأمل قائم في أن تجيء من بعدُ نهضة صحيحة ترد الأمور إلى نصابها عند الإمكان، يصبح الناس وهم يعتقدون أن ما يفعلونه هو الإسلام. فإذا جاءهم من بعدُ من يريد أن يردهم إلى الإسلام الصحيح أنكروا عليه ما يقول، واتهموه بالجمود والتمسك بظاهر النصوص دون روحها"[1].

- كانت عملية صناعة الطائفة (العصرانية) تتم من خلال الصالونات التي انتشرت بعد الاحتلال الإنجليزي، لا سيما صالون الأميرة (نازلي فاضل)[2] التي كانت ـ كما يقول الشيخ محمد بن إسماعيل ـ المرأة "الوحيدة التي تختلط بالرجال وتجالسهم في صالونها

---

(١) السابق، ص ٥٢.

(٢) هي الأميرة نازلي فاضل ابنة الأمير مصطفى فاضل باشا ابن إبراهيم باشا، الذي كان يرى بأنه الأحق بعرش مصر من أخيه الخديو إسماعيل ابن إبراهيم باشا الذي سعى لدى السلطان العثماني لجعل ملك مصر فيه وفي ذريته، فحرم أخاه مصطفى من العرش. ولهذا كانت نازلي تحقد على هذه الأسرة وتتعاون ضد الإنجليز ضدها بواسطة صالونها الذي افتتحته بعد عودتها من الخارج وتحت رعاية الإنجليز وتوجيههم. وهي ــ كما هو معلوم ــ التي شجعت المرأة المصرية على "التحرر". هلكت عام ١٩١٤م. انظر عنها: "مذكرات سعد زغلول" (٦٤/١ وما بعدها)، و" الحركة النسائية الحديثة" د. إجلال خليفة (ص٢٧)، و"الحركات النسائية وصلتها بالاستعمار" (ص٧٢)، و"عودة الحجاب" (٣٧/١ وما بعدها). و"حجاب المسلمة .." للبرازي.

الـذي افتتحتـه آنـذاك ليكـون مركـزاً تُبـث منـه الـدعوة إلى التغريب.."[1] فكان صالونها شبكة صيد لكل طامح نابه مؤهل لتأدية الدور "العصراني" الذي سيقوم به! وكانت هذه الصناعة تتم تحت نظر المندوب الإنجليزي في مصر (اللورد كرومر) الذي كان من خلال هذا الصالون كما يقول الدكتور رفعت السعيد "يعايش الصفوة المختارة من المصريين ويتحسس طريقه نحو اختيار أكثرهم صلاحية"[2]، وقد وجد بغيته وصيده في الشيخ! محمد عبده وتلاميذه المتأثرين به.

يقول الدكتور فهمي الشناوي عن الثعلب كرومر: "ابتداء من ١٩٠٥م بدأ أخطر وأخبث حيلة؛ حيث ابتدأ في اصطياده نبهاء الأمة الإسلامية في شبابهم، ليلتقطهم ويسند إليهم مناصب كبيرة تخدم خط تكوين قومي على حساب الأمة: التقط سعد زغلول[3] وأسند إليه وزارة المعارف ١٩٠٦م أهم الوزارات. والتقط الشيخ محمد عبده وجعله مفتي للديار، وبذلك ضمن أولاً تفريغ صفوف الأمة الإسلامية من رجالها ونقلهم إلى صف التفاهم مع الغرب، والتفاوض مع الغرب، واتخاذ الغرب نموذجاً ولو جزئياً ولو ثقافياً.

وأنشأ لنفسه مكاتب وصالونات تروج لفكرة اصطياد نبهاء الأمة ـ مثل صالون الأميرة ناظلي فاضل، وتم اصطياد لطفي السيد الذي اندفع اندفاعا أعمى ضد الأمة بمقولة "مصر للمصريين" أي ليست للإسلاميين

---

(١) عودة الحجاب (٣٦/١).

(٢) سعد زغلول بين اليمين واليسار، ص ٢٣.

(٣) يقول الدكتور حسين النجار عنه: "وفي صالون الأميرة نازلي كان أول لقاء له مع لورد كرومر" (سعد زغلول: الزعامة والزعيم، ص١٦).

حتى لو صارت للقبط ما داموا مصريين! وأسموه فيلسوفاً دون أن تكون له أدنى علاقة بالفلسفة.

واصطاد عبد العزيز فهمي حتى أصبح قاضي قضاة مصر، ولكن بالقانون النابليوني لا بالشريعة!.

واصطاد قاسم أمين الذي روج بدعوى مساواة المرأة إلى خلخلة تقاليد وأعراف المجتمع الإسلامي[(١)].

واصطاد عبد الرحيم باشا الدمرداش ليجعل للصوفية على الوعي السياسي الإسلامي قدحا معلى.

واصطاد خلفاؤه من بعد نبهاء؛ أمثال عبد الخالق ثروت وطه حسين، وعناصر قبطية؛ مثل البروتستانتي مكرم عبيد سكرتير المستشار القضائي، الذي وصل لقمة الحركة الوطنية، واليهودي رينيه قطاوي الذي وصلوا به إلى وزير مالية لسعد زغلول وزوجته وصيفة للسراي، ومئات غير هؤلاء. وهذا كله لصياغة مجتمع جديد من عجينة جديد"[(٢)].

ويقول الأستاذ أنور الجندي ـ رحمه الله ـ: "لقد كان الاستعمار حريصاً على صنع طبقة خاصة من المثقفين، عمل كرومر على إعدادها ووعدها بأن تتسلم قيادة الأمة بعد خروج الإنجليز"[(٣)] لعلمه بأن المجتمع

(١) بل أحكام الشريعة؛ لأن الأمور التي أراد قاسم ومن معه التنصل منها هي أحكام شرعية وليست تقاليد أو أعرافاً. وإلا لهان الأمر.

(٢) بحث بعنوان "تطور الفكر الإسلامي في مصر، ودور اللورد كرومر" منشور ضمن أبحاث: الندوة العالمية عن فكر المسلمين السياسي خلال الحقبة الاستعمارية، بالمعهد الإسلامي، لندن، ١٩٨٦م ، ص ١١.

(٣) عقبات في طريق النهضة ، ص ٥٩.

المسلم قد يتقبل من هذه الطائفة المتدثرة باللباس الإسلامي ما لا يتقبله من الاحتلال أو من العلمانية.

أما عن الأفكار التي كان الاحتلال يريد ترويجها بين المسلمين عن طريق الطائفة (العصرانية) بقيادة الشيخ ! محمد عبده فهي:

١-التقريب بين المسلمين والكفار، وقد ابتدأت جهود محمد عبده في هذا الأمر عندما كان منفياً في بيروت حيث أسس جمعية للتقريب بين الأديان ـ كما سبق ـ ومن أقواله: "نستبشر بقرب الوقت الذي يسطع فيه نور العرفان الكامل، فتهزم له ظلمات الغفلة، فتصبح الملتان العظيمتان: المسيحية والإسلام وقد تعرفت كل منهما على الأخرى، وتصافحتا مصافحة الوداد، وتعانقتا معانقة الألفة، فتغمد عند ذلك سيوف الحرب التي طالما انزعجت لها أرواح الملتين"[١]!.

ويقول لتلميذه رشيد رضا: "إن التقريب بين الأديان مما جاء به الدين الإسلامي"[٢].

٢-إماتة روح الجهاد في الأمة الإسلامية، وهو أمر مترتب على السابق، يقول الدكتور فهد الرومي: "لعل أول ثمرة يجنيها أولئك القوم في سعيهم إلى التقريب بين الأديان: القضاء على فكرة الجهاد في الإسلام. فما دامت الأديان الثلاثة كلها حق، وليس بينها من فرق، فليس هناك من داعٍ لحمل السيف وإعلان الجهاد ضد النصارى مثلاً"[٣].

---

(١) الأعمال الكاملة (٢/٣٦٣-٣٦٤).

(٢) السابق (٣/٥٣٣).

(٣) منهج المدرسة العقلية ، ص١٣٩.

قلت: ولهذا كان محمد عبده يرى بأن الجهاد في الإسلام هو للدفاع فقط! ويقول: "القتال فيه ـ أي الإسلام ـ لرد اعتداء المعتدين على الحق وأهله"[١]. وهكذا كان رأي تلاميذه من بعده[٢].

بل لم تقتصر محاولة إماتة الجهاد عند محمد عبده على بلاد مصر فقط بل كان يرسل النصائح بذلك إلى علماء الجزائر المحتلة حينذاك من فرنسا!

ومن ذلك قوله للشيخ الجزائري عبد الحميد سمايا سنة ١٩٠٣م بعد أن نصحه: "الناس محتاجون إلى نور العلم، والصدق في العمل، والجد في السعي؛ حتى يعيشوا في سلام وراحة مع من يجاورهم من أهل الأمم الأخرى"[٣]!! فالمهم عند عبده ومن سيتبعه من العصرانيين! "أن يعيش في سلام وراحة" وإن كانت بلاده محتلة مستعبدة من عبّاد الصليب!.

والعجب لا ينقضي من حال محمد عبده، الذي انعكست الأمور عنده، فجعل جهده وجهاده ـ كما سبق ـ في تهييج المسلمين على ولي أمرهم، والمساهمة في الخروج عليه. وهو أمر لا يقره الشرع. ثم تجده هنا عندما احتاج المسلمون إلى جهاد الكافر المحتل، وهو أمر شرعي، يثبط عن ذلك ويرضى بالمسالمة ! فحُق أن يقال له ما قاله أبو الطيب:

ووضع الندى في موضع السيف بالعلى
مضر كوضع السيف في موضع الندى!

---

(١) الأعمال الكاملة (٣/٢٦٠).

(٢) انظر فتوى تلميذه رشيد رضا بذلك في فتاواه (٣/٨٩٢، ١١٥٥). وللشيخ عبد الله بن يابس رحمه الله تعقب عليه نُشر في "المنار" (المجلد ٣٤ الجزء ٢ ص١٤٠-١٤٣) .

(٣) الشيخ محمد عبده في أخباره وآثاره، د. رحاب عكاوي ، ص ٦١-٦٢.

٣- الدعوة إلى الوطنية الإقليمية، وعزل مصر عن العالم الإسلامي. ولمحمد عبده في هذا المقام أقوال كثيرة تؤسس لمثل هذه الفكرة الجاهلية التي تطورت من بعد على يد تلاميذه؛ لاسيما أحمد لطفي السيد صاحب شعار "مصر للمصريين"!.

ومن ذلك: قول محمد عبده: "يا أبناء الوطن: لئن فرق بينكم اختلاف الآراء، وتنوع المشارب، وتلون التصورات، فقد وجدتم في الجامعة الوطنية ما تأتلفون به وتجتمعون عليه.."[(١)].

ثم تبنت الثورة العرابية التي هي ثمرة أفكار العصرانيين هذه الوطنية الجاهلية. يقول الدكتور فهمي الشناوي: "الثورة العرابية هي مأساة إجهاض الأمة الإسلامية؛ حيث انتهت بانفصال مصر عن الخلافة، وبدأت تتكون مصر كوطن.."[(٢)].

٤- الدعوة إلى "تطوير الإسلام لكي يوافق الأمر الواقع في حياتنا العصرية"[(٣)] من خلال: فتح باب الاجتهاد على مصراعيه؛ حتى دخل منه القادر وغير القادر، وصاحب الورع وأصحاب الهوى؛ فظهرت الفتاوى الشاذة من جراء ذلك[(٤)].

يقول الدكتور محمد محمد حسين ـ رحمه الله ـ: "إن الاجتهاد في حال افتتاننا بالحضارة الغربية خطر غير مأمون العواقب؛ يخشى معه أن يتحول ـ من حيث لا يدري المجتهد إن وجد ومن حيث لا يدري ـ إلى

---

(١) الأعمال الكاملة (١/٣٤٢).

(٢) تطور الفكر الإسلامي في مصر ..، بحث سابق، ص ١٠.

(٣) الإسلام والحضارة الغربية، ص ٤٩.

(٤) وأكثرها ــ لمن تأمل ــ فتاوى "شهوانية"!

تسويغ للقيم الأجنبية التي هو معجب بها. فإذا لم يكن معجباً بها فالمجتمع الذي هو معجب بها لا يقبل اجتهاده، بل لا تزال تتناوله ألسن السفهاء من جُهاله الذي يتصدون لإبداء الرأي فيما يعرفون وفيما يجهلون حتى يفقد ثقته في نفسه، ويعتبر به غيره، فيفتي حين يُستفتى وعينه على الذين يفتيهم يريد أن يرضيهم، وأن يظفر بتقديرهم وتقريظهم، فيجور على الحق إرضاء للخلق، ويذهل عما عند الله تعجلاً لما عند الناس"(١).

قلت: وللشيخ! محمد عبده نصيب كبير من هذه الفتاوى (العصرية) التي طوعت أحكام الإسلام لما يريده المحتل الأجنبي أو ما يريده أهل العصر؛ كفتواه بإباحة ربا صناديق التوفير، وإباحة ذبائح النصارى التي يضربونها بالبُلط ولا يذكرون عليها اسم الله! ولدى العصرانيين في كل زمان ومكان مزيد !(٢).

يقول الدكتور محمد محمد حسين معلقاً على فتاوى عبده: "مثل هذه الآراء قد تبدو في ظاهرها لا بأس بها، ولا غبار عليها، بينما هي في حقيقة الأمر تدعو إلى مذهب التحرر (Liberalism) الذي يذهب في التسامح الديني إلى درجة تكاد تنمحي معها الحدود الفاصلة بين

---

(١) السابق، ص ٥١.

(٢) وهذا يذكرنا بموقف أحد تلاميذ المدرسة العصرانية؛ وهو الشيخ! محمد مصطفى المراغي حين كان رئيس المحكمة العليا الشرعية فكان يقول لأعضاء لجنة تنظيم الأحوال الشخصية:"ضعوا من المواد ما يبدو لكم أنه يوافق الزمان والمكان وأنا لا يعوزني بعد ذلك أن آتيكم بنص من المذاهب الإسلامية يطابق ما وضعتم" !!! (المجددون في الإسلام، لعبد المتعال الصعيدي، ص ٥٤٨).

وذكر الأستاذ محمد مصطفى رمضان في كتابه "الشعوبية الجديدة، ص ١١٨ أن محمود شلتوت كان يفتي حسب رغبة جمال عبد الناصر!.

المذاهب والنحل"[١]. وهذا كلام نفيس يغيب عن السذج الذين ينظرون إلى مثل هذه الآراء على أنها مسائل فقهية مجردة.

٥- الدعوة إلى تحرير المرأة المسلمة، وهو هدف أساس لدى الكفار في كل حين وآن، وقد قام الشيخ! محمد عبده ومدرسته بتحقيقه أيما تحقيق.

أما الشيخ! فقد صدرت مجلة (السفور) بإشارة منه[٢]. وقد شارك مشاركة فعالة في تأليف كتاب (تحرير المرأة) لتلميذه قاسم أمين كما أثبت ذلك بعض الباحثين[٣]. وأما تلاميذه فقد اشتطوا أكثر منه في هذه القضية؛ فتلميذه قاسم بعد ست سنوات من تأليفه (لتحرير المرأة) كشر عن أنيابه وأبان عن حقيقة فكرته التغريبية في كتابه الآخر (المرأة الجديدة) "الذي بدأ فيه أثر الحضارة الغربية واضحاً"[٤] "وبينما كنت تراه هادئا في كتابه الأول، يحوم حول النصوص الإسلامية، ويمتص رحيقها لتعضيد مواقفه في المطالبة بحقوق المرأة، انقلب في الكتاب الثاني يسلط حمم غضبه ويستعمل عبارات قاسية في التعبير عن رأيه، عبارات لا تقرها المرأة ذاتها. فهو لا يقبل بزعمه: حق ملكية الرجال للنساء!"[٥].

وتلميذه الآخر سعد زغلول كان من المؤيدين بشدة لهذه الفكرة

(١) الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر (٢/٣٤٣).

(٢) انظر: "الإمام محمد عبده" لمجموعة من المحررين ضمن سلسلة: نوابغ العرب، ص١٠٦.

(٣) انظر مقدمة الأعمال الكاملة لمحمد عبده، للدكتور محمد عمارة (١/٢٤٥ وما بعدها).

(٤) عودة الحجاب ، ص ٦٢.

(٥) السابق، ص ٦٣.

وكان ـ كما يقول الشيخ محمد بن إسماعيل ـ: "المنفذ الفعلي لأفكار قاسم أمين"[١] وذلك بواسطة زوجته صفية التي كانت من أوائل المتحررات.

وأما لطفي السيد، فقد قال الدكتور حسين النجار: "حظيت دعوة قاسم أمين لتحرير المرأة من تأييد لطفي السيد بما لم تحظ به من كاتب أو صحفي آخر"[٢].

وقال ـ أيضا ـ: "ويقيم لطفي السيد من دار "الجريدة" منتدى للمرأة تقصده محاضرة ومستمعة"[٣].

قلت: ولذا فقد كتب في جريدته مقالات بعنوان: "قاسم أمين القدوة الحسنة" !! يقول فيها مخاطباً الشباب المصري: "ليعتنق كل عامل منهم أنماط قاسم في حسن تفكيره"[٤].

وأثنى كثيراً على دعوته الفاجرة،[٥] وتطبيقاً من لطفي السيد لهذه الحركة التحريرية للمرأة المسلمة قام (عندما كان مديراً للجامعة المصرية) هو وأصحابه ـ وعلى رأسهم طه حسين! ـ بخطة ماكرة أقروا فيها دخول (البنات) لأول مرة في الجامعة المصرية واختلاطهن في الدراسة بالبنين! فكانوا أول من فعل ودعا إلى هذه الضلالة التي لا زالت تعيشها الجامعة

---

(١) السابق، ص ٨٢. وانظر للتأكيد: "سعد زغلول" لمحمد الجزيري الذي كان سكرتيراً له، ص ٢٠٣-٢٠٩.

(٢) أحمد لطفي السيد، ص ٢٤٣.

(٣) السابق، ص ٢٤٨.

(٤) المنتخبات (١/١١).

(٥) انظر: المنتخبات، (١/٢٦٨ وما بعدها) .

المصرية إلى اليوم، فعليه وزرها ووزر من عمل بها. قال الزركلي في ترجمته: "هو أول من سهَّل للفتيات دخول الجامعة في بدء إنشائها".

وانظر تفاصيل هذه الخطة الخبيثة في كتاب: "أحمد لطفي السيد" للدكتور حسين النجار، ص ٣١٧ وما بعدها.

والخلاصة كما يقول الشيخ ناصر العقل ـ حفظه الله ـ: "تركيز الاتجاهات العقلية الحديثة على إفساد المرأة من الأمور التي أصبح يدركها ويدرك آثارها وخطرها جميع الناس على مختلف مستوياتهم، وقد فعلت وقطعت في ذلك خطوات واسعة، ولا أظنني مبالغاً حين أرى أن نجاح الاتجاهات العقلية في إفساد الأمة والعقيدة والناشئة الإسلامية عن طريق إفساد المرأة أكثر منه عن طريق غيره من الوسائل الأخرى الفكرية والعملية"[1].

كيف صُنعت العصرانية ؟!

لقد استخدم الإنجليز في مصر بقيادة الثعلب كرومر خطة ماكرة في سبيل صناعة الطائفة العصرانية وتقديمها لأبناء المجتمع المصري المسلم كممثل للصوت الإسلامي، وهي في حقيقتها مجرد وسيط ناقل للأفكار العلمانية التغريبية التي ترسخ الوجود الأجنبي والثقافة الغربية. ومن المهم جدًا معرفة نقاط هذه الخطة الماكرة؛ لأنها مما كرره ويكرره الغرب وأذنابه في مختلف بلاد المسلمين. فإليك ما تبين لي منها:

١- الثناء والمديح من الغرب على الطائفة العصرانية: وأنها تمثل (وسطية) الإسلام! واعتداله! فمن ذلك: قول اللورد كرومر عن محمد

---

(١) الاتجاهات العقلانية الحديثة، ص ٤١٨.

عبده ومدرسته: "لما أتيت مصر القاهرة سنة ١٨٨٣م كان الشيخ محمد عبده من المغضوب عليهم لأنه كان من كبار الزعماء في الحركة العرابية. غير أن المغفور له الخديوي السابق صفح عنه طبقاً لما اتصف به من الحلم وكرم الخلق[1] فعين الشيخ بعد ذلك قاضياً في المحاكم الأهلية حيث قام بحق وظيفة القضاء مع الصدق والاستقامة. وفي سنة ١٨٩٩م رقي إلى منصب الإفتاء الخطير الشأن فأصبحت مشورته ومعاونته في هذا المنصب ذات قيمة عظيمة ثمينة لتضلعه من علوم الشرع الإسلامي مع مابه من سعة العقل واستنارة الذهن. وأذكر مثالاً على نفع عمله: الفتوى التي أفتاها في ما إذا كان يحل للمسلمين تثمير أموالهم في صناديق التوفير، فقد وجد لهم باباً به يحل لهم تثمير أموالهم فيها من غير أن يخالفوا الشرع الإسلامي في شيء[2].

أما الفئة التي ينتمي الشيخ محمد عبده إليها من رجال الإصلاح في الإسلام فمعروفة في الهند أكثر مما هي معروفة في مصر ومنها قام الشيخ الجليل السيد أحمد الشهير الذي أنشأ مدرسة كلية في عليكره بالهند منذ ثلاثين عاماً[3]. والغاية العظمى التي يقصدها رجال هذه الفئة هي إصلاح عادات المسلمين القديمة من غير أن يزعزعوا أركان الدين الإسلامي أو يتركوا الشعائر التي لا تخلو من أساس ديني. فعملهم شاق وقضاؤه عسير: لأنهم يُسْتهدفون دائماً لسهام نقد الناقدين وطعن الطاعنين من الذين يخلص بعضهم النية في النقد ويقصد آخرون قضاء

---

(١) كرومر يكذب! بل الذي صفح عنه هم الإنجليز بضغوط على الخديوي ــ كما سبق ــ.

(٢) !! بل خالفوه، وتحريم الربا مما لا يجهله مسلم، ولكنه اتباع الهوى.

(٣) هو سيد أحمد خان، المتوفى سنة ١٣١٥هـ ــ ١٨٩٨م. دعا إلى تقليد الحضارة الغربية.

أغراضهم وحك حزازات في صدورهم فيتهمونهم بمخالفة الشرع وانتهاك حرمة الدين.

أما مريدو الشيخ محمد عبده وأتباعه الصادقون فموصوفون بالذكاء والنجابة ولكنهم قليلون، وهم بالنظر إلى النهضة الملية بمنزلة الجيروندست في الثورة الفرنسوية، فالمسلمون المتنطعون المحافظون على كل أمر قديم يرمونهم بالضلالة والخروج عن الصراط المستقيم، فلا يكاد يؤمل أنهم يستميلون هؤلاء المحافظين إليهم ويسيرون بهم في سبيلهم. والمسلمون الذين تفرنجوا ولم يبق فيهم من الإسلام غير الاسم مفصولون عنهم بهوة عظيمة. فهم وسط بين طرفين، وغرض انتقاد الفريقين عن الجانبين، كما هي حال كل حزب سياسي متوسط بين حزبين آخرين، غير أن معارضة المحافظين لهم أشد وأهم من معارضة المصريين المتفرنجين إذ هؤلاء لا يكاد يسمع لهم صوت.

ولا يدري إلا الله ما يكون من أمر هذه الفئة التي كان الشيخ محمد عبده شيخها وكبيرها، فالزمان هو الذي يظهر ما إذا كانت آراؤها تتخلل الهيئة الاجتماعية المصرية أولا، وعسى الهيئة الاجتماعية أن تقبل آراءها على توالي الأيام، إذ لا ريب عندي في أن السبيل القويم الذي أرشد إليه المرحوم الشيخ محمد عبده هو السبيل الذي يؤمل رجال الإصلاح من المسلمين الخير منه لبني ملتهم إذا ساروا فيه. **فأتباع الشيخ حقيقون بكل ميل وعطف وتنشيط من الأوربيين**"[1].

وقال أيضاً: "إن حزب الشيخ محمد عبده هو الحزب المعتدل في

---

(١) مجلة المنار (المجلد الحادي عشر، الجزء الثاني، ص ٩١).

مصر"[١].

وقال عنه أيضاً: "وكان لمعرفته العميقة بالشريعة الإسلامية، ولآرائه المتحررة المستنيرة أثرها في جعل مشورته والتعاون معه عظيم الجدوى"[٢].

ويقول الأستاذ سيد يوسف في كتابه (الإمام محمد عبده رائد الاجتهاد..، ص٦٧): "أدرك كرومر منذ البداية دور التهدئة الذي يمكن أن يقوم به محمد عبده؛ فأثنى عليه، وتظاهر له بتشجيع مشاريعه وطموحاته..".

ويقول أحد المستشرقين عن محمد عبده: "يعد من أشهر الشخصيات المحترمة في تاريخ الإسلام الحديث..... إن كتابات الشيخ محمد عبده تمتاز بشيء من الجدة في روحها ... إلخ المديح"[٣].

ويقول الدكتور الإنجليزي ادوارد براون عنه: "ما رأيت في الشرق ولا في الغرب مثله"[٤]!!.

يقول الدكتور محمد محمد حسين عن محمد عبده: "كثرة من النصوص في كتب ساسة الغرب ودارسيه تصور رأيهم فيه وفي مدرسته وتلاميذه ومكانه من الفكر الحديث، وهي جميعاً تتفق على تمجيده والإشادة به وبما أداه للاستعمار الغربي من خدمات؛ بإعانته على تخفيف حدة العداء بينه وبين المسلمين.."[٥].

---

(١) السابق (ص ٢٠٣).

(٢) تقريره السنوي عن عام ١٩٠٥م، الفقرة (٧). انظر: "الإسلام والحضارة الغربية"، ص ٧٤.

(٣) وجهة الإسلام ، ص ٤٩.

(٤) مجلة المنار، المجلد ٢٣، الجزء ٨، ص ٦٠١ .

(٥) الاتجاهات الوطنية الحديثة في الأدب المعاصر (٣٢٨/١).

٢- تسليط الأضواء عليهم وتلميعهم عبر وسائل الإعلام!

يقول الدكتور محمد محمد حسين ـ رحمه الله ـ في كلام خطير ينبغي تأمله: "والواقع أن كثيراً من هؤلاء الرجال ـ أي العصرانيين ـ قد أحيطوا بالأسباب التي تبني لهم مجداً وذكراً بين الناس، ولم يكن الغرض من ذلك هو خدمتهم، ولكن الغرض منه كان ولا يزال هو خدمة المذاهب والآراء التي نادوا بها، والتي وافقت أهداف الاستعمار ومصالحه. فقد أصبح يكفي في ترويج أي مذهب فاسد في تأويل الإسلام ـ كما لاحظ جب في كتابه (Modern Trends in Islam) أن يقال: إنه يوافق رأي فلان أو فلان من هؤلاء الأعلام. ويكفي في التشهير بأي رأي سليم أن يُنسب إلى ضيق الأفق، الذي لا يلائم ما اتصف به هذا أو ذلك من سعة الأفق والسماحة وصحة الفهم لروح الإسلام، على ما تزعمه الدعايات. وليس مهماً أن يكون ذلك عن حسن قصد منهم أو عن سو قصد، وليس مهماً أن يكون الاستعمار هو الذي استخدمهم لذلك، ووضع على ألسنتهم وأقلامهم هذه المذاهب والآراء، أو أن تكون هذه الآراء قد نشأت بعيدة عن حضانته ورعايته، ثم رآها نافعةً له، فاستغلها وعمل على ترويجها. المهم في الأمر هو أن المجد الذي ينسب لهؤلاء الأفراد ليس من صنعهم ولا هو من صنع الشعوب التي عاشوا فيها، ولكنه من صنع **القوى التي استخدمتهم أو التي تريد أن تستغلهم**، سواء كانت هذه القوى هي الاستعمار أو هي الصهيونية العالمية بمختلف وسائلها وأجهزتها.

وخطة الاستعمار والصهيونية العالمية في ذلك كانت تقوم ـ ولا تزال ـ على السيطرة على أجهزة النشر التي نسيمها الآن (الإعلام)،

وإلقاء الأضواء من طريقها على كتاب ومفكرين من نوع خاص، يُبْنَون ويُنَشَّؤن بالطريقة التي يُبْنى بها نجوم التمثيل والرقص والغناء، بالمداومة على الإعلان عنهم، والإشادة بهم، وإسباغ الألقاب عليهم، ونشر أخبارهم وصورهم. وذلك في الوقت الذي يُهمل فيه الكتاب والمفكرين الذين يصورون وجهات النظر المعارضة، أو تشوَّه آراؤهم وتُسفَّه، ويُشهَّر بهم. ثم هي تقوم على تكرار آرائهم آناً بعد آن لا يملون من التكرار؛ لأنهم يعلمون أنهم يخاطبون في كل مرة جيلاً جديداً، أو هم يخاطبون الجيل نفسه، فيتعهدون بالسقي البذور التي ألقوها من قبل"[1].

قلت: وهذا كلامٌ نفيس من رجل خبر القوم، فتأمله وطبقه على الواقع!.

ويقول ـ رحمه الله ـ متحدثاً عن رأسي العصرانية في هذا الزمان: الأفغاني وعبده، وهو حديث ينطبق على مدرستهما: "كان من وراء الأفغاني ومحمد عبده كليهما قوتان كبيرتان تعملان على ترويج آرائهما، وإعلاء ذكرهما، وهما: الماسونية ـ قمة الأجهزة الصهيونية السرية ـ والاستعمار. وقد نجحت هاتان القوتان في تدعيم زعامتهما الفكرية والدينية في المجتمع الإسلامي كله، وفي إضعاف أثر أعدائهما الكثيري العدد من علماء الإسلام المعاصرين، وحجب ما كتبوه عن جمهور القراء، فلم يمض على موت محمد عبده أكثر من ربع قرن حتى أصبح الأزهر ـ موطن المعارضة الأصيل لمحمد عبده وللأفغاني ـ عامراً بأنصارهما الذين يحملون لواء الدعوة إلى (التجديد) وإلى

---

(١) الإسلام والحضارة الغربية، ص ٤٨.

(العصرية)"[١]

٣- تشجيعهم ودعمهم في تولي المناصب المهمة:

يقول الدكتور محمد محمد حسين رحمه الله: "وقد ظل أصدقاء محمد عبده وأنصار دعوته يكثرون بما يلقون من تشجيع الإنكليز، الذين كانوا يمكنون لهم في إدارات الحكومة وفي مناصب الدولة الكبرى"[٢].

ويقول اللورد كرومر: "إنني قدمت لمحمد عبده كل تنشيط استطعته مدة سنين كثيرة، ولكنه عمل شاق، فضلاً عن العداء الشديد الذي كان يلاقيه من المسلمين المحافظين، كان لسوء الحظ على خلاف كبير مع الخديو، ولم يتمكن من البقاء في منصب الإفتاء، لولا أن الإنكليز أيدوه بقوة"[٣].

وأما سعد زغلول فقد اختاره اللورد كرومر ـ كما سبق ـ وزيراً للمعارف[٤]. وكان سعد يقول عن اللورد كرومر ـ كما في مذكراته ـ: "كان يجلس معي الساعة والساعتين، ويحدثني في مسائل شتى كي أتنور منها في حياتي السياسية"![٥].

---

(١) السابق ، ص ٨٠.

(٢) الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر (٣٥٣/١).

(٣) مجلة المنار، المجلد ١١، الجزء ٢، ص ٩٥.

(٤) يقول الدكتور رفعت السعيد عن كرومر: "صاحب القول الفصل والكلمة الحاسمة في اختيار سعد وزيرًا" (سعد زغلول بين اليمين واليسار، ص ٣٠). ويقول الدكتور عبد الخالق لاشين: "تكاد تتفق المصادر على اختلاف نزعاتها على أن كرومر هو الذي كان وراء تعيين سعد زغلول" "سعد زغلول ودوره في السياسة المصرية"، ص٤٧. وانظر: "سعد زغلول الزعامة والزعيم" للنجار، ص ١٦. ومقال "حرب الكلمة ومخططات كرومر ودنلوب وزويمر ضد الإسلام" لأنور الجندي رحمه الله، منشور في مجلة منار الإسلام، العدد ١٥، ١٤٠٩هـ.

(٥) عن: عودة الحجاب، ص ٨٥.

وبعد وفاة محمد عبده استمر الدعم لتلاميذه وتياره الذي تمثل في حزب "الأمة". يقول أحد الباحثين الأجانب: "لقد تلقى حزب الأمة عونًا حقيقياً وأكيدًا من اللورد كرومر"[١].

العصرانية والعلمانية وجهان لعملة واحدة!

من تأمل جيدًا أهداف وأفكار (العصرانيين) وجدها نفسها أهداف وأفكار (العلمانيين)، وإنما الفارق شكلي: وهو أن (العصرانيين) قدموا أفكارهم بعد أن غلفوها وألبسوها اللباس (الشرعي)، وأما (العلمانيون) فلم يفعلوا هذا.

فالطائفتان تلتقيان في نهاية الأمر حول أهداف واحدة: كالتقارب بين الأديان، والدعوة للديمقراطية الغربية، والتهوين من شأن الحكم بما أنزل الله، والتحايل على إسقاط أحكام الشريعة؛ لاسيما الحدود، والدعوة إلى تحرير المرأة.. الخ.

لهذا: فإن عقلاء الباحثين ممن ينظرون إلى مآل الأفكار لا حاضرها؛ سواء كانوا من الإسلاميين أم من غيرهم لم يخفاهم هذا الالتقاء بين الطائفتين، ورأوا أن الطائفة العصرانية إنما هي بوابة وقنطرة للعلمانية، وأنه لا مكان في جميع الأفكار التي طرحوها للون الرمادي الذي يزعمون أنهم يتبنونه، وأنه وسط بين الأبيض والأسود، فهذا اللون ـ في الحقيقة ـ لا يوجد إلا في الأذهان، أما في أرض الواقع فلا مجال إلا بالتزام أحكام الإسلام وهو اللون الأبيض، أو اللحاق بركب العلمانيين، وهو اللون الأسود. ومن ادعى أنه سيسير بينهما فهو واهم،

---

(١) عن: سعد زغلول بين اليمين واليسار" ، ص ٤٠.

وعن قريب هو صائر إلى أحدهما كما حدث لتلاميذ المدرسة العصرانية؛ حيث انضم أكثرهم إلى العلمانية (الخالصة)، وتراجع قلة منهم عندما عرفوا مصير السير وراء الأفكار التوفيقية الرمادية؛ كرشيد رضا[١].

١- يقول الدكتور محمد جابر الأنصاري واصفاً وضع المدرسة العصرانية: "فالحاصل إن إدخال الأفكار الوافدة ـ بعد تشذيبها ـ ضمن المركب التوفيقي لا يضمن أنها ستبقى دون تأثير خطير، وأنها ستظل منضبطة بالحدود الاعتقادية الدينية. فهي نظراً لكونها جزيئات من حضارة أخرى ذات محتوى اعتقادي مغاير، فإنها تحتفظ في باطنها بطبيعتها الأصلية الخاصة المعدية، والمباينة للطبيعة الإسلامية، وتتحرك ـ بوعي أو دون وعي من التوفيقيين (أي العصرانيين) الذين قبلوها بشروطهم وضوابطهم ـ تتحرك حسب منطقها الذاتي وقوانينها الحركية الوافدة معها من كيانها الحضاري الأول، إلى أن تخلق دينامية مستقلة تؤثر على المركب الفكري التوفيقي كله وتوجهه وجهة جديدة لم تكن في حسبان التوفيقيين في البداية، أو تخل بالمعادلة كلها لتشق طريقها في تيار متميز خارج مجرى التوفيق. هذا إذا لم تنشطر التوفيقية إلى نقيضيها نتيجة لذلك.

وهذا ما يفسر خروج أشهر العلمانيين في الفكر العربي مثل لطفي السيد وطه حسين من تحت العباءة التوفيقية للشيخ محمد عبده"[٢].

٢- ويقول ألبرت حوراني عن محمد عبده: "كان يريد أن يقيم سدًا

(١) ومع هذا، بقيت فيه (لوثة) من لوثاتهم. وليس هذا مقام التفصيل.

(٢) الفكر العربي وصراع الأضداد ، ص ٢٦٢.

في وجه الاتجاه العلماني يحمي المجتمع الإسلامي من طوفانه، ولكن الذي حدث هو أن هذا السد قد أصبح قنطرة للعلمانية عبرت عليها إلى العالم الإسلامي؛ لتحتل المواقع واحدًا تلو الآخر، ثم جاء فريق من تلاميذ محمد عبده وأتباعه فدفعوا نظرياته واتجاهاته إلى أقصى العلمانية"[١].

٣- ويقول الدكتور محمد كامل ضاهر: "أعطى الشيخ محمد عبده تشجيعاً كبيراً للعلمانيين ومنطلقاتهم الفكرية، بل إنهم اعتمدوا على الكثير من آرائه لدعم اتجاهاتهم وحركتهم في مجتمع مشبع بالقيم والتقاليد الدينية الراسخة. فماذا يطلب العلمانيون أكثر من رأيه في السلطتين الزمنية والدينية؟! ونظرته إلى العقل، ودوره في تنظيم شؤون الحياة والمجتمع؟ ورأيه في المرأة وفي كثير من المسائل المالية والاجتماعية التي اجتهد فيها لمصلحة الأمة والوطن والفقراء من الناس، وليس للمصالح الفردية؟. وإذا صح أن معظم ما كتبه قاسم أمين عن المرأة هو من بنات أفكار عبده فذلك يعني أن الرجل أصبح في أخريات عمره مشبعاً بالأفكار العلمانية الغربية ومتحمساً لها، حتى أنه كان في طليعة الدعاة لإنشاء الجامعة الأهلية المصرية التي افتتحت عام ١٩٠٨. لقد تركزت استراتيجيته الحقيقية على إحياء حقائق الإسلام على ضوء الفكر الحديث، وعلى جعل الأخلاق قاعدة الحياة الاجتماعية والفكرية الجديدة في مصر، دون أن يحاول استئصال الماضي أو إحيائه كلياً، بل اعتمد هذا الماضي كأساس لبناء مجتمع متطور توفره ثقافة الغرب

---

(١) عن: الإسلام والحضارة الغربية، لمحمد حسين، ص ٧٨-٧٩.

العقلية وعلومه الحديثة.

وإذا كان عبده قد حاول أن يكون سدًا منيعاً أمام العلمانية المادية التي حملها المهاجرون الشوام المسيحيون إلى مصر، **فإن ما طرحه من أفكار تنويرية جعل معظم العلمانيين المسلمين يتخذون من أفكاره سلاحاً يدافعون به عن معتقداتهم الهادفة إلى علمنة كاملة للمجتمع الإسلامي العربي**، وفي طليعتهم قاسم أمين وأحمد لطفي السيد ومحمد حسين هيكل وزملاؤه في حزب الأمة"[١].

٤- ويقول النصراني (جب) عن محمد عبده: "إن ما أثر على نفوس قرائه العلمانيين: تلك الروح التي عالج بها مسائل العقيدة والتطبيق؛ لاسيما القوة التي حارب بها التعليم التقليدي"[٢].

٥-ويقول الدكتور أحمد عبد الرحيم مصطفى في كتابه (تاريخ مصر السياسي)[٣] عن محمد عبده وتلاميذه بأنهم: "كانوا أكثر فعالية من كل العلمانيين الصرف"!.

٦- ويقول الأستاذ نعيم عطية: "ولا شك في أن محمد عبده لعب دوراً رئيسياً في محاولة التوفيق بين المبدأ الديني والعلم، وبذلك أعطى العقل سندًا قوياً منتصراً له على التقليد. وفتح في الخط الديني الملتزم ثغرة كبرى أتيح بفضلها للتيار العلمي أن يدخل حلبة الصراع الفكري ويثبت أقدامه قوة قائمة بذاتها. **وكان طبيعياً بالتالي أن يتحول التيار العلمي على صعيد العمل السياسي البحت إلى دعوة للعلمانية وفصل**

---

(١) الصراع بين التيارين الديني والعلماني في الفكر العربي الحديث، ص ١٩١-١٩٢.

(٢) الاتجاهات الحديثة في الإسلام، ص ٧١.

(٣) ص ٤٧.

الدين عن الدولة"[١].

٧- ويقول الشيخ سفر الحوالي[٢]: "لم يكن محمد عبده علمانياً، ولكن أفكاره تمثل بلا شك حلقة وصل بين العلمانية الأوربية والعالم الإسلامي، ومن ثم فقد باركها المخطط اليهودي الصليبي، واتخذها جسرًا عبر عليه إلى علمانية التعليم والتوجيه في العالم الإسلامي، وتنحية الدين عن الحياة الاجتماعية، بالإضافة إلى إبطال العمل بالشريعة والتحاكم إلى القوانين الجاهلية المستوردة، واستيراد النظريات الاجتماعية الغربية. وهو قائم جميعه تحت ستار الإصلاح أيضاً. أما الجماهير الإسلامية فقد اتخذت أفكار (الشيخ) الإصلاحية مبررًا نفسيًا لتقبلها للتغيير العلماني"[٣].

٨- ويقول الشيخ ناصر العقل عن محمد عبده وتلاميذه: "لهم آراء ومناهج ليست علمانية (صريحة) لكنها في سبيل العلمنة"[٤].

٩- ويقول الدكتور سعيد الزهراني: "لقد تركت أفكار محمد عبده أثرها على تلاميذه، ومن جاء بعده، بل لقد عظمت حتى وصلت إلى الصراحة بموافقة الفكر الغربي العلماني"[٥].

١٠- ويقول الشيخ محمد بن إسماعيل: "لقد كان محمد عبده يريد

---

(١) بحث "معالم الفكر التربوي في البلاد العربية" منشور ضمن بحوث مؤتمر هيئة الدراسات العربية المنعقد في تشرين الثاني ١٩٦٦ في الجامعة الأمريكية ببيروت، بعنوان (الفكر العربي في مائة سنة)، ص ٤٥٠.

(٢) أسأل الله أن يوفقه وإخوانه الدعاة للتصدي لهذا التيار قبل تغلغله بين صفوف الشباب.

(٣) العلمانية، ص ٥٧٩.

(٤) الاتجاهات العقلانية الحديثة، ص ٣٨٦.

(٥) الاتجاه العقلاني لدى المفكرين الإسلاميين المعاصرين (رسالة دكتوراه لم تطبع بعد) (٣٢١/١) و(٧٤٥/٢ وما بعدها).

أن يقيم سدًا في وجه التيار العلماني اللاديني ليحمي المجتمع الإسلامي من طوفانه، ولكن الذي حدث هو أن هذا السد أصبح قنطرة للعلمانية عبرت عليه إلى العالم الإسلامي لتحتل المواقع واحدًا تلو الآخر، ثم جاء فريق من تلاميذ محمد عبده وأتباعه فدفعوا نظرياته واتجاهاته إلى أقصى طريق العلمانية اللادينية:

رام نفعاً فضر من غير قصد

ومن البر ما يكون عقوقا"[(١)]

١١- ويقول الأستاذ محمد حامد الناصر بعد دراسته لأفكار العصرانيين: "**حقيقة العصرانية: دعوة إلى العلمانية**"[(٢)] ثم ذكر أقوالاً لبعض العصرانيين الأحياء؛ كحسن حنفي ومحمد عمارة يصرحون فيها بتبني العلمانية.

١٢- ويقول الدكتور عبد الرحمن الزنيدي: "لقد كان من آثار خبو وهج العلمانية في البيئات الإسلامية أن تقمص بعض أتباعها رداء الإسلام؛ ليتحركوا تحت رايته بعلمانيتهم بأسماء مختلفة؛ كالإسلام التقدمي، وفكر الاستنارة الإسلامي، أو اليسار الإسلامي..."[(٣)].

العلمانيون يدعمون العصرانيين!!

لقد عرف العلمانيون حقيقة أفكار العصرانيين، وأنها نفس أفكارهم، ولكنها تجد القبول من سُذج المسلمين نظراً لواجهتها الإسلامية، وكونها تستتر خلف الشيخ!! فلان، والداعية!! علان،

---

(١) عودة الحجاب، ص ٣١.

(٢) العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب، ص ٤٠٧.

(٣) السلفية وقضايا العصر، ص٢٤.

بخلاف أفكارهم العلمانية الصرفة، ولهذا فقد تترسوا بهم، ووجدوا فيهم خير مطية يمتطونها لاختراق المجتمعات الإسلامية التي لم تجد العلمانية فيها موطئ قدم، وجعلوهم طليعة لهم في غزو تلك المجتمعات وخلخلتها بطرح الأفكار المتنوعة المناسبة لهم، التي ظاهرها فيه الرحمة وباطنها فيه العذاب، وكسر هيبة كبار العلماء، وشق وحدة الصف فيها؛ ليسهل عليهم بعد ذلك التمكن منها.

ولهذا كله: فلا تعجب إن سمعت أو قرأت بأن فلاناً (العصراني) يُكال له المديح من جماعة العلمانيين، ويُصدر مجالسهم وندواتهم، وتُفتح له وسائلهم، ويكتب في صحفهم؛ لأن الجميع قد التقوا على أهداف واحدة؛ فانطبق عليهم قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ﴾ ...[1] الآية[2].

ودعم العلمانيين للعصرانيين يكون بالآتي:

١- إفساح المجال لهم ليبثوا أفكارهم عبر الوسائل الإعلامية التي يسيطرون عليها في مقابل تهميشهم لأهل الإسلام من دعاة الكتاب والسنة، الثابتين على الحق، غير المتلونين أو المتذبذبين.

٢- المبالغة في مدحهم ووصفهم بصفات الاعتدال والوسطية وسعة الصدر للآخرين....الخ. مع لمز أهل الإسلام ودعاة الكتاب والسنة بضيق الأفق، والتحجر!، وعدم قبول الآخر!!..الخ.

فعلى سبيل المثال: هذا (العلماني) الشهير الدكتور جابر عصفور في

---

(١) سورة الأنعام الآية ١٢٨.

(٢) كما لا تعجب إذا سمعت بأن الداعية!! فلان يتعاطف مع العلمانيين، ويدافع عن كفرهم وزندقتهم أو (اجتهادهم!!) كما يزعم!، اللهم لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا.

كتابه "هوامش على دفتر التنوير" يهاجم علماء ودعاة الكتاب والسنة من أمثال الشيخ ابن باز - رحمه الله -[(١)] والدكتور عوض القرني[(٢)] وغيرهم. ثم في المقابل يكيل المديح لمحمد عبده وتلاميذه ويختم مديحه قائلاً: "إن كرامة هذه الأمة في التاريخ قد أخذت في الضياع حين ضاعت الحرية العقلية والحرية السياسية والحرية الاجتماعية، وحين لم نبدأ من حيث انتهى إليه أمثال طه حسين وأحمد زكي أبو شادي، وحين قمعنا العقل بالتقليد، والشك بالتصديق، وحين استبدلنا بأمثال الشيخ محمد عبده ومحمد فريد وجدي قوماً آخرين"[(٣)].

قلت: وهذا من قبيل "ليس حباً في علي وإنما بغضاً لمعاوية"!

ويقول في مقدمته لكتاب "الإسلام وأصول الحكم" لعلي عبد الرازق: "وبقي الكتاب نفسه وثيقة رائعة من وثائق التنوير، وثيقة تعلمنا أننا ننتمي إلى تراث عظيم، وأن لنا من المشايخ ما نفخر به: رفاعة الطهطاوي ومحمد عبده وعلي عبد الرازق وأمثالهم، هؤلاء هم الذين ننتهي إليهم، وهؤلاء هم الذين أسهموا في صنع وعينا الحديث وإيماننا الراسخ بالدولة المدنية وبالمجتمع المدني، وهؤلاء هم الذين علمونا أن لا تناقض ولا تعارض بين الدين والدولة المدنية التي تسعى إلى التقدم، أو بين رجل الدين والمجتمع المدني الذي يتسلح بالعلم، ويبني مستقبله بهذا العلم، وإذا أضفنا إلى هؤلاء المشايخ العظام أقرانهم من الأفندية دعاة التنوير، أدركنا أن ما تقوم عليه نهضتنا وثقافتنا أقوى وأعظم من أن

---

(١) انظر: ص ٩٠ من كتابه.

(٢) انظر: ص ١١١ وما بعدها من كتابه.

(٣) ص ١٣٨.

يتأثر بأية هبة من هبات الإظلام"!![1].

٣- عدم السماح لأحد بنقدهم أو النيل منهم، بل إحاطتهم بهالة من القداسة المصطنعة.

يقول الدكتور محمد محمد حسين ـ رحمه الله ـ: "ومن شاء أن يعرف المكان الصحيح والقيمة الحقيقية لمحمد عبده وللأفغاني أن ينظر في الصحف اليومية والمجلات الدورية وفي كتب الكتاب اللبراليين الذين لا يسمحون بأن يُمس أي منهما، والذين يهاجمون بفظاظة وشراسة كل من يمسهما من قريب أو بعيد، مع أن هذه الصحف والمجلات والكتاب لا يُعرفُ عنهم غيرة على الإسلام في غير هذا الموضع، بل إنهم لا يثورون حين يُمس رسول الإسلام ـ ﷺ ـ وأصحابه، ويرون أن ذلك مما تسعه حرية الفكر واختلاف الرأي، بل إنهم يلتزمون التزاماً دقيقاً أن لا يُذكر اسم محمد عبده إلا مقروناً بلقب (الإمام)، ويذكرون اسم الرسول ـ ﷺ ـ مجرداً، ويستكثرون إذا ذُكر الرجل من أصحابه أن يقولوا "سيدنا فلان" أو يُتبعوه، كما تعود المسلمين أن يقولوا في الدعاء له: ـ ﷺ ـ"[2].

٤- التحسر عليهم وتكريمهم حتى بعد مماتهم!

وقد سبق تحسر العلماني جابر عصفور على أئمة العصرانية.

ويشهد لهذا ما قام به العلمانيون في مصر من تأبين لمحمد عبده بعد وفاته، وعمل حفلة خاصة به في الجامعة المصرية؛ لتعداد مآثره![3].

---

(١) انظر: "الاتجاه العقلاني لدى المفكرين الإسلاميين المعاصرين" (٢/٧٥٢-٧٥٣).

(٢) الإسلام والحضارة الغربية، ص ٨٠.

(٣) انظر تفاصيل ذلك في: "تاريخ الأستاذ الإمام" (١/١٠٥٢ وما بعدها).

نهاية العصرانية:

لقد قام العصرانيون بمهمتهم خير قيام، ثم اختفوا بعد أن عبَّدوا الطريق لطلائع العلمانيين الذين تولوا قيادة المجتمع المسلم بعد أن تمت خلخلته من قِبَل أفراد التيار العصراني؛ فقطفت الجماعة العلمانية بقيادة (جمال عبد الناصر وإخوانه) الثمرة بعد حين، عند سقوط الملكية في مصر[١]، فقاموا - أخزاهم الله - بتنفيذ مخططات الغرب في علمنة وتغريب المجتمع المسلم علانية ودون خفاء.

أما العصرانيون بعد ذلك فلا تُحس منهم أحدًا أو تسمع لهم ركزا؟! لقد اختفوا من الساحة[٢] يندبون حظهم ويجرون أذيال الخيبة والذل الذي أورثوه قومهم عندما جعلوا منهم لقمة هنيئة لبني علمان، فهل من معتبر؟

نتائج مهمة:

أولاً: أن العداوة بين المسلمين والغرب (اليهودي النصراني) مستمرة إلى يوم القيامة؛ بنصوص الكتاب والسنة. قال تعالى: ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾[٣]، وقال: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا ﴾[٤].. إلى

---

(١) بدعم من الغرب (اليهودي - النصراني) كما لا يخفى على المتابع! حيث أقنعوا الملك فاروق بالتنحي ورفضوا التدخل لمساعدته.

(٢) لكنهم يُعاد بعثهم كلما احتاج الأعداء إليهم، وذلك عندما يرون انتشار المد الإسلامي. فلا تتعجبِ من كثرة طباعة المؤلفات الجديدة عن أئمتهم هذه السنوات! فلأمرٍ ما جدع قصير أنفه!.

(٣) سورة البقرة الآية ١٢٠.

(٤) سورة البقرة الآية ١٠٩.

غير ذلك من الآيات.

ثانياً: أن الغرب الكافر استغل تأخر المسلمين واصطدامهم بحضارته المادية في صنع العصرانية ليتخذها وسيلة لمسخ بلاد المسلمين.

ثالثاً: أن لجوء بعض الإسلاميين للثورة والتهييج قادهم بعد فشل مشروعهم المخالف للكتاب والسنة إلى الارتداد للفكر العصراني؛ لأن لكل فعل ردة فعل مساوية له في القوة ومخالفة له في الوجهة. ولو لزم هؤلاء المسلك الشرعي منذ البداية لما تورطوا في تبني طرفي النقيض: التهييج ثم العصرنة[1].

رابعاً: قام بعض الإسلاميين ـ وقد يكون ذلك عن حسن نية منهم ـ بكسر هيبة كبار العلماء، وتنفير الشباب منهم؛ مما أدى بالشباب إلى الانصراف عن علمائه ولجوئه ـ تعويضاً للمرجعية ـ إلى غيرهم من أهل الطموح السياسي، قليلي العلم والورع، ممن قد لا يرتضيهم ذلك البعض من الإسلاميين الذين يحق فيهم المثل العربي: (يداك أوكتا وفوك نفخ).

يقول الشيخ مصطفى صبري عن الشيخ العصراني محمد عبده: "لما أراد النهوض بالأزهر حارب علماءه القدماء، وفض المسلمين وخصيصًا الشباب المتعلمين من حولهم، حاربهم حتى أماتهم، أو على الأقل أنساهم نسيان الموتى، فأصبح بفضل النهضة التي نادى بها الشيخ

---

(١) الهدف الأول للمصلحين ــ وعلى رأسهم الرسل ــ عليهم السلام ــ هو تعبيد الناس لرب العالمين وحده. وهو هدف لا يفشل مهما تطاولت السنون ــ ولله الحمد ــ. أما إذا كانت أهداف المصلحين خلاف ذلك، فإنهم حال فشلهم في تحقيقها لا شك مرتدون إلى النقيض الآخر! فإذا كانت البداية خطأ فالنتيجة تبعٌ لها. "فكيف يستقيم الظل والعود أعوج" ؟!.

محمد عبده يقول رجل مثل الدكتور زكي مبارك "الرسالة" عدد ٥٧٢: "نزعنا راية الإسلام من أيدي الجهلة (يريد بهم علماء الدين) وصار إلى أقلامنا المرجع في شرح أصول الدين"[١].

خامساً: أن تقصير كبار العلماء ـ إما في مكافحة الانحراف أو التصدي لقضايا المسلمين أو للظلم ونحو ذلك ـ ليس مسوغًا لصرف الشباب المسلم عنهم؛ لأنهم ـ أي الشباب ـ كما سبق سيلجئون إلى غيرهم من أهل الزيغ الذين يفوق زيغهم وانحرافهم تقصير أولئك العلماء الكبار[٢]. إنما كان الواجب على دعاة الإسلام أن يوثقوا العلاقة بعلمائهم ويربطوا الشباب بهم، ويناصحوهم في تقصيرهم، ويشدوا من أزرهم في الوقوف صفًا واحدًا أمام أعداء الإسلام ممن يريد خلخلة المجتمع المسلم ويستغل بخبث هذا الفصام بين الفئتين المؤمنتين. قال تعالى: ﴿ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾[٣].

سادساً: أن الطائفة العصرانية لابد لها من (شيخ) متزود بالعلم الشرعي ـ الذي يحجزه عن كثير من انحرافاتهم ـ تقف وتتترس وراءه![٤] أما بدون هذا (الشيخ) فإنها لن تفلح في مسعاها؛ لعدم قبول

---

(١) موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين..، (٥٧/١).

(٢) وهذا الانفصال بين الشباب وكبار العلماء مما يُفرح أهل الفساد من العلمانيين المتربصين بالطائفتين الدوائر. فهل يعي العقلاء هذا وينتهوا عن (تهييج) الشباب على علمائه ؟! .

(٣) سورة الأنفال الآية ٤٦.

(٤) ومعنى هذا أن (الشيخ) راضٍ عن مسلك تلاميذه والمترسين خلفه من العصرانيين، وعمل الجميع يتم وفق (تنسيق) محدد!. فمن الخطأ الواضح ما يظنه بعض الباحثين؛ كأنور الجندي في عدد من كتبه (انظر مثلاً: اليقظة الإسلامية، ص٢٠٣) أو الدكتور أحمد عبد الرحمن في مقاله بمجلة المنار الجديد، عدد ١٩، من أن تلاميذ عبده العلمانيين قد خالفوا شيخهم الذي لا يرضيه مسلكهم!! وسبب هذا=

المسلمين لها؛ نظرًا لضحالتها الشرعية وزيغها الواضح.

وقد كان هذا (الشيخ) يتمثل في محمد عبده.

يقول الأستاذ بسطامي سعيد: "نلمح عند محمد عبده بعض ملامح المنهج العصراني؛ من صرف القرآن عن غير معانيه الظاهرة أحياناً؛ بحجة أنها تمثيل وتصوير، ورد للسنة الصحيحة أحياناً لمعارضتها ما يظن أنه علوم العصر، واستخدام المنهج التاريخي لمعالجة قضايا وأحكام الشريعة وربطها بظروف وملابسات مؤقتة. وإذا كانت هذه النزعات عند محمد عبده نزعات ضعيفة ومصغرة، ربما بحكم ثقافته الأزهرية، إلا أنها قد تركت آثارها في تلامذته من بعده، فتضخمت في مجموعة منهم، وصارت مضاعفة مكبرة"[(١)].

سابعاً: أن هذه الفئة المترسة خلف (الشيخ) العصراني، لن تكتفي باجتهادات (شيخها)، أو تقف عند الحدود التي حدها لهم ويرى أن في تجاوزها خطرًا على دينهم؛ نظرًا لمعرفته بالنصوص الشرعية! بل ستتجاوزها وتتخطاها باجتهادات كثيرة لا خطام لها ولا زمام؛ لأنه لا ضابط لهم حينها؛ نظرًا لضحالتهم الشرعية. لاسيما وقد استفادوا من

= الخطأ أن من يطالع سيرة عبده لن تخفاه العلاقات (الحميمة) ! سواء في مصر أو في خارجها بينه وبين تلاميذه العلمانيين؛ وعلى رأسهم سعد زغلول وقاسم أمين وغيرهم. انظر على سبيل المثال: رسائل تلميذه سعد زغلول إليه التي نشرها رشيد رضا في تاريخ الأستاذ الإمام (١٠٦٩/١ وما بعدها)، وكذا ما ذكره أحمد لطفي السيد في مذكراته (ص٣٧) عن اجتماعهم ــ عبده، قاسم، سعد، لطفي ــ في جنيف !.

وانظر رد الأستاذ مصطفى غزال على أنور الجندي ــ رحمه الله ــ حول هذه المسألة في: مجلة المجتمع (العدد ٦٩٦-١٤٠٥/٣/٢٥هـ).

(١) مفهوم تجديد الدين، ص ١٤٣.

(شيخهم) العصراني روح التجديد! والاجتهاد! وتجاوز الأعراف والتقاليد!... الخ زخارف القوم.

ولقد تنبه أحد الأذكياء (وهو المنفلوطي) إلى خطورة هذا الأمر في دعوة شيخه العصراني محمد عبده فخص هذا بمقالة جميلة تخيل فيها أنه استمع إلى حوار بين شيخه محمد عبده وقاسم أمين في عرصات يوم القيامة ! فتأمل ماذا دار بينهما.

يقول المنفلوطي: "وبينما أنا أحدث نفسي بهذا الحديث، وأقلّب النظر في وجوه تلك المواعظ والعبر، إذ قال لي صاحبي: أتعرف هذين؟ وأشار إلى رجلين واقفين ناحية يتناجيان: أحدهما شيخ جليل أبيض اللحية، وثانيهما كهل نحيف قد اختلط مبيضه بمسودّه، فما هي إلا النظرة الأولى حتى عرفت الرجلين العظيمين(!!) رجل الإسلام "محمد عبده" ورجل المرأة "قاسم أمين" فقلت لصاحبي: هل لك في أن ندنو منهما ونسترق[1] نجواهما من حيث لا يشعران؟ ففعلنا، فسمعنا الأول يقول للثاني: ليتك يا قاسم أخذت برأيي وأحللت نصحي لك محلاً من نفسك، فقد كنت أنهاك أن تفاجئ المرأة المصرية برأيك في الحجاب قبل أن تأخذ له عدّته من الأدب والدين، فجنى كتابك عليها ما جناه من هتك حرمتها وفسادها وتبذّلها وإراقة تلك البقية الصالحة التي كانت في وجهها من ماء الحياء، فقال له صاحبه: إني أشرت عليها أن تتعلم قبل أن تسفر، وأن لا ترفع بُرقُعها قبل أن تنسج لها برقعاً من الأدب والحياء، قال له: ولكن فاتك ما كنت تنبّأت به من أنها جاهلة لا تفهم هذه

---

(١) نسترق: نسمع خفيةً.

التفاصيل، وضعيفة لا تعبأ بهذا الاستثناء، فكنت كمن أعطى الجاهل سيفاً ليقتل به غيره، فقتل نفسه.

فقال: أتأذن لي يا مولاي أن أقول لك: إنك قد وقعت في مثل ما وقعت فيه من الخطأ، وإنك نصحتني بما لم تنتصح به، أنا أردت أن أنصح المرأة فأفسدتها كما تقول. وأنت أردت أن تحيي الإسلام فقتلته، إنك فاجأت جهلة المسلمين بما لا يفهمون من الآراء الدينية الصحيحة[1] والمقاصد العالية الشريفة، فأرادوا غير ما أردت: وفهموا غير ما فهمت. فأصبحوا ملحدين، بعد أن كانوا مخرفين، وأنت تعلم أن ديناً خرافياً خير من لا دين[2]. أوّلت لهم بعض آيات الكتاب فاتخذوا التأويل قاعدة حتى أولوا الملك والشيطان والجنة والنار! وبيّنت لهم حكم العبادات وأسرارها وسفّهت لهم رأيهم في الأخذ بقشورها دون لبابها، فتركوها جملة واحدة! وقلت لهم: إن الولي إله باطل، والله إله حق؛ فأنكروا الألوهية حقها وباطلها، فتهلل وجه الشيخ وقال له: ما زلت يا قاسم في أخراك، مثلك في دنياك، لا تضطرب في حجة، ولا تنام عن ثأر"[3].

ثامنًا: أن المستفيد من نشوء العصرانية هو الغرب وإذنابه من العلمانيين المنافقين. والخاسر هو المجتمع المسلم، ودعاة الإسلام وولاة الأمور. وهذا واضح.

---

(١) بل للمخالفة للنصوص الشرعية، ولكنها ليست كانحرافات المترسين خلفه من تلاميذه ــ كما سبق ــ.

(٢) فكيف إذا كان الدين سلفياً نقياً ؟! هل يليق بمن يتابع شيخ العصرنة أن يصد عنه ؟!

(٣) النظرات (١/١٥٢-١٥٤).

شبهة وجوابـها:

قد يقـول قائـل: نحـن معـك في أن الفكـر العـصراني خطـرٌ علـى الإسلام وأهله، وأن المستفيد الوحيد منه هم الأعداء (كفارًا وأهـل بـدع ومنافقين) كما رأينا في الحالة المصرية، ولكن: ألا ترى بـأن انـتشار هـذا الفكر المتميع والمتمسح بالإسلام يخدم ولاة الأمور لدينا؛ حيث يحققـون من خلاله بعض ما يريدون من المشاريع والأفكار الاجتماعية (لا سـيما المتعلقة بالمرأة!) التي لن يتقبلها المجتمع المسلم؛ لأنـه يـرى تعارضـها مـع أحكام الإسلام، ولكنه يقبلها إذا ما تحلت بالزي الشرعي الذي سيُلبسه إياها أولئك العـصرانيون، فيـستفيد ولاة الأمـور تمريـر هـذه المـشاريع والأفكار التي يرون في قبول المجتمع المسلم لها تخفيفًا من ضـغوط أعـداء الإسلام عليهم ؟!.

ولهذا كله سيقوم ولاة الأمور بدعم هذه الفئة العـصرانية والـتمكين لها، وتصديرها، وتهميش من يعارضها !.

فأقول: الجواب عن هذه الشبهة يكون بفهم هذه الأمور:

أولاً: أن صاحب الشبهة جزم بأن ولاة الأمور يريدون تحقيق بعـض المشاريع والأفكـار الاجتماعيـة الـتي تخـالف أحكـام الـشرع. وهـذا مـا سينازعه فيه آخرون لا يرون رأيه. وعندهم من الحقائق والأدلة أضعاف ما عنده.

ثانياً: أن صاحب هذه الشبهة لم يفهم العصرانية حق الفهـم! وظـن أن طموح أصحابها هو مجرد تحقيق بعـض المـشاريع والأفكـار في المجـال (الاجتماعي) فقط، ناسيًا أو متغافلاً أن هذا الفكر لا يقتـصر علـى هـذا

المجال وحده؛ بل يزامله أو يفوقه المجال السياسي[(١)] والاقتصادي[(٢)]، وما تجربه عصرانيي مصر عنا ببعيد. حيث كانت معظم جهودهم منصبة على المجال السياسي، أما غيره فيأتي تبعاً له؛ مع ملاحظة أن تلك المجالات تأتي متكاملة في منظومة هذا الفكر الذي خلاصته "تطويع الإسلام في جميع المجالات بما يناسب العصر".

ولهذا: فمن يريد قبول أفكار ومشاريع العصرانيين في المجال (الاجتماعي) دون غيره من المجالات فهو واهم؛ لأن هذا أمر لن يتحقق؛ لأن الفكر العصراني لا يمكن تحقيق بعضه دون بعض[(٣)].

وولاة الأمور لدينا ليسوا سُذجًا أو غافلين عن حقيقة هذا الفكر ومنتهاه.

ثالثا: أن في تجربة العصرانية في مصر عبرة للمعتبرين؛ وعلى رأسهم ولاة الأمور في بلاد المسلمين، حيث تسبب انتشار هذا الفكر في المجتمع إلى تقويضه. وسقوط دولته بعد تنازع أهله واختلافهم، وجرأتهم على حكامهم وعلمائهم، ثم وقوعه تحت سيطرة الأعداء وتهاويه إلى أقصى درجات الذل والمهانة.

فهل يرضى عاقل بمثل هذه النهاية الموجعة لبلاده؟! ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلۡعَبِيدِ ﴾[(١)].

---

(١) بإنشاء الأحزاب، ومساءلة الحاكم، بل تدوير السلطة بين أصناف الطامحين! ونحو ذلك.

(٢) بالمطالبة بتوزيع الثورة ونحو ذلك.

(٣) وهذا يذكرنا بمن يريد تطبيق (الديمقراطية) الكافرة في بلاد المسلمين، مدعيًا أنه سيتجنب ما فيها من مخالفات شرعية ! .

(١) سورة فصلت الآية ٤٦.

رابعًا: أن (الفكر العصراني) و(فكر التهييج) وجهان لعملة واحدة! وقد علمنا ذلك من تجربة مصر. ولكن القوم يلبسون لكل حالة لبوسها. فلا يظن ظان أن تبني القوم (للفكر العصراني) دليلاً على تخليهم عن (فكر التهييج).

لا.. بل التهييج كامن في نفوسهم كمون النار في الزند، يلمحه النبيه من خلال عباراتهم.

فكيف يظن أحد أن ولاة الأمور قد يثقون في أصحاب هذا الفكر، وهذا تاريخهم، وتلك مواقفهم تشهد عليهم بأنهم أصحاب (تقلب) و(تلون) ؟!.

وقارن هؤلاء بالعلماء الكبار من أتباع الكتاب والسنة، من الذين يصدرون في مواقفهم وأفكارهم عن عقيدة سلفية واضحة ثابتة تجاه ولاة أمور المسلمين، حيث يرون ولايتهم ولاية شرعية، ويطيعونهم في غير معصية الله ديانة واتباعًا للنصوص، بخلاف غيرهم من أهل (التهييج) أو (العصرنة) أصحاب (التقلب) و(التلون)، ممن يصدرون في مواقفهم تجاه ولاة الأمر من خلال (المصالح) وما يسمى (التكتيك المرحلي)!

فأي الفريقين أحق بثقة ولاة الأمور وتصديرهم والتمكين لهم؟!.

يضاف إلى هذا أن كبار العلماء كانوا نعم النصير لولاة الأمور وقت الفتن والملمات، بخلاف غيرهم. فـ﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴾[1] ؟

---

(١) سورة الرحمن الآية ٦٠.

خامسًا: أن ولاة الأمور لدينا ـ ولله الحمد ـ في غنىً عن أفكار العصرانيين وطموحاتهم التي لا يخفى ضررها على عاقل، وذلك بما فضلهم الله به من قيام دولتهم على الكتاب والسنة، وبما أعانهم به من وجود علماء أجلاء ينيرون لهم الطريق وينبهونهم على ما يعترضهم من عقبات تخالف شرع الله. وما كان من تقصير فإنه يعالج بالنصيحة الشرعية المستمرة، دون (تهييج) أو (عصرنة).

سادساً: أن العاقل يعلم أن العبرة بالمسميات لا بالأسماء وتبديلها، فالأمور المحرمة والمخالفة لشرع الله لا يمكن أن تنقلب حلالاً وتصير موافقة للشريعة بمجرد تبني العصرانيين لها وادعائهم شرعيتها. فهذا كله ليس مسوغًا لأحد ـ وعلى رأسهم ولاة الأمور ـ أن يرتكب تلك الأمور المحرمة ويقرها. وهو ليس معذورًا عند الله تعالى بصنيعه هذا؛ لأن البينة قد جاءته، والحق قد ظهر له بنصوص الكتاب والسنة وبفتاوى كبار العلماء الموثوق بعلمهم . فهل تظن ـ مثلاً ـ أن الربا سيكون حلالاً بمجرد التحايل عليه وتسميته (فائدة) ؟! وقل مثل ذلك في المحرمات الأخرى. لا شك بأن هذا أعظم جرمًا عند الله ممن يقع في هذه المحرمات دون تحايل أو مخادعة لله ولعباده المؤمنين، إنما عن تقصير وتساهل.

سابعاً: أن مواجهة الضغوط المتنوعة على بلاد التوحيد من قبل (اليهود والنصارى) لا تكون بالتساهل والتفريط في أحكام الشريعة؛ لأن عاقبة ذلك ستكون وبالاً على هذه البلاد؛ بسبب أن هذه الضغوط لن تنتهي بمجرد التساهل والتهاون في عدة أمور، بل ستزداد ضراوة وشدة؛ لأن العدو سيطمع في غيرها عندما يرى ذاك الانصياع

لمطالبه."ومن يهن يسهل الهوان عليه" .

فتلك المطالب ستكون نهايتها ـ والعياذ بالله ـ قوله تعالى: ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾[١].

أما الحل الشرعي لهذه الضغوط فيكون بالتالي:

١- أن يعلم ولاة الأمور ـ وفقهم الله ـ: أن الله قد أخبرنا عن عداوة اليهود والنصارى لكل من يرفع راية الإسلام، منذ نبينا محمد ـ ﷺ ـ. وأنهم يتمنون أن يطاوعهم في كفرهم لكي لا يتميز عنهم. قال سبحانه: ﴿ وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءً ﴾[٢] وقال: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَـٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم ﴾[٣] وقال:﴿ وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ ﴾[٤].

٢- أن يعلم ولاة الأمور ـ وفقهم الله ـ: بأن الله قد أخبر بأن كل مسلم محكم لشرع الله سيسمع الأذى ويلقى الضغوط من الكفار. قال تعالى: ﴿ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَذًى كَثِيرًا ﴾[٥]. ولكن هذا الأمر ـ ما لم يستجب له المسلم ـ سيبقى في دائرة الأذى الذي يصيب كل مسلم مستقيم على شرع الله

---

(١) سورة البقرة الآية ١٢٠.

(٢) سورة النساء الآية ٨٩.

(٣) سورة البقرة الآية ١٠٩.

(٤) سورة آل عمران الآية ٦٩.

(٥) سورة آل عمران الآية ١٨٦.

يحتسب الأجر من الله في سماعه والتعرض له.قال تعالى: ﴿ لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى ﴾[١].

٣- أن يعلم ولاة الأمور ـ وفقهم الله ـ: أن عاقبة الثبات على الحق أمام مثل هذه الضغوط ستكون سعادة وتمكينًا وعزًا نصرًا، وزوالاً لهذه الشدة، وفرجًا لهذا العُسْر. قال تعالى: ﴿ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ﴾[٢] فالمطلوب هو: الصبر على الأذى، والتقوى بلزوم أمر الله، والانتهاء عن معاصيه.

وقال تعالى: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴾[٣]، وقال: ﴿ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴾[٤]. وهذا الأمر شامل للأفراد وللدول.

٤- أن يعلم ولاة الأمور ـ وفقهم الله ـ: أن الاستجابة لضغوط الأعداء ومداهنتهم ـ ولو في أمر يسير ـ هو مما يسبب سخط الله وتسليطه العذاب والذل على من يسارع في رضا عدوه على رضاه سبحانه وتعالى.

قال سبحانه محذرًا من هذا الأمر الشنيع: ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا

(١) سورة آل عمران الآية ١١١.
(٢) سورة آل عمران الآية ١٢٠.
(٣) سورة الطلاق الآية ٢.
(٤) سورة الطلاق الآية ٧.

نَصِيرٍ﴾[١] قال الطبري في تفسير هذه الآية: "وليست اليهود يا محمد ولا النصارى براضية عنك أبدًا . فدع طلب ما يرضيهم ويوافقهم، وأقبل على طلب رضا الله".

وقال سبحانه: ﴿ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[٢].وقال: ﴿ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَمَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ﴾[٣].

وقال ـ ﷺ ـ: "من التمس رضى الله بسخط الناس رضي الله عنه وأرضى عنه الناس، ومن التمس رضى الناس بسخط الله، سخط الله عليه وأسخط عليه الناس"[٤].

٥- أن يتأمل ولاة الأمور ـ وفقهم الله ـ: حال من تابع الأعداء من الدول الإسلامية طالبًا رضاهم، وخائفاً من سخطهم، كيف تسلطوا عليه، وأذلوه واستباحوا حرمته، وأفقدوه حريته.

فخسر آخرته بمسارعته في رضا الكفار على حساب دينه. وخسر العيش السعيد العزيز بتحكم العدو في بلاده وتسلطهم عليه وإن كان يتخيل له خلاف ذلك!! فهو كما قال تعالى: ﴿ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴾[٥].

---

(١) سورة البقرة الآية ١٢٠.

(٢) سورة البقرة الآية ١٤٥.

(٣) سورة الرعد الآية ٣٧.

(٤) صحيح الترغيب والترهيب للألباني (٢٢٥٠).

(٥) سورة الحج الآية ١١.

أما من حكم شرع الله واستقام وثبت عليه، ولم يأبه بضغوط العدو وتخويفه فإن عاقبته حميدة في الدنيا والآخرة، على هذا جرت سنن الله تعالى "ومن يتصبر يصبره الله".

أسأل الله أن يثبت ولاة أمورنا على الحق، وأن يوفقهم للبطانة الصالحة، ويجنبهم البطانة الفاسدة.

نصيحة أخيرة لكلٍ من:

١- علماء الإسلام ودعاته: بأن يحذروا تسلل الأفكار العصرانية إلى عقولهم ولو لم يكن ذلك عن تقصد منهم، وأن يثبتوا على الحق دون تنازلات أو مداهنة لأحد، وأن يكونوا ممن قال الله فيهم: ﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴾[١] قال ابن كثير: "استمروا على ما عاهدوا الله عليه، وما نقضوه، كفعل المنافقين".

وأن تكون مواقفهم مشرفة وقت الملمات التي تمر بالأمة، مبرئة لذمتهم أمام الله؛ لكي لا يلجأ الشباب إلى غيرهم ـ كما سبق ـ.

وأن يحذر بعض الدعاة بتستره على أهل العصرنة، ومجاملته لهم، والشد من أزرهم، أن يكون داخلاً في قوله ـ ﷺ ـ: "لعن الله من آوى محدثًا"[٢] قال الشيخ ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ: "والإحداث يشمل الإحداث في الدين؛ كالبدع التي أحدثها الجهمية والمعتزلة وغيرهم..

---

(١) سورة الأحزاب الآية ٢٣.

(٢) أخرجه مسلم (١٥٦٧).

فمن آوى محدثًا فهو ملعون، وكذا من ناصرهم"[١].

٢- شباب الإسلام: بأن يلزموا الراسخين في العلم ويلتفوا حولهم، ويناصحوهم في تقصيرهم، ويَحْذروا ويُحَذّروا من المتلبسين بالفكر العصراني المفسد، مهما حاولوا التضليل عليهم أو مخادعتهم بترويجه بينهم.

٣- ولاة الأمور: بأن يقضوا على هذا الفكر المتسلل إلى بلاد التوحيد قبل أن يستفحل، فيكون وبالاً على بلادهم؛ وذلك بالتمكين لأهل العلم ودعاة الكتاب والسنة، وتصديرهم، وتمكينهم من توجيه الشباب، والاستماع إلى نصحهم.

وأن يعلموا أنه لا عز لهم ولا تمكين، ولا أمن، إلا بالثبات على دعوة الكتاب والسنة، دون تفريط أو تتبع لأهواء العصرانيين وانحرافاتهم.

أسأل الله أن يحمي بلادنا من الفتن، وأن يرد الكيد عنها، ويثبتها على الحق، ويباعد بينها وبين معاصيه.

والله أعلم

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

---

(١) القول المفيد (١/٢٢٣).

(الطائفة العصرانية)

محمود شلتوت ـ محمد عمارة ـ فهمي هويدي ـ أحمد
كمال أبو المجد ـ محمد سليم العوا ـ طارق البشري



الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين. أما بعد:

فهذه هي المجموعة السادسة من سلسلة "نظرات شرعية في فكر منحرف"، خصصتها لبيان انحرافات عدد من المفكرين الذين يروجون في كتاباتهم ونشاطهم للفكر "العصراني" في زماننا، محاولين صرف الأمة إليه، وصدها عن دعوة الكتاب والسنة.

وقد كتب كثيرون من أهل السنة ـ ولله الحمد ـ عدة أبحاث في حقيقة العصرانية وتاريخها في بلاد المسلمين، والرد عليها، فبإمكان القارئ الكريم مراجعة ما كتبوه ليحيط علماً أوسع بهذه النِحْلة[1]. ولكني هنا كمقدمة لهذه الشخصيات أشير إلى أهم الأفكار التي يتفق عليها هؤلاء العصرانيون وتدور عليها معظم كتاباتهم ويسعون لتحقيقها على أرض الواقع؛ ليكون القارئ على بينة منها:

- تعود جذور الطائفة "العصرانية" قديماً إلى مدرسة "المعتزلة" التي بالغت في تعظيم "العقل" البشري على حساب النص الشرعي.

أما حديثاً فتعود جذورهم إلى مدرسة الأفغاني ومحمد عبده التي

---

(١) ينظر الرسائل التالية: "العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب" لمحمد حامد الناصر، "العصريون معتزلة اليوم" ليوسف كمال، "موقف المدرسة العقلية من السنة النبوية" للأمين الصادق الأمين، "مفهوم تجديد الدين" لبسطامي سعيد، "المعتزلة بين القديم والحديث" لمحمد العبدة وطارق عبد الحليم، "مفهوم التجديد بين السنة النبوية وبين أدعياء التجديد المعاصرين" لمحمود الطحان، "العصرانية في حياتنا الاجتماعية" لعبد الرحمن الزنيدي، "الاتجاه العقلاني لدى المفكرين الإسلاميين المعاصرين" لسعيد الزهراني، "غزو من الداخل" لجمال سلطان، "دعوة التقريب بين الأديان" للدكتور أحمد القاضي (٢/٦٣٠-٦٣٥)، "العصرانية قنطرة العلمانية" لكاتب هذا البحث، وغيرها من الرسائل التي ساهمت في كشف حقيقة هذه الطائفة.

تابعت المعتزلة في تعظيمهم للعقل على حساب النص الشرعي، وفاقتهم ـ نتيجة للصدمة.

الحضارية مع الغرب ـ في تأويل كثير من حقائق الإسلام لتتوافق مع العصر ـ زعموا! ـ فوقعوا لأجل هذا في انحرافات خطيرة، بل أمور لا يشك مسلم في كفرها ـ والعياذ بالله ـ.

- يكمن داء العصرانيين منذ نشأتهم في "الهزيمة النفسية" التي لازمتهم عند احتكاك المسلمين في هذا العصر بالغرب المتفوق دنيوياً. فهذه الصدمة التي هزتهم أدت بهم إلى التنازل عن كثير من الحقائق الإسلامية التي ظنوها ـ لقصور عقولهم ـ تنافر تلك الحضارة الدنيوية. جاهلين أو متجاهلين أن الإسلام الصحيح لا يعارض أبدًا الحضارة الدنيوية النافعة، ومن ظن خلاف هذا فإنما أتي إما من جهله بالإسلام الصحيح الذي أنزل على محمد ـ ﷺ ـ، أو من ضعف عقله. وأيضاً من ظن هذا الظن السيئ بدين الله ـ ﷻ ـ فهو في الحقيقة ـ يطعن شاء أم أبى ـ في الإسلام وفي من ارتضاه ديناً خاتماً للأديان ـ ﷻ ـ.

- وهذه "الهزيمة" أو "التنازل" ورط العصرانيين في أمر خطير جدًا؛ هو كراهية بعض ما أنزل الله ـ ﷻ ـ أو جاء على لسان رسوله ـ ﷺ ـ مما لم تقبله عقولهم السقيمة أو ظنوه محرجاً لهم أمام الغرب المتفوق دنيويًا؛ متابعة للكفرة من اليهود والنصارى.

وقد قال الله محذرًا من الوقوع في هذا المسلك المشين الذي يؤدي بصاحبه إلى الردة عن دين الإسلام: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَٰرِهِم مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡهُدَى ٱلشَّيۡطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمۡ وَأَمۡلَىٰ لَهُمۡ ٢٥

ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ كَرِهُوا۟ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِى بَعْضِ ٱلْأَمْرِ ۖ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿٢٦﴾ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾[1].

- يلتقي أفرد هذه الطائفة في المسائل الآتية:

١- تقديسهم للعقل وتقديمه في كثير من الأحيان على نصوص الكتاب والسنة؛ التي يتكلفون ادعاء تناقضها مع عقولهم.

٢- تأويلهم المتكلف لآيات القرآن الكريم، وحملها على أهوائهم.

٣- تقسيمهم السنة النبوية إلى: تشريعية وغير تشريعية؛ ليتنصلوا من كثير من أوامره ونواهيه ـ ﷺ ـ.

٤- عدم قبولهم لحديث الآحاد في العقيدة؛ ليتسنى لهم رد كثير من الأحاديث النبوية التي لا تناسب عقولهم السقيمة؛ لاسيما في مجال الغيبيات.

٥- دعوتهم إلى "الاجتهاد" غير المنضبط بضوابط الشرع، وما بينه علماء الإسلام في هذا الأمر. لاسيما دعوتهم المتكررة إلى التجديد في أصول الفقه، ومحاولتهم نسف كثير من قضاياه وقواعده ـ كما سيأتي ـ.

٦- تهوينهم من شأن الحكم الإسلامي ووجوب تطبيق الشريعة الإسلامية في بلاد المسلمين، والتقائهم مع العلمانيين دعاة فصل الدين عن الدولة.

---

(١) سورة محمد الآية ٢٥، ٢٨.

٧- ردهم ـ عن طريق التأويل أو ترجيح الشاذ ـ لكثير من الأحكام الشرعية المتعلقة بالحدود.

٨- تهوينهم من أمر الربا المعاصر "ما يسمى الفائدة!". وبعضهم يبيحه صراحة.

٩- دعوتهم إلى "تحرير" المرأة المسلمة؛ من الحجاب الشرعي ومن كثير من الأحكام الشرعية المتعلقة بها.

١٠- إلغاؤهم أحكام أهل الذمة؛ لأنها ـ عندهم ـ تفرق بين أبناء البلد الواحد!!، واستبدالها بحقوق "المواطنة"! التي تساوي بين المواطنين! ـ كما يقولون ـ ساء ما يحكمون. مما يؤدي بهم إلى مودة الكفار، وتوليهم.

١١- غلوهم في تمجيد الديمقراطية الغربية، والإدعاء بأنها ضرورة للعالم الإسلامي في مقابل ما يسمونه الحكومات الدكتاتورية. مع جهلهم أو تجاهلهم لطبيعة الدولة في الإسلام؛ والخلط بينها وبين ما يسمى "الحكومة الدينية" التي وجدت في أوربا.

١٢- تمجيدهم للفرق والشخصيات المنحرفة في التاريخ الإسلامي؛ وعلى رأسها "المعتزلة".

١٣- دعوة بعضهم إلى "توحيد الأديان"! وتغييب التقسيمات الشرعية "المسلمين، الكفار" أو مفهوم الولاء والبراء ونحوها مما يعارض فكرتهم الخبيثة. مع تصريحهم بعدم كفر اليهود والنصارى!! [1]

---

(١) وعلى هذا: أحد رؤوس العصرانية في زماننا: الدكتور يوسف القرضاوي ـ هداه الله ـ في كتيبه "موقف الإسلام العقدي من كفر اليهود والنصارى". انظر: ص ٦٠ وما بعدها. وهذا أمر خطير جدًا فيه ردّ لحكم الله تعالى الذي صرح بكفرهم. قالت اللجنة الدائمة في جواب لها على من قال بأن اليهود والنصارى ليسوا كفارًا إنما هم أهل كتاب: "من قال ذلك فهو كافر لما جاء في القرآن والسنة من التصريح بكفرهم..." (فتاوى اللجنة، ٢/١٨).

والبعض الآخر منهم لا يدعو إلى ذلك صراحة وإنما يتستر خلف تسميتهم "أهل الكتاب"! ولا يسميهم "كفارًا"[١]! كل هذا إرضاء لإخوان القردة والخنازير وعُبَّاد الصليب ممن قال الله عنهم: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ شَرُّ ٱلۡبَرِيَّةِ﴾[٢].

١٤- إنكارهم بل محاربتهم لفريضة "الجهاد" لأنها تخالف أفكارهم السابقة من توحيد للأديان، أو عدم تكفير الكفار، أو الاندماج معهم وتغييب مبدأ الولاء والبراء.

وبعضهم يقصر مفهوم "الجهاد" على ما يسمى "جهاد الدفع" فقط؛ لأنه لا يتعارض مع أفكارهم السابقة، ثم يحاول جهده إثبات أن جهاد الرسول ـ ﷺ ـ وصحابته الكرام كان من هذا النوع!

١٥- دعوتهم إلى "الحرية الفكرية" أو ما يسمونه "التعددية" في المجتمع المسلم، ولو كانت تضم الكفار وأهل البدع! دون تمييز بين "حق" و"باطل"، مفترين على الله وعلى رسوله ـ ﷺ ـ بأنهما "يريدان" أو "يرضيان" بهذه التعددية. خالطين بين "الإرادة الكونية" و"الإرادة الشرعية". فعندهم كل ما أراده الله "كوناً" فقد أراده "شرعاً"! وما دام أن هذه الفرق البدعية قد وجدت في تاريخ المسلمين فإنها ـ عندهم ـ مما

---

(١) وعلى هذا: أحد رؤوس العصرانية في زماننا: الدكتور يوسف القرضاوي ــ هداه الله ــ في كتيبه "موقف الإسلام العقدي من كفر اليهود والنصارى". انظر: ص ٦٠ وما بعدها. وهذا أمر خطير جدًا فيه ردٌ لحكم الله تعالى الذي صرح بكفرهم. قالت اللجنة الدائمة في جواب لها على من قال بأن اليهود والنصارى ليسوا كفارًا إنما هم أهل كتاب: "من قال ذلك فهو كافر بما جاء في القرآن والسنة من التصريح بكفرهم..." (فتاوى اللجنة، ٢/١٨).

(٢) سورة البينة الآية ٦.

يُحمد ولا يذم! ولهذا تجدهم يمدحون ذلك ولا ينكرونه، بل هذه الفرق البدعية - في نظرهم - طريق موصل إلى الله! وليس هذا مقام التفصيل.

١٦- أخيراً: سخريتهم ولمزهم أتباع دعوة الكتاب والسنة والتنفير منهم بشتى الأساليب، ولو أداهم ذلك إلى الكذب عليهم واختلاق القصص الخيالية![1].

- من تأمل أهداف هذه الفئة العصرانية وجدها تلتقي مع أهداف "العلمانية" في عالمنا الإسلامي، وإنما الاختلاف هو في الواجهة فقط، فهما وجهان لعملة واحدة، وقد بينت هذا في رسالة "العصرانية قنطرة العلمانية" فراجعها إن شئت[2].

- من المهم ملاحظة أن كثيرًا من العصرانيين أصحاب سوابق "ماركسية" و"يسارية". فهم قد نزحوا إلى هذا الفكر بعد أن فشلت مشروعاتهم السابقة. ولهذا بقيت معهم رواسب من فكرهم السابق أثرت على اختياراتهم وأقوالهم. وكان الأولى بهم أن تكون توبتهم (توبة نصوحاً) تخلعهم من كل ما يخالف نصوص الكتاب والسنة.

---

(١) وأبرز من اشتهر بهذا الأمر منهم: محمد الغزالي، الذي لا يخلو كتاب من كتبه من المواقف والقصص المختلقة والتهويلية في التهجم على أهل الحق. وعلى منواله سار تلاميذه .

(٢) وهي منشورة في موقع صيد الفوائد على شبكة الأنترنت. www. Saaid. Net .

نظرة شرعية

في فكر

محمود شلتوت



نظرة شرعية في فكر (محمود شلتوت)

ترجمته[١]:

هو: "محمود شلتوت: فقيه مفسر مصري. ولد في منية بني منصور (بالبحيرة) وتخرج بالأزهر (١٩١٨م)، وتنقل في التدريس إلى أن نقل للقسم العالي بالقاهرة (١٩٢٧م)، كان يقول بفتح باب الاجتهاد. وسعى إلى التغيير في الأزهر فعارضه بعض كبار الشيوخ وطرد هو ومناصروه، فعمل في المحاماة (١٩٣١ـ١٩٣٥م) وأعيد إلى الأزهر، فعين وكيلاً لكلية الشريعة ثم كان من أعضاء كبار العلماء (١٩٤١م)، ومن أعضاء مجمع اللغة العربية (١٩٤٦م) ثم شيخاً للأزهر (١٩٥٨)! إلى وفاته.

وكان خطيباً موهوباً جهير الصوت.

له ٢٦ مؤلفاً مطبوعاً، منها: "التفسير" أجزاء منه في مجلد، ولم يتم، و"حكم الشريعة في استبدال النقد بالهدي" و" القرآن والمرأة" رسالة، و"القرآن والقتال" و"هذا هو الإسلام" و"عنصر الخلود في الإسلام" و"الإسلام والتكافل الاجتماعي" و"فقه السنة" الأول منه، و"أحاديث الصباح في المذياع" و"فصول شرعية اجتماعية" و"حكم الشريعة الإسلامية في تنظيم النسل" محاضرة، و"الدعوة المحمدية" رسالة، و"فقه القرآن والسنة" الجزء الأول، و"الفتاوى" و"توجيهات الإسلام" و"الإسلام عقيدة وشريعة" و"الإسلام والوجود الدولي".

---

(١) نقلاً عن الأعلام للزركلي (١٧٣/٧) بتصرف.

- كانت لشلتوت جهود غير مشكورة في مداهنة الرافضة والسعي للتقارب معهم. حيث قاموا بخداعه عندما كان شيخاً للأزهر بأن يصدر أمرًا بتدريس مذهب الرافضة في الأزهر! فوضع مشروعاً لذلك؛ إلا أن وقوف بعض شيوخ الأزهر ضد هذا المشروع حال دون إتمامه ـ ولله الحمد ـ[1].

ولكنه أصدر فتوى بجواز التعبد بالمذهب الإمامي سنة ١٣٦٨هـ فطار الروافض بهذه الفتوى فرحاً، ونشروها في الآفاق، وكالوا المديح لشلتوت[2].

تنبيهات:

الأول: أنني أدخلت شلتوت ضمن الطائفة العصرانية لأنه ـ كما يعلم الباحثون ـ أحد شيوخ هذه المدرسة ممن تأثروا بأفكار مؤسسيها، فكان له أثر كبير فيمن بعده من العصرانيين اللاحقين، حيث أصبحوا يرددون أفكاره وآراءه التي ذكرها في كتبه؛ لا سيما كتابه الشهير "الإسلام عقيدة وشريعة" ـ كما سيأتي إن شاء الله ـ.

فمن تلك الأفكار والآراء التي رددها العصرانيون بعده:

---

(١) للتوسع: انظر رسالة الدكتور ناصر القفاري ــ وفقه الله ــ "مسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة".

(٢) انظر على سبيل المثال : كتاب "مع رجال لفكر في القاهرة" للرافضي مرتضى الرضوي (ص٢٤-٦٣)، وكتاب "الوحدة العقائدية عند السنة والشيعة" للدكتور الرافضي عاطف سلام (ص٣٦). وقد نشر نص فتوى شلتوت، وذكر أنها نشرت في مجلة "رسالة الإسلام" العدد الثالث، السنة الحادية عشرة.

وانظر أيضاً: "مسألة التقريب بين المذاهب الإسلامية" لمجموعة من الباحثين، تقديم عبد الله العلايلي. حيث ذكروا جهود دعاة التقريب ــ ومن ضمنهم شلتوت ــ في هذا المجال. ولكنهم جميعًا باؤا بالفشل ــ ولله الحمد ــ.

١- غلوه في تعظيم العقل البشري على حساب النصوص الشرعية! لا سيما نصوص السنة.

٢- جواز موالاة الكفار.

٣- رده لأحاديث الآحاد.

٤- دفاعه عن الفرق المنحرفة.

٥- إنكار المعجزات.

٦- تشكيكه في حجية الإجماع.

٧- تشكيكه في حكم المرتد..

٨- اختياره أن المسلم يُقتل بالكافر.

٩- ادعاؤه أن الكفار إخوان للمسلمين في الإنسانية.

١٠- ادعاؤه أن الجهاد في الإسلام للدفاع فقط.

١١- تقسيمه السنة إلى "تشريعية وغير تشريعية".

١٢- غلوه في باب المصلحة ولو أدى ذلك إلى التنصل من الحكم الشرعية.

١٣- اتكاؤه على قضية "الصحيفة" التي يروى أنه - ﷺ - كتبها عند مقدمه للمدينة في إقرار أمور غير شرعية؛ كموادة الكفار أو استعمالهم أو غير ذلك مما يقوله العصرانيون كما سبق في الرد على هويدي وعمارة.

هذه بعض الأمور التي استفادها العصرانيون الجدد من شلتوت، ولعله قد استفاد أكثرها ممن سبقه.

الثاني: أنني قد اقتصرت في بيان انحرافات شلتوت على كتاب

واحد له هو "الإسلام عقيدة وشريعة"؛ لأنه عمدة كتبه، وقد وضع فيه معظم آرائه واختياراته. وقد استفدت كثيرًا من كتاب الشيخ عبد الله بن يابس ـ رحمه الله ـ "إعلام الأنام بمخالفة شيخ الأزهر شلتوت للإسلام".

انحرافاته:

الانحراف الأول: تهوينه من شأن النصوص الشرعية في مجال العقيدة وأنها لا تُحصل الإيمان للمسلم بخلاف ما يزعمه من الدليل العقلي يقول شلتوت: "أما الأدلة النقلية فقد ذهب كثير من العلماء (!) إلى أنها لا تفيد اليقين ولا تُحصل الإيمان، ولا تثبت بها وحدها عقيدة؛ لأنها مجال لاحتمالات كثيرة تحول دون هذا الإثبات" (ص٥٣).

ولهذا: فقد رد شلتوت ـ كما سيأتي ـ كثيراً من العقائد الثابتة بنصوص الكتاب والسنة لأن عقله لم يقبلها!.

الانحراف الثاني: زعمه أن الإسلام يتسع للأفكار والثقافات البعيدة عنه! يقول شلتوت (ص٩): "الإسلام دين يتسع للحرية الفكرية العاقلة (!) ولا يقف فيما وراء عقائده وأصوله على لون واحد من التفكير أو منهج واحد من التشريع.." ففي هذا الكلام أن الإسلام يتسع لألوان الكفر والأهواء المختلفة، ويرضى بنشرها في سلطانه، ولا ينكر على أهلها! وهذا من الكذب والافتراء على دين الله؛ لأن الله ـ ﷻ ـ: ﴿ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ﴾[١] بل يأمرهم أن يأمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر، وأي منكر أعظم من السماح بنشر الأديان المنحرفة والمذاهب

---

(١) سورة الزمر الآية ٧.

الباطلة التي تحوي ألواناً من الشركيات والكفريات أو البدع والمخالفات؟!.

الانحراف الثالث: عدم تكفير اليهود والنصارى، ولو بلغتهم دعوة الإسلام ما لم يقتنعوا بها!! (ص ١٩-٢٠).

وهذا قول ضال خالف به شلتوت نصوص الكتاب والسنة وإجماع المسلمين في كفر اليهود والنصارى إذا بلغتهم دعوة الإسلام. كما قال ـ ﷺ ـ: "**والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار**" رواه مسلم.

قالت اللجنة الدائمة برئاسة الشيخ ابن باز ـ رحمه الله ـ: "من أصول الإسلام: أنه يجب اعتقاد كفر كل من لم يدخل في الإسلام من اليهود والنصارى وغيرهم" "ولهذا: فمن لم يكفِّر اليهود والنصارى فهو كافر"[١].

الانحراف الرابع: اقتصاره في معرفة العقائد على القرآن وحده! يقول شلتوت: "الطريق الوحيد لثبوت العقائد هو القرآن الكريم" (ص ٥٧).

ويُقال له: فأين قوله تعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ ﴾[٢]، وقوله: ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ ﴾[٣]؟! وغير ذلك من الآيات

---

(١) فتوى رقم (١٩٤٠٢). وانظر للزيادة: "الإبطال لنظرية الخلط بين دين الإسلام وغيره من الأديان" للشيخ بكر أبو زيد.
(٢) سورة الحشر الآية ٧.
(٣) سورة المائدة الآية ٩٢.

الآمرة بالرجوع إلى الكتاب والسنة جميعاً؟! أم أن شلتوت متأثر بالمعتزلة وأضرابهم من معظمي العقل البشري القاصر؟!

الانحراف الخامس: موالاته للكفار وعدم بغضهم. يقول شلتوت (ص٤٤): "الإسلام لا يرى أن مجرد المخالفة في الدين يبيح العداوة والبغضاء"! وهذا مخالف للنصوص الشرعية الكثيرة الآمرة ببغض الكفار وعدم موالاتهم[(١)]، وفي مقدمها قوله تعالى: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ ﴾[(٢)]، وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ ﴾[(٣)]، وقوله: ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ﴾[(٤)] الآية.

الانحراف السادس: تشكيكه في كثير من مسائل العقيدة بدعوى أنها لم ترد بطريق قطعي! كرؤية الله - ﷻ -، وظهور المهدي، والدجال،

---

(١) انظرها في رسالة "الموالاة والمعادة في الشريعة الإسلامية" لمحماس الجلعود، و"الولاء والبراء" للدكتور محمد بن سعيد القحطاني.

(٢) سورة الممتحنة الآية ٤.

(٣) سورة الممتحنة الآية ١.

(٤) سورة المجادلة الآية ٢٢.

والدابة، ونزول عيسى ـ عليه السلام ـ آخر الزمان.. إلى غير ذلك مما لم يقبله عقله القاصر. (انظر ص٥٥ من كتابه).

الانحراف السابع: دفاعه عن الفرق المبتدعة التي انحرفت عن الحق وخالفت سبيل أهل السنة بأنه لا يجوز رميها بالضلال أو أنها حائدة عن الصواب!!.

ومعنى هذا أن جميع الفرق التي تنتسب إلى الإسلام مصيبة في رأيها حيث إنها لم تحد عن الصواب، وأنها غير ضالة. ومن ضمن ذلك: الجهمية الذين سلبوا الله صفاته وقالوا بخلق القرآن وكفرهم السلف. والرافضة الذين يقدحون في صحابة رسول الله ـ ﷺ ـ، ولديهم من العقائد الكفرية الشيء الكثير وغيرهم. ويلزم من هذا تضليل علماء السلف بل الصحابة الذين أنكروا على المبتدعة وحذروا منهم وردوا عليهم.

الانحراف الثامن: ادعاؤه أن حديث الآحاد لا يفيد اليقين (ص٥٩). فيلزم من هذا رد كثير من العقائد الواردة بطرق صحيحة ولكنها آحاد. وهذا مخالف لعمل الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ والسلف الصالح الذين قبلوا خبر الآحاد إذا اكتملت شروط الصحة فيه. وللرد على هذه الشبهة بتفصيل انظر، رسالة: "حديث الآحاد" للشيخ الألباني ـ رحمه الله ـ.

الانحراف التاسع: إنكاره ـ كغيره من العقلانيين ـ لكثير من المعجزات التي لم يقبلها عقله؛ كانشقاق القمر، وحنين الجذع (ص ٦٤). مع أنها ثابتة بطرق صحيحة.

الانحراف العاشر: تشكيكه في حجية الإجماع (ص ٦٥ وما بعدها).

وأدلة حجية الإجماع يعلمها كل طالب علم، فمن خالف ذلك فقد خالف الإسلام.

انظر رسالة: "حجية الإجماع" للدكتور محمد فرغلي

الانحراف الحادي عشر: تشكيكه في حكم المرتد، وأنه من الممكن تغييره؛ لأنه لم يثبت إلا بحديث الآحاد! (ص٢٨١)، وفي هذا مخالفة صريحة للنصوص الشرعية الواردة في قتل المرتد، ومخالفة لإجماع علماء المسلمين. قال ابن قدامة ـ رحمه الله ـ: "أجمع أهل العلم على وجوب قتل المرتد"، (المغني ٨/ ١٢٣).

الانحراف الثاني عشر: اختياره أن المسلم يُقتل بالكافر! (ص٣٧٤،٣١٤) وهذا مخالف لقوله ـ ﷺ ـ: "لا يُقتل مسلم بكافر" رواه البخاري.

الانحراف الثالث عشر: تصريحه بأن للكفار أن يدعو إلى دينهم في بلاد المسلمين! (ص٤٥٣)، وفي هذا إقرار للكفر، وإقرار للطعن في دين الإسلام لمن تأمل.

الانحراف الرابع عشر: وصفه للكفار بأنهم "إخوان في الإنسانية" للمسلمين! (ص٤٥٣)، ويكفي في رد هذا الهراء قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾[1] فليس هناك أخوة بين مسلم وكافر[2].

الانحراف الخامس عشر: ادعاؤه أن الأسرى لا يجوز قتلهم! (ص

---

(١) سورة الحجرات الآية ١٠.

(٢) انظر للفائدة فتاوى الشيخ ابن باز ــ رحمه الله ــ (١٧٣/٢)، مقالاً بعنوان "لا أخوة بين المسلمين والكافرين".

٤٥٥). وفي هذا تكذيب لسنته الفعلية - ﷺ - التي أجاز قتل الأسرى إذا اختار ذلك الإمام. كما فعل - ﷺ - بأسرى يهود بني قريظة عندما أنزلهم على حكم سعد بن معاذ الذي أمر بقتل مقاتلتهم. وحوادث أخرى كثيرة. فالإمام مخير في الأسرى بين المن عليهم أو مفاداتهم أو قتلهم.

الانحراف السادس عشر: ادعاؤه أن الجهاد في الإسلام للدفاع فقط (ص٤٥٣)، وانظر كتابه: (القرآن والقتال، ص١٢٦).

وللرد عليه: انظر: رسالة: "تسامح الغرب مع المسلمين" لعبد اللطيف الحسين، (ص٣٢٧ وما بعدها)، ورسالة: "الجهاد والقتال في السياسة الشرعية" للدكتور محمد هيكل (١/ ٥١١ وما بعدها).

وللرد على هذه الفكرة الانهزامية راجع محاضرة الشيخ ابن باز - رحمه الله - "ليس الجهاد للدفاع فقط"، منشورة في مجموع فتاواه (٣/ ١٧١).

الانحراف السابع عشر: زعمه أن الواجب في آيات صفات الله - ﷻ - هو التأويل أو التفويض، وأن التفويض هو مذهب السلف! (ص٤٣٢). وهذا غير صحيح وعدم فهم لمذهب السلف، فالتأويل والتفويض كلاهما مذهب مبتدع لم يقل به السلف. وإنما مذهب السلف هو الإيمان بكل ما ورد في كتاب الله وسنة النبي - ﷺ - من صفات الله - ﷻ - من غير تمثيل ولا تأويل مع تفويض (كيفية) الصفة لا (معناها)؛ لأن معنى الصفة معلوم أما كيفيتها فعلمه عند الله، - ﷻ -.

الانحراف الثامن عشر: ادعاؤه تقسيم السنة إلى "تشريع وغير تشريع" وأدخل في السنة غير التشريعية أي التي لا يلزم اتباعها: سنن الأكل والشرب والنوم والتزاور والمشي .. الخ! وبهذا التقسيم المحدث

أخرج كماً هائلاً من السنة النبوية من الشريعة! وسيأتي الرد على هذا أثناء بيان انحرافات أبي المجد والعوا ـ إن شاء الله ـ.

الانحراف التاسع عشر: قوله: "إذا وجدت المصلحة فثم شرع الله" (ص٤٧٥). والصواب أن شرع الله يؤخذ من القرآن والسنة؛ لأن المصلحة أمر غير منضبط. فما يكون مصلحة عند شخص قد يكون مضرة عند آخر. بل قد يتفق بعض الناس على تحليل ما حرم الله بدعوى المصلحة. كأن يحللوا الربا لأن فيه مصلحة، وكذا الخمر والزنا.. الخ.

الانحراف العشرون: اختياره أن دية المرأة كدية الرجل (ص٢٣٦). وهذا مخالف لإجماع المسلمين. قال الشافعي ـ رحمه الله ـ في (الأم) (٦/ ١١٤): "لم أعلم مخالفاً من أهل العلم قديماً ولا حديثاً في أن دية المرأة نصف دية الرجل".

هذه أبرز انحرافات شلتوت أحد شيوخ العصرانية من كتاب واحد له! قاده إليها نهجه الباطل في الغلو في العقل وتضخيمه على حساب النص الشرعي، إضافة إلى تأثره بمؤسسي المدرسة العصرانية الذين أرادوا تمييع الإسلام وأحكامه لعله يتماشى مع الحضارة الغربية الطاغية ـ زعموا ـ. فلا دنياً أقاموا، ولا ديناً أبقوا. والله المستعان.

نظرة شرعية

في فكـر

د. محمد عمارة

نظرة شرعية في فكر الدكتور محمد عمارة[1]

ترجمته:

- هو الدكتور محمد عمارة.

- ولد عام ١٩٣١م. حصل على الشهادة الابتدائية من معهد دسوق الديني عام ١٩٤٩م، ثم الشهادة الثانوية من معهد طنطا (المعهد الأحمدي).

- التحق بدار العلوم وتأخر حصوله على شهادتها حتى عام ١٩٦٥م بسبب سجنه بتهمة الانتماء إلى التنظيمات اليسارية.

- حصل على الماجستير عام ١٩٧٠م وكانت رسالته حول "مشكلة الحرية الإنسانية عند المعتزلة".

- حصل على الدكتوراه عام ١٩٧٥م وكانت رسالته حول "نظرية الإمامة وفلسفة الحكم عند المعتزلة".

- عمل باحثاً في وزارة الأوقاف، ومستشاراً في الهيئة المصرية العامة للكتاب.

- متفرغ للعمل الفكري والتأليف.

مؤلفاته: كثيرة؛ منها:

١- القومية العربية ومؤامرات أمريكا ضد وحدة العرب.

٢- فجر اليقظة القومية.

٣- العروبة في العصر الحديث.

---

(١) اختصرت هذا المبحث من كتابي "محمد عمارة في ميزان أهل السنة والجماعة"، وهو مطبوع فمن أراد تفصيل الرد على انحرافات الدكتور فليرجع إليه غير مأمور.

٤- الأمة العربية وقضية الوحدة.
٥- إسرائيل.. هل هي سامية؟
٦- مسلمون ثوار.
٧- عمر بن عبد العزيز خامس الخلفاء الراشدين.
٨- الإسلام والوحدة الوطنية.
٩- قاسم أمين وتحرير المرأة.
١٠- محمد عبده، مجدد الإسلام.
١١- جمال الدين الأفغاني، موقظ الشرق وفيلسوف الإسلام.
١٢- عبد الرحمن الكواكبي: شهيد الحرية ومجدد الإسلام.
١٣- علي مبارك، مؤرخ المجتمع ومهندس العمران.
١٤- رفاعة الطهطاوي. رائد التنوير في العصر الحديث.
١٥- المعتزلة ومشكلة الحرية الإنسانية.
١٦- الخلافة ونشأة الأحزاب الإسلامية.
١٧- المعتزلة وأصول الحكم.
١٨- المعتزلة والثورة.
١٩- نظرة جديدة إلى التراث.
٢٠- عندما أصبحت مصر عربية.
٢١- الجامعة الإسلامية والفكرة القومية عند مصطفى كامل.
٢٢- معارك العرب ضد الغزاة.
٢٣- محمد عبده، سيرته وأعماله.
٢٤- المادية والمثالية في فلسفة ابن رشد.
٢٥- العرب والتحدي.

٢٦- الفكر الاجتماعي لعلي بن أبي طالب.

٢٧- العدل الاجتماعي لعمر بن الخطاب.

٢٨- نظرية الخلافة الإسلامية.

٢٩- الإسلام والثورة.

٣٠- الإسلام والسلطة الدينية.

٣١- الإسلام والحرب الدينية.

٣٢- ثورة الزنج.

٣٣- التراث في ضوء العقل.

٣٤- الإسلام وقضايا العصر.

٣٥- الإسلام والعروبة والعلمانية.

٣٦- دراسات في الوعي بالتاريخ.

٣٧- الإسلام وأصول الحكم.

٣٨- تيارات الفكر الإسلامي.

٣٩- تيارات اليقظة الإسلامية والتحدي الحضاري.

٤٠- الصحوة الإسلامية والتحدي الحضاري.

٤١- الفريضة الغائبة، عرض وحوار وتقييم.

٤٢- الفكر القائد للثورة الإيرانية.

٤٣- الإسلام بين العلمانية والسلطة الدينية.

٤٤- ماذا يعني الاستقلال الحضاري لأمتنا العربية الإسلامية؟.

٤٥- جمال الدين الأفغاني المفترى عليه.

٤٦- الإسلام والمستقبل.

٤٧- العلمانية ونهضتنا الحديثة.

٤٨- الإسلام وحقوق الإنسان.

٤٩- الاستقلال الحضاري.

٥٠- معالم المنهج الإسلامي.

٥١- الإسلام والفنون الجميلة.

٥٢- الشيخ محمد الغزالي.

- كان الدكتور محمد عمارة في شبابه يسارياً متطرفاً إبان فترة توهج الفكر الماركسي اليساري في بلاد المسلمين، ثم تحول عنه في بداية السبعينات لما رأى ـ كما يدعي! ـ "سلبيته القاتلة" وأنه مجرد وافد على بلاد المسلمين، ومن ثم توجه عمارة إلى ما يسميه "الفكر العربي الإسلامي العقلاني المستنير".

- بعد رجوعه عن الفكر اليساري اتجه محمد عمارة إلى إحياء تراث المعتزلة قديماً والمدرسة العقلية (مدرسة الأفغاني ومحمد عبده) حديثاً.

يقول عمارة عن توجهه الجديد: "لقد استطعت أن أنجح في خلق(!) قارئ جديد. قارئ إسلامي ليس هو اليساري التقليدي، وليس هو الإسلامي التقليدي"! (رحلة في عالم الدكتور محمد عمارة، ص ١٠٧).

أي أنه حاول في توجهه الجديد أن يمزج الإسلام باليسارية التي كان يدين بها! بعد أن فشلت فشلاً ذريعاً في عالمنا الإسلامية ـ ولله الحمد ـ. وهذا دليل على بقاء تعلقه بذلك الفكر المنحرف واستنكافه وتكبره عن التراجع التام عنه ـ نسأل الله العافية وأن يرزقنا التوبة النصوح ـ.

انحرافاته:

١- غلوه في تعظيم العقل البشري القاصر:

يبالغ الدكتور عمارة ـ شأنه شأن أسلافه من المعتزلة وأتباعهم ـ في

تمجيد العقل البشري القاصر وإنزاله محلاً رفيعاً يجعله حاكماً على النصوص الشرعية لا محكوماً لها؛ وهذا مما أداه إلى رد كثير من النصوص والأحكام الشرعية التي لا توافق عقله.

يقول عمارة متحدثاً عن شيوخه المعتزلة ومؤيداً لهم: "قالوا إن الأدلة أولها العقل؛ لأنه به يميز بين الحسن والقبيح" (الطريق...، ص١٠٠) ويقول: "إن مقام العقل في الإسلام مقام لا تخطئه البصيرة ولا البصر.." (التراث...، ص١٨٣)، ويقول: "إن الإسلام لا يمد نطاق علوم الوحي والشرع إلى كل الميادين الدنيوية التي ترك الفصل فيها والتغير لعلوم العقل والتجربة الإنسانية" (الدولة الإسلامية، ص١٧٢).

قلت: وللرد على شبهات العقلانيين ـ ومنهم محمد عمارة ـ في تعظيم العقل وتقديمه على النقل يراجع كتاب "محمد عمارة في ميزان أهل السنة والجماعة" (من ص١٤٠ إلى ص٢٥٨).

وأكتفي هنا بنقل جميل عن الدكتور محمد رفعت زنجير ذكره في كتابه "اتجاهات تجديدية متطرفة" (ص٥٧)، يرد به على معظمي العقل على حساب النقل: يقول الدكتور: "وقضية تقديم العقل على النقل مطروحة من أيام المعتزلة، ونحن لا نرى إقحام العقل في تفاصيل قضايا الإيمان بالغيب، وصفات الله، والمتشابهات، لأن العقل محدود العلم، وما يجهله أكثر مما يعرفه، فلا ينبغي له أن يتدخل فيما يجهله، لأنه سيقود إلى نتائج غير سليمة. ونضرب لذلك مثلاً: لو أن إنساناً قبل عصر الطيران قال إن البشر سيطيرون من شرق الأرض إلى غربها في يوم واحد، لاتهمه الناس بعقله، فالعقل لا يقول بإمكانية ذلك آنذاك، أما اليوم فمن أنكر ذلك فهو الذي يتهم بالخبل، فإذا كان العقل عرضة

لتغيير أحكامه في أمور الدنيا تبعاً لمتغيراتها بين الأمس واليوم، فهو أكثر عرضة لتغيير آرائه بالنسبة للدين، يؤكد هذا أن الله تعالى كلما بعث نبياً، وأصلح الناس، قام الناس بعد رحيل نبيهم بتغيير المنهج وتحريف الرسالة، وهم يعتمدون في ذلك على ما تكن به نفوسهم ويخطر في عقولهم، ولو أنهم التزموا بما أنزل الله إليهم ولم يحرفوا، أو يبدلوا، لبقي المنهج سليماً، وساد الإصلاح، فالعقل قد يضل، أو يتبع الهوى، وليست جميع العقول مستنيرة ".

٢- اعتناقه واحياؤه لمذهب "المعتزلة":

سبق لنا أن الدكتور بعد أن ادعى الانخلاع من الفكر الماركسي لجأ إلى إحياء تراث فرقة المعتزلة بعد أن لفظته الأمة منذ قرون، محاولاً بذلك صرف شباب الأمة إلى هذه البدعة من جديد. يقول الدكتور ممجداً المعتزلة: "كان التوحيد بمعناه النقي المبرأ من الشبهات هو الذي دعا المعتزلة لنفي القدم عن القرآن..." (نظرة جديدة..، ص٩١)، ويخصص كتاباً كاملاً هو "المعتزلة ومشكلة الحرية الإنسانية" لينصر فيه قولهم في القدر. ويقول عن شيخهم عمرو بن عبيد: "علامة بارزة على طريق تطور العقل العربي المسلم، وعلم من الأعلام الذين صنعوا النشأة الأولى للتيار العقلاني في تراثنا". (مسلمون ثوار، ص١٦١).

ولبيان انحرافات المعتزلة بإمكان القارئ الرجوع إلى رسالة "المعتزلة وأصولهم الخمسة" للشيخ عواد المعتق ـ وفقه الله ـ.

٣- اعتناقه واحياؤه لتراث تيار المدرسة العصرانية الحديثة:

وكما أحيا محمد عمارة تراث المعتزلة لتوافقه معهم في الغلو في العقل البشري على حساب نصوص الوحي، فإنه كذلك أحيا تراث

أتباعهم في هذا العصر؛ وأعني بهم مدرسة الأفغاني ومحمد عبده العصرانية، الذي يقول محمد عمارة، عن تيارهم: "أبرز تيارات التجديد في حركة اليقظة العربية في العصر الحديث" (العرب والتحدي، ص٢٩١) ويدعو الأمة إلى التزامه.

ولهذا أشرف الدكتور على طباعة ما سماه الأعمال الكاملة لكل واحدٍ منهم؛ نظرًا لتوافقه معهم في انحرافاتهم التي سبق في المقدمة ذكرها، ومن أبرزها: دعوتهم إلى الوطنية، والعلمانية، والاشتراكية،وتحرير المرأة،والتقريب بين الأديان والمذاهب.. الخ

وكما سبق في مقدمة هذه المجموعة ـ أيضاً ـ فقد رد العلماء والباحثون على هذه المدرسة، وبينوا انحرافاتها، وأنها في حقيقتها "علمانية" مستترة، وسلاح بيد الأعداء لتغريب ومسخ بلاد المسلمين. فبإمكان القارئ الرجوع إلى ما ذكرته من المصادر.

٤- من أخطر انحرافات محمد عمارة أنه لا يرى كفر اليهود والنصارى!! بل هم في نظره مؤمنون مسلمون! كما ذكر ذلك في كتابه "الإسلام والوحدة، ص٦٢٥،٧١،٧٠،٦٠". وفي هذا مخالفة لما علم من دين الإسلام بالضرورة؛ لأن الأدلة من الكتاب والسنة صريحة في تكفير من تدين بدين سوى الإسلام، وعلى هذا أجمع المسلمون. قال شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ: "إن اليهود والنصارى كفار كفرًا معلوماً بالاضطرار من دين الإسلام"[١]. وقال ابن حزم في مراتب الإجماع: "واتفقوا على تسمية اليهود والنصارى كفارًا"[٢].

---

(١) الفتاوى (٢٠١/٣٥).

(٢) مراتب الإجماع (ص ١١٩).

وقال الشيخ ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ: "إن كل من زعم أن في الأرض ديناً يقبله الله سوى الإسلام فهو كافر لا شك في كفره". ومن أراد الأدلة التفصيلية فليراجعها في أصل الكتاب، وفي رسالة "الإعلام بكفر من ابتغى غير الإسلام" إعداد علي أبو لوز.

٥- ومن انحرافات عمارة دعوته إلى "الوطنية" التي تجمع المسلم بالكافر، وتجعله يتخذه ولياً من دون المسلمين من غير أهل الوطن، وقد قال تعالى: ﴿ لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَـٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ ﴾[1]. ومع هذا يقول عمارة: "إيمان هذه الأمة بالوحدة الوطنية والقومية إيمان راسخ لا شك فيه"! (التراث...، ص٢٣٤).

٦- ومن انحرافات عمارة دعوته إلى القومية العربية التي تجعله يوالي العربي الكافر على حساب المسلم غير العربي ـ كما سبق ـ، وقد خصص ـ هداه الله ـ كتاباً يدعو فيه إلى هذا الأمر، سماه "الإسلام والوحدة القومية".

ولبيان انحرافات هذه الفكرة: راجع كتاب الشيخ ابن باز ـ رحمه الله ـ عن القومية، وكتاب "فكرة القومية العربية على ضوء الإسلام" للشيخ صالح العبود.

٧- ومن انحرافات عمارة دعوته إلى "العلمانية"! وقد يتعجب البعض من هذا وهم يقرؤون ويتابعون أن محمد عمارة يرد كثيرًا على من يسميهم "غلاة العلمانيين"، وقد خصص لهذا بعض كتبه ككتابه

---

(١) سورة آل عمران الآية ٢٨.

"العلمانية ونهضتنا الحديثة".

وسيزول عجب هؤلاء إذا علموا أن محمد عمارة يقسم العلمانية قسمين:

١- علمانية الغلاة؛ وهذه يرفضها ويرد عليها؛ وهي ما يسميه "العلمانية الغربية" التي تفصل الدين عن الدولة ـ كما يزعم ـ. (راجع كتابه: الدولة الإسلامية، ص٦٤).

٢- علمانية إسلامية! أو مستنيرة! وهي التي تقرر ـ كما يقول ـ أن "ما قضاه وأبرمه الرسول في أمور الدين عقائد وعبادات لا يجوز نقضه أو تغييره حتى بعد وفاته؛ لأن سلطانه الديني كرسول ما زال قائماً فيه. وسيظل كذلك خالداً بخلود رسالته ـ عليه الصلاة والسلام ـ. على حين أن ما أبرمه من أمور الحرب والسياسة يجوز للمسلمين التغيير فيه بعد وفاته؛ لأن سلطانه هنا قد انقضى بانتقاله إلى الرفيق الأعلى"!! (الدولة الإسلامية، ص٧٦).

إذن فالدين عند عمارة لا دخل له في أمور السياسة والحرب؛ ومعلوم أن هذا يشمل: علاقة المسلمين بغيرهم، وأحكام الجهاد، وأحكام الخلافة والولاية، وأحكام الحسبة، وأحكام الاقتصاد.. الخ. وإنما يتدخل الدين في أمور العقائد والعبادات فقط! فإن لم تكن هذه هي العلمانية فلا ندري ما العلمانية؟! ولا فرق بينها وبين ما يسميه بعلمانية الغلاة، بل يستويان في حكم الشرع عليهما بالكفر.

٨- ومن انحرافات الدكتور عمارة دعوته إلى الاشتراكية التي يسميها زورًا "بالعدل الاجتماعي"! كما في كتابه "الإسلام والثورة، ص٥٤،٥٣، ٧١،٧٠،٦٤،٥٧".

وقد بين علماء الإسلام حكم الاشتراكية المستوردة من الشرق بما لا مزيد عليه؛ فليراجع مثلاً كتاب الشيخ عبد العزيز البدري ـ رحمه الله ـ "حكم الإسلام في الاشتراكية"، ورسالة الشيخ عبد الله بن حميد ـ رحمه الله ـ "الاشتراكية في الإسلام".

٩- ومن انحرافات الدكتور: محاولته للتقريب بين أهل السنة والرافضة، كما في كتابه "عندما أصبحت مصر عربية، ص٧٤، ١١٣".

وقد بين العلماء عدم إمكانية مثل هذا التقارب الموهوم؛ لأنه لا توجد أرض مشتركة بين الطائفتين؛ طائفة الحق وطائفة الضلال، بل هما دينان مختلفان، إلا أن يكون ذلك على حساب أهل السنة بحملهم على التنازل عن كثير من عقائدهم إرضاء لأعداء الصحابة.

ومن أراد بيان استحالة مثل هذا الأمر وخطورته على أهل السنة؛ فليراجع رسالة الدكتور ناصر القفاري: "مسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة".

١٠- ومن انحرافات الدكتور: دعوته إلى تغريب المرأة المسلمة، متابعة منه للعصريين من أمثال قاسم أمين تلميذ الشيخ! محمد عبده. "انظر كتاب عمارة: الإسلام والمستقبل، ص٩٩، ٢٢٧، ٢٣٧، ٢٤١" وكتابه الآخر عن المودودي (ص ٣٧١، ٣٨٤، ٣٨٥، ٣٧٨، ٣٨٠) حيث أباح سفورها واختلاطها وعملها في الفن والسياسة.. الخ.

وقد بين العلماء زيغ هذه الدعوة الماكرة وخطرها على نساء المسلمين ومجتمعاتهم في عدة رسائل ونصائح وتوجيهات. راجع منها: "عودة الحجاب" للشيخ محمد بن إسماعيل، و "حراسة الفضيلة" للشيخ بكر أبو زيد.

١١- ومن انحرافات الدكتور: أنه يرى أن الجهاد في الإسلام للدفاع فقط وليس للطلب! (انظر كتابه: الدولة الإسلامية؛ ص ١٣٦).

وهذا عين ما يردده المنهزمون الذين يريدون أن يُظهروا الإسلام أمام الناس بمظهر الوديع المسالم المتسامح! ولو أداهم ذلك إلى إلغاء شيء من أحكامه. ومن المحزن أن يتبنى هؤلاء فكرة قصر الجهاد في الإسلام على الدفاع فقط، رغم أن العدو لم يدعهم وشأنهم بل أصبح (يطلبهم) في ديارهم و"ما غزي قوم في دارهم إلا ذلوا".

ومن أراد الرد على هذه الفكرة المنهزمة فعليه بمحاضرة الشيخ ابن باز ـ رحمه الله ـ "ليس الجهاد في الإسلام للدفاع فقط"، وهي منشورة في فتاواه ـ كما سبق ـ.

١٢- ومن انحرافات الدكتور: عدم أخذه بحديث الآحاد الصحيح في مجال العقيدة (انظر كتابه: الإسلام وفلسفة الحكم، ص ١١٨)، كما هو مذهب أهل البدع الذين ردوا كثيرًا من عقائد الإسلام بهذه الشبهة. وللرد عليهم راجع رسالة الشيخ الألباني ـ رحمه الله ـ: "الحديث حجة بنفسه في العقائد والأحكام.

١٣- ومن انحرافات الدكتور: لمزه لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ـ رحمه الله ـ بأنها عادت الفلسفة وعلم الكلام! (انظر كتابه: الطريق...، ص١٦٠).

ومعلوم أن هذه صفة مدح لا ذم! لأن علم الكلام والفلسفة علم مبتدع يحوي صنوفاً من الضلال، ويتناقض مع الإسلام، مهما حاول أصحابه ودعاته أن ينفوا ذلك. وقد بين هذا كثير من علماء الإسلام. راجع كتاب "ذم الكلام" للهروي.

١٤- ومن انحرافات الدكتور: لمزه المتكرر بالدعوة السلفية. يقول الدكتور: "نحن في مواجهة خطر السلفية النصوصية"! (المعتزلة..، ص٥).

(وانظر كتبه: نظرة جديدة..، ص١٣، والإسلام والمستقبل، ص٢٤٩).

ثم يصيبك العجب عندما ترى الدكتور يدندن كثيرًا بأنه من دعاة "السلفية"! فهل السلفية الحقة إلا اتباع نصوص الكتاب والسنة؟!

والدعاوى ما لم تقيموا عليها بينات أصحابها أدعياء .

١٥-ومن انحرافات الدكتور: طعنه في بعض الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ؛ كمعاوية بن أبي سفيان ـ رضي الله عنه ـ؛ (كما في كتابه: الإسلام وفلسفة الحكم، ص ١٥٨). وهذا ليس بمستغرب من رجل متشرب لتراث المعتزلة أعداء الصحابة. ومعلوم ـ كما قال شيخ الإسلام ـ أن "من أصول أهل السنة والجماعة سلامة قلوبهم وألسنتهم لأصحاب رسول الله ـ ﷺ ـ"[١].

١٦- ومن انحرافات الدكتور: مدحه للصوفية الملاحدة وأهل البدع . يقول عمارة عن ابن عربي الصوفي: "ابن عربي في التصوف الفلسفي قمة القمم"! (التراث..، ص ٢٩١).

ويقول عن رأس الاعتزال عمرو بن عبيد: "علامة بارزة على طريق تطور العقل العربي المسلم.."! (السابق، ص ٢٧).

ويقول عن غيلان الدمشقي القدري المعتزلي: بأن حياته كانت "نموذجاً فريداً..."! (مسلمون ثوار، ص ١٤٩). ولبيان حقيقة هذه الشخصيات المنحرفة وغيرها: راجع الأصل (ص ٦٥٣-٦٧٠).

١٧- ومن انحرافات الدكتور: تمجيده وفخره "بالثورات" التي قامت

---

(١) الفتاوى (٣/١٥٢) .

بها الطوائف المنحرفة في تاريخنا الإسلامي؛ كثورة الزنج، والعبيديين. ولبيان الحقيقة راجع الأصل (ص ٦٧١-٦٧٦).

ختاماً: هذه أبرز انحرافات الدكتور محمد عمارة الذي اختار عند انخلاعه من اليسارية والاشتراكية أن يستبدل ذلك بما يسميه "التيار الإسلامي المستنير"! الذي يلتقي أفراده على مجموعة من الانحرافات ـ سبق بيانها في مقدمة هذه المجموعة ـ، فأفسد ولم يُصلح؛ بل أشغل الساحة الإسلامية بخلافات ونزاعات كان في غنىً عنها لو ارتضى ما رضيه الله لعباده؛ من التزام شرعه واتباع كتابه وسنة رسوله ـ ﷺ ـ على فهم السلف الصالح. ولكن ﴿ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ﴾[1]. نسأل الله لنا وله الهداية والتوفيق، وأن يرينا الحق حقاً ويرزقنا اتباعه.

---

(١) سورة الروم الآية ٤.



نظرة شرعية

في فكر

فهمي هويدي

نظرة شرعية في فكر فهمي هويدي[1]

تعريف بهويدي:

هو: محمود فهمي عبد الرازق هويدي.

ولد في ٣٠ أغسطس عام ١٩٣٧م، بمدينة الصف محافظة الجيزة.

متزوج وله ٣ أبناء.

حصل على ليسانس الحقوق من جامعة القاهرة.

عمل محررًا بقسم الأبحاث بجريدة الأهرام عام ١٩٥٨م.

ثم سكرتير تحرير سنة ١٩٦٥م.

ثم مدير تحرير مجلة العربي الكويتية (١٩٧٦-١٩٨٢م).

ثم نائب رئيس تحرير مجلة أرابيا (١٩٨٢-١٩٨٤م).

ثم مساعد رئيس تحرير جريدة الأهرام ١٩٨٤م.

يعمل حالياً بجريدة الأهرام.

مؤلفاته:

معظم مؤلفات فهمي هويدي مقالات صحفية سبق نشرها في عدة صحف ومجلات، يقوم هويدي بتصنيفها على هيئة موضوعات مختلفة، ثم تُطبع كل مجموعةٍ منها في كتاب مستقل أقرب إلى الصحيفة منه إلى الكتاب العميق المتأنى في كتابته.

وهذه قائمة بأسماء مؤلفاته:

١- القرآن والسلطان ـ ط٢ـ ١٤٠٢هـ ـ دار الشرق[1].

---

(١) اختصرها من كتابي "فهمي هويدي في الميزان". وانظر: خاتمة كتاب " العرب وتحديات القرن الحادي والعشرين " إصدار مؤسسة عبد الحميد شومان بالأردن، ط ٢٠٠٠ م.

٢- مواطنون لاذميون ـ ط٢- ١٤١٠هـ ـ دار الشروق.

٣- تزييف الوعي ـ دار الشروق.

٤- حتى لا تكون فتنة ـ ط١ـ ١٤١٠هـ ـ دار الشروق.

٥- إحقاق الحق ـ ط١ ـ١٤١٤هـ ـ دار الشروق.

٦- التدين المنقوص.

٧- المفترون ـ ط١ ـ ١٤١٦هـ ـ دار الشروق.

٨- مصر تريد حلاً ـ ط١ـ ١٤١٨هـ ـ دار الشروق.

٩- إيران من الداخل ـ ط٣ ــ ١٤٠٨هـ ـ مركز الأهرام للترجمة والنشر.

١٠- الفتنة الكبرى ـ ط١٩٩١م ـ الفائز بجائزة علي وعثمان حافظ!.

١١- حدث في أفغانستان .

١٢- المسلمون في الصين.

١٣- أزمة الفكر الديني.

١٤- العرب وإيران .

١٥- أزمة الوعي الديني .

وهويدي ـ كما سبق ـ يكتب في عدة صحف ومجلات في آنٍ واحد؛ وهي على سبيل المثال:

١- جريدة الوطن الكويتية .

---

(١) وهي الدار التي تعتني ــ عناية خاصة ــ بطبع تراث العقلانيين! من أمثال: شلتوت والغزالي والقرضاوي ومحمد عمارة وأحمد كمال أبو المجد ومحمد سليم العوا وطارق البشري وهويدي وغيرهم. يقول صاحباها إبراهيم وعادل المعلم في مقدمة منشوراتما (ص٣): "وتمضي دار الشروق منارةً للفكر الإسلامي المستنير"!.

٢- جريدة الشرق الأوسط .

٣- جريدة الأهرام.

٤- مجلة العربي الكويتية .

٥- مجلة المجلة .

٦- مجلة الحرس الوطني السعودية .

٧- مجلة النور الكويتية .

٨- مجلة المسلم المعاصر.

٩- مجلة البنوك الإسلامية.

١٠- مجلة الموقف اللبنانية .

١١- مجلة المختار الإسلامي.

تصريحه بانتمائه إلى المدرسة العصرانية:

يقول هويدي: "قد أزعم أنني أنتمي إلى مدرسة في الفكر الإسلامي تدين هذا الموقف وتخاصمه، وتعتبر أن الحرية هي أثمن ما جاء به الإسلام، وأن التوحيد قرين التحرير"[(١)].

ويقول: "إن أحد الأوجه المضيئة للظاهرة الإسلامية ظل غائباً أو مغيباً عن الخرائط السياسية المعتمدة، ومن ثمَّ عن الوعي العام في جملته، وغاية ما ظهر معتبرًا عن ذلك الوجه هو عطاء نفر من الناس الذين قدموا كتابات وأبحاثاً جليلة في إثراء المشروع الحضاري الإسلامي بمختلف مجالاته"[(٢)].

(١) جريدة الأهرام، تاريخ: ١٩٨٨/٩/٢٧م.

(٢) ١٩٩١/٧/٣٠م.

ويصرح هويدي بانتمائه إلى مذهب أفراد المدرسة العقلانية ـ ومن ضمنهم الكواكبي[١] ـ فيقول: "نحن ـ بالمناسبة ـ على مذهب شيخنا عبدالرحمن الكواكبي في قوله: إن أصل الداء، وأس كل بلاء في الشرق هو الاستبداد السياسي، ودواؤه دفعه بالشورى الدستورية"[٢].

وعلى صفحات جريدة "الأهرام" المصرية[٣] يمدح هويدي وثيقة إسلامية طبعها د. أحمد كمال أبو المجد أحد رموز العصرانية بعنوان "رؤية إسلامية معاصرة"[٤]، وهي ـ كما سيأتي إن شاء الله ـ ملخص للأفكار الرئيسة التي يلتقي عليها العصرانيون تكفل بصياغتها لهم أبو المجد، وأثنى عليها هويدي، وشيخهم القرضاوي[٥]!.

ويتأسف هويدي على كون أفراد هذا التيار ما زالوا مشتتين. يقول هويدي: "أما الذين حاولوا التجديد عن طريق تثبيت الدين واستهدفوا إعلاء كلمته، ورفع الحرج عن المسلمين، هؤلاء لا يزالون أفرادًا مشتتين، ترتفع أصواتهم هنا وهناك، وكثيرًا ما تضيع صيحاتهم وسط ضجيج العصر وهدير الأمة"[٦].

---

(١) الكواكبي هو عبدالرحمن بن أحمد بن مسعود الكواكبي، رحّالة متشبع بالفكر القومي، ولد وتعلم في حلب، ثم رحل إلى مصر، وساح في العالم الإسلامي. له كتاب "طبائع الاستبداد" يدعو فيه إلى الحرية، ولذا فالعقلانيون، كهويدي وغيره، معجبون بهذا الكتاب لأنه يمهد لهم الطريق نحو الديمقراطية؛ توفي الكواكبي عام (١٣٢٠هـ). انظر: الأعلام للزركلي (٣/٢٩٨).

(٢) جريدة الأهرام، تاريخ: ٩/١٠/١٩٩٠م.

(٣) جريدة الأهرام، تاريخ: ٨/١٠/١٩٩١م.

(٤) الطريف أن أبا المجد قد مدح هويدي وشكره في مقدمة وثيقته! فالعصرانيون يتبادلون الثناء فيما بينهم، ويلمع بعضهم الآخر ترويجًا لأفكارهم. انظر: مقدمة الوثيقة.

(٥) انظر: "ملامح المجتمع المسلم" للقرضاوي (ص ٧٨).

(٦) مجلة العربي، العدد: ٢٣٢، ص ٣٦.

ويقول مؤكدًا أهمية هذا التيار: "إن ساحة العمل الإسلامي ظلت تفتقر إلى التيار الناضج الذي يقود الجماهير المؤمنة"[(1)].

ويقول عن ارتباط هذا التيار بمدرسة محمد عبده: "لكن ما ينبغي أن يلفت انتباهنا حقاً هو أن هذا النهج في تناول الموضوع ليس الوحيد المطروح في الساحة، وإنما هناك آخرون كتبوا في الموضوع ذاته، وكانوا أفضل تعبيرًا عن تعاليم الإسلام الداعية إلى البر والتآلف، من الإمام محمد عبده في بداية القرن، إلى الشيخين محمد الغزالي ويوسف القرضاوي"[(2)].

ويقول عن الغزالي والقرضاوي: "اثنين من أبرز فقهائنا وعلمائنا المعاصرين"[(3)].

ويسمي القرضاوي: "أحد أعلام الاجتهاد في زماننا"[(4)].

ويقول عنه: "لقد سمعت من الدكتور يوسف القرضاوي، وهو بالمناسبة من الأصوليين المنحازين إلى الديمقراطية والتعددية.."[(5)].

ويقول عنه: "الدكتور يوسف القرضاوي الفقيه الكبير"[(6)].

ويعرض في مقالاته كتابيه: "كيف نتعامل مع السنة النبوية" و"أولويات الحركة الإسلامية"[(7)].

---

(١) مجلة العربي، العدد: ٢٣٢، ص ٣٦.

(٢) جريدة الأهرام، تاريخ: ١٩٨٧/٣/١٧م.

(٣) مجلة العربي، العدد: ٢٩٠، ص ٨٢.

(٤) جريدة الأهرام، تاريخ: ١٩٨٩/١١/١١م، وانظر أيضاً: جريدة الأهرام، تاريخ: ١٩٨٧/٣/٢٤م.

(٥) جريدة الأهرام، تاريخ: ١٩٩١/٧/٢٣م.

(٦) جريدة الأهرام، تاريخ: ١٩٨٦/١١/١٨م.

(٧) جريدة الأهرام، تاريخ: ١٩٩١/٦/١٨م.

وينقل عنه في نقد الدولة الدينية[1]، وفي مقال له بمجلة العربي الكويتية عرض هويدي كتاب القرضاوي "الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف" مثنيًا عليه، ومروجًا له[2].

ويقول عن كتاب الغزالي "السنة بين أهل الفقه وأهل الحديث": "إن الكتاب صدرت منه ٨ طبعات في مصر، كما صدر في طبعات خاصة ظهرت في الأردن والجزائر، وتُرجم إلى الإنجليزية، وطُبع ثلاث مرات في إنجلترا، وفي الوقت ذاته فقد صدرت له ترجمات بالإنجليزية في الهند وباكستان، وفي زيارتي الأخيرة لماليزيا وجدته مترجماً إلى اللغة الملاوية!.

هذا الرواج يعني مباشرة أن هناك حالة من التعطش الشديد لاستجلاء الوجه الحقيقي للإسلام، الذي حاول الكتاب أن يقوم به"[3].

هذه بعض أقوال هويدي التي تبين للقارئ أنه مجرد (صحفي) (عصراني) يؤيد هذا التيار بما آتاه الله من حُسن بيان، ولكن عمدته ومرجعه في الأمور العلمية والفقهية هما الغزالي القرضاوي، فهو مجرد ناقل لأقوالهما واختياراتهما، وناشر لها على نطاق واسع، بسبب خبرته الصحفية، وكثرة مقالاته!.

فهمي هويدي والكفار:

يقول هويدي: "وحدة الأصل الإنساني ثابتة في نصوص القرآن

---

(١) جريدة الأهرام، تاريخ: ٢٥/٤/١٩٨٩م.

(٢) انظر: مجلة العربي، العدد: ٢٩١، ص ٤٠.

(٣) جريدة الأهرام، تاريخ: ١٨/٦/١٩٩١م.

الكريم، والمساواة والأخوة بين بني البشر، والقداسة التي أحيطت بها كرامة الإنسان بصرف النظر عن دينه أو جنسه من الأمور الثابتة في نصوص القرآن والسنة، أما التفاضل بين الناس في الآخرة فله معايير أخرى"[١].

ويقول: "إن الأمر الهام هو أن حقوق الإنسان وحرياته الأساسية والمساواة بين البشر جميعاً، هذا كله مقرر في الإسلام على أساس العقيدة، وليس من مسائل الاجتهاد والنظر"[٢].

ويقول: "إن التفرقة بين البشر فيما هو دنيوي حسب اعتقادهم أو جنسهم أو لونهم ليس من منهج القرآن في شيء، إذ القاعدة هي المساواة، والجميع في ديار الإسلام أمة واحدة، والخلق كلهم (عيال الله) بالتعبير النبوي، فضلاً عن أن الناس خلقوا (من نفسٍ واحدةٍ) بالتعبير القرآني[٣].

ويقول: "لابد من الاعتراف بأن هناك إحياءً دينيًا على الجانبين - الإسلامي والمسيحي - في مصر، الأمر الذي كان ينبغي أن يُقابل بما يستحقه من حفاوة مصحوبة بجهود جادة وحثيثة لاستثمار ذلك الإحياء، لكي يُصبح قاعدة لنهضة إيمانية تستهدف إشاعة المودة والتراحم بين الناس، وعمارة الدنيا مع عمارة الآخرة"[٤].

ويقول أيضاً: "إن الذين قالوا بأن غير المسلم يعتبر مواطناً من

---

(١) جريدة الأهرام، تاريخ: ٧/١٠/١٩٨٦م.

(٢) مواطنون لاذميون، ص ٩٩.

(٣) مواطنون لاذميون، ص ١٥٦.

(٤) جريدة الأهرام، تاريخ: ٢٦/٥/١٩٩٢م.

الدرجة الثانية في المجتمع الإسلامي، لم يورد أحدهم نصًا شرعيًا يستند إليه في دعواه"[١]!.

ويرى هويدي: "إن ديار المسلمين ينبغي أن تظل ملكًا للمسلمين وغير المسلمين، بغير تسلط ولا أفضلية من أحد على أحد، لأنه لا فضل لإنسان على إنسان إلا بتقواه وعمله الصالح"[٢].

ويرى هويدي أن آية: ﴿ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴾[٣]، "تتحدث عن الآخرة وليس الدنيا"[٤].

فليس فيها دليل على عدم المساواة مع الكفار!.

هويدي لا يرى كفر اليهود والنصارى!!

يقول هويدي: "إن المسلمين في لغة القرآن الكريم هم المؤمنون بالله الواحد، وليسوا أتباع دين خاص، كما يقرر الشيخ محمد دراز في كتابه الهام حول (الدين)"[٥].

هويدي يرى أن للكفار الطعن في الإسلام!!

يقول هويدي عن أهل الذمة الذين يعيشون في ديار المسلمين: "سيكون لهم الحق في انتقاد الدين الإسلامي مثل ما للمسلمين لنقد مذاهبهم ونِحَلهم"[٦]

---

(١) مواطنون لاذميون، ص ١٢١.

(٢) مواطنون لاذميون، ص ١٢٦.

(٣) سورة القلم الآية ٣٥.

(٤) جريدة الأهرام، تاريخ: ١٩٨٧/٣/١٧م.

(٥) جريدة الأهرام، تاريخ: ١٩٨٧/٣/١٧م.

(٦) مواطنون لاذميون، ص ١٧٥، نقلاً عن المودودي الذي أساء لنفسه بهذا الرأي الشاذ ــ عفا الله عنه ــ.

هويدي يرى أن الجزية بدلٌ عن حماية الدولة الإسلامية للذمي، فإذا شارك معهم في الجهاد سقطت عنه!.

يقول هويدي: "حقيقة الأمر هي أن الجزية بدل عن حماية الدولة الإسلامية للذميين لإعفائهم من واجب الدفاع عن دار الإسلام"(١)

هويدي يرى أن الحرب في الإسلام هي للدفاع فقط:

يقول هويدي: "إن طريق الدعوة لا يمر بساحة الحرب في أي موضع وتحت أي اعتبار، وينبغي أن لا يمر"(٢).

ويقول: "قد خلق الله الناس شعوبًا وقبائل ليتعارفوا ـ بنص القرآن ـ لا ليتعاركوا ويتنابذوا، كما يتوهم البعض. والاستثناء الوحيد الذي يرد على هذه القاعدة هو أن يقع على المسلمين ظلم أو عدوان من جانب الآخرين"(٣).

هويدي ينكر وجود (دار الحرب):

يقول هويدي: "قد نشأ تعبير دار الإسلام منذ اعتبرت دار الهجرة ـ المدينة ـ في زمن النبي ـ ﷺ ـ هي دار الإسلام. (فلما أسلم أهل الأمصار صارت البلاد التي أسلم أهلها هي بلاد الإسلام، فلا يلزمهم الانتقال منها). وبالمقابل، ظهرت دار الحرب، وهو ما عبر عنه ابن حزم بقوله: (وكل موضع سوى مدينة رسول الله ـ ﷺ ـ فقد كان ثغرًا، ودار حرب ومغزى جهاد).

وقد أدى شيوع هذا التعبير في كتب الفقه والسير والتاريخ، إلى تبني

---

(١) مواطنون لاذميون، ص ١٣٤.

(٢) مواطنون لاذميون، ص ٢٣٥.

(٣) مواطنون لاذميون، ص ٨٩.

بعض الفقهاء والباحثين المعاصرين لفكرة أن معيار تحديد الآخرين ينبني على اعتقادهم، وكونهم مسلمين أم غير مسلمين.

وفي هذا الصدد كتب الأستاذ أبو الأعلى المودودي "أن الدولة الإسلامية تقسم القاطنين بين حدودها إلى قسمين: قسم يؤمن بالمبادئ التي قامت عليها الدولة، وهم المسلمون. وقسم لا يؤمن بتلك المبادئ، وهم غير المسلمين".

وفي الاتجاه ذاته كتب الدكتور عبد الكريم زيدان أن "الشريعة تقسم البشر على أساس قبولهم للإسلام أو رفضهم له، بغض النظر عن أي اختلاف بينهم".. ويستخرج من بعض آيات القرآن الكريم "أن الناس أحد اثنين: إما مؤمن برسالة الإسلام، وهو المسلم، وإما كافر بها، وهو غير المسلم".

غير أن هذا المعيار العقيدي لقسمة الناس ليس الأوحد المأخوذ به. فالأحناف والزيدية يرون أن القضية الفاصلة توفر عنصر "الأمان" بالنسبة للمقيمين فيها. فإذا كان الأمن فيها للمسلم على الإطلاق، فهي دار إسلام، وإن لم يأمنوا فيها فهي دار حرب. ومن الباحثين من يذهب إلى القول بأنه إذا تحقق الأمان للمسلمين، وإذا أقيمت الشعائر الإسلامية أو غالبها كانت البلاد دار إسلام، حتى ولو تغلب عليها حاكم كافر.

وأستاذنا الدكتور عبد الوهاب خلاف يؤيد الرأي القائل بأنه "ليس مناط الاختلاف الإسلام وعدمه، وإنما مناطه الأمن والفزع"، وهو ما يصفه "بانقطاع العصمة". وهو ما يؤيده أيضاً الدكتور صبحي محمصاني، في قوله: إن الإسلام "لم يميز بين المسلمين وغير المسلمين على

اعتبار اختلاف الدين، كما لم يميز بين المواطنين والأجانب على أساس جنسيتهم أو تابعيتهم. فلذا، من الخطأ الناتج عن الجهل والتضليل، زعم بعض الكتاب أن صفة المواطن كانت للمسلمين وحدهم، وأن غير المسلمين كانوا جميعاً من الأجانب".

ويقول في موضع آخر، إن الإسلام "لم يتعرف إلى فكرة الجنسيات، بل صنف الناس على أساس صفة المسالمة والمحاربة، ووزعهم من ثم بين مسالمين وهم الأصل، وحربيين وهم المستثنى، ثم اعتبر الحربيين وحدهم أجانب بطبعهم، واعتبر بلادهم بلاد العدو أو دار الحرب".

وهذا المعيار الثاني هو الأقرب إلى المنطق الذي عالج به الرسول - ﷺ - مسألة الآخرين، فضلاً عن أنه المنطق الأكثر قبولاً حتى في لغة الواقع المعاصر.

ودليلنا الأول على ذلك من السيرة النبوية ذاتها. فالرسول - ﷺ - عندما وقع أول معاهدة مع "الآخرين"، من قبائل العرب الأخرى واليهود، نصت المعاهدة التي تعد أول دستور للدولة في الإسلام، على "أن يهود بني عوف أمّة مع المؤمنين، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم".

هنا لم يوضع غير المسلمين في مربع دار الحرب، ولكنهم كانوا مع المسلمين "أمة واحدة"، ما داموا مسالمين.

وهنا لم يكن الدين هو الحد الفاصل بين دار الإسلام ودار الحرب، إنما كانت المسألة هي المعيار الذي أخذ به.."[1]

هويدي يرى جواز موالاة اليهود والنصارى:

يقول هويدي: "المستقر بين أهل الفقه أن النهي عن (الموالاة)

---

(١) مواطنون لاذميون، ص ١٠٤ – ١٠٧

مقصود به أعداء الإسلام الذين يكيدون له، وليس من أهل الكتاب"[١].

ويقول: "إن الموالاة المنهي عنها شرعًا ـ كما أفهمها ـ هي تلك التي تتم على حساب مصالح المسلمين أو عقيدتهم، وإن المسلم مدعو لأن يكون عونًا لكل جهد يستهدف الخير والبر والإصلاح، وقد أيد الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ حلف الفضول الذي أقامه بعض مشركي قريش لنصرة أحد المظلومين، بينما كان النبي يوسف ـ عليه السلام ـ وزيرًا في حكومة فرعون مصر"[٢].

هويدي يدعو إلى إقامة معابد الكفار في (جميع) بلاد المسلمين:

يقول هويدي: "إننا نستطيع القول في ثقة تامة بأنه لن ينتقص شيء من أعلام الإسلام، إذا ما أقيمت على أرض الإسلام معابد لغير المسلمين، تماماً كما لم ينتقص شيء من مسجد رسول الله حينما استضاف فيه وفد نصارى نجران وحاورهم في رحاب المسجد، وأذن لهم بالصلاة فيه جنبًا إلى جنب مع المسلمين"[٣].

تعليق:

هذه ـ أخي المسلم ـ أبرز المسائل التي خالف هويدي فيها الصواب في قضية (أهل الذمة وحقوقهم) واختار جانب تقديم التنازلات الكثيرة على حساب النصوص الشرعية وإجماع الأمة بغية الظهور بمظهر المفكر (العقلاني) (الوسطي) (الحضاري) ... إلخ.

وليته ـ هداه الله ـ اكتفى بالجنوح لتبني هذه الآراء الشاذة دون أن

---

(١) جريدة الأهرام، تاريخ: ١٩٨٧/٣/١٧م.

(٢) جريدة الأهرام، تاريخ: ١٩٨٧/٨/١٨م.

(٣) مواطنون لاذميون، ص ٢٠٠.

يُعَرض لقرائه بأن قوله هو القول الذي يُمثل قـول جمهـور علمـاء الأمـة قديمًا وحديثًا! إذاً لهان الخطب، لأننا لا نملك أن نـردّ كـل ضـال عـن أن يصرِّح بقناعاته التي تعلق بها.

فهويدي قد جمع بين اختيار القول الشاذ أو الباطـل المختـرع، وبـين نسبة ذلك زورًا إلى الفئة العظمى من علماء الأمة.

فما الذي دعاه لذلك؟ وما هي شبهاته التي ساقته إلى المجاهرة بتلكم الآراء الغريبة؟ هذا ما سنعرفه الآن من خلال تتبع كتاباته.

الشبهة الأولى:

احتجاجه بآيات تكريم الإنسان في القرآن.

تعقيب:

يخلط هويدي هنا خلطًا عجيباً، حيث يزعم أن آية تكريم الإنسان: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ ﴾[1] فيها دليل على مساواة المسلم بالكافرة !!

ولا يعلم بأن هذه الآية واردة في الإنـسان مـن حيـث هـو إنـسان، حيث كرمه وفضله على غيره من المخلوقات، ويسرَّ له أسباب السير في البر والبحر، ورزقه من الطيبات.

فكان الواجب على هذا الإنسان أن يشكر ربـه علـى هـذا التكـريم وهـذه الـنعم الكـثيرة، فيتبـع رسـله، ويطيـع أوامـره، ويجتنـب نواهيـه، ويوحده حق توحيده، ويقوم بعبادته ـ سبحانه وتعالى ـ.

فأما إذا لم يفعل هـذا واختـار الكفـر علـى الإيمـان والمعـصية علـى الطاعة، فإن هذا التكريم للنوع الإنساني ليس بنافعه، لأنه سـيكون مـن

(١) سورة الإسراء الآية ٧٠.

المهانين عند الله تعالى عندما بدل نعمته كفرًا.

ومثال هذا ـ ولله المثل الأعلى ـ: أن يقوم ملك من الملوك بتكريم بعض عبيدة وإعطائهم ما يحتاجونه في معيشتهم ويميزهم على غيرهم من عبيدة الآخرين ثم يطلب منهم أن يعملوا له عملاً من الأعمال جزاء هذا التكريم، فبعضهم لم يقم بهذا العمل بل عصى الملك وخالف أمره، فما ظنكم؟ هل يساوي الملك بين الطائفتين: العاملة والمقصرة!؟ أم يقول لمن عصاه بأنني نعم قد كرمتكم وفضلتكم على غيركم ولكنكم لم تراعوا هذه النعمة، بل استخدمتموها في معصيتي ومخالفة أمري، فلهذا ليس لكم عندي إلا الإهانة وعدم مساواتكم بالطائعين!؟

فهكذا الإنسان كرَّمه الله وفضله على كثير من خلقه، ثم طلب منه اتباع أمره واجتناب نهيه، فإن أجاب بقي على تكريمه السابق، وإن لم يجب انقلب ذاك التكريم إلى مهانة.

وقد اختلفت أقوال المفسرين في هذا (التكريم) ما هو؟ فقال ابن جرير الطبري: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيَ ءَادَمَ ﴾ بتسليطنا إياهم على غيرهم من الخلق، وتسخيرنا سائر الخلق لهم"[1]، "﴿ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴾[2] ذُكر لنا أن ذلك تمكنهم من العمل بأيديهم، وأخذ الأطعمة والأشربة بها، ورفعها بها إلى أفواهم، وذلك غير متيسر لغيرهم من الخلق[3].

---

(١) تفسير الطبري (٨/١١٥).

(٢) سورة الإسراء الآية ٧٠.

(٣) تفسير الطبري (٨/١١٥).

وقال ابن كثير في تفسير الآية: "يخبر تعالى عن تشريفه لبني آدم وتكريمه إياهم في خلقه لهم على أحسن الهيئات وأكملها. كقوله: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾[١] أن يمشي قائماً منتصباً على رجليه ويأكل بيديه، وغيره من الحيوانات يمشي على أربع، ويأكل بفمه، وجعل له سمعًا وبصراً وفؤاداً يفقه بذلك كله وينتفع به ويفرق بين الأشياء، ويعرف منافعها وخواصها ومضارها في الأمور الدينية والدنيوية"[٢].

وقال الشوكاني: "هذه الكرامة يدخل تحتها خلقهم على هـذه الهيئة الحسنة، وتخصيصهم بما خصهم به من المطاعم والمشارب والملابس علـى وجه لا يوجد لسائر أنواع الحيوانات مثله"[٣].

وقال القرطبي: "الصحيح الذي يعـوَّل عليـه أن التفـضيل إنمـا كـان بالعقل الذي هو عمدة التكليف"[٤].

وقال سيد قطب: "ذلك وقد كرم الله هـذا المخلـوق البـشري علـى كثير من خلقه، كرمه بخلقته على تلك الهيئة، بهذه الفطرة التي تجمع بـين الطين والنفخة، فتجمع بين الأرض والسماء في ذلك الكيان!.

وكرمه بالاستعدادات التي أودعها فطرته؛ التي استأهل بهـا الخلافـة في الأرض، يغير فيها ويبدل، وينتج فيها وينشئ، ويركـب فيهـا ويحلـل، ويبلغ بها الكمال المقدر للحياة.

---

(١) سورة التين الآية ٤.

(٢) تفسير ابن كثير (٣/٥٥).

(٣) فتح القدير (٣/٣٥٠).

(٤) تفسير القرطبي (١٠/٢٩٤).

وكرمه بتسخير القوى الكونية له في الأرض وإمداده بعون القوى الكونية في الكواكب والأفلاك.

وكرمه بذلك الاستقبال الفخم الذي استقبله به الوجود، وبذلك الموكب الذي تسجد فيه الملائكة ويعلن فيه الخالق جل شأنه تكريم هذا الإنسان!"[١].

وقال ابن الجوزي: "فإن قيل: كيف أطلق ذكر الكرامة على الكل، وفيهم الكافر والمهان؟

فالجواب من وجهين:

أحدهما: أنه عامل الكل معاملة المكرَم بالنعم الوافرة.

والثاني: أنه لما كان فيهم من هو بهذه الصفة، أجرى الصفة على جماعتهم، كقوله: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[٢]"[٣].

قلت: والأولى أن يقال ما سبق أن ذكرته، وهو أن الإنسان مكرَّمٌ من حيث هو إنسان، ومفضل على غيره من المخلوقات، أما إذا كفر وأعرض فإنه يكون مهاناً عند الله، ولا ينفعه تكريمه السابق، فهذا التكريم كالولد والمال فإنها من نعم الله على الإنسان، ولكنها لا تقرِّب الإنسان زلفى عند الله، إلا من آمن واستغل ذلك كله في طاعة الله، كما قال سبحانه: ﴿وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ﴾[٤].

---

(١) في ظلال القرآن (٤/٢٢٤١).

(٢) سورة آل عمران الآية ١١٠.

(٣) زاد المسير (٥/٦٣).

(٤) سورة سبأ الآية ٣٧.

أقول هذا ليكون هناك عدم تعارض بين هذه الآية وآيات (إهانة) الكفار ـ كما سيأتي ـ.

أما هويدي فإنه عندما أحس بهذا التعارض الذي سيُبطل قوله أخفى آيات (الإهانة) ولم يتعرض لها! وهذا دأب أهل البدع يذكرون الذي يظنونه مؤيداً لبدعتهم، ويخفون ما ينقضها ولا يذكرونه، بخلاف أهل السنة الذين وفقهم الله ـ تعالى ـ للعمل بآياته كلها موفقين بينها.

أما الآية الثانية التي ظن هويدي أنها تشهد لبدعته فهي قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾[١] فهي كالآية السابقة، يخبر فيها الله ـ ﷻ ـ بأنه قد خلق الإنسان في صورة حسنة، وهيئة كاملة.

قال ابن كثير: "في أحسن صورة، وشكل منتصب القامة، سوي الأعضاء، حسنها"[٢].

وفي هذه الآية ردٌ بليغ على هويدي ولكنه لم ينتبه له، أو تعمد إغفاله! ولهذا حجب ما بعد هذه الآية ولم يذكره، لأنه يعود على قوله بالنقض، حيث قال الله بعد هذا الخلق الحسن ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَـٰهُ أَسْفَلَ سَـٰفِلِينَ ۝ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ ﴾[٣].

قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ: "﴿ ثُمَّ رَدَدْنَـٰهُ أَسْفَلَ سَـٰفِلِينَ ﴾ أي إلى النار، قاله مجاهد وأبو العالية والحسن وابن زيد وغيرهم: ثم بعد هذا الحُسْن والنضارة مصيرهم إلى النار إن لم يطع الله ويَتَّبع الرسل، ولهذا

---

(١) سورة التين الآية ٤.

(٢) تفسير ابن كثير (٤/٥٦٣).

(٣) سورة التين الآية ٥-٦.

قال: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾"[١].

أما من قال بأن قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴾[٢] أي إلى أرذل العمر فقد رده ابن كثير بقوله: "لو كان هذا المراد لما حسُن استثناء المؤمنين من ذلك، لأن الهَرَم قد يصيب بعضهم، وإنما المراد ما ذكره، كقوله: ﴿ وَٱلْعَصْرِ ۝ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾[٣]"[٤].

قلت: فتأمل قوله ما أحسنه، وهو رد مفحم على هويدي بنفس الآية التي احتج بها على بدعته! ولكنه شابه اليهود بإخفاء آخرها.

أما احتجاج هويدي بقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِءَادَمَ ﴾[٥]، وقوله: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾[٦]، وقوله: ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴾[٧] فهو من أعجب العجب، لأن هذه الآيات واردة في آدم ـ عليه السلام ـ وأن الله قد كرمه بإسجاد الملائكة له، فما

---

(١) تفسير ابن كثير (٤/٥٦٣).

(٢) سورة التين الآية ٥.

(٣) سورة العصر، الآية ١-٣.

(٤) تفسير ابن كثير (٤/٥٦٣).

(٥) سورة الأعراف الآية ١١.

(٦) سورة البقرة الآية ٣٠.

(٧) سورة الحجر الآية ٢٩.

دخل (تكريم) الكفار بهذا!؟ وهل يلزم من تكريم أبينا آدم ـ عليه السلام ـ أن يكون جميع أبنائه ـ مسلمهم وكافرهم ـ مكرَّمين!؟ لا يقول هذا عاقل، لأن ابن آدم لصلبه عندما قتل أخاه لحقه من الذم ما لحقه، وقال فيه ـ ﷺ ـ: "لا تُقْتل نفس ظُلمًا إلا كان على ابن آدم الأول كِفل من دمها لأنه كان أول من سن القتل"[1].

فإذا كان ـ ﷺ ـ قد قال هذا عن ابن آدم لصلبه، فما حال أبنائه الآخرين ممن بدّل وأعرض عن الهدى؟

قلت: ما سبق كان ردًا على الشبهة الأولى التي احتج بها هويدي، وبقي في نقضها أن يقال:

١- ما قول هويدي في آيات (الإهانة) للكافرين والمعرضين، وكيف يوفق بينها وبين هذا (التكريم) المزعوم للجميع الذي يراه هويدي؟

فقد وردت عدة آيات تدل على أن الله قد أهان الكفار وأذلهم ولم يكرمهم سواء في الدنيا أم في الآخرة، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ﴾[2]، فدل على أن هناك من يهينه الله، فإذا أهانه لم يكن من (المكرمين).

وقال تعالى عن بعض الكفار في الدنيا: ﴿ فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾[3].

---

(١) أخرجه البخاري، ومسلم.

(٢) سورة الحج الآية ١٨.

(٣) سورة فصلت الآية ١٧.

وقال عنهم في الآخرة: ﴿ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ ﴾[(١)]، ﴿ فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ﴾[(٢)]، ﴿ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾[(٣)]،﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾[(٤)]،﴿ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾[(٥)]،﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾[(٦)]،﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾[(٧)]، ﴿ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَٰتِنَا شَيْـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾[(٨)]، ﴿ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾[(٩)]،﴿ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓا۟ أَسْلِحَتَكُمْ ۖ وَخُذُوا۟ حِذْرَكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾[(١٠)]، ﴿ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾[(١١)]،﴿

---

(١) سورة الأنعام الآية ٩٣.

(٢) سورة الأحقاف الآية ٢٠.

(٣) سورة البقرة الآية ٩٠.

(٤) سورة آل عمران الآية ١٧٨.

(٥) سورة النساء الآية ١٤.

(٦) سورة الحج الآية ٥٧.

(٧) سورة لقمان الآية ٦.

(٨) سورة الجاثية الآية ٩.

(٩) سورة النساء الآية ٣٧.

(١٠) سورة النساء الآية ١٠٢.

(١١) سورة الأحزاب الآية ٥٧.

﴿يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ مُهَانًا﴾[1]، وقال عن المنافقين: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةٗ فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ﴾[2]، فما قول هويدي في هذه الآيات!؟

٢- وردت عدة آيات في التفريق بين المسلمين والكافرين، أو بين المؤمنين ومن يعمل السيئات، وذم من يسوِّي بينهم، وهذه الآيات لم يتعرض لها هويدي لأنها تهدم قوله بالمساواة بين المسلمين والكافرين، فلهذا اختار أن لا يقربها!

فمن ذلك قوله تعالى: ﴿هَلۡ تَسۡتَوِي ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ﴾[3] أي المؤمن والكافر، وقال: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤۡمِنٗا كَمَن كَانَ فَاسِقٗاۚ لَّا يَسۡتَوُۥنَ﴾[4]، وقال: ﴿قُل لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ﴾[5]، وقال: ﴿وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ ١٩ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ﴾[6]، وقال: ﴿وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡأَحۡيَآءُ وَلَا ٱلۡأَمۡوَٰتُ﴾[7]، وقال: ﴿وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلۡمُسِيٓءُ﴾[8]، وقال: ﴿لَا يَسۡتَوِيٓ

---

(١) سورة الفرقان الآية ٦٩.

(٢) سورة المجادلة الآية ١٦.

(٣) سورة الرعد الآية ١٦.

(٤) سورة السجدة الآية ١٨.

(٥) سورة المائدة الآية ١٠٠.

(٦) سورة فاطر الآية ١٩،٢٠.

(٧) سورة فاطر الآية ٢٢.

(٨) سورة غافر الآية ٥٨.

أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۚ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ﴾(١)، وقال: ﴿ مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ ۚ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ﴾(٢).

وقال سبحانه:﴿ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴾(٣)، وقال: ﴿ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ۝ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾(٤).

فإن تعنت هويدي وقال بأن هذه الآيات واقعة في الآخرة وليس في الدنيا!

قلنا له:

أولاً: لم يقل أحد من المسلمين بقولك هذا، وإنما فهموا من هذه الآيات أنها عامة في الدنيا والآخرة حيث لا يتساوى المسلم والكافر عند الله، كما لا يتساوى المؤمن ومن يعمل السيئات.

ثانياً: ورد من آيات الإهانة للكفار في الدنيا ما ينقض قولك هذا.

ثالثاً: قد وردت آية في كتاب الله تُلقمك الحجر، حيث بينت خطأ من ساوى بين الفريقين في الدنيا والآخرة.

قال تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾(١).

---

(١) سورة الحشر الآية ٢٠.

(٢) سورة هود الآية ٢٤.

(٣) سورة ص الآية ٢٨.

(٤) سورة القلم الآية ٣٥،٣٦.

(٥) سورة الجاثية الآية ٢١.

قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ: "يقول تعالى لا يستوي المؤمنون والكافرون كما قال ـ ﷻ ـ ﴿ لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۚ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴾[1]، وقال تبارك وتعالى: ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾[2] أي عملوها، ﴿ أن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ﴾[3] أي نساويهم بهم في الدنيا والآخرة ﴿ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ أي ساء ما ظنوا بنا وبعدلنا أن نساوي بين الأبرار والفجار في الدار الآخرة وفي هذه الدار"[4].

فلهويدي نصيب من هذا الظن السيء بربه حيث ظن أن الله مساوٍ بين المسلمين والكافرين في هذه الدنيا، وفي الآخرة[5].

الشبهة الثانية:

احتجاجه بأن نفوس الكافرين كغيرها من النفوس، فلماذا التفرقة!؟

تعقيب:

أما قتل النفس الإنسانية (بغير حق) فهو من الظلم البيِّن الذي لا يجوز، ولكن ما دخل هذا بمساواة المسلمين بالكافرين!؟ إن قال هويدي بأنه لا يجوز قتلهم كما لا يجوز قتل المسلمين، وهذا دليل تساويهم.

---

(١) سورة الحشر الآية ٢٠.

(٢) سورة الجاثية الآية ٢١.

(٣) سورة الجاثية الآية ٢١.

(٤) تفسير ابن كثير (١٦٢/٤).

(٥) لأنه لا يعتقد كفر بعض الكافرين، وهم اليهود والنصارى ــ كما سبق ــ !! والعياذ بالله.

نقول له: عدم قتلهم ليس لأجل كفرهم! بل إن كفرهم هو سبب قتلهم! وأنت عكست القضية. لأن المسلمين مطالبون بنشر الدعوة وقتال الكافرين وقتلهم ـ كما سيأتي ـ حتى يدينوا بالإسلام أو يرضوا بإعطاء الجزية والدخول تحت ذمة المسلمين فعندها يُكفُّ عنهم وتُصان أرواحهم وعندها يكون لهم نصيب من هذه الآية التي استشهد بها هويدي ﴿ مَن قَتَلَ نَفْسًا ﴾ ...[1]، لأن من قتلهم بعد ذلك فقد اعتدى عليهم وظلمهم، لأنهم قد دخلوا في ذمة المسلمين، فكانت أرواحهم مصانةً لا يجوز التعدي عليها، وهذا من كمال عدل الإسلام.

فليس عدم قتلهم، أو تعظيم قتلهم، هو بسبب (كفرهم) كما يظنه هويدي، وإنما سبب ذلك أنهم بذلوا الجزية وخضعوا لسلطان الإسلام، فلم يعد لنا سبيل عليهم إلا بأن ينقضوا عهد الذمة ـ كما سيأتي ـ.

أما احتجاج هويدي بأنه ـ ﷺ ـ قام لجنازة يهودي وقال: "أليست نفسًا" فهذا حديث صحيح أخرجه البخاري ومسلم، أن النبي ـ ﷺ ـ مرت به جنازة فقام، فقيل له: إنها جنازة يهودي، فقال: "أليست نفسًا"[2].

وليس فيه أنه ـ ﷺ ـ قام لها "تحيةً واحترامًا" كما يزعم هويدي!! بل هذا من تلبيسه على القراء.

وهذا الحديث الذي احتج به هويدي قد روي بعدة روايات تبين علة قيام النبي ـ ﷺ ـ، وأطال العلماء في شرحه توضيحًا لمعناه لكي لا

---

(١) سورة المائدة الآية ٣٢.

(٢) أخرجه البخاري (١٣١٢)، ومسلم (٧/٢٩ نووي).

يتأوله متأول على غير مراد النبي - ﷺ - كما فعل هويدي!

فقد رواه مسلم من طريق آخر أنه قيل له - ﷺ -: إنها يهودية، فقال: "إن الموت فزع فإذا رأيتم الجنازة فقوموا"[١].

قال الحافظ ابن حجر: "قال القرطبي: معناه أن الموت يُفزع منه، إشارة إلى استعظامه. ومقصود الحديث أن لا يستمر الإنسان على الغفلة بعد رؤية الموت، لما يُشعر ذلك من التساهل بأمر الموت، فمن ثمَّ استوى فيه كون الميت مسلماً أو غير مسلم"[٢].

قال الحافظ: "وفيه تنبيه على أن تلك الحالة ينبغي لمن رآها أن يقلق من أجلها ويضطرب، ولا يظهر منه عدم الاحتفال والمبالاة"[٣].

قال: "قوله "أليست نفسًا" هذا لا يعارض التعليل المتقدم حيث قال: "إن للموت فزعًا" على ما تقدم، وكذا ما أخرجه الحاكم من طريق قتادة عن أنس مرفوعاً فقال: "إنما قمنا للملائكة"، ونحوه لأحمد من حديث أبي موسى، ولأحمد وابن حبان والحاكم من حديث عبد الله بن عمرو مرفوعًا "إنما تقومون إعظاماً

للذي يقبض النفوس" ولفظ ابن حبان "إعظامًا لله الذي يقبض الأرواح" فإن ذلك أيضاً لا ينافي التعليل السابق، لأن القيام للفزع من الموت فيه تعظيم لأمر الله، وتعظيم للقائمين بأمره في ذلك وهم الملائكة.

وأما ما أخرجه أحمد من حديث الحسن بن علي قال: "إنما قام

---

(١) أخرجه مسلم (٧/٢٨ نووي).

(٢) فتح الباري (٣/٢١٥).

(٣) المرجع السابق.

رسول الله ـ ﷺ ـ تأذيًا بريح اليهودي" زاد الطبراني من حديث عبد الله بن عياش بالتحتانية والمعجمة "فآذاه ريح بخورها" وللطبراني والبيهقي من وجه آخر عن الحسن " كراهية أن تعلو رأسه" فإن ذلك لا يعارض الأخبار الأولى الصحيحة.

أما أولاً: فلأن أسانيدها لا تقاوم تلك في الصحة.

وأما ثانياً: فلأن التعليل بذلك راجع إلى ما فهمه الراوي، والتعليل الماضي صريح من لفظ النبي ـ ﷺ ـ فكأن الراوي لم يسمع التصريح بالتعليل منه فعلل باجتهاده.

وقد روى ابن أبي شيبة من طريق خارجة بن زيد بن ثابت عن عمه يزيد بن ثابت قال: "كنا مع رسول الله ـ ﷺ ـ فطلعت جنازة، فلما رآها قام وقام أصحابه حتى بعدت، والله ما أدري من شأنها أو من تضايق المكان، وما سألناه عن قيامه"[١].

قلت: فقيامه ـ ﷺ ـ ليس "تحية واحترامًا" لجنازة اليهودي كما يدعي هويدي!! وإنما هو قيام لأجل الفزع من أمر الموت الذي لا ينبغي للمرء أن يتلهى عنه، وأن يعتبر به، ولو كان في جنازة يهودي، لأن عدم القيام يدل على عدم المبالاة بأمر الموت.

الشبهة الثالثة:

قوله: "وقد كان من دعائه ـ عليه الصلاة والسلام ـ في صلاة آخر الليل: "اللهم إني أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت، وأن العباد كلهم إخوة" (أبو داود)".

---

(١) فتح الباري (٣/٢١٥-٢١٦).

والجواب: أن هذا الحديث الذي احتج به هويدي على أخوة الكفار للمسلمين! حديث ضعيف[١]، استفاده هويدي من شيخه القرضاوي الذي احتج به في هذا الموضوع في عدة كتب له[٢]، ولو صح فإنه يحمل على أن "العباد" هم المسلمون المؤمنون؛ لكي لا يعارض النصوص الشرعية الصريحة في إبطال الأخوة بين المسلمين والكفار.

الشبهة الرابعة:

احتجاجه[٣] بقوله تعالى: ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ﴾[٤]، وقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ ﴾[٥]، وقوله تعالى: ﴿ فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَٰمٌ ﴾[٦]، وقوله ـ ﷺ ـ: "إن أولى الناس بالله من بدأهم بالسلام" رواه أبو داود، وحديث عبد الله بن عمر: أن رجلاً سأل رسول الله ـ ﷺ ـ: أي الإسلام خير؟ قال: "تُطعم الطعام، وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف" متفق عليه.

---

(١) أخرجه أحمد (٣٦٩/٤)، وأبو داود (١٥٠٨)، وضعفه الألباني في ضعيف أبي داود (٣٢٥) لأن في سنده (داود بن راشد الطفاوي) قال عنه ابن معين: ليس بشيء. وفيه أيضاً: (أبو مسلم البجلي) مجهول العين لم يرو عنه سوى الطفاوي الضعيف.

(٢) كما في "ملامح المجتمع المسلم" (ص ١٣٩).

(٣) مواطنون لاذميون، (ص١١٣).

(٤) سورة الممتحنة الآية ٨.

(٥) سورة النساء الآية ٨٦.

(٦) سورة الزخرف الآية ٨٩.

تعقيب:

أما قوله تعالى : ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَـٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ﴾[1]، فهي واردة في البر والقسط مع الكفار الذين لم يقاتلونا، وليست واردة في موالاتهم ومودتهم كما يدعي هويدي ومن شاكله.

قال ابن كثير في تفسيرها: "أي لا ينهاكم عن الإحسان إلى الكفرة الذين لا يقاتلونكم في الدين كالنساء والضعفة منهم ﴿ أَن تَبَرُّوهُمْ ﴾ أي تحسنوا إليهم ﴿ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ﴾ أي تعدلوا ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾ "[2].

وقال الحافظ ابن حجر: "البر والصلة والإحسان لا يستلزم التحابب والتودد المنهي عنه في قوله تعالى: ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾[3]، فإنها عامة في حق من قاتل ومن لم يُقاتل"[4].

وقال الشيخ ابن باز ـ رحمه الله ـ تعليقًا على الآية التي احتج بها هويدي: "إنما معنى الآية المذكورة عند أهل العلم الرخصة في الإحسان إلى الكفار والصدقة عليهم إذا كانوا مسالمين لنا بموجب عهد أو أمان أو

---

(١) سورة الممتحنة لآية ٨.

(٢) تفسير ابن كثير (٣٧٣/٤).

(٣) سورة المجادلة الآية ٢٢.

(٤) فتح الباري (٢٣٣/٥).

ذمة، وقد صح في السنة ما يدل على ذلك، كما ثبت في الصحيح أن أم أسماء بنت أبي بكر قدمت عليها في المدينة في عهد النبي - ﷺ - وهي مشركة تريد الدنيا، فأمر النبي - ﷺ - أسماء أن تصل أمها وذلك في مدة الهدنة التي وقعت بين النبي - ﷺ - وبين أهل مكة، وصح عن النبي - ﷺ - أنه أعطى عمر جبة من حرير فأهداها إلى أخ له بمكة مشرك. فهذا وأشباهه من الإحسان الذي قد يكون سببًا في الدخول إلى الإسلام والرغبة فيه وإيثاره على ما سواه، وفي ذلك صلة للرحم، وجُوْد على المحتاجين، وذلك ينفع المسلمين ولا يضرهم، وليس من موالاة الكفار في شيء كما لا يخفى على ذوي الألباب والبصيرة"[١]

أما احتجاج هويدي بقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ ﴾[٢]، فهو من أعجب الاحتجاج، إذ معنى الآية كما قال ابن كثير - رحمه الله -: "أي إذا سلم عليكم المسلم فردوا عليه أفضل مما سلم، أو ردوا عليه بمثل ما سلم، فالزيادة مندوبة، والمماثلة مفروضة"[٣]، أي إذا قال: السلام عليكم فيستحب أن تقول ردًا عليه: وعليكم السلام ورحمة الله، فإن قال: السلام عليكم ورحمة الله، فيُستحب أن تقول: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته. فالزيادة مندوبة، والرد كما قال ابن كثير فرض.

أما من قال بأنها تدل على جواز رد السلام على الكفار فقد أخطأ

---

(١) نقد القومية العربية (ص ٤٥-٤٦).

(٢) سورة النساء، الآية: ٨٦.

(٣) تفسير ابن كثير (١/٥٤٤-٥٤٥).

في الاستدلال.

قال ابن كثير: "وهذا التنـزيل فيه نظر كما تقدم في الحديث من أن المراد أن يرد بأحسن مما حياه به فإن بلغ المسلم غاية ما شُرع في السلام رد عليه مثل ما قال، فأما أهل الذمة فلا يُبدؤن بالسلام، ولا يزادون، بل يرد عليهم ما ثبت في الصحيحين عن ابن عمر أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: "إذا سلم عليكم اليهود فإنما يقول أحدهم: السلام عليكم، فقل: وعليك" وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: "لا تبدؤا اليهود والنصارى بالسلام.."[(١)].

أما احتجاج هويدي بقوله تعالى: ﴿ فَٱصۡفَحۡ عَنۡهُمۡ وَقُلۡ سَلَٰمٞ ﴾[(٢)] فهي أعجب من سابقتها! إذ هذه الآية خطاب للنبي ـ ﷺ ـ قبل أن يُشرع الجهاد بأن لا يرد على الكافرين مثل قولهم السيئ بل يعفو ويصفح إلى أن يأتي أمر الله، ولهذا قال بعده ﴿ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ﴾[(٣)].

قال ابن كثير: "هذا تهديد من الله لهم، ولهذا أحل بهم بأسه الذي لا يُرد، وأعلى دينه وكلمته، وشرع بعد ذلك الجهاد والجلاد حتى دخل الناس في دين الله أفواجًا، وانتشر الإسلام في المشارق والمغارب"[(٤)].

أما احتجاج هويدي بحديث "إن أولى الناس بالله من بدأهم بالسلام"، وحديث: ".. تقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف" فهي أحاديث خاصة بالمسلمين، ولكنَّ هويدي يتغافل عن هذا ويضعها في

---

(١) تفسير ابن كثير (١/٥٤٤-٥٤٥).

(٢) سورة الزخرف الآية ٨٩.

(٣) سورة الحجر الآية ٣.

(٤) تفسير ابن كثير (٤/١٤٧-١٤٨).

غير موضعها لتدل ـ بزعمه ـ على السلام على الكفار! ناسيًا قوله ـ ﷺ ـ السابق: "لا تبدؤا اليهود والنصارى بالسلام".

الشبهة الخامسة:

احتجاجه بالصحيفة التي كتبها ـ ﷺ ـ مع اليهود عندما قدم المدينة.

تعقيب:

هذه الصحيفة مما افتتن بها المعاصرون ترديدًا لها في كتبهم، متوهمين (صحتها) وأنها تشهد لما حَمَّلوها من جواز موالاة الكفار أو مساواتهم بالمسلمين ـ زعموا ـ!

وقد ذكر مجموعة ممن احتج بها الأستاذ محمد حميد الله في كتابه (مجموعة الوثائق السياسية)[١].

قال الأستاذ مشهور سلمان ـ حفظه الله ـ: "وهي متداولة في كتب السيرة وفي كتب النظم الإسلامية. وقد حكم عليها الأستاذ يوسف العش[٢] بالوضع، والصحيح أنها ضعيفة فحسب، ولا مجال لسرد طرقها والكلام على أسانيدها، ومن أراد الاستزادة، فلينظر كتاب الأخ ضيدان بن عبد الرحمن اليامي (بيان الحقيقة في الحكم على الوثيقة)"[٣].

حيث قال بعد أن ذكر أسانيد (الصحيفة) وضعفها جميعًا: "فعلى هذا يتضح لك ضعف هذه الصحيفة وما ورد فيها"[٤].

قال: "ومن ثمَّ لا ينبغي الاحتجاج بها"[٥].

---

(١) ص ٣٩ – ٤١.

(٢) في حاشية (٩) من (ص٢٠) من كتاب "الدولة العربية وسقوطها" لفلهوزن، ترجمة العش.

(٣) كتب حذر منها العلماء، ٢/٢٤٧-٢٤٨.

(٤) بيان الحقيقة في الحكم على الوثيقة، ص ٣٨.

(٥) المرجع السابق، ص ٣٩. وانظر أيضاً: "دفاع عن الحديث النبوي" للشيخ الألباني ـ رحمه الله ـ، ص٢٥، حيث بين أن إسنادها منقطع.

وقال الشيخ ربيع المدخلي في كتابه "صد عدوان الملحدين" (ص ٣٤) عن هذه الصحيفة ـ على فرض ثبوتها ـ: "معاذ الله أن تكون المعاهدة قامت على هذا الأساس الوطني، ولا ينبغي أن تحمل هذه المعاهدة ولا غيرها من النصوص الشرعية على المصطلحات السياسية المعاصرة".

قلت: وقد بينت في كتاب "محمد عمارة في ميزان أهل السنة" أن كثيراً من محتويات هذه الصحيفة تنقض دعاوى العصرانيين وتمايز بين المسلمين والكفار. (انظر: ص ٤٣١-٤٣٢ من الكتاب السابق).

الشبهة السابعة:

احتجاجه بقول علي ـ رضي الله عنه ـ عن أهل الذمة: "أن دماءهم كدمائنا، وأن لهم ما لنا وعليهم ما علينا" وزعمه أن هذا قول "كل فقهاء المسلمين من أولهم إلى آخرهم"[1]!!

تعقيب:

هذا الأثر عن علي ـ رضي الله عنه ـ ذكره الكاساني الحنفي في كتابه (بدائع الصنائع)[2] عند حديثه عن أهل الذمة دون إسناد، انتصارًا لقول الأحناف بأن دية الذمي كدية المسلم! وهي من مسائلهم المستشنعة التي تخالف الأحاديث الصحيحة.

ثم وجدت محمد بن الحسن الشيباني قد ذكر أثرًا مشابهاً له في (كتاب الحجة على أهل المدينة)[3] قال: "أخبرنا قيس بن الربيع عن أبان

---

(١) مواطنون لاذميون، ص ١٢٤، وص ١٥٣.

(٢) (١١١/٧).

(٣) (٣٥٢/٤-٣٥٥) تعليق مهدي الكيلاني.

بن تغلب عن الحسن بن ميمون عن عبد الله بن عبد الله مولى بني هاشم عن أبي الجنوب الأسدي قال: أتي علي ابن أبي طالب ـ ﷺ ـ برجل من المسلمين قتل رجلاً من أهل الذمة، قال: فقامت عليه البينة، فأمر بقتله، فجاء أخوه فقال: قد عفوت عنه. قال: فلعلهم هددوك أو فَرَقوك؟ قال: لا، ولكن قتله لا يرد عليَّ أخي وعوضوني فرضيتُ، قال: أنت أعلم، من كانت له ذمتنا فدمه كدمنا، وديته كديتنا".

قلت: وهذا الأثر ـ فضلاً عن مخالفته للأحاديث الصحيحة ـ فهو ضعيف، قال الألباني: "أخرجه الشافعي (١٤٢٩) والدارقطني (٣٥٠) وقال: وأبو الجنوب ضعيف. وأورده صاحب الهداية بلفظ: "إنما بذلوا الجزية لتكون دماؤهم كدمائنا، وأموالهم كأموالنا" وهو مما لا أصل له كما ذكرته في "إرواء الغليل" (١٢٥١)"[1].

وقال الأستاذ علي رضا بن عبد الله[2] في رسالة بعثها إليَّ: "أثر علي ـ ﷺ ـ: فيه الحسن بن ميمون مجهول كما قال الحسيني ووافقه الحافظ في "تعجيل المنفعة" (ج١/ ص٤٤٨) رقم (٢٠٨) ـ ووهم المحقق فخلطه بالحسين بن ميمون وليس به على الراجح وإن اتفقا في الرواية عن أبي الجنوب الأسدي لكن الأول هو الذي يروي عنه أبان بن تغلب ويروي عن أبي الجنوب كما في "التعجيل" فالظاهر أنهما رجلان، وهذا مقتضى صنيع الحافظ ابن حجر في إقراره كلام الحسيني. وقد يكونان رجلاً واحداً كما يتضح من رواية الدارقطني الآتية.

---

(١) السلسلة الضعيفة (٣/ ٢٢٤).

(٢) أحد الأفاضل المختصين بعلم الحديث النبوي، له عدة مؤلفات في المكتبات، وفقنا الله وإياه.

وقيس بن الربيع: سيئ الحفظ كما في "الميزان" (٣/ ٣٩٣)، بل قال النسائي: متروك. وقال أحمد: يتشيع وكان كثير الخطأ، وله أحاديث منكرة.

وأبو الجنوب اسم عقبة بن علقمة الكوفي: قال أبو حاتم: ضعيف بين الضعف لا يشتغل به. وكذا ضعفه الدار قطني "الميزان" (٣/ ٨٧).

فالإسناد ظلمات بعضها فوق بعض!!!

والحديث: أخرجه الدار قطني في "السنن" (٣/ ١٤٧) رقم (٢٠٠) وابن المظفر في "غرائب شعبة" ـ مخطوط ـ (ورقة ١٨/أ)، والبيهقي في "الكبرى" (٨/ ٣٤) من هذا الوجه وضعفته في تحقيقي لـ"مسند علي" (ج١/ ص٢٩٠-٢٩١) برقم (١٦٩٦،١٦٩١،١٦٩٠) وقال البيهقي ـ كذا قال: حسن، وقال غيره: حسين بن ميمون ـ وعلى تقدير أنه الحسين فهو لين الحديث كما في "التقريب" (١٣٦٦)" اهـ كلام الأستاذ علي رضا بن عبد الله ـ حفظه الله ـ.

قلت: وهم ـ أي فقهاء الأحناف إلا من رحم الله ـ ليسوا حجة في معرفة الأحاديث والآثار، وإنما يذكرون في كتبهم منها ما ليس له خطام ولا زمام، أو ما كان ضعيفاً لا يصلح للاحتجاج، كما فعلوا بهذا القول الشاذ (لهم ما لنا وعليهم ما علينا) حيث عزوه إلى النبي ـ ﷺ ـ!! حتى قال الزيلعي ـ وهو أحدهم ولكنه عالم بالحديث ـ عند تخريجه لهذا القول (لهم ما لنا..) الذي ذكره صاحب الهداية: "**قلت**: لم أعرف الحديث الذي أشار إليه المصنف"[1].

---

(١) نصب الراية، ٤/٥٥. وأقره الحافظ في الدراية، ٢/١٦٢.

وقال الشيخ المحدث الألباني ـ حفظه الله ـ عن هذا القول: (لهم ما لنا..): "باطل لا أصل له في شيء من كتب السنة، وإنما يذكره بعض الفقهاء المتأخرين ممن لا دراية لهم في الحديث".

قال: "وقد جاء ما يشهد ببطلان الحديث، فقد ثبت أن النبي ـ ﷺ ـ قال: "لهم ما لنا وعليهم ما علينا" ليس في أهل الذمة، وإنما في الذين أسلموا من أهل الكتاب والمشركين، كما جاء في حديث سلمان وغيره، رواه مسلم وغيره. وهو مخرج في (الإرواء) (١٢٤٧) وغيره.

وإن مما يؤكد بطلانه مخالفته لنصوص أخرى قطعية كقوله تعالى: ﴿ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ۝٣٥ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾[1]، وقوله ـ ﷺ ـ: "لا يُقتَل مسلمٌ بكافر"، وقوله: "للمسلم على المسلم خمس: إذا لقيته فسلم عليه.." الحديث، وقوله: "لا تبدؤا اليهود والنصارى بالسلام..". وكل هذه الأحاديث مما اتفق العلماء على صحتها.

ومن هنا يظهر جليًّا صدق عنوان كتابنا هذا في الأحاديث الضعيفة: "وأثرها السيئ في الأمة"، فطالما صرفَتْ كثيرًا منهم على مر الدهور والعصور عن دينهم، لا فرق في ذلك بين العقائد والأحكام والأخلاق والسلوك، وليس ذاك في العامة فقط، بل وفي بعض الخاصة، وهاهو المثال بين يديك، فإن هذا الحديث الباطل قد تلقاه بالقبول بعض الدعاة والكتّاب الإسلاميين، وأشاعوه بين الشباب المسلم في كتاباتهم ومحاضراتهم، وبنوا عليه من الأحكام ما لم يقل به عالم من قبل! فهذا هو كاتبهم الكبير الشيخ محمد الغزالي يقول فيما سماه بـ"السنة النبوية.."

---

(١) سورة القلم الآية ٣٥، ٣٦.

(ص١٨): "وقاعدة التعامل مع مخالفينا في الدين ومشاركينا في المجتمع: لهم ما لنا وعليهم ما علينا. فكيف يهدر دم قتيلهم؟!".

وهو تابع في ذلك للأستاذ حسن البنا ـ رحمه الله ـ، فهو الذي أذاعه بين شباب الإخوان وغيرهم، وهذا هو سيد قطب ـ عفا الله عنه ـ يقول مثله، ولكن بجرأة بالغة على تصحيح الباطل: "وهؤلاء لهم ما لنا وعليهم ما علينا بنص الإسلام الصحيح"!! كذا في كتابه "السلام العالمي" (ص ١٣٥ـ طبع مكتبة وهبة الثانية).

وقد جرى على هذه الوتيرة من المخالفة للنصوص الصحيحة، اعتماداً على الأحاديث الضعيفة غير هؤلاء كثير من الكتاب المعاصرين، لجهلهم بالسنة، وتقليدهم لبعض الآراء المذهبية، ومن هؤلاء الأستاذ المودودي ـ رحمه الله ـ، وقد تقدم الرد عليه في تسويته بين المسلم والذمي في الحقوق العامة تحت الحديث المتقدم رقم (٤٦٠)[(١)].

وإن مما يحسن لفت النظر إليه أن الأحناف الذين تفردوا بهذا الحديث الباطل، لم يأخذوا به إلا في المبايعات كما تقدم ذكره عن كتابهم "الهداية"، خلافاً لهؤلاء الكتّاب الذي توسعوا في تطبيقه توسعاً خالفوا به جميع العلماء. فاعتبروا يا أولي الألباب!"[(٢)] اهـ. كلام الشيخ الألباني ـ رحمه الله ـ.

وقال الدكتور عبد الله الطريقي: "وأما قول بعض الفقهاء "لهم ما لنا وعليهم ما علينا" فليس فيه دلالة على المساواة في الحقوق

---

(١) ومنهم القرضاوي ـــ هداه الله ـــ في كتابه "فتاوى معاصرة ٢/٦٧٠".

(٢) سلسلة الأحاديث الضعيفة، ٥/١٩٥-١٩٧.

والواجبات؛ بدليل الواقع، فإن حقوق المسلم كثيرة؛ منها: السلام، والنصح، وإجابة الدعوة، والعيادة في المرض، وتشييع الجنازة، وأهم من ذلك موالاته ومؤاخاته، وإعطاؤه من الزكاة، وغير ذلك"[١].

الشبهة الثامنة:

قوله: "وقد استحضر الإمام علي بن أبي طالب تلك المعاني في كتابه إلى مالك الأشتر حين ولاه مصر بعد مقتل محمد بن أبي بكر، عندما قال: (وأشعر قلبك الرحمة للرعية والمحبة لهم، واللطف بهم.. فإنهم صنفان: إما أخ لك في الدين، أو نظير لك في الخلق"[٢].

تعقيب:

هذا الأثر مما التقطه هويدي من كتاب (نهج البلاغة) المكذوب على علي - رضي الله عنه -[٣].

فهو مما لا يُفرح به.

قال الذهبي في ترجمة المُرتضَى أبي علي بن حسين ابن موسى الموسوي (المتوفى سنة ٤٣٦هـ): "هو جامع كتاب "نهج البلاغة" المنسوبة ألفاظه إلى الإمام علي - رضي الله عنه -، ولا أسانيد لذلك، وبعضُها باطلٌ وفيه حقٌّ، ولكن فيه موضوعات حاشا الإمام من النطق بها، ولكن؛ أين المنصف؟ وقيل: بل جَمْعُ أخيه الشريف الرّضي"[٤].

وقال أيضًا: "وفي تواليفه سبُّ أصحاب رسول الله - ﷺ - فنعوذ

---

(١) فقه الاحتساب على غير المسلمين، ص ٢٣.

(٢) مواطنون لاذميون، ص ٨٣.

(٣) انظر: شرح نهج البلاغة، ٥/٢٤، تحقيق حسن تميم.

(٤) وهذا هو المشهور.

بالله من علمٍ لا ينفع"[١].

وقال أيضاً في ترجمته: "وهو المتهم بوضع كتاب "نهج البلاغة"، وله مشاركة قويّة في العلوم، ومن طالع كتابه "نهج البلاغة"؛ جزم بأنه مكذوب على أمير المؤمنين علي - ﷺ -، ففيه السّبُّ الصّراح والحطُّ على السيدين أبي بكر وعمر - رضي الله عنهما -، وفيه من التناقض والأشياء الركيكة والعبارات التي من له معرفة بنفس القرشيين الصحابة، وبنفس غيرهم ممن بعدهم من المتأخرين؛ جزم بأن الكتاب أكثره باطل"[٢].

وقد حكم بكذب كثير مما في هذا الكتاب على عليّ - ﷺ - العلامة المقبلي؛ فقال رحمه الله: "أخرج البخاري عن علي - ﷺ -؛ أنه قال: اقضوا كما كنتم تقضون؛ فإني أكره الخلاف حتى يكون الناس جماعة أو أموت كما مات أصحابي. قال: وكان ابن سيرين يرى عامة ما يروون عن علي - ﷺ - كذبًا، وصدق ابن سيرين - رحمه الله -؛ فإن كل قلب سليم، وعقل غير زائغ عن الطريق القويم، ولب تدرب في مقاصد سالكي الصراط المستقيم؛ يشهد بكذب كثير مما في "نهج البلاغة" الذي صار عند الشيعة عديل كتاب الله بمجرد الهوى الذي أصاب كل عرق منهم ومفصل، وليتهم سلكوا مسلك جلاميد الناس، وأوصلوا ذلك إلى علي برواية تسوغ عند الناس، وجادلوا عن رواتها، ولكن؛ لم يبلغوا بها مصنفها، حتى لقد سألت في الزيدية إمامهم الأعظم وغيره؛ فلم يبلغوا بها الرضّي الرافضي، ولو بلغوه لم ينفعهم فإن مذهب الإمامية تكفير

(١) سير أعلام النبلاء، ١٧/٥٨٩، ٥٩٠.

(٢) ميزان الاعتدال، ٣/١٢٤. وانظر: لسان الميزان، ٤/٢٢٣.

من لم يكن على مذهبهم كفرًا صريحًا لا تأويلاً"[١].

وقد أشار إلى الكذب الذي فيه الخطيب البغدادي في "الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع" (٢/ ١٦١).

وقد قال محمد محيي الدين عبد الحميد في مقدمة تعليقه عليه: "إنه يعتقد أن محمد عبده[٢] كان مقتنعاً بأن الكتاب كله للإمام علي - ﷺ - وإن لم يصرح بذلك، وحتى إنه ليجعل ما فيه حجة على معاجم اللغة"!

ولشيخ الإسلام ابن تيمية كلمة في بيان كذب كثير مما في هذا الكتاب على عليّ - ﷺ -، وهذا نص كلامه: "... وأيضًا؛ فأكثر الخطب التي ينقلها صاحب "نهج البلاغة" كذبٌ على عليّ، وعليّ - ﷺ - أجلّ وأعلى قدرًا من أن يتكلّم بذلك الكلام، ولكن هؤلاء وضعوا أكاذيب وظنوا أنها مدح؛ فلا هي صدق ولا هي مدح، ومن قال: إن كلام عليّ وغيره من البشر فوق كلام المخلوق؛ فقد أخطأ، وكلام النبي - ﷺ - كلامه، وكلاهما مخلوق.

ولكن هذا من جنس كلام ابن سبعين الذي يقول: هذا كلام بشير[٣] يشبه بوجهٍ ما كلام البشر، وهذا ينزع إلى أن يجعل كلام الله ما في نفوس البشر وليس هذا من كلام المسلمين.

وأيضًا؛ فالمعاني الصحيحة التي توجد في كلام عليّ موجودة في كلام غيره، لكن صاحب "نهج البلاغة" وأمثاله أخذوا كثيرًا من كلام الناس فجعلوه من كلام عليّ، ومنه ما يُحكى عن عليّ على أنه تكلّم

---

(١) العلم الشامخ، ص ٢٣٧.

(٢) وهو شيخ مشايخ هويدي! فلا يُستغرب احتجاج هويدي بهذا الأثر الذي ارتضاه عبده.

(٣) كذا في الأصل !.

به، ومنه ما هو كلام حقّ يليق به أن يتكلم به، ولكن هو في نفس الأمر من كلام غيره.

ولهذا؛ يوجد في كلام "البيان والتبيين" للجاحظ وغيره من الكتب كلام منقول من غير عليّ، وصاحب "نهج البلاغة" يجعله عن عليّ.

وهذه الخطب المنقولة في كتاب "نهج البلاغة" لو كانت كلّها عن عليّ من كلامه؛ لكانت موجودة قبل هذا المصنّف، منقولة عن عليّ بالأسانيد وغيرها، فإذا عَرَف من له خبرة بالمنقولات أن كثيرًا منها بل أكثرها لا يُعرف قبل هذا؛ عُلم أن هذا كذب، وإلا؛ فليبيّن الناقل لها في أي كتاب ذكر ذلك، ومن الذي نقله عن عليّ، وما إسناده؟ وإلا؛ فالدعوى المجردة لا يعجز عنها أحد.

ومن كان له خبرة بمعرفة طريقة أهل الحديث ومعرفة الآثار والمنقول بالأسانيد، وتبيّن صدقها من كذبها؛ عَلِم أن هؤلاء الذي ينقلون مثل هذا عن عليّ من أبعد الناس عن المنقولات، والتمييز بين صدقها وكذبها"[1] [2].

قلت: بهذه الشبهة انتهت الشبهات التي احتج بها هويدي في كتبه ومقالاته انتصارًا لرأيه الشاذ في (مساواة) المسلمين بالكافرين، وما تفرع عنها من مسائل قبيحة لا يتلفظ بها من يخاف الله ـ ﷻ ـ.

---

(١) منهاج السنة النبوية، ٧/٥٥-٥٦. وانظر في التحذير من هذا الكتاب وبيان أنه مكذوب على علي رضي الله عنه: فجر الإسلام، ١٤٨-١٤٩. وترجمة علي، لأحمد صفوت، ص ١٢٢. والبيان لأخطاء بعض الكتاب، ص ٦٩-٨٥، للشيخ صالح الفوزان، وتعليق محب الدين الخطيب على " العواصم ".

(٢) كتب حذر منها العلماء، ٢/٢٥٠-٢٥٦، بتصرف يسير.

تقسيم الناس حسب موقفهم من الإسلام:

الناس إما مسلمون أو غير مسلمين، وغير المسلمين قسمان:

١- أهل حرب.

٢- أهل عهد.

كما قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: "كان المشركون على منزلتين من النبي ـ ﷺ ـ والمؤمنين. كانوا: مشركي أهل حرب يقاتلهم ويقاتلونه، ومشركي أهل عهد لا يقاتلهم ولا يقاتلونه"(١).

وأهل العهد ينقسمون ثلاثة أقسام:

١- أهل ذمة (ذميون).

٢- مستأمنون.

٣- معاهَدون، من الموادعين والمحايدين: وهم من كان لهم عهد مؤقت بكف القتال عنهم.

هذا هو تقسيم الناس بالنسبة لموقفهم من الإسلام. ويهمنا الفرق بين الذمي والمعاهد والحربي

عرفنا فيما سبق أن الذمي هو: "كل كافر حر بالغ قادر يجوز إقراره على دينه بالجزية".

أما المعاهد: فيراد به من كان له عهد مؤقت بكف القتال عنه وهو "من عقد مع المسلمين أو عقد معه المسلمون، من الكفار من أهل الحرب عهدًا بالكف عن القتال مدة معينة".

وعليه فإنه يمكن أن يُطلق على الذمي "معاهَداً" لأن أهل الذمة هم

---

(١) أخرجه البخاري، ٢٥٨٦. فتح الباري، ٤١٧/٩.

أهل عهدٍ دائم مقابل أداء الجزية.

أما المعاهَد عهدًا مؤقتًا - وهم أهل الهدنة - فلا يُطلق عليه لفظ الذمي، وعليه فلفظ الذمي أخص من لفظ المعاهَد مطلقًا، فكل ذمي معاهَد وليس كل معاهَد ذميا، لجواز أن يكون عهدُه عهدًا مؤقتًا.

وعليه فأهم الفروق بين الذمي والمعاهد هي:

أولاً: أن الذمي يقيم إقامة دائمة في بلاد المسلمين أو في بلادٍ يشرفون عليها. أما المعاهَد فإنه إن أقام في بلادهم فهو لحاجة ثم يغادرها.

ثانياً: الذمي يتمتع بحماية المسلمين له بمقتضى عقد الذمة ويلزمه أداء الجزية، أما المعاهَد: فليس عليهم حمايته ولا يُلزم بدفع جزية.

ثالثاً: مدة عقد الذمة مطلقة مؤبدة، ولا تُحَد بوقتٍ كما نص على ذلك الفقهاء، فسموها بـ"العقد المؤبد" أما مدة عقد الهدنة فالواجب فيها التحديد.

رابعاً: الذمي يلتزم بدفع الجزية وبسريان أحكام المسلمين عليه. أما المعاهَد فليس عليه شيء من ذلك.

خامساً عقد الذمة: يجب أن يكون صاحبه كتابيًا أو مجوسيًا في الراجح من أقوال العلماء. أما عقد الهدنة فيُعْقد مع كل كافر.

تلك هي الفوارق بين الذمي والمعاهَد.

ويتفقان فيما يأتي:

أولاً: كلٌ من الذمي والمعاهَد يجب له الوفاء بعهده إذا التزم بأحكام وشروط هذا العهد.

ثانياً: وجوب نبذ العهد إلى كلٍ من الذمي والمعاهَد في حال ظهور

بوادرَ للخيانة.

أما الفروق بين الذمي والحربي فهو كما يلي:

أولاً: الذمي محقون الدم بموجب عهد الذمة. أما الحربي فدمه هَدَر، حيث لا عهد له.

ثانيًا: في الراجح من أقوال العلماء أن الذمي لا يكون إلا من أهل الكتاب أو المجوس. أما الحربي: فيُطلق على من تهيأ لمحاربة المسلمين وناصبهم العداء: كتابيًا كان أو وثنيًا.

ثالثاً: لا يتعرض المسلمون لذراري الذمي لدخولهم في عقد الذمة ضمنًا. أما ذراري الحربي إذا ظفر بهم المسلمون فهم سبي ولا يُقَاتلون قصدًا.

رابعًا: مال الذمي له حُرمته فلا يُتَعرض له، ويحافظ عليه كمال المسلم. أما مال الحربي: فلا حرمة له وهو غنيمة للمسلمين.

أحكام الجزية:

أما الجزية التي حاول هويدي أن يشكك فيه ويتمحل في سبيل إسقاطها عن "إخوانه اليهود والنصارى!" بشتى التمحلات، فهي ثابتة بالقرآن والسنة والإجماع.

أما ثبوتها في القرآن: فبالنص عليها في قوله تعالى: ﴿ قَـٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَـٰغِرُونَ ﴾[1].

---

(١) سورة التوبة الآية ٢٩.

وأما السنة: فقد ورد ذكرها في أحاديث كثيرة لا تُحصى وفي مقدمتها حديث بريدة المشهور الذي نص فيه الرسول ـ ﷺ ـ على هذا الحكم وشرعه للأمة من بعده، دون تقييد بزمان أو مكان.

قال بريدة ـ رضي الله عنه ـ: "كان رسول الله ـ ﷺ ـ إذا أمّر أميرًا على جيش أو سرية أوصاه في خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيرًا، ثم قال: اغزوا باسم الله في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلوا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليدًا، وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال أو خلال، فأيتهن أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، فإن أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم، ثم ادعهم إلى التحول إلى دار المهاجرين، وأخبرهم أنهم إن فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين وعليهم ما على المهاجرين، فإن أبوا أن يتحولوا فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين يجرى عليه حكم الله الذي يجري على المؤمنين، ولا يكون لهم في الغنيمة والفيء شيء إلا أن يجاهدوا مع المسلمين، فإن هم أبوا فسلهم الجزية، فإن هم أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم، فإن هم أبوا فاستعن بالله وقاتلهم" الحديث رواه مسلم وغيره[1] واللفظ له.

ففي هذا الحديث الصريح بيان أن سنة الرسول ـ ﷺ ـ في حروبه وغزواته، وفي وصاياه لقواده أن يخير الكفار بين الإسلام، أو الجزية، أو القتال، وأن هذا دأبه دائمًا، يشهد لهذه قول بريدة: "كان رسول ـ ﷺ ـ إذا أمّر أميرًا.." فهو دليل على الاستمرار والعادة الدائمة.

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي، جـ١٢،ص ٣٧. الأموال لأبي عبيد، ص ٣٥.

وأما الإجماع: فقد أجمع المسلمون على جواز أخذ الجزية بالجملة، قال ابن قدامة رحمه الله: "والأصل فيها ـ يعني الجزية ـ الكتاب والسنة والإجماع"[١]. وقال ابن رشد: "فأما من يجوز أخذ الجزية منهم فإن العلماء مجمعون على أنه يجوز أخذها من أهل الكتاب العجم والمجوس"[٢]. وقال ابن القيم: "أجمع الفقهاء على أن الجزية تؤخذ من أهل الكتاب ومن المجوس"[٣].

تنبيه: من أراد الزيادة والفائدة في موضوع أحكام المعاهدين، والموقف الشرعي منهم؛ فعليه بالرسالة القيمة "فقه الإحتساب على غير المسلمين" للدكتور عبد الله الطريقي ـ وفقه الله ـ.

فهمي هويدي والرافضة:

مقالاته وأقواله ـ حسب علمي ـ تشهد بأنه متأثر بدعوة (الرافضة) عادًا إياهم أحد التيارات المؤثرة في الصحوة الإسلامية[٤] وعادًا ثورتهم الأخيرة ثورةً إسلامية شجاعة، ومادحًا لرموزهم وأشخاصهم، وملمعًا لمذهبهم وبلادهم ـ والعياذ بالله ـ.

وإليك ـ شيئاً من مواقفه وأقواله ـ تشهد عليه بهذا كله:

فهو قد خصص كتاباً كاملاً سماه (إيران من الداخل) خصصه للحديث عن أحوال الثورة الخمينية، محاولاً تقريب السنة إليهم، كما في (ص٣١٣،٣٠٦،٢٠٥،١١،٩ وما بعدها).

---

(١) بداية المجتهد لابن رشد، جـ١، ص٤٠٥.

(٢) بداية المجتهد لابن رشد، جـ١، ص٤٠٥.

(٣) أحكام أهل الذمة لابن القيم، جـ١، ص١.

(٤) بخلاف السلفيين الذين يراهم معوِّقين للصحوة!

واصفاً الخميني بأنه "كان زاهدًا عظيمًا"[١] !! ومادحاً (منتظري) بأنه "واحد من التابعين الذين كان همهم الزهد والورع"[٢]!!

وتدليلاً على محبة هويدي وموالاته للروافض فقد تكلف عناء السفر لتهنئة الخميني بقيام دولته (الرافضية)![٣].

ويقول عن فقه الواقع: "الثورة الإسلامية في إيران أرست قاعدة عريضة لهذا الفقه"[٤].

وفي تعليق له على تقرير عن (الحالة الإسلامية في الوطن العربي) الذي أصدره مركز الدراسات الاستراتيجية بالأهرام، يقول: "لسنا نعرف كيف غاب عن الباحثين رصد مظاهر الحالة الإسلامية في الخليج ومؤشرها في صعود مستمر على الأصعدة السياسية والاجتماعية، خصوصًا بعد نجاح الثورة الإسلامية في إيران، وما ترتب على ذلك من أصداء بين شيعة الخليج"[٥].

ويرى هويدي أن نجاح ثورة الرافضة في إيران أحد مظاهر نجاح الصحوة الإسلامية[٦]!

ويقول عن الرافضي باقر الصدر[٧]: "العلامة السيد محمد باقر الصدر"[٨]!

---

(١) إيران من الداخل (ص ١٨٢).

(٢) المرجع السابق (ص ١١٦).

(٣) إيران من الداخل (ص ٩).

(٤) جريدة الأهرام، تاريخ: ١٩٩٠/١/٢م.

(٥) جريدة الأهرام، تاريخ: ١٩٨٨/١٠/١١م.

(٦) جريدة الأهرام، تاريخ ١٩٨٨/١٠/١١م، مقال بعنوان "الإسلاميون في أحدث تقرير".

(٧) رافضي جَلد، تميز بكتبه الاقتصادية.

(٨) جريدة الأهرام، تاريخ: ١٩٩٠/٩/١٨م.

ويقول مدافعًا عن الروافض، ومبرزًا حسناتهم: "إن الشيعة الذي كان البعض يشكك في ولائهم، وأبدى نفر من الكاتبين تخوفاً منهم بعد الغزو خيبوا ظن هؤلاء الجميع، وأثبتوا أنهم جزء لا ينفصم من الصف الوطني، وكان صمودهم المشهود، وشبابهم الذين سيقوا إلى الإعدام، منهم ثلاثة من أسرة (دشتي) وحدها، كان ذلك إبراءً لذمتهم، وإعلاناً عن مصداقية انتمائهم، الذي ثار حوله بعض اللغط منذ قامت الثورة الإسلامية في إيران"[١].

ويخص الزيدية والإمامية الروافض بمزيد دفاع حارٍ، ويستثنيهم من بقية الشيعة المذمومين بكل لسان، فيقول: "فات بعض الكاتبين أن الشيعة فرق متعددة، بينهم المعتدلون والغلاة وصحيحو العقيدة وفاسدوها، وفي مقدمة المعتدلين وصحيحي العقيدة: الزيدية المنسوبة إلى الإمام زيد بن علي، ويتركزون في اليمن، وهم الأقرب إلى السنة، والإمامية الاثني عشرية!! وهم أكبر فرق الشيعة وأشهرها"[٢].

وفي مقال له بعنوان (معركتنا ليست ضد الشيعة) يحاول هويدي أن يوهمنا بأن تصرفات النظام الإيراني لا يتحمل وزر أخطائها مذهب الروافض، فيقول: "لا أعرف كيف يمكن أن نكبح جماح عواطفنا وانفعالاتنا، بحيث نفرق بين ممارسات النظام السياسي الإيراني وبين تعاليم المذهب الشيعي"[٣].

وهاهو ينتقد أحد الدعاة الذين بينوا خطر الرافضة، وحذروا

---

(١) جريدة الأهرام، تاريخ: ١٦/١٠/١٩٩٠م.

(٢) جريدة الأهرام، تاريخ: ١٥/٩/١٩٨٧م.

(٣) جريدة الأهرام، تاريخ: ١٥/٩/١٩٨٧م.

منهم[1].

وعندما أنكر هويدي ظهور (المهدي المنتظر) آخر الزمان عَقَّب على ذلك بقوله: "إن ما عرضته بشأن وجهة نظر السنة في مسألة المهدي المنتظر ينبغي ألا يُحمل باعتباره إساءة أو تشهيرًا بما يعتقده الشيعة في هذا الصدد، فرأينا فيما يعرض علينا من معتقدات، لا ينبغي أن يخل باحترامنا لما يعتقده الآخرون، خاصةً وأن لديهم من الأسانيد والحجج ما يدعم اعتقادهم ويعززه"[2].

قال هذا الثلا يُغضب أعداء الصحابة، وأما أهل السنة من أتباع السلف الصالح فهم ـ في نظر هويدي ـ لا يستحقون الاعتذار، علمًا بأن "لديهم من الأسانيد والحجج ما يدعم اعتقادهم ويعززه" كما قال هويدي!

ويتابع هويدي الروافض في ذمهم للصحابي الجليل معاوية بن أبي سفيان ـ رضي الله عنه ـ قائلاً: "لعلنا نذكر ما جرى في موقعة صفين بين علي بن أبي طالب أمير المؤمنين، ومعاوية بن أبي سفيان والي الشام الطامع في الإمارة"[3].

ويكتب مقالاً بعنوان "معركتنا ليست ضد الشيعة"[4] يستغرب فيه أن تنشر الكتب ضد الشيعة في بلاد مصر "ذات الدور الرائد في التقريب بين المذاهب، والتي لم تصب بأي حساسية تجاه الشيعة، ولقد درج

---

(١) في مقالة على صفحات مجلة العربي، العدد ٢٩٢، ص ٤٥.

(٢) جريدة الأهرام، تاريخ: ١٩٨٦/١/٢١م.

(٣) مجلة العربي، العدد ٢٣٤، ص ٣٥.

(٤) جريدة الأهرام، تاريخ ١٩٨٧/٩/١٥م.

المؤرخون على وصف المصريين بأن لهم هوىً مع آل البيت"، كما يقول هويدي، ثم راح يدافع عن عقائدهم، ويُنكر أنهم يقولون بتحريف أو نقص القرآن الكريم أو أنهم يسبون الصحابة!!

فهمي هويدي والديمقراطية:

يعد هويدي من أبرز الدعاة إلى الديمقراطية في عالمنا الإسلامي، حيث أبرز محاسنها وجَمَّلها في عدد كثير من مقالاته، متابعةً منه لشيخيه الغزالي، والقرضاوي، اللذين يعوِّل على كلامهما في الديمقراطية كثير من دعاة الاستنارة والعقلانية.

وإليك شيئًا من أقواله في هذا الموضوع:

يقول هويدي في مقال بعنوان (الإسلام والديمقراطية.. أو الطوفان!) مبالغاً في مدح الديمقراطية: "إننا نعتبر أن الديمقراطية هي أفضل صيغة ابتكرها العقل الإنساني حتى الآن لإدارة المجتمع على نحو كفء وصحي"(١).

ويقول: "سنصبح في مجرى التاريخ، ويصبح انتسابنا للعصر حقًا، فقط عندما نتعامل مع الديمقراطية بشروطها وجوهر وظيفتها، أعني عندما يسقط احتكار السلطة، وتصبح الأمة شريكة في صناعة القرار، وصياغة حاضرها ومستقبلها"(٢).

ويقول معبرًا عن ماهية الديمقراطية التي يدعو إليها: "جوهر الديمقراطية هو مشاركة الأمة صناعة القرار السياسي من خلال وضع

---

(١) جريدة الأهرام، تاريخ: ١٤/٣/١٩٩٢م.

(٢) جريدة الأهرام، تاريخ: ١٣/٢/١٩٩٠م.

مؤسسي دائم وملتزم"[١].

ويقول: "لسنا نعرف لماذا يصر البعض على سوءات الديمقراطية وعوراتها، مع تغييب تام لإيجابياتها وإنجازاتها، وجملة المقاصد الجليلة التي تحققها"[٢].

ونراه ينقل فتيا القرضاوي في تأييد (الديمقراطية) في مقالة له بعنوان "فتوى في الديمقراطية"[٣].

فهمي هويدي والسلفية:

يُكثر هويدي ـ شأن جميع العصرانيين ـ من الطعن في المتمسكين بعقيدة السلف الصالح ومنهجهم، ويلمزهم بشتى التهم، ساخرًا منهم لاتباعهم سنة النبي ـ ﷺ ـ إلى أن يصل به الشيطان إلى الطعن والسخرية بالسنة ذاتها! ـ والعياذ بالله ـ.

وأنا سأنقل بعضًا من أقواله التي يوردها في هذا المقام متابعةً منه لأسلوب شيخه الهالك (الغزالي) ليتعرف القارئ على شيء مما تكنه صدور هؤلاء التنويريين على سنة المصطفى ـ ﷺ ـ والمتمسكين بها، مع تعرفه على رأيهم في انتشار عقيدة ومنهج السلف في العالم الإسلامي خلال السنوات الأخيرة ـ ولله الحمد ـ.

يقول هويدي: "تيارات تكفير المجتمع وجماعات الغلو والتشنج والهلوسة باسم الدين، هؤلاء جميعًا لم يظهروا إلى الوجود إلا في المرحلة التي صودرت فيها حرية العمل الإسلامي الشرعي"[٤].

---

(١) جريدة الأهرام، تاريخ: ١٣/٢/١٩٩٠م.

(٢) جريدة الأهرام، تاريخ: ١٣/٢/١٩٩٠م.

(٣) جريدة الأهرام، تاريخ: ١٨/٨/١٩٩٢م.

(٤) مجلة العربية، العدد ٢٦٥، ص ٢٥-٢٦.

وينقل طعن الغزالي في السلفية مؤيدًا له[١].

ويسخر من كتاب الشيخ أبي إسحاق الحويني[٢] "نهي الصحبة عن النزول بالركبة"[٣] مدعيًا أنه لا فائدة من بحث هذه المواضيع الفقهية التي يسميها هويدي ومن هم على شاكلته (الجزئيات)، وأن الأولى أن تُصرف الجهود إلى الاهتمام بقضايا الأمة الكبرى، ومواجهة أعدائها الذين يكيدون لها.

ولكن: مما يثير الطرافة أننا علمنا ـ سابقاً ـ أن هويدي يرى أن اليهود والنصارى كالمسلمين، ويرى جواز قيام أحزاب علمانية وماركسية، فلا أدري بعد هذا من هم أعداء الأمة الذين يريد لنا هويدي أن نتصدى لهم، وهو لم يُبق عدوًا لنا!!؟

ويقول هويدي في ندوة عقدت بالأردن ساخرًا من مجموعة من الشعائر والسنن الإسلامية: "الأمر تجاوز المسواك والأكل بأصابع اليد والجلباب القصير، إلى حديث أصح وأجدى حول الارتقاء بالإنسان، والنهوض بالأمة، وصياغة المستقبل على نحو أفضل"[٤].

ثم ينقل عن القرضاوي ذم من يُقَصر ثوبه اتباعًا لسنة محمد ـ ﷺ ـ.

فهويدي مشغول عن هذه السنن بـ"الارتقاء بالإنسان والنهوض بالأمة، وصياغة المستقبل على نحوِ أفضل)!! إلى آخر عباراته التي لا ثمرة لها.

---

(١) مجلة العربية، العدد٢٩٠، ص ٨٢-٨٦.

(٢) أحد علماء الحديث البارزين في مصر ــ حفظه الله ــ.

(٣) مجلة المجلة، العدد ٥٠٣، ص ٢٣.

(٤) جريدة الأهرام، تاريخ: ١٩٨٩/٧/١١م.

ويقول: "لا نعرف لماذا ـ عند ذكر الصحوة ـ يُهال التراب على روادها من جمال الدين الأفغاني، ومحمد عبده، والكواكبي، ورشيد رضا، وحسن البنا، فيُطمس فكرهم، ويُلغى وجودهم، بينما لا يُذكر سوى عمر عبدالرحمن، وعبود الزمر، وشكري مصطفى، وعلي بلحاج. أعني لماذا يُسقط الاصلاحيون والتحديثيون من الحسبان، وتُسلط الأضواء فقط على الانقلابيين والسلفيين"(١).

ويذم أصحاب (الكآبة والجهامة والجفاف)!! الذين يحرمون الغناء والموسيقى والتمثيل والنرد والشطرنج.

ويرى ـ بجهل أو بخبث ـ أن مصدر هذا الفقه الكئيب يعود إلى السعودية!! (٢).

ويقول: "إن الخطاب الإسلامي أصبح يعنى بأمور لا حصر لها، ليس بينها بالضرورة قضايا الساعة وشواغل الناس، حتى يبدو أحياناً كما لو كان قادمًا من زمنٍ آخر وربما من كوكبٍ آخر، وما الجدل الدائر بين شبابنا حول الاختلاط والنقاب وإقامة الخلافة وصحة أحاديث المهدي سوى نموذج لما ندعيه"(٣).

---

(١) جريدة الأهرام، تاريخ: ١٨/٢/١٩٩٢م. ومن ذكرهم هويدي ليسوا جميعاً من السلفيين، بل تجاوزوا السلفية إلى فكرٍ متأثر بالخوارج في استباحة الدماء والخروج ـ دون ضوابط ـ على الحكام... إلخ. هدانا الله وإياهم للرجوع إلى الحق.

(٢) كما في مقاله: "هذه الدعوة إلى الكآبة والجفاف"، جريدة الأهرام بتاريخ: ١٩/٣/١٩٨٨م.

(٣) جريدة الأهرام، تاريخ: ١٧/٦/١٩٨٦م.

نظرة شرعية

في فكر

أحمد كمال أبو المجد



نظرة شرعية في فكر أحمد كمال أبو المجد

ترجمته[١]:

- كاتب ومفكر مصري معاصر، من مواليد محافظة أسيوط بمصر سنة ١٩٣٠م.

- تخرج في كلية الحقوق سنة ١٩٥٠م.

- حصل على دبلوم في القانون العام سنة ١٩٥١م، ودبلوم في الشريعة الإسلامية سنة ١٩٥٢م.

- حصل على درجة الماجستير في القانون المقارن من جامعة ميتشقن في الولايات المتحدة الأمريكية.

- وعلى درجة الدكتوراه في القانون من جامعة القاهرة.

- يعمل أستاذًا للقانون العام في كلية الحقوق بجامعة القاهرة، ويتولى رئاسة المحكمة الإدارية للبنك الدولي بواشنطن!

- يعمل ـ أيضاً ـ محامياً أمام محكمة النقض ومجلس الدولة، والمحكمة الدستورية العليا في مصر.

- عضو في: مجمع البحوث الإسلامية في الأزهر، والمجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية بالأردن، والجمعية المصرية للاقتصاد السياسي والتشريع، ولجنة الخبراء في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا للبنك الدولي، ولجنة الخبراء التابعة للوكالة الدولية للتنمية.

---

(١) استفدتها من كتاب"الإسلاميون والحوار مع العلمانية والدولة والغرب"لهشام العوضي.وكذا من رسالة الدكتور مفرح القوسي"الموقف المعاصر من المنهج السلفي.."(ص٤٩)،ومن كتاب "من أجل وحدة ثقافية ــ عربية ــ حوار مع الدكتور أحمد كمال أبو المجد"إصدار منتدى عبدالحميد شومان الثقافي بالأردن، ١٩٩٨م.

- كان وزيرًا للشباب في مصر بين عام ١٩٧١م-١٩٧٣م.

- عمل وزيرًا للإعلام بين عام ١٩٧٣م-١٩٧٥م.

- عمل عميدًا لكلية الحقوق والشريعة في جامعة الكويت سنة ١٩٧٧م، ثم مستشارًا لولي العهد بدولة الكويت من ١٩٨٠م إلى ١٩٨٦م.

له عدة مؤلفات؛ منها:

١- "حوار لا مواجهة" وهو أهم كتبه، عبارة عن مقالات متنوعة كان ينشرها في مجلة "العربي" بالكويت، صب فيها خلاصة أفكاره.

٢- "رؤية إسلامية معاصرة إعلان مبادئ" ، وهو عبارة عن عدة مبادئ صاغها أبو المجد لتكون وثيقة جامعة للأفكار الكبرى التي ينادي بها العصرانيون، ويلتقون عليها. وقد راجعها وأثنى عليها غير واحد منهم[(١)].

فحبذا لو قام أحد طلبة العلم بتفنيد ما جاء في هذه الوثيقة العصرانية من انحرافات .

٣- النظام الدستوري في دولة الإمارات العربية المتحدة.

٤- دراسات في المجتمع العربي.

٥- التطرف الديني وأبعاده.

قال رضوان السيد عن أبي المجد: "أذكر من المتحولين إلى الفكر الإسلامي، نماذج مشرفة مثل أحمد كمال أبو المجد، وطارق البشري،

---

(١) كما في ص ٢٣. وقد فرح العلمانيون بهذه الوثيقة (العصرية) لأنها تحقق لهم أهدافهم بواجهة (إسلامية). يقول العلماني سيد ياسين في كتاب "قضايا المعاصرة والخلافة، ص٩" عن هذه الوثيقة: "إنها ترديد لبعض المبادئ الراسخة في النظرية والممارسة الليبرالية الغربية..".

فالأول مع أنه بدأ إخوانيًا، لكنه صار في مرحلة من عمره ناصريًا اشتراكياً، ثم عاد إلى موقعه إسلاميًا"[١]

وذكر مثل هذا عنه الدكتور محمود الطناحي في كتابه "مدخل إلى تاريخ نشر التراث العربي" (ص١٥٠).

احمد اهانه :

يعد أحمد كمال أبو المجد أحد المنظرين للفكر العصراني في زماننا، حيث ارتضى هذا الفكر أخيرًا بعد أن تنقل يمينًا ويسارًا، وهو في مؤلفاته وكتاباته وندواته لا يخرج عن الدعوة للأهداف السابقة التي يلتقي عليها "العصرانيون".

وأبتدئ بدراسة قيمة للدكتور مفرح القوسي ـ وفقه الله ـ لفكر الرجل ثم أعقبها ببعض الإضافات التي لم ترد في دراسته.

يقول الدكتور القوسي:"الدكتور أحمد كمال أبو المجد[٢] الذي دأب في كتاباته على التقليل من شأن السلف الصالح من الصحابة والتابعين وانتقاد منهجهم، والزهد بعلمهم، والتنصل من أقوالهم واجتهاداتهم. ومن ذلك على سبيل المثال قوله في الدعوة إلى التحديث والتوسع في الاجتهاد:"أما اجتهاد القدماء من السلف فإنه يظل تجربة غير ملزمة.. وتاريخ المسلمين منذ عهد الصحابة إلى يومنا هذا تاريخ أمة من البشر عامر بالخير والشر معاً، فإلى جوار أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، عاش

---

(١) العلمانية والممانعة الإسلامية؛ لعلي العميم، ص ١٦٤.

(٢) سبقت ترجمته.

أبو جهل وأبو لهب وأمية بن خلف، وإلى جانب العدل الذي قام عليه الحكم في أيام الخلافة الراشدة وجدنا من يصف الحاكم بأنه ظل الله في الأرض... وكما كان أصحاب النبي ـ ﷺ ـ أشداء على الكفار رحماء بينهم أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين، خلف من بعدهم خلف رجعوا كفارًا يضرب بعضهم رقاب بعض، وصار بأسهم بينهم أشد من بأسهم على عدوهم... تلك إذن أمم قد خلت لها ما كسبت ولنا ـ اليوم ـ ما كسبنا، والتراث تجارب، واجتهاد السلف سوابق، والحاضر لا يصلح له إلا اجتهاد جديد"[١]. وقوله أيضاً: "البشر كل البشر يُؤخذ من كلامهم ويُترك، ويُقبل من آرائهم ويُرفض، ويناقشون فيما يقولون ويفعلون، والتسليم لهم ـ بغير مناقشة ـ ذل وعبودية، وإهدار لنعمة العقل وملكة البحث"[٢]، ويُدخل أبو المجد في هذه الآراء آراء فقهاء الأمة وأئمتها محتجاً في ذلك ـ على سبيل المغالطة ـ بأن الإمام أبا حنيفة كان إذا انتهى الأمر به إلى فقه التابعين وتابعيهم يجتهد كما اجتهدوا، ويقول: "هم رجال ونحن رجال"[٣].

ويصنف أبو المجد عناصر الجمود التي أراد مواجهتها إلى أربعة تيارات معاصرة، ويجعل على رأسها: التيار المحافظ الذي ـ كما يقول ـ: "يفسر السلفية بأنها التزام ما انتهى إليه الأولون من السلف من آراء ومواقف وأحكام؛ لا يُنكر جواز الاختيار بينها ولكنه يرى في تجاوزها

---

(١) حوار لا مواجهة ص ٢٤٢.

(٢) المرجع السابق ص ٨٦-٨٧.

(٣) المرجع السابق ص ٨٩.

تجاوزاً للإسلام وابتداعاً فيه، وفتحاً لأبواب الهوى وتحكيماً للمعقول في الشريعة، وقد جاءت حاكمة للناس لا محكومة بعقولهم وأهوائهم"[1].

ويُطلق ـ وهو يتحدث عن الصحوة الإسلامية المعاصرة ـ على المحافظين على منهج السلف الصالح اسم "مدرسة الجمود على الموجود"، ويعدُّها إحدى المدرستين اللتين يموج بهما العالم الإسلامي المعاصر[2]، ويقول عن منهج هذه المدرسة: إنه "منهج خوفٍ مقيم على الإسلام، وهلع مذعور على المسلمين من كل نغمة جديدة أو اجتهاد جديد يجتاز به أصحابه السدود الكثيفة، ويخترقون حجب الجمود إلى أفئدة المسلمين وعقولهم، وكأنما استحفظ أفراد تلك المدرسة ـ وحدهم ـ على دين الله وعلى ضمائر العباد"[3].

وينكر أبو المجد ـ في عموم كتاباته ـ على الملتزمين بالمنهج السلفي محافظتهم على شريعة الإسلام من أن تنالها أيدي العبث والتغيير تحت مسمى (التحديث) و(التطور)، وتَمَسكَهم بالضوابط الشرعية للاجتهاد في الأحكام. ويصفهم ـ على سبيل الازدراء ـ ببعض الأوصاف البذيئة، كقوله: بأنهم "يرفضون أن ينظروا إلى أبعد من مواقع أقدامهم، ويتصورون أن من حقهم أن يضربوا بين المسلمين وبين سائر العالم بسور غير ذي باب، أو يتخيلوا أن المسلمين يستطيعون أن يقيموا مجتمعهم على صورة نماذج المجتمعات الإنسانية التي قامت منذ آلاف

---

(١) مقال (مواجهة مع عناصر الجمود في الفكر الإسلامي المعاصر)، مجلة (العربي)، العدد (٢٢٢) الصادر في مايو ١٩٧٧م، ص ١٦.

(٢) انظر: حوار لا مواجهة ص ٧.

(٣) المرجع السابق ص ٨، وانظر: ص ٥-٦ من المرجع نفسه.

السنين، وأن يستغنوا بذلك عن الاجتهاد من جديد، أولئك يحرثون في البحر ويطلبون غير مطلب، ولن تتوقف الحياة لتناقش خيالهم المريض"[١]. ويُرجع سوء تصرفهم وخطأ منهجهم - في نظره - وإشفاقهم من سوء فهم بعض التيارات الإسلامية للإسلام إلى أسباب عدة منها:

"**أولاً**: الاتجاه إلى اجترار الماضي واستعادة تجاربه الأولى، والذهول عن حقائق الحاضر وتغيرات المستقبل"[٢].

"**وثانياً**: الاتجاه إلى التمسك بحرفية النصوص، وتعطيل دور العقل في عملية تغيير المجتمع"[٣].

ويقول راداً عليهم تحذيرهم مما في الدعوة إلى تحديث الإسلام من مزالق ومحاذير: "إن خطر الجمود والعقم هو الخطر الأكبر الذي ينبغي أن نبدأ بالتنبيه إليه، وإن تحريك المسلمين عامتهم وعلمائهم إلى خوض معركة التجديد والاجتهاد وتحمل تبعاتها يحتاج من الشجاعة والصبر إلى أضعاف ما يحتاج التذكير بهذه المحاذير"[٤].

ويقول أيضاً - منتقداً منهجهم في جعل ولاء المسلم لدينه وعقيدته لا لوطنه وقومه -: "ومن الناس من يرى أن الإسلام هو وحده مصدر القيم ومحدد مضمون الثقافة، وأنه وحده - عند المؤمن - أساس الارتباط

---

(١) المرجع السابق ص ٩٠.

(٢) المرجع السابق ص ١٧٤.

(٣) المرجع السابق ص ١٧٥.

(٤) مقال (الخيط الرفيع بين التحديد في الإسلام والانفلات منه)، مجلة (العربي)، العدد (٢٢٥) الصادر في أغسطس ١٩٧٧م ص ١٥.

بالأمة، وأن محاولة صرف المسلمين عن هذا الولاء إلى ولاءات عرقية يُعَدُّ رجعة إلى الوراء وتفتيتاً لوحدة المسلمين وتوهيناً لأخوة الإسلام، كما يرون فيما يصاحب الدعوة القومية ـ عند بعض دعاتها ـ من مناداة بالعلمانية؛ مناقضاً تماماً لطبيعة الإسلام ولا يسع مسلماً قبوله"[1].

ويرى أن الصواب هو "أن يظل العربي المسلم عربي الثقافة واللسان، عربي التوجه السياسي، مدركاً لخصوصية الرابطة الثقافية والمصلحة التي تربطه بالعرب جميعاً مسلمين وغير مسلمين"[2].

ويقول أبو المجد كذلك منتقداً موقفهم من حق التشريع: "هناك من يرى أن التشريع في الجماعة المؤمنة لا يكون لغير الله، وأن التشريع من جانب البشر مشاركة لله تعالى في حاكميته، وهو لذلك يكاد ـ عملياً ـ يحصر دائرة التشريع في النصوص، ويخشى أشد الخشية من نداءات الأخذ بالمصالح واعتماد دور العقل في التشريع، وقد يضيف بعضهم إلى ذلك أن لا حاجة بالعرب والمسلمين إلى إقحام العقل في هذا الميدان، لأن الكتاب والسنة يغنيان، ولأن القرآن جاء كما يقول الحق ـ ﷻ ـ: ﴿تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾[3]، ثم قد يضيف بعض العامة إلى ذلك تصوراً مؤداه أن التشريع الإسلامي قائم وموجود وكامن في أقوال السلف والعلماء، وأنه ما من مسألة تعرض لنا اليوم إلا ولها حكم في الكتاب والسنة، ولها شرح وتفصيل وتعليل في مؤلفات السلف من الفقهاء والأصوليين"[4].

---

(١) حوار لا مواجهة ص ١٩.

(٢) المرجع السابق ص ٢٠.

(٣) سورة النحل الآية ٨٩.

(٤) حوار لا مواجهة ص ١٨.

والإسلام عند أبي المجد لا صلة له بتنظيم أمور الحياة وتقديم الحلول الثابتة للمشكلات، وليس من مقتضياته، حيث يقول: "إنه إن كان الإسلام نظاماً شموليا بحكم وحدة مصدره وترابط قيمه وأحكامه، وبحكم وحدة الكيان الإنساني الذي يتعامل معه، وإذا كانت هذه الشمولية تجعل منه ديناً ودولة وعقيدة ونظاماً كما يقال بحق، فإن هذا لا يعني بالضرورة أنه فصل أحكام بناء الدولة ودقائق نظام الاقتصاد"[١]. ويرفض ما سماها "النظرة الدينية الشمولية التي تستغرق أحوال الفرد والجماعة على اختلافها، وتعالج أمورها من منظور ديني خالص يستمد شرعيته ومضمونه معاً من النصوص الدينية التي يُعتبر التسليم بها جزءاً أساسياً من أجزاء اليقين الديني"[٢]، ويرى الصواب في "أن الدين ـ والإسلام بصفة خاصة ـ يمتد اختصاصه إلى جوانب الحياة الفردية والجماعية للمؤمنين به، ولكنه امتداد عناية ورعاية وتوجيه، وليس ـ بالضرورة ـ اختصاص تدخل مباشر بالتنظيم وتقديم الحلول النهائية الثابتة"[٣]. ويقول: "يُسرف البعض في تصوير تميز الإسلام عقيدة وشريعة عن كل ما عداه، ويتصور لذلك أن تطبيق الشريعة يعني أولاً سقوط كل التشريعات الوضعية المطبقة في بلاد المسلمين، وإقامة نظام جديد تماماً على أسس اعتقادية وأخلاقية جديدة"[٤].

ويرفض أبو المجد رفع شعار (حاكمية الله على خلقه) في البلاد

---

(١) مقال (مواجهة مع عناصر الجمود) ص ٢٠.

(٢) حوار لا مواجهة ص ١٦.

(٣) حوار لا مواجهة ص ١٦.

(٤) المرجع السابق ص ١٨.

الإسلامية، وكذا شعار (لا حكم إلا لله)، وذلك لأنهما ـ في نظره ـ من شعارات الخوارج ومبعث فتنة وتفرق بين المسلمين، فنراه يقول: "والحق أننا لا نستريح البتة لهذا التعبير ـ الحاكمية ـ"[1]. ويقول أيضاً: "والحق أن شعار (لا حكم إلا لله) منذ رفعه الخوارج في وجه علي ـ ﷺ ـ إلى يومنا هذا كان مبعث فتنة وباب فوضى ومدخل تشرذم وتفرقة بين المسلمين"[2]

ويعتقد أبو المجد بطلان قول العلماء: "إنه لا مدخل للعقل في التشريع، لأن الحكم لله وحده وحق التشريع لا يملكه أحد سواه؛ دخولاً في طاعته واعتزازاً بحاكميته"[3]، ويدعو ـ في اتجاهه التحديثي ـ إلى "توسيع دائرة العقل والإفساح له ليؤدي دوره في ميدان التشريع"[4]، وذلك على النحو التالي:

١- التوسع في فتح باب الاجتهاد، وعدم الاقتصار فيه على الفروع فحسب، بل والأصول أيضاً، حيث يقول: "والاجتهاد الذي نحتاج إليه اليوم ويحتاج إليه المسلمون، ليس اجتهاداً في الفروع وحدها، وإنما هو اجتهاد في الأصول كذلك، وكم من مسألة تواجه المسلمين اليوم فإذا بحثوها وأعملوا الجهد طلباً لحكم الإسلام فيها أفضى بهم بحثهم إلى وقفة مع الأصول"[5].

---

(١) المرجع السابق ص ١٢٧.

(٢) المرجع السابق ص ١٢٧.

(٣) المرجع السابق ص ٣٤.

(٤) المرجع السابق ص ١٩.

(٥) المرجع السابق ص ٣٥.

٢- الاعتماد على مقاصد الشريعة دون نصوصها، فهو من يرون "أن الشريعة مقاصد قبل أن تكون نصوصاً، وأن تكاليفها كلها ترجع إلى تحقيق مقاصدها، وأنها ليست إلا أمارات ودلائل على تحقيق تلك المقاصد في حالات جزئية هي ما جاءت به النصوص"(١)، وأن التعويل في الأحكام الشرعية إنما هو على تحقيق المصالح، فالمصالح ـ في نظره ـ غاية التشريع وأساس العلة التي يرتبط بها كل حكم شرعي، فإذا زال هذا الأساس أو تغيَّرت تلك الغاية معها الحكم الشرعي. ولذا نجده يعيب على المسلمين المحافظين على دينهم احتياطهم في الأخذ بالمصالح، وقيامهم بربطها بالنصوص الشرعية مما يؤدي ـ في نظره ـ إلى إلغاء دورها بوصفها مصدراً مستقلاً من مصادر الأحكام(٢).

٣- رَبْط الأحكام الشرعية بأسباب نزولها، ونَسْف قاعدة (أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب)، فنراه يقول: "والنصوص في تطبيقها على الوقائع لابد أن يُحدد معناها لغة واصطلاحاً، وأن يُعرف سبب نزولها وظروف تطبيقها، إذ هي لا تنفك عن ذلك كله أبداً. ومهما قال الأصوليون من أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فهذا أيضاً لا يؤخذ بغير مناقشة، فكم فعلٍ للنبي ـ ﷺ ـ وأفعاله ـ ﷺ ـ نوع من السنن ـ جاء مرتبطاً بإطار موضوعي معين معالجاً لظروف قائمة وثابتة وعارضة، ومن هنا لا يستغني مجتهد عن معرفة ذلك كله والتأمل فيه"(٣). ويقول أيضاً متحدثاً عن تغير الأحكام بتغير الزمان: "هذا أدق

(١) المرجع السابق ص ١٨.
(٢) انظر: المرجع السابق ص ٤٧.
(٣) مقال (مواجهة مع عناصر الجمود) ص ١٩.

أبواب الاجتهاد وأصعبها وأقربها إلى مواطئ الزلل، والحجة الرئيسية التي يثيرها الرافضون لهذا الباب جملة أنه لا نسخ في الأحكام بعد انقطاع الوحي بانتقال النبي - ﷺ - إلى الرفيق الأعلى، وأن التغيير - بعد عهد النبوة - لا يمكن إلا أن يكون تغييراً في الفتيا أو القضاء أي في الاجتهاد، والواقع أن الفارق بين الأمرين لا يظهر إلا حيث يكون في الأمر نص قرآني أو نبوي لا يحتمل التأويل، ولكن تقوم القرينة على ارتباطه بواقعه معينة هي سبب نزوله وورده، فينفتح الباب عندئذ لمناقشة مدى الارتباط بين الحكم وسبب نزوله. ومن هذا الباب أيضاً ما نجده أحياناً من قول بعض المجتهدين عن حكم معين: إن ذلك كان والناس حديثو عهد بشرك أو جاهلية، بمعنى أنه إذا تباعد الزمن واستقر الإيمان وزالت مخاوف الشرك الجلي لم يعد للاحتياط الذي جاء به النص ضرورة ولا لزوم"[(١)]. ويضرب على ذلك مثالاً، وهو قول النبي - ﷺ -: "خالفوا المشركين وَفّروا اللحى واحفوا الشوارب"[(٢)]، حيث يرى أن الحكم الشرعي المستفاد من هذا الحديث، وهو: وجوب إعفاء اللحى وحف الشوارب إنما هو تشريع زمني روعي فيه زي المشركين وقت نزول الوحي على النبي - ﷺ - وقُصد فيه مخالفتهم في هذا الزي! وأزياء الناس لا استقرار لها[(٣)].

٤- تقسيم السنة إلى سنة تشريعية وغير تشريعية، وذلك بالاعتماد على مبدأ التمييز بين بشرية الرسول - ﷺ - ونبوته، في هذا يقول أبو

---

(١) حوار لا مواجهة ص ٤٦.

(٢) متفق عليه.

(٣) انظر: حوار لا مواجهة ص ٤٧.

المجد: "والنبي ـ ﷺ ـ بشهادة القرآن وحكمه الذي لا يرده كلام فلاسفة ولا متكلمين "بشر مثلنا يوحى إليه"، والوحي إليه ـ ﷺ ـ هو جميع القرآن وبعض ما صدر عنه ـ ﷺ ـ من قول أو فعل أو تقرير، وليس كل ما صدر عنه من هذه الأحوال الثلاثة وحياً يوحى، فهذا أيضاً باطل بالعقل وباطل بالنقل، فبشريته ـ ﷺ ـ حاضرة في سيرته حضور نبوته، وهو باطل بالنقل لقوله ـ ﷺ ـ: "إنما أنا بشر مثلكم، فإذا أمرتكم بشيء من رأيي فإنما أنا بشر"[1]، وهو الحديث الذي تقول فيه رواية مسلم: "أنتم أعلم بشؤون دنياكم"[2]، ومن الحق والإنصاف لعلماء الإسلام أن نُذكِّر كثيراً من الناسين أنهم فرَّقوا ـ بعبارات مختلفة ـ بين ما هو تشريع من أقوال الرسول ـ ﷺ ـ وأفعاله وما هو دون ذلك، ذاهبين تارة إلى التفريق بين ما هو من العادات وما هو من العبادات، وذاهبين تارة أخرى إلى بيان ما فعله ـ ﷺ ـ اجتهاداً منه تحقيقاً لمصلحة جزئية يومئذ وليس من الأمور اللازمة لجميع الأمة"[3]. ويقول أيضاً ـ محدداً المسائل التي ينبغي ضبطها عند التفريق بين التجديد في الإسلام والانفلات منه ـ: "الثانية: تحديد ما يُعد تشريعاً وما لا يُعد تشريعاً من أقوال النبي ـ ﷺ ـ وأفعاله، وأساس الحاجة إلى هذا التحديد ما قررناه وأجمع عليه المسلمون وشهد له القرآن الكريم من أن النبي ـ ﷺ ـ بشر يوحى إليه، وأن بشريته حاضرة في حياته حضور نبوته، وأن كثيراً من أقواله وأفعاله

---

(١) يُنقص أبو المجد من هذا الحديث قوله ـ ﷺ ـ:"إذا أمرتكم بشيء من دينكم فخذوا به". أخرجه مسلم.

(٢) رواية مسلم بلفظ: "أنتم أعلم بأمر دنياكم" صحيح مسلم، كتاب (الفضائل)، باب (وجوب ما قاله ـ ﷺ ـ شرعاً) جـ ١٥/ص ١١٨.

(٣) مقال (مواجهة مع عناصر الجمود) ص ١٩-٢٠.

قد صدرت عنه بحكم تلك البشرية دون أن يكون المقصود منها التشريع وتقرير الأحكام الملزمة للناس من بعده"[١].

وقد ضرب أبو المجد أمثلة عديدة للمسائل التي يرى ضرورة الاجتهاد وإعمال العقل فيها للخروج برأي يجيزها ـ بعد أن كانت محرمة ـ مواكبة لظروف العصر ومقتضيات التطور، ومن تلك المسائل:

أ- التدرج في تطبيق أحكام الإسلام وشريعته في المجتمعات الإسلامية المعاصرة[٢].

ب- النظر في إباحة الفوائد الربوية عن طريق التعامل مع البنوك والمؤسسات المالية الاستثمارية بدل أن "يعيش المسلم المعاصر حياة تحكمها الحيرة والقلق، فإما أن يُمسك عليه ماله ويحبسه عن عالم تستثمر فيه الثروات بالفائدة، وإما أن يتعامل مع الواقع وفي قلبه منه شبهة"[٣].

ج- النظر في إباحة سماع الموسيقى والغناء والعزف على المعازف، سيما وأن الشباب "يتطلعون اليوم إلى ترويح قلوبهم المعناة في هذا الزمن الصعب الذي تثقل وطأته على الأعصاب"[٤]!". انتهى كلام الدكتور مفرح القوسي.

رد الأستاذ جمال سلطان على أبي المجد:

يقول ـ وفقه الله ـ: "وعلى هامش الخلافة، يترفق الدكتور أحمد كمال أبو المجد، فيرى أن "مصطلح الخلافة نشأ على عهد أبي بكر،

---

(١) مقال (الخيط الرفيع بين التجديد في الإسلام والانفلات منه) ص ١٦.

(٢) انظر: حوار لا مواجهة ص ٩٤.

(٣) المرجع السابق.

(٤) المرجع السابق ص ٩٦.

عندما أطلق عليه الناس لقب خليفة رسول الله"[١].

فلا اعتبار ـ إذن ـ بورود الأحاديث الصحيحة لإثبات الخلافة لفظاً ومعنى في مثل: "فعليكم بسنتي، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، تمسكوا بها" الحديث[٢]. "الخلافة بعدي ثلاثون سنة، ثم تكون ملكاً" الحديث[٣]. "..وسيكون خلفاء فيكثرون، قالوا فما تأمرنا؟ قال: فوا بيعة الأول" الحديث[٤]. "تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها. ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، ما شاء الله أن تكون.." الحديث[٥] وغير ذلك من النصوص. بيد أن هدم شرعية "المصطلح"، هو مجرد تقدمة ـ عند الدكتور أبي المجد ـ لأمر آخر سيأتي بيانه"[٦].

-"وعلى صعيد "الديمقراطية" أيضاً، يدهش الدكتور أحمد كمال أبو المجد، وينزعج بشدة من هؤلاء الذين يرفضون الديمقراطية ـ مع اعترافه بمعايبها وخروقها ـ ويرى أن هؤلاء محجوجون بالنقل العقل، ونحن لا ندري ـ ولا إخاله هو يدري! ـ أي نقل وأي عقل؟ ولكن

(١) د. أحمد كمال أبو المجد "حوار لا مواجهة" /٨٢.

(٢) رواه أبو داود والترمذي من حديث العرباض بن سارية، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

(٣) رواه أبو داود والترمذي وابن حبان والحاكم وأحمد والبيهقي، وصححه الحافظ: ابن حجر والذهبي والحاكم والترمذي وغيرهم من حديث سفينة أبي عبدالرحمن مولى رسول الله ـ ﷺ ـ به مرفوعاً، انظر "السلسلة الصحيحة" /الألباني/ رقم ٤٦٠.

(٤) رواه مسلم من حديث عبد الله بن عمر.

(٥) رواه أحمد وأبو داود الطيالسي والبزار والطبراني من حديث أبي أمامة/ انظر "السلسلة الصحيحة" رقم ٥.

(٦) غزو من الداخل، ص ١٠.

هكذا قال: "يدهشنا أشد الدهش أن يتساءل البعض من حولنا عن قيمة الديمقراطية، إذا كانت المجتمعات الديمقراطية لا تزال تعرف الوانـاً من القهر والظلم، أو أن يقيم بعضهم الحجة عليها، بدعوى أن الأغلبية في ظلها تسن قوانين لا يقبلها عقل ولا شرع، وذلك ـ فيما نرى ـ خلط قبيح ينبغي أن يرد أصحابه إلى جادة العلم بالنقل والعقل، وألا يترك منطقهم "الأعرج" ليفسد على الناشئة عقولها وصدق توجهها"(١).

والدكتور ـ لا شك ـ يعلم جيداً من هو "صاحب المنطق الأعرج"، ونحن كذلك، نضم أصواتنا إلى صوته، وننادي بضرورة إبعاد هؤلاء، الذين أفسدوا على الناشئة عقولهم وتوجهاتهم وأخلاقهم ودينهم كذلك، والناس ما زالت تسمع أنباء البلد المنكود، وما أدارك ما البلد المنكود، والمستشار مؤتمن أيها "المستنير"، ولا حول ولا قوة إلا بالله"(٢).

-"ونعرض لمثل آخر، ورؤية أخرى، لتقنية الشريعة، لا تختلف عما قدمنا إلا في أسلوب العرض وطريقة الطرح:

فالدكتور أحمد كمال أبو المجد يرفض رفضاً باتاً، تلك النظرة التي أسماها: "النظرة الدينية الشمولية، التي تستغرق شرعيته ومضمونه معاً من النصوص الدينية التي يعتبر التسليم بها جزءاً أساسياً من أجزاء اليقين الديني"(٣).

أما ما يراه صواباً وهدى ورشاداً فهو:

"أن الدين ـ والإسلام بصفة خاصة ـ يمتد اختصاصه إلى جميع

---

(١) د. أحمد كمال أبو المجد "الديمقراطية... نظرة جديدة"، العربي الكويتية عدد ٣٠٦ – شعبان ١٤٠٤هـ/ مايو ١٩٨٤م.

(٢) غزو من الداخل، ص ٢٣.

(٣) د. أحمد كمال أبو المجد "حوار لا مواجهة" / ١٠.

جوانب الحياة الفردية والجماعية للمؤمنين به، ولكنه امتداد عناية ورعاية وتوجيه، وليس ـ بالضرورة ـ اختصاص تدخل مباشر بالتنظيم، وتقديم الحلول النهائية الثابتة"[١].

ولذلك فهو يتعجب. ويتأفف من هؤلاء "المسرفين" الذين يرون ضرورة إسقاط القوانين الوضعية:

"ويسرف البعض في تصوير تميز الإسلام، عقيدة وشريعة، عن كل ما عداه، ويتصور لذلك أن تطبيق الشريعة يعني ـ أولا: سقوط كل التشريعات الوضعية المطبقة في بلاد المسلمين، وإقامة نظام جديد تماماً، على أسس اعتقادية وأخلاقية جديدة"[٢].

فالإسلام ـ عند الدكتور أبي المجد ـ لا صلة له بالتنظيم في الحياة، وتقديم الحلول الثابتة للمشكلات، وكذلك ليس من مقتضياته هدم القوانين الوضعية، لإقامة قوانين جديدة على أسس الإسلام الاعتقادية والأخلاقية. والذي أخشاه، أن يكون هذا الكلام مبرراً متهافتاً، لموقف شخصي، قام على تنفيذ هذه القوانين "الوضعية"، وفي الأخلاق بالدرجة الأولى.

ثم يأخذ الدكتور أبو المجد في "تأصيل" دعوته المستنيرة فيدعو إلى "زلزلة قواعد الشريعة" حيث لا يقصر الاجتهاد على الفروع فحسب، بل والأصول أيضاً:

"والاجتهاد الذي نحتاج إليه اليوم ويحتاج إليه المسلمون، ليس

---

(١) المصدر السابق/ ١١.

(٢) المصدر السابق/ ١٢.

اجتهاداً في الفروع وحدها، وإنما هو اجتهاد في الأصول كذلك، وكم من مسألة تواجه المسلمين اليوم فإذا بحثوها وأعملوا الجهد طلباً لحكم الإسلام فيها، أفضى بهم بحثهم إلى وقفة مع الأصول"(١).

ومن تلك الأصول "قاعدة العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب"، وهي قاعدة ـ كما قرر أهل العلم ـ قطعية في فهم الشريعة والعمل بها، وكذلك فمن المعروف أنها من "السهام القاتلة" لنظرية المستنيرين في قصرهم الشريعة على الأزمنة الأولى للإسلام.

ومن ثم فقد وجه الدكتور أبو المجد هجومه عليها، ويرى أنها لم تعد قابلة للتسليم بغير مناقشة:

"ومهما قال الأصوليون من أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فهذا أيضاً لا يؤخذ بغير مناقشة، فكم فعلٍ للنبي ـ ﷺ ـ وأفعاله ـ ﷺ ـ نوع من السنن ـ جاء مرتبطاً بإطار موضوعي معين، معالجاً لظروف قائمة وثابتة وعارضه، ومن هنا لا يستغني مجتهد عن معرفة ذلك كله والتأمل فيه"(٢).

وهذه ـ كما هو ظاهر ـ فلسفة ملتوية لمسألة عدم ملاءمة الشريعة لقضايا العصر الذي نعيشه اليوم، لارتباطها بعصر النبي ـ ﷺ ـ ومشكلاته "الثابتة"، وهي ما عبر عنها صراحة الدكتور عمارة بقوله:

"فإن أحداً لن يستطيع الزعم بأن الشريعة يمكن أن تثبت عند ما قرره نبي لعصره"(٣).

(١) المصدر السابق / ٤٢.

(٢) المصدر السابق / ٤٤.

(٣) د. محمد عمارة "المعتزلة وأصول الحكم"/ ٣٣٠.

والدكتور أبو المجد يفتح الباب على مصراعيه للتلاعب بالشريعة عن طريق "التفسير"، فهو من الأبواب الواسعة "للتجديد" التي تتيح لنا التحكم في النصوص القرآنية، وتوجيهها إلى حيث نريد ونميل ونهوى، حتى ولو كان هذا التوجيه غير مقصود منها أصلاً:

"وكثيراً ما يكون هذا الباب ـ باب التفسير ـ أوسع أبواب التجديد، لأنه يلتزم أساساً بالنص، ولا يحاول معارضته بدليل آخر، ولكنه يحمله مع ذلك، كل ما يريد، مما قد لا يكون مقصوداً به أصلاً!! أو يختار من معانيه المختلفة أكثرها اتفاقاً مع ميله واجتهاده واختياره، وما أصدق ما قرره أحد رؤساء المحكمة العليا الأمريكية في شرح موقف القاضي من نصوص الدستور حيث يقول: إننا نخضع للدستور، ولكن الدستور هو ما نقرر نحن أنه كذلك"[١].

وهكذا، فالقرآن المجيد ـ على نظرية الدكتور ـ هو ما نقرر نحن أنه قرآن أي "مراد الله من بيانه"، وقد يكون واضحاً أن الحكيم الخبير لا يقصد هذا الذي نذهب إليه البتة، ولكن لا مانع من أن نحمله كل ما نريد، وأن نطوع النصوص بحيث توافق "ميلنا واختيارنا".

وهذه ـ في الحقيقة ـ دعوة صريحة لهدم قواعد الإسلام، وزلزلة أصول الدين، ولقد كان من ثمار تلك النظرية "الشيطانية" أن وجدنا القرآن الكريم يوماً فلسفة اشتراكية، ويوماً فلسفة رأسمالية، ويوماً مؤيداً للنظم الديكتاتورية، ويوماً مؤيداً للنظم الليبرالية الديمقراطية.

بل لا يزال "الخاطر الحي" يذكر أن القرآن الكريم كان هو "الميثاق

---

(١) د. أحمد كمال أبو المجد "حوار لا مواجهة" / ٦٦.

الناصري"، ثم أصبح "الكتاب الأخضر". وكذلك وجدنا ـ من ثمرات النظرية "المستنيرة" ـ كيف أن القرآن لا يعارض نظرية "داروين"، ولا يمنع من أن يكون أصل الإنسان قرداً؟[١].

ولا جرم في ذلك، فالأمر ـ في مذهب الدكتور ـ باب متسع للتجديد والتنوير.

الطريف أن الدكتور يطلب بعد ذلك ـ في ملح الكلام ـ أن نضع ضوابط للتفسير الصحيح[٢]، وهذا من العجب، فإذا كانت النصوص تتحمل كل ما نريد، وتميل حيث نميل، وتطاوعنا حيث ذهبنا، تماماً كالدستور الأمريكي، فأي ضوابط تريدها بعد ذلك يا صاحبي؟ ثم إذا كانت الضوابط التي وضعها الصحابة والأئمة الأعلام قد نسفتها نفساً، وطالبت بإعادة النظر فيها، فمن يا ترى الذي تنتظر أن يضع لنا الضوابط "الأهدى سبيلا"؟

ثم إذا كانت أصول الشريعة تحتاج إلى التجديد والتغيير، والنصوص تدور مع المصالح حيث دارت[٣]، والقرآن يدور مع "هوانا" حيث دار، فأي دين بقي بعد؟ بل أي ضابط يمكن أن تضعه بعد ذلك لفهم أو دراسة أو تطبيق للإسلام؟ وهل يبقى الإسلام بعد ذلك إلا دين فلان وفلان، ممن تعرف وأعرف؟.

﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَـٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَـٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ

---

(١) انظر محمد عمارة "الأعمال الكاملة للأفغاني" / ١٠٧.

(٢) د. أحمد كمال أبو المجد "حوار لا مواجهة"/ ٦٦.

(٣) راجع ما قرره في ذلك في المصدر السابق/ ٦٥.

لِيَشْتَرُوا بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾[1]"[2].

ويقول جمال سلطان ـ أيضاً ـ:

-"أما الدكتور أبو المجد، فهو يطرح "القضية" بأسلوب آخر، ومدخل مختلف، فهو يرى أن:

"الإسلام لم يفرض نظاماً سياسياً مفصلاً، والخلافة ليست نظاماً محدد المعالم"[3]. وهو يؤكد رفضه لكل قول خلاف ذلك الذي قاله:

"ورأي آخر نرفضه كذلك، يرى أن للإسلام نظاماً في الحكم مفصل المعالم متميز القسمات، أقامه النبي ـ ﷺ ـ وألزم المسلمين من بعده بإقامته، وأنهم أقاموه فعلاً أيام الخلافة الراشدة، وقبل أن تتحول إلى ملك عضوض، وأن على المسلمين كذلك أن يرفضوا كل ما حولهم من أنظمة الحكم والسياسة، وأن ينحوها عن مقاعد السلطة والرئاسة؛ ليضعوا نظامهم الإسلامي، على رأس دولتهم الجديدة"[4].

وهو كذلك يرفض "زعم" المودودي ـ رحمه الله ـ أن الدستور الإسلامي سرمدي لا تبديل فيه ولا تغير: "ولهذا لا يسعنا أن نوافق العلامة أبا الأعلى المودودي، ـ رحمه الله ـ، حيث يقول عن الدستور الإسلامي: إنه لا يقبل شيئاً من التبديل والتغيير، فإن شئت خرجت عليه وأعلنت عليه الحرب كما خرجت عليه تركيا وإيران ـ قبل الثورة ـ

---

(١) سورة البقرة الآية ٧٩.

(٢) غزو من الداخل، ص ٤١-٤٤.

(٣) د. كمال أبو المجد "حوار لا مواجهة" /١١٢.

(٤) المصدر السابق/ ١١٣.

ولكن ليس لك أن تحدث فيه أدنى تغيير، فإنه دستور إلهي سرمدي لا تغيير فيه ولا تبديل"[١].

ومع أن الدكتور أبا المجد يرفض كلام صاحبه خلف الله الذي "يزعم أن العقل البشري هو الواضع لنظام الخلافة"[٢]، فإنه في الواقع، يرفض هذه الحدة والصراحة، إذ أنه يقرر في موضع آخر:

"ما الذي بقي لنا اليوم من نظام الخلافة؟ إننا لا نجد في أصول الإسلام ونصوصه وإجماع علمائه المجتهدين ما يدعونا للتمسك بلفظ الخلافة، إذ العبرة كما يقول علماؤنا إنما هي بالمقاصد والمعاني، وليست بالألفاظ والمباني"[٣].

ولنا أن نعجب ـ من حيث المبدأ ـ من داعي هذا التأفف البالغ الذي يصيب "كاتباً عربياً مسلماً" من لفظ "عربي إسلامي ذي جذور تبلغ عمق الحضارة الإسلامية"، حتى لو افترضنا موافقته على أنه ليس في "نصوص الإسلام" ما يدعونا للتمسك بلفظ "الخلافة"، في حين أنه يتمسك ـ بقوة ـ بمصطلح غريب "على العربية وعلى الإسلام وعلى الحضارة الإسلامية" وهو "الديمقراطية"، وهل تصل "الانهزامية الفكرية والنفسية" بكاتب إلى هذا الحد ؟!

ثم إذا كان النبي ـ ﷺ ـ قد سمى نظام الحكم الذي يخلفه "بالخلافة"، والحاكم المسلم بالخليفة في نصوص كثيرة، لا يضرها شيئاً جهل الدكتور بها، في مثل قوله ـ ﷺ ـ: "... فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء

---

(١) المصدر السابق/ ١١٣.
(٢) المصدر السابق / ٨٢.
(٣) المصدر السابق / ٨٢.

الراشدين المهديين من بعدي" الحديث[1].

وقوله "... الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم تكون ملكاً" الحديث[2].

وقوله "لا نبي بعدي، وستكون خلفاء فتكثر..." الحديث[3].

وغير ذلك، فلماذا يحرص الدكتور على هدم هذا "المصطلح" الشرعي، حتى لو سلمنا معه أن العبرة بالمقاصد دون الألفاظ؟ وإلا، فإن "المصطلح" في الإسلام له قيمته البالغة في ذاته، وقد نبهت النصوص الشرعية إلى ذلك في غير موضع، وذلك أن "المصطلح" كما حدده الشارع، يرتبط به العديد من المسائل "المنصوصة" الخاصة به، فهدم "المصطلح" كفيل بإثارة الارتباك في فهم المسائل المتعلقة به، فضلاً عن أنه لا يحل العدول عن الاسم الذي سماه الله تعالى أو رسوله أي "الاسم الشرعي" إلى أي بديل له "وضعي"، حتى ولو ظننا موافقته لمعناه، فكما لا يجوز هدم مصطلح الصلاة، وإبداله "بالرياضة"، أو هدم مصطلح "الزكاة" وإبداله "بالتكافل الاجتماعي"، فكذلك لا يجوز هدم مصطلح "الخلافة" تحت أي شعار وضعي آخر.

ثم إذا كان الأمر يقف عند مجرد رفض "المصطلح" دون مضمونه، فأي قيمة تلك لهدم المصطلح إذن؟ ولماذا لا نعكس المسألة، ونسمي "رئيس فرنسا" "بالخليفة"؟ وفي اعتقادي ـ حسب عهدي بالمستنيرين ـ أن هدم المصطلح، هو تمهيد لهدم مضمونه، وقد سبق أن نبهنا إلى خطورة "لعبة المصطلحات" في ختام الفصل السابق.

---

(١) رواه أبو داود والترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

(٢) رواه أحمد وأبو داود والترمذي، وغيرهم، وصححه عدد من الحفاظ، ومر تخرجيه.

(٣) رواه مسلم من حديث عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ.

- وكما قدمنا: الدكتور أبو المجد - يرى أن الإسلام لم يفصل نظاماً للحكم، وكذا فالإسلام - في نظره:

"يكتفي بتقرير المبادئ الأساسية التي تتصل اتصالاً مباشراً بالقيم العليا التي جاء لنشرها وتثبيتها بين الناس، كقيم العدل والحرية والمساواة بين الناس وتقديم الخير والإحسان، ومن هنا فإن الدفاع الأعمى مثلاً عن صورة من صور الحكم السياسي، حملت يوماً من الأيام أسماء إسلامية!!، ورفعت لافتات "الحكم الإسلامي"، إنما يدخل في باب التعصب ولا يدخل في باب الاعتصام"[1]، والدكتور لم يفصح لنا عن هذه الصورة التي رفعت يوماً ما لافتة الحكم الإسلامي، ولم يحدد لنا في أي يوم من الأيام كانت ترفع هذه اللافتة، ومتى سقطت؟

وذلك أنه يدري جيداً أن هذه الصورة هي "الخلافة الإسلامية"، وأن هذا "اليوم" هو ثلاثة عشر قرناً من الزمان، هي كل عمر الإسلام "كأمة واحدة" ذات سيادة، وتميز حضاري، وحاكمية ربانية، حتى ظهرت تلك الأجيال المنكودة، التي طارت وراء "بريق الحضارة الغربية" ونظمها وفلسفاتها، بما فيها فلسفة الحكم، فإذا هم "فرق" وأشتات ودويلات، وإذا الأمة تصبح "أمما"، وكلهم - مع الأسف - يرفعون شعارات الحرية والعدالة والمساواة والتقدمية والثورية...الخ، وكلهم - مع الأسف أيضاً - يقولون: إنهم ديمقراطيون!

وكما يرفض الدكتور أبو المجد مصطلح "الخلافة"، فهو يرفض كذلك مصطلح "الحاكمية" وشعار "لا حكم إلا لله"، وذلك لأنها من

---

(١) "حوار لا مواجهة" / ٤٥.

شعارات الخوارج.

"والحق أننا لا نستريح البتة لهذا التعبير - الحاكمية - والحق أن شعار "لا حكم إلا لله" منذ رفعه الخوارج في وجه علي - كرم الله وجهه - إلى يومنا هذا، كان مبعث فتنة، وباب فوضى ومدخل تشرذم وتفرقة بين المسلمين"[١].

وهكذا.. يستوي المنادون بتطبيق الشريعة اليوم مع الخارجين على أهل الشريعة أمس ويستوي الحاكمون بغير ما أنزل الله، بالحاكمين بما أنزل الله، وهذه هي الموضوعية، وتلك هي العلمية!! بل الأمر أوضح من ذلك عند الدكتور أبي المجد، فهو يعجب لم يظن أن المجتمعات المعاصرة لا تسير على الإسلام فيقول:

"والمجتمعات المعاصرة - في زعمهم - لا تسير على الإسلام، فأعمالها وتصرفاتها ونظامها السياسي والاقتصادي ليست إسلامية"[٢].

ونحن نطالب الدكتور، بمثال واحد فقط، ومن تجربته هو، يدلل: كيف كانت إسلامية؟!! والحقيقة أن المتتبع لأطروحات أبي المجد، يجده يدور مع نفسه في حلقة مفرغة، يزيدها تعقيداً عنده، حرصه الشديد، وعدم الجرأة على المصارحة، ونحن نرجو له - ولكافة أصحاب الفكر المستنير - الهدوء والاطمئنان، فإن ما يدعون إليه سوف يظل هو "الديمقراطية الغربية"، وإن ما ندعو إليه سيظل هو "الخلافة الإسلامية" وأبداً لن يخدعوا أحداً بمثل هذا التخليط إلا أنفسهم، وأبداً لن تتحطم

---

(١) المصدر السابق / ١١٦.

(٢) المصدر السابق / ٢١٤.

صورة الخلافة الإسلامية في أذهان المسلمين وضمائرهم، ونقول لهم ما قال العربي الحكيم:

يا ناطح الجبل العالي لتوهنه
أشفق على الرأس لا تشفق على الجبل"[1]

ويقول جمال سلطان ـ أيضاً ـ:

-"وهذا التفريغ للفكرة الإسلامية، وأولياتها، إن كان حاداً وصريحاً عند المنطق الكبير" فهو "ألطف" عرضا وأكثر التواء عند الدكتور أبي المجد.

فهو يقرر أن الإسلام إنما يعنى "بالمبادئ العامة" المتصلة بالقيم العليا، كالحرية والعدالة ونحوهما، ولكن الإسلام "لا يشغل نفسه" بالأمور التفصيلية التي يمكننا إدراكها بعقولنا، وهذا ـ في نظره ـ لا يخدش شمولية الإسلام: "إنه إذا كان الإسلام نظاماً شمولياً يحكم وحدة مصدره، وترابط قيمه وأحكامه، وبحكم وحدة الكيان الإنساني الذي يتعامل معه، وإذا كانت هذه الشمولية تجعل منه ديناً ودولة وعقيدة ونظاماً، كما يقال بحق، فإن هذا لا يعني بالضرورة أنه فصل أحكام بناء الدولة، ودقائق نظام الاقتصاد، ولن ينقص من هذه الشمولية بحال أن يكتفي بتقرير المبادئ الأساسية، التي تتصل اتصالاً مباشراً بالقيم العليا التي جاء لنشرها وتثبيتها بين الناس، كقيم العدل والحرية والمساواة بين الناس، وتقديم الخير والإحسان وإفشاء الود والسلام، وتعميق الروابط بين الإنسان والإنسان، وتربية العقول وتحريضها على التأمل في الكون، واستكشاف الجديد من خباياه، ولكن لا يشغل نفسه بتفاصيل يمكن أن

---

(١) غزو من الداخل. ص ٤٧ – ٥٠.

تهتدي إليها العقول، وهي تطلب مصالحها، وتجتهد في هـذا الطلـب، أو بجزئيات تتساوى ـ وإن اختلفت ـ في مدى ارتباطها بالمبـادئ الأساسـية والقيم العليا للإسلام"[١].

فالحكم في الإسلام، ليس إعمال النصوص في الوقـائع، وإنما هوـ فحسب ـ الالتزام بالمبادئ والقيم العليا، وليس مهمـاً بعـد ذلـك التـزام "جزئياتها" بالإسلام والنصوص الشرعية، ما دامت العقـول قـد تهتـدي بنفسها إلى تحقيق هذه القيم العليا والمبادئ السامية.

ومعلوم أن هذه القيم العليا، قد يتفق فيها حتـى الأديـان المختلفـة، كالحرية والعدالة والمساواة، ونحو ذلك، فبأي شـيء إذن يتميـز الإسـلام "كدين وشريعة" عن غيره؟

ولقد انتبه الدكتور إلى هذه الحقيقة، ولذلك فهو ينعى على الذين "يسرفون" في القول بتميز الإسلام على غيره كاليهود والنصارى، فذلك ـ في نظره ـ مخالفة للقرآن الكريم ذاته، "والذين يسرفون في الإلحاح على تميز الإسلام والمسلمين تميزاً شاملاً مطلقاً، محجوجون بنصوص القرآن الكريم، التي تصف أنبياء الله قبل نبينا ـ ﷺ ـ بوصف الإسلام" : ﴿ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا ﴾[٢].

وهم محجوجون كـذلك بحقيقـة وحـدة الإنسـانية، ووحـدة مـصدر الأديان السماوية، وبأن العهد الذي أخذ بحمل الأمانـة، إنمـا أخـذ علـى آدم أبي البشرية، وعلى بنيه مسلمين وغير مسلمين.

---

(١) د. أحمد كمال أبو المجد "حوار لا مواجهة" /٤٥ – ٤٦.

(٢) سورة آل عمران الآية ٦٧.

﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ﴾[(١)]، والذين يلحون هذا الإلحاح الشديد على اختلاف الإسلام عن كل ما عداه، يمنحون فرصة نادرة للذين يصورون المسلمين كما لو كانوا غرباء على حضارة العصر كلها، وييسرون مهمة الإعلام الصهيوني الذي ملأ الدنيا صياحاً بما سماه "الميراث اليهودي المسيحي"؛ ليوهم العالم المسيحي كله أن المسلمين غرباء عن هذا التراث، وأن اليهودية والمسيحية وحدهما ميراث مشترك[(٢)].

وهذا تخليط غريب، جمع عدة متناقضات وغرائب.

وبداية، كيف فهم الدكتور أن وحدة الدين بين النبيين تعني وحدة الشريعة؟ ثم كيف فهم أن "التراث الإسلامي" يتفق مع "اليهودية والنصرانية" اليوم، كما اتفق إبراهيم ـ عليه السلام ـ في وحدة الدين مع نبينا ـ عليهما الصلاة والسلام ـ؟ فأي ميراث هذا الذي يتحدث عنه الدكتور "المستنير"؟ ميراث تزوير الكتاب، وكتمان الحق، وإلباس الحق بالباطل؟ أم ميراث عبادة المسيح والأحبار والرهبان؟ أم ميراث عبادة يهوه وعزير؟ أم ميراث الكهنوت وصكوك الغفران؟

ثم أين هي في واقع الأرض الآن الشريعة المسيحية أو اليهودية التي يحكم بها الغرب على أساس الإنجيل والتوراة "والميراث المشترك"؟

أما بدعة التمسح في معاداة الصهيونية، فهي مرفوضة تماماً، وهي

---

(١) سورة الأعراف الآية ١٧٢.

(٢) د. أحمد كمال أبو المجد "حوار لا مواجهة" / ٢٠٧.

خدعة قديمة، دلفت تحت عباءتها الفضفاضة، ضلالات القومية والتقدمية والاشتراكية وسائر اللافتات المعروفة، وإذا كانت الصهيونية تصور للغرب "وحدة الميراث المسيحي واليهودي" فلها ذلك، ولا يضر الإسلام ذلك في شيء، كلا، بل يضره أشد الضرر، تلك الدعوات الهدامة، التي تريد أن تجعل منه تراثاً مشتركاً مع التراث "المزور" والمزعوم لليهودية والنصرانية.

وأخيراً: أين وجد الدكتور أبو المجد، أن الميثاق المذكور في آية الأعراف، قد أخذه الله على المسلمين وعلى غير المسلمين؟ وفي أي كتاب وجد هذا الفهم الغريب والشاذ؟ وقد حدثتنا جميع كتب التفسير والحديث، أن هذا العهد هو "الفطرة" التي فطر الله عليها بني آدم، وهي فطرة الإسلام والتوحيد، ومن ثم فكل مولود يولد على هذه الفطرة، وهي الإسلام، حتى يكون أبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه، أو ينشئانه على "الفكر الديني المستنير"!

﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ﴾[1]، ويقول رسول الله ـ ﷺ ـ عن رب العزة: "إني خلقت عبادي حنفاء كلهم، فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم..."[2].

وفي حديث " كل مولود يولد على الفطرة ـ وفي رواية على هذه الملة ـ حتى يكون أبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه"[3].

---

(١) سورة الروم الآية ٣٠.

(٢) رواه مسلم من حديث عياض بن حمار المجاشعي.

(٣) متفق عليه من حديث أبي هريرة.

ففي أي مرجع أو فهم، وجد الدكتور أن الميثاق قد أخذ على "المسلمين وغير المسلمين"؟![1]"[2]

إضافات:

١- تهوين أبو المجد من شأن الحكم بما أنزل الله:

في بحثه "النظام الدستوري لدولة الإمارات العربية المتحدة" يعلق أبو المجد على المادة القائلة: "الشريعة الإسلامية مصدر رئيس للتشريع" فيقول: "أما إضافة أداة التعريف قبل كلمة (مصدر) فهي في الواقع استجابة لتيار تزايد تأثيره على امتداد العالم العربي خلال الفترة التي عاصرت وضع مشروع الدستور الدائم؛ وهو تيار تشدد في المطالبة بتطبيق الشريعة الإسلامية، وإنهاء العمل بالقوانين الوضعية المستمرة من نظم قانونية أجنبية"[3].

ثم يبين أن لا فرق كبير بين الأمرين !

ومعلوم لكل عاقل أن عبارة "الشريعة الإسلامية المصدر الرئيسي للتشريع" تدل على أن الشريعة الإسلامية تكون حينئذٍ هي المصدر (الوحيد) الذي يُرجع إليه في ما تسنه الدولة من أنظمة وقوانين.

وأما "النص على أن الشريعة الإسلامية هي "مصدر رئيس للتشريع" لا يعني إلزام المُشَرِع بالأخذ بأحكام الشريعة الإسلامية، وإنما كل ما يعنيه هذا النص هو إبراز دور الشريعة الإسلامية كمصدر من مصادر التشريع. فالمُشَرِع يبقى حرًا يأخذ بأحكام الشريعة الإسلامية أو

---

(١) راجع ما جمعه الحافظ ابن كثير عن هذه الآية.

(٢) غزو من الداخل، ص ٦٠-٦٢.

(٣) بحث "النظام الدستوري لدولة الإمارات.." منشور ضمن كتاب "دولة الإمارات العربية المتحدة ـ دراسة مسحية شاملة"، ص ٢٦.

بغيرها من شرائع البشر للبشر"[١].

فلماذا يخلط أبو المجد بين الأمرين؟! أم أن الشريعة الإسلامية هانت عنده حتى ساوى بها أفكار البشر وزبالاتهم ـ تأثرًا بما تلقاه عن شيوخه القانونيين ـ؟!

- ويقول أبو المجد منادياً بتطبيق الديمقراطية الغربية ونحوها من النظم الكافرة في بلاد المسلمين: "إن التيار الإسلامي الجديد (أي تياره العصراني!) يحرص على وضع حد لما هو سائد بين كثير من دعاة الإسلام والمنادين بتطبيق شريعته من استخفاف بتجارب الأمم والشعوب في مجال النظم السياسية والاقتصادية، بدعوى أن المسلم لا يحتاج إليها، وأنه لا يجوز له أن يستورد ثمرات تجربة تمت خارج نطاق الإسلام.."[٢]

قلت: كان الأولى بالدكتور أن يرضى بدين الله ـ ﷻ ـ وشرعه بعد أن ارتضاه ـ سبحانه ـ وأكمله لعباده الصالحين؛ ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾[٣] فلا حاجة بنا إلى الأفكار البشرية القاصرة مهما ازّينت ما دامت تخالف في أصولها النصوص الشرعية، وأنا لست بصدد الحديث

---

(١) تطبيق الشريعة الإسلامية في دولة الكويت، للدكتور عبد الرزاق الشايجي، ص ٢٦. ومعلوم تشابه ما بين الدستورين "دستور الكويت" و"دستور الإمارات" بل جميع الدساتير العربية في هذه المادة؛ التي تجعل من الشريعة الإسلامية مجرد مصدر من مصادر كثيرة مساوية لها، يُلجأ إليها، إن لم تكن تلك المصادر تُقدم عليها!.وانظر تأكيداً لهذا:رسالة"الشريعة الإسلامية لا القوانين الجاهلية" للشيخ عمر الأشقر،ص١٣٠-١٣٧.

(٢) رؤية إسلامية معاصرة ، ص ٤٧-٤٨.

(٣) سورة المائدة الآية ٣.

عن بيان مخالفة الديمقراطية الغربية لأحكام الإسلام، فقد بينها كثيرون ـ ولله الحمد ـ[1]، ولكني ألفت النظر إلى أن من ينادي بها في بلاد المسلمين هو أحد رجلين:

الأول: من يعلم النظام السياسي للإسلام، ومدى مخالفة هذه الديمقراطية له، ومع ذلك يفضلها عليه ويرى أنها تحقق العدل ـ لا سيما في موضوع الأقليات غير المسلمة، وموضوع المرأة، وموضوع حرية التعبير..الخ ـ ما لا يحققه الإسلام! وهذا كفر صريح مخرج من الملة.

الثاني: من يجهل حقيقة الحكم الإسلامي، ويخلط بينه وبين ما يسمى: "الحكومة الدينية" التي وجدت في أوربا في زمن سابق، وتسلط من خلالها الكهنة والقساوسة ورجال الكنيسة على رقاب الناس وأموالهم وحرياتهم. ويظن أن الحكم الإسلامي ـ في حال تطبيقه ـ سيكون كتلك الحكومة! وأن البديل للكهنة ورجال الكنيسة سيكونون "الفقهاء"!! الذين سيحكمون المسلمين بأهوائهم، وكل هذا خلط بين لا حقيقة له؛ لأن السلطة في الإسلام ستكون للنص الشرعي، وما لم يكن فيه نص شرعي صريح سيكون مجالاً للتشاور بين أهل الحل والعقد الذين يرتضيهم المسلمون.

والحكم في هذا الرجل أن يُعَلَّم حقيقة الحكم الإسلامي لكي يتبين له خطأه[2].

---

(١) انظر على سبيل المثال: "الديمقراطية في الميزان" لسعيد عبد العظيم، و"الديمقراطية الغربية في ضوء الشريعة الإسلامية" للدكتور محمود الخالدي، و"حقيقة الديمقراطية" لمحمد شاكر الشريف، و"خمسون مفسدة جلية من مفاسد الديمقراطية" لعبد المجيد الريمي، وغيرها .

(٢) ومن أفضل من كتب في هذا من المعاصرين؛ خالد العنبري، في كتابه "فقه السياسة الشرعية في ضوء القرآن والسنة" حيث الاختصار ووضوح العبارة.

بقي صنف من الكتاب (ومن يسمون المفكرين) قد يقولون بأننا عندما نستقي النظام الديمقراطي ونستقدمه لبلاد المسلمين سوف نخضعه للشروط الإسلامية، فنلغي منه ما لا يتوافق مع الإسلام!

مثلاً: في النظام الديمقراطي: الأمة مصدر السلطات وهذا لا يتوافق مع الإسلام؛ لهذا سنضيف عليه قيدًا يؤسلمه؛ وهو: "الأمة مصدر السلطات فيما لا يناقض نصاً قطعياً"[1]

وقس على ذلك ..

فأقول: ما دمتم قد أجريتم هذه التعديلات الشرعية على النظام الديمقراطي، فإنه حتمًا سيصبح نظاماً آخر غير الديمقراطية الغربية! فلماذا لا تسمونه "الإسلام" وتريحون بالكم من هذا الاستلاب للغرب الكافر؟!

٢- أبو المجد يدعو إلى حرية الكفر في بلاد المسلمين:

يقول أبو المجد تعليقاً على المادة (٣٢) من دستور دولة الإمارات العربية المتحدة التي تنص على حرية الشعائر الدينية لأتباع الأديان السماوية ما دام ذلك لا يخل بالنظام العام أو ينافي الآداب العامة!!

يقول أبو المجد: "إن هذا القيد لا ضرورة له؛ ما دام النص يشترط أن لا يخل ذلك بالنظام العام، أو ينافي الآداب العامة؛ إذ يمكن أن يكون معيار النظام العام أساساً لإسباغ الحماية الدستورية أو لانحسارها عن

---

(١) قال هذا: خالد محمد خالد في مذكراته (٤٨٧) محاولاً إقناع القارئ بهذا النظام الكفري. كما أن له كتاباً بعنوان "دفاع عن الديمقراطية" وقد بينت شيئاً من انحرافاته في كتابي "خالد محمد خالد في الميزان" لم يطبع بعد. والدكتور القرضاوي يردد نفس مقولة خالد محمد خالد؛ كما في فتاواه المعاصرة (٢/٦٤٦)، وعنه يستقي تلاميذه العصرانيون.

ممارسة شعائر العقائد غير السماوية"[(١)]

فلا مانع عنده أن يمارس الكفار ـ بجميع أديانهم ومذاهبهم ـ شعائرهم وعباداتهم دون قيد شرعي، إنما بشرط أن لا يتعارض ذلك مع النظام والآداب العامة! ولا أدري ما حقيقة هذا النظام العام وتلك الآداب العامة؟! هل هي نابعة من النصوص الشرعية، أم أنها تتبع ما رأته "العقول" القاصرة نظاماً أو أدباً ؟!

٣- أبو الجد يطلب مساواة الكفار بالمسلمين مساواة "كاملة"!

كشأن إخوانه من العصرانيين في تقديم التنازلات لليهود والنصارى، ومحاولة إرضائهم، والظهور أمامهم بمظهر المتنورين كما يظنون، فإن أبا الجد قد طالب بالمساواة "الكاملة" بين من قال الله عنهم بأنهم: ﴿ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴾ بمن أخبر أنهم: ﴿ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴾[(٢)] ، ثم راح يلغي من أحكام الله ما يظنه ممايزًا بين الفريقين! ـ نعوذ بالله من حاله ـ.

يقول أبو الجد في رؤيته العصرانية التي أيدها أصحابه: "إن الموقف الإسلامي الصحيح (!) من الأقليات غير المسلمة داخل الأقطار الإسلامية موقف واضح.. وهو موقف يقوم على المحاور التالية:

أولاً: المساواة "الكاملة بين المسلمين وغير المسلمين.."[(٣)]!!

قلت: فلم تعد المساواة ـ عند هؤلاء ـ تكتفي ببعض الحقوق، إنما أصبحت مساواة "كاملة" كما يقول. أي في أمور العبادات والمعاملات

---

(١) دولة الإمارات العربية المتحدة ـ دراسة مسحية، ص ٢٦.

(٢) سورة البينة الآية ٦،٧.

(٣) رؤية إسلامية معاصرة، ص ٥٦، وانظر أيضاً: ص ٦٨ وقد سبق في رد الدكتور مفرح القوسي عليه تضجره من استمرار التمايز بين المسلمين والكفار.

والسلوك، وغير ذلك من الأحكام. وفي هذا إلغاء لكثير من النصوص الشرعية التي تفرق بين المسلمين والكافرين، وتجعل لكلٍ منهما حكماً خاصاً به.

ولكن كل هذا لا يهم عند هؤلاء العصرانيين ما دام يحقق لهم ـ كما يتوهمون ـ الوحدة الوطنية !

وكل مسلم مهما كانت درجة ثقافته يعرف بطلان هذه المساواة؛ لما يعلمه من نصوص شرعية تناقضها .

وصدق الله القائل في الرد على من يساوي بين أوليائه وأعدائه: ﴿ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ۝ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾[1] والقائل: ﴿ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِي ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴾[2]، والقائل: ﴿ لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ﴾[3]، والقائل: ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾[4].

٤- أبو المجد يقول عن الكفار: "لهم ما لنا وعليهم ما علينا"!

كما في رؤيته المعاصرة (ص١٦). وقد سبق بيان بطلان هذه المقولة عند الحديث عن انحرافات صاحبه "فهمي هويدي".

---

(١) سورة القلم الآية ٣٦،٣٥.

(٢) سورة ص الآية ٢٨.

(٣) سورة الحشر الآية ٢٠.

(٤) سورة الجاثية الآية ٢١ .

٥- أبو المجد يطالب بإلغاء "أحكام الذمة"!

متابعة منه لتحقيق الأهداف التي يلتقي فيها مع طائفته العصرانية. يقول أبو المجد: "إن فكرة أهل الذمة تحتاج إلى إعادة وتأمل ومراجعة من جانب الأطراف جميعاً، فالذمة ليست مواطنة من الدرجة الثانية..."[١]

فأبو المجد وجماعته يؤذيهم ويقلقهم التميز والعزة التي ارتضاها الله لعباده المسلمين؛ باتباعهم لدينه الحق، وطاعتهم لخاتم رسله. ويؤلمهم - في المقابل - الصَغَار الذي جعله الله لمن خالف أمره، فيحاولون بذل وخنوع إزالة هذا كله، وإذابة الفريقين (المسلم والكافر) في فكرة واحدة موهومة أطلقوا عليها "الوحدة الوطنية"! مفضلينها على أحكام الله، التي يرمونها - وإن لم يصرحوا بذلك - بأنها سبب تفرق أبناء البلد الواحد! وأنها قاصرة عن تحقيق آماله وأهدافه! ولهذا فقد قرروا تشذيبها وإلغاء بعضها مما يرونه عائقاً أمام أهوائهم، نسأل الله العافية. وصدق الله القائل: ﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾[٢].

٦-أبو المجد و"تحرير" المرأة المسلمة:

يقول أبو المجد عن حجاب المرأة المسلمة: "أما الحجاب وما يثار حوله فإنه لا يعدو أن يكون من آداب الزي؛ يصان به العرض ويتميز به أهل الفضل، وتدرأ قالة السوء"[٣] فهو من الآداب لا من الواجبات!

---

(١) رؤية إسلامية معاصرة ، ص ٥٦.

(٢) سورة المائدة الآية ٥٠.

(٣) القيم والتحولات الاجتماعية المعاصرة ، ص ٦٨.

وهو مجرد "زي" قد يتبدل ويتغير بتغير الأحوال بمقاييس البشر في نظرتهم إلى "الاحتشام" و"العري" دون أي اعتبار للنصوص الشرعية المحددة لشروط الحجاب.

٧- أبو المجد والاختلاط:

يقول أبو المجد: "أما مشاركة المرأة الرجل في العمل العام أو الخاص على ملأ وفي صحبة الآخرين فلم يرد فيه نهي يحتج له محتج.."[(١)].

قلت: وهذا من الكذب الصريح. فالنصوص الشرعية والكثيرة جاءت بتحريم الاختلاط، وسدت كل ذريعة توصل إليه[(٢)].

٨- أبو المجد يثني على كتاب "تحرير المرأة في عصر الرسالة"!

يقول أبو المجد: "وحديثاً تولى الصديق العزيز الأستاذ عبدالحليم أبو شقة تحقيق وشرح الأحاديث الواردة في شئون المرأة، وذلك في سفر نافع من أربعة أجزاء، اقتصر على الأحاديث الواردة في صحيحي البخاري ومسلم، كاشفاً بهذا التحقيق عن عديد من الأخطاء الشائعة بين عامة المسلمين، وكثير من خاصتهم في شأن المرأة وحقوقها ومكانتها، وعلاقتها بالرجل، وهي أخطاء أدت إلى الخلط بين التصور الإسلامي لقضية المرأة بجوانبها المختلفة، وبين العرف السائد في كثير من مجتمعات المسلمين"[(٣)]

قلت: كتاب أبو شقة أصبح دستور العصرانيين في قضية المرأة، وقد

---

(١) المرجع السابق.

(٢) انظر: "فتاوى الشيخ ابن باز ــ رحمه الله ــ" (٤/٢٤٥-٢٥٨). ورسالة الدكتور مفرح القوسي السابقة (ص ٣٣٢ – ٣٧٤).

(٣) رؤية إسلامية معاصرة، ص ٢٠.

احتوى على انحرافات ومتابعة للأهواء والشهوات بما يفوق ما قام به قاسم أمين!، وقد بينت هذا في مذكرة بعنوان "نقد كتاب تحرير المرأة في عصر الرسالة" تجدها منشورة في موقع "صيد الفوائد" على شبكة الإنترنت. فراجعها غير مأمور.

وانظر أيضًا ما كتبه الأستاذ جمال سلطان عن هذا الكتاب السيئ في "ثقافة الضرار" مقال بعنوان "تحرير المرأة في عصر الضلالة!" (ص ٧١-٧٤).

٩- أبو المجد يبيح الموسيقى والتمثيل ...

يقول أبو المجد: "إن الاهتمام بالفنون المختلفة من شعر ورسم وموسيقى وغناء وتمثيل، وتسخيرها لتثبيت القيم الإنسانية الفاضلة أمر لا يجوز أن يبقى خارج اهتمام الداعين إلى الإسلام".

ثم يقول ساخرًا ممن يقولون بتحريم ما حرم الله: "إن القول بتحريم الفنون مطلقاً قول لا دليل عليه في العقل ولا شاهد له في النقل، وهو أثر بداوة وجفوة وقسوة مزاج وغلظة طبع.."[١]!!

قلت: يعلم أبو المجد أن أتباع الكتاب والسنة لا يحرمون "الفنون" "مطلقاً" كما يزعم ! ويعلم ـ هداه الله ـ أن ما حرموه؛ كالموسيقى مثلاً إنما اتبعوا فيه النصوص الشرعية ولم يتبعوا فيه المزاج والبداوة!! ومن طالع فتاوى كبار العلماء السلفيين علم هذا[٢]. ولكن أبا المجد يلجأ إلى هذا الأسلوب الساخر الذي تعلمه من شيخه الغزالي تنفيرًا من الحق وأهله بعد أن أعيته الحجة، وصرفًا لانتباه القارئ عن مطالبته بالأدلة.

---

(١) رؤية إسلامية معاصرة ، ص ٥٥.

(٢) انظر رسالة : "

١٠- سخريته بالسلفيين:

كما هي عادة العصرانيين في حمل الحقد والضغينة على أتباع دعوة الكتاب والسنة؛ لأنهم يقفون عقبة أمام أهوائهم، فإنهم لا يخلون أي حديث أو مقال أو كتاب لهم دون أن يسخروا منهم ويتهجموا عليهم، وعلى هذه الطريقة سار أبو المجد ـ هداه الله ـ. وقد سبق شيء من تنقصه لهم في دراسة الدكتور القوسي لفكره. وأضيف هنا ما ذكره في ندوته التي عقدها بالأردن بعنوان "من أجل وحدة ثقافية عربية" ونشرتها له مؤسسة عبد الحميد شومان.

يقول أبو المجد ساخرًا ممن يسميهم "الحَرْفيين" الذين يقولون "إن النصوص مقدسة"[(١)]: "الشورى غائبة عن أكثر دول العالم الإسلام، التقدم الاقتصادي ناقص جداً، التبعية تكاد تلف العالم الإسلامي: من أوله إلى آخره، الجهل ونسبة الأمية عالية جداً، وتجد دعاة على المنابر لا تهتز في رأسهم شعرة للقمع ولا لغياب الشورى، ولا للتأخّر، ولا للتبعية، مشغولون بقضيتين: تقصير الثوب ومنع الموسيقى! كنا في اجتماع للجنة محترمة تابعة لليونسكو، نناقش موضوع الموسيقى، علماء موسيقى أتوا من المغرب، ومن تونس، ومن ليبيا، ومن الأردن، ومن مصر، ومن سوريا، وإذا بشاب ملتحٍ ـ بالمناسبة أنا دائماً أقسم اللحى قسمين: لحى ودية ولحى عدوانية ـ يدخل وبيده ورقة كبيرة جداً قائلاً: أخرجوا أولادكم من المدارس التي تعلم الموسيقى، لماذا؟ من قال لك: إن الموسيقى حرام؟ غلبتني لغة السجع، فقلت له: يا سيدي الموسيقى

---

(١) النصوص هي: قال الله، وقال رسوله ـ ﷺ ـ ! وهي مقدسة ومُطَهرة. فهل يرى أبو المجد غير ذلك؟! نعوذ بالله من حال عباد العقول.

حلال كالماء الزلال! وعندي فعلاً دليل نصّي وعقلي على ذلك، يطول شرحه.

إن محمد ـ ﷺ ـ بُعث نبياً ولم يبعث ثرْزياً"!![١]

قلت: هذا أسلوب إنشائي تهويلي يذكرنا بأسلوب الغزالي شيخ أبي الجد في سخريته المتكررة بأهل السنة.

وإلا فإن كل عاقل يعلم أن غياب الشورى وزيادة نسبة الأمية.. الخ لا يبيح لنا ارتكاب المحرمات أو سماعها والتهاون فيها.

فما علاقة هذا بهذا ؟!

والدكتور يعلم ـ علي سبيل التنزل معه ـ بأن ما لا يدرك كله لا يترك جله. فإذا كنا مفرطين فيما ذكره[٢]؛ فإن هذا التفريط لا يسوغ لنا أن نفرط في غيره من فعل الواجبات أو ترك المحرمات. وما حال من يفرط في الأمرين إلا كحال من يشرب الخمر ثم يحدث نفسه بأنه ما دام يرتكب هذا المحرم فليتبعه غيره من المحرمات! ليدع الصلاة مثلاً أو يرتكب الفاحشة .. الخ إلى أن يتخلص من هذا المحرم. فهل يفعل هذا عاقل ؟!.

بل الواجب: تقليل التفريط بفعل ما يستطيعه الإنسان، ثم إكمال ما نقص.

والله أعلم، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

---

(١) ص ٣٤.

(٢) وتفريط الأمة في هذه الأمور لا يختص بفرد أو طائفة دون غيرها، بل المسؤولية متعلقة بالجميع ، وعلى رأسهم حكام المسلمين الذين بسبب تقصيرهم في النهوض بالأمة وإعزازها تسلط علينا الأعداء من كل جانب كما هو مشاهد. فليت الدكتور عرَّض بذكرهم، و لم يؤاخذ غيرهم بجريرتهم. لئلا يقال له:

غيري جنى وأنا المعذّب فيكم ... فكأنني سبابة المتندم !



نظرة شرعية

في فكر

د. محمد سليم العوا

نظرة شرعية في فكر الدكتور محمد سليم العوا

ترجمته:[(١)]

- باحث ومفكر مصري معاصر، ينتمي إلى الاتجاه "العصراني"، متخرج في جامعة الإسكندرية، ومن المختصين بالدراسات القانونية الجنائية.

- عمل أستاذاً لفقه العقوبات بجامعة الرياض (الملك سعود حالياً). يعمل حاليًا محاميًا بمحكمة النقض بمصر.

ـ من مؤلفاته:

١- في أصول النظام الجنائي الإسلام.

٢- في النظام السياسي للدولة الإسلامية.

٣- الحق في التعبير.

٤- أزمة المؤسسة الدينية.

٥- الأقباط والإسلام.

٦- الفقه الإسلامي في طريق التجديد.

انحرافاته:

هو ـ كما سبق ـ واحد من رموز التيار "العصراني" في زماننا، حيث يجتمع معهم في الدعوة إلى عدة أفكار وأصول سبق بيانها في مقدمة هذا البحث. وأبدأ بما قال الدكتور مفرح القوسي ـ وفقه الله ـ عن العوا، ثم أتبع ذلك ببعض الإضافات التي تحصلت لي من قراءتي لكتب

---

(١) نقلا ـ بتصرف ـ عن خاتمة كتاب " حوارات في الفكر العربي المعاصر ـ ١ ـ العرب وتحديات القرن الحادي والعشرين "، إصدار مؤسسة عبد الحميد شومان بالأردن، ط ٢٠٠٠م.

ومقالات الرجل.

قال الدكتور مفرح القوسي[(١)]:

"الدكتور محمد سليم العوا: أحد رواد ما يسمى باليسار الإسلامي، وممن قدم العديد من الطروحات التحديثية، والتي من أهمها ما يلي:

أ) قسم سنة الرسول - ﷺ - تشريعيه وسنة غير تشريعية، وادعى أن أغلب المروي عنه - ﷺ - هو من النوع الثاني، وأنه لا يلزمنا العمل به، واستدل على ذلك بحديث تلقيح النخل المروي بروايات عدة، منها ما رواه الإمام مسلم في صحيحه عن رافع بن خديج أنه قال: قدم نبي الله - ﷺ - المدينة وهم يأبرون النخل - يلقحون النخل - فقال: ما تصنعون؟ قالوا: كنا نصنعه، قال: لعلكم لو لم تفعلوا كان خيراً، فتركوه فنفضت أو فنقصت، قال فذكروا ذلك له، فقال: "**إنما أنا بشر إذا أمرتكم بشيء من دينكم فخذوا به، وإذا أمرتكم بشيء من رأيي فإنما أنا بشر**"[(٢)]، حيث يقول العوا عن هذا الحديث: "ولو لم يكن غير هذا الحديث الشريف في تبيين أن سنته - ﷺ - ليست كلها شرعاً لازماً وقانوناً دائماً لكفى، ففي نص عبارة الحديث - بمختلف رواياته - تبيين أن ما يلزم اتباعه من سنة رسول الله - ﷺ - إنما هو ما كان مستنداً إلى الوحي فحسب، وذلك غالبه متعلق بأمور الدنيا وأقله متعلق بأمور الدين، وليس أوضح في الدلالة على هذا من قوله - ﷺ -: "**إنما أنا بشر وأنتم**

---

(١) في رسالة: "الموقف المعاصر من المنهج السلفي في البلاد العربية"، (ص ٢٥٦-٢٥٩).

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب (الفضائل)، باب (وجوب امتثال ما قاله شرعاً دون ما ذكره - ﷺ - من معايش الدنيا على سبيل الرأي) جـ١٥/ص ١١٧.

أعلم بشؤون دنياكم"، وكان بوسعه أن يقول: إنني لا خبرة لي بالنخل - إذ ليس في مكة نخل - أو لا أحسن الزراعة فبلدي وادٍ غير ذي زرع، ولكنه عليه الصلاة والسلام تخير أحسن العبارات وأجمعها، وجعل من حديثه في هذه المسألة الجزئية قاعدة كلية عامة مؤداها أنه في مالا وحي فيه من شؤون الدنيا فالأمر للخبرة والتجربة والمصلحة التي يُحسن أرباب الأمر معرفتها دون من لا خبرة له به، فلم يكن الجواب قاصراً على مسألة تلقيح النخل، وإنما جاء شاملاً لكل أمر مما لم يأت فيه وحي بقرآن أو سنة"[١].

ب) ادعى أن تصرفات النبي - ﷺ - في القضاء والإمامة ليست من السنة التشريعية الملزمة، محتجاً بتقسيم الإمام القرافي لتصرفاته - ﷺ - إلى أربعة أنواع: تصرفات بالرسالة، وأخرى بالفتيا، وثالثة بالحكم (القضاء)، ورابعة بالإمامة[٢].

ج) دعا إلى أنه يجب أن يتبع الحكم الشرعي "المصلحة ويدور معها، فما حقق المصلحة أجريناه، وما عارضها أو ألغاها توقفنا عن إجرائه، وإلا كنا مخالفين للأمر الرباني بطاعة رسول الله"[٣]. ويضرب العوا لذلك مثالين من الأحكام الشرعية التي يجب - في نظره - أن تدور مع المصلحة فعلاً وتركاً، فيقول: "ومن أمثلة هذه السنن التي بنيت على المصلحة القائمة في زمن الرسول - ﷺ - قوله في شأن الزي: "**خالفوا**

---

(١) بحث (السنة التشريعية وغير التشريعية)، مجلة (المسلم المعاصر)، العدد الافتتاحي الصادر في شوال ١٣٩٤هـ/ نوفمبر ١٩٧٤م ص ٣٣.

(٢) انظر: المرجع السابق ص ٣٤-٣٧.

(٣) المرجع السابق ص ٣٧.

المشركين أوفروا اللحى وأحفوا الشوارب"[(١)] في صيغة النص ما يفيد ارتباط الحكم أو الأمر بزي المشركين وعاداتهم في توفير اللحية والشارب معاً، وأزياء الناس وزينتهم أمور لا استقرار لها، فهو لذلك تشريع زمني روعيت فيه البيئة التي كان يعيش فيها الرسول ـ ﷺ ـ ولا يبعد هنا أن يُقال إن الأمر في توفير اللحى للندب يثاب فاعله ولا يلام فضلاً عن أن يعاقب تاركه. ومثله قوله ـ ﷺ ـ: "**إن اليهود [والنصارى] لا يصبغون فخالفوهم**"[(٢)]. أي لا يصبغون الشعر حين يشيب، فذلك أيضاً مرتبط بعادات اليهود والنصارى، أفنخالفهم إن تغيرت العادة لديهم إدارة منا للحكم مع علته وسببه؟ أم نبقى على تنفيذ الأمر الوارد في هذا الحديث حتى ولو فات بذلك تحقيق مقصوده؟ لا شك أن الأول أولى بنا وأوفق"[(٣)].

ويحتج العوا لضرورة اتباع الحكم الشرعي للمصلحة بفعل عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ في أرض العراق حين فتحها الله على المسلمين عنوة، حيث راعى ـ آنذاك ـ مصلحة الأمة فلم يقسمها بين المسلمين قسمة الغنائم كما فعل النبي ـ ﷺ ـ لما فتح الله عليه أرض خيبر عنوة[(٤)].

---

(١) رواه البخاري في صحيحه من حديث عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ في كتاب (اللباس) الباب (٦٤) الحديث رقم (٥٨٩٢) ج١٠/٣٤٩. ورواه مسلم في صحيحه في كتاب (الطهارة)، باب (خصال الفطرة) ج٣/ ص ١٤٧.

(٢) رواه البخاري في صحيحه في كتاب (الأنبياء)، الباب (٥٠)، الحديث رقم (٣٤٦٢) ج٦/ص٤٩٦. ورواه مسلم في صحيحه في كتاب (اللباس والزينة) باب (استحباب خضاب الشيب بصفرة أو حمرة) ج١٤/ص٧٩-٨٠.

(٣) بحث (السنة التشريعية وغير التشريعية) ص ٣٨.

(٤) انظر: المرجع السابق ص ٤١.

د) ذهب "إلى أن العقوبة التي شرعها الإسلام لجريمة شرب الخمر هي عقوبة تعزيرية المقصود بها ردع الجاني عن العودة لارتكاب الجريمة ومنع غيره من أفراد المجتمع من ارتكابها، ومن ثم فإن هذه العقوبة يمكن أن تتغير بتغير الأحوال والظروف الفردية والاجتماعية"[(١)].

هـ) كما ذهب إلى "أن عقوبة الردة عقوبة تعزيرية مفوضة إلى السلطة المختصة في الدولة الإسلامية تقرر بشأنها ما تراه ملائماً من أنواع العقاب ومقاديره، ويجوز أن تكون العقوبة التي تقررها الدولة هي الإعدام"[(٢)].

قلت: وانظر لزيادة الرد على العوا: كتاب "العصريون معتزلة اليوم" (ص٤٥، ٤٦، ٥٣، ٥٤، ٥٧).

إضافات:

١ - العوا وعقوبة المرتد:

سبق معنا في حديث الدكتور مفرح القوسي أن العوا يجعل عقوبة المرتد من العقوبات التعزيرية التي يمكن أن تتبدل في يوم ما فيكتفى بدلاً من قتل المرتد بسجنه مثلاً. وفي هذا مخالفة صريحة للأحاديث الصحيحة الواردة في وجوب قتل المرتد وعلى هذا أجمعت الأمة[(٣)].

وقد أكد العوا رأيه هذا عندما أثيرت قضية الحكم بالردة على

---

(١) في أصول النظام الجنائي الإسلامي ص ١٣٧، ط عام ١٩٧٩م، دار المعارف – القاهرة.

(٢) المرجع السابق ص ١٥٥.

(٣) قال ابن قدامة ـ رحمه الله- في المغني (١٢٣/٨): "وأجمع أهل العلم على وجوب قتل المرتد". وقال ابن عبد البر ـ رحمه الله ـ في التمهيد (٣١٨/٥) بعد أن ساق الأحاديث في وجوب قتل المرتد: "فالقتل بالردة ـ على ما ذكرنا ـ لا خلاف بين المسلمين فيه".

الكاتب المصري "نصر حامد أبو زيد" في السنوات الأخيرة من بعض العلماء، حيث فزع الدكتور لهذا! وقام بتأليف كتابه "الحق في التعبير"! وقف فيه كما يقول: "ضد محاكمة نصر أبوزيد، وضد طلب التفريق بينه وبين زوجته" (ص١٣)، مؤكدًا فيه رأيه السابق المخالف للأحاديث الصحيحة بوجوب قتل المرتد والاكتفاء بتعزيره ! (ص٦٧-٦٩).

وانظر للرد عليه في هذه المسألة: رسالة "حقوق الإنسان في الفكر السياسي الغربي والشرع الإسلامي" للدكتور محمد مفتي، والدكتور سامي الوكيل، ص ٨٩-٩٣.

٢- عدم تفريقه بين إرادة الله الكونية وإرادته الشرعية:

من المعلوم أن الله ـ ﷻ ـ أراد وقضى "كونًا" أن يختلف الناس ما بين مسلمين مؤمنين وكفار جاحدين، وما بين أهل حق وأهل باطل؛ قال تعالى: ﴿ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۝ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ﴾[(١)] وقال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾[(٢)].

ولكنه في المقابل أراد "شرعاً" أن يؤمن الناس ويستقيموا على صراطه ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ﴾[(٣)]، ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[(٤)]؛ ولهذا بعث الرسل وأنزل الكتب.

---

(١) سورة هود الآية ١١٨،١١٩.

(٢) سورة التغابن الآية ٢.

(٣) سورة البقرة الآية ٢١.

(٤) سورة الذاريات الآية ٥٦.

والسني المؤمن لا يخلط بين الإرادتين، بل يتبع الحق عند اختلاف الناس، وينصح المخالف ويرد عليه.

أما العصرانيون ـ ومن ضمنهم العوا ـ فإنهم لم يفرقوا بين الإرادتين، وظنوا ـ لجهلهم بمذهب السلف ـ أن كل ما قضاه الله وأراده "كوناً" من اختلاف بني الإنسان فقد رضيه وأراده "شرعاً"؛ ولهذا فقد ارتضوه بل تفاخروا به ودعوا إليه! فتجد في كتاباتهم التمدح بوجود مختلف الطوائف والمشارب داخل الدولة الإسلامية قديمًا!! فرحين بهذا الأمر، مطالبين باستمراره في عصرنا، مطلقين عليه "التعددية في الإسلام"! أو نحو هذا الاسم.

جاهلين أن هذا الأمر الذي فرحوا به قد جاء الكتاب والسنة بذمه والتحذير منه. قال تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾[1]. وقال: ﴿ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾[2]. وقال: ﴿ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾[3]. وقال: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾[4] وقال: ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ ﴾[5]، إلى غير ذلك من الآيات[6]. وقال ـ

---

(١) سورة آل عمران الآية ١٠٣.
(٢) سورة الأنفال الآية ٤٦.
(٣) سورة الروم الآية ٣١، ٣٢.
(٤) سورة الأنعام الآية ١٥٣.
(٥) سورة آل عمران الآية ١٠٥.
(٦) انظر رسالة: "واعتصموا بحبل الله جميعاً" للشيخ عبد الله الجار الله –رحمه الله–.

ﷺ ـ: "عليكم بالجماعة" وقال: "   ".

وقد ألف العوا كتابه "التعددية في الإسلام" لإقرار اختلاف المسلمين ما بين أهل سنة وغيرهم من أهل البدع المتنوعة، راضياً ومطالبًا ببقاء هذا الاختلاف أو "التعدد" كما يقول![(١)]

مجيزاً لأجل ذلك قيام الأحزاب المختلفة داخل الدولة الإسلامية (ص ٩-١٠).

مكذباً ـ للسبب نفسه ـ قوله ـ ﷺ ـ: "افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة"[(٢)]. ومن أعجب شيء قوله عن هذا الحديث الصحيح بأن شيخه الدكتور محمد عمارة "قد فحص هذا الحديث ووجده حديث آحاد لا يؤخذ به في العقائد، ووجد أن التاريخ يكذبه" (ص٢٨) !! واصفاً إياه بأنه من "أهل الرواية"!

فمتى كان محمد عمارة عالماً من علماء الحديث ؟! وما عهدناه إلا معتزلياً معظماً للعقل على حساب نصوص الوحي التي تشهد كتاباته ـ هداه الله ـ بالإعراض عنها، وعدم التضلع منها.

٣- العوا والكفار:

أ- الكفار مساوون للمسلمين عنده!:

يقول العوا: "المساوة بين الناس أصلها بالخلقة وليس بالدين"[(٣)]

---

(١) إضافة إلى رضاه باختلاف أهل الإسلام مع غيرهم من أهل الأديان والنحل الباطلة!

(٢) حديث صحيح. انظر تخريجه في السلسلة الصحيحة للشيخ الألباني ــ رحمه الله ــ(حديث ٢٠٣-٢٠٤). ورسالة : "نصح الأمة في فهم أحاديث افتراق الأمة" للشيخ سليم الهلالي.

(٣) مقابلة مع مجلة المنطلق، العدد ١١٦.

ب- إلغاء عقد "الذمة" واستبداله بالمواطنة !

يقول العوا: "إن عقد الذمة الذي بسببه تثور جميع المشاكل انتهى، انتهى العقد وانقضى بموت أطرافه. الدولة الإسلامية احتُلت وانهدمت، ولم يعد هناك دولة إسلامية، والأطراف الذين أبرموا هذا العقد لم يعودوا موجودين. والعقد هذا هو كأي عقد في الدنيا إذا مات أطرافه وقضوا انقضى. الآن أصبح الجميع في وضع جديد هو وضع المواطنة"[١] ! فانظر ـ رعاك الله ـ ضحالة الحجة من هذا العصراني المستكبر. وعقد الذمة ـ كما سبق في الرد على فهمي هويدي ـ حكم شرعي ثابت بنصوص الوحي لا يجحده وينكره ويتبرأ منه إلا من اتبع هواه وكره ما أنزل الله.

ج- منع الكفار من الزواج بالمسلمات هو من البر بهم ـ عند العوا ـ!!

يقول العوا: "منع زواجهم من نسائنا اتخذ براً ورأفة بهم؛ لأن زوج المرأة واجبه أن يأخذها إلى مكان عبادتها.. فبرًا به ورأفة ورحمة منعه الله من زواجها"[٢] !!! وهذا من التقول على الله ـ ﷻ ـ والتلاعب بشرعه؛ لأجل إرضاء إخوان القردة والخنازير وعباد الصليب، وخجلاً من أن يجهر بالحق الذي يعرفه؛ ليحق فيه قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَـٰطِلِ وَتَكْتُمُوا۟ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[٣]. وإلا فهو يعلم أن سبب منعهم من الزواج بالمسلمات هو صيانة المسلمة أن يعلوها العلج

---

(١) السابق .

(٢) السابق.

(٣) سورة البقرة الآية ٤٢.

الكافر، ويستولدها كفارًا مثله، ويفتنها عن دينها. وفيه من الاحتقار للكفار ﴿ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴾ ما فيه مما لا يريد العوا الاعتراف به.

د- يؤلف العوا كتاباً بعنوان "الأقباط والإسلام":

يقدم فيه تنازلات عديدة ويحرف نصوصاً شرعية كثيرة؛ لعله بذلك يرضي عباد الصليب ويطمئنهم أن لا خوف عليهم ولا هم يحزنون! وكأن هؤلاء النصارى لم يعيشوا أكثر من ألف عام تحت ولاية الدولة الإسلامية آمنين مطمئنين،لم تصبهم نكبات أو اضطهادات. وإن وقع ظلم عليهم من بعض الجهلة فهو كالظلم الذي يقع بين المسلمين أنفسهم؛ لا يقره الإسلام ولا يرضى به.

ومن انحرافاته في هذا الكتاب:

أ- وصفه للنصارى بأنهم "إخوانه" ! (ص ١٨). ومعلوم لكل مسلم أنه لا أخوة بين المسلم والكافر ـ كما سبق في الرد على هويدي ـ.

ب- إلغاؤه للجزية ! (ص ٤٠). يقول العوا: "إن غير المسلمين من المواطنين الذين يؤدون واجب الجندية؛ ويسهمون في حماية دار الإسلام لا تجب الجزية عليهم".

ج- تمدحه بأن المصريين (مسلمهم وكافرهم) لا فرق بينهم ولا تمايز! وأنهم "شعب واحد، وعنصر واحد، وأمة مصرية واحدة"! (ص١١). وهذا من الوطنية الضيقة التي ينادي بها هؤلاء العصرانيون في مقابل تهميشهم للإسلام وللأمة الإسلامية التي شرفت وكرمت بحملها لهذا الدين.

د- تحريفه لآيات الولاء والبراء؛ فهو عندما ذكر شيئاً منها لا يؤيد

رأيه وإخوانه العصرانيين في تذويبهم للفروق بين المسلمين والكفار، كرَّ على هذه الآيات بالتأويل الباطل وحرفها لتتوافق مع هواه.

يقول العوا: "فالنهي ليس عن اتخاذ المخالفين في الدين أولياء بوصفهم شركاء وطن أو جيران دار أو زملاء حياة، وإنما هو عن توليهم بوصفهم جماعة معادية للمسلمين تتخذ من تميزها الديني لواء تستجمع به قوى المناوءة للمسلمين، والمحادة لله ورسوله" (ص ٣٣). فهو قد جعل علة البراءة من الكفار تحزبهم ضد المسلمين ومحاربتهم. أما غيرهم من الكفار فيجوز لنا "موالاتهم" عنده وكل هذا لتسلم له موالاة إخوانه النصارى في مصر!

فهو لم يفرق بين "الموالاة" التي لا تجوز لجميع الكفار للنصوص الصريحة من الكتاب والسنة التي تنهى عن هذا الفعل الشنيع الذي يقدح في إيمان المرء المسلم[1] وبين "البر" و"القسط" الذي يكون لغير المعتدين منهم، وهو الوارد في قوله تعالى: ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَـٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ﴾[2]. وهذا "البر" و"القسط" لا ينافي معاداتهم لأجل كفرهم. وعدم موالاتهم؛ ـ كما سبق ـ.

هـ- يردد الدكتور العوا ـ هداه الله ـ في كتابه ما يردده العصرانيون من أن للكفار ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين. (ص٤٤)[3].

---

(١) انظرها في رسالة : "الموالاة والمعاداة "للشيخ محماس الجعود. ورسالة: "الولاء والبراء" للدكتور محمد بن سعيد القحطاني.

(٢) سورة الممتحنة الآية ٨.

(٣) وقال مثل هذا في كتابه: "في النظام السياسي للدولة الإسلامية، ص ٥٤.

وهذا خلاف دين الإسلام ـ كما سبق بيانه ـ.

لماذا تميع الدكتور العوا في موضوع "أهل الذمة"؟!

يقول الدكتور بعد أن طالب بإلغاء كثير من الأحكام المتعلقة بأهل الذمة ـ وقد مضى شيء منها ـ قال الدكتور: "هذا الحل يرفع عن كاهل المشرع المسلم المعاصر كثيراً من الحرج الدولي والسياسي والاجتماعي"(١) فالهدف من تقديم هذه التنازلات هو ضغط الواقع والحرج والانكسار أمام الكفار الذين لن يرضيهم ما جاء في الكتاب والسنة من أحكام شرعية، فلهذا يحاول العوا وإخوانه لأجل إرضائهم والظهور أمامهم بمظهر "المتمدن"! ـ زعموا ـ أن يتنصل من أحكام دينه ويخفيها أو يلبسها بالباطل؛ ليصدق فيه قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَـٰطِلِ وَتَكْتُمُوا۟ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ وقوله: ﴿ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَـٰرِعُونَ فِيهِمْ ﴾ وقوله: ﴿ وَدُّوا۟ لَوْ تُدْهِنُ ﴾ وأوجه نصيحة إلى العوا ومن معه: هي قوله تعالى: ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾. فهم لن يرضوا عنك مهما قدمت لهم من التنازلات إلا أن تتنصر، ولا أظنك فاعلاً ـ إن شاء الله ـ. ولذا: انج بدينك ولا توهنه أو تثلمه بهذه التنازلات الخطيرة التي لن تؤدي إلى نتيجة (دنيوية)، فضلاً عن تعريضها للمتنازل لعذاب الله.

٤- موقف العوا من قضايا المرأة:

لقد اختصر لنا العوا رأيه في قضايا المرأة بجملة واحدة، وهي أنه

---

(١) صحيفة المدينة والشورى النبوية، جزء من وقائع ندوة النظم الإسلامية؛ إصدار مكتب التربية لدول الخليج العربي، ص ٦٥.

على طريقة شيخيه الغزالي[١] والقرضاوي! يقول العوا: "في كل القضايا المتعلقة بالمرأة المسلمة أنا منظم انضماماً تاماً لرأي العالمين الجليلين الدكتور يوسف القرضاوي وفضيلة الشيخ محمد الغزالي"[٢]، فعلى هذا القول الصريح يلحقه ما يلحق شيخيه من انحرافات في قضايا المرأة؛ كقولهما بجواز سفورها، واختلاطها، ومصافحتها للأجانب، وسفرها لوحدها، وتمثيلها، وغنائها، وانشغالها بقضايا السياسة... الخ[٣]

ومن أقوال وآراء العوا المؤكدة لهذا الأمر:

- "أنا من الذين قالوا منذ زمن ولا زلت أقول إنه لا يجوز الحجر على المرأة عن أي عمل كان"[٤] وتأمل "أي عمل"!

- يجيز الدكتور للمرأة أن تكون "رئيسة للدولة الإسلامية"[٥]! مخالفاً قوله ـ ﷺ ـ "ما أفلح قوم ولوا أمرهم امرأة" رواه البخاري.

٥- وكشأن أسلافه العصرانيين فإن العوا يمجد الديمقراطية الغربية:

ويرى أنها الحل الأمثل للمسلمين! ويُلبس على الناس بأنها لا تختلف عن مبدأ الشورى في الإسلام!.

---

(١) يسميه العوا "حجة الإسلام" ! كما في كتابه "أزمة المؤسسة الدينية" ، ص ٣٦.

(٢) مجلة الاقتصاد الإسلامي، العدد ١٤٤ ومن الطريف أن هذا القول مخالف لإدعاء العوا أنه لا يرى تقليد العلماء بل يأخذ من حيث أخذوا ! ويطالب المسلمين بهذا! (انظر: دراسات تربوية، العدد ٥٤، ص ٥٥).

(٣) لمعرفة أقوال القرضاوي والغزالي في هذه القضية انظر ما صدر من ردود عليهما؛ وهي كثيرة مشهورة. ولا فرق لمن تأمل بين آراء هذا التيار العصراني بقيادة شيخيه القرضاوي والغزالي وبين آراء التيار العلماني. فالهدف واحد وهو "تحرير" المرأة المسلمة من شريعة ربها. انظر "العصرانية قنطرة العلمانية" لكاتب هذا البحث.

(٤) مجلة المنطلق ، العدد ١١٦.

(٥) السابق .

وقد صرح بهذا في بحثه المعنون بـ"العرب والشورى بعد أزمة الخليج" (ص٦٨-٦٩)[١].

(١) البحث منشور في كتاب "أزمة الخليج وتداعياتها على الوطن العربي" إصدار مركز دراسات الوحدة العربية.

نظرة شرعية

في فكر

طارق البشري



نظرة شرعية في فكر طارق البشري

ترجمته[1] :

- هو طارق عبد الفتاح سليم البشري، ولد بالقاهرة عام ١٣٥٢هـ-١٩٣٣م.

- حصل على ليسانس الحقوق من جامعة القاهرة سنة ١٩٥٣م.

- عمل قاضياً بالقانون الوضعي !! بمجلس الدولة سنة ١٩٥٤م. ثم مستشاراً بالمجلس سنة ١٩٧٥م، ثم نائباً لرئيس المجلس سنة ١٩٨٥م إلى أن تقاعد سنة ١٩٩٨م.

- رئيس إدارة الفتوى بالعديد من الوزارات، ومستشار قانوني لعدد من الوزارات والمراكز.

- عضو مجالس الوزارات والعديد من الهيئات العامة.

- له عدد من المؤلفات منها:

١- الحركة السياسية في مصر ١٩٤٥-١٩٥٢م صدر سنة ١٩٧٢م.

٢- الديمقراطية والناصرية، صدر ١٩٧٥م.

٣- سعد زغلول يفاوض الاستعمار: دراسة في المفاوضات المصرية-البريطانية ٢٠-١٩٢٤، صدر سنة ١٩٧٧م.

٤- المسلمون والأقباط في إطار الجماعة الوطنية، صدر سنة

---

(١) استفدها من الكتاب الصادر بمناسبة إحالته للتقاعد: "طارق البشري، القاضي المفكر"، إعداد الدكتور إبراهيم البيومي غانم. دار الشروق، ١٤٢٠هـ فمن أراد الزيادة عن حياة الرجل فليرجع إليه.

وكذا من كتاب "الإسلاميون والحوار مع العلمانية والدولة والغرب" لهشام العوضي.

١٩٨١م.

٥- الديمقراطية ونظام ٢٣ يوليو ١٩٥٢-١٩٧٠، صدر سنة ١٩٨٧م.

٦- دراسات في الديمقراطية المصرية، صدر سنة ١٩٨٧م.

٧- بين الإسلام والعروبة ـ القسم الأول، صدر سنة ١٩٨٨م.

٨- بين الإسلام والعروبة ـ القسم الثاني، صدر سنة ١٩٨٨م.

٩- "بتحرير ومشاركة" في منهج الثقافة الإسلامية بجامعة الخليج العربي وحمل عنوان: "نحو وعي إسلامي بالتحديات المعاصرة"، وصدر سنة ١٩٨٨م.

١٠-منهج النظر في النظم السياسية المعاصرة لبلدان العالم الإسلامي، صدر سنة ١٩٩٠م.

١١-مشكلتان وقراءة فيهما، صدر سنة ١٩٩٢م.

١٢-شخصيات تاريخية، صدر سنة ١٩٩٦م.

- سلسلة "في المسألة الإسلامية المعاصرة" وابتدأ صدروها في سنة ١٩٩٦ وتضم الكتب التالية:

١- ماهية المعاصرة.

٢- الحوار الإسلامي العلماني.

٣- الملامح العامة للفكر السياسي الإسلامي في التاريخ المعاصر.

٤- الوضع القانوني المعاصر بين الشريعة الإسلامية والقانون الوضعي.

ما قيل عنه:

قال عنه رضوان السيد: "أذكر من المتحولين إلى الفكر الإسلامي

نماذج مشرفة مثل أحمد كمال أبو المجد وطارق البشري؛ فالأول مع أنه بدأ إخوانياً لكنه صار في مرحلة من عمره ناصرياً اشتراكياً. ثم عاد إلى موقعه إسلامياً. والآخر كان يسارياً ثم تحول إلى إسلامي"[١].

وقال عنه الدكتور أيمن الظواهري: "طارق البشري كاتب وطني أميل إلى تيار اليسار"[٢].

وقال عنه غالي شكري: "أحد أبرز المؤرخين التقدميين المصريين"[٣].

قلت: كان طارق البشري مفكرًا وكاتباً يسارياً مع تمجيد كبير للقومية العربية (بصورتها الناصرية)، ثم تحول إلى الاتجاه الإسلامي ضمن من تحولوا من القوميين واليساريين بعد نكسة ٦٧م إلا أنهم ـ كما سبق في المقدمة ـ لم يتخلوا وينخلعوا من إرثهم اليساري ويتوبوا إلى الله توبة نصوصاً تحملهم على نبذ كل ما يخالف الإسلام من عقائد وتصورات. بل بقيت معهم "رواسب" يسارية جعلتهم ينتقون من الإسلام ما يوافقها ويسير معها، مشكلين بذلك ما يسمى "اليسار الإسلامي" أو "الفكر الإسلامي المستنير"، محدثين في صفوف أهل الإسلام شرخاً وانقساماً بسبب صنيعهم هذا حيث لم يرتضوا الدخول في السلم كافة.

يقول محمد عمارة مؤكدًا هذا: "لقاؤنا ـ أي هو والبشري ـ بدأ كما قلت قبل ثلاثة عقود تقريباً من مرحلة السبعينات، وكان لنا لقاء فكري

---

(١) العلمانية والممانعة الإسلامية، علي العميم، ص ١٦٤.

(٢) الحصاد المر، ص ١٧٦.

(٣) أقنعة الإرهاب، ص ٦٦.

نجتمع خلاله في بيوتنا. وكان محرك هذا اللقاء وهذه الجماعة الفكرية هو عادل حسين. حتى إن البعض أطلق عليه لقبه أمير الجماعة الذي يجمع الجماعة وينظم الاجتماعات. وسرنا في هذه المرحلة ونحن نعاني معاناة شديدة؛ لأننا كنا آنذاك نناقش هموم هذه الأمة التي تناوشها تحديات من الداخل والخارج. وكانت مرحلة من الإنضاج ومن التطور الفكري ومن التحولات في الرؤى والأفكار. أتصور أنه عندما يُكتب سيشار إليها وإلى أبعادها حتى خارج مصر؛ لأن هذا التجمع صار يمثل تيارًا فكرياً تجديدياً. وبالمناسبة: أطلق علينا الماركسيون نحن الثلاثة لقب "التراثيون الجدد"، ولو أنصفوا لقالوا: التراثيون المجددون وليس التراثيون الجدد"[(١)].

- من يتأمل كتابات طارق البشري يجد أن كثيراً منها يبحث في المسائل التاريخية للحركة السياسية المصرية من وطنية وقومية وإسلامية، وقلة منها التي تبحث في قضايا الشريعة، والذي يظهر لي أن البشري قد اكتفى في هذا بكتابات واجتهادات من يثق بهم من الشيوخ المتنورين الذين لهم باع طويل في العلم الشرعي يجعلهم أقدر منه على طرق تلك القضايا. فهو يذكرني بصنيع صاحبه فهمي هويدي الذي هو مجرد تابع لشيخه الغزالي والقرضاوي. والبشري مثله في هذا الأمر حيث يكتفي عند طرق قضية شرعية ما بالنقل عن شيوخه الذين يعظم أقوالهم وعلى رأسهم الغزالي والقرضاوي، دون أن يكون له رأي مستقل واضح.

يقول البشري عند الحديث عن اجتهادات علماء المسلمين في

---

(١) طارق البشري، لقاضي المفكر، ص ٣٩.

المسائل الشائكة؛ كمسائل أهل الذمة وغيرها:

"لنا أن نشير هنا إلى الجهود الفقهية الكبيرة التي قام بها مفكرون وفقهاء مصريون خلال السنوات الماضية؛ ومنها جهود الشيخ القرضاوي والشيخ الغزالي والدكتور فتحي عثمان والأستاذ فهمي هويدي والدكتور محمد سليم العوا"(١) وجميع هؤلاء على مشربة ـ كما هو معلوم ـ.

ويقول الدكتور إبراهيم البيومي غانم:

"صاحب الأثر في أستاذنا طارق البشري هو الشيخ محمد الغزالي" فكان يقول عنه "هذا شيخي وشيخنا"(٢).

قلت: ولهذا رثاه بمقال نشره في مجلة "المسلم المعاصر" (العدد ٨١) تحت عنوان "الراحلون إلينا" ووصفه بأنه شيخه.

انحرافاته:

لهذا كله فقد جاءت انحرافات البشري تبعاً لانحرافات شيوخه العصرانيين في القضايا المشهورة التي كان لهم فيها اجتهادات شاذة .

فعلى سبيل المثال:

١- ينقل البشري عن شيخه الغزالي قوله في قضية أهل الذمة: "قد أجمع فقهاء الإسلام على أن قاعدة المعاملة بين المسلمين ومسالميهم من اليهود والنصارى تقوم على مبدأ (لهم ما لنا وعليهم ما علينا)"(٣)!!

وهذه من أكاذيب الغزالي! فليس هناك إجماع ولا هم يحزنون، وقد

---

(١) السابق، ص ٧٠.

(٢) السابق، ص ٨٦.

(٣) بين الجامعة الدينية والجامعة الوطنية. ص ٢٩.

سبق عند الرد على فهمي هويدي بيان بطلان هذا المبدأ الضال.

٢-وينقل عنه ـ أيضاً ـ ناقضاً مبدأ الولاء والبراء ومحرفاً للأدلة الشرعية الواردة فيه: "إن الآيات التي وردت بالقرآن الكريم تمنع اتخاذ المؤمنين لليهود أو النصارى أو الكافرين أولياء إنما وردت جميعاً في المعتدين على الإسلام والمحاربين لأهله.."[(١)]

ثم يؤكد هذا بقوله: "إن مبدأ المساواة القانونية والتواد الاجتماعي مقرر، تسبغ به صفة المواطنة على غير المسلمين"[(٢)].

- بل يزيد: "إن غير المسلم يستطيع تولي كل الوزارات، ويستطيع تولي القضاء، بل ويستطيع تولي رئاسة الجمهورية"[(٣)]!

ويكتب بحثاً بعنوان "أحكام الولاية العامة لغير المسلمين"[(٤)] يورد فيه الشبهات التي يراها تؤيد رأيه الشاذ هذا. ملخصها كما يقول: "لقد غدت الغلبة العددية للمسلمين في بلادهم، ولم يعد ثمة موجب للخشية على إسلام المسلم من مساهمة غير المسلمين مع المسلمين في الشؤن العامة"!!

---

(١) السابق، ص ٢٨.

(٢) السابق، ص ٣٣.

(٣) طارق البشري، القاضي والمفكر، ص ٣٧.

(٤) منشور ضمن كتاب "الشرعية السياسية في الإسلام، مصادرها وضوابطها" إعداد وتحرير: عزام التميمي، نشر: "ليبرتي" للدفاع عن الحريات في العالم الإسلامي!

تنبيه: لم يتورط البشري في بحثه السابق فيما تورط فيه غيره من العصرانيين الذين لا يرون كفر اليهود والنصارى!! بل ذكر بعض الآيات الواردة في تكفيرهم، ثم قال: "حكم الله عليهم بالكفر في القرآن، ولا بد أن أطيعه في ذلك..." ولكنه أكد بأنهم مواطنون يستحقون ما يستحقه المسلم! وكما يقال: بعض الشر أهون من بعض!

وكأن المانع من توليتهم هو الخوف على إسلام المسلمين، وليس اتباع النصوص الشرعية التي تحذر من هذا الأمر الشنيع الذي يعلم الله ضرره على دولة الإسلام. ولهذا أكد هذا التحذير في آيات كثيرة؛ يأتي في مقدمتها قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً ﴾ ...) الآية. قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ في تفسيرها: "أي من غيركم من أهل الأديان" وقال ـ بعد أن ذكر أثر عمر في عدم توليتهم الكتابة ـ: "ففي هذا الأثر مع هذه الآية دليل على أن أهل الذمة لا يجوز استعمالهم في الكتابة التي فيها استطالة على المسلمين واطلاع على دواخل أمورهم التي يُخشى أن يفشوها إلى الأعداء من أهل الحرب".

وشاهد هذا في تاريخ المسلمين كثير، فلا تكاد تجد دولة إسلامية استعانت بهؤلاء اليهود والنصارى في تدبير أمورها إلا كان عاقبة أمرها خسرا، والدكتور البشري لا شك خبير بما صنعه من تولى من النصارى بعض شئون البلاد المصرية عندما احتل نابليون مصر، حيث قلبوا ظهر الجن للمسلمين وأصبحوا عضدًا ونصيراً لإخوانهم في الملة ضد "مواطنيهم"! فكيف يقال بعد هذا بجواز توليتهم الوزارات والقضاء، بل رئاسة الدولة الإسلامية!!! إنَّ هذا لهو الضلال المبين.

٣-لا يفرق البشري ـ كغيره من العصرانيين ـ بين إرادة الله الكونية وإرادته الشرعية، ولهذا يرى أن ما قضاه الله وأراده كوناً فإنه قد أراده شرعاً مما يستلزم محبة ذلك الشيء. ولهذا فهو يرى بأن وجود الفرق في تاريخ المسلمين مصدر فخر ودليل على سماحة الإسلام وقبوله

للتعددية! غير مفرق بين "حق" و"باطل" أو "أهل سنة" وغيرهم من أصناف البدع؛ فالجميع سواسية!

يقول البشري مدللاً على سماحة الإسلام!: "إن وجود فرق إسلامية طوال هذا التاريخ، وبقاء الأمة الإسلامية إلى اليوم؛ دليل واضح على نجاح الواقع الإسلامي؛ لأنه استطاع أن يعطي فسحة قوية جدًا وواسعة لوجود تنوع في الرأي بين المسلمين..."[(١)].

٤- ينقل البشري عن عبد الحميد متولي ـ مؤيدًا ـ: "وبالنسبة للإجماع كمصدر للتشريع الإسلامي يلاحظ الدكتور متولي أنه فيما يتعلق بالمسائل الدستورية فإن صدور الإجماع في عصر سابق لا يلزم في عصر لاحق؛ أي لا تكون له حجية شرعية، ولا يعتبر تشريعاً عاماً"[(٢)].

وهذا كلام شنيع ينقض أصول الشريعة؛ وقد بيَّن العلماء أن مخالف الإجماع المعلوم يكفر[(٣)]؛ فكيف بمن اعتقد هذا القول القبيح؟! وانظر للرد على موقف العصرانيين من الإجماع: رسالة "الاتجاه العقلاني لدى المفكرين الإسلاميين المعاصرين" للشيخ سعيد الزهراني، (٢/٦٠٦-٦١٧).

ختاماً: أسأل الله أن يهدي هؤلاء العصرانيين إلى التزام الحق، وترك ما هم عليه من انحرافات، وأن يجعل جهودهم مسددة لأعداء الإسلام: من صليبيين ويهود وعلمانيين.. وغيرهم؛ ويصرفهم عن أن يكونوا مطيةً لأولئك الأعداء.

والله أعلم، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم

---

(١) المجلة العربية، عدد شعبان ١٤١٩هـ.

(٢) بين الجامعة الدينية والجامعة الوطنية..، ص ٣٥.

(٣) يقول شيخ الإسلام: "الإجماع المعلوم يكفر مخالفه" (الفتاوى ١٩/٢٧٠).

لو قالها غيرك ياسهيلة

(ردا على الآراء الجديدة لسهيلة زين العابدين)

لو غيرك قالها يا سهيلة!

تابعت ـ كغيري ـ الحلقات الخمس التي كتبتها الأستاذة سهيلة زين العابدين عن ما سمته (حقوق المرأة)، وتساءلت مع غيري: هل هذه سهيلة الكاتبة الإسلامية القديرة التي كنا نقرأ لها قديماً أم هو تشابه أسماء ؟! ثم بعد أن عملت بالحقيقة أنشدت:

طوى (المدينة) حتى جاءني خبر
فزعت فيه بآمالي إلى الكذب
حتى إذا لم يدع لي صدقة أملاً
شرقت بالدمع حتى كاد يشرق بي!

وسبب تعجبي ـ بل ألمي! ـ أن الأستاذة سهيلة بعد هذا العمر المديد والجهد المشكور في عالم الكتابة لم تجن من ذلك سوى ترديد ما نشره العصرانيون ومن نسميهم فقهاء ضغط الواقع في أبحاثهم ودراساتهم، من أفكار شاذة وأقوال باطلة يلتقفونها من هنا وهناك دون ورع أو خوف من خرق إجماع أو مشاقة نص صريح، إنما هو اتباع الهوى ـ والعياذ بالله ـ.

وقد عهدنا المرء كلما ازداد سيره في طريق الحق ازداد رسوخاً وثباتاً واعتصاماً وفخراً بما هو عليه. فما الذي أصاب كاتبتنا الكبيرة؟! أهي كبوة فرس، أم تنازلات أملاها ما تمر به حياتنا من ضغوط وتكالب عدو؟ فإن كانت الأولى فلتراجع الكاتبة نفسها ولتصحح خطأها، وإن كانت الأخرى فلتثبت على الحق ولا تتبع أهواء الذي لا يوقنون فإن كيدهم ومكرهم عما قريب ينقلب عليهم ـ إن شاء الله ـ ﴿ وَإِن تَصۡبِرُواْ

وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا ﴾[1].

وقد أحببت أن أشير إلى شيء من تجاوزات وأخطاء الأستاذة نصحاً لها وللقارئ الذي قد يفوت عليه بعضها ثقة بكاتبتها. وقد جعلتها على نقاط موجزة.فأقول ـ مستعيناً بالله ـ:

١- من قرأ مقالات الأستاذة لن تخفى عليه تلك اللغة القلقة التي صيغت بها المقالات، وكأنها توحي للقارئ بأن الكاتبة غير مقتنعة تماماً بكثير مما ذكرته، وأنها أقحمت نفسها إقحاماً فيه، ولبست ثوباً فصل لغيرها لا لها. فلسان الحال يقول لها: ليس هذا عشك فادرجي إنما هو عش أهل التغريب والعصرنة.

٢- نقلت الأستاذة جل ما في مقالاتها من كتب وأبحاث العصرانيين ومدعي الانتصار للمرأة، ومن سبق له أن اطلع على إنتاجهم علم أنها تردد ما رددوه وتنقل شبهاتهم كما هي. وكنا نربأ بالأستاذة عن هذا الإنتاج العفن الذي يضاد شرع الله في كثير مما أتى به.

١- خلطت الأستاذة في مقالاتها بين الحق والباطل. فذكرت حقوقاً شرعية للمرأة؛ كحقها في الميراث أو في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أو في إجارة المحارب، وغيرها ذلك من الحقوق التي جاءت بها الشريعة. ولكنها أفسدت هذا كله عندما مزجتها بشيء غير قليل من حقوق متوهمة للمرأة قلدت فيها الآخرين وخالفت فيها شرع رب العالمين ـ كما سيأتي ـ.

٢- أوهمت الأستاذة قارئها أن سبب عدم حصول المرأة لما تدعيه

---

(١) سورة آل عمران الآية ١٢٠.

حقوقاً لها هو "تعالي الرجل على المرأة ورغبته بأن تكون التابع له، فهو لا يريدها أن تتقدمه، بل لا يريدها أن تسير معه جنباً إلى جنب، وإنما يريدها دائماً خلفه" !! وتجاهلت أو تغافلت عن السبب الحقيقي وهو مصادمة تلك الحقوق الموهومة لنصوص الشرع. فشابهت في هذا غلاة النساء الداعيات لتحرير المرأة الذين يصورون المسألة على أنها صراع بين الرجل والمرأة وعداوة متأصلة بينهما ! ليهونوا الأمر أمام القارئ، كما تردده نوال السعداوي كثيراً في أبحاثها. وهذه مغالطة كبيرة تقوم على تخيلات ووسوسات مرضية أنتجتها كثرة القراءة في كتب أدعياء التحرير، حيث نقلت القضية من كونها اتباعاً للشرع من عدمه إلى هذا الصراع المتخيل الذي لا يلجأ إليه إلا المرضى النفسيون من أدعياء التحرير الذي نربأ بالدكتورة أن تشابههم فيه. ويكفي الأستاذة قوله ـ ﷺ ـ في الحديث الصحيح: "إنما النساء شقائق الرجال" ولكن هذا لا يعني أن نتكلف لهن حقوقاً لا تناسبهن كما فعلت سهيلة.

٣- أجادت الأستاذة كثيراً في تنبهها إلى أن الغرب يضغط على بلادنا في سبيل إقرار نموذجه الغربي للمرأة، وأنه يستعين في ذلك بطائفة العلمانيات المنافقات الموجودات بيننا ـ لا كثرهن الله ـ. ولكنها هولت الأمر، مقترحة أن الحل يكمن في أن نعطي المرأة تلك الحقوق التي اقترحتها ! وفاتها أن الخطأ لا يعالج بخطأ آخر وإنما يعالج بإعطاء المرأة حقوقها (الشرعية) والثبات على دين الله إلى أن نلقاه، دون استكانة أو خضوع لمطالب الغرب أو ضغوطهم، وقد قال تعالى محذراً من هذه الاستجابة ﴿ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ

ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾[١] وقال سبحانه ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴾[٢] وقال: ﴿ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ﴾.[٣] هذا هو الحل، أما تقديم التنازلات فهذا هو الذي يريده الأعداء، وهم في النهاية لن يرضوا حتى نتخلى عن ديننا كله ونلحق بأديانهم الباطلة والعياذ بالله، ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾[٤]. وفي ظني أن العلمانيات في بلادنا لا يطمحون بربع ما اقترحته الأستاذة للمرأة من حقوق !! فالله الله يا سهيلة أن تكوني عوناً لهن ومعبراً إلى ما يخالف شرع الله .

٤- استدلت الأستاذة بقوله تعالى ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾[٥] على أن للمرأة أن تتولى نصب الإمامة العظمى (الخلافة) !!، وهذا من أعجب ما رأيت من الاستدلالات؛ لأن هذه الآية تبين أن المؤمنين ذكوراً وإناثاً يتناصرون ويتعاضدون ويتعاونون على الخير ولا دخل لها بالولاية (بكسر الواو) من قريب ولا من بعيد. ولم يقل بهذا القول الغريب الذي جاءت به الأستاذة أحد من المفسرين. ولهذا فإن الكاتبة عندما لم تجد

---

(١) سورة البقرة الآية ١٢٠.

(٢) سورة الطلاق الآية رقم ٢.

(٣) سورة آل عمران الآية ١٢٠.

(٤) سورة البقرة الآية ١٢٠.

(٥) سورة التوبة الآية ٧١.

أحداً منهم يؤيد رأيها هذا، نقلت بعض أقوالهم ! فنقضت قولها بيدها وهي لا تشعر!.

٥- قالت الأستاذة بأن الحديث الصحيح "لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة" (لا يلغي حق الولاية للمرأة) وأنه مقصور على الفرس فقط ! ثم استشهدت بأن بعض الدول الإسلامية قد تولت فيها المرأة منصب الإمامة العظمى وبعض المناصب الكبيرة.

قلت: وفي قولها هذا مشاقة لرسول الله - ﷺ - ومخالفة صريحة لحديثه السابق؛ لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، لا سيما وقد أكده - ﷺ - (بلن) الدالة على التأبيد المطلق للنفي. وأما استدلالها بتولي النساء في بعض البلاد الإسلامية لبعض المناصب؛ فإن الإسلام حجة على الخلق وليس العكس، وما مثل الأستاذة في استدلالها هذا إلا كمن يستدل بجواز شرب الخمور أو السماح بذلك؛ لأن لبعض الدول الإسلامية فعلته!.

٦- ادعت الأستاذة أن الأحناف يقولون بجواز أن تكون المرأة قاضية في غير الحدود والقصاص، وهذا غير صحيح، بل الأحناف موافقون للجمهور القائلين بعدم جواز ذلك، وإنما الذي غرها هو أن الأحناف قالوا بأن المرأة لو وليت القضاء وقضت بما يوافق الكتاب والسنة فإن حكمها ينفذ مع الإثم. (انظر لرسالة: ولاية المرأة في الفقه الإسلامي، للباحث حافظ أنور، ص ٢٢٢ وما بعدها).

٧- خالفت الأستاذة إجماع علماء الإسلام في عدم جواز شهادة المرأة في "الجنايات" (انظر الإجماع لابن المنذر، ص ٦٤-٦٥). وفي هذا خطورة على دينها - هداها الله -.

٨- ذكرت الأستاذة أن عمر بن الخطاب - ﷺ - ولى "الشفاء بنت عدي" أمر الحسبة ! وهذا الأثر الذي ذكره ابن حزم في المحلى (٨/ ٥٢٧) دون إسناد! قال عنه ابن العربي المالكي: "لم يصح، فلا تلتفتوا إليه، فإنما هو من دسائس المبتدعة في الأحاديث" (احكام القرآن ٣/ ١٤٥٧).

٩- قالت الأستاذة: "إن إحرام المرأة في وجهها وكفيها، فلا يجوز أن تتنقب أو تغطي وجهها وتلبس قفازاً وهي محرمة، وإن فعلت فعليها أن تفدي، ولكنا نجد البعض يلزم المرأة بتغطية وجهها وهي محرمة...." الخ كلامها، وفيه خلط كثير لابد من توضيحه.

فقولها بأنه لا يجوز للمرأة المحرمة أن تنتقب أو تلبس القفازين صحيح؛ لنهيه - ﷺ - عن ذلك، ولكن ليس معنى هذا أنه لا يجوز لها أن تغطي وجهها بغير النقاب كما قد يفهم البعض، ومنهم الأستاذة، إنما المعنى أن لا تغطي وجهها أو كفيها بما يكون مفصلاً على مقدار العضو، وهو ما يسميه الفقهاء "المخيط"، ولكنها تستر وجهها عن الأجانب بسدل جلبابها أو خمارها. وهذا ما فعلته زوجاته - ﷺ - ونساء الصحابة - رضي الله عنهن -. قالت عائشة - رضي الله عنها -: "كان الركبان يمرون بنا ونحن مع رسول الله - ﷺ - محرمات، فإذا حاذوا بنا سدلت إحدانا جلبابها من رأسها على وجهها، فإذا جاوزونا كشفناه" رواه أبو داود. وعن أسماء بنت أبي بكر - رضي الله عنها - قالت: " كنا نغطي وجوهنا من الرجال، وكنا نمتشط قبل ذلك في الإحرام" رواه الحاكم وقال على شرط الشيخين. وعن فاطمة بنت المنذر قالت: "كنا نخمر وجوهنا ونحن محرمات مع أسماء بنت أبي بكر - رضي الله عنها -" رواه مالك في الموطأ.

فكيف تدعي الأستاذة أن المحرمة لا يجوز لها ستر وجهها بغير النقاب؟! الذي لم يقل به حتى القائلون بكشف وجه المرأة أمام الأجانب؛ كالألباني مثلاً.

وما حال الأستاذة إلا كحال من يدعي أن الرجل لا يجوز له أن يستر عورته في الإحرام؛ بسبب أن الرسول ـ ﷺ ـ نهاه أن يلبس السراويل وهو محرم ؟!!

وهذا من الفهم السقيم ـ كما سبق ـ لأن نهي الرجل أو المرأة عن لبس ما يفصل على مقدار العضو ليس معناه أن لا يستره بغير ذلك.

ومقولة الفقهاء التي أساء فهمها كثير من الناس، وهي "إحرام المرأة في وجهها" يعنون بها ما ذكرته سابقاً من أنها لا تغطيه بالنقاب ولكنها تستره بغير ذلك.

١٠- ادعت الأستاذة أن عائشة ـ رضي الله عنها ـ كانت لها "الولاية" في موقعة الجمل!! وهذا غير صحيح أبداً، لأن عائشة ـ رضي الله عنها ـ لم تخرج محاربة ولا طالبة للخلافة ! وإنما خرجت ـ بعد أن أقنعها الناس ـ داعية للإصلاح بين المتخاصمين، وكان هذا اجتهاداً منها ـ رضي الله عنها ـ. ثم ندمت بعد ذلك، وكان من قولها ـ كما في المستدرك (٣/ ١١٩): "وددت أني كنت ثكلت عشرة مثل الحارث بن هشام وأني لم أسر مسيري مع ابن الزبير" وكانت إذا قرأت ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ ﴾[١] بكت حتى تبل خمارها.

(انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي ٢/ ١٧٧).

١١- جعلت الأستاذة من حقوق المرأة التي حرمها إياها الرجل:

---

(١) سورة الأحزاب الآية ٣٣.

التعلق بأستار الكعبة!! وفاتها أن هذا بدعة ما أنزل الله بها من سلطان، ولا يفعلها إلا الجهلة.

١٢- أخيراً: أنصح الأستاذة سهيلة بقراءة رسالتين جامعيتين قيميتين تتعلقان بما طرحته من مواضيع، هما: "ولاية المرأة في الفقه الإسلامي" للباحث حافظ أنور، ورسالة : "المرأة والحقوق السياسية في الإسلام" للباحث مجيد أبو حجير.

وفق الله الأستاذة للحق، وجعلها ـ كما عهدناها ـ من الداعيات إليه، الثابتات عليه كما قال سبحانه: ﴿ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴾[1]، جنبني الله وإياها حال أهل الريب والشك.

والله أعلم ، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

---

(١) سورة الحجر الآية ٩٩.

من يعيد لنا سهيلة ؟!



الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين:

تفاجأ كثيرون بالمواقف الأخيرة للكاتبة/ سهيلة زين العابدين التي تخالف الشخصية التي تكونت عندهم عنها خلال سنين طويلة؛ حيث كانت ـ وفقها الله للخير ـ من أوائل الداعيات في بلادنا، وكانت في فترة ماضية تسبح وحدها عكس التيار التغريبي في مجال الإعلام.

ولكنها بمواقفها الأخيرة محت تلك الصورة الجميلة .. عندما تلقفها أهل الأهواء فرحين وطاروا بمقالاتها وتصريحاتها؛ نكاية بأهل الإسلام، كما فعلوا مع غيرها من المنتكسين من قبل.

فما بال سهيلة ارتضت هذا السقوط المشين، ولم تصبر على الحق الذي تعرفه قبل غيرها؟!

الأجْل فتنة عابرة وأزمة طارئة يتنازل المرء عن أمور دينه؟!

أم لأجْل (ظروف مالية صعبة) يمر بها يداهن الآخرين ويرضيهم؟!

أين الثبات على الدين وقت الفتن والأزمات ؟!

ألم تقرأ قوله تعالى: ﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴾[1]؟!

ألا تخشى أن تكون ممن قال الله فيهم: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾[2].

---

(١) سورة الأحزاب الآية: ٢٣

(٢) سورة النساء الآية: ١١٥

أسأل الله أن يثبتني والمسلمين على دينه إلى أن نلقاه .

وقد أحببت في هذا المبحث أن أنقل مقتطفات من كتب الأستاذة سهيلة القديمة تناقض ما صدر عنها مؤخرًا؛ لعلها تكون دافعًا لها أن تراجع أمرها قبل أن توغل وتتمادى في هذا الدرب المظلم فيصعب حينها الرجوع:

رأيها في الحجاب

تقول سهيلة:

(تعمد المغرضون ـ من أعداء الإسلام وأعوانهم من أبناء الإسلام ممن تتلمذوا على أيديهم وتأثروا بآرائهم ـ ربط الحجاب بالتخلف والسفور بالتطور، لتنبذ المرأة السعودية حجابها، كما نبذته من قلبها أختها المسلمة، والتي سارت على نهج وخطى المرأة الغربية، لخضوع بلادها تحت سيطرة الاستعمار الأجنبي الذي عكف على إبعادها عن دينها، فنشر المدارس التبشيرية، وعمم التعليم المختلط، وأقصى مناهج التعليم عن الدين، وأخذ يوهم المرأة المسلمة أن دينها لم ينصفها، وقد أدرك بخبثه الفذ أن حجاب المرأة المسلمة، إن كان في ظاهرة يحجب وجهها، وجسدها، ومفاتنها عن نظر الرجل، فهو في حقيقته كان ـ وسيكون ما دامت متمسكة به ـ حجاباً لها من الفساد، وسداً منيعاً، ودرعاً واقياً لها من السقوط في مهاوي الرذيلة ـ وليتها أدركت هذه الحقيقة، وأدركها معها مجتمعها!! ـ ولهذا نجد المستعمر قد ركز هجومه وحملاته على الحجاب، منادياً بالسفور والتبرج، وخلع عليهما اسم "التحرر". ولكي يصبغ دعوته هذه الصبغة الشرعية ـ كعادته في دعواته ـ جعل بعض أبناء الإسلام يتبنونها، وكان في مقدمتهم قاسم أمين،

الذي تطوع في نشر ما يسمى "بدعوة تحرير المرأة"، التي اتخذتها المرأة في بعض البلاد الإسلامية شعاراً لها، فقذفت بحجابها بعيداً، متخذة من المرأة الغربية قدوة لها، واعتبرتها المثال الذي يحتذى، فسلكت سلوكها، وامتهنت مهنها، حتى تلك التي حرمها الله عليها لحمايتها ولصيانتها، كعملها في صالات القمار، وحانات الخمور، وفي الملاهي الليلية، راقصة وغانية، وخلعت ثوب الحياء في هذه الأعمال وغيرها، وتدنت بل انحطت إلى أقصى درجات الهمجية والإباحية، وشرع المغرضون وعبيد شهواتهم وغرائزهم يمجدون أعمالها هذه، واعتبروها خدمة كبرى لمجتمعها، واتهموا المعارضين بالرجعية والتخلف، ووصفوهم بأنهم ذوو عقليات متحجرة، لا تجاري واقعها، ولا تعايش عصرها، ولا ترضى لمجتمعها التطور، وهكذا نجد المجتمع المسلم اللاهث وراء التطور بلهفة العطشان، رضي للمرأة المسلمة وضعها الجديد، مسلماً به باسم التطور، وكأن التطور لا يأتي إلا من هذا الباب، وغاب عنه أنه بتسليمه هذا، قد قذف بنفسه في أحضان التخلف والتبعية التي نبذها وضحى بحياة الكثير من أبنائه من أجل التخلص منها، ومما لا شك فيه أن الذي ساعد على نجاح هذا المخطط الاستعماري الخبيث، وسرعة استجابة المرأة المسلمة له، هو تلك المعاملة التي كانت تعامل بها والتي حرمتها من الكثير من حقوقها، ونسبة هذه المعاملة الظالمة إلى الإسلام، والإسلام منها براء، مما جعلها تصدق ما يقال لها عن دينها، فرأت أنها لن تحصل على حقوقها المسلوبة إلا إذا سلكت سلوك المرأة الغربية، وظهرت بمظهرها .

ولما كانت ظروف المرأة السعودية مشابهة تماماً لظروف أختها المسلمة من ناحية نظرة مجتمعها لها، ومعاملته لها، وتطلع هذا المجتمع إلى

التطور، أخذ الأعداء يلعبون معها تلك اللعبة القذرة التي لعبوها من قبل مع أختها المسلمة، مستغلين خروجها إلى مجتمعاتهم وتلقي بعض أخواتها العلم في مدارسهم وجامعاتهم، وإقامة بعضهن في بلادهم سنين وأعواماً، وانبهار البعض بحضارتهم، استغلوا كل هذا ليوجهوا مسيرتها الوجهة التي يريدون لأهداف ذكرتها آنفاً، فشرعوا يرددون على مسامعها أن المرأة المحجبة متخلفة، لأن الحجاب يعيقها عن التطور، وأن الاختلاط بين الجنسين قد بات من الضروريات، وأن هناك ما يسمى بحسن النية، فإذا ما اختلطت المرأة بالرجل، وكانت نية كليهما حسنة، فلا حرمية في اختلاطهما، ولا مندوحة من صداقتهما، وأنها لا تساهم في نهضة وتقدم مجتمعها، إلا إذا خرجت من بيتها للعمل ... الخ).
(مسيرة المرأة السعودية، ص ١٥ - ١٨).

وتقول سهيلة عن أضرار السفور والاختلاط وفضيلة قرار المرأة في بيتها!

(إذاً الأمر الإلهي للنساء بالقرار في البيوت لم يكن عبثاً وإنما نتيجة لإدراك دور المرأة في التربية والإعداد.

ولقد واكب خروج المرأة إلى العمل التكسبي: السفور والتبرج والاختلاط، ولو تأملنا قوله تعالى: ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ﴾[1] يثبت لنا أن خروج المرأة من بيتها أدى إلى سفورها وتبرجها، والسفور والتبرج والاختلاط من أخطر المظاهر على الأخلاق، ومن أهم عوامل النكسة الأخلاقية التي أصيبت بها أمتنا الإسلامية والتي أوصلتها إلى ما وصلت إليه.

---

(١) سورة الأحزاب ٣٣.

فلقد كرم الإسلام المرأة بفرض الحجاب عليها، فهو تكريم معنوي ومادي وليس حبساً وقهراً لها، إنما هو صيانة لجمالها وعرضها وعفافها، فالله سبحانه هو الخالق للنفس البشرية ويعلم طبيعتها ويدرك وسائل إدراك الإنسان، الإدراك والوجدان، وأنهما يؤديان إلى نزوع أي محاولة للحصول على ما يستقر في وجدانه من ميل عاطفي تجاه ما يراه ويدركه، كما أنه يدرك مدى وقع المرأة على الرجل وافتتانه بها، وما هو مزود به من غرائز تجاهها وأنه لو ترك بهذه الغرائز دون كابح يكبحها وضابط يضبطها مطلقاً وأطلق لها العنان لفسد المجتمع ولأصبحت سلالته كلها سلالات فاسدة، بل لأصبح المجتمع الإنساني مجتمعاً حيوانياً.

فمنعاً للفتنة ونشر الفساد، ورحمة بالرجل والمرأة فرض الحجاب على المرأة وأمر الرجل والمرأة بغض البصر، ولكن الرجل والمرأة ظلما نفسيهما عندما أباحا لنفسيهما النظر إلى بعضهما ، كما أباحا للأنثى أن تظهر جمالها وزينتها للرجل وتجالسه في مقاعد الدراسة ومكاتب العمل ، ومع هذا فهما مطالبين بالعفاف والطهر، وهذا مناقض لطبيعة النفوس البشرية إذ كيف نسمح للرجل بالنظر إلى المرأة وهي بكامل زينتها ومجالسته لها جنباً إلى جنب في مقاعد الدراسة ومكاتب العمل بل والخلو بها ثم نقول لهما : لا تزنيا، كونا طاهرين عفيفين؟!

إن نظرة منا إلى المجتمعات الغربية وما يحدث فيها من انتهاك للأعراض والانحلال وفساد لهو أكبر دليل على السفور والتبرج والاختلاط). (دور المرأة المسلمة في وضعنا الراهن ، ص ٥٥ - ٥٧) .

وتدعو سهيلة للحد من الاختلاط في الدول الإسلامية غير السعودية!:

(أما بالنسبة للحد من الاختلاط فإنه على الدول الإسلامية ـ وهنا يجدر بنا أن نستثني المملكة العربية السعودية لأنها الدولة الوحيدة في العالم التي لا تبرج ولا اختلاط فيها ـ أن تعمل من أجل القضاء على الاختلاط). (المرأة بين الإفراط والتفريط ، ص ٥٠ - ٥١) .

وتنعى على بعض الناس الذي:

(تجده متهاوناً مسرفاً في تهاونه إلى أبعد الحدود، لدرجة أنه أباح للمرأة ما حرمه الله عليها، فتجده أباح السفور والتبرج والاختلاط، وغدت احتفالاته ونزهاته واجتماعاته لا تخلو من ذلك ؛ بل أصبحت عنده عادة من العادات استصحاب الزوج زوجته لزيارة أصدقائه وجلوسها معهم سافرة متبرجة، بل هناك من الأزواج من أجبروا زوجاتهم على السفور والتبرج أمام أصدقائهم وأقاربهم، ويهددونهن بالطلاق إن لم يستجبن لهم. وهناك أيضاً من سمح لابنته أو أخته أو زوجته بالعمل في الإذاعة والتلفاز كمذيعات أو ممثلات بقصد خدمة المجتمع، وهناك من لا يمانع من خلوة ابنته أو أخته بخطيبها وخروجها معه بمفردها دون رقابة أحد فيحدث ما لا يحمد عقباه). (مسيرة المرأة السعودية ، ص ٢٦).

وتقول عن حكمة فرض الحجاب وعدم الاختلاط:

(إن حكمة الإسلام في فرضه الحجاب وتحريمه السفور والتبرج، هي ذاتها في تحريمه الاختلاط، لذا فهو لا يجيز لها الاختلاط بالرجال في الحفلات العامة أو المنتديات، ولو كانت محتشمة، فنذهب بها (في خارج

المملكة) إلى الملاهي الليلية والأماكن المشبوهة، حتى ولو كانت محتشمة يقلل من مكانتها ويعرضها للشبهات، وللأسف الشديد أن بعض من سيداتنا المتحجبات منهن يذهبن إلى هذه الأماكن بهدف الترويح عن النفس، اعتقاداً منهم أنهن ما دمن متحجبات لا إثم عليهن وهذا خطأ كبير، فالذهاب إلى الأماكن المشبوهة، والاختلاط بالرجال والجلوس مع من لعبت برؤوسهم الخمر، والنظر إلى الراقصات الخليعات وعورات النساء وسماع الغناء الفاحش المبتذل، كل هذا فيه آثام وذنوب ومعصية للخالق). (مسيرة المرأة السعودية، ص ٣١) .

وأما عن الخلوة المحرمة فتقول سهيلة:

(والإسلام لا يجيز للمرأة الخلوة برجل أجنبي، حتى ولو كان خطيبها فهو يحرم اختلاءها به لأنها محرمة عليه، فإذا وجد محرم جازت الخلوة لامتناع وقوع المعصية مع حضوره، لقوله ـ ﷺ ـ: "**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يخلو بامرأة ليس معها ذو محرم، فإن ثالثهما الشيطان**"، وللأسف الشديد أننا نجد كثيراً من الأسر المتهاونة تسمح لبناتها بالخلوة مع خطابهن، والخروج معهم دون رقابة، ودون رفقة أحد، وكثيراً ما ينتج من هذه الخلوات ما لا يحمد عقباه، ويقع المحظور، ولا يتم الزواج.

أما مسألة حسن النية، فتحريم الاختلاط والخلوة لم يستثن حسن النية، لأنه ما اجتمع رجل أجنبي بامرأة إلا وكان الشيطان ثالثهما، ولذلك حذر رسول الله ـ ﷺ ـ من هذا النوع من الاختلاط، وأسماه الموت، فقد قال عليه الصلاة والسلام: "**إياكم والدخول على النساء، فقال رجل من الأنصار: أفرأيت الحمو؟ قال: "الحمو الموت"** والحمو هو

قريب الزوج، وقد عبر عنه بالموت لما يسفر عن هذا النوع من الاختلاط من سفك الدماء). (مسيرة المرأة السعودية، ص ٣٢-٣٣) .

وأما عن عمل المرأة فتقول:

(فالإسلام وإن كان لم يحرم على المرأة العمل خارج بيتها للضرورة الملحة، إلا أنه لا يستريح لخروجها منه، ويفضل بقاءها فيه، والتزامها له لصالحها هي، وللصالح العام، ولهذا قال تعالى في كتابه الكريم﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ ﴾[١]). (مسيرة المرأة السعودية، ص ٨٥) .

وتقول عن العمل الصحفي للمرأة:

(دفع الحماس الصحفي بإحدى الأخوات الصحفيات إلى مقابلة بعض المسؤولين في مكاتب أعمالهم، وإجرائها معهم مقابلات صحفية، وفي الحقيقة

أنا لا أتمنى أن تصل الصحفية السعودية إلى هذه النتيجة، لأن هذا ليس لصالحها، إذ يجب أن لا نحقق أحلامنا على حساب ديننا وقيمنا ومثلنا، وأن لا نتبع أهواءنا في أية خطوة نخطوها، وأي قرار نتخذه، فعلينا أن نجعل ديننا هو مرجعنا، وأن نكون بعيدين النظر في قراراتنا وخطواتنا، ونعمل حساباً لنتائجها قبل الإقدام عليها، ولا نعمل حساباً للوقت الذي نعيشه فقط، بل علينا أن نعمل حساباً للأجيال المتعاقبة).

(مسيرة المرأة السعودية ، ص ٨٤) .

وعن عمل المرأة في الصحة تقول :

(إن عمل المرأة في وزارة الصحة بوضعه الحالي يعرضها للشبهة

---

(١) سورة الأحزاب الآية: ٣٣

والفتنة، لما فيه من اختلاط، إذ يجب افتتاح مستشفيات خاصة للنساء خالية من الاختلاط، بحيث يكون جميع العاملين فيها من إداريين وأطباء وصيادلة وعمال نظافة...الخ من السيدات على أن يعمل ملحق بالمستشفى للعمليات الجراحية تحول إليه المريضات للضرورة، ويكون هذا الملحق منعزلاً عن المستشفى النسائي).(مسيرة المرأة السعودية ،ص٩٠).

أما عن اقتراحاتها للمسؤولين عن المرأة السعودية فتقول :

وذلك عن طريق الآتي:

١ - منع المرأة السعودية من العمل في الإذاعة والتلفاز كمطربة، أو ممثلة، أو مذيعة؛ لأن عملها في هذه المجالات يعد من أخطر المتناقضات الموجودة في المجتمع، فمعروف أننا متمسكون بالحجاب وبعدم الاختلاط، وملتزمون بتعاليم الدين الإسلامي، وكم من الصعوبات تواجهنا في سبيل توفير الكوادر العلمية النسائية للتعليم العالي للبنات، من أجل تجنيب الفتاة السعودية الاختلاط، وتفادي أن يقوم الرجل بتعليمها وجهاً لوجه، وقد أوجدت الدوائر التلفازية المغلقة في جامعاتنا وكلياتنا لهذا الغرض، فكيف نسمح بالاختلاط وبكل بساطة في الإذاعة والتلفاز، إذ لا تزال هناك فقرات تمثيلية رغم قصرها تمثل فيها بعض الفتيات السعوديات يعرضها التلفاز، ونحن نعلم أن عمل المرأة في هذه المجالات مع الرجال لا يتفق مع تعاليم الدين.

وإنني هنا أتوجه برجاء خاص إلى معالي وزير الإعلام، أن يوقف المرأة السعودية من العمل والغناء في الإذاعة، ومن التمثيل في الإذاعة والتلفاز، وأن يمنع المطربات السعوديات من إحياء حفلات خارج المملكة.

٢- إعـادة تـصميم الكبـائن الموجـودة علـى شـواطئنا البحريـة، فتصميمها الحالي لا يتفق تماماً مع تعاليم ديننا، فهي مـصممة وكأنهـا في أوروبا أو في أي مكان آخر غير المملكة العربية الـسعودية بلـد الحجـاب وعدم الاختلاط ...

٣- منع الرجال مـن القيـام بأعمـال الـضيافة في حفـلات الزفـاف المقامة في الفنادق، كما يمنع دخول أي رجل إلى صالة الاحتفال الخاصـة بالسيدات مهما كانت صلته بالعروسين...

٤- عدم السماح لأيـة طالبـة سـعودية مـن الدراسـة في الخـارج في مدارس أو معاهد أو جامعات مختلطة، وإلزام كل سعودية بارتداء الـزي الإسلامي عندما تسافر خارج المملكة). (مسيرة المرأة السعودية ، ص ١٠٣- ١٠٥).

قلت: هذه سهيلة التي نعرف ...... فمن يعيدها لنا ؟!

نظرة شرعية

في فكر

راشد الغنوشي



الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

يُعد الأستاذ راشد الغنُّوشي ـ وفقه الله للحق ـ واحداً من أبرز رموز الحركة الإسلامية في البلاد التونسية في عالمنا المعاصر ، وله مع إخوانه في تلك البلاد جهود لا تنكر في محاولة بعث الإسلام من جديد في نفوس أبنائه عبر حركاتهم الإسلامية المتنوعة.

وكما يعلم المتابع لهذه الحركة (أو الجماعة) منذ بداية نشأتها أنها خرجت من تحت عباءة جماعة الإخوان المسلمين ، الحركة الإسلامية الشهيرة التي أسسها حسن البنا ـ رحمه الله ـ عام١٩٢٨م.

يقول الدكتور صلاح الجورشي أحد أعضاء الحركة بتونس وهو يؤرخ لنشأة الجماعة الإسلامية في تونس في بداية السبعينات الميلادية التي كان الغنُّوشي أميراً لها: (لم يكن خطاب "الجماعة" في البداية إخوانياً صرفاً. بل كان خليطاً من السلفية والتصوف والمودوديات[(١)] وشيئاً مما كتبه مالك بن نبي الذي التقت به عناصر من النواة الأولى للجماعة في مطلع السبعينات ، وتحاورت معه في بيته قبل أن يوافيه الأجل بحوالي سنة ... الخ[(٢)]. هذا التمازج بين مصادر متعددة للفكر الإسلامي ، يفسر إلى حد ما المرونة التي ميزت العمل في الجانب

---

(١) نسبة لأبي الأعلى المودودي ، مؤسس الجماعة الإسلامية في باكستان ، الذي ترجمت كتاباته للعربية، ووجدت رواجاً كبيراً في صفوف الإسلاميين العرب ، وكان سيد قطب من أكثرهم تأثراً به.

(٢) كما كان هناك تأثر ببعض الزيتونيين الذين حافظوا على موقف معاد للبورقيبية أمثال الشيخين محمد صالح النيفر وعبد القادر سلامة صاحب مجلة المعرفة التي ستصبح الناطقة باسم " الجماعة ".

التنظيمي، حيث سعت المجموعة في البداية إلى افتكاك موقع داخل جمعية المحافظة على القرآن الكريم لتتخذ منه غطاء قانونياً . ثم لما فشلت المحاولة ، تبنت الجماعة طريقة " جماعة التبليغ " التي تتمحور حول الوعظ المسجدي، وتحريض المتعاطفين إلى الخروج إلى الناس ودعوتهم إلى الإيمان والصلاة. غير أن هذا التنوع في عناصر الخطاب سرعان ما تراجع لصالح أدبيات حركة " الإخوان المسلمون "، التي كان يطلق عليها كبرى الحركات الإسلامية في منطقة الشرق الأوسط والعالم الإسلامي)[١].

أما فكر سيد قطب ـ رحمه الله ـ فهو يحتل المكان الأعلى في نظر أبناء الحركة الإسلامية في تونس خلال سنوات التكوين الأولى. يقول الدكتور صلاح عن هذا الفكر بأنه: (كان المصدر الرئيسي لثقافة الجماعة)[٢] بل إن الغنُّوشي نفسه يعترف بهذا الارتباط بجماعة الإخوان المسلمين من البداية قائلاً: (كنا ننظر لسيد قطب، البنا، المودودي .. هؤلاء شيوخنا، لأنهم حملوا اللواء لواء الإصلاح الإسلامي. ولكن ما الذي يجعلنا نحترم رموز الموروث الديني الموجودين في بلادنا. أنا أقرأ الظلال ، ولكن ما الذي يجعلني أقرأ التحرير والتنوير؟. لم أكن أبحث عن العلم كعلم .. المكتبات مملوءة بالعلوم الدينية . كنت أبحث عن رمز ، عن أداة نضالية عن شخص أقتدي به كمصلح يخوض المعركة ضد العلمنة وضد الفساد ... ويضيف " كنت أقرأ وأكاد أحفظ عن ظهر قلب الظلال لأنه عندما أقرؤه كان يملأني

---

(١) الإسلاميون التقدميون (ص ٢).

(٢) الإسلاميون التقدميون (ص ٣٣).

حماساً. كنت أشعر بأنه يعطيني نظارات أنظر بها إلى هذا العالم ، وأحلل به الواقع العالمي ، ولكن ماذا يعطيني التحرير والتنوير غير ما يعطيني إياه الرازي وابن كثير؟ يعطيني مادة لغوية ، يعطيني رؤية عن إسلام ليس هو الذي أعيشه .. هذا قرآن معلق وليس قرآناً يمشي على الأرض..).[١]

قلت: هذا الارتباط العضوي من الغنُّوشي وجماعته بالجماعة الأم (جماعة الإخوان المسلمين) منذ بداية التكوين أوقعه وهو الرجل المثقف المفكر المنِّظر[٢] في الانحرافات المتنوعة التي لازمت هذه الجماعة منذ مؤسسها الأول (حسن البنا) الذي ارتضى لها هذا المنهج، من حيث عدم وضوح رؤيتها العقدية في كثير من المسائل المهمة ، مما جعلها تحاول المزج بين مذاهب ومشارب متباينة لتكوِّن منها خليطاً عجيباً يُدعى " الإخوان المسلمون "!، أداها إلى (التمايع) مع المذاهب المنحرفة عن طريق أهل السنة والجماعة غاضة الطرف عن زيغ هذه المذاهب في سبيل (التجميع) الموهوم.

هذا، إضافة إلى السعي الدؤوب لهذه الجماعة نحو الوصول إلى الحكم (وهو من أساسيات أهدافها) بأي طريقة كانت، ولو أداها ذلك إلى ارتكاب المحظورات فضلاً عن الشبهات.

مع عدم نسيان سير فقهاء الإخوان (كالغزالي والقرضاوي

---

(١) حوار معه نشرته بجلة" (تونس الشهيدة) نقلاً عن (الإسلاميون التقدميون ، ص٣٣).

(٢) يقول الجورشي عن حركة الاتجاه الإسلامي بتونس: " باستثناء الأستاذين راشد الغنُّوشي وعبد المجيد النجار بقيت الحركة لفترة طويلة لا تنتج كفاءات جديدة في مجال الإنتاج الفكري " (الإسلاميون التقدميون ، ص ١٢٦).

وغيرهم) نحو ما يسمونه مذهب التيسير في الفقه، الذي عن طريقه أحلوا كثيراً من المحرمات! مقدمين عقولهم وأهواءهم في سبيل ذلك على نصوص الكتاب والسنة . والأمثلة على هذا كثيرة ليس هذا موضعها.

كل هذا الانحراف الذي رافق مسيرة الإخوان المسلمين منذ البداية كان له صداه وأثره في فكر الغنُّوشي وآرائه ، حيث تابعهم في كل ذلك الانحراف:

- فوجدنا عنده عدم الوضوح العقدي.
- ووجدنا عنده (التمايع) مع أهل البدع.
- ووجدنا عنده الاختيارات الفقهية الشاذة.
- ووجدنا عنده التنازل عن كثير من مبادئ الإسلام في سبيل الوصول إلى كرسي الحكم.

كان هذا الانحراف من الغنُّوشي متوقعاً لدى الكثير من المتابعين للعمل الإسلامي. لأنه ما من فردٍ يندمج مع هذه الجماعة إلا وتطبعه بطابعها العام الذي تميز به أفرادها ، ومن شذَّ عن هذا الأمر ونجح ـ بسبب عوامل كثيرة ـ في التخلص من بعض تلكم الانحرافات السابقة[1]، فإنه لا شك سيتبقى معه شيء من آثارها تلوح بين الفينة والأخرى في مواقفه أو أقواله.

فالتربية الحزبية الجماعية المغروسة منذ الصغر أو منذ اندراج

---

(١) وهم من يُسمون (سلفيو الإخوان!) ، وهم من التزم العقيدة السلفية، ولكنه غلَّب الجانب الحزبي على حساب عقيدته، فوالى أهل البدع (الإخوانيين) وعادى غيرهم من السلفيين الذين ينكرون أخطاء وانحرافات جماعة الإخوان ، فأصبحت سلفيتهم تعاني من نقص شديد واضمحلال واضح لمبدأ الولاء والبراء الشرعي . أصلح الله أحوالنا وأحوالهم.

الإنسان في العمل الإسلامي عبر هذه الجماعة لا يزول أثره بالكلية مهما حاول المرء التخلص منه.

كم منزلٍ في الدهر يألفه الفتى وحنينه أبداً لأول منزل!

وهكذا كان الغنُّوشي! فهو منذ تطلعه للعمل من أجل الإسلام ساقته قدماه نحو الانضمام إلى هذه الجماعة المنتشرة بين قطاعات الشباب في زمنه، فتربى على أدبياتها، وانغرست في نفسه معالمها المميزة لها عن غيرها، وهو ما يسميه العارفون بالحق الكامن في الكتاب والسنة (انحرافات)، وإن كان غيرهم يراه (فضائل) أو مميزات!!

إذن: لم يكن هناك استغراب من وقوع الغنُّوشي في تلكم الزلات، لأنه مجرد فرد ضمن منظومة كبرى من الأفراد الذين تضلعوا في هذا الأمر فأصبحوا يرونه خلاف ما يراه الآخرون ولات حين خلاص.

بمعنى آخر: كيف تريد من شخص أن يتخلص من انحراف يراه هو من ضروريات العمل الإسلامي في هذا الزمان، ويسخر ويسفه من ينتقده أو يعترض عليه؟

لا شك أن الخلاص من أمر كهذا يعد من أعسر الأمور، وأشدها على نفس الإنسان، والتوفيق من عند الله يمن به على من يشاء من عباده.

هذا ما كان قديماً: عندما كان الغنُّوشي مجرد عضو من أعضاء تلكم الجماعة، أو وكيلاً لها في أرض تونس لا يملك تجاه إرشاداتها ومتطلباتها إلا السمع والطاعة، لذا فلم يكن انحرافه مما يثير أي متابع للساحة، لتعود المرء على مثل هذه الانحرافات من أفرادٍ كثيرين ينتمون لهذه

الجماعة، ممن هم أعلم وأفقه من الأستاذ راشد[(١)]، فكانت انتقادات المتقدين لمسالك الجماعة المنحرفة تنصب عليهم دون غيرهم من الأعضاء الآخرين الذين هم مجرد متابعين لتلك الزعامات: ومن هؤلاء الأعضاء الذين لم يكن يُلفت انحرافهم أحداً الشيخ راشد! فالتركيز كان منصباً على الأصول لا الفروع، وعلى القيادات لا المتابعين.

ثم تلاحقت الأحداث وتوالت ما بين تقلبات سياسية وفكرية شملت قطاعاً عريضاً من العاملين للإسلام في السنين الأخيرة، فإذا بالأستاذ راشد بعد أن شب عن الطوق (يتمرد) على مدرسته الأولى ويتفلت من كثيرمن ضوابطها ولوازم الانتساب لها. ويبدأ ينظر إلى تراثها نظرة الناقد المتفحص لا نظرة المريد الناشئ[(٢)]. وهذا في حد ذاته

---

(١) كالغزالي والقرضاوي مثلاً. ولأهل السنة ردود كثيرة على انحرافهما.

(٢) والمتمردون على منهج جماعة الإخوان المسلمين - ممن كانوا رموزاً فيها - كثيرون ، كالترابي وعبد الله النفيسي وإسماعيل الشطي وغيرهم.

وفي ظني أن سبب تمرد الكثيرين على الإخوان يعود إلى أمرين:

طول الأمد وعدم تحقيق الهدف الذي قامت الجماعة لأجله ، وهو إعادة الحكم الإسلامي ، برغم السنين الطويلة التي مرت على الجماعة ، وهذا ما يدعو هذه الفئة (المتمردة) إلى الانفضاض عن مبادئ الجماعة . والطعن فيها . وانتقادها ، وأنه لا شك في وجود خلل فيها ، فلهذا يلجأ هؤلاء إلى غيرها أو إلى الإنشقاق عنها بفكر جديد يزعم أنه يتفادى به ما وقعت فيه جماعته ، وهكذا دواليك!

ضجرهم من حصر الجماعة نفسها طوال هذه السنين الماضية منذ نشأتها في تراث حسن البنا ، وعدم محاولتها تجديده ، أو تقبل النقد له ، فيلجأ هؤلاء (المتمردون) بما أوتوه من عقل نقدي إلى تسليط مجهر النقد على ذلك التراث (البنائي) ، مما يثير رؤوس الجماعة ، وعندها يحدث الانشقاق أو الانفصال . كما سيأتي في مثل حالة (الإسلاميين التقدميين) في تونس.

ولكن المؤسف أن معظم هؤلاء المتمردين يلجأ بعد انفصاله عن الإخوان إلى الفكر العقلاني المتحرر من الضوابط الشرعية ، فيفسد أكثر مما يُصلح ، ويزيد من جراح الأمة وخلافاتها . ولو أنه لجأ إلى منهج الكتاب والسنة لوجد الأجوبة الشافية لحيرته وشتاته ، ولقلل من الخلافات والنزاعات بين أفراد الأمة ، والله المستعان.

مما يسر أهل الحق لو أن الأستاذ استثمر انقلاباته تلك في عرض مبادئ تلك الدعوة على الكتاب والسنة، فأخذ والتزم منها ما وافقهما، وتخلص مما خالفهما، وهو ما نتمناه من كل (إخواني).

ولكن المؤسف أن الغنوشي ـ هداه الله ـ قد زاد الطين بلة، والخرق اتساعاً، بانسياقه المتسارع خلف تيارات عقلية منفلتة من سلطة نصوص الكتاب والسنة، مقدمة عقولها وأهواءها على شريعة ربها، مما جعل المسافة تزداد بينه وبين الحق.

فأصبح يتهاوى بين حين وآخر في منزلق خطير قاده إليه تنازلاته المتكررة لصالح التيار (العقلاني) الجديد الذي استطاع أن يجد له موطئ قدم في عقلية الغنُّوشي الجديدة!

ومع تكرر هذه المزالق التي سقط فيها الأستاذ راشد كان لا بد من التصدي لهذا السقوط الشنيع، ومحاولة إيقافه على الأقل إن صعبت إعادته إلى جادته الأولى ـ على ما فيها ـ.

لهذا فقد أحببت أن أبين للناصحين من أبناء الإسلام التدرجات الفكرية التي مر بها الغنوشي إلى أن استقر على حاله الحاضر، مع ذكر أهم الأسباب التي قادته لهذا التدرج. ثم أوجز أهم الانحرافات التي وقع فيها الأستاذ وجانب الصواب، لعل ناصحاً أميناً يكون عوناً له ليتدارك زلله في مستقبل عمره، ويعود إلى صراط الله المستقيم قبل أن تتفرق به سُبل الضلال، وتتمكن من قبله الأهواء والشبهات، فيقال له بعدها ﴿ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ ﴾[1].

---

(١) سورة سبأ الآية ٥٤.

ولعل (بعض الدعاة) ـ هداهم الله ـ يتنبهون إلى خطورة مسلك (التدرج) الذي يسيرون فيه، والذي يتعاظم انحرافاً بصاحبه وهو لا يشعر، بل يسول له الشيطان بأنه على الجادة وغيره (المتعنت) أو (المتشدد) ! وما درى المسكين بمكر الشيطان بـه، حيث (درّجه) في خطواتـه التي حذر الله من اتباعها بقوله : ﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٢٠٨﴾ ﴾[1].

أسأل الله أن يوفقني والأستاذ الغنُّوشـي وسـائر المسلمين إلى اتبـاع الحق والثبات عليه إلى أن نلقاه غير مبدلين ولا مفتونين.

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

---

(١) سورة البقرة الآية: ١٦٨

ترجمة موجزة للأستاذ راشد الغنوشي[1]

- ولد في ٢٧ جمادى الأولى من عام ١٣٦٠هـ بمدينة الحامة، بولاية قابس، بالجنوب الشرقي بتونس.

- تلقى تعليمه الإبتدائي والثانوي في بلدته.

- انتقل إلى القاهرة في بداية الستينات ميلادية لمواصلة دراسته العليا بها. ثم اضطر بعد عام ونصف إلى الإنتقال إلى سوريا بسبب تدهور العلاقات المصرية التونسية ذاك الوقت.

- تخرج في جامعة دمشق عام ١٩٦٨م حاصلاً على "ليسانس" الفلسفة.

- انتقل إلى باريس ليواصل دراسته، إلا أنه انقطع عن الدراسة بعد عام لظروف عائلية، وعاد إلى تونس، ليستقر بها كمدرس للفلسفة.

- بدأ نشاطه الإسلامي في منتصف السبعينات.

- اعتُقل عدة مرات في أواخر السبعينات.

- حُكم عليه في صيف ١٩٨١م بالسجن عشر سنوات، ثم أُطلق سراحه في عام ١٩٨٤م.

- عاد سنة ١٩٨٥م رئيساً للمكتب السياسي العلني لحركة الاتجاه الإسلامي.

- اعتُقل مرة أخرى عام ١٩٨٧م.

---

(١) استفدتها من المقابلة التي أجرتها معه مجلة (قراءات سياسية)، السنة الأولى، العدد الرابع، ١٤١١هـ. ومن كتاب (الإسلاميون والحوار مع العلمانية والدولة والغرب) لهشام العوضي، وكتاب (العلمانية والممانعة الإسلامية) لعلي العميم، وكتاب (الفكر الإسلامي المعاصر – مراجعات تقويمية)، ومن مقدمة كتابه (حقوق المواطنة).

- ثم أخرج عنه بعد سقوط نظام بورقيبة.
- يعيش الآن في المنفى بعد الصدامات العنيفة بين نظام بن علي والإتجاه الإسلامي.

نشاطاته:

- شارك في تأسيس حركة الإتجاه الإسلامي، واختير رئيساً لها عام ١٩٨١م، ثم رئيساً لها بعد تحولها إلى حزب النهضة عام ١٩٨٩م.
- عمل بالصحافة في تونس، فرأس تحرير مجلة (المعرفة)، ثم عمل بمجلة (المجتمع)، ومجلة (الحبيب) ، وكتب في العديد من المجلات والدوريات العربية.
- شارك في العديد من المؤتمرات العلمية والفكرية في أرجاء العالم الإسلامي.

مؤلفاته: من أهمها:

١- "مقالات": نشر دار الكروان بباريس.
٢- " الحركة الإسلامية والتحديث ": بالاشتراك مع حسن الترابي، دار الجيل ببيروت.
٣- المرأة المسلمة في تونس بين توجيهات القرآن وواقع المجتمع التونسي، دار القلم بالكويت.
٤- طبيعة المشروع الصهيوني وضرورة التصدي له، شركة الزاد ، أسبانيا.
٥- حقوق المواطنة: حقوق غير المسلم في المجتمع الإسلامي، نشر المعهد العالمي للفكر الإسلامي، بأمريكا.

٦- الحريات العامة في الدولة الإسلامية.

- الأستاذ راشد الغنُّوشي ـ كما علمنا ـ رمز تونسي من رموز جماعة الإخوان المسلمين، وهو لا يجد غضاضة في هذه النسبة.

وقد سار الشيخ على مبادئ هذه الجماعة منذ انخراطه في العمل الإسلامي إلى تسلم قيادة فرع هذه الجماعة في تونس.

ولكي نحيط جيداً بالتطورات التي طرأت على هذه الجماعة في البلاد التونسية حتى أدت إلى أن ينتهج الغنُّوشي النهج الأخير الذي ارتضاه، لا بد لنا أن نستمع إلى مؤرخٍ شاهد لهذه الحركة من نشأتها وارتباطها بالإخوان، مروراً بما أصابها من انشقاقات وتطورات، إلى أن استقرت على ما هي عليه الآن، هذا المؤرخ هو الدكتور صلاح الجورشي في كتابه المهم (الإسلاميون التقدميون) الصادر عام ١٤٢١هـ حيث كشف فيه حقائق كثيرة عن أحوال فرع جماعة الإخوان بتونس، وهو ما يجهله أكثر أهل المشرق الإسلامي.

وهو ما سأعرض له فيما يلي، مقتطعاً بعض عبارات الدكتور التي أرى فيها خلاصة لتسلسل الأحداث في هذه القضية ، مع التعليق على شيء من ذلك.

إرهاصات نشوء الحركة:

يقول الدكتور: (كان التونسيون مع أواخر الستينيات، يخرجون من مرحلة أرهقتهم على أكثر من صعيد . كان تأسيس الدولة الوطنية قد تم على حساب حرياتهم الأساسية ، واستقلالية منظماتهم وشبكات مجتمعهم المدني، حيث غابت كل مظاهر التعددية التي ميزت حياتهم العامة حتى من قبل نشوء الحركة الوطنية. كما أسهمت سياسة

الاقتصاد الموجه والتخطيط المركزي والاشتراكية الزراعية التي اتخذت شكل النظام التعاضدي، في تمتيع البلاد ببنية تحتية متطورة نسبياً، لكنها أربكت التجار والفلاحين الصغار والكبار، نظراً لحجم الارتجال وسوء التطبيق اللذين صاحبا التجربة مركزياً وجهوياً، وتجذر قيمة الملكية الفردية في الأنفس، والرفض الطبيعي عند الناس لكل أشكال مصادرة حقوقهم وممتلكاتهم. كما زادت تجربة الستينات برمتها في توسيع دائرة تدخل الدولة في حياة المواطنين، والتحكم بشكل مخيف في مصائرهم . كان لذلك أثر بالغ في اهتزاز شرعية السلطة السياسية لديهم. وإذا كان الطلبة ، خاصة اليساريين منهم، أول من عارض بقوة وجرأة على منطق وصاية الدولة وأبوة الحكم منذ أواسط الستينات، فإن آخرين أخذوا يشككون في سلامة الاختيارات الاجتماعية والثقافية الرسمية، ويتحدثون عن وجود رغبة شعبية للعودة إلى التدين وتنشيط مظاهر الانتماء والهوية. وهو ما يفسر الحركية التي بدأت تشهدها المساجد منذ أواخر الستينات، والمساجلات التي عكستها بعض الصحف في تلك المرحلة. كما كشفت تلك الحركية عن وجود شريحة من الرأي العام التونسي لم يهضم الإصلاحات التي أنجزتها البورقيبية خاصة في مجال تطوير أوضاع المرأة والأسرة.

تأكد ذلك عندما قررت السلطة عام ١٩٦٩م القيام باستشارة عامة في أعقاب تجربة التعاضد، محاولة منها لامتصاص الغضب والخيبة الجماعية، وبحثاً عن فرصة للتأمل وإعادة ترتيب البيت. عندئذ تبين لها أن الهاجس الثقافي الديني قد احتل مكانة بارزة في نقاشات المواطنين، شملت حتى أبناء الحزب الحاكم. ورغم بعض الإجراءات الشكلية التي

لجأت إليها الحكومة قصد إرضاء الشعور الأخلاقي لدى قطاعات عريضة من المواطنين، كالقيام بحملة ضد حاملات " الميني جيب " وإجبار الشباب على قص شعورهم الطويلة، إلا أن السلطة والنخبة لم يفكرا بشكل أعمق في المسألة الدينية وآفاق تطورها.

تاريخياً مرت علاقة بورقيبة بالإسلام بمرحلتين مختلفتين تماماً. في الأولى، كان يعمل من جهة على الانفراد بزعامة الشعب التونسي وتعبئته ضد السياسات الاستعمارية، وكان من جهة أخرى يلتزم بالدفاع الشديد عن القيم الإسلامية، داعياً إلى الحفاظ حتى على بعض التقاليد التي ليست بالضرورة ملزمة من الناحية الشرعية. وبلغ به الأمر إلى التخلي عن المصلح الطاهر الحداد عندما شن عليه المحافظون حرباً لا هوادة فيها بسبب كتابه " امرأتنا في الشريعة والمجتمع "، رغم إيمان بورقيبة بكل حرف ورد فيه. كانت الأولوية عنده كسب الرأي العام، والحرص على ربط صلات وثيقة ببعض العلماء والشخصيات الزيتونية الذين رأوا فيه صفات الرجل السياسي المصلح الذي سيعيد للدين شأنه وسموه. حتى عندما انفجر الخلاف بينه وبين منافسه الأمين العام للحزب الدستوري صالح بن يوسف عام ١٩٥٥م، حاول كل منهما استعمال الشعور الإسلامي والحجة الدينية لاستمالة الرأي العام. فإذا كان بن يوسف قد علل رجوعه إلى تونس لمقاومة رئيس الحزب بالعمل " من أجل خدمة مصلحة الوطن ودين الله"، فإن بورقيبة اضطر لإقناع التونسيين بضرورة القبول باتفاق الاستقلال الذاتي الذي أبرمه مع فرنسا واعتبره خصومه خيانة وعمالة ، فدعاهم إلى الاهتداء بسلوك الرسول الذي لم ينكث عهوده واتفاقياته.

بعد الاستقلال تغيرت علاقة بورقيبة بالمسالة الدينية تغيرا يكاد يكون جذرياً. فإذا كان قد حاول في المرحلة السابقة أن يوظف الشعور الإسلامي لصالح الأفكار الوطنية المناهضة للاستعمار، فإنه عمل في المرحلة الثانية على إخضاع الإسلام من خلال الهيمنة على مؤسساته أو إلغائها، ولو بشكل تعسفي أحياناً ، لصالح سياسات الدولة وأولوياتها. لم يكن بورقيبة مع مبدأ فصل الدين عن الدولة الذي دافع عنه بعض اليساريين والعلمانيين في ما بعد. لو فعل ذلك لاضطر أن يعطي للحياة الدينية ومؤسساتها قسطاً هاما من الحرية والاستقلالية بينما كان تصوره للدولة تصوراً شمولياً. لهذا عمل منذ البداية على تفكيك المؤسسات الدينية الفاعلة ثقافياً واجتماعياً وسياسياً وإلغائها، كما حصل للمؤسسة الزيتونية. اعتبر الدولة مسؤولة عن تنظيم الشؤون الإسلامية من خلال هيئة إدارية ملحقة بالوزارة الأولى. ثم أدمج خريجي الزيتونة في السلك الإداري والتعليم العام بهدف تهميشهم. ورأى أن له الصلاحية المطلقة لتفسير النصوص الدينية بطريقة أوقعته في تناقضات عديدة، وبينت خطبة له في هذا الجانب فقرة المعرفي، وتعامله الساذج أحياناً مع النص القرآني وعلاقته العدوانية مع شخصية الرسول واستخفافه بالتاريخ الإسلامي[1]. لم تسلم حتى العبادات من تعليقاته الساخرة وقراراته التعسفية، إذ أن إحساسه بالثقة المفرطة في نفسه، وتضخيمه لدوره، وعدم إدراكه للطبيعة المستقبلية للإسلام وعظمته الرمزية والتاريخية. كل هذا جعله لا يولي أهمية تذكر لوضع سياسة دينية واضحة المعالم وبعيدة

---

(١) مثل تساؤله كيف يصلي الله على الرسول؟ أو قوله بأن الرسول كان أمياً بينما هو ، أي بورقيبة، يحمل كدساً من الشهادات العلمية !

الأهداف ، مما نتج عنه تأخر كبير في تطوير الفكر الإسلامي التونسي والارتقاء بالوعي الديني الشعبي اللذين بقيا يتحركان في معزل عن الخطاب التحديثي للسلطة السياسية في قطيعة شبه تامة مع النظام التربوي)[١].

نشأة الحركة وارتباطها بجماعة الإخوان المسلمين:

يقول الدكتور: (لم تولد " الجماعة الإسلامية بتونس " في السرية، كما حصل مع حزب التحرير الإسلامي فيما بعد. بدأت الخطوات الأولى علنية، تحت أنظار الجميع: خطب وحلقات في المساجد، مقالات في الصحافة[٢]، محاضرات في المدارس ونوادي الشباب. كما أن المؤسسين كانوا يتحركون دون تخف، يدعون لأفكارهم بدون تقية، ويثيرون اهتمام الرأي العام المسجدي والشبابي بخطابهم الثقافي (الجديد) وأحياناً الغريب ، خاصة عندما اختلط بمضمون وأشكال جماعة التبليغ.

كان هذا الخطاب في بدايته مزيجاً من العناصر الفكرية المتنوعة بتنوع تكوين العناصر المؤسسة. لكنه في عمومه كان يجنح إلى التفسير الأخلاقوي للقضايا. أي تفسير الأزمات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية بعناصر ثلاثة هي: فساد أخلاق الأفراد والأمة ، ابتعاد التونسيين عن مرجعية الإسلام وقيمه وقوانينه، نقد الغرب والتصدي لتقليده والتشبه به. الغريب أنه بقدر ما كان ذلك الخطاب سطحيا في

---

(١) الإسلاميون التقدميون (ص ٢٢-٢٤).

(٢) انظر مقالات راشد الغنُّوشي في جريدة الصباح بعد عودته مباشرة بين عام ١٩٦٩و١٩٧٠ من دمشق وباريس

بعض أطروحاته وضعيفاً في بنائه الداخلي، فإن تـأثيره في تلـك المرحلـة كان سريعاً وواسعاً. إن دل هذه على شيء فإنه يدل من جهة على تآكل الخطاب الرسمي وانعزاله عن الشباب والعامة، ومن جهة أخرى كـشف عن عزلة النخبة و"الطبقة السياسية" عـن الـرأي المـستبطن في الأعمـاق. فالخطاب الحركي لتلك الفترة كان يـستمد " قوتـه " وتـأثيره مـن تآكـل شرعية الدولة، وتعاظم شعور الأفـراد بأزمـة نمـط مـا بعـد الاسـتقلال، وفشل الخطاب المقابل في الوفاء بوعوده في الحرية والعدالة، سـواء علـى المستوى الرسمي أو النخبوي.

لم يكن هناك سوى خطاب وحيد يملك بعـض مقومـات المواجهـة، خاصة داخل الفضاء الجامعي، إنـه الخطـاب اليـساري الماركـسي. وهـو يفسر حدة الصراع الذي انفجر منذ ظهور الإسلاميين في أروقة المبيتـات الجامعية والكليات والمعاهد العليا التي كان يعتبرها اليـساريون في مطلـع السبعينات بمثابة معاقلهم المحررة.

لم يكن خطاب " الجماعة " في البداية إخوانياً صرفاً. بل كان خليطـاً من السلفية والتصوف والمودوديات وشيئاً مما كتبه بن نـبي الـذي التقـت به عناصر من النواة الأولى للجماعة في مطلع السبعينات، وتحاورت معه في بيته قبل أن يوافيه الأجل بحوالي سنة ... الخ.

هذا التمازج بين مصادر متعددة للفكر الإسلامي، يفسر إلى حد مـا المرونة التي ميزت العمل في الجانب التنظيمي، حيث سـعت المجموعـة في البداية إلى افتكاك موقع داخل جمعية المحافظة على القرآن الكـريم لتتخـذ منه غطاء قانونياً. ثم لما فشلت المحاولة ، تبنـت الجماعـة طريقـة " جماعـة التبليغ " التي تتمحور حول الوعظ المـسجدي، وتحـريض المتعـاطفين إلى

الخروج إلى الناس ودعوتهم إلى الإيمان والصلاة.

غير أن هذا التنوع في عناصر الخطاب سرعان ما تراجع لصالح أدبيات حركة "الإخوان المسلمين"، التي كان يطلق عليها كبرى الحركات الإسلامية في منطقة الشرق الأوسط والعالم الإسلامي.

يعود ذلك إلى اعتبارات متعددة، فإضافة إلى التأثير الشخصي لأدبيات الإخوان على بعض المؤسسين، كانت هناك جوانب أخرى موضوعية:

١- كان التدين في تونس عند مطلع السبعينات متقلصاً ومتقوقعاً. فالمساجد مقفرة أو تكاد، والنشاط الديني منعدم أو محدود. وكان التدين يومها أنواعاً، منها الدين الرسمي المنحصر في شخص المفتي ونشاطه البروتوكولي والشكلي، إضافة إلى إدارة تابعة للوزارة الأولى تعنى بشؤون المساجد. ومن جهة تدين شعبي أغلبه طرقي وخرافي. وهناك تدين زيتوني أزيح من الحياة الثقافية ، واعتزل مشايخه الحياة العامة بعد إحالتهم إلى المعاش. من هذين الوسطين انحدر أغلب العناصر المكونة للجماعة، الذين تكونوا في معاهد تعليم عصرية أريد منها أن يكون خريجوها " علمانيين " فإذا بهم يشتبكون مع الأوساط العلمانية والزيتونية والطرقية. ويبحثون عن زاد معرفي من خارج الدوائر التونسية.

٢- شكل " الإخوان المسلمون " تجربة متكاملة اكتسبت إلى حد ما أهمية تاريخية، من حيث بنائها التنظيمي والأيديولوجي. وكانت في مرحلة سابقة تعتبر في مقدمة الحركات الإسلامية السنية التي رفعت شعار " شمولية الإسلام" وحاولت تجسيده في صيغة تنظيمية شمولية.

خلافاً لدعوات أخرى ركزت جهودها على جانب دون آخر.

٣- كان الإخوان أيضاً أكثر الحركات التي الحث على القول بأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يجب أن يتم ضمن جماعة تجعل من الإسلام منهج حياة. وهو ما يقتضي تجاوز العمل الفردي المحكوم عليه بالفشل أو الانحصار داخل دائرة التأثير المحدود، وخلق آليات العمل الجماعي، بما في ذلك من إعادة صياغة الأفراد وتربيتهم حسب متطلبات الحياة الجماعية الجديدة.

٤- مما زاد في دعم حضور الحركة في وجدان النواة الأولى المؤسسة، صورة البطولة والصمود والشهادة سواء في المعارك التي خاضتها كتائبهم عام ١٩٤٨م ضد الصهيونية، أو كانت تحيط بالإخوان داخل سجونهم وفي مختلف محنهم وصراعاتهم. وهي صور كانت تنقل إلينا من خلال الشهادات التي ترويها بتفصيل مثير وفي مناسبات عديدة مجلة " الدعوة "، أو في بعض الكتابات الذاتية التي طبعت في هذا الشأن.

هكذا اكتملت مقومات التأثير والاستقطاب الثلاثة. العامل الأيديولوجي في مرحلة صعود الأيديولوجيات الشمولية. والعامل التنظيمي ممثلا في الانخراط في تجربة جاهزة وخبرة ترجع إلى أواخر العشرينات. وعامل القدوة المحرضة على الالتزام الأخلاقي والشجاعة الأدبية والتضحية في سبيل فكرة والصمود عند المحنة.

سرعت هذه العناصر ، إضافة إلى غياب نموذج محلي يمكن الاقتداء به، في إجراء الاتصالات الأولى بالتنظيم الدولي للإخوان، دون دراسة معمقة ونقدية لتاريخ وتجارب هذه الحركة قصد معرفة إمكانية الانتماء إليها. كان ذلك أو لقرار عاطفي وارتجالي تتخذه " الجماعة " في بداية

نشأتها. لقد اتخذ القرار المبدئي للانتماء إلى جسم هلامي، لم يقدر حجمه الحقيقي ، ولم يدرس برنامجه الثقافي والسياسي ولم يقع التساؤل حول الأسباب العميقة التي جعلته متعثراً في مساره، ومتأزماً في علاقاته الداخلية والخارجية. لم يطرح سؤال على هذا الجسم الذي ما أن خرج أصحابه لتوهم من أجواء السجون والإبعاد، حتى عادت قيادته لتنشيطه بأي طريقة دون الرغبة في دراسة عوائقه الذاتية والأسباب التي وراء عجزه عن التصدي للضربات المتوالية. كان الحرص أكثر على إظهاره في صحة جيدة، وتجنب إخضاع تاريخه للنقد الذاتي.

هذا الانتماء غير المدروس والمتعجل أسهم بشكل قوي في وقوع الجماعة في نوع من الاغتراب المحلي. فالعناصر الأولى لم تتلق ثقافة أولية تربطها بالواقع الثقافي التونسي، وتحدد لها علاقتها بتاريخ تونس الحديث بدءاً من الحركة الإصلاحية وصولاً إلى العهد البورقيبي، مما كان له التأثير السيئ على علاقة الأفراد المنتمين ببيئتهم الثقافية والسياسية، ومما دفع إلى ظهور عوامل الاختلاف والافتراق.

أما الجانب الآخر: الذي لا يقل أهمية أن النواة الأولى التي تولت استقطاب وتكوين العناصر الموالية لم تكن متسلحة بعقلية نقدية تمكنها من التعامل مع تراث الإخوان بموضوعية وحذر. كان الانبهار والاستهلاك السريعان غالبين في عملية استيعاب الأدب الإخواني وترويجه. وهو الأمر الذي ساعد كثيراً على ابتلاع الفكر القطبي (نسبة لسيد قطب ـ رحمه الله ـ)، بما فيه من متطلبات وانزلاقات خطيرة.

كان حسن البنا بمثابة الشخصية التاريخية التي استشهدت لأنها حاولت أن تعيد إحياء الإسلام، ونجحت في بناء نموذج جديد من العمل

الإسلامي، في ظل رهانات وموازنات محلية ودولية لها خصائصها التاريخية المدهشة. كانت إلى جانب ذلك كتابات سيد قطب وشقيقه الأصغر محمد الأكثر تأثيراً على المجموعة الأولى التي شكلت قاعدة التنظيم في المستقبل. لم يكن الأمر من باب الصدفة، وإنما لارتباط ذلك بالصراع الأيديولوجي الذي بدأت تشهده الجماعة ، خاصة الأستاذة والطلبة منهم بالخصم الشرس ممثلاً في اليسار الماركسي، فالأيديولوجيا لا تواجه إلا بأيديولوجيا منافسة وقادرة على الرد " الحاسم ". وإذا كانت كتابات محمد قطب قد تناولت " الرد " على الشبهات المهددة للفكر الديني التي يروجها خصوم الحركة، مع محاولة بلورة ما اعتبر " بدائل إسلامية "، فإن سيداً بعد سجنه كان مشغولاً بمسألة أكثر أهمية وخطورة، وهي مسألة المنهج التي سبق وأن شغلت شخصاً آخر في مجال معرفي مناقض هو لينين. معظم ما كتبه سيد خلال محنته القاسية كان محاولة للإجابة عن سؤال: ما العمل؟، أي كيف نحدث التغيير المنتظر؟. ولا تخفى أهمية هذا السؤال والإجابة عنه بالنسبة إلى الحركات والجماعات التي ترشح نفسها لمثل هذه المهمة. كان الشيخ البنا يملك إجابة واضحة، ولو بشكل نسبي عن هذا السؤال: نشر الفكرة ، تجميع الأنصار وتربيتهم في صلب الجماعة، والعمل في الإطار القانوني، عرض قائمة إصلاحات اجتماعية تتعلق بالأخلاق العامة.

لكن أهمية سيد قطب لا تقف عند حدود ما قدمه من إجابات، أثارت وما تزال جدلاً واسعاً في أوساط الحركيين الإسلاميين، بل إن تأثيره الذي بلغ حد السحر والسيطرة الكاملة على الألباب، متمثلاً في أسلوبه الأدبي القوي المصحوب بثقة كبيرة في النفس وتعال عن الواقع

بكل تفاصيله الصغيرة والكبيرة، كل ذلك مكنه من قدرة على التعبئة والتجييش تجعلان القارئ المؤمن بما يقوله، يستسلم بين يديه ليقوده إلى المعركة الفاصلة مع الأعداء. فأنت مع قطب تصبح مسكوناً بإحساس عميق بأنك تحمل رسالة مقدسة، وأنك مطالب بتغيير سلوكك ومفاهيمك وعلاقتك العامة والخاصة، وتتهيأ للدخول في حياة جديدة لا علاقة لها بما عهدته من نمط اجتماعي وثقافي. بل كانت له القدرة على جعلك تحس بمسؤولية تغيير العالم وأنك قادر على مواجهة كل قوى الشر والطغيان.

لم ينتج الإخوان " مُنظراً " أقوى وأكثر تأثيراً من سيد قطب ، ولكن في المقابل لم يعان الإخوان من مآزق نظرية وعملية مثلما عانوا من منهج التغيير الذي صاغه ذهنياً ـ رحمه الله ـ في تفسيره للقرآن وفي مؤلفة الشهير " معالم في الطريق)[1].

بداية الأزمة:

(نما الجسم الحركي بسرعة كبيرة لم تكن متوقعة. فقد كانت هناك قابلية شديدة، خاصة في صفوف الشباب والعنصر النسائي. كانت هذه أيضاً من المفارقات التي تعددت محاولات فهمها وتعليلها دون التوصل إلى فهم علمي مقنع. فيكف يفسر إقبال قطاع من النساء التونسيات، المتعلمات منهن بالخصوص، اللاتي يتمتعن بحقوق لم تعرفها معظم نساء العالم الإسلامي بفضل الإصلاحات التي جاءت بها مجلة الأحوال الشخصية، الانخراط بكثافة في مشروع محافظ لم يطور خطابه بعد،

---

(١) الإسلاميون التقدميون (ص ٢٦ ـــ ٢٩).

خاصة تجاه المسألة النسائية؟

ندرك صحة المثل القائل " فما راء كمن سمع " عندما نستحضر البدايات الأولى لأزمة الحركة. عند التعامل عن بعد مع أسماء كبيرة وحركات ضخمة يتشكل لديك انطباع إيجابي يصل إلى حد التعظيم والتقديس، لكن ما أن تتوفر لديك المناسبة وتلتقي مباشرة بهذه الرموز حتى تهزك المفاجأة وتكتشف البون الشاسع بين الواقع والمثال، بين النصوص وأصحابها. هذا ما حصل للعديد من أبناء " الجماعة "، عندما توفرت لهم فرص زيارة المشرق العربي. وفي مقدمتهم أحميدة النيفر الذي صدم في مكة عند أول لقاء له بالأستاذ سيد قطب الذي رفض حتى الحوار معه قائلاً له " أرفض التحاور مع أتباع نظام بورقيبة الطاغوتي"؟. كانت خيبته الثانية خلال زيارته القاهرية التي كان يرغب خلالها بالتعرف على حركة الإخوان المسلمين والتحاور مع قيادييها، فوجد نفسه أمام شرط مسبق هو أداء البيعة؟. وقائع متفرقة وحالات تماس محدودة بالتنظيم الدولي للإخوان، كانت كافية ليبدأ النموذج مهتزاً عند البعض من الأعضاء وطارحاً لأسئلة لقيت شيئاً من التجاوب لدى البعض الآخر.

مع التوسع العددي والتعقد التنظيمي والاحتكاك بالواقع المعيش، أخذت بعض المشكلات تطفو على السطح. كان فرع العاصمة التابع " للجماعة "، الجهة الرئيسية التي أخذت ترصد هذه المشكلات التربوية والتنظيمية، وتحاول فهمها واقتراح حلولها لمعالجتها. ومن بين ما تم رصده التغيير السلبي الذي طرأ على شخصية العديد من العناصر. اتضح أنه قبل استقطاب الفرد كان له من الاستقلالية والتحفز وروح

المبادرة، وميل إلى الإبداع في مجالات كالمسرح أو بقية الفنون، أو في مستوى العلاقات الاجتماعية ومدى الانفتاح المحيط. لكن بعد الانتماء تتغير كل هذه المميزات ويتخلى عن هواياته السابقة، وتتوتر علاقاته أحياناً بمحيطه الأسري والاجتماعي ليصبح أميل إلى الصلابة والتشدد. كان طموح الكثير من الشباب المنتمي لا يكاد يتجاوز، إضافة إلى اختصاصاتهم العلمية، مجال الوعاظ وإمامة المساجد. ويضاف إلى هذا ظهور نزعة تقليد ما كان يسمى بـ " أمير الجماعة " في كل ما يتعلق بشخصيته ومظهره.

تميزت مدرسة الإخوان عن غيرها من الحركات بإلحاحها الشديد على عامل الفرد، والعمل على إعادة نحت شخصيته. لذلك يجد المنتمي إلى الجماعة نفسه مدعوا لبرمجة حياته الخاصة والعامة وفق حاجيات الحركة ومتطلباتها. هذا أمر هام، لأن من يدعي الإقدام على تغيير المجتمعات والعالم عليه أن يبدأ بنفسه وبالذين معه. والحركة الإسلامية، كغيرها من الحركات الدينية والأيديولوجية، ليست مجرد تنظيم سياسي يعمل على تعبئة الأتباع لخوض حملة انتخابية، وإنما كانت بمثابة المحاضن شبه المغلقة التي تستوعب أعضاءها وتخضعهم لأجواء وشروط وطقوس لتحويلهم إلى نماذج مؤثرة في المجتمع، ومهيأة لخوض معارك مختلفة. كان لا بد لذلك من الحرص على الاستقامة الصارمة للسلوك، والابتعاد عن الازدواجية والتناقض بين الشعارات والممارسات اليومية)[1].

قلت: بعد هذا بدأ التململ يدب في صفوف بعض مثقفي الجماعة

---

(١) المصدر السابق (ص ٢٩ ــ ٣٠).

الذين أزعجهم أن تحصر الجماعة عقول كوادرها في تراث البنا وسيد قطب جاعلةً على فكرهما هالةً من القداسة والتبجيل السطحي، فبدأ هؤلاء المثقفون يسلطون أقلامهم على نقد هذا التراث المقدس، ويعيدون النظر في كثير من ثوابته لدى أفراد الجماعة.

وليت هذه الفئة إذ صنعت هذا: حاكمت ذلكم التراث في ضوء الكتاب والسنة إذاً لساهمت بشكل جاد في تقويم مسيرة الجماعة الأم وهو ما يتمناه كل محب لهذه الجماعة، لكن الذي حدث هو أن هذه الجماعة المثقفة اتبعت أهواءها وسط ضغط الواقع العلماني، ولم يكفها ما قدمه الإخوان من تنازلات وما لجأوا إليه من تساهلات يعرفها الجميع، حتى بدؤوا يتخلصون من كثير من أحكام الإسلام الثابتة، وقضاياه المحكمة إما بردٍ أو تأويل، لعل ذلك يتناسب مع عصرهم وعقولهم ـ زعموا ـ، فهم كما قيل:

ألقى الصحيفة كي يخفف رحله والزاد حتى نعله ألقاها!

فحكموا عقولهم القاصرة في نصوص الكتاب والسنة، ورفضوا منها ما لم تستسغه أفكارهم الضيقة مكونين من ذلك ما يسمى بـ (الإسلاميين التقدميين)!! الذين من اطلع على بعض اطروحاتهم وآرائهم علم علم اليقين أنها علمانية جديدة قد لبست مسوح الإسلام، تضليلاً للمسلمين، سواء كان ذلك عن عمدٍ منهم، أم عن خوَرٍ وضعف عن الالتزام (بجميع) شرائع الإسلام، والاعتزاز بها فضلاً عن الفرح، كما قال تعالى: ﴿ قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ﴾[1] .

---

(١) سورة يونس الآية ٥٨.

عندما قامت هذه الفئة (التقدمية!) بذلك على رؤوس الأشهاد، استاء من هذا شيوخ الإخوان وقادتهم في تونس، وكذا في خارجها.

يقول الدكتور صلاح عن هذا الأمر:

(عند هذا الحد تكون رقعة التمرد قد اتسعت لتتجاوز سيد قطب، وتعيد النظر في العلاقة بالإخوان كتنظيم ومرجعية، وتبلغ الأسئلة حد ملامسة ما كان يعتبر في ذلك الوقت ثوابت. لذلك كان من الطبيعي أن يرد التنظيم بقوة على ما اعتبرته القيادة آنذاك (انحرافاً). ولقد أحس الجسم أنه يواجه عاصفة فكرية وتنظيمية هي الأولى من نوعها في تاريخه القصير. جاءت الردود قاسية وعنيفة كشفت بدورها عن جوانب أخرى من الأزمة، ومن طبيعة الثقافة المرجعية التي كانت سائدة في تلك المرحلة).[1]

(فشلت " الجماعة " في الحفاظ على وحدة صفها، وأخفق الجناحان في تحقيق التعايش بينهما تحت سقف تنظيمي واحد. في البداية بدأ وكأن الجسم الجماعي قادر على تحمل التنوع الفكري ، لهذا نشرت سلسلة مقالات الأستاذ أحميدة النيفر دون اعتراض إداري على صاحبها، رغم الصدمة التي أحدثتها منذ المقالة الأولى. لكن مع توسع دائرة النقد والتباين في الطرح انتفض الجهاز التنظيمي مذعوراً، ومارس كل ما يملك من ضغوط لإسكات الصوت المغاير. كما لجأ الخط المحافظ يومها إلى مختلف الوسائل الإقصائية، مدعوما بأغلبية صامتة لم تتوفر لها الظروف المساعدة لإدراك طبيعة الخلاف والتعبير الحر عن رأيها، نتيجة الرغبة في عزلها عن كل " تأثير سلبي "، وسماع وجهات نظر قد تربك

---

(١) الإسلاميون التقدميون (ص ٤٦).

التنظيم وتجعله ينحرف عن خطه العقدي والحركي).[1]

إذاً: انتهت هذه الأزمة التي عصفت بجماعة الإخوان المسلمين في تونس إلى تمرد البعض عليها وانفصالهم (أو فصلهم !) عنها، مكونين ما أطلقوا عليه (الإسلاميين التقدميين) ـ كما سبق ـ.

وفي ظني أن جماعة الإخوان المسلمين في تونس قد أحسنت صنعاً بإقصائها لهذه الفئة التقدمية التي أرادت أن تجر الجماعة بأكملها إلى التخلي عن ثوابت الإسلام في قضايا كثيرة ، وتقودها إلى انحرافات (بل كفريات) أملتها عليهم الأهواء، تباعد بينها وبين دعوة الكتاب والسنة.

فإنه بالرغم من الملاحظات غير القليلة على جماعة الإخوان المسلمين، إلا أننا لا نرضى لهم أن يتعاظم انحرافهم، وتزداد الفجوة بينهم وبين الحق، لذا فقد كان من مصلحتهم وأد ذاك التمرد في مهده قبل أن يستطير شره، ويعظم خطره، ولو ألجأهم ذلك إلى آخر العلاج وهو الكي، أو الإقصاء.

هذا ما حدث لجماعة (الإسلاميين التقدميين) الذين انفصلوا عن جماعتهم الأم، جماعة الإخوان المسلمين، وأمرهم لا يهمنا كثيراً لعدة أمور:

١- أن هذا البحث غير مخصص لهم.

٢- أنهم مجرد أفراد لا يتجاوزون العشرات.

٣- توقف حركتهم وسكونها.

وإنما عرضت لهم لكي يَّطلع القارئ على شيء من الأحداث التي رافقت نشوء جماعة الإخوان المسلمين في تونس، وأثرها على تطور فكر

---

(١) الإسلاميون التقدميون (ص ٦٧).

الغنوشي. ـ كما سيأتي ـ.

لماذا تغير الغنّوشي ؟!

بعد انفصال (الإسلاميين التقدميين) عن جماعة الإخوان، استمرت الجماعة في خط سيرها دون أن تتأثر تنظيمياً بذلك الانفصال، وقام أميرها (الشيخ راشد الغنُّوشي) بقيادتها إلى بر الأمان ـ كما يقال ـ إلا أن ذلكم الانفصال لم يمر دون أن يحدث هزة فكرية في بعض رموز حركة الاتجاه الإسلامي، وعلى رأسهم الغنُّوشي.

وفي هذا يقول الدكتور صلاح:

(كانت قيادة " الجماعة الإسلامية " تخشى أن يؤدي انسحاب التيار النقدي من صفوفها في أواخر السبعينات ، إلى تصدع التنظيم برمته ، وأن يتمكن المفارقون لخط " الجماعة " من التأثير على عدد كبير من الأعضاء. ولكنها عندما تأكدت من أن عدد المنسحبين لم يتجاوز العشرات أغلبيتهم من أبناء العاصمة، اطمأنت قليلاً، واكتفت في البداية باتخاذ سلسلة من الإجراءات التنظيمية الاحتياطية حتى تحول دون تسرب الأفكار التمردية داخل بقية الجسم . لكن رغم أن عملية الانشقاق حسم أمرها دون أن تحدث ارتباكاً يذكر على المستوى التنظيمي إلا أن آثارها بقيت محل سجال ومناقشة. وبرغم الجهود التي بذلت يومها للتقليل من أهمية مجموعة " الإسلاميين التقدميين " وإحاطة أفكارهم وتوجهاتهم بالكثير من الغموض والشكوك والطعون في الأشخاص والمفاهيم إلا أن عملية الانشقاق المبكر مثلت استفزازاً هائلاً للصف الداخلي ولمستنداته الفكرية والأيديولوجية.

منذ اللحظة ولد إحساس داخل " حركة الاتجاه الإسلامي " بأن أشياء كثيرة في حاجة إلى المراجعة، وأن الجسم لم يعد طيعاً كما كان الشأن من قبل، مما مهد السبيل لتكرر محاولات الإصلاح من الداخل، ومعظمها خلف وراءه ضحايا وتوترات. إذ لم تمض سوى فترة وجيزة عن تنصيب قيادة جديدة في العاصمة حتى حصل تململ جديد انتهى إلى خلافات شديدة حول أسلوب العمل مع القيادة المركزية، إذ حاول الفريق الذي عين بطريقة تعسفية وانقلابية لإدارة النشاط كبديل عن الهيئة القيادية التي تم عزلها أن يعمل بنوع من الحرية في إعادة تشكيل النشاط، فإذا به يواجه بنوع من الوصاية البيروقراطية حالت دون إحداث تطور فعلي في العقلية التنظيمية، مما جعل المسئول الجديد يعلن استقالته ويدرك بعض الأسباب الحقيقية للخلافات السابقة.

بعد ذلك تولت مجموعات طلابية ممارسة الضغط في مناسبتين على الأقل، الأولى كانت في عام ١٩٨١م والثانية عام ١٩٨٣م. ورغم النتائج المحدودة التي حققتها المحاولتان، إلا أن ذلك ساهم في تعميق الحيرة الفكرية والسياسية البناءة داخل الجسم العام، وأدى إلى توسع ظاهرة ما يسمى يومها بـ " الإسلاميين المستقلين " الذين انسحبوا بشكل فردي وحافظوا على بقائهم خارج التنظيمات.

أمام هذا الغليان الفكري والروح النقدية المتحررة اللذين أخذا يتسعان ويخترقان جسم الحركة الإسلامية بمختلف مستوياتها، وجدت قيادة "حركة الاتجاه الإسلامي" نفسها مدعوة للتفاعل مع هذه الحالة الفكرية الجديدة، وذلك بانتهاج سياستين متعاكستين. من جهة التخلي التدريجي عن جزء هام من المنظومة الفكرية لحركة الإخوان المسلمين .

تم ذلك بنقد اطروحات سيد قطب، أو تبني شعارات المرحلة خاصة على المستوى السياسي مثل الديمقراطية وحقوق الإنسان ومشاركة المرأة في العمل السياسي ونبذ العنف كوسيلة للتغيير والانفتاح على بقية الأحزاب السياسية بما في ذلك الحزب الشيوعي. لذلك وقعت المطالبة بأن" تستعيد الجماهير حقها المشروع في تقرير مصيرها بعيداً عن كل وصاية داخلية أو هيمنة خارجية وذلك بإقرار حق كل القوى الشعبية في ممارسة حرية التعبير والتجمع وسائر الحقوق الشرعية " كما اعتبر رئيس الحركة أن الاستبداد لم يأت عن طريق العملاء الغربيين، إنه عميق في تاريخنا وتفكيرنا وثقافتنا ... إن المسلم كان منسحقاً سياسياً أمام السلطات، وعقائدنا أمام الجبر، وإرادياً أمام رجال الصوفية، وفكرياً أمام رجال المذاهب .. وما زال الاستبداد مكرساً في الحركة الإسلامية .. إننا ثمرة مجتمع متخلف ورغم عهر الغربي إلا أنه يعيش تجربة حضارية متقدمة علينا.

ومن جهة أخرى حاولت قيادة حركة الاتجاه الإسلامي التصدي لهذا الكم من الأسئلة والمراجعات التي لم تعد تقتصر على تيار الإسلاميين التقدميين، بل تعدته إلى الحصون الداخلية للحركة. يضاف إلى ذلك صعود " حزب التحرير الإسلامي " (فرع تونس) الذي بدأ يتغلغل ويستقطب عناصره من داخل الحزام التنظيمي لحركة الاتجاه مستغلاً تذبذبها الفكري ووجود قيادتها داخل السجن. هذا الوضع الصعب والمحفوف بالمخاطر دفع رئيس الحركة الأستاذ راشد الغنُّوشي إلى أن يصدر من داخل السجن في صيف ١٩٨٣م رسالة تحت عنوان "حق الاختلاف وواجب وحدة الصف " بهدف مواجهة الوضع

الداخلي بكثير من الحزم والحكمة. ثم حتى لا تنال المحاولات التي يقوم بها خصوم ومنافسون إسلاميون وغيرهم في الداخل والخارج بغية استقطاب بعض النجاح في إحداث الخلل والتمزق).[١]

إذاً: لقد أحدث انفصال (الإسلاميين التقدميين) عن حركة الاتجاه الإسلامي رجّة فكرية دعت الغنُّوشي إلى مراجعة أطروحاته السابقة وإعادة النظر فيها، ومن ثم تبني أطروحات جديدة تقتبس كماً لا يستهان به مما كان يطرحه التقدميون، وإن لم يُشر إلى ذلك، فكان هذا السبب الأول في ظهور الوجه الجديد للغنُّوشي وانجرافه خلف التيار (العقلاني) (المستنير)! وترديده لأفكارهم وآرائهم في كتبه وأحاديثه.

يقول الدكتور صلاح مؤكداً هذا:

(في هذا السياق يمكن فهم ما يصدر من حين لآخر من كتابات ونصوص عن وجوه بارزة في هذه الحركة خاصة السيد راشد الغنُّوشي، مثل كتابه "الحريات العامة في الدولة الإسلامية " ... لا شك في أن هذه التحول يشكل تطوراً في الخطاب وفي زوايا النظر للقضايا، لكن ما كان لهذا التطور أن يتم لو لا وجود صراع على الساحة).[٢]

ويقول ـ أيضاً ـ مدللاً على أن أدبيات جماعة الإخوان المسلمين لا "تناسب البلاد التونسية وطبيعة أهلها المنفتحة"!: (عندما نشأت الحركة الإسلامية في أوائل السبعينات كانت غريبة عن تونس في جل اهتماماتها وأهدافها، لكن ذلك لم يصمد أمام الخصوصيات التونسية المطالبة بجعل الفكر الإسلامي أكثر معاصرة وتفاعلاً مع الحداثة، وهو ما سيقع

---

(١) الإسلاميون التقدميون (ص ١٢٨ ــ ١٣٠).

(٢) الإسلاميون التقدميون (ص ١٣٩).

ملامسته بوضوح في التطورات الفكرية التي تمت داخل خطاب حركة الاتجاه الإسلامي، خاصة لدى رمزها الأول: راشد الغنُّوشي).[(١)]

ويقول: (يصعب الادعاء بأن الإسلاميين التقدميين هم وحدهم الذين أجبروا الحركة التونسية على تجذير نفسها في واقعها الوطني، والتخلص من قمقم الإخوان المسلمين، واكتساب الخصوصية التي يشير إليها أكثر الذين درسوا الحركة، وتعرفوا على قياداتها ، لكن لا نجافي الحقيقة عندما نؤكد بأن مجموعة الإسلاميين التقدميين كانت بمثابة حركة الوعي الأولى داخل الجسم الحركي المغترب، وأسهمت مع عوامل أخرى في ممارسة الضغط والاستفزاز لحركة الاتجاه الإسلامي، مما اضطرها إلى تغيير خطابها وتعديل رؤيتها).[(٢)]

السبب الآخر لتغير الغنُّوشي:

إذا كان ظهور فئة من المثقفين تدعو إلى ما يسمى (الإسلام التقدمي) له دور كبير في ما طرأ على الشيخ من تغيرات أصابت فكره وآراءه، فإن هناك سبباً آخر يفوق ـ في ظني ـ هذا السبب تأثيراً على الغنُّوشي، ألا وهو تأثره بحسن الترابي[(٣)] الذي كان إخوانياً صرفاً في بداية أمره ، ثم انشق عن جماعته مكوناً خطاً آخر في بلاده أكثر جرأة على اقتحام المحرمات، وتجاوز المقدسات، تحت دعاوى التجديد والتقدم وتوسيع قاعدة (التجميع) لتستوعب جماعات وفئات قد لا تمت إلى

---

(١) المصدر السابق (ص ١٤٠ ـ ١٤١)

(٢) الإسلاميون التقدميون (ص ١٤٤).

(٣) ذكر أنور محمد في كتابه (جنرالات الإسلام) (ص ٨): أن الغنوشي متزوج من إحدى قريبات الترابي !!

الإسلام بصلة ! لهدف الوصول إلى الحكم، وقد تحقق له شيء من ذلك في ظل التنازلات والتحالفات المشبوهة.

كل هذا من الترابي صادف له قبولاً ومحلاً حسناً في عقل الغنُّوشي الذي أراد أن يكرر تجربة صاحبه في تونس ! بعد موافقته على كثير من أطروحات الترابي التي لا زال يستنكرها أفراد جماعة الإخوان المسلمين، فضلاً عن غيرهم من المسلمين.

فاجتمع على الغنُّوشي أمران قاداه إلى تغيير كثير من أطروحاته، هما: تأثره بحركة (الإسلاميين التقدميين) في تونس، إضافة إلى إعجابه بالترابي وأنموذجه، مما دعاه إلى مقابلته والاستفادة منه ومن توجيهاته!.

يقول الدكتور صلاح: (تعمقت المعرفة بين حسن الترابي عند أول زيارة أقوم بها إلى السودان في أواخر السبعينات مع المرحوم الشيخ محمد صالح النيفر والأستاذ راشد الغنُّوشي، وهي الزيارة التي كان لها تأثير كبير على التطور الفكري والسياسي والحركي للغنُّوشي).[1]

قلت: فأصبح الغنُّوشي بعدها يردد ما يردده أستاذه الترابي من أفكار، مع شيء من التقديم والتأخير ـ كما سيأتي ـ.

ولهذا السبب نفهم إلحاح كثير من السلف على تكرار النهي عن مخالطة أهل البدع ومجالستهم، نظراً لأنهم ـ مهما حاول المرء ـ يقرون بدعتهم في عقله، ويزينونها له بأطايب الكلام، وتكرار الشبهات، حتى تؤثر في المرء المسلم ويتابعهم عليها ويكون داعية لها مثلهم إن لم يفقهم في ذلك. والأمثلة من تاريخ المسلمين وواقعهم كثيرة فيمن كان من

---

(١) الإسلاميون التقدميون (ص ٦٩).

طلبة العلم وأهله في أول أمره حتى إذا خالط المبتدعة - لأسباب عديدة - وسمع كلامهم وزخارفهم أعجب بها وتغيرت نظرته الأولى، لا سيما إذا كانت قاعدته غير صلبة، وتكوينه العقدي والعلمي هش البناء، يشتكي من شروخ قديمة جاء المبتدعة فاستغلوها وزادوا منها. كما هو حال الغنُّوشي مع الترابي (المبتدع)[١].

تعليق للغنُّوشي على أحوال تونس الإسلامية:

في تعليقه على بحث (الإسلام الاجتماعي في تونس) للدكتور محمد الهرماسي[٢] بين الغنُّوشي بأن (الظاهرة) الإسلامية في تونس يتنازعها ثلاثة تيارات ، هي بحسب تعبيره[٣]:

١- (التدين التقليدي التونسي: ويتكون من عناصر ثلاثة متآلفة: التقليد المذهبي المالكي، والعقائد الأشعرية، والتربية الصوفية).

٢- (التدين السلفي الإخواني، الوارد من المشرق[٤]، وهو بدوره تآلف بين العناصر التالية:

أ- المنهجية السلفية التي تقوم على رفض التقليد المذهبي الفقهي والعقائدي، والعودة في كل ذلك إلى الأصل: الكتاب والسنة وتجربة الخلفاء والأصحاب والتابعين، ومحاربة الوسائط بين الخالق والمخلوق

---

(١) انظر نماذج لتحذير السلف من الجلوس مع المبتدعة في رسالة " موقف أهل السنة والجماعة من أهل الأهواء والبدع " للدكتور إبراهيم الرحيلي.

(٢) المنشور ضمن كتاب (الحركات الإسلامية المعاصرة في الوطن العربي) (ص ٢٤٧ – ٢٩٩) نشر: مركز دراسات الوحدة العربية ، ط ٤ ، ١٩٩٨م.

(٣) المرجع السابق (ص ٣٠١ – ٣٠٢).

(٤) الواقع أن ما ذكره الغنوشي تحت هذا العنصر لم يلتزم به فقهاء ومفكرو الإخوان المسلمين ، لمن تأمل كتاباتهم ومواقفهم. وليتهم التزموا به إذاً لسلموا من شرور كثيرة.

بتقديس الأضرحة والتقرب إليهم ومحاربة الطرقية والبدع في الدين، وتقويم هذه المنهجية أساساً على أولوية النص المطلقة على العقل.

ب- الفكر السياسي والاجتماعي الإخواني القائم على تأكيد شمولية الإسلام، ومبدأ حاكمية الله ـ ﷻ ـ وتكفير الأنظمة القائمة والعمل على إزالتها.

ج- منهج تربوي يركّز على التقوى والتوكل والذكر والجهاد والجماعية والاستعلاء الإيماني والأخوة، والتقلل من الدنيا وتحري السنة، حتى في الجزئيات.

د- منهج فكري يضخم الجانب العقائدي الأخلاقي على حساب الجوانب السياسية والاجتماعية، ويقيس الأوضاع والجماعات بمقياس عقيدي، مما ينتهي معه الأمر إلى تقسيم الناس إلى أخوة وأعداء، ويغلب جانب الرفض في تعامله مع الواقع والثقافات الأخرى، وحتى مع المدارس الإسلامية الأخرى. فهو أحادي النظر، ويكاد يشكل منظومة مغلقة).

٣- (التدين العقلاني: وهذا العنصر، وإن لم يعبر عن نفسه في شيء من الوضوح، إلا في مرحلة متأخرة نسبياً في النصف الثاني من السبعينات، إلا أنه كان موجوداً منذ وقت مبكر من دون وعي كاف بنفسه، وقد جرفته في النصف الأول من السبعينات موجة التدين الإخواني السلفي العاتية، فسار في طريقها فترة، ولكن لم يلبث أن توقف متحيراً متسائلاً، باحثاً عن نفسه حتى اكتشفها على مراحل اكتملت مع نهاية السبعينات وبداية الثمانينات . ويتألف التدين العقلاني من الأجزاء التالية:

أ- التراث العقلاني الإسلامي الذي عمل أيضاً أنصار هذا التيار بعد الوعي بأنفسهم، على إحيائه والدفاع عنه، بإعادة الاعتبار إلى المنهج الاعتزالي في التعامل مع الإسلام، حسب فهمهم لهذا المنهج، وبالقدر المحقق لمطالبهم في التحرر من ظواهر النصوص، وفق منظومة فكرية محددة، كالتوحيد والعدل والإنسانية، وكذلك إعادة الاعتبار للمعارضة السياسية في التاريخ الإسلامي، كالخوارج والشيعة والزنج وللتيارات المناوئة للسلفية وأهل السنة عموماً.

ب- النقد الجذري الصارم للإخوان، ومن هم على شاكلتهم، في فهم الإسلام باعتبارهم ممثلين للسلفية في هذا العصر، نقدا لا يرى في الإخوان غير كونهم أكبر عائق في طريق نهضة الإسلام.

ج- إعادة الاعتبار للمدرسة الإصلاحية التي اجتهد "الإخوان" أو أكثر كتابهم المقروء لهم، في الحط من شأنها، باعتبارها منهجاً حرّف الإسلام وأوله، بما يناسب المدنية المعاصرة، مثل عبده والكواكبي والأفغاني والطهطاوي وقاسم أمين.

د- اعتماد الفهم المقاصدي للإسلام بدل الفهم النصي، فالنصوص ينبغي أن تفهم وتؤوّل في ضوء المقاصد (العدل، التوحيد، الحرية، الإنسانية ..) ونصوص الحديث يحكم على صحتها أو ضعفها، لا حسب منهج المحدثين في تحقيق الروايات، وإنما حسب موافقتها أو مخالفتها للمقاصد.

هـ- إعادة الاعتبار للغرب وللتيار اليساري فيه بالذات، فخلافاً للفكر السلفي الإخواني الذي لا يرى في الغرب إلا مدنية مادية منحلة متداعية إلى السقوط، لا مجال للاستفادة منها إلا في جوانبها العلمية

والتقنية البحتة، نادى هذا التيار بضرورة الاستفادة من الغرب ـ أيضاً ـ في تنظيماته وثقافته وعلومه الإنسانية.

و- وفي مقابل اعتماد التدين الإخواني المقياس العقيدي في تقسيم الناس إلى مؤمن وكافر، اعتبر التدين العقلاني ذلك تهميشاً للصراع الحقيقي، إذ التقسيم الحقيقي ينبغي أن يكون على أسس سياسية واجتماعية: وطني وخائن ، ثوري ورجعي ، فلاح وإقطاعي، إذ يمكن أن يكون مسلماً عميلاً وماركسياً وطنياً.

ز- إعادة الاعتبار للمدرسة الإصلاحية في تونس (خير الدين، الحداد) ولمنجزاتها في امتدادها الحديث، من خلال ما أنجزته البورقيبية، مثل تحرير المرأة والعقلانية في التعليم).

ثم ذكر الغنُّوشي بأن هذه التيارات الثلاثة كانت تتفاعل مع بعضها داخل الحركة الإسلامية بتونس، مع تقديم كل منها للتنازلات الضرورية ليتم التعايش بينها بسلام !

ولكن فات الغنُّوشي في خاتمة تعليقه (الوصفي) لحال الحركة الإسلامية بتونس أن يفيد القارئ عن أي من تلكم التيارات ينبغي على المسلم السير معه ليقوده إلى الحق الواجب اتباعه؟!

أم أن هذه التيارات سواء عند الغنُّوشي ؟! رغم تباينها الشديد، ما بين سلفية، إلى أشعرية، إلى معتزلة !

الذي يظهر ـ والله أعلم ـ أن الغنُّوشي ـ هداه الله ـ حاله كحال غيره من الحركيين المعاصرين، لا تهمهم هذه التصنيفات (العقدية) السابقة، ما دام أصحابها يعملون لهدف واحد هو الإنتظام في الحركة الإسلامية وإعادة مجد الإسلام، وما داموا ـ كما يزعم! ـ يلتقون على "

الحد الأدنى من الإسلام "[١]

ولكن السؤال: ماذا سيكون حال الدولة الإسلامية (المنشودة) عند تحقيقها من قبل أفراد التيارات السابقة ؟.

أتراها تقوم على السلفية ؟ أم الأشعرية ؟ أم تحيي تراث المعتزلة ؟ أم...؟.

كل هذا لا جواب عنه عند الغنُّوشي وغيره من الحركيين.

وهو - في ظني - حيدة عن أمر مهم واقع لا محالة، وهو تصارع وتناحر التيارات حال وصولها إلى الهدف. فينقل الصراع من كونه بين إسلاميين ولا إسلاميين الآن، إلى أن يصبح صراعاً عنيفاً بين الإسلاميين أنفسهم[٢]، بسبب هذا الإرجاء في تنقية الساحة الإسلامية وتصفيتها من كل ما يخالف الكتاب والسنة، دون مجاملة أو مداراة لأحد، ودون الاغترار بفكرة (التجميع) التي غرت الكثير من دعاة الإسلام، فأصبحوا يحرصون عليها (بهدف التكاثر) أكثر من حرصهم على تراص وترابط والتقاء الصف المؤمن على مذهب السلف الذي يضمن لهم - بإذن الله - التآخي والمحبة والاجتماع، كما قال تعالى: ﴿ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ

---

(١) كما في مقابلته مع مجلة قراءات سياسية (ص ١٠) . وهذا ظن من الغنوشي، وإلا فكثير منهم — لا سيما التيار العقلاني — قد ارتكب البلايا — بل الكفريات ! — والعياذ بالله — وليس هذا موضع تفصيلها، فكيف يحل للمسلم أن يلتق معهم ؟!!

(٢) ويذكرني هذا بما حدث في أفغانستان، حيث كان الناصحون أيام الجهاد مع الروس يطالبون القادة بتصفية خلافاتهم والتقائهم على عقيدة السلف الصافي، ونبذ البدع والخرافات والتعصبات المذهبية قبل النصر على الأعداء، خشية أن ينشب الصراع بينهم إذا ما تساهلوا في ذلك، ولكن البعض لم يعجبه هذا المسلك، ورأى أن من المناسب إرجاء الخلافات إلى ما بعد النصر على العدو ! بل شنعوا على المصلحين أنهم أهل فتنة ! فلما تم النصر — ولله الحمد — ماذا كان الحال ؟! الجواب يعرفه كل متابع.

وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾[1] وقال: ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ﴾[2] وقال: ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾[3].

نسأل الله أن يعي الغنُّوشي وإخوانه من الدعاة هذا الأمر المهم الذي يقود التساهل فيه إلى التناحر والتفرق ولو بعد حين ، أما الاهتمام به الآن فإنه ـ وإن سبَّب تضايقاً من البعض ـ لا شك موصلنا إلى تحقيق الجسد المؤمن الواحد ـ بإذن الله.

فما مثل من يتساهل فيه إلا كمثل رجل مريض يُخشى عليه تزايد مرضه، إلا أنه لم يصبر على ألم العلاج، ورضي بأن يوهم نفسه بأنه في صحة وعافية، إلى أن قضي عليه بعد فترة يسيرة.

وآخر رضي بألم العلاج المؤقت، فعاش بقية عمره الطويل في عافية وخير. والله الهادي.

انحرافات الغنّوشي:

وقد قسمتها على ستة مواضيع (كبرى).

أولاً: موقفه (العقدي).

ثانياً: موقفه من الكفار.

ثالثاً: موقفه من الرافضة.

رابعاً: موقفه من المرأة.

خامساً: موقفه السياسي.

---

(١) سورة الشورى الآية ١٣.

(٢) سورة آل عمران الآية ١٠٥.

(٣) سورة آل عمران الآية ١٠٣.

سادساً: انحرافات متنوعة.

أولاً: موقف الغنوشي من العقيدة:

لم يتبين لي حال عقيدة الرجل! أهو يدين الله باتباع عقيدة السلف، كشأن بعض أفراد (جماعة الإخوان)، أم أنه يتبع عقيدة الأشاعرة! كشأن أهل بلده؟! والسبب أنه ليس للغنُّوشي كتاب واحد في مسائل العقيدة ليتبين لنا رأيه فيها، فهو كشأن الحركيين لا يوليها اهتمامه: إلا أن له فلتات وعبارات هنا وهناك تجعل القارئ يتحير في مذهب الرجل.

فمرة تقول: هو سلفي العقيدة.

وأخرى تقول بل خلفي!

فمما يشهد للأولى:

١- قوله عن مقومات الحركة الإسلامية بأن من أهم العناصر التي تشكل ماهيتها: "السلفية"[١] ويعني بها: " استمداد الإسلام من أصوله دون تعصب لما وجد في تاريخ الإسلام من نظريات واجتهادات ، فالأصل ما ورد في الكتاب والسنة وعصر الخلفاء"[٢]

٢- اعتقاده بتوحيد الألوهية، كما في كتابه (حقوق المواطنة)[٣]

٣- إهداؤه كتاب (الحريات العامة في الدولة الإسلامية) إلى" داعية التوحيد محمد بن عبد الوهاب"[٤]

أما ما يشهد للأخرى فهي:

---

(١) الحركة الإسلامية والتحديث (ص ٢١).

(٢) المرجع السابق (ص ٢١).

(٣) (ص ٣٦).

(٤) (ص ٦).

١- أنه عندما يخوض - أحياناً ! - في بعض القضايا العقدية لا يعرف مذهب السلف! ولا يذكره! فمن ذلك أنه عندما خاض في مسألة القدر في كتيبه (القضاء والقدر عند ابن تيمية) لم يذكر سوى رأي المعتزلة ورأي الأشاعرة[(١)]، وكذا فعل عندما خاض في مسألة (الحسن والقبح في الأفعال) ذكر رأي المعتزلة والأشاعرة دون مذهب السلف[(٢)].

٢- اختياره مذهب المعتزلة في (القضاء والقدر)[(٣)].

٣- قوله منتصراً لمذهب الخلوف!!:" إن الاختلاف بمعنى الثراء والتنوع في الاجتهاد في الأمة قديم، أباحه الإسلام إن لم يكن قد شجع عليه من خلال تأكيده على نسبية المعرفة البشرية، ومسؤولية الإنسان على نفسه ومصيره وحقه في الاجتهاد، وقابليته للخطأ والتوبة، ومن خلال ورود نصوص الدين في معظمها على صياغات كلية عامة وقدر كبير من التشابه ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٌ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ﴾[(٤)]. فانقسم الناس تجاهها ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٌ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ ﴾[(٥)]. ثم انقسم المؤمنون في منهاجهم المعرفي إلى صنفين عظيمين لا زالا

---

(١) أنظر رد أبي قتادة عليه في ملحق هذه الرسالة.

(٢) حقوق المواطنة (ص ٤٤).

(٣) أنظر رد أبي قتادة السابق.

(٤) سورة آل عمران الآية ٧.

(٥) سورة آل عمران الآية ٧ .

يتصارعان حتى يوم الناس هذا، وذلك حسب نوع تقطيعهم لهذا الشطر من الآية، فمن أوقف تلاوته عند ﴿ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ أمكن إدراجه ضمن مدرسة الجمهور من علماء وفقهاء الأمة، ومعظم الأمة لهم تبع، وذؤابة هذه المدرسة أهل الحديث وكبار الفقهاء.

أما الصنف الآخر منهم، أولئك الذين واصلوا التلاوة دون توقف ﴿ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ ﴾ فكانوا أهل التأويل والنظر والرأي و"الحكمة" والعرفان(١).

وكما غالى قوم من أهل المدرسة الأولى فكانوا مجسمة وظاهرية حرفيين، نصوصيين(٢)، فقد تطرف قوم من أهل المدرسة الثانية حتى ضحوا بالنصوص جملة مكتفين بما استنبطوه منها من مقاصد فكان منهم فئة الفلاسفة العقلانيين وكان منهم أهل الذوق والعرفان أقطاب الصوفية. وراوح جمهور الأمة بين هؤلاء وأولئك مع ترجيح كفة التأويل العقلانية وتغليب جانب المقاصد في عصور النهضة، والميلان المجحف في عهود الانحطاط والانكماش والتخلف إلى الوقوف الجامد عند ظواهر النصوص بل عند ظواهر تأويلاتها في العصور السالفة)(٣).

قلت: فتأمل ـ يرعاك الله ـ كيف مزج الغنُّوشي أهل السنة بأهل البدعة! معتبراً أن الفئتين يلتقيان حول الكتاب والسنة! وإنما الخلاف هو في الفهم فقط. فليست القسمة عنده هي: أهل سنة يتبعون الكتاب والسنة، وأهل بدعة وتأويل يحكمون أهواءهم وعقولهم في النصوص،

---

(١) تأمل !!
(٢) هلاَّ وضحتهم لنا؟!
(٣) مجلة قراءات سياسية (ص ٣٣ ــ ٣٤).

كما هو تقسيم أهل العلم[١]، إنما القسمة عنده هي بين فهمين ومدرستين إسلاميتين، لا حرج على المسلم في اتباع أيٍ منهما!! ثم تأمل ـ وفقك الله ـ إلى جنوح الغنُّوشي إلى ترجيح كفة الخلوف أهل البدعة الذين سماهم " أهل الحكمة والعرفان "!! وأنهم الأنسب" لعصر النهضة "! بخلاف أتباع الكتاب والسنة من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، الذين سماهم " الجامدين أهل النصوص "! الذين لا يظهرون ويعلون إلا في " عهود الانحطاط والانكماش والتخلف "!!.

نعوذ بالله من مشايعة الضالين.

٤- ومما يشهد لهذا ـ أيضاً ـ أنه عند ذكره السابق لمقومات الحركة الإسلامية وأن منها " السلفية " تخبط في مفهوم هذه السلفية ! فبعد أن بين بأنها " استمداد الإسلام من أصوله دون تعصب لما وجد في تاريخ الإسلام من نظريات واجتهادات .... الخ "[٢]. استشهد بكلام للخميني !!! يقول فيه هذا الطاغوت الهالك عندما سئل عن نظام الحكم الذي يسعى له: هل هو سني أم شيعي ؟ قال الهالك: " إننا نريد أن نحكم بالإسلام كما نزل على محمد ـ ﷺ ـ، لا فرق بين السنة والشيعة، لأن المذاهب لم تكن موجودة في عهد رسول الله ـ ﷺ ـ"[٣]!!

قلت: استطاع هذا الرافضي الهالك أن يخدع الغنوشي بتقيته المعروفة! وتصديق ما قاله يكون بالنظر في أحوال أهل السنة في إيران

---

(١) انظر لبيان بطلان مذهب أهل التأويل: " الفتوى الحموية الكبرى " لشيخ الإسلام (ص ٢٨٦ وما بعدها) تحقيق الشيخ حمد التويجري.

(٢) الحركة الإسلامية والتحديث (ص ٢١).

(٣) المرجع السابق (٢١ – ٢٢).

بعد قيام ثورته الرافضية!!

ثم قال الغنُّوشي: " ولا تعني السلفية هنا كما هي عند البعض حرباً على المذاهب الفقهية أو العقدية. كلا، فهذا تمزيق لكيان الأمة "[١] فهو يقول: كن سلفياً، ولكن لا تُحذر من أهل البدع أو تنابذهم أو تهجرهم أو ترد عليهم ! فكل هذا مما يُمزق الأمة ـ عند الغنُّوشي ـ! فهي دعوة إلى " التمايع " و " الاختلاط " بأهل البدع والأهواء على حساب مذهب القرون المفضلة.

ألم أقل ـ سابقا ـ بأن الغنوشي ـ هداه الله ـ يسير في ركاب جماعة الإخوان " التجميعية " ويحقق لهم بهذا الكلام أهدافهم؟

ثم قال الغنُّوشي: " ويلحق بالمعنى السلفي تجميع المسلمين حول ما هو معلوم من الدين بالضرورة، إبعاداً للخلاف وتوحيداً للصفوف حسب القاعدة: نتعاون فيما اتفقنا عليه، ويعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه"[٢]

والسؤال يا غنُّوشي: ما هو المعلوم من الدين بالضرورة الذي تريدنا أن نجتمع عليه؟! لأن كل أهل بدعة سيعتقدون أن بدعتهم هي من المعلوم بالدين بالضرورة، وسيلزمون البقية بوجوب اتباعها! وحينها يحدث الاختلاف الذي تفر منه وجماعتك! الذي قال الله عنه:﴿ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ﴾[٣]

---

(١) المرجع السابق (ص ٢٢).

(٢) المرجع السابق (ص ٢٢).

(٣) سورة هود الآية١١٨، ١١٩.

فهلاً لزمت مذهب السلف والتزمت به ما دام الخلاف حاصلاً لا محالة ؟!

أم أنك لا زلت تحلم بهذه التجمع (الطوباوي) الموهوم؟!

ولهذا وجدنا الغنوشي في حواره مع قصي الدرويش يحمل حملة شعواء على المنهج السلفي (الذي يركز الأنظار على جزئيات اللباس وعلى جزئيات الشعائر الدينية) ويرى (أن هذا المنهج ليس السلفية الحقيقة) ! (حوارات، ص ٤٣).

٤- ومن ذلك: أنه يرى التشريع (بالمصلحة) المجردة من أي قيد[١].

٥- ومن ذلك: طعنه في معاوية ـ ﷺ ـ وتسميته (بالوالي المنشق)[٢]!.

ثانياً: موقف الغنُّوشي من الكفار:-

موقفه هنا ـ أيضاً ـ كموقف أشياخه المستنيرين؟ من أمثال الغزالي والقرضاوي، حيث التمايع، وتحريف الأحكام الإسلامية لتوافق أهواء الكفرة.

ويعد كتابه (حقوق المواطنة) مثالاً جامعاً لكل ألوان التمايع معهم[٣].

فمن ذلك:

---

(١) وقد بنى كتابه (الحريات العامة في الدولة الإسلامية) على هذا ، انظر رد الشيخ مشهور عليه في ملحق هذه الرسالة.

(٢) (الحريات العامة في الدولة الإسلامية) (ص ، ١٦٣-١٦٤) ، وانظر رد أبي قتادة في ملحق هذه الرسالة.

(٣) وهو يذكرني بكتاب (مواطنون لا ذميون) للمستنير الآخر: فهمي هويدي، من حيث لي أعناق الأدلة، وتتبع الشواذ والغرائب، إرضاءً لعابدي الصليب.

١- أنه لا مانع عنده من إلغاء وصف (أهل الذمة) الثابت في النصوص الشرعية إرضاءً لعُبَّاد الصليب !، كما في كتابه (حقوق المواطنة) (ص ٥٠ ، ٥٦ ، ٥٧).

٢- ادعاؤه أن للكفار ما للمسلمين وعليهم ما عليهم[١] ! كما في كتابه السابق (ص ٦٦) (ص ٨٣)، **ولهذا فهم مساوون لنا!** (ص ٦٦ ، ٧٢).

٣- لا مانع لديه بأن يدعوا هؤلاء الكفار المسلمين إلى دينهم داخل الدولة الإسلامية!! (ص ٦٨ ، ٧٢) (الحريات العامة: ص ٢٩٣)[٢].

٤- لا مانع عنده ـ أيضاً ـ أن ينشئ هؤلاء الكفرة معابدهم داخل البلاد الإسلامية!! (ص ٦٨) **بكل هذا (الإطلاق غير المقيَّد)!.**

٥- يدعو إلى إعطائهم من الزكاة المفروضة !! (ص ٩١).

٦- يدعو إلى إسقاط الجزية عنهم !! (ص ١٠٢ ، ١٣٦).

٧- يدعو إلى أن يُقتل المسلم بالكافر ! (ص ١٠٨).

٨- لا مانع عنده من توليهم الوظائف العليا في الدولة الإسلامية (كوزارة التنفيذ!) (ص ٧٩).

٩- لا مانع عنده من إنشائهم للأحزاب داخل الدولة الإسلامية!! ولا يستثني من ذلك حتى الوثنيين !! (الحريات العامة ، ص ٢٩٣ -٢٩٤).

فاللهم ثبت قلوبنا على دينك!

---

(١) يستشهد المستنيرون ـ ومنهم الغنُّوشي كما في كتابه (حقوق المواطنة) (ص ٨٣) و (الحريات العامة، ص ٢٦٠ ـ ٢٦١) بحديث لا أصل له يقول عن الكفار: " لهم ما لنا وعليهم ما علينا ". انظر لبيان بطلان هذا الحديث ـ سنداً ومتناً ـ " السلسلة الضعيفة " للشيخ الألباني ـ رحمه الله ـ (١١٠٣).

(٢) بل يرى ذلك حق للملحد!! (انظر: حوارات ، لقصي الدرويش ، ص ٣٣).

ثالثاً: موقف الغنُّوشي من الرافضة:-

موقفه هنا ـ أيضاً ـ كموقف شيوخ جماعته (الإخوان المسلمين) من الرافضة، حيث التمايع والتقارب معهم، ولو على حساب دين المرء.

فهو يعد ثورتهم الرافضية في إيران ثورة إسلامية، ويدخلها ضمن الحركات الإسلامية المعاصرة! بل يُبالغ في مدحها ومدح القائمين عليها من أعداء الصحابة.

١- فيقول في كتابه (الحركة الإسلامية والتحديث):[١] (ليس أمام الحركة الإسلامية إلا الثورة الشعبية التي تنتهي بتكتيل الشعب صفاً واحداً في وجه السلطة الجائرة، كما حدث في إيران ...)

٢- ويقول في كتابه السابق متحدثاً عن التيار الإسلامي في المجتمعات الإسلامية بأنه (قد عبر عن نفسه على لسان عدد من المفكرين والعلماء المجددين، كالأفغاني وإقبال ومصطفى صبري والسوسي وابن باديس، وتبلور وأخذ شكلاً واضحاً على يد الإمام البنا والمودودي وقطب والخميني ممثلي أهم الاتجاهات الإسلامية في الحركة الإسلامية المعاصرة)[٢].

٣- ويقول: (واليوم يبدأ الإسلام مع نجاح الثورة في إيران وباكستان دورة حضارية جديدة)[٣].

٤- ونجده يهدي كتابه (الحريات العامة في الدولة الإسلامية)[٤] إلى

---

(١) (ص ٣٥).

(٢) المرجع السابق (ص ١٦).

(٣) المرجع السابق (ص ١٧).

(٤) (ص ٥).

(قائد الثورة الإسلامية المعاصرة الإمام الخميني، والشهيد! العلامة الصدر، والشهيد علي شريعتي ..)!!. والثلاثة كلهم من غلاة الرافضة! وإن ادعى بعضهم ـ كشريعتي ـ العصرنة، لكنها عصرنة لا تخرج عن مذهبهم القبيح.

٥- ونراه في كتابه السابق ينعي على أهل السنة الذين كشفوا مكايد وخبائث الرافضة، ويدعوهم إلى (الاعتدال والوحدة والتعاون)[١]!!

فأي تعاون مع أعدا الصحابة ـ أخزاهم الله ـ وهم يبيتون لك العداء صباح مساء تحت ستار من التقية الماكرة ؟! لقد حاول ذلك من قبل رجالٌ كانوا أعلم منك وأحرص على وحدة الأمة، ولكنهم عادوا بالخسران المبين من جراء هذه الصفقة الخاسرة مع أشباه اليهود[٢]، والسعيد من وُعظ بغيره.

٦- يقول في كتابه السابق: (وفي لبنان حصد التيار الإسلامي ثمار صموده وجهاده في طرد الأساطيل الأجنبية ومنازلته البطولية للاحتلال الصهيوني، فعمل بتوفيق ويسر كبيرين على جبهتي الجهاد القتالي، والجهاد السياسي في منابر البرلمان بعد أن حققت فصائله الشيعية والسنية انتصارات صارخة ضد البنية العشائرية والطائفية التقليدية ، مما له دلالة واضحة ـ كما صرح الشيخ السيد حسين فضل الله أحد أبرز رموز الفكر الإسلامي المعاصر ـ على تجذّر الوعي الإسلامي في الواقع)[٣].

---

(١) (ص ١٤٤).

(٢) انظر تجاربهم الخاسرة في الرسالة القيمة للشيخ ناصر القفاري (مسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة).

(٣) (ص ٢٦٥).

٧- ومن ذلك قوله عن أحد علمائهم: (العلامة الشيعي ...)[١]!

رابعاً: موقف الغنُّوشي من المرأة وأحكامها:

موقفه منها هو موقف أشياخه من المستنيرين، من أمثال الغزالي والقرضاوي وغيرهم، ممن يّقدم التنازلات في هذه القضية ـ كحالهم في غيرها ـ لعل الغرب يرضى عنهم، أو ينظر نظرة إنصاف إلى الإسلام !! ـ زعموا ـ.

وما دروا أن الغرب يضحك عليهم بملء فيه لأجل هذه التنازلات، وينظر إليهم نظرة ازدراء لهوان دينهم وأحكامه عليهم، ولو أن أهل العلم صانوه صانهم! فمن تلكم التنازلات التي قدمها الغنوشي في قضية المرأة:

١ - ادعاؤه ـ تبعاً للمدرسة العقلانية ـ أن حواء لم تُخلق من ضلع آدم ـ عليه السلام ـ !! وإنما خلقت من نفس مادته بشراً سوياً[٢] !! مخالفاً بذلك قوله تعالى: ﴿ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾[٣] وما جاء من أحاديث كثيرة وصحيحة في تفسيرها، من أن حواء مخلوقة من ضلع آدم ـ عليه السلام ـ. وهو الذي عليه مفسرو السلف.

والأعجب في هذا، أن الغنُّوشي ـ هداه الله ـ راح يؤيد ما اختاره

---

(١) المرأة المسلمة في تونس (ص ١٢).

(٢) المرأة المسلمة في تونس (ص ٧ – ١٧)، ويكفي للرد على هذا الرأي المتهافت حديث الشفاعة في الصحيحين الذي جاء فيه أن الناس عندما ذهبوا إلى آدم ـ عليه السلام ـ ليتشفع لهم إلى الله ذكروا من خصائصه " أنت أبو البشر ، خلقك الله بيده " ولو كانت حواء مخلوقة مثله ـ بيد الله ـ من تراب، لما كانت له ميزة على غيره في هذا ! فهل يعي الغنُّوشي تهافت هذا الرأي (العقلاني) الذي رجحه ؟! وليس المقام هنا مقام بسط في رد انحرافاته ـ كما سبق ـ

(٣) سورة النساء الآية ١.

بـأقوال شـيخ العقلانـيين محمـد عبـده، وشـيخ الـروافض في عـصره ! (العلامة الشيعي محمد حسين الطباطبائي)[١] !! كما يقول.

وسبب هذا الاختيار العجيـب مـن الغنُّوشـي هـو أن الـرأي الأول الذي عليه مفسرو السلف، وجاءت به الأحاديث الصحيحة، هو ـ عنـد الغنُّوشي ـ: (تكـريس تبعيـة المـرأة للرجـل علـى الـصعيد الاجتمـاعي، وانمحاء شخصيتها وذوبانها في شخصيته، وتكـريس التمييـز والأفـضلية على أساس الجنس، مما يتنافى مع مقاصد الشريعة)[٢]!!

أما الرأي الثاني الذي اختاره فهو: (تحقيق استقلال شخصية المـرأة، وتحملها مسؤولية وجودها ومصيرها كاملاً، والقـضاء علـى أول وأقـدم اضـطهاد للإنـسان لأخيـه الإنـسان علـى أسـاس الفـوارق الجـسمية ...)[٣]!!!

فالرجل يعتقد ثم يبـدأ في التقـاط مـا يـشهد لانحرافاتـه مـن أقـوال شاذة، أو تأويلات سامجة.

وفي كلامه الأخير انحراف كبير ! حيث نفى أفضلية جنس الرجال على جنس النساء، مخالفاً بذلك قول الله تعالى: ﴿ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ﴾[٤]وقوله: ﴿ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ﴾[٥]وقوله: ﴿ وَلَا تَتَمَنَّوْاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُواْ ۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ

---

(١) المرأة المسلمة في تونس (ص ١٢).

(٢) المرجع السابق (ص ١٧).

(٣) المرجع السابق (ص ١٧).

(٤) سورة البقرة الآية ٢٢٨.

(٥) سورة آل عمران الآية ٣٦.

مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ ۚ وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ ﴾[١].

كل هذا تكريماً لسواد عيون الغربيين أن يرضوا عن ديننا وأحكامه التي مسخها الغنُّوشي وأضاع معالمها الحقيقية لعلها تحوز على ذلك الرضى! إذا صح منك الود فالكل هين!.

٢- اختياره جواز أن تكون المرأة نبية[٢] !!! ولا أدري ما سر بث هذا الرأي الشاذ والغريب والخيالي؟! أم أنها من متطلبات الرضى السابق؟!.

أما كونه خيالياً؛ فلأن النبوة انقطعت بعد محمد ـ ﷺ ـ فلا نتوقع أن تأتينا نبية في قادم الأيام ! وأما في الماضي فلم يعرف أن الله قد بعث نبيةً ! فأصبح هذا الرأي مجرد خيال وحلم زائف يدغدغ به الغنوشي عواطف الغرب، وعواطف النساء!.

٥- دعوته إلى الإختلاط (في جو جاد بعيد عن الإثارة ، ومفعم بروح الفطرة العفوية)[٣] !! والحق ـ رعاك الله ـ هذا الرأي بذلك الرأي الخيالي السابق ! لأنه لا وجود له بهذه الشروط ـ على أرض الواقع !

وليته اكتفى بهذا ـ هداه الله ـ بل راح في صفحات كثيرة (يُهيّج) المرأة المسلمة على نبذ (القرار) في البيت، زاعماً أن (ليس في الإسلام ما يوجب على المرأة القيام برعاية لبيت الزوجية والأطفال)[٤] !!

---

(١) سورة النساء الآية ٣٢.

(٢) المرجع السابق (ص ٣٨ وما بعدها).، ولعله تلقفه من ابن حزم !.

(٣) المرجع السابق (ص ٩٩) ، (ص ١٠٦-١١١) ، وانظر (حوارات) قصي الدرويش (ص ٤٨-٥١).

(٤) المرجع السابق (ص ١٠٠).

مدعياً أن تفسير قوله تعالى: ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ ﴾[(١)] هو من الوقار[(٢)]!!
وهذا تلبيس متعمد من الغنُوشي في تفسير الآية خالف به جمهور العلماء الذين قالوا بأن (قرن) من القرار لا من الوقار ـ وهو المعنى الشاذ الذي رجحه الغنوشي اتباعاً لهواه ـ بدليل ما بعدها، وما كان موجهاً لنساء النبي ـ ﷺ ـ فغيرهن أولى به ـ كما بين ذلك العلماء ـ ما لم يكن هناك ما يدل على تخصيصه بهن، ولا يوجد شيء من ذلك هنا[(٣)].

وأيضا: نجده ـ هداه الله ـ يهون من شأن مشكلة الإختلاط ، كما في حواراته مع قصي الدرويش (ص ٤٨).

٥- اختياره جواز تولي المرأة رئاسة الدولة الإسلامية (الإمامة العظمى) ! والولايات العامة[(٤)]! وهو مما أجمع علماء السنة على عدم جوازه.[(٥)]

خامساً: موقفه السياسي:

الغنُوشي من أبرز دعاة (الديمقراطية الغربية) في هذا العصر، وقد خصص جزء كبيراً من كتابه (الحريات العامة) لهذا الشأن.

---

(١) سورة الأحزاب الآية ٣٣.

(٢) المرجع السابق (ص ١٠٩).

(٣) يقول القرطبي في تفسير هذه الآية: "معنى هذه الآية الأمر بلزوم البيت ، وإن كان الخطاب لنساء النبي ـــ ﷺ ـــ فقد دخل غيرهن فيه بالمعنى. هذا لو لم يرد دليل يخص جميع النساء ، كيف والشريعة طافحة بلزوم النساء بيوتهن والانكفاف عن الخروج منها إلا لضرورة" (تفسير القرطبي ١٤/١١٧) ، وانظر أيضاً: تفسير ابن كثير (٣ ٤٦٤) ط دار الأندلس بحائل ، وتفسير السعدي (٤/١٤٤) ط عالم الكتب.

(٤) الحريات العامة في الدولة الإسلامية (ص ١٢٨ وما بعدها).

(٥) انظر: "المرأة والحقوق السياسية في الإسلام" لمجيد أبو حجير.

وهو كثيراً ما يردد ـ كغيره من الحركيين ـ بأن الديمقراطية ـ على ما فيها ـ هي خير من الديكتاتورية التي وقعت تحت حكمها كثير من بلاد المسلمين. ويرى أن من يرفض الديمقراطية من دعاة الإسلام سيكون خادماً للدكتاتورية ! (الحريات العامة ، ص ٣١٤). ويرى ـ كذلك ـ أننا لكي نصل إلى الدولة الإسلامية (ويسميها دولة العدل) لا بد أن نمر بالديمقراطية (ويسميها دول العقل!) (مقابلته مع مجلة قراءات سياسية، ص ١٧).

ونحن نقول للغنُّوشي ما قاله الأول:

المستجير بعمرٍ عند كربته كالمستجير من الرمضاء بالنار!

فأنت تزعم أنك ستفر من رمضاء الديكتاتورية، ولكنك واقع لا محالة في نار الديمقراطية التي تستتر خلف ما ظاهره الرحمة، وباطنه الكفر والعذاب. فهذه الديمقراطية المزعومة قد خبرناها في مواقع عديدة، ولم نجدها إلا أشد ديكتاتورية على أهل الإسلام من غيرها ! وإن تظاهرت بخلاف ذلك في الظاهر، ولكن عند وصول أهل الإسلام إلى السلطة سرعان ما تكشف عن وجهها القبيح، ولا يخفى الأستاذ ما حصل للجزائر قريباً.

والديمقراطية فكرة جاهلية كافرة قد وضح باطلها جمع من علماء ودعاة الإسلام في هذا الزمان[١]، ولم يعد يخفى ما فيها من مفاسد على عاقل.

- وفي ظني ـ أن الدكتاتورية في أحيان قد تكون خيراً للإسلام وأهله من الديمقراطية! وأعني بأن تكون ديكتاتورية تراعي المعلوم

---

(١) انظر: " الديمقراطية في الميزان " لسعيد عبد العظيم، و " خمسون مفسدة جلية من مفاسد الديمقراطية " لعبد المجيد الريمي ، و "حقيقة الديمقراطية " لمحمد شاكر الشريف.

بالضرورة من دين الإسلام، ولا يزال فيها نوع حياء أو تمسح بالإسلام ـ ولو ظاهراً ـ لأنها في هذا الحال لن تسمح للكفر وأهله بالتبجح بإعلان كفرهم، وإعلان أحزابهم، بل ستحاربهم وتمنعهم من ذلك ـ كما هو حاصل في بعض البلاد، بخلاف ما لو طبقت الديمقراطية المزعومة، حيث سيجد الكفرة الزنادقة مرتعاً خصباً لنشر باطلهم (علناً).

قد تقول: ولكن الدكتاتورية ستتسلط على دعاة الإسلام وأهله؟! بخلاف الديمقراطية.

فأقول: لو سلك الدعاة ـ ومنهم الغنُّوشي ـ مسلك السلف في التعامل مع الحكام لما رأيت كثيراً من هذا التسلط، لأن الحاكم لن يتسلط إلا على من ينازعه سلطانه، ولو كان أقرب قريب، وقديماً قالوا: " المُلك عقيم " فهو حتماً إذا علم أن دعاة الإسلام هدفهم الأول هو الوصول إلى السلطة وإزاحته من على كرسي الحكم، سينازعهم ويتسلط عليهم (دفاعاً) عن ما حصَّله. وسيعدهم أعداء له ولملكه.

ولكن لو تعامل الدعاة معه بحكمة، وأعانوه على أمور الخير، وتجنبوا باطله، وناصحوه برفق، واستمروا في دعوتهم إلى تعبيد الناس لرب العالمين، وتحقيقهم التوحيد، لتم على أيدهم خيرٌ كثير، وتدبر قول موسى ـ عليه السلام ـ لقومه لما شكوا له ما يلاقونه من (ديكتاتورية) الفراعنة! ﴿ قَالُوٓاْ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾[1]

---

(١) سورة الأعراف الآية ١٢٩ .

﴿ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[1].

وقبل هذا: الالتزام بأحاديث المصطفى ـ ﷺ ـ الآمرة بالصبر على جوّر الولاة وظلمهم، والاستمرار في الدعوة، لأن الله بيده الأمر كله، وهو القادر على استبدال هؤلاء الطواغيت بغيرهم من الصالحين، ولكننا قوم نستجعل و" ننازع الأمر أهله ".

إذاً: القسمة عند الغنُوشي: إما ديكتاتورية جائرة، أو ديمقراطية غربية! لا ثالث لهما.

ولكنها عند متبعي الكتاب والسنة: إما حكم جائر (أو كافر) نتعامل معه وفق ما جاء في الأحاديث النبوية إلى أن يأذن الله بتغييره، أو ديمقراطية كافرة مستقدمة من الغرب تزيد من انتشار الكفر والضلال في بلاد المسلمين، ثم هي لا توصل ـ مهما حاولنا ـ إلى تحكيم شرع الله. فالأولى أولى بلا شك، والله المستعان.

غلو الغنوشي في الديمقراطية قاده إلى انحرافات خطيرة:

وذلك أن الديمقراطية الغربية لا تنفك عن تلك الانحرافات التي تقدح في دين المرء، ولا يستطيع أحد فصلها عنها؛ لأنها من أساسياتها، وذلك: كالرضا بالأحزاب الكافرة، واحترام الدستور الكفري، وعدم الاهتمام بتعبيد الناس لرب العالمين والانشغال بدلاً عن ذلك بمتطلبات التنافس الديمقراطي!.

ومما يؤكد هذا ما جاء في القانون الأساسي لحركة النهضة التي يعد

---

(١) سورة الأعراف الآية ١٢٨.

الغنوشي أميراً لها، وهو قولهم: " تناضل حركة النهضة من أجل الإسهام في تحقيق الأهداف التالية: في المجال السياسي: دعم النظام الجمهوري وأسسه وصيانة المجتمع المدني وتحقيق مبدأ سيادة الشعب"[١]!

والغنوشي ـ هداه الله ـ كثيراً ما يدندن حول هذا في مقابلاته وحواراته.[٢]

سادساً: انحرافات متنوعة:

وقع الغنوشي في إنحرافات في حواره مع قصي الدرويش، أذكرها باختصار:

١- دفاعه عن الفلسفة (ص ١١٦) ومدحه للفلاسفة (ص ١١٨).

٢- دفاعه عن الفرق المنحرفة؛ كالصوفية (ص ١٢١ وما بعدها).

٣- إعجابه الشديد بالمعري (الملحد !) (ص ١٢٤).

٤- قوله: (أنا عامة لست مع تدخل الفتوى في قضايا الفكر)! (ص ١٢٦).

٥- تهجمه على السلفية بدعوى أنها لا ترى حرية الفكر، ووصمها بأنها (مدرسة الخوارج)! (ص ١٢٧).

٦- تحليله للمعازف وقوله: (لم تصدر فتوى بتحريم الفن)! (ص ١٢٨).

---

(١) الحريات العامة في الدولة الإسلامية (ص ٣٩٩).

(٢) انظر على سبيل المثال: حواره مع مجلة اليمامة (العدد ١٠٥٩)، وحواره مع صاحب كتاب (الفكر الإسلامي المعاصر ــ مراجعات تقويمية ــ) (ص ١٨٦ وما بعدها)، وكتاب (حوارات) لقصي صالح الدرويش (ص ٧٠ وما بعدها).

٧- تحليله لربا البنوك !! بدعوى الضرورة، أو لعدم الإستغلالية (ص ١٣٦).

لماذا (تساهل) الغنُّوشي ؟

قد يتساءل المسلم بعد أن يرى مدى تدرج الغنُّوشي ـ هداه الله ـ نحو الإنحراف ومخالفة شرع الله وأحكامه، فيقول: لماذا كل هذا التمايع؟! ولأجل ماذا؟!

الجواب: ـ والله أعلم ـ أن من غلَّب جانب (الحركة) و(السياسة) من دعاة الإسلام سوف ينجرف ـ بلا شك ـ نحو التساهل في دينه، وتقديم التنازلات المتتالية التي يتطلبها الواقع المتحرك بما فيه من ضغوطات، عرض المرء نفسه لها، وهو في غنية عن ذلك كله.

ويعود الأمر كله ـ في نظري ـ إلى محاولة هؤلاء الدعاة كسب ود الغرب، وأن يجدوا لديه شيئاً من الحظوة والرضا لعله يوصلهم إلى مقاعد الحكم بدلاً من الطواغيت! أو يغض الطرف عنهم ويرضى عن نشاطاتهم !

ولا تعجب من هذا، فحال القوم يفيده، وفلتات ألسنتهم بين الحين والآخر تشهد له.

وحق هؤلاء الدعاة أن نذكرهم بقوله تعالى:﴿ فَلَا تَخْشَوُا ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ ﴾[1] ﴿ أَتَخْشَوْنَهُمْ ۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[2] وقوله: ﴿ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ

---

(١) سورة المائدة الآية ٤٤.

(٢) سورة التوبة الآية ١٣.

هَادٍ ﴾[١].

ونحذرهم من عقوبة اتباع أهواء الكفرة الغربيين بترك شيء من أحكام الإسلام أو (تمييعه) أو (التساهل فيه). وندعوهم إلى تأمل هذه الآيات القرآنية وتفسيرها، قال تعالى محذراً نبيه من ذلك: ﴿ وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ ۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾[٢]. وقال سبحانه: ﴿ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَـٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذًا لَّأَذَقْنَـٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴾[٣] وقال: ﴿ وَدُّوا۟ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴾[٤] وذكر تعالى أن: ﴿ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ ﴾ هم الذين طلبوا رضا الكفرة بالتخلي عن بعض أحكام دينهم بقوله عنهم: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ كَرِهُوا۟ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِى بَعْضِ ٱلْأَمْرِ ۖ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴾[٥] ثم بين عقوبتهم: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَـٰرَهُمْ ﴾[٦].

---

(١) سورة الزمر الآية ٣٦.

(٢) سورة البقرة الآية ١٤٥.

(٣) سورة الإسراء الآية ٧٥،٧٤.

(٤) سورة القلم الآية ٩.

(٥) سورة محمد الآية ٢٦.

(٦) سورة محمد الآية ٢٧.

فأنت يا داعية: عندما تتبع أهواء الكفرة فإنك تعرض نفسك لأمرين عظيمين:

١- عقوبة الله تعالى، كما سبق.

٢- توالي التساهل منك والتنصل رويداً رويداً من دين الله ، والعياذ بالله !، لأن الله يقول: ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾[1]، فمهما قدمت من تنازلات فإنهم لن يرضوا منك إلا بالكفر، أعاذنا الله وإياك منه.

فهلاً رفقت بنفسك وحفظت دينك ما دام رضاهم عسيراً! والتزمت وعرضت أحكام دينك لهم كاملة دون مداهنة، متبعاً قوله تعالى:﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾[2] ؟!

وصدق من قال فيمن يطلب رضا الغربيين:

والله لا يُبدي لك الغرب حُرمة
ولو رحت في أذياله تتمسحُ

يقول لك الغرب المُدل بنابه
وقد جئتَ تستجدي رضاه وتمدح

مكانك ياشرقي وارجع بذلةٍ
فمن ذا رأى الشرقيَّ للعز يَصلح

ومهما سما الشرقي فالشرق نعجة
تسمن للغرب النهوم وتُذبح

---

(١) سورة البقرة الآية ١٢٠.

(٢) سورة الكهف الآية ٢٩.

فلا تلتمس عطفاً من الغـرب صاغراً
ذليـلاً فما يحنـو القـوي ويسمح
ولا تعبـد الغـربي جهـلاً فإنـما
ستكسب منـه كـل ذُل وتربح
ألسـت تـراه رابـضاً متربـصاً
يـود لـو أنّ الـصيد يبـدو ويُمنـح؟

أسأل الله أن يوفق دعاة الإسلام إلى اتباع (كامل) أحكامه، وعدم الحياء من بعضها! وأن يعرضوه للناس كما أنزل على محمد ـ ﷺ ـ، وأن يفرحوا بهذه النعمة، لا أن يتواروا خجلاً منها ! فقد قال تعالى: ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ ﴾[١] وقال تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾[٢].

طه جابر العلواني يعترف!

قلت لك سابقاً بأن أفراد التيار المستنير ـ ومنهم الغنُّوشي للأسف ـ يحاولون كسب ود الغرب وعملائه من العلمانيين وغيرهم؛ لعلهم يرضوا عنهم ويمكنونهم من تولي الحكم أو المشاركة فيه، وقد اعترف بهذا الأمر ـ ولعلها فلتة أو زفرة هموم ! ـ رأس من رؤوس هذا التيار في عالمنا اليوم، هو الدكتور طه جابر العلواني[٣] رئيس المعهد العالمي

(١) سورة يونس الآية ٥٨.

(٢) سورة المائدة الآية ٣.

(٣) كان يعمل في جامعة الإمام قبل ذهابه إلى أمريكا!! ولكنه عندما كان عندنا كان يطبق قول القائل (ودارهم ما دمت في دارهم)! كشأن غيره من المستنيرين أو الخرافيين عندما يأتون إلينا، كأبي غدة والعسال وغيرهم.

للفكر الإسلامي. وذلك في تقديمه لكتاب الغنُّوشي (حقوق المواطنة)، حيث وضح أن تياره المستنير لا زال يقدم التنازلات تلو التنازلات عن دين الله؛ لعل أذناب الغرب يرضون عنه، ولكن دون فائدة ! فهو يتحسر لهذا.

فاسمع إليه ماذا يقول:

يقول العلواني:

(وهاهو الأخ الأستاذ راشد الغنُّوشي يعلن في كتابه هذا اتساع الإسلام لقبول مفهوم " المواطنة" كما هو في الوعي المعاصر ويدلل لهذا القبول ويعلل له ويؤصله ليكون اجتهاداً معتبراً شرعاً تستجيب له القلوب المسلمة وتقبله العقول. ومع ذلك فلا تزال العديد من الفصائل العلمانية الدنيوية على مواقفها من رفض المشروع السياسي الإسلامي وتخوفها منه، وشكها في أصحابه. بل إن بعضهم يفضل العيش في ظل الاستبداد والدكتاتوريات السافرة والمقنعة على قبول أي مشروع سياسي إسلامي مهما أدخلت عليه من تعديلات)[1](حقوق المواطنة، ص١١). ثم يبين أمراً مهماً وخطيراً، وهو أن العلمانيين يعلمون أن الإسلام (الصحيح) هو غير الذي يدعو إليه التيار المستنير !! فانظر كيف عرف الأعداء الحق ـ وإن لم يؤمنوا به ـ وكيف تنازل المستنيرون عنه!!

يقول العلواني:

(فمثلنا ومثل رفاقنا العلمانيين الدنيويين كمثل قول القائل:

---

(١) بل تنازلات يا علواني !.

يكلٌ تَداوَيْنا فلم يَشْفِ ما بنا   لأنَّ الذي نهواه ليس بذي وُدٌ

فهؤلاء الدنيويُّون العلمانيُّون حين يأخذ الإسلاميون هذه المواقع الاجتهادية التأويلية المتقدمة يسارعون هم إلى احتلال مواقع الماضويين[1] والتمترس بذات النصوص التي تمترس الماضويُّون وراءها، يقول أحدهم: " ... كنّا نعرف بالطبع أن المساواة المطلقة التي يتحدث عنها التيار الإسلامي الثوري غير صحيحة شرعا والآيات والأحاديث تتحدث بوضوح عن تفاوت الدرجات") (المرجع السابق ص ١٩).

قلت: والله لن يرض عنك الغرب ولا أذنابهم مهما قدمت لهم، ولن يُرْضهم منك سوى الكفر، وأن تعلن تبرؤك من الإسلام، فارفق بنفسك يا علواني أنت وصحبك، واحفظوا ما بقى من دينكم.

فما حالكم معهم إلا كحال الشيطان مع ابن آدم الذي ما زال به حتى أوقعه في ذنوب تترى إلى أن أوصله إلى الشرك ـ والعياذ بالله ـ فقال سبحانه عنه: ﴿ كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ ﴾[2] فالغرب وأذنابه سيستدرجونكم إلى أن تقعوا في الكفر ـ والعياذ بالله ـ والردة عن دينكم، وعندها لن ينفعوكم بشيء، بل ستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون. فهل من إفاقة وعودة إلى الكتاب والسنة ؟! نسأل الله ذلك.

تلون الغنُّوشي !

هذا المبحث لم أذكره بهدف إحراج الغنُّوشي، كما قد يتوهم

---

(١) ويعني بهم أهل السنة!!

(٢) سورة الحشر الآية ١٦.

البعض، ولكني ذكرته لأبين لأهل الإسلام أن (الحركية) قرينة (التلون) فهما متلازمان، فلا تجد حركياً إلا ويكون متلوناً في مواقفه ـ إلا من رحم الله ـ والسبب أنه يُغلب جانب (السياسة) و(المصلحة) في مواقفه المتعددة، دون جانب (الحكم الشرعي). وهذا ملاحظ على أبرز الحركيين في عصرنا، كالترابي والنحناح وغيرهما.

وأقصد (بالحركي) من أراد خدمة الإسلام[٢] في عالم السياسة والواقع دون ضوابط شرعية، بل تقحم جانب المحرمات أو الشبهات تحت مختلف الدعاوى. ومن هؤلاء صاحبنا الغنوشي ـ هداه الله ـ ! فمن ذلك موقفه من حكومة المملكة العربية السعودية، فتأمل له هذين الموقفين منها وسترى أنه لا ينقضي عجبك من حال الحركيين الحزبيين:

١- يقول الغنُوشي في مقابلته مع مجلة (قراءات سياسية) مبرراً سلوكه المسلك الديمقراطي ودعوته إلى الدولة (العلمانية !!) مقابل (الديكتاتورية):

(هل نذهب بعيداً إذا قلنا بأن حكامنا العلمانيين المعاصرين رغم أننا نميل إلى إلحاقهم وتبعيتهم بالحكومات الغربية، إنهم أي حكامنا العلمانيين هم الامتداد الطبيعي من حيث نموذج الحكم الذي يمثلونه لأسلافهم من الطغاة الذين ازدحم بهم تاريخنا منذ قرون طويلة، والفارق هو الخلاف الديني الذي يستر أولئك ولا يزال يستر البعض

---

(١) وهذا من إحسان الظن بهؤلاء ، وإلا فإن البعض (يتهمهم) بأنهم طلاب سلطة وحكم قد ركبوا موجة الدين ! فهم ممن يصدق فيهم قوله تعالى ﴿فإن أعطوا منها رضوا وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون﴾ وقارن هذا بحال بعض النواب (الإسلاميين!) في بعض البلاد الإسلامية ، قبل دخولهم للحكومة، وحالهم بعد أن (حظوا !!) بذلك الدخول.

حتى الآن، وربما كان المتسترون أسوأ وأنكأ من العراة. أوليس المنافقون في الدرك الأسفل من النار، الأمر الذي يجعل ظهور الدولة العلمانية في أمتنا من حيث مضمونها الثقافي مرحلة مهمة في تطورها تاريخياً في اتجاه دولة العدل الإسلامي، مروراً بمرحلة دولة العقل أو الدولة العلمانية الديمقراطية. أليس أمراً بالغ الدلالة تأخر الحركة الإسلامية لدرجة الغياب في دول العالم الإسلامي التي لا تزال تجر أذيال الإسلام وتنسب نفسها لحكم الشريعة، وخاصة تلك التي لم تمر بالمرحلة الاستعمارية. الإسلام هناك يختنق تحت وطأة الكهنوت. مقعد الإسلام هناك مشغول ممتلئ بالكهنوت. فأي مكان للحركة الإسلامية إذن ؟ وهل من عجب أيضاً أن نجد أول خيط لفجر الحركة الإسلامية في قلب الجزيرة العربية يسطع نوره على إثر الاحتلال الأمريكي الغربي الأخير، وقد تجلى من خلال العريضة الشهيرة لكبار العلماء ورجال الدعوة هناك[1] كإشارة على ولادة الحركة الإسلامية وانفصال الدين عن الدولة والحاكم عن المحكوم، وتحرر الدين من هيمنة الحكام، وفقدان هؤلاء تحت وطأة الغزو الغربي لرداء الكهنوت وظهورهم على حقيقتهم حكاماً علمانيين لا تضبطهم إرادة أو مصلحة شعب أو حكم دين وإنما مصلحة العائلة والكرسي فوق كل شيء، لقد ألحق الغزو الغربي الأخير للخليج بعض أجزاء العالم الإسلامي التي تخلف تطورها بالوضع العام للأمة الإسلامية أي النضال من أجل تحرير إرادة الأمة من الطغاة واستعادة سيطرتها على الثروات، أي عقلنة الحياة السياسية وديمقراطيتها كخطوة

---

(١) يقصد (مذكرة النصيحة) الشهيرة!

ضرورية تهيؤها لعدالة أشمل وحرية أرسخ وخيرٍ أعظم).

قلت: تأمل هذا الغلو والحقد في نقد الدولة السعودية المعاصرة، ويضيف إليها (أهل الكهنوت)! وهم كبار العلماء لدينا الذين أفتوا بجواز الاستعانة بالأجنبي لطرد المرتد البعثي، وعلى رأسهم الشيخ ابن باز والشيخ ابن عثيمين ـ رحمهما الله ـ.

قد تقول: نحن لا نلوم الغنُّوشي على موقفه هذا، لأنه حرٌّ في مواقفه، وهو يتحمل مسئوليتها أمام الله.

فأقول: نعم، لن نلومه على هذا لو كان شجاعاً وجاهر برأيه هذا في كل محفل ومكان! أما أن يقوله هنا، ثم يقول نقيضه في مكان آخر، فهذا ما نلومه عليه، وهو (التلون) الذي قصدته، وهو ليس من صفات المؤمن، بل من صفات الجبناء (ذوي الوجهين) الذين ذمهم ـ ﷺ ـ.

ونقيض موقفه هذا قاله في مقابلته مع منتدى (ايلاف)[١] على شبكة الإنترنت، شهر ربيع الأول من عام ١٤٢٢هـ، حيث سئل. " كيف ترى التجربة السعودية

الحاكمة الآن ؟ أليست حكماً إسلامياً سيدي؟ أم أنكم تختلفون مع الحكم السعودي ولا تعتبرونه حكماً إسلامياً ؟ ثم ما رأيكم في الدعوة الوهابية[٢] .. هل تصلح معتقداتها للتعامل مع مقتضيات الدولة

---

(١) لصاحبه الصحفي السعودي المشهور (عثمان العمير) ، الذي فتح – هداه الله – منتداه هذا لكل حاقد على الإسلام وأهله ، من ملحد وعلماني ورافضي وشهواني ، بدعوى الحوار وحرية الفكر !! والأولى أن تسمى (حرية الكفر!) ؛ لأن الحرية الفكرية في الإسلام مضبوطة بأحكام الشرع لا تخرج عنه، فهل يعي العمير هذا ويسخر منتداه للدعوة إلى الإسلام والذب عنه؟ لئلا يكون ممن قال الله فيهم ﴿ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم ، ألا ساء ما يزرون﴾.

(٢) ليس هناك شيء اسمه (الدعوة الوهابية) ! بل هي دعوة الكتاب والسنة وفق الله لها الشيخ المجدد محمد بن عبد الوهاب ـــ رحمه الله ـــ.

الحديثة؟"[١]

قال الغنُّوشي: (الدولة السعودية قد تأسست على تحالف بين دعوة وقبيلة وهو نموذج الدولة الإسلامية التقليدية وكان لها دورة معتبر في إنجاز خطوات مهمة في اتجاه توحيد جزيرة العرب وتأمين المناسك ووفود بيت الله الحرام. صاحب الدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب الذي يمثل أهم جذر تاريخي للحركة الإسلامية المعاصرة، نفض غبار الانحطاط عن جوانب مهمة من فكر ابن تيمية فجسر العلاقة المفقودة بين الوحي والسياسية. ولقد بينت في كتابي " الحريات العامة في الدولة الإسلامية " أن الركن الأول للدولة الإسلامية هو تسليمها بالوحي مرجعية عليا واعتمادها الشورى أسلوباً في إدارة الدولة وعلاقة الحاكم بالمحكوم . وعلى هذا فالدولة السعودية هي دولة إسلامية من جهة قيامها على الشريعة. ونأمل أن الخطوة التي قطعتها على طريق الشورى بقيام مجلس شورى معين أن تتعزز بخطوات أكبر في اتجاه قيام مؤسسات شورية منتخبة وحياة سياسية وإعلامية أكثر انفتاحاً وهو الإنجاز المتوقع من حكم الأمير عبد الله يعزز به منجزات سلفه ويحقق التحول المنشود)!!

قلت: فالدولة السعودية هنا (دولة إسلامية)، وهناك (دولة علمانية)!! والفرق: المكان!

(١) معتقداتها هي ما جاء في الكتاب والسنة ـــ ولله الحمد ـــ! فإن ظننت أن الكتاب والسنة لا يتفقان مع ما تزعمه من (الدولة الحديثة) فقد ظننت ظن السوء بربك وبشرعه ، وهذه الدولة السعودية شاهد على إمكانية توافق الإسلام مع مقتضيات العصر ـــ ولله الحمد ـــ وما كان من قصور ونقص فإنه يعالج بالنصيحة. والعجب أن من يسأل هذا السؤال نجد بلاده غائبة عن مقتضيات العصر وعن الدين الصحيح! ثم تزعم بأنها (دولة تقدمية)!! فنعوذ بالله من انتكاس القلوب والأبصار.

هداك الله يا غنوشي، فأنا لم أسق هذا الموقف لإحراجك أمام أحد، وإنما لأبين لشباب الإسلام خطورة المسلك (الحركي) (الحزبي) غير المنضبط ضوابط الإسلام، الذي يجر المرء إلى (التلون) و (المواقف غير الرجولية) و(غير الشجاعة)، مما يؤدي إلى تردد الناس في قبول الإسلام والالتزام به إذا كان هذا هو حال دعاته.

أخيراً: عسى أن يجد القارئ ما يفيده في هذا البحث من حيث تبيين حال الغنُّوشي وتدرجاته، وأن يجد فيه الغنُّوشي نفسه مرآة صادقة تعكس له أخطاءه وانحرافاته فيتجنبها قبل الرحيل إلى دار القرار.

والله أعلم، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

ملحق:

فيه: ١ ـ رد الشيخ مفرح القوسي على الغنوشي في رسالته (المنهج السلفي والموقف المعاصر في البلاد العربية ـ دراسة وتقويمًا)، جامعة الإمام، كلية الشريعة، قسم الثقافة الإسلامية، ١٤٢٠، لم تنشر بعد.

٢- رد الشيخ مشهور سلمان على الغنوشي في مقدمة تحقيقه لكتاب (الموافقات) للشاطبي (١ / ٤٢ – ٥٣) وقال في خاتمته: انظر مقالة (رد افتراءات على الإمام الشاطبي) لمحمود عبدالكريم حسن ، منشور في مجلة الوعي (العدد ٨٨).

قلت: لم أطلع على العدد المذكور، فلا أدري: هل الرد القادم للشيخ مشهور أم لمحمود المذكور ؟!؛ لأن الشيخ لم يوضح ذلك، وليت من يطلع على العدد المذكور يفيدني.

٣ ـ رد أبي قتادة على الغنوشي، نشره في موقعه على شبكة الأنترنت، ونحن نستفيد منه مادام موافقاً للحق.

أولاً: رد الشيخ مفرح القوسي :

قال ـ وفقه الله ـ (راشد الغنوشي: أحد القادة البارزين المؤسسين لحركة الاتجاه الإسلامي بتونس، قَدَّم العديد من الأفكار والطروحات للتحديث في الفكر الإسلامي المعاصر وتكييف الدين لمسايرة العصر. ومن ذلك أنه في معرض تحليله للعناصر المكونة لحركة الاتجاه الإسلامي بتونس ذكر أن هذه الحركة تتكون من ثلاثة عناصر هي: التدين التقليدي التونسي، والتدين السلفي الإخواني، والتدين العقلاني. وبَيَّن أن التدين العقلاني يعتمد ضمن ما يعتمد على ما يلي:

أولاً: " اعتماد الفهم المقاصدي للإسلام بدل الفهم النصي، فالنصوص يجب أن تفهم وتؤول على ضوء المقاصد (العدل، التوحيد، الحرية، الإنسانية)، ونصوص الحديث يحكم على صحتها أو ضعفها لا بحسب منج المُحدّثين في تحقيق الروايات، وإنما بحسب موافقتها أو مخالفتها للمقاصد"[(١)].

ثانياً: منع تقسيم الناس بحسب اتجاهاتهم العقدية، واعتماد تقسيمهم بحسب توجهاتهم السياسية والاجتماعية: " وطني وخائن، ثوري ورجعي، فلاح وإقطاعي، إذ يمكن أن يكون مسلماً عميلاً وماركسياً وطنياً "[(٢)].

وقال عن التدين العقلاني ـ في سياق حديثه عن تفاعل تلك العناصر الثلاثة بينها ـ: " ... أما التدين العقلاني فهو من جهته قد طامن من غلوائه ... وتخلى عن مقولة اليسار الإسلامي واستعاض عنها باسم أقل إثارة للحساسية السلفية "الإسلاميون التقدميون"، ولكنه ظل يحتفظ برؤيته الأساسية حول أولوية العقل على النص، وإن صاغ هذه العلاقة صياغة جديدة: العلاقة الجدلية بين العقل والنص ... وظل التيار محافظاً على موقفه من تطوير الشريعة بما يتلاءم مع تطور الواقع دون تمييز بين مجال التطور والثبات في الشريعة، حتى وإن أدت مقتضيات التطور إلى تجاوز ظواهر النصوص القطعية وتعطيلها تحقيقاً للمقاصد، كما هو الشأن في مسألة تعدد الزوجات "[(٣)].

---

(١) الحركات الإسلامية المعاصرة في الوطن العربي – بحث (تحليل للعناصر المكونة للظاهرة الإسلامية بتونس) ص ٣٠٢ ، ط الثانية ١٩٨٩م، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت – لبنان.

(٢) المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق ص ٣٠٦.

وعَدَّ الغنوشي " السلفية " أحد العناصر المكونة للحركة المذكورة، وفسرها بأنها تعني: إذابة وتمييع الفوارق بين الطوائف والفرق الإسلامية، " واعتبار أخوة الإسلام فوق أخوة كل فرقة وكل مذهب ...، وتجميع المسلمين حول ما هو معلوم من الدين بالضرورة وإبعاداً للخلاف وتوحيداً للصفوف حسب القاعدة: نتعاون فيما اتفقنا عليه ويعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه"(١).

وتَجَنَّى الغنوشي ـ في دعوته إلى التحديث ـ على فقهاء الإسلام، فقال: " التاريخ الإسلامي في الحقيقة ظل خط الثورة والدم، فلم تحظ قط الدولة الإسلامية السنية بشرعية تامة من طرف الفقهاء، بل ظل هنالك تيار من الفقهاء لا يعطيها الشرعية"(٢)، وقال أيضاً: " في التاريخ الإسلامي عقدة مؤلمة لدى الفقهاء، بل جرحاً في ذاكرة الأمة وذاكرة الفقهاء، فكلما برز ثائر تصور الفقهاء أن المجازر ستهدد وحدة الأمة من جديد دون أن يحصل التغيير أصلاً ... الأمر الذي جعل الفقهاء يحجمون عن تأييد أي ثائر، لكنه إذا ثار ونجح أعطوه الشرعية، مما فهم من هذا أنه نوع من الانتهاز، نوع من الواقعية الشديدة، كان الفقهاء ينتظرون مصائر الثائرين، فإذا غُلبوا على أمرهم قالوا هم أهل فتنة، وإذا انتصروا بايعوهم، هذه الصورة تبدو مزرية للفقهاء"(٣).

---

(١) حركة الاتجاه الإسلامي في تونس ص ١٤، ط الأولى ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م، دار القلم الكويت. وانظر: مقاله المنشور في مجلة (الحرس الوطني) بعنوان (معالم في استراتيجية الدعوة الإسلامية) في العدد (٩١) الصادر في رمضان ١٤١٠هـ/أبريل ١٩٩٠م ص ٣٢-٣٣.

(٢) مقال (إقصاء الشريعة والأمة ـ تداعيات خوف الفتنة)، مجلة (المنطلق) العدد (١١٠) الصادر في شتاء ١٤١٥هـ/١٩٩٥م ص ٢٦.

(٣) المرجع السابق.

من أهم أفكار الغنوشي وطروحاته التحديثية: دعوته إلى خروج المرأة من بيتها واختلاطها بالرجال الأجانب لمشاركتهم في الاشتغال بالشؤون العامة، ومحاولته إيجاد المستند الشرعي لدعوته تلك لكي تبدو موافقة للشرع مسايرة لأحكامه[1].

ثانيًا: رد الشيخ مشهور حسن سلمان على الغنوشي:

قال ـ وفقه الله ـ:(لقد ذهلت بعد مطالعتي لكتاب الغنوشي " الحريات العامة في الدولة الإسلامية " فهو يقرر فيه أحكاماً وقواعد وينسبها للشرع، ويتعلق بعد هذا كله بالأصوليين وعلى رأسهم إمامنا الشاطبي ـ رحمه الله تعالى ـ، وهو في كتابه هذا يوافق نظرة الغرب حول الحرية وحول المرأة.

أقرأ قوله فيه (ص ١٢٩):

" ولقد استند المجيزون إمامة المرأة الولاية العظمى إلى أن عمومات الإسلام تؤكد المساواة بين الذكر والأنثى، وأن الحديث المذكور ـ أي:" لن يفلح قوم ولّوا أمرهم امرأة " لا يمثل أساساً صالحاً لتخصيص عموم المساواة، ذلك أن الحديث المذكور ورد بخوص حادثة معينة صورتها أنه لما ورد على النبي أن كسرى فارس مات، وأن قومه ولّوا ابنته مكانه، قال ـ عليه السلام ـ ذلك القول تعبيراً عن سخطه على قتلهم رسوله إليهم، فالحديث لا يتعدى التعليق على الواقعة المذكورة حتى يكون مرجعاً في مادة القانون الدستوري، خاصة وأن علماء الأصول لم يتفقوا على أن العبرة لعموم اللفظ لا لخصوص السبب، فما كان لفظه عاماً لا يعني أن

---

(١) راجع كتابه (المرأة المسلمة في تونس بين توجيهات القرآن وواقع المجتمع التونسي) (ص ٩٩ – ١١٠)، الطبعة الأولى ، ١٤٠٨هـ، دار القلم ــ الكويت.

حكمه عام أيضاً، الأمر الذي يجعل الحديث لا ينهض حجة قاطعة، فضلاً عن ظنيته من جهة السند لمنع المرأة من الإمامة العظمى".

ثم يضيف راشد الغنوشي ما يؤدي إلى نفي وجود نظام حكم في الإسلام بل وإلى إلغاء الأحكام الشرعية جملة، يقول في هامش نفس الصفحة:

" إلا أن الأحكام الشرعية وخاصة ما تعلق منها بنظام الدولة الإسلامية ما ينبغي أن تبنى على سند ظني مهما كانت درجة الظنية ضئيلة ".

ويصل إلى مبتغاه في (ص ١٣٠) ، فيقول:

" والنتيجة أنه ليس هناك ما يقطع بمنع المرأة من الولايات العامة قضاء أو إمارة ...".

ولن أرد هنا على مثل هذه الأقوال المخالفة للدين، وما أتيت بها إلا للدلالة على وجود هذا المنهج الغريب في عصرنا، إلا أني ألفت نظر هذا الكاتب إلى أن اشتراط القطع لثبوت الأحكام الشرعية يؤدي إلى التحلل من الإسلام، وإن قوله: "فما كان لفظه عاماً لا يعني أن حكمه عام أيضاً" يؤدي إلى إلغاء كثير من القطعيات، وإلى رد الاستدلال بالنصوص القطعية الدالة عليها، وعلى سبيل المثال، فإنه يلغي كل العقوبات الإسلامية، كقطع السارق، وجلد الزاني أو رجمه، وقتل المرتد، وجلد شارب الخمر وغيرها، والقاعدة الأصولية المعلومة عند الفقهاء بالضرورة تقول: " يبقى العام على عمومه ما لم يرد دليل التخصيص".

ولا يمنعنا موضوعية البحث ولا تحرجنا من دعوى الجهل أو

التجاهل لبعض الثوابت في الإسلام، وهذا أقل ما نقوله، والبينة عليه قائمة فيما أوردناه عنه.

وهذا الذي ذكره الغنوشي في كتابه يناقض الأصول التي قررها الشاطبي في "الموافقات" عند كلامه على (العام) و(الخاص) و(الظني) و(القطعي).

أعود إلى ما ذكرت سابقاً من أن أحداً من العلماء المعتبرين عند الأمة لا يقول بهذا المنهج أو مثله، ولا يقرر شيئاً منه، ولم يأت أحد ممن يقول به حالياً أو من يتبعونه باستدلال شرعي صحيح عليه، وجُل ما يأتون به هو ادعاء وجود هذا المنهج عند بعض العلماء الأفذاذ، والإتيان بنصوص من أقوالهم مع المحافظة على غموضها ، ومن هؤلاء العلماء الكبار الإمام الشاطبي المالكي ـ رحمه الله ـ.

ولقد صور الغنوشي في كتابه هذا منهجاً خطيراً على المسلمون يتلخص بالتشريع بالمصلحة مجردة من أي قيد، والأخطر أن يُنْسب ذلك النهج المبتدع والخطير إلى الإمام الشاطبي ـ رحمه الله ـ، وأن يُدَّعى أن هذه هو منهج المفكرين الأصوليين المعاصرين!

يقول الغنوشي في (ص ٣٨):

" وإذا تقدمنا صوب المعاني التشريعية من أجل وضع إطار قانوني لحريات الإنسان أو لواجباته، وجدنا مفكري الإسلام المعاصرين يكادون يجمعون على تزكية الإطار الأصولي الذي وضعه العلامة الشاطبي في "الموافقات" والمتلخص في اعتبار أن غاية الشريعة هي تحقيق المصالح الكبرى للبشرية، والتي صنفها إلى ضروريات وحاجيات وتحسينيات ...".

ويقول الغنوشي أيضاً في (ص ٤٣) من كتابه " الحريات العامة في الدولة الإسلامية ": " وكان مبحث المقاصد الشرعية الذي اختطه بتوفيق العلامة المغربي أبو إسحاق الشاطبي في رائعته " الموافقات" قد حظي كما تقدم بقبول عام لدى المفكرين الإسلاميين المعاصرين كأساس وإطار لنظرية الحقوق والحريات العامة والخاصة في التصور الإسلامي، ومعلوم أن أبا إسحاق الشاطبي في تتبعه كليات الشريعة وجزئياتها قد كشف عن نظرية المصلحة العامة، فوجدها مرتبة في ثلاثة مستويات ...".

ويقول أيضاً في (ص ٣٥٨): " ولقد حظي هذا العلم (علم أصول الفقه) بعقول عظيمة تتابعت على تأصيل قواعده وتطويره وإثرائها وصقلها، حتى بلغت مع العلامة الأندلسي الشاطبي أوجاً عظيماً متقدماً امتداداً للنهج الذي سنة الإمام الشافعي، فلقد انصبت نخبة من العقول العظيمة التي امتلأت يقيناً بعظمة الإسلام، وغاصت في نصوص الوحي كتاباً وسنة، وفي تراث الفقه والتطبيق الأساسي وسائر علوم الإسلام خلال القرون، كما استوعبت جملة المعرفة البشرية المعروفة في العصر، وصاغت من خلال كل ذلك قواعد للتشريع على ضوء ما استخلصته من مقاصد الدين، وجملة مقاصد الدين تدور حول مصالح العباد. فإنما لأجل ذلك جاء الدين، يقول الشاطبي: " إنا استقرينا من الشريعة أنها وضعت لمصالح العباد استقراءً ولا ينازع فيه الرازي ولا غيره" ويقول: " إن وضع الشرائع إنما هو لمصالح العباد في العاجل والآجل معاً ".

ويقول الغنوشي في (ص ٣٥٩): " والاتجاه العام في الفكر الإسلامي المعاصر إلى قبول أصول الشاطبي إطاراً عاماً لمعالجة

المشكلات المستجدة في حياة المسلمين، انطلاقاً من هذا الأصل العظيم، إن الدين إنما أنزل للتحصيل والمحافظة على مصالح الناس في الدنيا والآخرة، وفي هذا المنظور العام والمقصد العام للشريعة أمكن لجزئيات الدين أن تجد مكانها اللائق بها كفرع من أصل، وفي هذا المنظور نفسه يمكن أن تجد المشكلات المستجدة في حياة المسلمين حلولها المناسبة ...".

ثم يقول: "فما غلب ما فيه من صلاح عما فيه من فساد، فهو مشروع ...".

واضح من كلام الغنوشي أنه يقرر منهجاً جديداً للتفكير عند المسلمين، منهجاً يقوم على المصلحة، وواضح أيضاً أنه يريد الاستناد إلى الإمام الشاطبي ـ رحمه الله ـ من أجل إضفاء شرعية ما على مواقف أو طروحات غير شرعية، فَيَفْهَمُ من كلام الإمام، ويريد من قارئه أن يفهم أن الواقع يدرس دراسة عقلية، وتدرس جوانب المصلحة وجوانب المفسدة فيه، ثم يكون حكم الشرع في ذلك الواقع بحسب المصلحة كما يراها العقل ، فإذا غَلَّب العقلُ جانب المصلحة كان ذلك الشيء أو الأمر أو الواقع مشروعاً، وإذا غلب جانب المفسدة كان العكس ، وهكذا يتحقق مراده ومراد أصحاب هذا المنهج معه في استبعاد أحكام الشريعة التي لا توافق أهواءهم أو نظرتهم العقلية، ولكن الغنوشي لا ينسى التّسويغ لهذا الموقف فيُفهِم قارئه أن المجتمعات تتغير وتتبدل، ما يستدعي تطور الأحكام لتُجاري تطور المجتمعات، فالمنهج الإسلامي الذي يصلح لجماعة ما أو زمان ما لا يصلح لكل جماعة وكل زمان، فإذا لم تتطور الشريعة تصبح جامدة وغير صالحة، فلا بد أن تكون قابلة للتطور، ولهذا لا بد أن تكون مرنة، ولا بد أن تتوافق مع الواقع لتعطيه

من الأحكام ما يناسبه.

يقول في (ص ٣٥٨): " ولأن من سمات المنهج الإسلامي الواقعية والمرونة بما يحقق خلوده وصلاحه لكل زمان ومكان، ولأن حياة الجماعات البشرية عامة، ومنهم جماعة المسلمين في حركية دائمة مثل حياة الأفراد تتوارد عليها حالات الصحة والمرض، والنصر والهزيمة، والتقدم والتأخر، والضعف والقوة، فلا مناص لدين جاء ليغطي حياة البشرية في كل أصقاعها على امتداد الزمان أن يتسع لتغطية كل أوضاع التطور التي يمكن أن تمر بها جماعات المسلمين دائماً ...".

ويقول أيضاً في (ص ١٢٠): " إن الشريعة ليست نصوصاً جامدة، ولا هي مصوغة في صيغ نهائية، وليست أيضاً مدونة قانونية بحيث وضعت لكل فعل وحالة حكماً، وإنما المجال لا يزال فسيحاً للتفسير والتحديد والإضافة والتجديد عن طريق استخدام العقل الفردي والجماعي " الاجتهاد ".

هذه النصوص المطولة التي أوردناها أعلاه عن الغنوشي كافية لبيان منهجه (العصري) في فهم الإسلام، والذي يتلخص في أن الأفراد والجماعات ـ ومنهم المسلمون ـ في تطور دائم، وتعتريهم حالات الصحة والمرض والقوة والضعف، والإسلام يجب أن يكون بناء على ذلك قابلاً للتطور والتغير، ويجب أن يكون مرناً، وإلا، لم يكن صالحاً، فالأحكام يجب أن تتغير بحسب الواقع، فما كان حراماً قد يصير حلالاً، والقاعدة التي تُتَّبَعُ في ذلك هي المصلحة التي يراها العقل، فما يراه العقل محققاً للمصلحة ودارئاً للمفسدة، فهو مشروع وإن خالف نصاً، لأن النصوص برأيه ليست جامدة ولا مصوغة في صيغ نهائية، ولم تعط

حكماً لكل فعل وحالة، والمجال فسيح إمام العقل.

النصوص عنده إذاً فقط حددت المقاصد، والمقاصد هي المصالح، وإذا لم تتبع قواعد المصلحة في التشريع، جمدت الشريعة وفقد الإسلام صلاحيته، وهو يرى في كل ذلك أنه يستند إلى أصول الشاطبي ـ رحمه الله ـ وفي ذلك مغالطة كبيرة وجريئة، وإن أهم ما نقصده هنا هو بيان أن الشاطبي ـ رحمه الله ـ بعيد كل البعد عن هذا المنهج، ولو قال به لَرُدَّ قوله لتناقضه الصارخ مع شريعة الإسلام أصولاً وفروعاً.

فما هي حقيقة رأي أو موقف الإمام الشاطبي؟

إن قول الشاطبي: إن الشريعة وضعت لمصلحة العباد في العاجل والآجل معاً، لا يستفاد منه ولا بأي وجه من الوجوه إن ما يراه العقل مصلحة، فهو مشروع، ولا أنه يجوز ترك حكم النص إلى حكم فيه مصلحة بحجة أو بشرط المحافظة على المقصد ، ولا أن ما تغلب فيه المصلحة على المفسدة، فهو مشروع، والذي يفهم من كلام الشاطبي هو أن وجود الشريعة الإسلامية هو وجود لشريعة صالحة لرعاية البشر، فتحقق لهم إشباع حاجاتهم وطمأنينة نفوسهم لأنها تعالج البشر بأحكام من عند خالق البشر الذي يشرع لهم ما يصلح لهم على الحقيقة، فيودي إلى رفاهيتهم وطمأنينتهم في الدنيا، أي: في العاجل، ويؤدي إلى ثوابهم ونجاحهم من العقاب في الآخرة، أي: في الآجل، وهذا كله مصلحة للعباد، مصلحة في الدنيا ومصلحة في الآخرة، وكلتاهما تنتجان عن التزام ما أمر به الله ـ ﷻ ـ، وليس معنى هذا أن الإنسان يجوز أن يسير في هذه الدنيا بحسب ما يراه محققاً للمصلحة، لأن هذه يؤدي لأن يشرع الإنسان لنفسه بنفسه، وهذا لو سلمنا أنه يؤدي إلى مصلحة العباد في

العاجل، فإنه لا يؤدي إلى المصلحة في الآجل، لأنه عدول عما أمر به الله ـ ﷻ ـ، والمصالح في العاجل لا تتحقق إلا بما تتحقق به المصالح في الأجل، علاوة على أن قصد المصلحة في التشريع لا يؤدي إلى حصول المصلحة، وإنما يؤدي إلى الشقاء في العاجل.

وقد بين الإمام الشاطبي قصده هذا في مقدمة الجزء الأول من كتابه "الموافقات"، عندما بين أن الإنسان كان يشرع لنفسه قبل بعثه النبي ـ ﷺ ـ بناءً على ما يراه مصلحة، فأدى ذلك إلى شقائه حتى جاءت الشريعة الحنيفية، وبينت للعباد ما يؤدي إلى المصلحة الحقيقية، التي يعلم الله وحده السبيل إليها، ويجهل سبيلها الإنسان الذي قد يسلك إلى شقائه وهلاكه ظاناً لضعفه وقصور إدراكه أنه يسلك إلى المصلحة والطمأنينة.

قال الشاطبي في (١/ ٣): " الحمد لله وحده الذي أنقذنا بنور العلم من ظلمات الجهالة، وهدانا بالاستبصار به عن الوقوع في عماية الضلالة، ونصب لنا من شريعة محمد ـ ﷺ ـ أعلى عَلَم وأوضح دلالة، وكان ذلك أفضل ما منَّ به من النعم الجزيلة والمنح الجليلة وأناله، فلقد كنا قبل شروق هذا النور نخبط خبط العشواء، وتجري عقولها في اقتناص مصالحنا إلى غير السواء، لضعفها عن حمل هذه الأعباء، ومشاركة عاجلات الأهواء، على ميدان النفس التي هي بين المنقلبين مدار الأسواء ، فنضع السموم على الأدواء موضع الدواء، طالبين للشفاء، كالقابض على الماء، ولا زلنا نسبح بينهما في بحر الوهم فنهيم، ونسرح من جهلنا بالدليل في ليل بهيم، ونستنتج القياس العقيم ، ونطلب آثار الصحة من الجسم السقيم، ونمشي إكباباً على الوجوه ونظن أنا نمشي على صراط مستقيم ".

ومما يفسر ويؤكد المعنى الذي ذكرناه آنفاً عند الشاطبي، قوله: (٢/ ٦٣-٦٤).

" المصالح المجتلبة شرعاً والمفاسد المستدفعة إنما تعتبر من حيث تقام الحياة الدنيا للحياة الأخرى، لا من حيث أهواء النفوس في جلب مصالحها العادية أو درء مفاسدها العادية، والدليل على ذلك أمور: أحدها: ما سيأتي ذكره إن شاء الله تعالى من أن الشريعة إنما جاءت لتخرج المكلفين من دواعي أهوائهم حتى يكونوا عباداً لله، وهذا المعنى إذا ثبت لا يجتمع مع فرض أن يكون وضع الشريعة على وفق أهواء النفوس وطلب منافعها العاجلة كيف كانت، وقد قال ربنا سبحانه: ﴿ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ﴾ "[1].

ويستطرد الشاطبي في بيان هذا الأمر بما بنا غنية فيما أوردناه من هذا الموضع عما لم نورده.

إذاً: المصلحة عند الشاطبي تنتج عن تطبيق الشريعة ذاتها ، وليس عن تطبيق ما يراه العقل موصلاً إليها، فليس المشروع هو ما يؤدي إلى المصلحة كيفما كان، وإنما المصلحة عند الشاطبي مقصد من التشريع لا يسلك إليها إلا ما قد شرعه الله.

قال الشاطبي في (٢/ ٦٣): " ... إن الشريعة إنما جاءت لتخرج العباد من دواعي أهوائهم حتى يكونوا عباداً لله، وهذا المعنى إذا ثبت لا يجتمع مع فرض أن يكون وضع الشريعة على وفق أهواء النفوس وطلب منافعها العاجلة كيف كانت".

---

(١) سورة المؤمنون الآية ٧١.

فالعجب العجاب ممن يستدل بـ " الموافقات " على عكس هذا المعنى! ولا نستطيع أن نستقصي كل ما قاله الإمام الفذ حول هذه المسألة، لكني أدعوك ـ أخي القارئ ـ إلى قراءة كلام الإمام الشاطبي بعمق، ولا سيما عند حديثه عن التحسين والتقبيح العقليين، انظر لزاماً: (١/ ١٢٥ وما بعد) وتعليقنا عليه ، فهو مما ينسف هذا المنهج المبتدع من جذوره ويبيّن أن افتراءهم على الشاطبي واهٍ ومتهافت.

والخلاصة: إن النقول التي أوردناها عن الغنوشي فيما سبق تبين أنه والذين يعتبرهم الأصوليين المعاصرين أو مفكري الإسلام المعاصرين يتخذون من أصول الشاطبي إطاراً عاماً لأجل التشريعات الجديدة المطلوبة لهذا العصر والتي تتطلب مرونة في الشريعة تدفع إلى العدول عن أحكام النصوص إلى أحكام أخرى تقتضيها الضرورة أو المصلحة بحجة المحافظة على المقاصد، وما أوردناه آنفاً عن " الموافقات" للشاطبي يدحض هذه المزاعم التي لا أصل لها عنده، ويؤكد أنها فرية، فالشاطبي ـ رحمه الله ـ أبداً لم يتحدث عن فقه مصالح وضرورات ولا عن فقه موازنات.

أما ما يذكره الغنوشي عن تقسيم الشاطبي للمقاصد الشرعية إلى ضروريات وحاجيات وتحسينات، فهذا صحيح، ولكن ليس صحيحاً ما يبينه الغنوشي على ما يستنبطه الإمام، فما أشار إليه الغنوشي من إدخال الحريات العامة، كحرية العقيدة وحرية الرأي، وحرية الملكية في هذه المقاصد، إنما هو من أوهامه، والشاطبي تحدث في الضروريات عن حفظ الدين وليس عن حرية العقيدة، وحفظ الدين الذين اعتبره الأصوليون من مقاصد الشريعة استدلوا عليه بأن الشارع قد شرع حداً

للمرتد وهو القتل، فبهذا يحفظ الدين في شريعة الإسلام، بينما الغنوشي في كتابه يدعى أن مقصد حفظ الدين هو حرية العقيدة ، أي بهتان هذا؟

ثم إنه بعد ذلك يجادل عبثاً في هذه المسألة، فيحاول أن يثبت أن عقوبة المرتد عقوبة تعزيرية وليست حداً، استدعتها الظروف السياسية آنذاك ـ زمن النبي ـ ﷺ ـ، وأن ما صدر من النبي ـ ﷺ ـ بشأن الردة وقوله: "من بدل دينه فاقتلوه" كان باعتبار ولايته السياسية ولم يكن تشريعاً، وأن قتل المرتد كان يعده خروجاً بالقوة على نظام الدولة ومحاولة زعزعته، وكل هذه الدعاوى منه ليست مبنية على أي دليل، وظاهر فيها ريح الحضارة الغربية النتنة، فكل هذه المحاولة اليائسة هي ليثبت أن الإسلام يقرر حرية العقيدة، وأن حق الإنسان محترم ومحفوظ في تغيير عقيدته، ومن أراد أقوال الغنوشي، فليراجع صفحة (٤٨ ، ٤٩ ، ٥٠) من كتابه.

وكذلك ما قاله الغنوشي عن مقصد حفظ العقل، فالأصوليون يجعلون حفظ العقل مقصداً ويستدلون على ذلك بتحريم المسكر وبالعقوبة الشرعية عليه، بينما يذكر الشيخ راشد أن حفظ العقل يتعلق به حق الإنسان في التعليم وحرية التفكير وحرية التعبير، ما العلاقة بين حفظ العقل المستنبط من وضع عقوبة لشارب الخمر وبين حرية التعبير؟ ما هذا ؟!! أهو عمق في التفكير والاستنباط، أم هو استنتاج جارٍ على مقتضى الأهواء وليس جارياً على حسب مقتضى العقول؟ إنه الاحتمال الأخير بلا شك، والدافع إليه هو موافقة الحضارة الغربية، وهذا النوع من الموافقات مختلف تمام الاختلاف عن "موافقات الشاطبي".

دعوكم من هذا أيها (المفكرون المعاصرون)؛ فإنه ضلال ، وهو يسقطكم ولا يرفعكم وعلى كل حال؛ فالشاطبي بريء من كل هذا كما بينا سابقاً.

وقطعاً لكل المحاولات المريبة في تفسير مقصد الشاطبي من تقسيمه المصالح إلى ضرورية وحاجية وتحسينية، لابد من بيان مقصده منها كما بينه هو، ولابد من الإشارة أيضاً إلى أن الشاطبي لم يكن أول من تناول هذا التقسيم، فقد سبقه كثير من الأصوليين كالغزالي والآمدي ـ رحمهما الله تعالى ـ.

والشاطبي لم يورد هذا التقسيم ليرد أحكاماً شرعية ويستبدل بها أحكاماً أخرى من تقديرات العقل بحجة أن الأولى تحسينية والثانية حاجية، أو أن الأولى حاجية والثانية ضرورية، بل هذا عين ما يسميه الشهوة والهوى؛ فكما أن المصلحة هي ما جعله الشرع مصلحة والمفسدة كذلك، كما بينا عنه سابقاً؛ فكذلك مرتبة المصلحة أن تكون أو حاجية أو تحسينية هو بجعل الشارع لها كذلك.

إن حديث الشاطبي ومن سبقه في هذا التقسيم للمصالح ينطوي على فهم عميق لواقع الإنسان؛ فهمًا لا تجده في كل ما أنتجته الحضارة الغربية من أبحاث، هذه الحضارة التي ينطلق منها أحياناً: (مفكرو الإسلام المعاصرون).

ثم إن الشاطبي ـ رحمه الله ـ قد بين أن المصلحة ليست في مجرد سد هذه الحاجات، فالشرائع الوضعية تسعى إلى سدها وإشباعها، وإنما المصلحة في سدها كما أمر الشرع، يقول الشاطبي (٢/ ٦٣):

"المصالح المجتلبة شرعاً والمفاسد المستدفعة إنما تعتبر من حيث تقام

الحياة الدنيا للحياة الأخرى لا من حيث أهواء النفوس في جلب مصالحها العادية ودرء مفاسدها العادية".

ويقول (٢/ ٧٨): "فالعادة تحيل استقلال العقول في الدنيا بإدراك مصالحها ومفاسدها على التفصيل، اللهم إلا أن يريد القائل أن المعرفة بها تحصل بالتجارب وغيرها بعد وضع الشرع أصولها، فلذلك لا نزاع فيه".

فإذا ربطنا هذا الكلام بما ذكرناه عنه سابقاً أن المصلحة هي بجعل الشرع لها كذلك، وكذلك المفسدة، علمنا رأيه، وهو أن العقول تدرك بالتجارب أي بعد تطبيق الشرع أن هذا المأمور به يؤدي إلى مصلحة، وأن هذا المنهي عنه يؤدي إلى مفسدة، وقول الشاطبي "بعد وضع الشرع أصولها"؛ أي بعد أن نصب الشرع الأدلة على طلب الفعل أو تركه.

وعليه؛ فالشاطبي يرى أن اللازم اتباع الشرع في الأمر والنهي كي تتحصل المصلحة في الدنيا والأخرة، وإلا؛ فسوف نقع في المفسدة حيث نتوقع المصلحة، أما ما يراه بعض المهزومين أمام الحضارة الغربية وأمام ضغط الواقع؛ فهو قلب للأمور رأساً على عقب، إنه استبدال لشريعة اسمها المصلحة بشريعة الإسلام.

وهؤلاء الذين يريدون تحميل أوزارهم للشاطبي، فيقولون: إنهم ينتهجون نهجه،ويدعون أن الاتجاه العام في الفكر الإسلامي المعاصر يجعل من أصول الشاطبي إطاراً عاماً وأساساً لمعالجة المشكلات المستجدة في حياة المسلمين، وأن الشرع قد تضمن أصولاً عامة يمكن أن يتأسس عليها اجتهاد جديد كلما حصل تطور في الحياة، هؤلاء يعدهم الشاطبي أهل بدع، ولله در هذا الشاطبي المستنير؛ فلنقرأ بتأنٍ قوله (٣/ ٣٤):

"فاعل الفعل أو تاركه إما أن يكون فعله موافقاً أو مخالفاً"؛ أي: لصورة الفعل المأمور به أو المنهي عنه بالنص، ثم يتابع:

"وعلى كلا التقديرين؛ إما أن يكون قصده موافقة الشارع أو مخالفته، فالجميع أربعة أقسام".

فيتحدث ـ رحمة الله ـ عن الأقسام الثلاثة الأولى بما يلزم، ثم يتحدث عن القسم الرابع وهو ما يلزمنا هنا؛ فيقول (٣/ ٣٧): "والقسم الرابع أن يكون الفعل أو الترك مخالفاً والقصد موافقاً، فهو أيضاً ضربان:

أحدهما: أن يكون مع العلم بالمخالفة.

والآخر: أن يكون مع الجهل بذلك.

فإن كان مع العلم بالمخالفة؛ فهذا هو الابتداع، كإنشاء العبادات المستأنفة، والزيادات على ما شرع، ولكن الغالب أن لا يتجرأ عليه إلا بنوع تأويل، ومع ذلك، فهو مذموم حسبما جاء في القرآن والسنة".

ثم يسترسل الشاطبي ـ رحمة الله ـ في إثبات بدعية هذا الطرح وهو مخالفة الشارع فيما أمر أو نهى بحجة المحافظة على المقصد، وهذا هو عين ما طرحه الغنوشي في كتابه، وهو عين ما يطرحه الذين جعلهم الغنوشي مفكري الإسلام المعاصرين، وجميعهم يقصدون إلى تغيير شرع الله، فيثيرون مسألة مقاصد الشريعة كمقدمة وغطاء للانحراف، ثم يخادعون فيغشون على العقول والقلوب بإثارة مسألة مرونة الشريعة، ويتترسون بالإمام الشاطبي، والشاطبي بريء منهم ويعدهم أهل أهواء وبدع، فمن لي بأصحاب هذه المفاهيم الغربية السقيمة، يغرفونها من مستنقعات الكفر، ثم يزينونها بالبسملة والحمدلة ويدعون أنها الإسلام؟

إن الشاطبي يرد هذا المنهج ويعده مذموماً شرعاً، ويقول: "إن مخالفة الشرع بالفعل أو الترك مع قصد المحافظة على مقصد الشريعة هو بمثابة روح بلا جسد"، ثم يقول (٣/ ٤٥): "فإذا لم ينتفع بجسد بلا روح، كذلك لا ينتفع بروح في غير جسد".

وجرياً على المنهج الذي اتبعته هنا في الرد على الغنوشي بكلام الشاطبي نفسه، لأن الأول ادعى أنه يتخذ من أصول الثاني إطاراً عاماً لمنهجه، فلننظر ما هو رأي الشاطبي في مسألة التطور في الواقع والمرونة في الشريعة، والتغير في أحوال الأفراد والجماعات، يقول الشاطبي ـ رحمه الله ـ (٢/ ٤٨٣ – ٤٨٤):

"إن الإخبار الشرعي قد جاء بأحوال هذا الوجود على أنها دائمة غير مختلفة إلى قيام الساعة؛ كالإخبار عن السماوات والأرض وما بينهما، وما فيهما من المنافع والتصاريف والأحوال، وأن سنة الله لا تبديل لها، وأن لا تبديل لخلق الله، كما جاء بإلزام الشرائع على ذلك الوزان أيضاً، والخبر من الصادق لا يكون بخلاف مخبره بحال، فإن الخلاف بينهما محال".

وقال أيضاً: "لو لا أن اطراد العادات معلوم، لما عرف الدين من أصله فضلاً عن تعرف فروعة".

وقال ـ أيضاً ـ: (٢/ ٤٨٨): "العوائد المستمرة ضربان:

أحدهما: العوائد الشرعية التي أقرها الدليل الشرعي أو نفاها، ومعنى ذلك أن يكون الشرع أمر بها إيجاباً أو ندباً، أو نهى عنها كراهة أو تحريماً، أو أذن فيها فعلاً وتركاً.

والضرب الثاني: هي العوائد الجارية بين الخلق بما ليس في نفيه ولا

إثباته دليل شرعي. **أما الأول؛** فثابت أبداً كسائر الأمور الشرعية، كما قالوا في سلب العبد أهلية الشهادة، وفي الأمر بإزالة النجاسات، والتأهب للمناجاة وستر العورات، والنهي عن الطواف بالبيت على العري، وما شابه ذلك من العوائد الجارية في الناس، إما حسنة عند الشارع أو قبيحة، فإنها من جملة الأمور الداخلة تحت أحكام الشرع، فلا تبديل لها وإن اختلفت آراء المكلفين فيها، فلا يصح أن ينقلب الحسن فيها قبيحاً ولا القبيح حسناً، حتى يقال مثلاً: إن قبول شهادة العبد لا تأباه محاسن العادات الآن فلنجره، أو أن كشف العورة الآن ليس بعيب ولا قبيح، فلنجره، أو غير ذلك، إذ صح مثل هذا لكان نسخاً للأحكام المستقرة المستمرة، والنسخ بعد موت النبي - ﷺ - باطل، فرفع العوائد الشرعية باطل".

ثم تحدث الشاطبي عن الضرب الثاني، فأطال قليلاً ثم لخص فقال (٢/ ٤٩١): "إن ما جرى ذكره هنا عند اختلاف الأحكام عند اختلاف العوائد فليس في الحقيقة باختلاف في أصل الخطاب؛ لأن الشرع موضوع على أنه دائم أبدي، لو فرض بقاء الدنيا من غير نهاية، والتكليف كذلك، لم يحتج في الشرع إلى مزيد ".

هذا هو الشاطبي، وهذه أفكاره ومفاهيمه وأصوله، فكيف يجعلها من يسمون أنفسهم مفكري الإسلام المعاصرين إطاراً عاماً لمنهجهم القائم على الحاجة إلى فقه جديد اسمه فقه المصالح أو فقه الموازنات أو فقه المصالح والضرورات ؟!).

ثالثًا: رد أبي قتادة:

قال: (راشد الغنّوشي

كنت أظنّ زمناً أنّ هذا الرجل يمثّل النموذج الصارخ في فقه الهزيمة، أو كما يعبّر هو عنها بفقه الاستضعاف، وهذا الظنّ يعني أن الرّجل يفهم الإسلام كما هو، ولكن للظرف الاستثنائي الذي يعيشه الإسلام وأهله فإنه يجعل المسلم المعاصر يفرز فقهاً جديداً يلائم هذا الواقع، وهو فقه على الجملة موجود في داخل الإسلام ومفاهيمه، فمن الأمثلة الدالّة على هذا الفقه، موضوع الجهاد، فلو أنّ المسلمين غُزو من قبل الأعداء لكان الواجب عليهم ابتداءً هو دفعهم وقتالهم، ولكن لو أن المسلمين أيقنوا أنّهم لا يستطيعون دفعاً ولا منعاً فلا بأس (من باب الجواز) أن يصالحوهم ويسالموهم، فالقتال هو الأصل، والصلح هو الاستثناء، وأنا ضربت هنا مثلاً بجهاد الدفع لاتّفاق النّاس عليه، ولم أضرب مثلا بجهاد الطلب الذي يُنكره الكثير من المشايخ والمفكرين في هذا العصر.

فراشد الغنوشي يكرّر دائما أن هذا الفقه الذي يطرحه هو فقه الاستثناء أو فقه الاستضعاف، وقد أشار إلى ذلك صريحاً في محاضرته التي سجّلها في آخر كتابه "الحريّات العامّة في الدولة الإسلامية" كملحق رقم (٧) بعنوان: "مبدأ مشاركة الإسلاميين في حكم غير إسلامي".
قلت: كنت أظنّ أنّ هذا الرجل يفهم الإسلام كما هو، ولكنّه يتعامل مع الواقع بما يلائمه من فقه وأحكام، حتّى طلب منّي بعض الإخوة: أن أكتب عنه في هذه الصفحات، كرجل له وجود على السّاحة الإسلامية وهو قريب الصّلة بالوضع في الجزائر، فكان لا بدّ من القراءة الجديدة، أي أن أقرأ راشد الغنّوشي في فهمه للإسلام كما هو، وأن أقرأ أهداف راشد النّهائية بعد أن يصل إلى أن يكون عزيزاً لا مستضعفاً، فتبيّن لي

أمر أذكره هنا في هذه المقدمة وسيكتشفه القارئ معي بعد الانتهاء من قراءة هذه الأوراق والتي تتبعها في الأعداد القادمة ـ إن شاء الله تعالى ـ هذه النتيجة هي أن راشد الغنّوشي بكلّ صراحة ووضوح لا يمثّل الرجل السنّي في فهمه لدين الله تعالى، فهو: رجل بدعي العقيدة، منحرف الفهم، وبدعته تصل إلى البدعة المكفّرة.

على كلّ حال: لا تستعجل أخي القارئ، فلا بدّ من التريّث حتى تنتهي معي إلى النهاية، ولا بدّ من الإشارة هنا إلى أن موضوع التبديع والتكفير هو حقٌّ من حقوق الله تعالى، وليس هو حق بشري يمكن للمرء أن يساوم عليه، أو أن يتنازل عنه، وأقول هذا الكلام، لأنّي وجدت أناساً ينتسبون للسنّة والحديث، ثمّ هم حين يُذكر لهم أن هذا الرجل كافر أو مبتدع فإنهم يقلبون الأمر معك على وجه من وجوه سعر البضائع، وكأنّك في محفل مماكسة لا في مجلس علم، ثمّ إنّ البعض يظنّ أنّ الرجل بمجرّد انتسابه إلى جماعةٍ مسلمة، أو إلى العمل الإسلامي فإنّه لا يحقّ لأحد أن يبدّعه أو يكفّره، وكأنّ هذا الانتساب مانع من موانع التبديع والتكفير، وبعضهم يرى أن ما هو معروض على السّاحة إنّما هي وجهات نظر، وكلٌّ له دليله، فلا ينبغي أن يدّعي أحدٌ مُلك الحقيقة وكأنّ هو الإسلام، فإذا قلت لهذا الرجل: هذا أمرٌ بدعي أو خطأ، قال لك: هذه وجهة نظرك، وليست هي أحكام الشّرع كما هي في نفسها، وبعيداً عن مناقشة هؤلاء القوم من وجهة نظرٍ أصولية، إلا أنّ هذا الباب هو الذي فتح لكل مدّعٍ أن يتكلّم في دين الله تعالى كما يريد، حتّى لو أدّى الأمر به أن يفسر الإسلام تفسيراً كُفريّاً ظاهر الكفر والضلال، والأمثلة في هذا الأمر كثيرة، ولعلّ أصرخ مثال هو ما يفعله

فهمي هويدي الكاتب المصري وبلديّه محمد عمارة، فإن هذا الثاني يدعو إلى إحياء فكر المعتزلة كما يصرّح، لكنّ الأطمّ عنده أنّه يحاول أن يفسّر الإسلام تفسيراً ماديّاً تصل به إلى تفسير الشيوعيين والماركسيين.

ولعل من شعور الهزيمة عند المسلم المعاصر أنّه بمجرّد أن يرى رجلاً يرفع شعار الإسلام فإنّه يواليه ويحبّه ويدافع عنه بغضّ النظر عن نوع هذا الإسلام الذي يدعو إليه، فمثلاً روجيه جارودي (رجا جارودي) فإن المحافل والجماعات الإسلامية لا تستنكف أبداً في دعوته ليحدثهم عن الإسلام، أو ليتحدّث باسم الإسلام، بالرّغم أنّ رجا جارودي هذا لم يُسلم أبداً لا في تصوّره للألوهيّة ولا في فهمه للشريعة، فهو دخل الإسلام على مذهب وحدة الوجود، إذ يصرّح في كتابه "وعود الإسلام" أنّه لا فرق بين الخالق والمخلوق، فهو آمن بالمذهب الصّوفي الغنوصي تحت شعار الإسلام، وعلى ذلك فهو لا يرى خطأ في النظرية الاشتراكية سوى أنّها ترتكز على قاعدة عقائدية باطلة، وليست هي خطأ في السّلوك والعمل، ولا أريد أن استطرد بالأمثلة فهي كثيرة جداً، وكلّها تدعونا إلى أن نبتعد عن ترديد الشعارات كالببّغاوات، لأنه للأسف صار المسلم المعاصر أسيراً للشّعار من غير إدراكه للمضامين والمفاهيم، فبمجرد رفع شعار الإسلام ترى السذّج من المسلمين (التنظيمات والشيوخ والقواعد) تتحرّك نحو هذا الشّعار من غير فهم ولا تمييز، ولعلّ تجربة المسلمين مع الطّغاة هي أكبر دليلٍ على ما نقول، فالسعوديّة ترفع شعار التّوحيد والعقيدة الصحيحة، وصدّام يرفع شعار "الله أكبر"، والقذّافي يرفع شعار الثورة الإسلامية، والخميني كذلك، وهكذا، وكلّها تحمل مضامين الشرك والكفر، فمتى يصحو المسلمون

من غفلتهم؟ نرجو أن يكون ذلك قريبا.

عودة إلى راشد الغنوشي:

لعلّ من التنبيه المتكرّر وغير الممل، هو أن الحكم على الرجل بأنّه سنّي أو بدعي هو في فهمه لتوحيديْ الشّرع والقدر، وبكونه أرائتيّاً أو سنّيّاً باتّباعه للسنّة والحديث، وفهم راشد لتوحيد القدر هو فهم منتكس باطل، ففي كتيّبه الذي يحمل عنوان: "القضاء والقدر عند ابن تيمية"، يصرّح الرجل أن فهم المعتزلة لتوحيد القدر هو الفهم الصحيح السليم، وأن ابن تيمية وقبله الحفيد ابن رشد ما هما إلا محاولات مستنيرة لإحياء فكر المعتزلة، الفكر الإنساني السّامق، في فهمه لتوحيد القدر، وقبل أن نغادر من هذه النقطة فإنّه من المهمّ التنبيه إلى الأمر الآتي وهو أنّ عامّة الباحثين قديماً وحديثاً حين يدرسون عقائد المسلمين في مفهوم الحريّة (القضاء والقدر) فإنّهم يظنّون أنّه لا يوجد لأهل السنّة إلا قولٌ واحدٌ وهو مفهوم الأشاعرة للقضاء والقدر، والأشاعرة في الحقيقة هم جبرية في هذا الباب، إذ أنّهم يقولون بمذهب الكسب، وهو يعني عندهم الاعتراف بوجود إرادة للحيوان في فعله وحركته، ولكن هذه الإرادة لا قيمة لها، وإنّما هي دليل على وجود الثّواب والعقاب الإلهي للإنسان، والاعتراف بوجود إرادة بشريّة لكنّها غير مؤثّرة هي التي جعلت هذا المذهب ظاهره الكسب وباطنه الجبر، وصار هذا المذهب علماً على عدم الفهم والوضوح حتى قال الشّاعر:

ممّا يُقال ولا حقيقة عنده	معقولة تدنو من الأفهام
الكسب عند الأشعري والحال	عند البهشمي وطفرة

فحين يظنّ الباحث أنّ مذهب أهل السنّة هو مذهب الأشاعرة (أي الكسب) وهو في الحقيقة عين مذهب الجبرية (التي تنفي وجود إرادةٍ للإنسان من الأصل) فإنّه حين يقارن هذا المذهب (الأشاعرة) بمذهب المعتزلة، ومذهبهم في هذا الباب يقوم على إثبات إرادة للإنسان (وهذا حقّ) ولكنّهم ينفون الإرادة الإلهية القدريّة ولا يرون إلا الإرادة الشرعية، وقد جمع الله الحقّين (الإرادتين) معاً في قوله: ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾[1].

أقول حين يقارن الباحث مذهب المعتزلة بمذهب الأشاعرة فإنّ العاقل ولا شكّ لابدّ أن ينحاز إلى مذهب المعتزلة، أقول هذا حين لا يكون للإنسان خيارٌ ثالث وهو خيار الحقّ، وهو إثبات إرادة بشريّة حقيقيّة ولكنّها مخلوقة لله، ولا تنشأ إلا بمشيئة الله تعالى وإرادته.

وراشد وقع في هذا الخيار الباطل: إما المعتزلة أو الأشاعرة.

وهو ليس بأوّل باحث وقع في هذه القسمة الباطلة ولكن وقع فيها من تخصّص في هذا الباب أمثال الدكتور النشّار، والذي بقي طويلاً يظنّ أنّ مذهب القرآن والسنّة وبالتالي مذهب أهل السنّة يقوم على مذهب الجبر، حتى بيّن له أحد تلاميذه هذا الخطأ وهو الدكتور فاروق أحمد دسوقي، كما بيّن ذلك في كتابه الماتع "الحرية" وهو من أفضل ما كتب في هذا العصر من أبحاث جادة قيّمة.

ومن النماذج الواضحة التي وقعت بين الخيارات الباطلة ولم تعرف الحقّ هو محمّد بن محمّد الغزالي (أبو حامد المتوفي سنة ٥٠٥هـ) صاحب

---

(١) سورة التكوير الآية ٢٩.

كتاب الإحياء، وقد ذكر تجربته بين هذه الخيارات في كتابه الموسوم: "المنقذ من الضّلال"، فإنّه ذكر المذاهب التي عرضت عليه في مرحلة الشّك والبحث عن الحقيقة، فلم يذكر شيئاً عن مذهب الحقّ (أهل السنّة والجماعة) لكنه ظنّ أن المتكلمين (الأشاعرة) هم أصحاب هذا الخيار، فلم يكن معه إلاّ أن اختار الصّوفية كطريق يوصل الإنسان إلى الحقيقة.

إذاً راشد الغنوشي ليس سنيّاً ولا مهتدياً في باب توحيد القدر، بل هو بدعيّ العقيدة في هذا الباب.

هذه واحدة.

تكلمنا عن راشد في فهمه لتوحيد القدر، وأنّه مبتدع في هذا الأمر، إذ أنّه على مذهب المعتزلة في هذا الباب، والآن إلى فهم الرجل في توحيد الشرع:

لعلّ ملايين المسلمين في العالم سمعوا راشد وهو يقول لوكالات الأنباء أنّ قضيّة تحكيم الشريعة الإسلامية ليست في برنامجه، ولا في برنامج حزبه (حزب النهضة)، حيث دلّل على هذا الأمر بقوله إنّ استبدال قانون بقانون ليس هو الذي يغيّر الأوضاع في داخل بلده المنكوب تونس، ومعنى كلامه بكلّ وضوح أن تحكيم الشريعة لا يغيّر الأوضاع المتردّية في تونس، بل هو معنيّ حسب قوله بنشر الحرّية وتأمين فرص العمل للعاطلين عنه.

وقد يظنّ البعض أنّ راشد يقول هذا الكلام للاستهلاك الإعلامي، ولكن لو رجع الدّارس إلى القانون الأساسي لحركة النّهضة التونسية لوجد أن الأمر هو اعتقاد صميم عند الرجل، فتحت فصل الأهداف

يقول القانون:

تناضل حركة النهضة من أجل الإسهام في تحقيق الأهداف التالية:

أ) المجال السياسي:

١ - دعم النظام الجمهوري وأسسه، وصيانة المجتمع المدني وتحقيق مبدأ سيادة الشعب وتكريس الشّورى.

٢ - تحقيق الحريّة باعتبارها قيمة محوريّة تجسّد معنى تكريم الله للخلق وذلك بدعم الحريات العامّة والفردية وحقوق الإنسان وتأكيد مبدأ استقلال القضاء وحياد الإدارة.

٣- إقامة سياسة خارجية تنبني على عزّ البلاد ووحدتها، واستقلالها عن كلّ نفوذٍ وفي كل المستويات، وإقامة العلاقات الدولية، ومن مبادئ عدم الانحياز الإيجابي والاحترام المتبادل، وحقّ الشعوب في تقرير مصيرها والعدل والمساواة.

وهكذا يمضي القانون في ذكر أهدافه دون أدنى إشارة إلى قضيّة الإسلام الأولى وهي تحقيق عبوديّة ربّ العالمين في الأرض، ودون أدنى إشارة إلى إسلامية هذا القانون من قريب أو بعيد.

والمرء لو قرأ هذا القانون وقانون أي حزب علماني آخر في الدول الديمقراطيّة الكافرة لما وجده يزيد عليه أو ينقص، فالقانون هو قانون علماني إلى مشاشه.

وقد يسأل سائل إلى أيّ حدٍّ يصل حكم هذا القانون؟ فنقول بكلّ اطمئنان أنّه قانونٌ كافر. إذ أنّ قوله: دعم النّظام الجمهوري وأسسه، وصيانة المجتمع المدني، وتحقيق مبدأ سيادة الشعب وتكريس الشّورى هو قولٌ كفري، فالنّظام الجمهوري يقوم على مبدأ سيادة الشعب كما هو

معروف عند أهله، والسيادة كما هي معرّفة عند أصحاب هذا النظام تعني: سلطةً عليا (لا سلطة فوقها) لها الحق في تقييم الأشياء والأفعال. وهذه السلطات هي:

١ - التشريعية. ٢- القضائيّة. ٣ - التنفيذيّة.

فإعطاء الشعب السلطة التشريعية هو كفرٌ وردّة.

والآن إلى أيّ مدى تصل الديمقراطيّة في ذهن راشد الغنوشي؟

للإجابة على هذا السؤال لابدّ من قراءةٍ واعيةٍ للكثير ممّا كتبه راشد الغنوشي، ومن أهمّ ما كتب في هذا الباب، هو كتابه "الحريّات العامّة في الدولة الإسلامية" وهو كتاب يعبِّر بحقّ عمّا يفكر به راشد الغنوشي، وفيه يتحدّث عن استقرار دولة الإسلام، وعن وصول الأماني إلى أهدافها:

١ - يجوز لمواطني الدّولة الإسلامية من غير المسلمين (يهود، نصارى، وثنيين، شيوعيين، ملاحدة) حقّ تكوين الأحزاب، وهو بهذا يحتجّ بفتوى الشيخ مصطفى مشهور في حقّ النصارى الانتماء إلى الأحزاب الإسلامية أو تكوين أحزاب خاصّة بهم. وهكذا لم يشهد للبنت إلاّ أمُّها.

٢ - يجيز لغير المسلم أن يدعو في الدولة الإسلامية إلى دينه وملّته، فيجوز للشيوعي أن يدعو إلى الشيوعيّة والبعثي إلى بعثيته، والقوميّ إلى قوميّته، شريطة التزام الجميع بالآداب العامّة للحوار، ويقول محتجّاً لذلك: إنّ إقرار أحدٍ على مذهبه يقتضي ضرورة الاعتراف له بحقّ الدّفاع عنه لإظهار محاسنه، ومساوئ ما يخالفه، وذلك جوهر عمل كل داع. اهـ. بل هو كما ظاهر من اللفظ أنّه يجيز لهذا المشرك أن يظهر

مساوئ الإسلام!!.

٣ - حكم الردّة عن الإسلام هو حكمٌ لجريمة سياسيّة تتمثل في الخروج عن نظام الدّولة، وبالتّالي يُترك للإمام معالجتها بما يناسبها من التعازير، وليست هي جريمة عقيديّة تدخل ضمن جرائم الحدود التي هي من حق الله.

وهكذا بهذه النقاط المعروضة، استكملت حلقة المشروع الديمقراطي بكلّ أبعاده العلمانيّة كما يطرحه أصحابه، لا كما تحاول الكثير من الجماعات البدعيّة تفسير الألفاظ بوجهة نظر إسلامية.

وأنا أعجب لراشد ولأمثاله الذين ملأوا الدّنيا صراخاً بوجوب تحقيق الإسلام السياسي ونادوا بشمولية الإسلام، فهل هذا هو النظام السياسي الإسلامي بحقّ كما طبّقه السّلف، وهل الخلافة الراشدة الموعودة تقوم على مثل هذا الغثاء الفكري.

إنّ راشد وكلّ من لفّ لفّه هو علماني التأصيل في النظام السياسي، شاء أم أبى.

راشد يصدر بياناً في الدّفاع عن الأحزاب الشيوعية الأردنية في حقّها في الاعتراف بعدما رفضت الحكومة الأردنيّة المرتدّة ترخيصها. ويدلّل على ذلك قائلاً: وفي كل الأحوال نحن ضحايا الدكتاتورية في تونس، نرجو من كلّ قلوبنا أن تنجح الديمقراطية الأردنية في مواجهة التحدّي الصهيوني، وهو التحدي الأعظم الذي لا يمكن مواجهته، وكذا سائر التحديات الكبرى المطروحة على أوطاننا إلا بصف وطني موحّد لا مجال فيه لاحتكار السلطة، ولا لاحتكار الثّروة، ولا للفرز والإقصاء لأيّ فصيل وطني مهما كان اتّجاهه الفكري طالما قبل مبدأ

التعايش على أساس الحوار والتضامن الوطني، والاحتكام لإرادة الشّعب، وذلك مقتضى من مقتضيات مبدأ الإسلام العظيم: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّ ﴾[1].اهـ.

إذا فهمنا هذا الأمر نستطيع أن نفهم أحكام راشد الغنوشي على الدول والأشخاص، فهل راشد الغنوشي يوالي ويعادي على أساس الإسلام أم على أساس الديمقراطيّة؟

وهل الانحطاط والتقدم عند راشد الغنوشي مناطه الإيمان أو الديمقراطية؟

لنقرأ هذه الفقرات:

١ - في مقدّمة كتابه المذكور سابقاً: يهدي راشد كتابه إلى: آبائه الروحيين، وعلى رأسهم (حسب قوله) الشّهيد حسن البنّا، ومولانا أبو الأعلى المودودي، والشّهيد سيّد قطب، وأستاذنا مالك بن نبي، وإلى المجدد القائد الشيخ حسن الترابي، وإلى قائد الثورة الإسلاميّة المعاصرة الإمام الخميني، والشهيد العلامة الصدر، والشهيد علي شريعتي... وتتوالى القائمة العجيبة.

ثمّ يقول: "وإلى مساجين الرأي والحريّة من كلّ ملّة، وفي كل صقع، المكافحين ضدّ الطُّغيان المحلّي والدولي، وعلى رأسهم السيّد غنزالو رئيس جماعة الدّرب المضيء المكافح ضد رموز الطّغمة العسكريّة في البيرو".

٢ - في كتابه (المقالات): في مقال تحت عنوان: قادة الحركة

---

(١) سورة البقرة الآية ٢٥٦.

الإسلامية المعاصرة: البنا، المودودي، الخميني، وهكذا يجعل الخميني داخلاً في حديث رسول الله ـ ﷺ ـ: ((إنّ الله يبعث لهذه الأمّة على رأس كل مائة سنة من يجدّد لها دينها))، وهو الحديث الذي صدّر فيه مقاله مادحاً فيه هذا الطّاغية اللعين (الخميني).

٣ – في حديثه عن الطّرق للوصول إلى رئاسة الدولة يذكر في كتابه "الحريّات العامّة" طريق الاستخلاف (ولاية العهد) يعقّب راشد على هذه الطريق قائلاً: "ويشعر المرء بالقرف من استمرار هذا العفن قائماً في تراثنا الديني وفكرنا السياسي، ويضع يده مباشرة على هذه الألغام التي قوّضت حضارة الإسلام وأسلمتنا إلى الانحطاط، إنّه من غير ثورة شاملة تطيح بهذه السموم التي لا تزال تجري في دماء الأمّة وتشلّ طاقتها وتجهض انتفاضتها، وتحبط أحلام نهضتها، فلا أمل في انطلاقة متينة قويّة قاصدة منتجة الحضارة من جديد في أمّتنا". ص١٦٢.

ويقول: "فويل لتاريخ الازدهار من ليالي الانحطاط، هل نحن أهل لوراثة الخلافة الراشدة ونحن نلقي عليها بمزابل انحطاطنا؟". نفس الصفحة.

٤ – يقول عن معاوية ـ رضي الله عنه ـ: "الوالي المنشق معاوية بن أبي سفيان، وقد غلبت عليه – غفر الله له – شهوة الملك وعصبيّة القبيلة، فلم يكتف بأن انتزع الأمر من أهله بل ومضى في الغيّ!! لا يلوي على شيء حتّى صمّم على توريثه كما يورّث المتاع لابنه وعشيرته، فجمع في قصّته المشهورة ثلّة من المرشّحين للخلافة من الجيل الثّاني من الصحابة، وأمام ملأ من النّاس قام أحد أعوانه يخطب بصفاقة... وحينئذ بدأ مسلسل الشرّ والفساد، مكرّساً الدكتاتوريّة والوصاية والعصمة، مقصياً

الأمّة عن حقّها، مبدّداً طاقتها في جدلٍ عقيم حول الخلافة والاستخلاف".

وأنا هنا لا أريد أن أناقش المسألة فقهيّاً ولكنّ قصدي أن أعرض الأسلوب الذي ينتهجه الغنوشي في عرضه للقضيّة، هكذا يوالي راشد، وهكذا يعادي، ومبدأ الحبّ والكُره عنده هو الديمقراطية والدكتاتوريّة.

هكذا تحدّث راشد عن مجدد القرن الخميني، وهكذا تحدّث عن الصحابي معاوية بن أبي سفيان ـ ﷺ ـ، بل لم يبق إلا راشدٌ سليماً من عصر الانحطاط، حتى الغزالي وابن تيمية وابن رشد وابن خلدون وابن حزم لم يسلموا من تأثير الروح السائدة في عصرهم، بل هذه الروح السائدة كثيراً ما احتوت واستوعبت وأجهضت القسم الأكبر من محاولاتهم التجديدية. ويقصد بالروح السائدة روح الانحطاط التي تثير في نفس الأستاذ راشد القرف، وأنّها روح لا تلقي علينا إلاّ المزابل ـ حسب تعبيره ـ.

فهنيئاً لراشد بآبائه الروحيين أمثال: الخميني، وحسن الترابي، والشهيد العلامة محمد باقر الصدر وربما يكون موسى الصدر والشهيد علي شريعتي.

وويل لأمّةٍ القائد فيها أمثال راشد الغنوشي، وويلٌ لها كذلك إن لم تكن تعرف أن هؤلاء من أئمّة الإجرام والضّلال في هذا العصر).

فهرس المحتويات